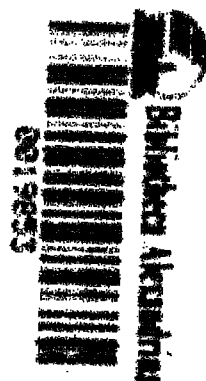


كتابي لسائر
بجلدان
الخلاف والشرقية

تأليف
أ. ز. نيس وكوري

مؤسسة الرسالة



بُلْدَان الْخِلاَفَةِ الشَّرْقِيَّةِ

بِلْدَان الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ

يَتَنَاوَلُ صِفَةَ الْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَإِيرَانَ
وَأَقَالِيمِ آسِيَةِ الْوُسْطَى
مُنْذَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى أَيَّامِ تَيْمُورِ

تَأَلَّفَ
كِي لِسْتَرَنْج
مُؤَلَّفَ كِتَابِ "فِلَسْطِينَ فِي عَهْدِ الْإِسْلَامِ"،
وَبَعْدَ ذَلِكَ فِي عَهْدِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَغَيْرِهَا

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَعْلِيقَاتَ بِلْدَانِيَّةَ وَتَارِيخِيَّةَ وَأَمْرِيَّةَ،
وَوَضَعَ فِيهَا رِسَالَةً

كُورِكِيْسَ عَوَّاد
مُضَرَّبُ الْجَمْعَةِ الْعَامَّةِ الْعِرَاقِيَّةِ

بَشِيرَ فَرَنْسِيْسَ

مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

لمؤسسة الرسالة

ولا يحق لأية جهة أن تطبع أو تعطي حق الطبع لأحد.
سواء كان مؤسسة رسمية أو أفراداً.

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
هاتف : ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب : ٧٤٦٠ بريقيا : بيوشران



مضامين الكتاب

٣	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مقدمة الترجمة
٦	٠٠	٠٠	٠٠		ترجمة لسترنج مؤلف الكتاب
٩	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مقدمة المؤلف
١٢	٠٠	٠٠			البلدانيون المسلمون بحسب زمن تصانيفهم

الفصل الاول

تمهيد

بلاد ما بين النهرين وفارس واقاليمها فى أيام الخلفاء العباسيين – الاقاليم فى الاطراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية – الطرق من بغداد الى اقصى حدود بلاد الاسلام – البلدانيون المسلمون وتصانيفهم – المؤلفون الآخرون – اسماء المواضع فى الاقاليم العربية والتركية والفارسية •

(٣٩ – ١٤)

الفصل الثانى

العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية – العراق اى بلاد بابل – التغير فى مجريي الفرات ودجلة – أنهر الرى العظيمة – بغداد – المدائن وما فى جنوبها من مدن على دجلة حتى فم الصلح •

(٥٨ – ٤٠)

(ج)

الفصل الثالث

العراق (تابع)

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة العوراء - البصرة وأنهارها -
الابلة وعبادان - دجلة فوق بشداد - البردان - طسوج دجيل - عكبرا وحري
والقادسية •

(٥٩ - ٧٥)

الفصل الرابع

العراق (تابع)

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة جسر
النهرين وطريق خراسان - جلولاء وخاتقين - البنديجين وبيات - مدن القرات
من الحديثة الى الانبار - نهر عيسى - المحول وصرصر ونهر الملك - نهر كوثي •

(٧٦ - ٩٥)

الفصل الخامس

العراق (تتمة)

انشطار الفرات - نهر سورا - قصر ابن هيرة - النيل ونهر النيل - نهر
الترس - نهر البداءة ويمباديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة - القادسية - مشهد
علي وكربلاء - استانات العراق الاثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق •

(٩٦ - ١١٣)

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل ونيوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحديثة واربل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الخابور الصغير والحسنية

(د)

والعمادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي - نصيبين ورأس العين - ماردين
ودنيسر - الهرماس والخابور - عربان والثرثار - سنجار والحضر - بلد
وأذرمة •

(١١٤ - ١٣١)

الفصل السابع

الجزيرة (تنعة)

ديار مضر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذسا وحصن مسلمة -
قرقيسيا - نهر سعيد والرجبة والدالية - رصافة الشام - عانة - بالس وجسر
منبج وسميساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاني ومنابع دجلة - ميفارقين
وارزن - حصن كيفا وتل فافان - سمرت •

(١٣٢ - ١٤٦)

الفصل الثامن

الفرات الاعلى

الفرات الشرقى أى ارسناس - ملاسكرد وموش - شمشاط وحصن زياد
أى خربوط - الفرات الغربى - ارزن الروم أى قاليقلا - ارزنجان وكمخ -
قلعة ابريق أى تفريك (Tephrike) - ملطية وطرنده - زبطرة والحدث - حصن
منصور وبهسنا وقنطرة سنجة - تجارات الجزيرة وغلاتها - المسالك •

(١٤٧ - ١٥٨)

الفصل التاسع

بلاد الروم - اى آسية الصغرى

بلاد الروم - الثفور من ملطية الى طرسوس - الدربان الكبيران فى جبال
طوروس - طريق القسطنطينية المار بالابواب القليقية - طرابزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى آسية الصغرى - نهب عمورية بامر

(هـ)

المتنصم - فتح السلاجقة آسية الصغرى - مملكة ارمينية الصغرى - الصليبيون -
أجلّ مدن السلاجقة فى بلاد الروم •

(١٥٩ - ١٧٥)

الفصل العاشر

بلاد الروم (تنمة)

الامارات التركمانية العشر - ابن بطوطة والمستوفى - قيسارية وسيواس -
سلطان العراق - أمير قرمان - قونية - أمير نكة والعلايا وانطالية - أمير حميد
واكريدور - أمير جرميان وكوتاهية وسوري حصار - أمير منتشا وميلاس - أمير
آيدين وفسوس وازمير - أمير صاروخان ومغيسية - أمير قرصى وبرغامس -
الولاية العثمانية وبرصى - أمير قزل احمد لى : صنوب (سينوب) •

(١٧٦ - ١٩٢)

الفصل الحادى عشر

اذريجان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - المراغة وأنهارها - بسوى واشنه - مدينة
ارمية وسلماس وخوى ومرند - نخجوان - القناطر على نهر أرس (Araxes)
- جبل سبلان - اردبيل وآهر - سفيدروذ وروافده - الميانج - خلخال
وفيرروز اباد - نهر شال وولاية شاهرود •

(١٩٣ - ٢٠٥)

الفصل الثانى عشر

كيلان والالاييم الشمالية الغربية

الجيلانات - اقلبما الديلم وطالش - بروان ودولاب وخشم - لاهيجان ورشت
وغيرهما من مدن كيلان - اقليم موغان - باجروان وبرزند - محمود اباد
- ورثان - اقليم الران - برذعة - اليلقان - كنجة وشمكور - نهر الكر ونهر

(و)

الرس - اقليم شروان - شماخي - باكويه وباب الابواب - اقليم كرجستان أو جورجيا - تفليس وقرص - اقليم ارمينية - ديل أو دوين - بحيرة وان - اخلاط وارجيش ووان وبتليس - حاصلات وتجارات الاقاليم الشمالية •
(٢١٩ - ٢٠٦)

الفصل الثالث عشر

الجبال

اقليم الجبال أو عراق العجم ، ونواحيه الاربع - قريسين أى كرمان شاهان - بهستون ومنحوتاتها - كنتكور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان العظيم - كرنند - كردستان فى عهد السلاجقة - بهار - جمجمال - ألانى والبشتر - همذان ورسايفها - دركزين - خرقاين وآوه الشمالية - نهاوند - كرج رود راور وكرج ابى دلف - فرهان •
(٢٣٤ - ٢٢٠)

الفصل الرابع عشر

الجبال (تابع)

المر الصفري - بروجرد - خرما باذ - شابر خواست - سيروان والصيمرة - اصفهان وكورها - فيروزان وقافان ونهر زنده رود - اردستان - قاشان - قم وكليكان ونهر قم - آوه وساوه - نهر كاوماها •
(٢٤٨ - ٢٣٥)

الفصل الخامس عشر

الجبال (تتمة)

الرى - ورامين وطهران - قزوین وقلعة الموت - زنجان - السلطانية -
(ز)

شيز أو ستوريق - خونج - ناحيتا الطالقان وطارم - قلعة شميران - تجارات اقليم
الجبيل وغلاته - مسالك اقليم الجبال واذربيجان واطاليم الحدود الشمالية الغربية •
(٢٤٩ - ٢٦٦)

الفصل السادس عشر

خوزستان

نهر دجيل أي كارون - خوزستان والاهواز - تستر أو شوستر -
الشاذروان العظيم - نهر المسرقان - عسكر مكرم - جنديسابور - دزفول -
السوس ونهر كرخه - بهنا ومتوث - قرقوب ودور الراسبي - الحويزة ونهر
تيرى - الدورق وكورة سرق - حصن مهدي - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايندج أو مال أمير - سوسن - لردكان - تجارات
خوزستان وغلاته - مسالكة •

(٢٦٧ - ٢٨٢)

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة اردشير خره - شيراز - بحيرة
ماهلوية - نهر سكان - جويم - بحيرة دشت أرزن - كوار - خبر والصيمكان -
كارزين وكورة قباد خره - جهرم - جويم أبي أحمد - ماندستان - ايراهستان -
جور أو فيروز اباد - أسياف فارس - جزيرة قيس - سيزاف - نجيرم - توج -
الغندجان - خارك وسائر جزر خليج فارس •

(٢٨٣ - ٢٩٧)

الفصل الثامن عشر

فارس (تابع)

كورة شابور خره - مدينة سابور وكهفها - نهر رتين - النوبنجان - القلعة

(ح)

اليضاء وشعب بوآن - زموم الاكراد - كازرون وبحيرة كازرون - نهر أخشين
ونهر جرشيق - جره وقنطرة سبوك - كورة ارجان - نهر طاب - بهمان - نهر
شيرين - كنبذ ملغان - مهر وبان - سينز وجنابة - نهر الشاذكان •
(٢٩٨ - ٣١٠)

الفصل التاسع عشر

فارس (تابع)

كورة اصطخر ومدينة اصطخر أى برسبوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة
البختكان وما حولها من مدن - سهل مرو دشت - اليضاء وماين - كوشك زرد -
سرمق ويزد خواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان - أبرقوه - يزد :
ناحيتها ومدنها - ناحية الروذان ومدنها - شهر بابك وهرات •
(٣١١ - ٣٢٤)

الفصل العشرون

فارس (تتمة)

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركان وايلك -
نيريز واصطهبانات - فسا ورونيز وخسو - لار وفرج - طارم - سورو - تجارات
فارس وصناعاتها - مسالك اقليم فارس •
(٣٢٥ - ٣٣٦)

الفصل الحادى والعشرون

كرمان

كور كرماني الخمس - قصبتا الاقليم - القصبة الاولى : السرجان ، موضعها
وتاريخها - القصبة الثانية : بردسير ، وهى مدينة كرماني اليوم - ماهان ووليها -
خيص - زرنند وكوه بنان وهى كوبنان (Cobinan) لدى ماركو بولو •
(٣٣٧ - ٣٤٨)

الفصل الثاني والعشرون

كرمان (تتمة)

كورة السرجان - كورتا بم ونرماسير - ريكان - جيرفت وقمادين : كمادى (Camadi) لدى ماركو پولو - دلفريد - جبال البارز والقفص - روكان والمنسوجان - هرمز العتيقة والجديدة وكمبرون - تجارات اقليم كرماني - مسالكها •

(٣٤٩ - ٣٥٩)

الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

امتداد المفازة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرملق ونابند وسنيج - أهم مسالك المفازة - اقليم مكران - فنزبور وميناء التيز - مدن أخرى - السند والهند - ميناء الديبل - المنصورة والمثلثان - نهر مهران (Indus) - كورة طوران وقصدار - كورة البدهة وقدايبل •

(٣٦٠ - ٣٧١)

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان أي نيمروز وزابلستان - زرنج وهي القاعدة - بحيرة زره - نهر هيلمد والانهار الآخذة منه - العاصمة العتيقة للاقليم وهي رام شهرستان - نه - فره ونهر فره - نهر خاش ورستاق نيشك - قرنين ومدن أخرى - رودبار وبست - رساتيق زمينداور - رخج وبالس أي والشتان - قندهار - غزنة وكابل - معدن الفضة - المسالك في سجستان •

(٣٧٢ - ٣٩١)

(ي)

الفصل الخامس والعشرون

قوهستان

اقليم قوهستان ، هو تونوكاين (Tunocain) لدى ماركو پولو - قاين
وتون - ترشيز ورستاق بشت : سروة زرادشت العظيمة - زاوة - بوزجان
واقليم زم - رستاق باخرز ومالن - خواف - زيركوه - دشت بياض - كئاباد
ويجستان - طبس التمر - خوست أو خوسف يرجند - مومناباد - طبس
مسيان ، ودره •

(٣٩٢ - ٤٠٣)

الفصل السادس والعشرون

قوس وطبرستان وجرجان

اقليم قوس - الدامغان - بسطام - يار - سمنان وخرار - طريق خراسان
المار بقوس - اقليم طبرستان أو مازندران - آمل - سارية - جبل دماوند ورستاق
فادوسبان وقارن وروبنج - فيروز كوه وغيرها من القلاع - ناتل وسالوس وناحية
رويان - حصن الطاق وناحية رستمدر - ممطير وطميسة - كبود جامه وخليج
نيم مردان - اقليم كركان أو جرجان - نهر جرجان ونهر اترك - مدينة جرجان
واستراباد - ميناء أبسكون - ناحية دهستان وآخر - مسالك طبرستان وجرجان •
(٤٠٤ - ٤٢٢)

الفصل السابع والعشرون

خراسان

أرباع خراسان الاربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وشاذياخ - كورة
نيسابور - طوس والمشهد - بيهق وسبزوار - جوين وجاجرم واسفراين -
استوا وكوجان - رادكان ونسا وايورد - كلات - خابران وسرخس •
(٤٢٣ - ٤٣٨)

(ك)

الفصل الثامن والعشرون

خراسان (تابع)

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها - آمل وزم على جيحون -
مرو الروذ أو مرو الصغرى وقصر الأخنف •
(٤٣٩ - ٤٤٨)

الفصل التاسع والعشرون

خراسان (تابع)

ربع هراة - نهر هراة أو هري رود - مدينة هراة - مالن والمدن التي في
أعلى نهر هري رود - بوشنج - كورة اسفزار - كورة بادغيس ومدنها - كنج
رستاق - رستاق غرجستان والفور - الباميان •
(٤٤٩ - ٤٦١)

الفصل الثلاثون

خراسان (تتمة)

ربع بلخ في إقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - ناحية الجوزجان -
الطالقان والجرزوان - ميمنة أو اليهودية - الفارياب ، شبرقان ، أنبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - خلم ، سمنجان واندراية - ورواليز والطايقان - تجارات
خراسان وغلاته - المسالك في خراسان وقوهستان •
(٤٦٢ - ٤٧٥)

الفصل الحادى والثلاثون

ما وراء النهر (نهر جيحون)

بلاد ما وراء النهر اجمالا - اسما جيحون (Oxus) وسيحون (Jaxartes) -
روافد نهر جيحون العليا - بدخشان ووخان - الختل والوخش - القباذيان
والصغانيان ومدنهما - قنطرة الحجارة - ترمذ - الابواب الحديد - كالف
واخيسك وفربر - بحر آرال أى بحيرة خوارزم - انجماد ماء جيحون شتاء •
(٤٧٦ - ٤٨٨)

الفصل الثانى والثلاثون

خوارزم

اقليم خوارزم - قصبته : كاث والجرجانية - اركنج القديمة والجديدة -
خيوه وهزاراسب - انهار خوارزم والمدن التى على يمين جيحون ويساره -
المجرى الاسفل لجيحون الى قزوین - تجارات خوارزم وغلاته •
(٤٨٩ - ٥٠٢)

الفصل الثالث والثلاثون

الصغد

بخارا والمدن الخمس داخل أسوارها - بيكند - سمرقند - جبل البتم ونهر
زرفشان أى نهر السفد - كرمية - دبوسية وربنجن - كش ونسف والمدن
المجاورة لهما - غلات الصغد وتجارته - مسالك ما وراء جيحون حتى سمرقند •
(٥٠٣ - ٥١٦)

الفصل الرابع والثلاثون

الاقليم نهر سيحون

اقليم اشروسة - بونجكت وهى قصبته - زامين والمدن الاخرى - اقليم
فرغانة - نهر جكسارتس Jaxartes أى سيحون - اخسيك وانديجان -
اوش واوزكند والمدن الأخرى - اقليم الشاش أى بنكت - بناكت اى شاه رخیة
والمدن الأخرى - ناحية ابلق ومدينة تونكت • معادن الفضة فى خنت - ناحية
اسيجاب - مدينة اسيجاب اى سيرام - جمكند وفاراب أى أترار - يسى
وصبران - جند وينفكنت - طراز وميركى ومدن الترك النائية - حاصلات اقليم
سيحون - المسالك التى فى شمال سمرقند •
(٥١٧ - ٥٢٢)

٥٣٣

فهارس الكتاب

٥٣٥	..	..	..	..	١ - الفهرست البلدانى
٥٧٣	..	..	..	..	٢ - فهرست الاشخاص والاقوام
٥٨٢	..	..	..	..	٣ - الفهرست العمرانى

لبيت الخوارط

الصفحة	رقم الخارطة
١٦	١ - أقاليم آسية الجنوبية الغربية فى أيام الخلافة
٤٠	٢ - اقليما العراق وخوزستان ، مع قسم من اقليم الجزيرة
١١٦	٣ - اقليما الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية
١٦٠	٤ - بلاد الروم
٢٢٤	٥ - اقليما الجبال وجيلان ، مع اقليم مازندران وقومس وجرجان
٢٨٨	٦ - اقليما فارس وكرمان
٣٦٠	٧ - اقليم مكران ، مع قسم من اقليم سجستان
٣٧٦	٨ - اقليما خراسان وقوهستان ، مع قسم من اقليم سجستان
٤٨٠	٩ - اقاليم نهري سيحون وجيحون
٤٨٩	١٠ - اقاليم خوارزم

صفحة
أقاليم الدولة العباسية

من العراق الى الامم الشرق

مقدمة الترجمة

عني المؤرخون المسلمون الاقدمون عناية كبيرة. بوضع التصنيف البلدية : من معجمات ورحلات ومسالك وخطط وخوارط ومصورات ، تناولوا فيها بالوصف والتخطيط أقاليم العالم المعروف في أيامهم • فلم يدعوا شاردة ولا واردة وقعت اليهم بالمشاهدة والمعاينة أو بالسماع والنقل الا دونوها في أسفارهم • فخلّفوا لنا بذلك ثروة علمية ثمينة صارت مرجعا أساسيا لمن يبحث في جغرافيا البلاد الاسلامية وغيرها ، من الوجهة العمرانية والتاريخية والاقتصادية والخططية • ولا ريب في أن عناية الاولين بهذه الموضوعات ، كابن حوقل وابن خرداذبه والمقدسي والاصطخرى وياقوت ، انما كانت صفحة من صفحات النهضة العلمية التي ازدهرت منذ صدر الدولة العباسية •

والى اولئك المصنفين الثقات الذين كتبوا بالعربية ، ولا يتعدى زمنهم في الغالب المئة التاسعة للهجرة (المئة الخامسة عشرة للميلاد) ، نجد جماعة ممن كتب بالفارسية والتركية • وبعض ما كتبه هؤلاء مستمد من المصادر العربية وبعضه من زياداتهم • وتصانيفهم هذه لا يستغنى عنها الباحث في الجغرافيا التاريخية للاقطار الاسلامية ، ولا سيما ما تأخر زمنه عن اولئك المصنفين الاولين • وأشهرهم الحاج خليفة وأبو الغازي •

وحين بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق - ومبعث ذلك أسباب كثيرة مختلفة - ، رأينا منهم من قصد هذه الديار مستطلعا حال بلدانها وآثارها دارسا لغاتها وتاريخها • فصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات ووضعوا الخوارط • ومنهم من وجه همه الى مخلفات اولئك المصنفين الاقدمين ، فأقبلوا عليها يتدارسونها ، وكانت يومذاك مخطوطات تفرق شملها في خزائن كتب العالم ، ويحققونها وينشرونها بالطبع وينقلون بعضها الى لغاتهم • ومنهم من انصرف الى التأليف في الجغرافيا التاريخية

للبلدان الاسلامية بلفته ، مستمدا مادة بحثه من اولئك وهؤلاء جميعا .
ولعل في طليعة من يذكر من علماء هذا الصنف الاخير ، البجاجة الانكليزي
المشهور كى لسترنج ، مؤلف هذا الكتاب الذى نضع ترجمته اليوم بين أيدي قراء
العربية . فقد ألفنا كتابه أجمعها مادة وأكثرها شمولا . حوى بين دفتيه صفة
الاقاليم الاسلامية من الفرات غربا حتى أقاصى ما بلفته الدولة العباسية فى أواسط
آسية شرقا . وهو الى ذلك كثيرا ما تناول زما تقدم عصر هذه الدولة وتأخر عنه
استيفاء للموضوع الذى يعالجه . وقد رجع فى كتابه هذا الى امهات التأليف
البلدانية والتاريخية التى انتهت إلينا من المصنفين المسلمين الاقدمين ، ويدخل فى
ذلك المطبوع والمخطوط ، كما رجع الى ما كتبه المستشرقون والرحالون من
أبناء الغرب .

وقد جعل المؤلف لكتابه هذا خوارط عديدة استند فى وضعها الى الخوارط
الجغرافية الحديثة وأثبت فيها التسميات القديمة حسبما هداه اليه علمه ودلته عليه
بحثه . فذكر فى هذه الخوارط أشهر كور الاقاليم الاسلامية ومدنها وقراها
وأنهارها ، مبينا ما كان يتخللها من مسالك ، فان حصل فى تعيين بعض المواقع شئ
من الوهم ، فمرد ذلك فى الغالب الى أن كثيرا من التسميات لا يعرف من أمره اليوم
شئ ، ومبنى تعيينه على الحدس والتخمين . ولا بد من القول ان متن الكتاب وخوارطه
وحدة متماسكة يكمل بعضها بعضا .

ثم أن المؤلف ، على ما بان لنا من تتبع النصوص التى نقلها من المراجع القديمة ،
كان أمينا فى نقلها حريصا على رجح الفضل لذويه . ولم يتردد قط فى أن ينوّه
بالمراجع الذى استقى منه وبزمنه كلما نقل منه . وان وهم المؤلف أحيانا فى نقل
بعض النصوص أو فهمها على غير وجهها - على ما أشرنا اليه فى موطنه - فقد سبق
هو الى الاعتذار عن ذلك فى مقدمته ، بكون معظم مراجعه مكتوبا بالعربية
والفارسية والتركية ، وهى لغات قل من أجادها .

والمؤلف ، على ما سيرى القارىء ، متمكن من موضوعه ، خبير بدقائقه ،
مطلع على اصوله وفروعه ، يتنقل فيه تنقل العارف . وليس أدلّ على ذلك من
تصانيفه الكثيرة فى هذا الباب - وسيرد ذكرها فى ترجمة حياته .

- ٥ -

ولقد راعينا فى نقل هذا الكتاب ، أن تكون الترجمة العربية مطابقة للاصل . ولما كان المؤلف قد رجع الى جملة كبيرة من المصادر العربية القديمة ، منقبا فيها وناقلا منها ما يتعلق بموضوعه ، رأينا لزاما علينا أن نعود الى تلك الاصول أنفسها فننقل منها النصوص بالحرف الواحد أو نوفق بين جملة نصوص أدمجها المؤلف نفسه فى صفة مدينة أو موضع ما . ونتقى من القابض الحضارة والعمران ومن تعابير تلك المصادر ما طابق سباق البحث فى الاصل الانكليزى وتمشى مع اسلوب المصنفين الاقدمين فى هذه الموضوعات . ولم نفضل مراجعة ما ظهر من كتب بعد تأليف هذا السفر . فاستعنا بها فى استكمال بعض جوانب الموضوع بما أضفناه من حواش حيثما اقتضى الامر ، وقد ذيلناها بحرف (م) .

ولا يسعنا ، ونحن نقدّم ترجمة هذا السفر الى قراء العربية ، الا أن نشيد بفضل المجمع العلمى العراقي ، الذى رأى ما لهذا الكتاب من جزيل الفائدة وعظيم النفع ، فعهد الينا نقله الى العربية وأقرّ طبعه بنفقته ، وعني بنشره خدمة للعلم . فله منا أبلغ الشكر وأطيب التناء .

بشير فرئيسيس كوركيس عواد

ترجمة لسرنج

مؤلف الكتاب*

ولد لسرنج Guy Le Strange في هنستين هل بانكلتر سنة ١٨٥٤ ، وتوفي في كمبرج في ٢٤ كانون الاول ١٩٣٣ ، عن عمر ناهز الثمانين سنة .

أمضى لسرنج وقتا طويلا من عمره خارج بلاده ، فعاش في باريس مع امه . وهناك اتصل بالمستشرق موهل Julius Mohl ناشر الشاهنامة و مترجمها الى الفرنسية . فشوَّته الى درس اللتين الفارسية والعربية . وحضر في باريس دروس المستشرق ستانسلاس گويارد Stanislas Guyard في اللغة العربية . فحفظَته هذه الدراسات الى زيارة بلاد فارس وهو في عنفوان شبابه ، فمكث فيها ثلاث سنوات (١٨٧٧ - ١٨٨٠) توفّر في أثناءها على الوقوف على تاريخ هذه البلاد وأحوالها ولغتها . وكان من ثمار ذلك أن نشر سنة ١٨٨٢ بمشاركة هگرد Haggard قصة The Vizir of Lankuran بالفارسية مع ترجمة انكليزية لها وممَّجَم لألفاظها وتعليق عليها . وفي سنة ١٨٨٦ نشر ترجمة قصة فارسية اخرى عنوانها The Alchemist . ونشر في سنة ١٩١٥ القسم الجغرافي من كتاب « نزهة القلوب » لحمدالله المستوفى القزويني

(*) استخلصنا هذه الترجمة من مراجع مختلفة ولاسيما مما كتبه عنه صديقه المستشرق براون ، في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية JRAS الصادرة سنة ١٩٣٤ ، وما كتبه جريدة التايمس اللندنية في عددها الصادر في ١٩٣٣-١٢-٢٧ وقد تفضل علينا البروفسور ملوان Prof. Dr. M.E.L. Mallowan فبعث الينا بما ورد في هذه المجريدة وبصورة المؤلف المنشورة في آخر ترجمته هذه . (م) .

- ٧ -

مع ترجمة له ، فى سلسلة مطبوعات لجنة جب • وكان لسترنج من أعضاء هذه اللجنة العاملين •

ولكن أجلّ الميادين التى برز فيها لسترنج ورفقته الى مصاف كبار المستشرقين ، كان فى ما ألفه من كتب فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلامية • فقد نشر فى سنة ١٨٨٦ ترجمة لما كتبه المقدسى عن فلسطين فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » • وفى سنة ١٨٩٠ ظهر كتابه « فلسطين فى عهد الاسلام » Palestine Under the Moslems • وفى سنة ١٨٩٥ نشر قطعة من كتاب « عجائب الاقاليم السبعة » لابن سراييون (سهراب) فيها صفة أنهار العراق والجزيرة ، مع ترجمة انكليزية وتعليقات وخارطة • وفى سنة ١٩٠٠ طبع كتابه الموسوم « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » Baghdad During the Abbasid Caliphate • ثم أصدر فى سنة ١٩٠٥ كتابه « بلدان الخلافة الشرقية » The Lands of the Eastern Caliphate وهو هذا الذى تقدم اليوم ترجمته بالعربية •

وفى سنة ١٩١٢ نقل صفة اقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخى ونشره فى سلسلة كتب الجمعية الآسيوية الملكية • وقد ساهم أيضا فى نشر « تجارب الامم » لمسكويه الذى طبعت بعض أجزائه لجنة جب • وله مقالات عديدة فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلام ، نشرها فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية منذ انتخابه عضوا فيها سنة ١٨٨٠ حتى وفاته •

وقد انجز لسترنج جميع هذه التأليف الجليلة وهو يعانى ضعفا شديدا فى بصره ، آل به سنة ١٩١٢ الى العمى • ولم يحل العمى دون مواصلة نشاطه العلمى ، فكان يلجأ الى من يقرأ ويكتب له • وانكبّ وهو فى هذه الحال على دراسة الاسبانية فأتم ذلك نشره سنة ١٩٢٠ • كتاب الاغانى الاسبانية •

- ٨ -

The Book of Spanish Ballads • وفى سنة ١٩٢٦ نقل من الاسبانية
تاريخ « دون جوان الفارسى » Don Juan of Persia وفى سنة ١٩٢٨ نشر
حوادث « سفارة كلافيجو » The Embassy of Clavijo

والتفّ حول لسترنج كثير من الاصدقاء والمعجّين به • وكان من أقرب
أصدقائه اليه ، المستشرق براون E. G. Browne الذى مهد له السبل الى العمل
فى جامعة كمبرج حيث ألقى محاضرات كثيرة فى شتى المواضيع • وقد اشتغلا معا
فى لجنة جب التذكارية • ولم تخل أيام لسترنج من تلميذ ، شيخ أو شاب ، يتلقى
عنه العلم بالفارسية أو العربية أو الاسبانية •



لسترنج فى اواخر ايامه

(عن صورة نغرافية زودنا بها البرونسور ملوان)

مقدمة المؤلف

حاولت في هذه الصفحات ، أن أجمع في مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار في مؤلفات جغرافيي القرون الوسطى : العرب والفرس والترك ممن وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والاصقاع الدانية من آسية الوسطى • وما نقلتُ عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الاقدمين وينتهي بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلنك - أى بعد الفتوحات الكبرى في آسية الوسطى - ففي وسعنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى في آسية •

وما السفر الذى أضعه بين أيدي القراء الا تكملة لكتاب « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » المطبوع سنة ١٩٠٠^(١) وصلة للبحث الجغرافى الذى بدأته بكتاب « فلسطين فى عهد الاسلام » الصادر سنة ١٨٩٠ •

ولكى احافظ على اعتدال حجم هذا الكتاب ، ضربت صفحا عن جغرافيا جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعا لدولة بنى العباس • وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به منى من الباحثين فيكتب الجغرافيا التاريخية لجزيرة العرب ولصر الفاطمية فى الجانب الثانى من البحر الاحمر • ويصف أقاليم شمالى أفريقية المختلفة وبلدان الخلافة الغربية فى الاندلس البعيدة التى ازدهرت على قصر عمرها • فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الاسلامية •

وان أردنا أن يكون التاريخ الاسلامى ممتعا مفيدا وأن يفهم على حقيقته فهما صحيحا ، وجب علينا أن نبحث فى الجغرافيا التاريخية للشرق الأدنى خلال

(١) نقل هذا الكتاب الى العربية وعلق عليه احدنا : بشير لرسيس ، وطبعه فى بغداد سنة ١٩٣٦ •

المصور الوسطى بحثا مستفيضا شاملا . وها أنذا قد بذلت أول جهد فى هذا السبيل . أما ما يفتقر اليه هذا الكتاب من مزيد العناية به وجعله خيرا مما هو عليه الآن فانا أول المسلمين لذلك . ومهما يكن الامر فقد مهدت الطريق لمن يتناول الموضوع من بعدى بما أشرت اليه فى الحواشى من مراجع كل قول وبما قوتته من أغلاط كتاب سالفين ، فكان ما جئت به باكورة التأليف فى وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفا كاملا خلال هذه الحقبة . وما كتابى هذا الا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل واردة وشاردة ، فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذى أردته له ، الى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المنتهية الينا من مؤلفي الاسلام ترجمة كاملة . وعلى ذكر الرحلات أقول ان الحاجة تمس الى اصدار طبعة جديدة لكتاب « طرق البريد والسفر فى بلاد الشرق » Sprenger, Post und Reise Routen des Orients مصححة تصحيحا وافيا بالاستناد الى المتون المنشورة حديثا . ذلك بالرغم من أن ترجمة المسالك والممالك التى ألحقها الاستاذ دى خويه بطبعته لابن خرداذبه وقدامة ، قد سدّت هذه الفجوة الى حد بعيد .

وقد ألحقت بوصف كل اقليم ، ذكر تجارته وصناعاته على ما جاء فى المصادر التى اعتمدت عليها . على أن ما أورده ليس الا نورا يسيرا ، ومن أراد الوقوف على تجارات وصناعات الشرق الاسلامى فى العصور الوسطى ، فليرجع الى الفصل الموسوم بـ « التجارة والصناعة » من كتاب فون كريمر « تاريخ حضارة الشرق » Culturgeschichte des Orients فهو ما زال خير ما كتب فى هذا الشأن .

ويرى القارىء بعد ثبت « مضامين » الكتاب ، أسماء البلدانين المسلمين مرتبة بحسب سياق زمنهم . وقد أشرت اليهم فى الهوامش بالحروف الاولى من أسمائهم . أما غيرهم ممن رجعت اليهم فى الحواشى ، فقد ذكرت أسمائهم كاملة لدى الاشارة الاولى اليهم فقط . ومن اليسير معرفة أسماء مؤلفاتهم حين النقل منهم فى ما يلى المرة الاولى بالرجوع الى الفهرست الهجائى للوقوف على أول ذكر لهم فى الكتاب .

وسيقف القارىء فى الفصل التمهيدى ، على وصف موجز لمؤلفات

البلدانيين العرب • وكنت قد بسطت القول فيها فى كتاب « فلسطين فى عهد الاسلام » Palestine Under the Moslems •

ولقد ذكرت السنين بالتاريخ الهجرى مقرونة بما يوافقها من السنين الميلادية (بين قوسين) • وأرانى فى غنى عن التعليق على ما اتبعته فى ضبط الاعلام : فقد جريت فيه على الطريقة الشائعة الاستعمال • وحسبى أن أذكر أن حرف (و) العربى يلفظ عادة (ث) بالفارسية وأن (ض - ظ) يلفظان بالفارسية (ز) • و (ث) يلفظ (س) •

ولا ريب فى أن كتابا مثل هذا ، أعتمد فى تأليفه على مصادر يكاد جميعها يكون شرقيا ، قد يقع القارئ على هفوات جمة فيه • ثم انه لتعدد المراجع ، لا مناص من الزلل • وانى لأشكر فضل من يهدينى الى صواب أو ينهينى الى سهو •

وأرجو أن يقدم غيرى على العناية بموضوع الجغرافيا التاريخية • فان ظهر كتاب غير هذا أوفى بحثا وأشمل موضوعا ، يكون كتابى قد أصاب الغاية من تمهيد الطريق الى ما هو أحسن •

لسترنج

شارع سان فرنسيسكو بوليرينو رقم ٣
للورسة - ايطالية
ايار ١٩٠٥

البلدنيون المسلمون

وقد رتب أسمائهم بحسب زمن تصانيفهم

الاسم	السنة الهجرية	السنة الميلادية
ابن خرداذبه	٢٥٠	(٨٦٤)
قدامة	٢٦٦	(٨٨٠)
اليعقوبى	٢٧٨	(٨٩١)
ابن سرايون	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن رسته	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن الفقيه	٢٩٠	(٩٠٣)
المسعودى	٣٣٢	(٩٤٣)
الاصطخرى	٣٤٠	(٩٥١)
ابن حوقل	٣٦٧	(٩٧٨)
المقدسى	٣٧٥	(٩٨٣)
ناصر خسرو	٤٣٨	(١٠٤٧)
فارسانه	٥٠٠	(١١٠٧)
الادريسى	٥٤٨	(١١٥٤)
ابن جبير	٥٨٠	(١١٨٤)
ياقوت	٦٢٣	(١٢٢٥)
القزوينى	٦٧٤	(١٢٧٥)
مرصد الاطلاع	٧٠٠	(١٣٠٠)
أبو الفداء	٧٢١	(١٣٢١)
المستوفي	٧٤٠	(١٣٤٠)

- ١٣ -

<u>الاسم</u>	<u>السنة الهجرية</u>	<u>السنة الميلادية</u>
ابن بطوطة	٧٥٦	(١٣٥٥)
حافظ ابرو	٨٢٠	(١٤١٧)
على اليزدى	٨٢٨	(١٤٢٥)
جهان نما	١٠١٠	(١٦٠٠)
أبو الغازى	١٠١٥	(١٦٠٤)

الفصل الاول

تقديم

بلاد ما بين النهرين وفارس وأقاليمها في أيام الخلفاء العباسيين - الأقاليم في
الأنحرف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطرق من بغداد الى
القاصى حدود بلاد الاسلام - البلدانون المسلمون وتسانيلهم
- المؤلفون الآخرون - أسماء المواضع في
الأقاليم العربية والتركية والفارسية .

كانت بلاد العراق والجزيرة وفارس تؤلف مملكة الاكاسرة الساسانيين التى
قضى عليها العرب قضاء مبرما حين ساروا لهداية العالم الى الاسلام بعد وفاة النبى
محمد . أما الروم البنظيون ، وهم الدولة العظمى الثانية التى هاجمها المسلمون ،
فلم يفلحوا كل الفلبة ، بل استولوا على أقسام متفرقة من أقاليمها الفنية ، لا سيما
سواحلها المطلة على جنوب البحر المتوسط وشرقه . وأما فى غير ذلك ، فقد أفلح
القياصرة فى صد تقدم الخلفاء ، وظلوا على ذلك قرونا عدة . بل ان دولة الروم
عاشت مئى سنة ونيفا بعد زوال الخلافة العباسية .

على أن العرب اكتسحوا مملكة الساسانيين وأخضعوها لسلطانهم . أما
يزدجرد آخر الاكاسرة فقد اعترضه بمضهم وقته^(١) . وانضوت بلاد فارس كلها
الى الاسلام . وكانت دولة الخلفاء الذين اضطلعوا بتدبير المملكة الفارسية العابرة ،
قد نهجت نهج الاكاسرة فى الحكم . ولاسيما فى أيام العباسيين الذين غلبوا
خصومهم الامويين بعد وفاة النبى بقرن ونيف من الزمن ، ونقلوا قاعدة الخلافة
من الشام الى العراق ، وأسسوا بغداد على دجلة ، على بضعة أميال فوق طيسفون

(١) وللإطلاع على تفصيل ما كان من نزار يزدجرد ومقتله ، راجع : فتوح البلدان للبلاذرى
(ص ٣١٥ - ٣١٦ طبعة ليدن) وتاريخ الطبرى (١ : ٢٦٨١ - ٢٦٩٢ طبعة ليدن) . (م) .

عاصمة الساسانيين الشتوية الاولى . وسرعان ما أصبحت بغداد قاعدة الدولة الاسلامية فى الشرق . ولكن هذه الدولة منذ أيام أول خلفاء بنى العباس ، لم تحافظ على وحدتها ، ولو اسمياً . فانفصلت عنها الاندلس ، وما عثم أن قام فى قرطبة خليفة أموى زاحم خليفة بغداد العباسى . ولم يمض قرن وبعض قرن على قيام دولتهم حتى أفلتت مصر من أيديهم . فحين أعلن أمير قرطبة الاموى نفسه أميراً للمؤمنين فى الاندلس ، كانت السلطة قد انتقلت فى مصر الى الفاطميين الذين أخذوا بنظام الخلافة أيضاً ، ونبذوا طاعتهم لبغداد . أما الشام فقد كانت تواكب مصر فى أغلب الاحيان . وأما جزيرة العرب فكانت تتنازعها الاثنان . أما فى الشرق البعيد ، فقد استقلت أقاليم كثيرة عن الخليفة العباسى ، بيد أنها لم تقم فيها خلافة تناسويء بغداد^(١) . وبالأجمال فجميع تلك الاقاليم الواسعة التى كانت تؤلف المملكة الساسانية قبل الاسلام ، لبثت حتى الاخير خاضعة لخلفاء بنى العباس خضوعاً اسمياً ، ان لم يكن حقيقياً . فان هاتيك البلاد المترامية الاطراف التى يحدها شرقاً صحارى آسية الوسطى وجبال أفغانستان ، وغرباً دولة الروم البيزنطيين ، كانت منقسمة الى أقاليم عديدة ستبسط فى صفة أحوالها فى الفصول الآتية من الكتاب . وقد ظلت أسماء الاقاليم وحدودها فى أيام العرب على ما كانت عليه فى أيام الاكاسرة فى الغالب (على ما انتهى اليه علمنا) . فالشرق فى واقع الامر ، لم يتغير الا قليلاً بحيث ان الاسماء والحدود لم يطرأ عليها تبدل يذكر حتى يومنا هذا ، وان كانت أحوال البلاد السياسية وأوضاعها الاقتصادية أى المادية قد تغيرت على ما هو منتظر تغيراً كبيراً فى خلال الالف والثلاثمئة سنة الاخيرة .

وقبل أن أتوغل فى هذا الموضوع ، أرى أن اوجز القول فى هذه الاقاليم المختلفة تبعاً لسياق ورودها فى الفصول الآتية .

فالاقليم السهلي العظيم الذى أطلق عليه اليونان اسم « ميزوبوتامية » Mesopotamia (أى ما بين النهرين) ما هو الا هبة الرافدين : الفرات ودجلة . وهذا النهر الاخير (على ما سنبين فى الفصل الثانى) لم يكن مجراً الاسفل أيام

(١) سيأتى فى الفصل الثانى عشر ، كلام المؤلف على مدينة « خشم » وان الداعى العلوى كان يحكم فيها حكم السلطان المستقل ولا يعترف للخليفة بالامامة ، هذا اذا لم تذكر صاحب الزنج فى البصرة على قربها من قاعدة الخلافة (م) .

العباسيين فيما هو عليه اليوم • ونظرة واحدة الى الخارطة ترينا أن بادية العرب القاحلة ، تمتد حتى طف الفرات الغربى ، اذ ليس لهذا النهر روافد فى يمينه • أما دجلة ، فحاله خلاف ذلك : لأن الجبال الايرانية تبعد مسافة كبيرة عن شريقه ، فتتحد منها جداول كثيرة تؤلف روافد عدة لدجلة تصب فى يساره • وقد ورث المسلمون عن الساسانيين فى العراق نظاما للرى جعل هذا الاقليم من أخصب بلاد الدنيا^(١) • وستبسط فى ذكر هذا النظام • ولكن نكتفى الآن بالقول ان العرب كانوا يسقون أرض ما بين النهرين بتحويل الفائض من ماء الفرات الى جملة أنهر تأخذ من الفرات الى دجلة مخترقة سهول ما بين هذين النهرين • أما الارض من شرقى دجلة حتى سفوح جبال ايران ، فقد كان بعضها تسقيه أنهار تنحدر من هذه الجبال ، وبعضها تسقيه جملة أنهار تخرج من دجلة وتعود اليه فى جانبه الايسر • وكانت هذه الانهار تستوعب مياه فيضانات كثير من الانهار الصغيرة التى تنبع فى الجبال الشرقية •

وقد قسم العرب بلاد ما بين النهرين الى اقليمين : الاسفل والاعلى • وفوام الاقليم الاسفل أرض الرسوب الحصبة وهى بلاد بابل القديمة ، وقد عرف هذا الاقليم بالعراق • وحدّه الشمالى (وقد اختلف باختلاف الازمان) خط يمتد من الشرق الى الغرب مبتدئا من دجلة ومنتها بالفرات ، حيث يأخذ هذان النهران باقتراب أحدهما من الآخر فى السهل الذى بينهما • ولا ريب أن أكبر مدن العراق فى أيام بنى العباس كانت بغداد • ولكن قبل قيام الدولة العباسية بقرن ، أنشأ

(١) قلنا : بل ان قدماء العراقيين ، منذ أبعد العصور ، قد وجهوا جل عنايتهم الى مياه الرافدين • فأقاموا السدود وشقوا الأنهار لضبط مياه الفيضان وارواء الأراضي الصالحة للزراعة • قلنا من ذلك نظام للرى تعامب على رعايته وتحسينه السومريون والاكديون والبابليون والآشوريون • وبشبت ذلك ما يرى من معالم الأنهار القديمة المندرجة الكثيرة فى جميع انحاء العراق وما يرى بجانبها وبقرىها من أطلال الوف القرى والمدن • وفى شمالى العراق ، أوقفنا التحريات الأثرية على الأنهار التى شققها الآشوريون فى المناطق الجبلية وغيرها لارواء عواصمهم ، نذكر منها مشروع ارواء كالج من نهر الزاب الأعلى • وارواء بينوى من نهر الكومل • وارواء اربل من مياه وادى باستورة • وفى وسط العراق وشرقيه وجنوبه ، شقت أنهار كثيرة ، كان يأخذ بعضها من بين دجلة ويساره ، مثل : الدهروان وكان يعرف عند البابليين باسم ناران ، ودجيل • وبعضها كان يأخذ من يسار الفرات الى دجلة مختلطا أواسط وادى الرافدين لارتفاع وادى العرات عن وادى دجلة • ومد ذكر طه بالمر فى كتابه • مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة • (١ : ٣٧٢) أسماء بعضها وهى باتى انليل ، الذى عرف بنهر عيسى فى العصر العباسى • ونارشارى أى نهر الملك وقد عرف فى العصر العباسى بنهر ملكا أو نهر الملك • ونهر كوى ، وكان قرب مدينة كوى البابلية • ونهر النيل وكان يأخذ من الفرات فى شمال بابل ويسر بمدينة كيش • ونهر كان يأخذ من بين دجلة فينسب فى منطقة الفراف الحالية الى أراضي ملكة لكش ويسرى حفره الى احد ملوك مدينة لكش (تلو اليوم) فى نحو سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد • (م) •

- ١٧ -

المسلمون الاولون بعد فتح العراق ، ثلاث مدن كبيرة وهى : واسط والكوفة والبصرة . ظلت هذه المدن مزدهرة بضعة قرون ، وكانت هى والانبار (والانبار مدينة من أيام الساسانيين)^(١) التى على الفرات فى خط عرض بغداد ، أكبر المدن الآهلة فى اقليم العراق أيام بنى العباس .

وتعتمد فى شمال أرض الرسوب ، السهول الصخرية فى أعلى ما بين النهرين . وهناك قامت مملكة نينوى فى العصور القديمة . وقد سمي العرب بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لأن تلك السهول العظيمة تحيط بها مياه أعلى الفرات ودجلة والافهار التى تنصب فيهما جنوبى السهول الصخرية . ويمتد اقليم الجزيرة شمالا حتى الجبال التى ينبع فيها هذان النهران العظيمان . وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاثة أقسام ، نسب كل قسم منها الى القبيلة العربية التى نزلته أيام الاكاسرة . وأشهر مدنها : الموصل وهى على مقربة من أطلال نينوى ، وآمد فى أعلى دجلة ، والركة على عدوة الفرات الكبرى بالقرب من طف البادية . وفى أقصى الطرف الآخر من هذه البادية مدينة دمشق .

ويصف الفصل الذى يليه ، البلاد الجبلية التى يخرج منها النهران التوأمان، وهما منبعا الفرات . وهذه البلاد قد تناوبتها أيدي العرب والروم . فقد كانت مدنها وحصونها تارة بيد المسلمين وتارة بيد التصارى ، بحسب مد الحرب وجزرها بينهم . ولم يستقر العرب فى هذه الاصقاع ، ولهذا جاء وصفها فى مصادرنا الاولى مختصرا فى الغالب . ونظير ذلك ما كان من أمر الاقليم المعروف ببلاد الروم بل بمدى أوسع : فقد لبث هذا الاقليم حتى النصف الاخير من المئة الخامسة للهجرة (المئة الحادية عشرة للميلاد) جزءا لا يتجزأ من دولة الروم البيزنطيين ومرجع ذلك أنه كان يفصل بين هذا الاقليم وبين بلدان الخلافة ، حاجز عظيم وهو جبال طوروس . على أن المسلمين كانوا فى نحو كل سنة يفزون بلاد الاناضول عابرين دروب جبال طوروس . ولقد حاصروا القسطنطينية غير مرة

(١) يؤخذ من دراسة وارد W. H. Ward وهلمبرخت Hilprecht لاطلال الانبار ان مدينة كانت قائمة فى هذا الموضع قبل ان يخطط فيه الملك الساساني سابور الثاني (٣١٠ - ٣٧٩ م) مدينة سنة ٣٥٠ م باسم فيروز سابور وهى التى عرفت بالانبار . (انظر دائرة المعارف الاسلامة مادة « الانبار ») (م) .

دون جدوى وأقاموا فى بعض الاوقات حاميات ، واستولوا على حصون فى هضبة آسية الصغرى . أما فى ما عدا ذلك فلم يكتب لحلفاء بنى العباس الاستيلاء على تلك البلاد . فقد غزوا غزوات كثيرة فى آسية الصغرى ، دون أن يتاح لهم أخذ رقعة فيها . ولم يتوطد حكم المسلمين هناك حتى ضعفت الخلافة فحلّ السلاجقة الاتراك فى هذه الهضاب التى غنموها من البنظطين ، فصارت آسية الصغرى ، أى بلاد الروم أخيرا ، من جملة ديار المسلمين . وهى ما زالت على ذلك . وفى شرق اقليم الجزيرة العليا ، وهى بلاد ما بين النهرين ، اقليم اذربيجان . وقد عرّف قديما باسم « أتروباتين » Atropatene ويحدّه من أعلاه نهر أرس Araxes ومن أسفله النهر الابيض وهو « سفيد رود » ، وكلاهما يصب فى بحر قزوين . وأبرز العواض الطبيعية فى هذا الاقليم ، البحيرة الملحة الكبرى المعروفة الآن ببحيرة أرمية ، وبقرىها تبريز ومراعة قاعدتا الاقليم . وإلى شرقها : أردبيل ، وهى من كبار مدنه وأقربها الى بحر قزوين . وتناول الفصل الذى يليه ، جملة أقاليم صغيرة على الحدود الشمالية الغربية . أولها گيلان أو جيلان ، على بحر قزوين حيث يشق سفيد رود جبل البرز وهو الحاجز الجبل فى الهضبة الايرانية . ويجرى هذا النهر فى سهل رسوبى كونه الغرين قالف دلنا صغيرة فى داخل بحر قزوين . وتناول هذا الفصل أيضا صفة اقليم موقان ، وهو عند فم نهرى أرس والكر Cyrus المتحد . واطليم أران الى غربه ، وهو بين هذين النهرين . واطليم شروان فى شمال الكر ، وكرجستان « جورجيه » عند منابعه . وفى آخره : أرمينية الاسلامية عند منابع أرس وهى الاقليم الجبلى المحيط ببحيرة وان .

وفى جنوب شرقى أذربيجان ، اقليم ماذى الحصب الذى أحسن العرب فى تسميته باقليم الجبال . فان جباله تشرف على سهل ما بين النهرين الاسفل . وهذه الجبال تمتد شرقا حتى تبلغ حدود المفازة الكبرى فى أواسط ايران . ولما علا شأن الاكراد وعظم أمرهم فى الازمنة الاخيرة ، عرف القسم الغربى من اقليم الجبال بكردستان . وسيمرّ بنا أن اقليم الجبال فى القرون الوسطى غالبا ما أخطأوا فى تسميته بالعراق العجمى تميزا له عن العراق العربى الذى يراد به بلاد

ما بين النهرين السفلى • وفي اقليم الجبال ، مدن كثيرة : ففي الغرب كرمانشاه وهمذان (وهى اكبتانا Ecbatana القديمة) • وفي الشمال الشرقى : الرى (وهى Rhages) • وفي الجنوب الشرقى : أصفهان • ثم ابثنى مغول فارس مدينة السلطانية فى سهول هذا الاقليم الشمالية ، وقد أخذت مكان بغداد حينما من الزمن فأضحت قاعدة هذا القسم من دولتهم التى كانت تتألف فى أيام الابلخانيين من بلاد ما بين النهرين وفارس • وكانت تخرج من جبال « اقليم الجبال » أنهار كثيرة منها كارون ، وقد سماء العرب دجيل (تصغير دجلة) • وهذا النهر بعد أن ينساب فى مجرى طويل متعرج يصب فى رأس خليج فارس الى شرق المصب المشترك للفرات ودجلة •

أما اقليم خوزستان ، فهو فى جنوب ماذى وشرق العراق ، على جانبى المجرى الاسفل لنهر كارون ، أى دجيل وفروعه العديدة • كان هذا الاقليم عظيم الحصب وافر الخير • وأشهر مدنه تَسْتَر والاهواز • ولوفرة مياهه زكت غلات أرضه • وفى شرق خوزستان على الخليج ، اقليم فارس العظيم • وهو بلاد برسس Persis القديمة مهد المملكة الفارسية • وقد ظل هذا الاقليم فى أيام العباسيين منقسما الى خمس كور على نحو ما كان عليه فى عهد الساسانيين • وكانت فارس مكتظة بالمدن الصغيرة والكبيرة • وأجلتها شيراز قاعدة الاقليم ، واصطخر (پرسپوليس Persepolis) ويزد ، وأرتجان ، ودار أبجرد • وكانت جزر الخليج تعد من أعمال فارس • وكانت جزيرة قيس مركزا تجاريا ذا شأن قبل نشوء مدينة هرمز • وأبرز العوارض الطبيعية فى فارس بحيرة بختيكان الكبرى الملحة ، ووقع مائية اخرى أصغر منها منتشرة فى وديان الهضبة العريضة • وما فى هذا الاقليم من جبال ، متشعب من سلاسل اقليم الجبال ، وقد مرت الاشارة اليه • وصارت كورة دار أبجرد فى فارس اقليما قائما بنفسه فى أيام المغول • وكانت تسمى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة للميلاد) شبان كاره وفى أواخر العصور الوسطى التحقت كورة يزد أيضا باقليم الجبال •

وفى شرق فارس ، اقليم كرمان • وهو دون سالفه خصباً لخلوه من الانهار تقريبا • ولتاخمته المغازة الكبرى • وكان لهذا الاقليم قصبان فى أيام العباسيين ،

- ٢٠ -

وهما : السيرجان وكرمان • وأشهر مدنه : هرمز على الساحل وجيرُفت في الداخل ، وكانت مدينة رائجة التجارة • وأبرز العوارض الطبيعية في هضبة ايران العالية : المفازة الكبرى في وسط بلاد فارس • وهذه المفازة مقفرة ملحة مترامية الاطراف ، تنحرف باتجاه الجنوب الشرقي قاطعة بلاد فارس من الرى في لحف الجبال المشرف جانبها الشمالى على بحر قزوين • وهى تنبسط كنطاق عريض يندمج طرفه الاسفل بجبال مكران ، الاقليم المتاخم للمحيط الهندى • وفي هذه المفازة واحات قليلة وتغطى الاملاح رقعة واسعة من سطحها المجذب • على أن عبور المفازة هيّن شتاء ففيها مسالك كثيرة واضحة المعالم تربط بين المدن القائمة على جوانبها • ومع ذلك فان هذه المفازة الكبرى حاجز يحول دون الاتصال الدائم بين اقليمى فارس وكرمان ، وهما في شفيرها الجنوبي الغربى والاقليمين الشرقيين فيما يلى حدها الآخر ، ونعنى بذلك خراسان ومعه سيستان في جنوبه الشرقى • وكان لهذا الحاجز الصحراوى أثر كبير في تاريخ بلاد فارس خلال جميع ادواره • وبعد أن ذكرنا في هذا الفصل ما انتهى الينا من أقوال البلدانين المسلمين في المفازة الكبرى ، تناولنا بالبحث اقليم مكران الذى يصاقب الهند من شرقه ويصعد المرتفعات المشرفة على وادى الاندس (Indus) ويعرف قسم منه اليوم ببلوچستان • على أن مراجعنا لم تستوف صفة هذه الاتجاه •

والى شمال مكران ، عبر أضيق أقسام المفازة ، بازاء كرممان ، اقليم سجستان أى سيستان • وهو في شرق زره ، البحيرة الواسعة الضحلة • ويصب في هذه البحيرة نهر هلمند وغيره من الانهار الكثيرة المنحدرة من جبال أفغانستان الشاهقة - فوق كابل وغزنة - الى الجنوب الغربى • وفي هذا الموضع مدينة قندهار • وهى في سهل يحف به رافدان من روافد هلمند • ومدينة زرنج قاعدة سجستان ، عند مصب هذا النهر الكبير في بحيرة زره • وفي شمال غربى بحيرة زره ، على شفير المفازة الكبرى ، الاقليم الجبلى المسمى قوهستان (أى بلاد الجبال) وأشهر مدنه : تون وقاين وقد ذكرهما ماركو بولو في رحلته معا باسم تنوكين

- ٢١ -

(Tunocain) ^(١) ويؤلف اقليما سجستان وقوهستان حدود خراسان الجنوبية وهو الاقليم الشرقي العظيم في بلاد فارس .

ويحسن بنا قبل أن نصف هذا الاقليم الاخير الاشارة الى الاقاليم الصغيرة الثلاثة : قومس وطبرستان وجرجان وهي موضوع الفصل المقبل . قومس وقصبة الدامغان ، يمتد بحذاء الحافة الشمالية للمغارة الكبرى شرقي الري . وفيه السفوح الجنوبية لجبال ألبرز التي تفصل هضبة ايران العالية عن بحر قزوين . وهذه الجبال ، ولاسيما جانبها الشمالي ، تنحدر الى بحر قزوين وتؤلف اقليم طبرستان المسمى أيضا مازندران ، الممتد من كيلان ودلتا النهر الابيض (سفيد رود) في الغرب الى الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر قزوين . ويتصل هاهنا اقليم طبرستان بجرجان ، أي كركان ، وهو هركانية (Hircania) القديمة ، وفيه الاودية التي يسقيها نهر اترك (Atrak) ونهر جرجان . وعلى هذا الاخير تقوم مدينة جرجان . ويمتد اقليم جرجان شرقا من بحر قزوين الى الصحراء التي تفصل خراسان عن الارض الزراعية في دلتا جيحون (Oxus) وهي التي يقال لها اقليم خوارزم .

واقليم خراسان الحالي ليس الا بقية للصقع الكبير الذي كان يعرف بهذا الاسم منذ أيام العباسيين حتى أواخر العصور الوسطى . فان اقليم خراسان ، كان حينذاك يضم أيضا ما هو اليوم شمال غربي أفغانستان . وكان يكتنف خراسان في العصور الوسطى نهر بدخشان من الشرق ونهر جيحون وصحراء خوارزم من الشمال . وقسم البلديون المسلمون خراسان الى أربعة أرباع ، عرف كل ربع باسم قصبته ، وهي : نيسابور ومرو وهراة وبلخ . وأبرز

(١) ماركو بولو Marco Polo سائح بندقي (ولد نحو سنة ١٢٥٤ ومات سنة ١٣٢٤م) رحل مع ابيه وعمه الى بلاد الشرق سنة ١٢٧١ م لفاهد بلاد فارس وهضبة بامير وصحراء غربي ، وعاش في بلاط قبلاي خان (في بكين) منذ سنة ١٢٧٥ م وأصبح من المعربين اليه ، لسمته غير مرة الى بلاد شتى . وتعلم كثيرا من لغات ولهجات الاقوام التي كان يحكمها هذا الخان . وفي خلال ذلك زار يونان قرب حدود التبت وشمال برما وكوشن شين وجنوبي الهند . واقامه الخان حاكما على يانفو . وفي نحو سنة ١٢٩٣م عاد الى البندقية وفيها كتب رحلته التي ضمنها مشاهداته في الصين والشرق وهي تعد من اثنى المصادر عن العالم في المئة الثالثة عشرة للميلاد . وقد ترجمت الى لغات كثيرة وطبعت غير مرة . (م) .

العوارض الطبيعية فى خراسان : النهران العظيمان ، نهر هراة ونهر مرو • ومخرجهما فى جبال البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان ، وينعطفان شمالا ، ثم ينفى ماؤهما فى رمال الصحراء أمام خوارزم ، فلا يتهيان الى بحر أو بحيرة •

ويتناول الفصل الذى يليه أعلى نهر جيحون وصفة جملة أقاليم صغيرة تمتد من بدخشان فالى الغرب وتقع فى شمال هذا النهر العظيم وعلى روافد ضفته اليمنى • وفى هذا الفصل أيضا وصفنا إقليم خوارزم وهو فى جنوب بحر آرال • وقوامه دلنا هذا النهر ، وقصته القديمة أركنج • وقد أفردنا بعض صفحات هذا الفصل لايضاح المجرى القديم لنهر جيحون الماد الى بحر قزوين ، وهو موضوع قد كثر حوله الجدل • ووراء هذا النهر ، فيما بينه وبين سبجون (Jaxartes) ، إقليم الصفد وهو صفدبانا (Soghdiana) القديم ، وفيه المدينتان الجليلتان : سمرقند وبخارى ، وهما على نهر الصفد • وهذا الفصل يسبق آخر فصول الكتاب • أما الفصل الاخير ، فيتناول بالبحث الاقاليم التى على نهر سيحون من إقليم فرغانة ، بالقرب من تخوم صحارى الصين ، وقاعدته أخسيك ، الى الشاش وهى طشقند الحديثة • كما يتناول إقليم أسيجاب فى الشمال الغربى • ووراء هذا الاقليم ينساب نهر سيحون حتى يصب فى أعلى بحر آرال مارا بالتبـه الصحراوى القارس • ولم يذكر البلدان يون العرب الاقدمون الا أخبارا مختصرة عن هذه الاقاليم الشمالية التى فى أقاصى الشرق فيما وراء آسية الوسطى • وتلك الاصقاع موطن الترك ولم تصبح ذات شأن الا بعد الغزو المغولى • ومما يؤسف عليه أنه لم ينته الينا مما يتد به من الاخبار عن هذه الحقبة الا النزر القليل • وفى الغالب لم يسعفنا البلدان يون العرب فى ذلك • وكان لنا العوض بالمؤلفين الفرس والترك ، ولكن ما انتهى الينا منهم مشوش لا يوثق به •

وحين بلغت الدولة الاسلامية أقصى اتساعها فى أيام بنى العباس ، انشئ نظام محكم للطرق مركزه بغداد • فكانت الطرق الآتية من أقاصى الشرق تعبر دجلة ميمعة شطر الحجاز لأداء فريضة الحج ، اذ على المسلمين الحج الى مكة ولو مرة واحدة فى العمر^(١) • وقد انتهت الينا من ذلك الزمن أوصاف وافية عن نظام

(١) وش على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (آل عمران : ٩٦) • (م) •

الطرق هذا (وقد ورثه العرب عن مملكة الفرس القديمة)^(١) وفى وسعنا أن نجمل وصف أهم الطرق التى تخترق الاقاليم المار ذكرها فى الفقرات السابقة .

وأشهر الطرق العامة : طريق خراسان العظيم الضارب الى الشرق . وهو يربط العاصمة بمدن ما وراء النهر التى فى تخوم الصين . ولعل هذا الطريق أوفر الطرق حفظا من وصف البلدانين له . يبدأ من باب خراسان فى بغداد الشرقية ، ثم يقطع السهل عابرا أنهارا عديدة فوق قاطر حسة البناء ، حتى يبلغ حلوان وهى أسفل الذرب المؤدى الى جبال ايران . وهناك يدخل هذا الطريق اقليم الجبال . وبعد أن يصعد الجبال صعودا حادا ، يصل كرمشاه قاعدة كردستان فيجتاز اقليم الجبال من أقصاه الى أقصاه باتجاه الشمال الشرقى ، ويمر بهمدان ، فالرى . ومن الرى فما بعدها يأخذ نحو الشرق فى الغالب ، فيمر بقومس تاركا جبال طبرستان فى يساره والمفازة الكبرى فى جنوبه ، حتى يدخل اقليم خراسان قرب مدينة بسطام . ثم يتابع سيره فيأتى الى نيسابور ، ثم الى طوس حتى يبلغ مرو . وبعد أن يبارح مرو ، يجتاز الصحراء فيبلغ ضفة نهر جيحون عند آمل ، ثم الى بخارى ، فسرقتد ، وهما فى اقليم الصفد . وينشطر الطريق فى زامين ، وهى على مسافة قصيرة من سمرقند ، شطرين : الايسر - يتابع سيره الى الشاش (وهى طشقند الآن) ثم الى معبر النهر عند أترار (Utrar) - فى أسفل نهر جيحون . أما الشطر الثانى ، فلدى مباحته زامين ، ينعطف يمينا ثم يتجه الى

(١) فلنا : بل ان التحقيقات الاثرية اطهرت اتصال جنوب العراق بشماله بطرق عامة فى ايام الاكديين والبابليين والاشوريين . وكانت طرق اخرى تربط عواصم العراق القديمة ببغداد . وبعض هذه الطرق كان يمتد فيجتاز تلك الحدود الى غيرة من الانظار . وكان ملوك البابليين والاشوريين يسعون بهذه الطرق وينشؤون فى نقاطها السوقية العسكرية الحصون وقيمون الحاميات للمحافظة على سلامتها ولأسبابا فى المواضع القريبة من الحدود . وكانت هذه الطرق تسلكها قوافل التجار كما تسلكها الجيوش . ولاشك ان نظام الطرق هذا ، قد وجدته الفرس قائما حين محبتهم الى العراق وحكمهم له ، فاولوه عنايتهم لانه يربط بين اجزاء ملكتهم ويوحدها من جهة ، ويوصلهم الى بلاد اعدائهم فى زمن الحرب من جهة ثانية . وظل هذا النظام قائما حتى زوال الدولة الفارسية فى العراق بقدم العرب اليه بعد الاسلام فاحكموا امراءه ووسعوا خطوطه بما يتفق هو وسعة ملكتهم .

وفى امهات الكتب التى وصفت علماء الآثار والباحثون فى تاريخ العراق القديم ، شئ كثير من احبار هذه الطرق وعناية القوم بها . وكذلك عنى بلدايو العرب بهذا الموضوع فالردوا له كتباً عرفت بكتب « المسالك » (م)

- ٢٤ -

اقليم فرغانة ونهر سيحون الاعلى ، فيبلغ أخسيكت قاعدته • ويتهى أخيرا الى
أزكند على تخوم صحراء الصين •

هذا ما كان عليه طريق خراسان العظيم فى أقصى مداه • وما زال طريق
البريد فى يومنا هذا ، الذى يقطع بلاد فارس ومركزه طهران وهى قرب الرى
القديمة ، يقتفى ذياك الطريق الطويل نفسه الذى وصفه البلدانون العرب
الاولون • وبعد سقوط الخلافة العباسية ، تغير بعض نظام الطرق بانشاء مدينة
السلطانية التى أضحت قاعدة المفول • على أن كل ما طرأ فى الواقع لم يكن الا
فتح طريق فرعى يتجه شمالا من همدان الى السلطانية التى صارت حيناً من الزمن
مركزا للطرق فى هذه الربوع بدلا من الرى •

وفى أوائل أيام الدولة العباسية ، كان يتشعب من المدن الكبرى التى على
طريق خراسان العظيم ، طرق من يساره ويمينه ، تمتد الى سائر أنحاء بلاد
فارس • فكان يخرج من جوار كرمانشاه ، طريق يأخذ الى الشمال نحو تبريز
وغيرها من المدن التى على بحيرة أرمية • ولهذا الطريق شعب تنتهى الى اردبيل
والى مواضع على نهر أرس • ويخرج من همدان طريق نحو الجنوب الشرقى
الى أصفهان ، كما يخرج من الرى نحو الشمال الغربى الى زنجان طريق معروف
المسافات • ومنها طريق يؤدى الى اردبيل • وكانت نيلابور فى خراسان مركز
طرق فرعية كثيرة يتجه أحدها جنوبا الى طبرس على شفير المفازة الكبرى فى
قوهستان • وطريق آخر كان يذهب الى قاین وآخر يتجه نحو الجنوب الشرقى
الى هراة ثم الى زرنج فى سجستان • ومن مرو ، يبدأ طريق يحاذى نهر مرو
صاعدا الى نهر مرو الاصغر (أى مرو الرود) حيث يلتقى بطريق آت من هراة ،
فيضى الى بلخ وأصقاع الحدود الشرقية فيما وراء نهر جيحون (Oxus) •
ثم أنه كان يخرج من بخارى ، طريق نحو الشمال الغربى يوصلها بأركنج فى
خوارزم • وطريق نحو الجنوب الغربى يوصلها بترمذ على نهر جيحون بازاء بلخ •
وبهذا ، يكمل وصف نظام طريق خراسان وفروعه • ولنعد الآن الى
مقداد ، لنجمل القول فى الطرق العامة الخارجة منها الى الجهات الاخرى •

تقد كان بانحدار دجلة ، الطريق المار بواسط الى البصرة ، الميناء التجارى العظيم على خليج فارس ، وما فى هذا الطريق من مسافات ومراحل ، فى كلا البر والماء ، معروف لدينا . ومن واسط والبصرة ، كان يصل طريق الى الاهواز فى خوزستان ، ثم يشرق الى شيراز فى فارس . وكانت هذه المدينة مركزا لكثير من الطرق : طريق يذهب شمالا الى أصفهان ثم الى الرى ، وطريق نحو الشمال الشرقى يمر بيزد مخترقا المفازة الكبرى ، حتى يصل الى طبس . وهذه تتصل بنيسابور . ويصل شيراز بالسيرجان وكرمان فى الشرق جملة طرق . ثم فى شرقيهما يصلها بزرنج فى سجستان طريق يخترق المفازة الكبرى . وكان يتفرع من شيراز طريقان : نحو الجنوب الشرقى والجنوب ، يؤديان الى موانئ خليج فارس . أحدهما يمر بدار أبجرى الى سورو قرب هرمز ، والثانى الى سيراف ، وكانت حينئذ من الزمن أجمل موانئ إقليم فارس .

واذا عدنا الى بغداد ، مركز الطرق العام ، ألفينا طريق الحج الى مكة والمدينة يبدأ من بغداد الغربية فيتجه جنوبا الى الكوفة على طف البادية العربية ، فيقطعها بخط يكاد يكون مستقيما حتى الحجاز . وقد كان يخرج من البصرة طريق ثان للحج ، يسير فى بادئ أمره فى موازاة الطريق الاول ، ويلتقيان أخيرا على مرحلتين من شمال مكة . وكان يخرج من بغداد ، من شمالها الغربى ، طريق يصل الى الفرات عند الانبار ، ومنها يصعد بمحاذاة النهر الى الرقة . وكان يخرج من الرقة طريق يخترق بادية الشام الى دمشق ، وطرق غيرها كثيرة تذهب شمالا الى ثغور الروم . ثم أنه كان يمتد من بغداد الى الشمال ، طرق تصعد الى الموصل فى جانبى دجلة . ومن الموصل كان هذا الطريق يصل الى آمد من جهة ، وإلى قريسياء على الفرات فى الجنوب الغربى من جهة ثانية . وكانت تخرج من آمد طرق تتصل بمعظم الثغور التى بازاء بلاد الروم .

هذا مجمل ما كانت عليه المسالك الخارجة من بغداد فى أيام العباسيين . وكانت تلك المسالك ، بما يتخللها من محطات للبريد ، تربط العاصمة بأقاليم الدولة النائية . ولقد عنى البلدانون العرب بوصف هذه المسالك كل العناية وللرجوع الى ما كتبوه ، يحسن بنا أن نوجز القول فى اولئك الاقدمين بحسب

زمن كتابة تصانيفهم . فعلى ما كتبوه كان اعتمادنا فى ما أوردنا من أخبار فى
فصول هذا الكتاب^(١) .

وأقدم اولئك المصنفين ، عاش فى أواسط المئة الثالثة للهجرة (المئة التاسعة
للميلاد) . وأول ما دونه العرب فى صفة البلدان من كتب ، كان فى المسالك .
فإن هاتيك المصنفات تبسّطت فى ذكر مختلف الطرق ، وضمنت ذلك نبذا من
الأخبار عن المدن التى كانت تمر بها تلك الطرق ، وذكرت ما يرتفع من كل اقليم
من أقاليم الدولة من خراج وغلة . وفى طليعة ما ذكر مما فى أيدينا من كتب
المسالك ، أربعة يكمل بعضها بعضا ، لأن نصوصها فى كثير من المواضع مخرومة .
ومؤلفو هذه الكتب من أهل المئة الثالثة (التاسعة) وهم : ابن خرداذبه وقدامة
واليعقوبى وابن رسته .

فالانثان الاولان يكادان يتفقان فى مادتهما . فابن خرداذبه كان صاحب
البريد فى اقليم الجبال ، وقدامة كان من عمال الخراج . وعلى ذلك فمسالكهما
قد ذكرت المسافات التى على طريق خراسان العظيم وغيره من الطرق الكبيرة
التي كانت تتشعب من بغداد ، مرحلة مرحلة على ما بيناه فى الفقرات السابقة .
ومما يؤسف عليه ، ان كتاب اليعقوبى لم ينته اليانا كله . وقد تيسر لنا أن نصف
عاصمة العباسيين وصفا خطيا مفصلا بالاستناد الى ما جاء عن بغداد فى كتابه وفى
كتاب ابن سرايون . هذا الى أن اليعقوبى أورد أخبارا ثمينة عن كثير من المدن
الآخري ، وتفصيل عن الطرق التى تخترق اقليم العراق مما لا وجود له فى
غير كتابه . أما ابن سرايون ، معاصره ، فلم يصلنا من كتابه غير قسم^(٢) . وهذا

(١) وللأسف من أخبار بلدانى العرب ، راجع الفصل السهيدى من كتاب فلسطين فى عهد
الاسلام Palestine under the Moslems (لندن ١٨٩٠) وللوسع فى الموضوع راجع
مقدمة الترجمة الفرنسية لتقوم البلدان لآبى الفداء بعلم رسو M. Reinaud (باريس ١٨٤٨) .
(٢) فى سنة ١٨٦٥ طبع لسرنج فى JRAS. قطعه من هذا الكتاب نعلنا عن نسخة خطية
فريدة فى المتحف البريطانى (رقم Add. 23379) تصف انهار العراق والجزيرة أى دجلة
والفرات وما يصب فيها أو يحمل منها ، مع مقدمة وتعليق وترجمة الى الانكليزية . ووضع خارطة
لأنهار العراق مستندا فى وضعها الى هذا الوصف^٤ وفى سنة ١٩٢٦ نشر المستشرق مزك فى لينة
Hans V. Mzik مخطوطة المتحف البريطانى تصفها كلها بعنوان « عجائب الاقاليم السبعة
الى نهاية العمارة » لسهراب والكتاب يقوم من ١٩٢ صفحة ، وما فى طبعة لسرنج يرى لى من
١١٧-١٢٨ ١٢٩٩ من هذه الطبعة الجديدة . (م) .

القسم ، الى احتوائه على صفة بغداد ، فان قيمته الكبرى في ذكر أنهار العراق والجزيرة . كما أن ابن سراجون أوجز القول في صفة أنهار الاقاليم الاخرى . أما ابن رسته ، فقد صنف كتابا مماثلا لكتاب اليعقوبي ، وزاد عليه تنويهه بالمدن ، الا أن أفضل ما جاءنا به هو تدقيقه في كلامه على طريق خراسان العظيم حتى طوس قرب المشهد ، وذكره ما تفرّع منه من طرق لاسيما الذهاب من طوس الى أصفهان وهرات . ومثل ذلك وصفه الطريق من بغداد فجنوبا الى الكوفة والى البصرة مع تتمته المتجهة شرقا الى شيراز . وهو لم يقصر على ذكر مسافات هذه الطرق ومنازلها ، بل وصف طبيعة الارض التي تخترقها مبثّثا عما اذا كان الطريق في الجبال صاعدا أم هابطا ، أم كان الطريق في السهول . فوصف ابن رسته هذا كبير الشأن في تعيين الخطوط التي كانت تقطعها هذه الطرق وتثبت مواضع كثير من الاماكن الدارسة . ومن ثقات المؤلفين الآخرين : ابن الفقيه ، وهو معاصر لابن رسته فقد كتب كشكولا بلديا عجيبا جدا لم يته النيا للأسف غير مختصره على أن بعض أقواله في الامكنة نافع في استكمال أخبار من تقدمه وتصحيحها^(١) .

أما البلدانيون الذين نهجوا نهجا متسقا فيما كتبوا ، فكان أول ظهورهم في المئة الرابعة للهجرة (العاشرة للميلاد) وقد وفوا القول في صفة كل اقليم من أقاليم الدولة الاسلامية ولم يذكروا شيئا عن المسالك الا عرضا . ولكنهم بوجه عام ذكروا ما في كل اقليم من طرق . ولا مرأى في أن تصانيفهم أرقى من كتب المسالك ونحن مدينون لهم بالتفاصيل البلدانية الواسعة التي سيقف عليها القارئ.

(١) حقق البرونسور دي عويه مؤلفات ابن خرداذبه وندامة واليعقوبي وابن رسته وابن الفقيه ونشرها في المجلدات الخامس والسادس والسابع من سلسلته الموسومة بـ « الحزاة الجغرافية العربية » Bibliotheca Geographorum Arabicorum (ليدن ١٨٨٥ الى ١٨٩٢) - وهو الى ذلك قد اضاف الى المجلد السادس ترجمة فرسية الى الكتابين الاولين مع تعليقات كثيرة مهمة عليهما . اما ابن سراجون ، فقد نشر منه الجزء الذي يصف العراق والجزيرة في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية الصادرة سنة ١٨٩٥ ص ٩ وقد اعتمد في نشره على مخطوطة المنحف البريطاني برقم Add. 23379 اما اليعقوبي فهو الى كتابه « البلدان » قد صنف كتابا في التاريخ نشره البرونسور هوتسما M. T. Houtsma بعنوان « تاريخ ابن واضح المعروف باليعقوبي » (ليدن ١٨٨٣) ونشطن هذا الكتاب في القالب احبارا بلديا ثمينة .

قلنا : كتابا اليعقوبي « البلدان » و « التاريخ » قد طبعا في النجف سنة ١٩٣٩ . وعن المستشرق فييت G. Wiet بنقل كتاب البلدان الى الفرنسية وطبعه سنة ١٩٢٧ في ليدن . (٢)

- ٢٨ -

فى تضاعيف هذا الكتاب • وفى طليعة هؤلاء ثلاثة هم : الاصطخرى وابن حوقل
والمقدسى • فتصانيفهم زاخرة بالفوائد • وما كتاب ابن حوقل الا نسخة محدثة
موسعة منقحة لكتاب الاصطخرى • على أن الاصطخرى ، وهو من أهل اصطخر
(برسبوليس) ، قد وصف فارس موطنه وصفا مسهباً فيه لا تجده فى ابن حوقل
الذى اختصر هذا الفصل عن فارس بالقياس الى سائر فصول كتابه • أما المقدسى ،
وقد عاصرها ، فانه كتب جغرافيته بأسلوب خاص يختلف عن سبقه • ذلك
أنه بناء على ما شاهدته بنفسه فى مختلف الاقاليم • فلعل كتابه أعظم من كل ما
صنفه البلدانون العرب وأكثرها اصالة • فوصفه للأمكنة والعادات والطبائع
والتجارات والصناعات وتلخيصه لخصائص كل اقليم يعدان من خير ما كتب فى
سلسلة مصنفات العرب فى القرون الوسطى •

ويحسن بنا أن نشير الى أننا مدينون لاولئك البلدانين المنهجيين الثلاثة فى
تعيين معظم الاسماء التى ذكرت فى الحوارط الملحقه بكتابنا تعييناً صحيحاً • فانهم
أوردوا فى آخر كل فصل ثبناً بالمسافات ، أى منازل الطرق ومراحلها التى
وصفناها ، أو ما فى الاقليم المبحوث فيه من طرق • وهم الى ذكر الطرق ، قد
أشاروا الى عدد كبير من الطرق الفرعية التى بين المدن المجاورة • وهذه المسافات
التي سردوها ابتداء من نقاط معروفة قد أعانتنا على ملء الخارطة بشبكة من نقاط
الثلاث ، فأوفقتنا على مواضع بعض المدن التى مضى زمن طويل على اندراسها
وزوال معالمها فى معظم الاحوال ، فتسنى لنا تعيينها فى الخارطة بوجه تقريبى •
مثل ذلك مدينة توج فى بلاد فارس : فانه لم يتحقق موضع خرائبها الى اليوم ،
وان كنا قد تمكنا الآن من تعيين موضعها فى الخارطة ضمن أضيق نطاق • ومن
مؤلفي المئة الرابعة أيضاً (العاشرة) : المسعودى • فقد صنف كتابين : أولهما
تاريخى فى جملته وهو « مروج الذهب » وثانيهما من التصانيف الجامعة الزاخرة
بأخبار وفوائد غريبة وهو كتاب « التنبيه والاشراف »^(١) •

(١) تولى كتب الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، المجلدات الاول والثانى والثالث بالتعاقب
من السلسلة التى سبق ذكرها باسم « الخزانة الجغرافية العربية » (ليدن ١٨٧٠-١٨٧٧) • اما
كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى فقد حققه البروفسور دى غويه ونشره فى المجلد الثامن من السلسلة

فاذا انتهينا الى المثة الخامسة والسادسة (الحادية عشرة والثانية عشرة) ،
أصبا كتابين لحاجّين من مشاهير الرحالين ، ووصفهما لما مرابه من أماكن كبير
الشأن . أحدهما ناصر خسرو ، وهو رجل فارسي خرج حاجاً من خراسان في
منتصف المثة الخامسة (الحادية عشرة) الى مكة ، ثم عاد اليها بعد طوافه بمصر
والشام واختراقه الجزيرة العربية . وبوميّاته التي دوّنها بالفارسية من أقدم ما وقع
لنا في هذه اللغة من تصانيف وبعده بقرن خرج ابن جبير الرحالة العربي
إلى أندلس ، حاجاً من غرناطة . ووصفه للعراق ، ولا سيما بغداد ، من ادّرع
ما انتهى إلينا . ومن النّصانيف الفارسية الواصلة إلينا من اوائل المثة السادسة
(الثانية عشرة) مؤلّف يسمى « فارسنامه » (كتاب فارس) تناول
مؤلفه هذا الاقليم بوصف ثمين قد أوفى على الغاية . ووصل إلينا من متّصف
هذا القرن أيضاً ، مصنّف جغرافي علمي للادريسي الذي عاش في بلاط الملك
النورمندی روجر الثاني ملك صقلية . دوّن الشريف الادريسي كتابه باللغة
العربية ووصف العالم المعروف في زمنه بحسب الاقاليم المناخية وصفا تشقّ
مراجعته . فقد قطع أوّصال الولايات المختلفة في الغالب اعتباطاً لأنّه جرى في
وصفها بحسب الاقاليم أي بحسب مناطق العرض . فبلاد العراق والجزيرة مثلاً ،
جاء وصف بعضها في الاقليم الثالث وبعضها في الاقليم الرابع . والمؤلف الى
ذلك لم يكن واأسفاه ، واقفا بنفسه على بلاد فارس ولا على الاصقاع التي في شرق
البحر المتوسط وهو ما نهتم له في كتابنا . الا أنّه زار آسية الصغرى وقد كانت
حتى زمنه ولاية تابعة لدولة الروم^(١) . ووصفه لهذه البلاد لا يثمن ، الا أن
أسماء الامكنة (بسبب تصحيف المخطوط) لا تيسر قراءتها في كثير من الاحوال

بعسها (ليدن ١٨٩٤) . ونشر البارون كارا دو فو Carra de Vaux ترجمة فرنسية له بعنوان
Le Livre de l'Avertissement باريس ١٨٩٦) . ونشر تاريخه المسمى بـ « مروج الذهب »
بمصه العربي وترجمته الفرنسية : باربيه دي مينار وبافه دي كورتني Barbier de
Meynard, Pavet de Courteille (باريس ١٨٦١) والكتابان من منشورات الجمعية الآسيوية
الفرنسية .

قلنا . كتاب « التنبية والاشراف » للمسعودي طبع في القاهرة سنة ١٩٣٨ ، اما مروج الذهب
فقد طبع في القاهرة غير مرة . (م) .

(١) كانت آسية الصغرى في زمن الادريسي أي أواسط المثة السادسة من حكم السلاجقة ،
وسيشير المؤلف الى ذلك في كلامه على بلاد الروم . (م) .

اذ أن التصحيف قد بلغ فيها حدا لا يمكن معه تبيّن وجه الصواب في الاصل^(١) .
 ووصلنا من مصنفات المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، وفيها كان الغزو
 المغولى وسقوط الخلافة العباسية ، « معجم البلدان » لياقوت الحموى . وهو سفر
 كبير كثير الاجزاء . ومع أن مصنفه استقاء ممن تقدم من المؤلفين ، الا أنه زاد
 عليهم مشاهداته في رحلاته الواسعة المدى . فهو كتاب لا بقدر بمن اذا روجع
 بنقد وتمجّص . صنّف ياقوت المواد فيه على الترتيب الهجائي واقتبس ، دون
 تقيّد ، من كل ما وضعه أسلافه من بلدانيي العرب ، وبينهم مؤلفون لم يكن لنا
 أن نطلع على ما دونوه لولا مقتبسات ياقوت منهم . كالرحالة ابن مهلهل الذي
 كتب في سنة ٣٣٠ (٩٤٢) . وبعد مضي ثلاثة أرباع القرن على تأليف هذا المعجم
 الكبير ، ظهر مختصر له بعنوان « مرصد الاطلاع » لمؤلف من أهل العراق^(٢)
 له في الغالب استدراكات ثمينة موثوق بها على الامكنة التي في أنحاء بغداد . ومن
 نشأ في نحو هذا الزمن : القزويني ، وقد دوّن كتابا في جزئين وصف فبهما
 الارض^(٣) ضمنهما فوائد في تجارات مختلف المدن والاقاليم وغلّاتها . واتى
 اليّنا من النصف الاول من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كتاب منسّق في البلدان
 لأبى الفداء . وأبو الفدا أمير شامى . ومع أنه ألّف كتابه نقلا عن تقدمه في

(١) نشر شيفر C. Schéfer النص الفارسي لرحلة ناصر خسرو مع ترجمة وتعليق بالفرنسية
 في سلسلة Ecole des Langues Orientales Vivantes (باريس ١٨٨١) وعنى رايت
 W. Wright عناية فائقة بنشر النص العربي لرحلة ابن جبير (ليدن ١٨٥٢) . اما فارسنامه ،
 فمزال مخطوطا ، وقد استندنا لدى مراجعته الى مخطوطة المنحف البريطاني ذات الرقم
 Or. 5989 ونشر جوبرت A. Jaubert ترجمة فرنسية لا بأس بها لكتاب الادريسي (باريس ١٨٣٦) . وقد
 قابلت ما اقتبسته من هذه الترجمة بالاصل العربي المحفوظة مخطوطة في الحزارة الوطنية بباريس
 (Mss. Ar. No. 2221-2222)

فلما : نقل الدكتور يحيى الحشاش سفرنامه لناصر خسرو من الفارسية الى العربية (القاهرة ١٩٤٥) .
 ونشر دى عوييه رحلة ابن جبير في ليدن ١٩٠٧ واعيد طبعها نفسها بالزنگراف حديثا . اما فارسنامه ،
 فقد نشر بعه الفارسي ، لسترنج ونيكلسون سنة ١٩٢١ ضمن « مجموعة كب » . اما كتاب الادريسي
 فقد نشر مختصره في رومة سنة ١٥٩٢ م . كما ان المنشور ملر K. Miller نشر خارطة العالم
 للادريسي بالالوان ، ولكنه جعل الاسماء فيها بحروف لاتينية . ثم نشر المجمع العلمي العراقي هذه
 الخارطة بعد ان أعاد الاسماء الى اصلها العربي (م) .

(٢) قلنا : هو صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق الملوّنى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) . (م) .

(٣) قلنا : هذان الجزءان هما « آثار البلاد واخبار السادة » و « عجائب المخلوقات » . وهما

في واقع الحال كتابان وليس بكتاب واحد . وقد طبع ثانيهما في مصر غير مرة . (م) .

- ٣١ -

الغالب ، فانه أضاف اليه مشاهداته لما زاره من بلدان^(١) .

ومما جاءنا من هذا الزمن نفسه ، أى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، رحلة ابن بطوطة • وابن بطوطة رجل مغربى قام برحلات طويلة جارى فيها ماركو بولو البندقى • وقد دوّن كتابه بالعربية • أما حمدالله المستوفى ، وقد عاصر ابن بطوطة ، فقد كتب بالفارسية وصفا لمملكة ايران المغولية (بلاد العراق وفارس) اوضح فيه حال البلاد بعد أن حلّ فيها المغول أيام الايلخانيين • وصنّف المستوفى كتابا فى التاريخ وهو « تاريخ كزیده » (زبدة التاريخ) وهذا السفر ، الى قيمته العظيمة عن العهد المغولى ، يحتوى فى الغالب على فوائد جغرافية جليّة^(٢) .

وفى طليعة ما وصلنا من مصادر عن عهد تيمور ، كتاب تاريخى لعلّ اليزدى • ثم مصنّف جغرافى لحافظ أبرو وكلاهما بالفارسية • ويرقى عهدهما الى النصف الاول من المئة التاسعة للهجرة (الخامسة عشرة للميلاد) • ومما نذكر من المصادر أيضا عما بعد فتوحات تيمور ، تصانيف مؤلفين تركيين أحدهما كتب بالتركية الشرقية والثانى بالتركية العثمانية ، وهما من أهل النصف الاول من المئة الحادية

(١) عنى ف • وسنقفد بنشر المن العربى لمعجم البلدان لياقوت (ليزبك ١٨٦٦-١٨٧٣) ومواضيعه الخاصة فى البلدان الفارسية قد نقلت الى اللغة الفارسية مع اضافات من المستوفى وغيره من جاء بعده من المصنّفين فى كتاب « معجم بلاد فارس » Dictionnaire de la Perse باريس ١٨٦١ وقد نشره يارويه دى ميار Barbier de Meynard • ونشر جوينيل « مراصد الاطلاع » وهو مختصر معجم ياقوت (ليدن ١٨٥٢) • ونشر وسنقفد كتابى القزوينى (عوتنجن ١٨٤٨) • ونشر رينو Reynaud ودى سلا De Slane تفويم البلدان لابي الفداء (باريس ١٨٤٠) • وبدأ رينو ايضا بعمل هذا الكتاب الى العرسية ، مقدما له مقدمة لينة عن البلدانيين العرب (باريس ١٨٤٨) • واكمل الترجمة بعده س • غويار S. Guyard (باريس ١٨٨٣) ٥٠١ •

ملنا : طبع « المراصد » طبعة حجرية فى ايران سنة ١٣١٥ هـ (م) •
(٢) نشر ديفريمرى و سنفوينتى Defrémery and Sanguinetti رحلة ابن بطوطة بنصها العربى مع ترجمة فرنسية (باريس ١٨٧٤-١٨٧٩) • وطبع كتاب « نزهة القلوب » لحمدالله المستوفى طبعة على الحجر فى بسى سنة ١٣١١ (١٨٩٤ م) • وكتابه « كزیده » الذى رجعت اليه ، مخطوط فى المتحف البريطانى برقم Add. 22693 وفابله بخطوط وقعه Add. 7630 ومخطوط اكرتن برقم Add. 690 Egerton • ان قسما من كتاب كزیده طبعه الان M. J. Gantin • بترجمة فرنسية (باريس ١٩٠٣) •

قلنا : نشر تاريخ كزیده بالزكوفراف مع ملخص له بالانكليزية فى مجلدين من مطبوعات كب بعناية براون وليكلسون سنة ١٩١١-١٩١٣ • اما نزهة القلوب فقد نشر القسم الجغرافى منه مع ترجمة انكليزية بعناية لستريج فى مجلدين من مطبوعات كب ايضا سنة ١٩١٥-١٩١٨ م • اما رحلة ابن بطوطة فقد طبعت غير مرة فى مصر- ونقلت الى التركية والانكليزية (م) •

- ٣٢ -

عشرة (السابعة عشرة) • وهذان السفران هما : « تاريخ الترك والمنгол » لأبى الغازى أمير خوارزم ، وجغرافية العالم المسماة « جهان نما » للحاج خليفة واضع الكشف المشهور^(١) ، بأسماء الكتب^(٢) •

ولا مندوحة لنا ، ان ابتغينا التعمق فى بعض التفاصيل ، من الرجوع الى مصنفات كثير من المؤرخين العرب • فقد كان المؤلفون الاقدمون يعالجون التاريخ والبلدان معا فى مصنفاتهم • فمن ذلك كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وقد أُلّفه فى المئة الثالثة للهجرة (التاسعة للميلاد) • وصف فيه فتوح المسلمين فى الشرق والغرب بحسب وقوعها • وهذا الكتاب جليل القدر لأنه يرينا حال البلاد حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها • ولدنا الى كتاب « تاريخ اليعقوبى » ، وقد مر ذكره ، كتاب آخر يرقى الى المئة الثالثة (التاسعة) صفه ابن مسكويه^(٣) ولم يطبع منه غير القسم السادس • ومما يدخل فى هذا الباب تاريخ حمزة الاصفهاني ، وقد كتبه فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة) • ومع أن هذا الكتاب مؤلف بالعربية ، الا أنه رجع فى تأليفه الى كثير من الكتب الفارسية الضائعة الآن وأورد فيه حقائق كنا على جهل بها لولاه •

على أن أكمل التواريخ العربية وأجمعها المنتهية لنا من أوائل المئة الرابعة (العاشرة) تاريخ الطبرى • والطبرى ممن عاش فى ذلك الزمن • وهذا الكتاب مرجع جغرافى أساسى • ويحسن أن يعتمد على تاريخ ابن الاثير فى تعرف أحوال العرب فى أواخر عهدهم • وكذلك الموجز فى التاريخ الاسلامى المعروف بـ « الفخرى » • ويفيدنا تاريخ ابن خلدون فى استكمال الاخبار اليسيرة التى

(١) يريد بذلك كتاب « كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون » وقد طبع غير مرة (م) •
(٢) يعرف الاصل العارسى لتاريخ تيمور تأليف على اليزدى بـ « ظفرنامه » وقد نشر فى مجموعة Bibliotheca Indica (كلكتة ١٨٨٧) • وصدرت له ترجمة فرنسية بعنوان Histoire de Timour de la Croix • (باريس ١٧٢٢) وهى بفلم Petit de la Croix • (ما كتاب حافظ أوبرو مازال مخطوطا • والنسخة التى رجعنا إليها محفوظة فى المتحف البريطانى برنم Or. 1577 •
وطبع ابراهيم الندى (متفرقة) الاصل التركى لجهان لما فى القسطنطينية سنة ١١٤٥ (١٧٣٢) •
ونشر نورج M. Norberg ترجمة لاتينية لمرء من هذا الكتاب (لد Lund ١٨١٨) • ونشر البارون ديميزون Desmaisons النص التركى لتاريخ المنول لأبى الغازى مع ترجمة فرنسية (سانت بطرسبورج ١٨٧١) •

(٣) والأصح انه « مسكويه » وترجمته فى معجم الادباء لياقوت (٢ : ٨٨ وما بعدها طبعة مرجليوث) (م) •

تجدها في تاريخ ابن الاثير . ويزيدنا تعريفا بها كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان . فكل هؤلاء المؤلفين دونوا مؤلفاتهم باللغة العربية^(١) . ومما يحسن ذكره من المؤلفات التاريخية باللغة الفارسية « روضة الصفا » لميرخواند و « حبيب السير » لحواند مير حفيده . وهما كتابان جليلان حوبا فوائدها جغرافية ثمينة ، لاسيما ما اتصل بالاقاليم الفارسية . ولا تفوتنا الاشارة ايضا الى تاريخين فارسيين آخرين يبحثان في الدولة السلجوقية في آسية الصغرى وكرمان وقد رجعت اليهما غير مرة في صفحات كتابي باسم المؤرخين ابن بسى وابن ابراهيم^(٢) .

ويحسن بنا ، لاكمال ما بسطناه ، أن نخصص بضع صفحات نختم بها هذا الفصل التمهيدى ، نذكر فيها شبا عن أسماء الامكنة التي وردت في فصول الكتاب وثبتت في خوارطه . فمعظم أسماء الامكنة في اقليمى العراق والجزيرة

(١) بعد ان طبع لسرنج كتابه نشرت بصمة تواريخ عربية ذات قيمة في المصرايح التاريخية ذكر منها ، المنتظم لاس الجوزى ، والمداد والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الاسلام للذهبي (نشرت اجزاءه الاولى ومازال طبع البقية جاريا) ، والحوادث الحامدة لابن العوى ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبل . (م) .

(٢) نشر دى غوبه « فوح البلدان » للسلازى (ليدن ١٨٦٦) كما نشر ابن مسكويه « اى مسكويه » فى الجزء الاخير من مجموعته Fragmenta Historicorum Arabicorum (ليدن ١٨٧١) . وحقق كوتوالد Gottwaldt تاريخ حمرة الاصعهاى ونشره مع ترجمه لاتينية (ليبسك ١٨٤٤) . اما المجلدات الكثيرة التى يتألف منها تاريخ الطبرى فقد نشرت فى ثلاث سلاسل بصاية البروفسور دى عويه (ليدن ١٨٧٩-١٩٠١) ، ونشر ترنبرغ Tornberg تاريخ ابن الاثير (ليدن ١٨٦٧-١٨٧٦) . ونشر اهلورد Ahlwardt كتاب الفجرى لابن الطقطمى (عوطا ١٨٦٠) . وطبعة ابن خلدون التى رجعت اليها فى هذا الكتاب هى المطبوعة فى بولاي سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ونشر وستنفلد Wüstenfeld ابن خلكان (غوتنجن ١٨٣٧) . ونقله الى الانكليزية دى سلان بسفقة Oriental Translation Fund (لندن ١٨٤٢) . وكان اعتمادى فى مراجعة الاصل الفارسى « لروضة الصفا » تاليف (ميرخواند) أو أمير خواند و « حبيب السير » لحواند أمير على الطبعين المحبرين الصادرين من بسى . طبع الاول فى سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠) والثانى ١٢٧٣ (١٨٥٧) . ونشر البروفسور هوتسما Houtsma الكتابين الباحثين فى اخبار الدولة السلجوقية فى المجلدين الاول والرابع من سلسلة Textes relatifs a l'Histoire des Seljucides (ليدن ١٨٨٦-١٩٠٢) . واولهما كبه ابن ابراهيم (ويعرف بمحمد ابراهيم أو محمد بن ابراهيم) وفد عاش فى نحو سنة ١٠٢٥ (١٦١٦) والثانى تصنيف ابنى بسى وقد كتب فى نحو سنة ٦٨٠ (١٢٨١) . انظر ايضا بحثا للبروفسور هوتسما فى مجلة Zeit. Deutsch. Gesell., p. 362, 1885 . فلما عسى لسرنج وغيره بطبع الجزء الاول والخامس والسادس من « تجارب الامم لمسكويه » بالتركوعراف صس مجموعة كب . وعنى امدرز بنشر الجزء الخامس والسادس منه فى القاهرة . ونقل مرجيلوث هدين الجريين الى الانكليزية . اما كتاب حمزة الاصعهاى فهو « تاريخ سننى ملوك الارس والانبياء » وفد طبع فى برلين ايضا . وعنى دى غوبه بوضع فهرس للطبرى ومجم لالفاظه نشرها فى مجلدين فى ليدن . (م) .

- ٣٤ -

اما أن يكون عربى النجار أو اراميا ، اذ كانت الثانية هى لغة القوم الشائعة قبل الفتح الاسلامى . ولا أسماء المدن بالعربية معنى ، ومن الامثلة على ذلك الكوفة والبصرة وواسط . أما الاسماء الارامية ، فمن اليسير تمييزها من صيغتها ومن انتهائها بحرف الالف الطويلة . مثال ذلك : « جبلا » . ومعانى هذه الاسماء أيضا لا تصعب معرفتها بوجه عام . فمثلا « عبرتا » معناها (المعبر ، أى موضع العبور) فهى تعين موضعا لجسر على قوارب . و « باجسرا » ومعناها فى العربية (بيت الجسر) . أما الاسماء الفارسية القديمة مثل « بغداد »^(١) (أى موضع عطية الله) فنادر . وتجد أيضا هنا وهناك اسما يونانيا ما زال حيا مثل « الأبله » وهى « أبلوغس » (Apologos).

ولم تصبح بلاد الروم فى آسية الصغرى بلادا اسلامية ، على ما بينا ، الا بعد الفتح السلجوقى لها فى النصف الثانى من المئة الخامسة (الحادية عشرة) . ومن ثمة ، فالاسماء اليونانية فيها انتهت البنا بصيغتين : قديمة (عربية) وحديثة (تركية) . فسلوية (Seleucia) مثلا عرفت أولا بسلوقية ثم بسلفكة (Sclafkeh) . وهركليية (Heracilia) نجدها أولا بصيفة هرقله وفى العصور الحديثة أراكليية (Arakliyah) ولا ريب أنه بعد الفتح السلجوقى للبلاد والسيادة العثمانية التى أعقبت ذلك ، حلت التسميات التركية محل الاسماء اليونانية القديمة . ولكن ما يجب ذكره بصد ضبط التهجي ، أن الالفاء العربية غريبة

(١) اختلفت آراء الباحثين فى اصل اسم بغداد ، فذهب بعضهم الى انه فارسى على رأى مؤلف هذا الكتاب ، وقد سبهم الى ذلك بلدانيو العرب فعالوا ان اسمها مركب من كلمتين فارسيتين « بنغ » و « داد » .

ورحمه بعضهم الى اصل آرامى مركب من « ب » المقنصبة من كلمة « بيت » و « كدادا » ومعنى ذلك بيت أو دار أو مدينة الضال أو الغم . وايدوا رأيهم بإيراد اسماء آرامية لمدن عراقية مدونة بالباء على شاكلتها .

وظهر أيضا من الدراسات الاثرية ، ان مثل هذا الاسم قد ورد فى الكتابات المسماوية القديمة التى ترجع الى العصر البابلى والآشورى بصورة « بغداد » و « بغدادى » أو « خودادو » يرمى زمن بعضها الى اوائل الالف قبل الميلاد . وان مدينة قريبة من بغداد الحالية واقليا أيضا ، كانا يرمضان بهذا الاسم فى العصر البابلى .

راجع : مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . ومعجم البلدان لياقوت (مادة بغداد) . وغيرها من الكتب الاقدمية . وكذلك مادة « بغداد » فى دائرة المعارف الاسلامية ، ومجلة لغة العرب (٤ : ٨٠ و ٢٤٢ و ٢٨١ و ٦٠٧ و ٦ : ٧٤٨) و « اصول معنى بغداد » لتونيق وهبى (مجلة المجمع العلمى العراقي الجزء الاول من المجلد الاول الصادر سنة ١٩٥٠) .

Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra (p. 28-29)

و

وهو المجلد السادس من مجموعة « حفریات سامراء » وقد صدر فى همبرغ سنة ١٩٤٨ . (م)

- ٣٥ -

عن التركية غرابتها عن اليونانية • ولهذا صار للكلمات التركية (كما يظهر ذلك في كل معجم تركي) تهجستان مختلفتان • وكان حال أسماء الامكنة حال ألفاظ اللغة نفسها • فنجد اسم « قراحصار » و « قره حصار » و « قره سي » و « قراسي » و « قرمان » و « قرامان » وغير ذلك من الامثلة الكثيرة •

واذا ألقينا نظرة على خوارط الاقاليم الفارسية ، تبين لنا قلة الاسماء المنحدرة من أصل عربي • فمن الصعب أن نجد أسماء مدن بالعربية هناك ما عدا المراغة^(١) في أذربيجان ويزا (البيضاء أي « البلدة البيضاء ») في فارس • فالمسلمون لم يغيروا الاسماء في الواقع أو غيروها بعض التغيير حينما اسنولوا على المملكة الساسانية^(٢) • وكثيرا ما نجد قرى ومنازل ذات أسماء مأخوذة من أشياء طبيعية أو مشهورة ، كقرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح • فقد كانت تسمى بالفارسية : ده مرد ، ده اشتران ، ده نمك • وقد أورد البلدانون العرب هذه الاسماء مترجمة دائما ، فنجد في تصانيفهم القرى السالفة الذكر مثلا باسم قرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح^(٣) • ولدينا ما يؤيد أن الاسم الفارسي كان هو المستعمل في كل الاوقات في بلاد فارس • وبعبارة اخرى ، ان الامر هنا على نحو ما هو عليه عندنا حين نقول : الغابة السوداء (Black Forest) وهي بالالمانية (Schwarz-Wald) ورأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope) فمثل هذه الاسماء يرد عادة بصيغ متنوعة في الخوارط وفي الكتب على حسب لغة المتكلم •

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٤٧٦) « كانت المراغة تدعى أفراد هروذ ، فعسكر مروان بن محمد بن مروان بالقرب منها • وكان فيها سرحين كثير فكانت دوابه ودواب اصحابه تنمرغ فيها ليجعلوا يقولون : ابتوا قرية المراغة ، وهذه قرية المراغة ، فحذف الناس القرية وقالوا مراغة » (م) -

(٢) ما يلاحظ اننا لا نعثر في جميع ارجاء الاندلس ، حيث تكثر المدن العامرة ، الا على مدينة واحدة ذات اسم عربي وهي ميساء « المرية » Almeria الذي هو « المرية » ومعناها « المرقب » • ونجد اسم مكان مثل كلتايود Calatayud يمكن اتخاذه مثلا آخر لذلك • فهذا الاسم لم يطلق على مدينة بل كان اسما لقلعة ليس الا وهي « قلعة أيوب » • ثم نشأ بعد ذلك في اسفلها بلدة • وفي كثير من الاحوال لا يعرف اصل الاسم الايبيري أو الروماني أو القوطي الغربي Visigothic لعدم وجود وثائق عنه ، على ما هو الامر في « غرناطة » Granada • وما ذكرناه هنا يمكن القول به في اساء بلاد فارس •

(٣) قلنا : وقد جرى الكتابة العرب المحدثون في ترجمة بعض الاسماء الجغرافية على هذا الفرار ، فقالوا : رأس الرجاء الصالح ، وجزيرة ارض النار ، والمحيط الهادي ، والبحر المتوسط ، وبلاد الجبل الاسود ، وغير ذلك (م) •

ومما تحسن الإشارة إليه ، أننا قد نجد في جداول الاسماء العربية ، اسم منزل بالعربية لم ينته إلينا ما يقابله بالفارسية . فمن ذلك « رأس الكلب » وقد يكون الموضع ما صار يعرف بعد ذلك باسم « سمنان » ونعت العرب أحيانا مدينة فارسية فعرفت في أوان واحد باسمها وبنعتها ، على نحو ما كان الامر في كنكواري فقد سماها المسلمون الاولون « قصر اللصوص » لأن دوابهم كانت تسرق فيها . ومع ذلك فالاسم الذي عاش في الاخير هو « كنكواري » لا النعت العربي ، حتى أنه لما أسس المسلمون الفانجون عاصمة افليمية جديدة ، على نحو ما حصل في شيراز التي سرعان ما حجبت اصطخر القديمة « برسوليس » ، كانوا قد اتخذوا للمدينة الجديدة على ما يظهر اسم القرية الفارسية الاصلية وخلدوه لها . ولا يمكن تحقق أصل اسم شيراز واشتقاقه على ما يبدو ، شأن غيره من الاسماء الكثيرة . اذ أننا يا للأسف نكاد نجهل جغرافيا المملكة الساسانية القديمة برمتها .

أما تهجئة الاسماء ، فكانت بالطبع تتغير بتغير الزمن . فان « طربيث » أصبح « ترشيز » و « همدان » صارت تهجئتها في الكتب الحديثة « همدان »^(١) . وقد تستعمل الى ذلك أيضا ، تهجئة عربية وتهجئة فارسية لاسم ما في وقت واحد . مثال ذلك « قاشان » العربية فهي تكتب في الفارسية « كاشان » ، و « صاهك » ظهرت أخيرا « جاهك » و « صغانيان » : « حغانيان » ومقتضى قواعد اللغة العربية في الالفاظ الثلاثية ذات الحروف الصحيحة ، فان : بم الفارسية يجب أن تكتب في العربية مشددة « بم » وقم : « قم » مجازة لمخارج الحروف في العربية . ولم يستعمل الحرف الصحيح الاخير المشدد في الفارسية البتة . وقد يحصل أن يطل استعمال اسم لأسباب مجهولة ليحل محله اسم آخر ، ولكنه فارسي كالأول ، على نحو ما حدث في « قرماسين » أو « قرميسين » التي عرفت بعدئذ باسم « كرماتشاهان » ثم اختصرت الى « كرماتشاه » في الوقت الحاضر . وكما أننا نجهل المنشأ الاصل لهذه الاسماء ، نجهل أيضا علة تبديلها .

(١) يحسن بنا ان نلاحظ ان « ذ » يلفظه العرس في زمننا « ز » فيقولون « ازربيجان » ويكتبونها « ازربيجان » . واحيانا لا يلفظون الدال زاي ، لاسم همدان يلفظونه « همدان » لا « همدان » . والحرف « و » العربي يلفظونه في الفارسية « ف » ولكن هذا ليس دائما ، اذ يقولون « مزوين » أو « قرمين » .

أما « آل » أداة التعريف العربية التي تعرف بها أسماء الامكنة ، فاستعمالها سماعي الى حد بعيد . لأن القاعدة الصرفية تقضى بادخال « آل » التعريف على الاسماء العربية دون الاعجمية ، غير أن هذه القاعدة لا تطرد دائما . ففي العراق ، حيث معظم الاسماء من أصل سامي بطبيعة الحال ، نجد أن دجلة يكتب دائما بدون « آل » . أما القرات فقد دخلته « آل » التعريف وإن كان مثل صنوه اسما غير عربي^(١) . وفي تسمية الاقاليم الفارسية درجوا على اسقاط « آل » التعريف العربية بمرور الزمن : فالسيرحان (بالعربية) أصبحت بالفارسية سيرجان . ومهما يكن من أمر فاستعمال هذه الاداة عرفي . فليس من تفسير لاستعمال العرب « آل » التعريف على اسم « الرى » بينما نجد أن اسم « جى » وهو الاسم القديم لقسم من أصفهان يكتب دائما بدون « آل »^(٢) .

وكان العرب مقلّين في اطلاق التسميات فكان ذلك علة كثير من الارتباك . فالقاعدة عندهم أن يسمّوا عاصمة اقليم باسم ذلك الاقليم ، حتى ولو كان لتلك العاصمة اسم آخر : فدمشق مثلا ما زالت تعرف عندهم بالشام وهي عاصمة الشام ، وزرنج أهم مدن سحسان كانوا يسمونها في الغالب سحستان أو مدينة سحسان ويريدون بها مدينة ذلك الاقليم . وقد أدى هذا الاستعمال طبعا الى ارتباك حينما يكون للاقليم عاصمتان ، كما حدث مثلا في اقليم كرمان . فإن اسم كرمان (ونقص المدينة) اطلق في الكتب القديمة على العاصمة الاولى السيرجان . وفي العصور الاخيرة اطلق هذا الاسم على كرمان المدينة الحالية وهي غير تلك المدينة بالمرّة . ولم تصبح عاصمة الا بعد خراب السيرجان . وكذلك اذا قارنا بين الخوارط الموضوعة استنادا الى روايات بلداني القرون الوسطى وبين خوارط هذه

(١) وهكذا فلدنيا « الأبله » (واصل الاسم يوناني) قد دخلها « آل » التعريف . وهالك من الاسماء ما يناظرها . ونجد أحيانا أسماء عربية صرفة منها ما هي معرفة بال ومنها ما كان بدونها ، مثل الكوفة ويقال ان معناها « اكواخ العصب » بينما نجد اسم واسط يكتب دائما بدون « آل » ، وكان ممكنا ان يكون معرنا مثل الكوفة .

(٢) اما كم تستقيم الة قاعدة من هذه العواعد ، فبتبين من حالة « جدة » ميناء مكة . فقد ذكرها جميع المصنفين الاقدمين بصورة « جدة » و « الحده » . وفي صفحات هذا الكتاب حيثما ورد اسم موضع استعمل العرب مسبوبا بـ « آل » ، فاسمنا نذكره في الكتاب بهذا الوجه لأول مرة فقط . فاذا تكرر الاسم حدثنا منه « آل » عادة على سبيل الاختصار . وسرنا على ذلك في الخوارط توحيها للمكان . كما ان استعمال هذه الاداة أو عدم استعمالها يختلف باختلاف البلدانيين العرب . وهم كذلك ليسوا على قاعدة ثابتة في تهجئة الاسماء الاعجمية .

- ٣٨ -

الايام ، رأينا فى الغالب أن اسم مدينة مندرسة قد بقى محافظا عليه فى الولاية الحديثة . وهكذا الامر فى بلدة السيرجان المندرسية مثلا ، فان هذا الاسم نفسه ما زال مستعملا لولاية السيرجان الحديثة . ونحو ذلك « بردسير » و « جيرفت » وكانا قلا اسمين لبلدتين جليتين فبقيا لولايتيهما فقط . ومجمل القول فالولاية وقصبتها يطلق عليهما دائما اسم واحد ، وبمرور الزمن يهجر اما اسم الولاية أو اسم المدينة . وبناء على ما تقدم من الامثلة فان اسم مقاطعة اردون القديمة يطلق الآن على بلدة صغيرة تعرف باسم اردون ، وقد كان يقال لها قديما خوار (خوار الرى) .

وفى الجغرافيا الطبيعية ، لم تكن التسميات العربية وافرة أيضا . نعم نجد بوجه عام أن قمم جبال مشهورة لها أسماء تعرف بها (مثل دماوند وألوند) ولكنهم لم يطلقوا اسما خاصا على سلسلة من الجبال . فسلسلة جبال طوروس العفليمية التى تحجز بلاد الروم عن غيرها ، نذكر غالبا (وخطأ) باسم جبل لكام ، غير أن هذا الاسم ليس الا جبلا واحدا من مجموعة طوروس الداخلة (انى طوروس) . ولم يطلق البلدانون العرب اسما لسلسلة القمم الطويلة التى تتألف منها جبال ألبز العظيمة الشهيرة الفاصلة بين هضبة ايران وبحر قزوين . ولقد كانوا يطلقون عادة على البحيرات الكبيرة أسماء خاصة (مثل : ماهالو ، زره ، جبجست) . ولكن المألوف أن البحيرة كانت تعرف باسم أشهر مدبنة على سواحلها كبهيرة أرمية وبحيرة وان ونسبت أيضا الى مدنة أرجيش . بل أن البحار كان الامر فى تسميتها أكثر غموضا . فكانت تذكر تسميات مختلفة مقتبسة من الاقاليم أو المدن الكبيرة الواقعة على سواحلها . وهكذا سمى بحر قزوين بتسميات شتى فقليل فيه : « بحر طبرستان » و « بحر گيلان » و « بحر جرجان » وكذلك « بحر ياکو » وعرف أخيرا ببحر الخزر نسبة الى مملكة الخزر التى قامت فى شماله فى أوائل العصور الوسطى . ومثل ذلك « آرال » فقد كان يعرف ببحر خوارزم . وعرف خليج فارس ببحر فارس .

وفى الختام أود أن أجعل القارىء يحيط علما بأننى لم أذكر فى فصول الكتاب الا منتخبات مما بيدنا من مصادر اذ أن المدن والقرى التى وردت أسماءها

فى هذا الاقليم أو ذاك ، كثيرة جدا • وهى ولا شك أكثر من ضعف الاسماء المثبتة فى فهرست هذا الكتاب • وقد أغفلت ذكر أسماء المواضع التى لم يكن فى الامكان تعيينها تعيينا تقريبا • أما الخوارط ، فهى على ما يرى ليست الا رسوما ياتبة لايضاح المتن ، وهى لا تبين عما كان عليه أى قطر فى حقبة ما من الزمن • وهكذا فالمدن التى تعاقبت الواحدة بعد الاخرى اشير اليها غالبا فى الخوارط كأنها كانت كلها فى وقت واحد • والمتن كقبل بایضاح ما اذا كانت هذه المدن تعزى الى زمن واحد أم لا (١) •

(١) لا مندوحة من تبیان علة اكتطاط الخوارش فى صفحات هذا الكتاب بعدد كبير من المراجع وان كان الباحث الراعب فى التحقيق عن امر ما ، لا يعد ذلك نقصا ولا ريب • فلم يكن لى الا احد امرين • اما ذكرها جملة أو اغفالها جميعا • والمعروف ان المصنفين المسلمين من عرب وفرنس وترك اعظم من انتحل آثار غيرهم ، وهم هل ان نوهوا بفضل من نقلوا عنه • ومن جهة ثانية اصاف كل بلدانى أو مؤرخ شيئا من عنده الى ما نقله عن سلفه (دون التنويه بذلك) • وهو فى الغالب ، بنوحيدته كثيرا من المقبسات، يتوصل الى جمع اخبار مختلفة تكفى فى اثبات حقيقة أو تعيين موضع • ولايصاح ذلك اشير الى بلدة خرقان فى اقليم قومس ، فهى ليست مدينة جليلة الشأن ولا يعرف عنها شئ كثير ، على انه يبدو من المفيد ان نقول ان خرقان قومس هذه ، وان كانت قد زالت من الحارطة ، بسببى ان تشير عن الاسم الذى يكتب بالعربية على شاكلتها وهو بلدة خرقان فى اقليم الجبال • فكل ما يعرف عن البلدة القومسية هذه هو موضعها ، ولكن لتعيينها ، علينا ١ - مراجعة القزوينى الذى قال ان البلدة على اربعة فراسخ من بسطام • و ٢ - اضاف ياقوت الى هذا القول انها تقع على الطريق. الذهاب الى اسفرناد • و ٣ - مع ان المستوفى قال ان خرقان كانت فى ايامه قرية ذات شان فيها بئر وهى ذات مياه واحة • وعليه فالها لم تكن محطة بريد فقط • ومع هذا كان علينا ، لكى ندون كل ما دوناه عنها وهو شئ ضئيل ، ان نرجع الى ثلاثة مؤلفين ونشير الى تصانيفهم فى الحاشية •

الفصل الثاني

العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية - العراق اى بلاد بابل -
التفريق في مجرى الفرات ودجلة - انهر الرى العظيمة - بغداد -
المدائن وما فى جنوبها من مدن على دجلة حتى فم الصلح

قسمت الطبيعة سهل ما بين النهرين العظيم الذى اتخذ الفرات ودجلة فيه مجريهما الى قسمين : الشمالى (وهو مملكة آشور القديمة) ومعظمه مراعى تغطى سهلا حجرى التكوين . والجنوبى (وهو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل وتسقيها أنهار الرى . وعدد أهل الشرق هذه البلاد من جنان الدنيا الاربع لوفرة خصبها . وقد سعى العرب ما بين النهرين الشمالى بالجزيرة ، والجنوبى بالعراق . ومعنى العراق « الجرف » أو « الساحل »^(١) وأما

(١) جاء تفسير اسم « العراق » فى معاجم اللغة وكتب البلدان العربية . وقد اخترنا ما قاله « تاج المروس » (مادة عرق ٧ . ٩) فى هذا الاسم : « العرق جمع عراق ، بالكسر : لشاطئ البحر على طوله ، نقله اللبث . وهو ككتاب وكتب . وقال وبه سى العراق عراقا والعراق شاطئ الماء أو شاطئ البحر خاصة . زاد اللبث . طولاً ، أى على طول البحر قال ابو زيد - كل ما اتصل بالبحر من مرعى فهو عراق لان العراق بين الريف والبر أو لانه على عراق دجلة والفرات ، أى شاطئهما ، أو هى (أى العراق) معربة ايران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر ، فمعرب لقليل عراق . هكذا نقلوه . وعندى فى معناه نظر . وقال الازهرى - قال ابو الهيثم ، رعم الاصمعى ان تسميتهم العراق اسم اعجمى معرب . اما هو ايران شهر فاعربنه العرب فقالت عراق « اهـ . وفى معجم البلدان لياقوت (مادة . عراق) فسوله « قال فطرب : انما سى العراق عراقا ، لانه دنا من البحر رفيه سبخا وشجر . وقال الخليل - العراق شاطئ البحر . رسمى العراق عراقا لانه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله . قال الاصمعى هو معرب عن ايران شهر وفيه بعد عن لفظه ، وان كانت العرب تتغفل فى التعريب بما هو مثل ذلك . وقال ابو عمرو : سميت العراق عراقا لقربها من البحر . قال واهل المجاز يسبون ما كان قريبا من البحر عراقا . وقال حمزة . الساحل بالفارسية اسمه ايراه ، ولذلك سموا كورة اردشير خره من

الخارطة : ٢

كيف جرى استعمال هذا الاسم في العهود السالفة فأمر يعتريه الشك ، فلهذه يمثل اسما قديما ضاع الآن ، أو أنه اريد به في الاصل غير هذا المعنى وكان العرب يسمون السهل الرسوبى بأرض السواد أى الارض السوداء . واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هى والعراق لفظين مترادفين فى الغالب . وأصبح يراد بها اقليم بلاد بابل جميعه^(١) .

وقد تغيرت الحدود بين العراق والجزيرة فى أزمنة مختلفة فكان الحد بينهما لدى البلدانين العرب الاولين يطابق بوجه عام خطا يذهب شمالا من الانبار على الفرات الى تكريت على دجلة . وكانت كلتا هاتين المدينتين تعد من أعمال العراق . أما من أعقبهم من اللدانيين ، فقد جعلوا الخط يذهب من تكريت باتجاه الغرب تقريبا ، فأدخلوا فى العراق كثيرا من المدن التى على الفرات فى شمال الانبار . وهذا الخط ، بالنظر الى الجغرافيا الطبيعية ، أقرب الى التقسيم الطبيعى بين الاقليمين . وهو يقطع الفرات أسفل من عانة حيث ينعطف النهر انعطافه الكبير نحو الجنوب . وقد سمي العرب نهر « يفراتس » (Euphrates) بالفرات كما سموا « تايجرس » (Tigris) بدجلة خاليا من « أل » التعريف . وهذا الاسم الاخير ورد فى الترجوم بصورة « ديكلات » التى تقابل الشطر الاخير من كلمة « حدآقل » (Hiddekel) وهى الصيغة التى ذكر بها دجلة فى سفر التكوين^(٢) .

ارض فارس . ايراهستان لقربها من البحر . فعربى العرب لفظ ايراه بالحقاق فقالوا ايراق . وقال حمزة والعراق تعريب ايراف بالفاء ومعناه مفيض الماء وحدود المياه ، وذلك ان دجلة والفرات وتامرا ، تصب من نواحي ارمينية وبند من بتود الروم الى ارض العراق وبها يقر قرارها فتسقى بقاعها » . اهـ .

وللائرى هرسفند ، رأى فى اصل كلمة العراق ومعناها نشره فى مجلة لغة العرب (٤ : ٤٤١-٤٤٣) رأيا ان نجمله استكمالا للفائدة - ان العراق معرب لفظ ايراك الايراني ومعناه البلاد السفلى او الجنوب . وكانت انحاء واسط الى خليج فارس عائدة الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية . وفى مفاتيح العلوم للخوارزمي وتاريخ حمزة الاصعهاى : ايران العراق . ولا جرم انها غلط . والصواب - ايراك (بالكاف الفارسية) ولكنهم لم يعرفوا معنى ايراك وألفوا لفظه ايران ، فصحفوا ايراك بايران ، كما ان ابدال الهمزة من العين امر شائع . وحاء فى نص الامستاكلمة « ايرانستان » وهو اسم كورة واسعة بين ميروزياد وخليج فارس . وكان يجب ان تقرأ ايراكستان (بالكاف الفارسية) وما ايراكستان الا العراق . (م) .

(١) للفظلة « سواد » معنى ثان هو « المقار » الذى يكتنف المدينة - فليل سواد ببغداد وسواد الكوفة وسواد البصرة . ويراد بذلك ما يحيط بهذه المدن من اراض زراعية .
(٢) لا يعرف اصل اسم الفرات بالصبط وقد ورد اسمه فى الكتابات المسارية بالعلامات نفسها التى يكتب بها اسم مدينة (سبار) القديمة وهى أبو حية اليوم - ويرجح ان اسمه سومرى . وسماه البابليون بلفتهم السامية باسم « بورتى » و « بوراتى » ولعل الاسم البابلى ومعناه الاسم العربى « الفرات »

- ٤٢ -

ولما فتح المسلمون العراق في خلال النصف الاول من المئة الاولى للهجرة (السابعة للميلاد) ، كانت طيسفون ، وهى على دجلة ، وقد سموها المدائن ، أجلّ مدن هذا الاقليم والعاصمة الشتائية للملوك الساسانيين . ولرغبة العرب في مدن يسكنونها ويسكرون فيها ، أسسوا في زمن قصير مدنا ثلاثا : الكوفة والبصرة وواسط سرعان ما نمت وصارت أهم مدن هذا الاقليم الاسلامى الجديد . وكانت الكوفة والبصرة بوجه خاص عاصمتى العراق الشقيقتين في أيام بنى امية^(١) .

ولما انتقل الامر من الامويين الى العباسيين ، اقضى الحال اتخاذ عاصمة جديدة لدولتهم الجديدة . فأسس ثانى خلفاء بنى العباس بغداد على دجلة فوق طيسفون (المدائن) بضعة أميال . وما عثمت بغداد أن غطت على ما اتصفت به دمشق من مفاخر في العهد الاموى وأصبحت قاعدة الخلافة العباسية وعاصمة العراق أيضا بطبيعة الحال . وعلا شأن اقليم العراق فصار قلب الدولة الاسلامية ومركزها في الشرق .

وكانت أحوال العراق الطبيعية في القرون الوسطى تختلف اختلافا بينا عما نعهده الآن ، لما طرأ من تغير عظيم في مجرى المرات ودجلة ، وما نجم عن ذلك من خراب في أنهر الرى العديدة التى جعلت من العراق في زمن الخلفاء الاولين جنة عدن لحصب أرضه . ينساب دجلة اليوم في مجرى متعرج يأخذ الى الجنوب الشرقى ويلتقى على نحو ٢٥٠ ميلا (بخط مستقيم) أسفل من بغداد هو ومياه الفرات في القرنة . ومن اقتران النهرين يتكون نهر يعرف بشط العرب ، كان يجرى حينذاك في مجرى عريض أى في فيض يصب في خليج فارس .

مشنى من كلمة الفرع . اما دجلة فقد ورد اسمه بصورة « ادنلات » أو « ادكلات » . ومن معانى اسمه الاصل . « الجارى » أو « الراوى » . وعرف الآشوريون منبع دجلة وعسوه في ارمينية . فقد ذكر الملك الآشورى شبلنصر الثالث (الملة التاسعة قبل الميلاد) انه امام في عام حكمه الخامس عشر ، نصبا عند منبع دجلة ، وانه سار من بعد ذلك الى ينابيع الفرات . راجع - مقدمة في تاريخ الحصاراات العديدة للسيد طه باهر (١ ، ٣٧٧) . اما الاسم حدافل فقد ورد في سفر التكوين ٢ ، ١٤ . (م) .

(١) عرفت الكوفة والبصرة بالعراقيين ، ومعنى ذلك « عاصمتا العراق » . على انه حين فغدت الكوفة والبصرة منزلتيهما بعد زمن ، صار اسم « العراقيين » يستعمل في غير وجهه الصحيح . فكان يسمى « افليمى » العراق وهما العراق العربى والعراق العجمى ، ويراد بالآخر اقليم الجبال رسموضح ذلك في موضعه من الفصل الثالث عشر .

وكان يبلغ طوله زهاء مئة ميل فى أعدل الخطوط • وهذا ما يرى فى الخارطة الحديثة • ويغلب على الظن أن دجلة كان منذ صدر الاسلام حتى منتصف المئة لعاشرة (السادسة عشرة) اذا تجاوز أسفل بغداد بمئة ميل انحرف عن اتجاهه الجنوبى ، حيث مجراه الحالى ، فانساب الى واسط فى مجرى يعرف اليوم بشط الحلى (أى شط الحية)^(١) على ما سيأتى بيانه • وكانت مدينة واسط على جانبى النهر • وعلى نحو ستين ميلا أسفل من واسط كان دجلة يوزع معظم مائه على أنهار الرى ، وكانت بقينه تشعب ثم تفنى فى البطيحة العظمى •

وكانت البطيحة العظمى طوال القرون الوسطى ، تبطن فى رقعة يبلغ عرضها خمسين ميلا وطولها قرابة مئى ميل ، وتمتد جنوبا حتى تناوح البصرة • وكانت البطيحة يأتيتها الماء من الفرات عند موضع فى شمالها الغربى ، بعد بضعة أميال عن جنوب الكوفة ، اذ كان عمود الفرات فى تلك الايام شط الكوفة • ولم يكن شط الحلة حينذاك (وهو عموده الآن) الا نهرا عظيما للرى يعرف بنهر سورا • وكان على الحافة الشمالية من أسفل البطيحة العظمى ، أهوار يوصل ما بينها أزقة لسير السفن • وقد كان دجلة يدخل البطائح عند القطر ، وكانت السفن تخرج منها الى موضع (قرب القرنة الحالية) تجتمع فيه مياه الفرات ودجلة فتجرى فى نهر أبى الاسد الى رأس فيض شط العرب^(٢) ، وكانت سفن النهر تنحدر فى هذا الطريق المائى دون أن تلقى صعوبة من بغداد حتى البصرة • والبصرة فرضة

(١) لا نرى رأى المؤلف فى تفسير شط الحلى بشط الحية فالجى هنا بمعنى محلة القوم وربيعهم ، ومنه حى واسط وهى بلدة الحلى اليوم ، وبها عرف هذا النهر لوفوعها عليه ، ويقال له ايضا نهر الفراف ، وهو غير النهر الذى تقوم عليه اطلال واسط ، فان عتيق هذا النهر يعرف فى يومنا بالدجلة وهو دجلة قبل رجوعه الى مجراه الشرقى الحالى (م) •

(٢) هذا ما قاله البلاذرى فى هذا الصدد « وكانت دجلة تصب الى دجلة البصرة التى تدعى الموراء فى انهار مشعبة ومن عمود مجراها الذى كان يامى مائها بجرى فيه وهو كمص تلك الانهار » (فتوح البلدان - ص ٢٩٠ طبعة مصر) •

وقال ابن رسته . « ويخرج من هذه البطائح انهار - من ذلك - نهر المرة ويصب هذا النهر فى دجلة الموراء - ومن ذلك نهر يقال له نهر ابى الاسد وهو قريب من نهر المرة ويصب فى دجلة الموراء • ويمتزج هذا الماء بماء البحر الذى يدخل فى دجلة الموراء من ماء المد • ومن ذلك نهر فى أسفل البطائح مما يلى قصر انس بن مالك يقال له نهر ابى عمر ، وهو عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز ، حفره فى ولاية بنى امية ليعذب ماء اهل البصرة • وطوله اربعة فراسخ من أسفل البطائح الى فيض البصرة - نهر ابن عمر يصب فى نهر البصرة • وما صار فى فيض البصرة وقع فى نهر الابلة حتى يخرج الى دجلة الموراء ثم نفع فى بحر الهند » (الاعلان النفيسة - ص ٩٤) • (م) •

بغداد • وقد كانت عند منتهى نهر قصير يحمل من الفيض الى الغرب - والفيض هو دجلة العوراء على ما كان يعرف به شط العرب في الغالب حينذاك •

ودجلة الحالى على ما يرى فى الخارطة الحديثة ، يجرى فى شرق شط الحلى منسلًا من عند قرية يقال لها اليوم كوت العمارة^(١) ، وهى فى موضع بلدة ماذرايا القرون الوسطى • ومجرى دجلة الحالى هذا الى القرنة هو المجرى نفسه الذى كان أيام الساسانيين على ما يبدو ، حين لم تكن البطيحة العظمى التى وصفها البلدانون العرب قد تبطّحت • وقد ذهب المؤرخ البلاذرى الى أن نشأة البطيحة كانت فى أيام قباز الاول^(٢) الملك الساسانى ، وقد تولى العرش فى أواخر المثة الخامسة للميلاد • وفى أيامه أغفل أمر السدود فى دجلة اغفالا دام سنين كثيرة • وارتفعت المياه فجأة فدفقت من جملة بثوق ، فغلب الماء على ما كان من الارضين منخفضا فى جنوبه وجنوبه الشرقى • وفى عهد أنوشروان العادل ابن قباز وخليفته ، رمت السدود بعض الترميم حتى عادت تلك الارضين الى عمارتها وزراعتها • الا أنه فى عهد كسرى أبرويز ، وقد عاصر النبى محمد ، زاد الفرات ودجلة ثانية فى نحو السنة السابعة أو الثامنة للهجرة (٦٢٩ م)^(٣) زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها • وانبثقت بثوق عظام فى مواضع لا تحصى ، وغلب الماء على الارضين • وعلى ما جاء فى البلاذرى ، ان كسرى أبرويز ، ركب بنفسه لسد تلك البثوق بعد فوات الاوان و « ثر الاموال على الانطاع وقتل الفعلة بالكفاية وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسّارا فى يوم ، فلم يقدر للماء على حيلة » • ولما لم تعد المياه الى حالها الاولى ، أصبحت ما غمرته من بقاع بطيحة دائمة • اذ أنه

(١) راجع عن كوت العمارة كتاب « مباحث عراقية » ليعقوب سرکيس (ص ٢٦٤ - ٢٨٣ و ٣١٢ - ٣١٤ بغداد ١٩٤٨) (م) •

(٢) حكم قباز الاول من سنة ٤٨٨-٥٣١ للميلاد • وكسرى ابوشروان من ٥٣١-٥٧٩ للميلاد (م) •

(٣) وهم المؤلف فى قوله ان زيادة الفرات ودجلة كانت فى سنة سبع أو ثمان من الهجرة • فقد ذال البلاذرى فى هذا الشأن : « ثم لما كانت السنة التى بعث فيها رسول الله (ص) عبدالله بن حذافة السهمى الى كسرى ابرويز وهى سنة سبع من الهجرة ويقال « سنة ست » زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها ولا بعدها » • ويؤخذ من ذلك ان سنة ٦٢٩ م التى ذكرها المؤلف اعلاه لا تتفق هى وسنى حكم كسرى ابرويز ، اذ انه حكم من سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٢٨ للميلاد • لزيادة الانهار حصلت فى آخر سنة من حكمه وهى ٦٢٨ المقابلة لسنة ٦ و٧ للهجرة (م) •

للفوضى التي سادت السنوات التالية ، ولقيام الجيوش الاسلامية باكتساح بلاد ما بين النهرين ، ولانحلال المملكة الساسانية ، بقى حال السدود على ما آلت اليه مخفلة بطبيعة الحال . « فكانت البثوق تتفجر فلا يلتفت اليها ، ويعجز الدهاقين (أى النبلاء أفرس الذين كانوا يملكون تلك الارض) عن سد عظمها فأتسعت البطيحة وعرضت » .

والاخبار المارة الذكر عن تكوّن البطيحة الكبرى وإشارة ابن رسته الى هذه الحلقة من آخر عهد الساسانيين ، تبين أول تحول كبير لدجلة من مجراه الشرقى ، فيما وراء ماذرايا ، الى مجراه الغربى (أى شط الحى)^(١) . ثم أن دجلة « خرقت الارض حتى مرت بين يدي واسط قبل أن تكون واسط » . فلما تحولت دجلة على ما ذكر ابن رسته - صارت الارضين المتاخمة للمجرى الشرقى القديم صحارى ومفاوز ، وقد كانت على هذه الحال فى المئة الثالثة (التاسعة) حين كتب كتابه . ثم وصف ابن رسته ما بقى من دجلة - وكان طوله ستة فراسخ (فوق القرنة) - الصاعد شمالا الى عبدسى والمذار حيث سكرت دجلة^(٢) . وواضح أن هذا النهر هو أسافل مجرى دجلة الشرقى القديم والحديث . وقال ابن رسته ان هذا السكر ، وقد كان فى أيامه يعرقل الملاحة فيما فوق هذا الموضع ، لم يكن موجودا فى أيام الساسانيين . فكانت السفن تجرى الى شمال عبدسى والمذار حتى ملتقا بدجلة (أى دجلة أيامه) ثانية فى كورة فى شمال واسط (فى ماذرايا) حتى تأتى المدائن ، فلا عائق فى النهر يحول دون سير السفن . ثم يوالى ابن رسته قوله : « فكانت سفن البحر قبل الاسلام تجرى من بلاد الهند ، فتدخل دجلة البصرة (أى فيض دجلة) حتى تأتى المدائن (طيسفون) فتمر حتى تخرج فوق قم

(١) سبب لنا القول ان دجلة تحول مجراه الى ما يعرف اليوم بالدجلة لا الى شط الحى أى الغراف وهو غير الدجلة (م) .

(٢) قال ابن رسته فى ذلك ما يأتى . « ثم ان دجلة هذه التى هى اليوم سكرت من عند الخيزرانية ليعود الماء الى دجلة العوراء وينفذ الى المذار فيصير الى نقيبة دجلة العوراء ، فخرقت وانفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فاعياه ذلك وجرت دجلة فى موضعها الذى هو اليوم بين يدي واسط ، فصارت البطائح هذه التى تكون اليوم فاعورت دجلة من ذلك الموضع المكسور الى مذار وبطلت تلك البطائح التى كانت بجوفى نقي من دجلة دجلة العوراء من المذار الى بحر الهند وذلك فى مقدار ثلاثين فرسسخا . وهى دجلة البصرة ، واليه ينتهى مد البحر ومنه يجر اذا رجع الماء الى البحر » (الاعلاق النفيسة . ص ٩٥) (م) .

الصلح فتصير الى دجلة (أى موضع دجلة السفلى فى الازمنة المتأخرة) بغداد .
فأسفل دجلة الحالى ، ينساب فى المجرى الاصلى الذى كان يتبعه بوجه عام
فى أيام الساسانيين . ولكنه كان طوال العصر العباسى ، ينحدر الى البطيحة فى
مجرى الغربى المار بواسط . ولسائل أن يسأل : متى تحول النهر ثانية الى مجرى
الشرقى الحالى ؟ والجواب عن هذا ، ان التحول حصل ولا شك تدريجاً من ترسب
الطمي فى المجرى الغربى . ومهما يكن من أمر فإن مراجعنا الاسلامية حتى عهد
تيمور وبدا المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أجمعت على أن دجلة الاسفل كان ما
زال يمر بواسط . وقد أيد حافظ ابرو هذا الامر ، حين كتب فى سنة ٨٢٠
(١٤١٧ م) . وفى طليعة الرحالين الذين نوهوا بالفرع الشرقى وذكروا أنه
نهر صالح لسير السفن هو جون نيوبرى (John Newberie) فإنه بعد أن
زار بغداد أقنع فى سنة ١٥٨١ م بسفينة الى البصرة فلبثها فى ستة أيام ، وكان قد
مر فى اليوم الخامس بالقرنة ، فقال انها « قلعة تقوم عند ملتقى نهر فرّو (الفرات)
بنهر بغداد (دجلة) » . وفى القرن الذى يليه انحدر تافرنيه الفرنسى برحلة فى
دجلة كسلفه . فقد غادر بغداد فى شباط سنة ١٦٥٢ م . وذكر أنه على مسافة
غير قليلة أسفل من هذه المدينة ، يتفرع دجلة الى فرعين ، كان الفرع الغربى
(وهو المار بواسط) فى أيامه قد أصبح غير صالح لسير السفن ، وكان يجرى فى
ناحية ما بين النهرين - على حد قوله - فاتبع الرحالة الفرنسى فى سفينته النهر
الشرقى الحالى الذى كان يجرى فى ناحية « كلدية القديمة » بعد مغادرته (كوت)
العمارة . وقبل وصوله البصرة بشىء يسير مر بالقرنة فقال : ان دجلة والفرات
يلتقيان هناك ^(١) وبعد نشوء البطيحة العظمى وما تلا ذلك من تدل فى مجرى الفرات

(١) السلادى ٢٩٢ ؛ ابن رسته ٩٤ ؛ ياقوت ١ ٦٦٩ . وفى سنة ١٥٨٣ م ، انحدر جون
الدرد John Eldred فى النهر من بغداد الى البصرة ووصف كيف « يلتقى قبل بلوغ البصرة
بنهر يوم - نهر دجلة والفرات وتقوم هناك قلعة يقال لها القرنة » (انظر رحلته فى
Hakluyt's Principle Navigations (Glasgow, 1904 Vol. VI, p. 6)
وانظر ايضا Vol. V., p. 371 فعلم ان سيزار فردريك Caesar Fredrick قد قام بما يشبه
هذه الرحلة فى سنة ١٥٦٣ م وذكر بمثل ذلك قلعة القرنة . وانظر عن رحلة جون نيوبرى
Purchas, His Pilgrimes (Fol. 1625-1626) Vol. 5, p. 1411-1412)
وانظر Six Voyages en Turquie de J-B. Tavernier (Utrecht, 1712, 1, 240).
اما الرسالون الآخرون فلم يأتوا بأخبار وافية . ويظهر ان القدم من ذكر صلاح فرع دجلة الغربى

- ٤٧ -

ودجلة أهم ما يلفت النظر للحالة الطبيعية لأرض ما بين النهرين السفلى في أيام الخلافة . ولا يقل عن ذلك شأننا ما كان عليه نظام الري الذي ورثه العرب بعد الفتح بانتقال البلاد اليهم من الفرس . وبوجيز القول نجد أن العراق جميعا ، مما كان في شمال البطيحة وواقعا بين النهرين ، كانت تشقه على ما قد بينا ، أنهار تلو انهار ، تأخذ من الفرات وتجه نحو الشرق فتصب في دجلة . بينما كان في شرق دجلة ، نهر طوله مئتا ميل يعرف بالنهروان^(١) يبدأ أسفل من تكريت^(٢) وينتهي في دجلة على نحو من خمسين ميلا من شمال واسط وكان بروي ما في الجانب الابعد من دجلة ، أى ما تاخم ابران . وسنبسط القول في هذا النظام المائى العظيم في موضعه من الكتاب . على أننا ان ألقينا نظرة الى الخارطة المرفقة بالموضوع بالاستناد الى ما كتبه المؤلفون المعاصرون ، بان لنا أن مرجع حصب العراق العجيب في أيام العباسيين كان نظامهم الدقيق في استغلال مصادر المياه كل الاستغلال . فبينما كانت الاراضى الممتدة بين الفرات ودجلة تكاد تسقيها كلها الانهار الآخذة من الفرات الى ناحية الشرق ، كانت الاراضى التى فى يسار دجلة وأمام سفوح الجبال الايرانية ، تسقيها أنهار تأخذ من النهروان . فقد كانت توزع مياه دجلة الفائضة على الاراضى الشرقية توزيعا فنيا اقتصاديا ، وتجري مياه فيضان الانهار الكثيرة المتحدرة من جبال كردستان .

(اى المائى) لسير السمن ، الرحالة البرتغالى المجهول ، ونسخة رحله المخطوطة لدى ميجر م . هيوم (انظر The Athenaeum عدد ٢٣ الصادر فى آذار ١٩٠١ ص ٣٧٣) وقد بوه فيها بالقلمة (برند الفرنل) وهى على سنة تراسج فوق البصرة حيث يفتقر الفرات بدجلة . وبؤخذ مما حاء فى كلامه ، انه قام برحله فى نحو سنة ١٥٥٥ م - وصوفوه القول ان دجلة على ما بطهر ، كان منذ صدر الاسلام حتى نهاية المئة التاسعة للهجرة ، يجرى فى العرع الغربى منحدرًا الى البطيحة . ثم انه فى اوائل القرن السادس عشر للملاد ، عاد ثانية الى محراء الشرقى حيث كان يجرى فى مصر الساساني قبل ظهور الاسلام وهو مجراء فى ايامنا .

(١) الظاهران المؤلف يمدد العاطول الكسرى نسا من النهروان ، وهذا مخالفًا لذكره البلدانويون كياموت وغيره . (م)

(٢) تقوم تكريت فى غربى دجلة . و مراد المؤلف ان النهروان يخرج من اسفل تكريت فى الجانب الشرقى (م) .

وقد عُتيت في أحد تأليفى السابقة ، بوصف خطط بغداد^(١) وغاية ما تتوخاه الآن هو أن نلخص أهم الاخبار عن هذه المدينة اظهارة المتزلة العاصمة العباسية بين مدن العراق وابضاحا لنظام الطرق (وقد نوهنا به فى الفصل الاول) الذى كانت بغداد مركزه .

فأول الانهار الكبيرة التى كانت تحمل من الفرات الى دجلة ، نهر عيسى^(٢) . وفى نحو سنة ١٤٥ (٧٦٢) ابتنى المنصور فوق مصب نهر عيسى فى دجلة المدينة المدورة وهى نواة مدينة بغداد . وكان للمدينة المدورة أربعة أبواب متساوية الابعاد بعضها عن بعض ، بين الباب والباب ميل عربى . ويخرج من كل باب طريق . ثم نشأت مع الايام أرباض واسعة على هذه الطرق الاربعة . ولم يمض وقت طويل عليها حتى اندمجت فى نطاق المدينة وقام منها مدينة بغداد الكبرى . وكانت أبواب المدينة المدورة الاربعة :

- (١) باب البصرة فى الجنوب الشرقى ، وهو يفضى الى الارباض المنددة على ضفة دجلة حيث تصب فروع نهر عيسى المختلفة .
- (٢) باب الكوفة فى الجنوب الغربى من بغداد ، ويخرج منه طريق الى الجنوب وهو طريق الحج الى مكة .
- (٣) باب الشام فى الشمال الغربى ، حث ينفرع الطريق يسارا الى الانبار على الفرات ويمينا الى المدن الواقعة على ضفة دجلة الغربية شمال بغداد .
- (٤) باب خراسان المؤدى الى الجسر الكبير لمن أراد عبور النهر . وهذا الجسر كان يفضى الى بغداد الشرقية ، وهى التى عرفت بـسـكـر المهدى أولا ، والمهدى هو ابن المنصور وخليفته . وقد بنى المهدى هاهنا قصره ، وأنشأ أيضا المسجد الجامع فى بغداد الشرقية .

(١) انظر (بغداد فى عهد الخلافة العباسية) اكسفورد ١٩٠٠ . وينبى ان يلاحظ ان عدد كور العراق وعدنه وقراء التى انهمت اليها اخبارها كبير جدا ، ونحتاج الى المحل للذكر كل ما عرف عن هذا الاقليم الذى كان قلب الدولة العباسية . والخارطة التى وضعتها لائن سراييون JRAS, 1895, p. 32. تبين جميع المواضع التى على النهر والترح . الا ان هذه الخارطة لم تستوعبها جميعا . وللوسع ينبى للقارىء ان يرجع الى كتاب البروفسور م. شتوك الموسوم : Die Alte Landschaft Babylonien (Leyden, 1901) فالمجال يفتق عن ذكرها كلها فى هذا الفصل .

(٢) أطلق العرب لفظة « نهر » على ما كان لهما طبيعيا أو صناعيا . و « عيسى » اسم الامير العباس الذى شق هذا النهر .

- ٤٩ -

وكان فى الجانب الشرقى ثلاث محلات : المحلة التى بالقرب من رأس الجسر ، وقد عرفت بالرصافة • ومحلة الشماسية فوقها على النهر • ومحلة المخرم تحتها • وكان يطيف بهذه المحلات الثلاث من بغداد الشرقية سور نصف دائرى يبدأ من ضفة النهر فوق الشماسية وينتهى بالنهر أيضا تحت المخرم • وكان يخترق القسم الوسطى الضيق من بغداد الشرقية ، أول طريق خراسان الذى يبدأ من باب خراسان فى المدينة المدورة ، ويعبر الجسر الكبير الى باب خراسان (الثانى) فى بغداد الشرقية • ومنه - على ما بينا فى الفصل السابق - يتابع سيره شرقا حتى يبلغ أقاصى ديار الاسلام •

وكان يخرج من باب الكوفة فى المدينة المدورة ، طريق الكوفة ، أى طريق الحج - على ما بينا - فيتجه جنوبا • وكان الرض العظيم الممتد من هذا الباب الى نحو فرسخ من أسوار المدينة المدورة يعرف بالكرخ • وفى غربى المدينة المدورة روض باب المحول ، وكان الوصول اليه من باب الكوفة وباب الشام • وفيه مجتمع الطرق التى تتصل بالطريق الغربى الكبير الذاهب الى الانبار مارا ببلدة المحول • وكان فى شمال باب الشام محلة الحربية (تناظر الكرخ فى جنوب المدينة المدورة) • وكانت المقابر الشمالية فى بغداد الغربية فيما وراء محلة الحربية ، يكتنف دجلة جانين منها • وعرفت هذه المقابر بعدئذ بالكاظمين وسميت بذلك نسبة الى ضريحى امامين من أئمة الشيعة^(١) •

ومدينة بغداد ، تتوسط اربعة طساسيج : كل طسوجين منها فى جانب من دجلة وفى الجانب الغربى طسوج قطربل فى شمال نهر عيسى ، وطسوج بادوريا فى جنوبه • وفى الجانب الشرقى طسوج نهر بوق وهو فى شمال طريق خراسان ، وطسوج كلواذى فى الجنوب • وكانت بلدة كلواذى قائمة على ضفة دجلة على

(١) والكاظمية اليوم احدى المدن المقدسة فى العراق لدى الشيعة ، على بعد خمسة كيلومترات عن شمال بغداد وهى اليوم مركز قضاء الكاظمية التابع للواء بغداد وانامت فى موضع مقبرة قريش الكبرى • وقد دفن فيها الامام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم فى سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩) لنسبت اليه لقب لها الكاظمية • ولما مات حفيده الامام محمد بن على الملقب بالجواد فى سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥) دلف الى جواره • فبنى شيعتهما عمارة حول القبرين ثم وسعوا فيها فصارت المشهد الكاظمى (م) •

شيء يسير تحت أقصى ابواب بغداد الشرقية الى الجنوب^(١) . ويخرج من بغداد ،
وهي المركز الذي تتفرع منه طرق الدولة جميعها ، طريقان - على ما ذكرنا -
يذهب احدهما الى الجنوب والآخر الى الغرب ، وكانا ينفصلان عند باب الكوفة في
المدينة المدورة . وطريقان يذهبان الى الشمال والى الشرق يخترقان بغداد الشرقية
ويبدأن من منتهى الجسر الكبير . فالطريق الجنوبي وهو الذهاب الى الكوفة (ومكة)
كان بعد ان يغادر ربض الكرخ ، يصل الى بلدة صرصر وهي على نهر صرصر
ثاني الانهار الكبيرة الآخذة من الفرات الى دجلة ، ويجرى بموازاة نهر عيسى
في جنوبه . ويبدأ الطريق الغربي ، أى طريق الانبار ، من باب الكوفة فيخترق
ربض براثا ، وبعد نحو فرسخ يصل الى بلدة المحوّل على نهر عيسى . والطريق
الشرقي ، أى طريق خراسان ، يترك بغداد الشرقية ، على ما بينا الآن ، عند
باب خراسان شمال محلة المخرم . واول مدينة يبلغها : جسر النهروان وعندها
معبّر النهر العظيم : النهروان . وآخر الطرق : الطريق الشمالي ، وكان يخترق
محلة الشماسية فباب البردان في بغداد الشرقية ، وما يتم ان يصل الى بلدة البردان
وهي على ضفة دجلة الشرقية . ثم يتابع سيره يسار النهر فيبلغ سامراء ومدن ما بين
النهرين الشمالي (اقليم الجزيرة) .

وفي غضون القرون الخمسة التي عاشت فيها الخلافة العباسية ، تغيرت خطط
بغداد وارياضها تغيرا كبيرا ، لاتساع المدينة من جهة وخراب بعض اقسامها من
جهة اخرى . وما صورناه في الفقرات السابقة ان هو الا صورة المدينة على ما
كانت عليه في خلافة هرون الرشيد . وكانت الحروب الداخلية التي نشبت بعد
وفاته ، قد اوقعت الخراب في المدينة المدورة . وفي سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، نقل مقام
الخلافة الى سامراء فضوّل شأن بغداد في عهد سبعة من الخلفاء ، وامست مدينة
اقليم لا غير . ولما هجرت سامراء سنة ٢٧٩ (٨٩٢) وعاد الخليفة الى العاصمة

(١) كان يحيط بالجانب الشرقي من بغداد ، سور عظيم بكتنفه خندق وفي السور اربعة ابواب -
الباب الشمالي « باب السلطان » وهو باب المعظم الآن - ويليهِ « باب الطغرية » (الباب الوسطاني
الحالي وفيه اليوم متحف الاسلحة) - ويليهِ باب الحلبة (باب الطلسم وقد نسف الاثراك سنة ١٩١٧
حتى خرجهم من بغداد) اما أقصى الابواب جنوبا فهو باب كلواذى وعرف ايضا بباب البصلية لقربه من
الحلبة التي بهذا الاسم وسعى الى الازمنة الحديثة بالباب الشرقي . وقد تقضى قبل سنوات (م) .

القديمة ، كانت بغداد الشرقية ، وقد استجد فيها الكثير من القصور ، قد خلفت
مجد المدينة المدورة التي ازدادت خراباً على خراب . وأقام الخلفاء في الجانب
الشرقي خلال القرون الاربعة التالية حتى الفتح المغولي دون ان يتحولوا عنه .

وقد ابتنى الخلفاء في اواخر العصر العباسي قصورهم هذه في جنوب المخرم .
والمخرم سفلى المحلات الثلاث التي في داخل اسوار بغداد الشرقية على ما كانت
عليه في ايام هرون الرشيد . وكانت هذه المحلات الثلاث في الزمن الذي تتكلم
عليه ، قد استولى عليها الخراب ، الا انه ما عثم ان نشأ حول القصور المحدثه
ارباباً جديدة ، ما كاد يمضي عليها وقت طويل حتى احيطت هي ايضا بسور عظيم
نصف دائري . وقد كان سور بغداد الشرقية الجديد يضم قسماً من محلة المخرم
التيقة ، وبدؤه من ضفة النهر فوق القصور ، واتهأؤه في ضفة النهر تحتها
(أى انه يصاقب طسوج كلواذى) . وكان المستظهر^(١) قد بنى السور في سنة
٤٨٨ (١٠٩٥) ثم رُمّ غير مرة . الا انه في سنة ٦٥٦ (١٢٥٨) لم يقو على صد
هجوم المغول فاتتهى الامر بسقوط الخلافة العباسية . ومازال هذا السور المتشعث
قائماً حتى اليوم يحتضن ما تبقى من مدينة الخلفاء ، ويحمي بغداد الحديثة عاصمة
العراق اليوم مثلما كانت بالامس ومقام واليها التركي^(٢) .

وعلى سبعة فراسخ اسفل من بغداد : المدائن ، على جانبي دجلة . والمدائن

(١) التحقيق انه شرع في بناء السور على عهد الخليفة المستظهر بالله وبنيت منه مئة قامة ،
ولكنه يد ما شيده المسترشد بالله سنة ٥١٧ . راجع المنتظم ٩ : ٢٤٣ ومقاب بغداد ص ١٧
(الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) زالت اليوم معالم هذا السور ولم يبق منه سوى باب واحد يقال له الآن « الباب الوسطاني »
وهو باب الظفرية قديماً . وقد رمت دائرة الآثار العراقية هذا الباب واتخذت منه متحفاً للأسلحة
القديمة . اما بغداد فانها بعد اعلان استقلال العراق سنة ١٩٢١م صارت عاصمة المملكة العراقية
الجديدة ، واتسعت عمارتها في السلوات الاخيرة ، نامتدت خارج حدود اسوارها القديمة مسافة بعيدة .
فاتصلت المبانيات من جهة باب المعظم حتى بلغت الاعظمية فالصليخ ، اى انها شملت ما كان يعرف قديماً
بمحلة المخرم وسوق العطش ومحلة الرصافة والساسية . ومن الجنوب اتصلت من الباب الشرقي حتى
الزوية والسبعة قصور وامتدت شرقاً الى بغداد الجديدة اى انها شملت ما كان يعرف قديماً بطسوج
كلواذى اما في الجانب الغربى ، وقد كانت الى سنوات قليلة تقتصر على ما كان يعرف بمحلة الكرخ ،
فقد امتدت المباني حوله الى الكاظمية شمالاً وكراة مريم جنوباً والحارثية ونهر الخر غرباً . اى شملت
ما كان يعرف قديماً بمدينة المنصور المدورة وما حولها من محال وقنصا من طسوجى بادوربا وقطربل .
فاصبح طول بغداد اليوم من اقصى شمالها الى اقصى جنوبها نحو من عشرين كيلومتراً . فلم تبلغ
بغداد لى أى عصر من عصورها ما بلغته اليوم من سعة وعمران (م) .

هو الاسم الذى اطلقه العرب على اطلال العاصمين التوأمين : قطيسفون وسلوقية التى اسسها السلوقيون الاولون قبل الميلاد بثلاثة قرون . وسلوقية ، وهى فى الجانب الغربى ، قد سميت باسم سلوقس نطور . اما « قطيسفون » ، وقد اختصر العرب اسمها فقالوا طيسفون ، فلا يعرف اصل اشتقاقه . وهو وان بدا اغريقياً ، فقد يكون تصحيفاً لاسم المدينة الفارسية القديم ، اذ لسنا نعلم ما كان يسمى به الساسانيون عاصمة دولتهم هذه^(١) وفى سنة ٥٤٠ للميلاد ، استولى انوشروان العادل على انطاكية الشام وسلوقية نهر الكلب ، واجلى اهل سلوقية هذه الى عاصمته طيسفون على عادة ملوك الفرس ، فانزلهم فيها فى ربض جديد فى جانب دجلة الشرقى ، أى بازاء موضع سلوقية العراق . وكان هذا الربض باقياً حين فتح العرب العراق بعد ذلك بقرن . وكان ما زال يعرف بـ « رومية » أى المدينة الرومية « اليونانية » وقد ذكر بعضهم انها بنيت على غرار انطاكية .

وكانت المدائن على ما ذكر المصنفون المسلمون تتألف من سبع مدن ذات اسماء معروفة على اختلاف فى قراءتها . والظاهر ان خمسا من هذه المدن فقط كانت قائمة عامرة حينما كتب اليعقوبى فى المئة الثالثة (التاسعة) ، وهى : المدينة العتيقة أى طيسفون . وعلى مبل من جنوبها اسبابر . وبجوارها رومية وهذه المدن فى الجانب الشرقى . وفى الجانب الآخر من دجلة كانت بهرسير وهى « تصحيف » به - اردشير - (أى بلدة الملك اردشير الطيبة) - وعلى فرسخ من اسفلها : ساباط ، وكان الفرس على ما ذكر ياقوت يسمونها بلاس أباذ .

والقصر الساسانى الفخم الذى مازالت بقاياه قائمة فى الجانب الشرقى من

(١) من الآراء المقبولة فى هذا الصدد ان قطيسفون تطابق كسفا الوارد ذكرها فى سمر عزرا (٨ : ١٧) بانها بنى بابل والقدس وقد ترجمت فى الترجمة السبعينية للتوراة بـ « المدينة اللغزية » اما المدائن فهى صيغة الجمع بالعربية للفظ « المدينة » . و « كسفا » صيغة كلدانية للاسم الفارسى المقوود فى وقتنا لعاصمة الاكاسرة . اه -

قلنا: وللعالم الاثرى هرتسفيلد رأى فى اسمها ذكره فى كتابه Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra, p. 29-32 وهذه خلاصته : اسمها الماذى القديم كسبيا أو كسبيانام (أى حصن القرنيين وهم قوم سكنوا فى شمال ايران وبنهم عرف بحر فردين) ويلفظ بالآرامية « كسفون » . وعرفه اليونان بصورة « كنيسفون » . وصارت منذ نحو سنة ١٥٠ ق.م مقراً للفرنيين . وعسكر بوليبيوس فى كنيسفون سنة ٢٢ ق.م . ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شتائية لدولتهم ، وعرفت فى التلموذ الارامى باسم (ماحوزى) ومعناها المدائن . ومن بقاياها المشاهدة اليوم طاق كسرى (م) .

دجلة ، سماء العرب : ايوان كسرى • وكان هذا الايوان ، على ما جاء فى اليعقوبى يقوم فى اسبانيبر • وهناك بناء فخم آخر يعرف بالقصر الابيض ، كان يرى فى المدينة العتيقة على ميل من شمالها • الا ان هذا الاخير قد اندرس وعفت آثاره منذ ابتداء المئة الرابعة (العاشرة) • فان جميع المصنفين المتأخرين ، اطلقوا اسم « القصر الابيض » و « ايوان كسرى » دون تفريق على البناء المعقود الكبير وهو الاثر الوحيد القائم حتى اليوم فى هذا الموضع من أبنية الملوك الساسانيين • وقد كاد هذا البناء بمحق عن آخره فى اواسط المئة الثانية (الثامنة) حين كان المنصور يبنى بغداد • فان هذا الخليفة امر بنقض القصر الساسانى واستعمال آجره فى بناء مدينته الجديدة ، وحاول وزيره الفارسى ، خالد الرمكى ، دون جدوى ، اقناعه بالعدول عن نقضه ، فقد اصر الخليفة على ذلك ولكن الوزير تحقق رأيه حين بدىء بالنقض وتبين ان ذلك يكلف اكثر من صنع الآجر الجديد للبناء • فترك ايوان كسرى ، على ما سماء به ياقوت ، قائما فى مكانه • وبعد ذلك بزمن نقل شىء كثير من آجره لبناء اسوار « قصر التاج » الجديد فى بغداد الشرقية • وقد فرغ الخليفة علي المكتفى من بنائه فى سنة ٢٩٠ (٩٠٣) •

والمدائن ، وقد عمها الحراب اليوم ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) بلدة صغيرة أهلة ذات مسجد جامع عامر بنى فى زمن الفتح الاسلامى • وبالقرب منه ضريح سلمان الفارسى^(١) من اشهر صحابة النبى محمد • وكانت اسواق المدائن من الآجر ، عامرة • وقد عقد الخليفة المنصور مجلسه حينما من الزمن فى رومية المجاورة لها • كما اقام المأمون ايضا فى ساباط ، وهى فى الجانب الثانى من النهر • وكانت فخامة قصر الاكاسرة العتيق وروعته موضوعا تحدث به البلدانون العرب وافاضوا فى الكلام عليه • فقد ذكر اليعقوبى ان علو قمة الطاق عن الارض ثمانون ذراعا • و اشار ياقوت الى عظم آجره : فطول كل آجرة نحو ذراع فى عرض اقل من شبر^(٢) • وروى المستوفى ، وقد سرد حديثا خرافيا عن المدائن وقصرها ،

(١) وحول هذا الجامع اليوم بلدة صغيرة تسمى « سلمان باك » مركز ناحية بهذا الاسم فى لواء بغداد (م) •

(٢) يعد هذا الطاق ، اعرض طاق لى العالم معقود بالآجر دون استعمال السنت فى تقويته • عرضه خمسة وعشرون مترا وبض المتر ، وعلوه عن مستوى التبليط سبعة وثلاثون مترا (م) •

ان فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) صارت المدائن ورومية خرابا يابلوان بقيت القرى التى بازائها فى الجانب الغربى آهلة • وكان من اعمر تلك القرى على قوله بهرسير ، وقد مر ذكرها ، سماها ياقوت حين زارها : الرومقان • والى جنوبها : زديران ، وهى على مرحلة فى طريق الحاج ، وفى غربها صرصر ، وقد مر ذكرها . وهى على نهر صرصر وهو يصب فى دجلة على شئ يسير فوق المدائن • والطسوج الذى حول المدائن المتمد شرقا من دجلة الى النهروان ، كان يعرف بالراذان (الاعلى والاسفل) • وقد سرد ياقوت اسماء قرى عديدة فيه ، واطرى المستوفى وفرة غلاته^(١) •

ودير العاقول (أى عقلة « النهر » وعوجنه) ، ما زالت الخارطة الحديثة تشير اليه ، وهو فى الجانب الشرقى على عشرة فراسخ اسفل المدائن • واسمه يدل على شكل مجرى دجلة فى هذا الموضع • وقد كان ديرا للنصارى حوله مدينة كبيرة كانت من اجل مدن طسوج النهروان الاوسط • وكان فى المدينة مسجد جامع^(٢) لا يبعد كثيرا عن السوق • وذكر ابن رسته فى نهاية المثة الثالثة (التاسعة) المأصر على دجلة فى هذا الموضع « وبها اصحاب السيارة والمأصر من قبل السلطان » • قال : « والمأصر ان تشد سفينتان من احد جانبي دجلة وسفینتان من الجانب الآخر ، وتشد السفن على شطين ثم تؤخذ قلوب (جبال) على عرض دجلة وتشد رؤوسها الى السفن لثلا تجوز السفن بالليل » • وذكر المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ان « ليس على دجلة من نحو واسط مدينة اجل من دير العاقول ، كبيرة عامرة آهلة » • ثم ان دجلة حول معجراه • فذكر ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة)

(١) البقوى ٣٢٠ و ٣٢١ ، ابن سريون ٩ ، ابن حوقل ١٦٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ياقوت ١ : ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٧٦٨ و ٨٠٩ ، ٢ : ٧٢٩ و ٩٢٩ ، ٣ : ٣ ، المستوفى ١٣٩ و ١٤٠ •

(٢) (فى اول هذه الحاشية كلام للمؤلف فيما حرى عليه فى ترجمة لفظة « الجامع » الى الانكليزية ثم قال) : للمسلمين نوعان من المساجد : الاول ما كان صغيرا ويسرى بـ « المسجد » وفيه يصلى الناس أى وقت ارادوا ، والمسجد نظير « المقام » و « المشهد » • و « المصل » تقام فيه الصلاة بوجه خاص فى الاعياد الكبيرة • والثانى المسجد الجامع وفيه تقام صلاة الجمعة وتلقى « الخطبة » وهو بترجم فى الغالب بالانكليزية بلفظة « كندرائية » ويقاس كبر المدينة او القرية بما فيها من جوامع او منابر • وهذا ما جرى عليه غالبا البلدان يون العرب لدى وضعهم المدن • فالاصطخرى مثلا سرد ثبنا طويلا لمواضع فى فارس منها ما كان ذا منبر ومنها ما ليس كذلك • وهذا يشبه ما يقال من ان فى القرية الفلالية فى بلد نصرانى كنيسة اسقفية • وقد تبدلت تسمية المسجد الجامع فى الازمنة المتأخرة الى مسجد الجمعة على ان هذه التسمية لم تعرف فى صدر الاسلام •

ان دير العاقول كان على شاطئ دجلة ، فاما الآن فينه وبين دجلة مقدار ميل ، وهو بمفرده في وسط البرية . على ان المستوفى بعد ياقوت بقرن كان يعد دير العاقول مدينة كبيرة ذات هواء رطب لتوسطها بساتين النخيل .

وفي الضفة الشرقية ايضا على ثلاثة فراسخ فوق دير العاقول ، بلدة السيب الصغيرة ، وسميت بسبب بنى قوما تفريقا لها عن غيرها . وكانت تكثر فيها بساتين الزيتون ، واشتهر امرها في التاريخ بالوقعة التي جرت فيها سنة ٢٦٢ (٨٧٦) حين تغلبت جيوش الخليفة المعتمد على يعقوب الصفار . وعلى بعد قليل اسفل من دير العاقول ، دير ماري الملقب بالسليح ، ويعرف أيضا بدير قنّى أو (قنه) ، وهو في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ، على ستة عشر فرسخا من بغداد . وصفه الشابشتي^(١) المؤرخ في المئة الرابعة (العاشرة) ، (وعنه نقل ياقوت) ، بانه « دير عظيم شبيه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء ، وفيه مئة قلابة لرهبانه ، وهم يتابعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار (٥٠٠-١٠٠٠ باون) . وحول كل قلابة بستان ، وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً (١٠٠-٢٥ باونا) وفي وسطه نهر جار » .

وبالقرب من دير قنّى على نهر دجلة : الصافية . وهي بلدة قال ياقوت انها كانت في ايامه خرابا ، وبازائها في الجانب الغربى : همانية (أو همينيا) ومازالت ترى في الحارطة الحديثة وهي على فرسخين جنوب شرقى دير العاقول . وفي بدء المئة الثالثة (التاسعة) كانت همانية بلدة قليلة الشأن ، وبعد وفاة الخليفة الامين حजर فيها المأمون حيناً من الزمن : ابنى الامين وامه زبيدة ارملة هرون الرشيد^(٢) . ووصف ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) همانية بقوله : انها قرية كبيرة

(١) راجع كتاب الديارات للشابشتي ، وقد عني بتحقيقه ونشره احدا كوركيس عواد (بغداد

١٩٥١ ص ١٧١) (م) .

(٢) قال الطبري في حوادث سنة ١٩٨ هـ « امر (المأمون) بتحويل زبيدة وموسى وعبدالله ابى محمد (الامين) معها من قصر ابي جعفر الى قصر الخلد ، محولوا ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول ثم مضى بهم من ليلتهم في حراقة الى همينيا (وهي همانية) على الجانب الغربى من الزاب الاعلى . ثم امر بحمل موسى وعبدالله الى عليهما بخراسان ، (م) .

حولها مزارع (١) حسنة (٢) .

وعلى اربعة فراسخ جنوب شرقى دير العاقسول ، جرجرايا أو جرجراى ومازالت باقية (٣) . ووصفها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها « بلدة عظيمة ، الجامع بقرب الساحل عامر ، ولهم ماء يدور حول قطعة من المدينة » . وذكر يعقوبى ، وقد سبقه بقرن ، انها « ديار اشراف الفرس ، وهى مدينة النهروان الاسفل » . وكانت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، على ما جاء فى ياقوت ، قد « خربت مع ما خرب من النهروانات » . وفى جانب دجلة الغربى ، على اربعة فراسخ اسفل من جرجرايا ، حيث الخرائب المعروفة اليوم بتل نعمان ، تقوم بلدة النعمانية ، وقد ذكر ياقوت انها « ببلدة بين واسط وبغداد فى نصف الطريق » وهى مدينة الزاب الاعلى ومسجدها الجامع فى السوق وزاد يعقوبى على ذلك ان فى مدينة النعمانية دير هزقل ، وفيه يعالج المجانين . واشتهرت النعمانية ، على ما ذكر ابن رسته ، لان « بها تتخذ الطنافس الحرير » . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفى النعمانية انها بلدة زاهرة حولها بساتين النخيل (٤) . وكانت جبل بليدة فى الجانب الشرقى على تسعة فراسخ اسفل من جرجرايا . وذكر ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) ان بها « دار طبيخ للسلطان » وهى مدينة كبيرة وبها مسجد جامع فى السوق . وقال المقدسى ان جبل تلى دير

(١) قال ياقوت : انها « فى وسط البرية ليس بقربها شئ من العمارات » (معجم البلدان ٤ : ٩٨٠) . حازال يرى على يسار مجرى دجلة الحال على مقربة من جنوب العزيزية مجموعة من التلوت تعرف حتى اليوم بخرائب هائلة يبلغ محيطها نحو ٣ كيلومترات وارتفاعها نحو عشرة امتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية سنة ١٩٤٢ اطلالها وآثارها السطحية فوجدت انها ترقى الى الزمن الساسانى والاسلامى . ويلاحظ ان هضبة القديسة كانت على يمين دجلة اما الحالية فقد صارت فى الجانب الاخر لتبدل مجرى دجلة ومازال يرى عيين المجرى القديم فى الجانب الغربى (م) .

(٢) ابن رسته ١٨٥ و ١٨٦ ، يعقوبى ٣٢١ ، قدامة ١٩٣ ، المقدسى ١٢٢ ، المسعودى : التنبيه ١٤٩ ، ياقوت ٢ : ٦٧٦ و ٦٨٧ ، ٣ : ٣٦٢ ، ٤ : ٩٨٠ ، المستوفى ١٣٩ ، ابن الاثير ٦ : ٢٠٧ .

(٣) عين فيلكس جونز فى خارطته المسلوقة « القاطول الكسروى والنهروان » الملحق بكتابه ، موضع « جرجرايا » نجمله على صفة دجلة الشرقية عند صدر نهر الشاعورة الحديث (م) .

(٤) على نحو خمسة كيلومترات من شمال بلدة النعمانية الحالية قرب ضفة دجلة اليمنى ، تل نعمان . وهو تل واسع محيطه نحو كيلومتر وارتفاعه نحو ثمانية امتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية العامة آثاره السطحية سنة ١٩٣٧ فبان لها من ذلك ان ادوار سكناه ترقى الى العصر البابلى الحديث والفردى والاسلامى . والنعمانية الحديثة كانت تعرف الى وقت قريب باسم « البهيلة » بالتصغير لسميت بالنعمانية احياء لاسم المدينة القديمة التى كانت قائمة قربها (م) .

العاقول في الكبر • الا انها صارت في ايام ياقوت قرية كبيرة^(١) •

وكانت بلدة ماذرايا حيث تقوم اليوم كوت العمارة^(٢) عند مخرج نسط الحى من مجرى دجلة الشرقى وهو دجلة الحالى المنحدر اليوم باتجاه الجنوب الشرقى الى القرنة • وكانت ماذرايا فى ضفته الشرقية • وكان يسكنها فى المثة الثالثة (التاسعة) اشراق الفرس ، وعندها كان مصب النهران فى دجلة • ولى ماذرايا سفلاً : المبارك ، وهى بلدة بازاء نهر سابس الذى هو فى الجانب الغربى من دجلة وبلدة نهر سابس كانت عند فم النهر الذى بهذا الاسم • وسيتى الكلام على ذلك • وكانت هذه البلدة قصبة طسوج الزاب الاسفل ، وقيل انها كانت على خمسة فراسخ من جبل^(٣) وفى الضفة المقابلة ، على خمسة فراسخ باتجاه دار دجلة : نهر الصلح وبلدة فم الصلح عند فمه أى مخرجه • وكانت على سبعة فراسخ فوق واسط • وفم الصلح ، على ما جاء فى ابن رسته ، مدينة على شرقى دجلة • وبها مسجد جامع وأسواق • وقد اشتهر أمرها فى التاريخ الاسلامى بالقصر الفخم الذى أنشأ فيها الحسن بن سهل وزير المأمون • وفيه بنى المأمون بيوران ابته • فاتفق فى ذلك العرس على العطايا والهبات أموال جسام تفوق حدود التصديق ، على ما فصله المسعودى فى كتابه^(٤) • ثم خربت فم الصلح •

(١) تدامة ١٩٣ ، اليعقوبى ٣٢١ ، ابن رسته ١٨٦ ١٨٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ياقوت ٢ : ٢٣ و٥٤ ، ٤ : ٧٩٦ ، ابو الفداء ٣٠٥ ، المستوفى ١٤١ •

(٢) بلدة الكوت على يسار دجلة تبعد عن جنوب بغداد نحو ١٨٠ كيلومترا ، وهى اليوم مركز لواء باسها • وفى سنة ١٩٣٦ اقيم على دجلة عبدها « سدة الكوت » لضبط مياه دجلة ورفع منسوبها لسقى اراضى الجانب الغربى من دجلة • ومن المرجح ان موصفا باسم « الكوت » نفسا هناك فى اواخر المثة الثانية عشرة (اوائل المثة الثامنة عشرة للميلاد) •

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية ، ان « الكوت » كلمة عديدة معناها القلعة • وعرفت هذه البلدة بكوت العمارة • ثم تغير اسمها من كوت العمارة الى كوت الامارة فى رسميات الحكومة العثمانية فى المدة الواقعة بين سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ هـ (١٨٧٠-١٨٨١ م) • واهم سبب لقلب الاسم • قرب لفظ « العمارة » من « الامارة » ، ونزول « امارة ربيعة » فى الكوت قبل استعمال هذه التسمية الرسمية ، أى كوت الامارة ، فى السالنامات التركية التى كانت تصدرها الحكومة العثمانية عن احوال العراق • وفى كتاب « مباحث عراقية » (ص٢٦٤-٢٨٣) فصل طويل فى تاريخ قيام الكوت واسمها (م) • (٣) مازالت اطلال بلدة نهر سابس ، ترى فى الضفة الغربية من شط الدجيلية (وهو مجرى دجلة فى ايام العباسيين) • ويقال لها اليوم تل سابس على نحو ١٥ كيلومترا من غرب بلدة الكوت •

ورود فى مذكرات تحسين العسكري اسم تل سابس فى اخبار حصار الكوت فى الحرب العالمية الاولى (م) • (٤) ومن وصف هذا العرس من المؤلفين الاقدمين : الطبرى (٣ : ١٠٨٤-١٠٨١) ، الشاشتى (الديارات ص ١٠١-١٠٢) ، الثعالبي (حمار القلوب ص ١٣٠-١٣١) ، ابن خلكان (١ : ١٣٠-١٣٢) (م) •

- ٥٨ -

فلما زارها^(١) ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) وجد البلدة وما جاورها
من قرى على امتداد النهر خرابا الا قليلا^(٢) ومن بلدة فم الصلح كان المسجد
الجامع في واسط يرى في الأفق الجنوبي •

(١) لم نجد في رصف ياقوت لها انه قد زارها (م) •

(٢) اليعقوبى ٣٢١ ، قدامة ١٩٤ ، ابن رسته ١٨٧ ، ياقوت ٢ : ٣-٩ ، ٣ : ٩١٧ ، ٤ : ٣٨١ ،
المسعودى ٧ : ٦٥ •

الفصل الثالث

العراق

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة الموراء - البصرة وانهارها - الابلّة
وعبادان - دجلة فوق بغداد - البردان - طسوج دجيل -
عكبرا وحربى والقادسية •

سميت واسط واسطا ، لتوسطها بين الكوفة والبصرة والاهواز • فهى على
خمسین فرسخا من كل واحدة منها • وقد كانت اعظم مدن طسوج كسكر ، بل
كانت على ما ذكرنا احدى مدن العراق الكبرى الثلاث قبل بناء بغداد •
ابتنى الحجاج ، والى العراق المشهور فى أيام الخليفة عبد الملك الاموى ، مدينة
واسط فى نحو سنة ٨٤ هـ (٧٠٣) • وكانت واسط على جانبى دجلة ، بينهما جسر
سفن • لها جامعان ، فى كل جانب جامع • وذكر اليعقوبى ان الجانب الشرقى من
واسط كان مدينة قبل زمن الحجاج • والغلبة على سكان هذا الجانب ، حتى المثة
الثالثة (التاسعة) ، للعجم • وبنى الحجاج فى المدينة القريبة القصر الاخضر ويقال
له القبة الخضراء ، وهو المشهور بقبته العظيمة فقد كانت ترى من اعلاها قم الصلح ،
وهى على سبعة فراسخ فى شمالها • كانت ارض واسط وفيرة الخصب ، وبها قوام
مدينة السلام اذا أسنتت^(١) نواحيها أو عيبت^(٢) ، وكان خراجها فى العام ألف

(١) اسنتت بمعنى أصابها الجذب والقحط ، وعيبت أصابها عاعة (م) •

(٢) صورة الارض لابن حوقل (١ : ٢٣٩ طبعة كريمرز) (م) •

- ٦٠ -

ألف درهم (٤٠ ألف دينار) على ما ذكر ابن حوقل . وقد كان في واسط سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)^(١) . وروى المقدسي ، ان جامع الجانب الشرقي قد بناه الحجاج كذلك^(٢) ، وكانت أسواقها حسنة عامرة ، وقد جعل في طرفي الجسر موضعان تدخل فيهما السفن لتفريغ وسقها .

وبقيت واسط طوال عصور الخلافة من أشهر مدن العراق . ويظهر ان جانبها الشرقي كان اول ما اتابه الحراب منها . فالقزويني ، وكان قاضيا في واسط في النصف الاخير من المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، ذكر ان المدينة بمفردها في جانب دجلة الغربي . واشاد ابن بطوطة ، وكان فيها في اوائل المئة التالية ، بمبانيها الفخمة ، وقال ان فيها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمئة خلوّة ينزلها القادمون للتعليم . ونوه المستوفي ، وهو ممن عاصر ابن بطوطة ، بما حولها من بساتين النخيل الكثيفة التي ترطب هواها كثيرا . وفي نهاية المئة الثامنة للهجرة (الرابعة عشرة) ورد ذكر واسط غير مرة بكونها موضعا ذا شأن في حروب تيمور الذي أقام فيها حامية قوية . ولكن بعد ذلك بنحو قرن ، ابتعد مجرى دجلة عن واسط - على ما بنا في مطلع الفصل السابق - وتحول الى مجرى الشرقي المنحدر الى القرنة . فاستولى الحراب على سائر المدينة . فلما كتب الحاج خليفة في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، قال انها بمفردها في وسط البرية وان النهر قد كان مشهورا بقصبة الذي تتخذ منه الاقلام^(٣) .

(١) ما في ابن حوقل (١ : ٢٣٦) ستة آلاف درهم (م) .
(٢) هذا ما قاله المقدسي بصدد الجامع : « واسط ٥٥٥٠ ذات جابين وجامين ٥٥٥٠ جامع الحجاج وقبته في الغرب في طرف الاسواق بعيد عن الشط متشعبت عامر بالقرآن » (احسن التقاسيم - ص ١١٨) . ولم نقف في المقدسي على اشارة الى ان الحجاج قد بنى ايضا جامع الجانب الشرقي (م) .
(٣) المقبوبي ٣٢٢ : ابن رسته ١٨٧ : الاصطحري ٨٢ : ابن حوقل ١٦٢ : المقدسي ١١٨ : القزويني ٢ : ابن بطوطة ٢ : ٢ : المسنوني ١٤١ : علي اليزدي ١ : ٦٤٠ و ٦٥٧ : ٢ : ١٧٧ : جهان نما ٤٦٣ .

يظهر ان حراب واسط لم يتفقدوا احد من الرحالة المحدثين - الا ان من كتب من الرحالة العرب عنها ، حدد موضع خرابها في مكان على مقربة من شط الحي . وروى جسني في كتابه : Chesney, Report of the Euphrates and Tigris Expedition. (Vol. I, p. 37). ان اورمسي والبيوت زارا هذه الخرائب في سنة ١٨٣١ - ١٨٣٢ ، ولكنها لم يشيرا الى موضعها . (انتهت حاشية المؤلف) .

قلنا : تعرف خرائب واسط اليوم بالمنارة ايضا لان منارة قديمة ما زالت قائمة في مسجد الجانب الشرقي منها . واحلال مدينة واسط واسعة فسيحة تمتد على جانبي عقيق دجلة القديم المعروف اليوم

وعلى ما ذكر ياقوت ، كان دجلة أسفل من واسط ، اذا انفصل عنها ، انقسم الى خمسة أنهر عظام تحمل السفن ، ذكرها باسمائها^(١) . ثم تصب في البطائح . وهذا القول يوافق ما ذكره المصنفون الاولون . فقد ذكر ابن سراييون ، جملة مدن على دجلة أسفل من واسط وفوق القطر ، وهي قم البطيحة في المئة الرابعة (العاشرة) . وأولى هذه المدن : الرصافة في الجانب الايسر على عشرة فراسخ من واسط . وبالقرب منها نهر يحمل من دجلة شرقا ويصب في البطيحة ، يقال له نهر بان . وفي مصبه بلدة بهذا الاسم . ويلفظ ايضا نهر أبان . واسفله : الفاروث ، فدير العمال . وهذه المواضع في الجانب الشرقي ، وبازائها ثلاثة أنهر تجرى غربا وتصب في البطائح ، هي اولاً نهر قريش وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم ، فنهر السيب وعليه بلدتا الجوامد والعقر ، فنهر بردودي أوله عند قرية الشديدة . وكلها كانت مدناً ذات شأن في البطيحة حول الجامدة وقربها ، ويقال لها ايضا « الجوامد » (بصيغة الجمع) . والى ذلك فقد وصف المقدسي مدينة كبيرة في هذه البقعة تعرف بالصليق على بحيرة حولها ضياع ومزارع حسنة . وكان تجاه هذه الأمكنة على الجانب الشرقي من دجلة : الحوانيت^(٢) ، وبها المأصر يشدّ جانبي دجلة كالمأصر الذي قد وصفناه في دير العاقول (ص ٥٤) . وكان هذا المأصر

بالدجيلية على نحو ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي الحى التي على نهر الفراف .
ولقد نغبت مديرية الآثار العراقية العامة في أطلال واسط منذ سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٤٢ وكان مما عثر عليه في الجانب الغربي ، بقايا من جامع الحجاج ، وقصره الذي كانت ترى فيه الخضراء من قم الصلح ، أى من مسافة ٣٥ كيلو مترا ، وثلاث طبقات بنائية لثلاثة جوامع أقيمت فوق جامع الحجاج بعد خرابه . وعثر بين انقاض الجامع على اسطوانة من الحجر مكسوبة ، جاء فيها « عملوها الواسطيون » (كذا) واكتشف على ضفتي النهر بقايا الجسر الذي كان يربط جانبي واسط . وعثر في مكان آخر على مئات من دمي الطين ترقى الى العصر الإبلخاني .
وفي الجانب الشرقي من واسط كشفت عن بقايا جامع ما زال بابيه واحدى مناراتيه وبعض جدرانها قائمة حتى اليوم . وعثر في مواضع منه على قبور لها شواهد مؤرخة بسنوات من المئة السابعة للهجرة راجع . نشرة حفريات واسط ، لمديرية الآثار القديمة العامة في العراق ، بقلم فؤاد سفر (طبع المعهد الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٥٢) (م) .

(١) اسماء هذه الانهار ، على ما في معجم البلدان (٢ : ٥٥٣) ، هي « نهر ساسى ، ونهر الفراف ، ونهر دجلة ، ونهر جعفر ، ونهر ميسان » (م) .

(٢) ترى بقايا مدينة الرصافة على نحو ٣٠ كيلومترا من شرق قلعة سكر على نهر الدجيلية المدرس . وتعرف بالرصالة . وترى بقايا مدينة الحوانيت على ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي الشطرة وتعرف بالحوانيت ايضا . انظر موضعيهما في « خارطة العراق الانثوية » لمديرية الآثار العراقية . (م) .

عند القطر على اثني عشر فرسخا أسفل الرصافة حيث كان دجلة في المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر ابن رسته ، يتشعب ثلاث شعب وينصب مأوه في البطائح^(١) . والبطائح جمع البطيحة وقد وصفناها في صفحة ٤٣ . والرقعة التي تبطحت فيها هذه البطائح ، تنتشر فيها المدن والقرى ، وكل واحدة منها تنوسد نهرها . ومع ان هواءها وخم ، فان تربتها كانت حين تجف غابة في الحصب . فابن رسته ، وقد كتب في نهاية المئة الثالثة (التاسعة) ، وصف البطائح بقوله ينبت فيها القصب ، ويخرج من هذه البطائح أنهار منها سمكهم من الطرى والمالح ، كان يحمل الى النواحي المجاورة . اما مياه دجلة فالظاهر انها من قطر فشرقا - ولعلها كانت تتبع مجرى الفرات الحالى بوجه التقريب - تشق طريقها بين احوار متصلة الى نهر ابي الاسد ، وتنصب مياه البطائح من هذا النهر الى فيض البصرة . والبطائح ان خلت من القصب ، سماها العرب الهور أو الهول . ويصل فيما بينها أزقة تسير فيها الزوارق . اما السفن النهرية الكبيرة فانها تجنح أسفل القطر على ما جاء فى ابن رسته : « ويحمل بعض ما فيها فى الزوارق فتمر فى شبه أزقة قصب تصل ما بين الاهوار . وبين هذه الازقة ، مواضع - متخذة من قصب - أشباه الدكاكين - عليها اكواخ من قصب يكتنون بها من البق » وفيها مسالحي يعمل رجالها على تطهير المجرى وحماية الملاحين ، لان فى البطائح مكانا طبيعية يختبئ فيها اللصوص^(٢) . وقد سرد ابن سراييون أسماء اربعة من هذه الاهوار التى تحمل الماء الى البصرة : الاول هور بحصى ، والثانى هور بكصى ، والثالث هور بصريانا ، والهور الرابع المحمدية وهو اعظم الاهوار ، وفيه كانت المنارة المسماة منارة حسان .

(١) ابن سراييون ٩ و ٢٠ : قدامة ١٦٤ : ابن رسته ١٨٤ و ١٨٥ : المقدسى ١١٦ : ياقوت ٢ : ١٠ و ٥٣ : ٣ : ٢٠٦ و ٤١٥ و ٨٤٠ : ٤ : ٢١٧ و ٧٥٨ .
فلنا : وعن المأمر ، راجع : « المأمر فى بلاد الروم والاسلام » لميخائيل عواد (بغداد ١٩٤٨) .
(م)

(٢) لعل خير ما كتب عن منطقة البطائح (أى الاهوار) فى المراجع الحديثة ، مقالات الشيخ على الفرسى ، فى مجلة « لغة العرب » للأب انستاس الكرملى ٤ : [١٩٢٦] ٣٧٥ و ٤٧٤ و ٥٢٦ و ٥٧٥ : ٥ : [١٩٢٧] ص ١٤٣ و ٥٣٥ و ٦ : [١٩٢٨] ص ٢٧٥ و كتاب
Haji Rikkan Marsh Arab, by Fulanain (London, 1927).
و « فلانين » اسم مستعار لـ Hetchcock وكان من الموظفين الانكليز الذين اشتغلوا فى لواء العمارة . (م) -

وانما عرفت بذلك نسبة الى حسان النبطي الذي كان في خدمة الحجاج عامل بني امية ، فاعاد بعض تلك الارضين الى عمارة • وبلى الهور الاخير زقاق قصب وهو ماذ الى نهر ابى الاسد ، ويمرّ النهر بالحالة وقرية الكوانين ، وهو بحمل ماء البطيحة الى رأس فيض دجلة • وابو الاسد هذا ، ونهره يتفق هو ومجرى الفرات الحالى فوق القرنة ، كان من موالى الخليفة المنصور • وجبن كان قائدا للجيش فى البصرة ، حفر بها النهر على ما ذكر ياقوت ، وقيل ان السفن لم تدخله لضيقه ، فوسعه حتى دخلته فنسب اليه • وكان على ما ذكر ياقوت ، محفورا قبله منذ ايام الساسانيين • اما القرنة ، وهى جث يقترن اليوم الفرات بدجلة ، فلم يذكرها احد من البلدانين العرب^(١) • واول اشارة الى قلعة القرنة ، وردت فى جهان نما التركية فى مطلع المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) •

وكان القسم الاسفل من مجرى دجلة الشرقى - وهو دجلة الزمن الساساني وزمننا ايضا - فى العصور الوسطى ، على ما قد ذكرنا ، تصعد اليه المياه المرتدة وفد سكر فى نهايته الشمالية • وكانت هذه المياه المرتدة تسمى نهر المذار • وكان طوله ستة فراسخ ويؤدى الى مدينتى عبدسى (أو عبداسى) والمذار اللتين لا يعرف موضعهما الصحيح • وكان ما يحف بجانبيه من اراض - أعنى بامتداد عقيق دجلة الشرفى حينذاك - يعرف بجوخى ، وهى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر ، كورة واسط • وكانت المذار فى ايام الفتح الاسلامى بلدة جليلة ، وهى قصبة ميسان وعرفت ايضا بدستميسان • وبينهما وبين البصرة اربعة ايام ، وبها مشهد عامر عظيم فيه ضريح عبد الله بن علي بن أبى طالب . اما مدينة عبدسى ، القرية منها فانها على ما ذكر ياقوت ، فارسية الأصل ، واسمها تعريب افداسهى اسمها القديم ، وكانت مصنعة فى كورة كسكر قبل الفتح • وكانت كسكر وميسان كورتى القسم الشرقى من البطائح • وعلى ما ذكر القزوينى ، كان يجلب من كسكر الرز الجيد ، وتربى فى مراعيها الجواميس والبقر والجداء • وتكثر فى احوار القصب : البطوط والفرايج التى تصاد بالشباك وتحمل الى اسواق المدن المجاورة • وكان يصاد فى انهارها كثير من الشبوط فيملح ويحمل الى غيرها • وفى ميسان مشهد العزيز

(١) راجع ما كتبناه عن القرنة فى مجلة « سومر » ٨ : [١٩٥٢] ص (٢٧١ - ٢٧٢) • (م) •

- ٦٤ -

النبي^(١) ويسمى عزرا . وقد ذكر القزويني انه « معمور يقوم بخدمته اليهود ، وعليه وقوف وتأتيه النذور » فقد كان مشهورا في تلك الانحاء ان الصلاة فيه مقبولة مستجابة^(٢) .

والفيض العريض المتكون من اقتران مياه دجلة والفرات ، يبلغ مئة ميل طولا ، وهو يبدأ من فم نهر ابي الاسد ويصب في خليج فارس عند عبادان . وقد عرف هذا الفيض ايضا بدجلة الموراء وبيض البصرة . وسماء الفرس بهمن شير وهو يعرف اليوم بشط العرب . ويدركه المد والجزر من خليج فارس حتى رأسه عند المذار وعبدسى شمالا . ويدرك المد انهار البصرة العديدة وانهار الرى في شرق الفيض وفي غربه ثم يجزر منها . وتقع البصرة ، ثغر العراق التجارى الكبير ، على طرف البادية على بعد قليل من غرب الفيض . وكانت السفن تبلغه من البصرة بنهرين . وفي شمال البصرة وجنوبها انهار كثيرة تحمل مياه البطائح السفلى الى دجلة الموراء . وكان يصب في الجانب الشرقي من الفيض انهار اخرى كثيرة . هذا الى نهر محفور يقال له نهر بيان على نحو من ثلاثين ميلا فوق عبادان ، يصل فيض دجلة بفيض دجيل (نهر كارون) ، ودجيل ينحدر من افليم خوزستان ويصب في خليج فارس عند سليمانان^(٣) .

وبالبصرة - وقد اشتق اسمها من الحجارة السود^(٤) - أنشئت في أيام عمر في سنة ١٧ (٦٣٨) ، وأقطع سوادها القبائل العربية التي نزلت فيها بعد تقويض الدولة الساسانية . وسرعان ما اتسعت هذه المدينة فاذا هي والكوفة تصبحان من عواصم العراق الجديدة . وفي سنة ٣٦ (٦٥٦) ، جرت قرب البصرة وقعة الجمل

(١) ما زال مشهد الامام عبدالله بن علي ، فائما في هذه البقعة . وهو يزار . وبالعرب منه تلؤل يعال لها (البجة) ترقى آثارها الى الصينين الساساني والاسلامي ويظن انها تمثل مدينة (المذار) القديمة . اما قبر العزيز ما زال فائما في موضعه القديم (م) -

(٢) ابن رسته ٩٤ و ١٨٥ ؛ ابن سراييون ٢٨ ؛ فدامة ٢٤٠ ؛ البلاذري ٢٩٣ و ٣٤٢ ؛ القزويني ٢ : ٢٩٩ و ٣١٠ ؛ ياقوت ١ : ٦٦٩ ؛ ٣ : ٦٠٣ ؛ ٤ : ٤٦٨ . ٨٣٠ ؛ جهان لما ٤٥٥ .

(٣) ابن سراييون ٢٨ . تطلق لفظة « الموراء » على الانهار التي يطمرها الغرين ، وعلى الطرق التي لا تنفذ . ويبدو ان اسم دجلة الموراء أطلق أولا على نهر عبدسى ولم تتم أسفل النهر الا في زمن متأخر . المسعودي : السبيل ٥٢ ؛ ياقوت ١ : ٧٧٠ ؛ جهان لما ٤٥٤ . وقد ذكر المرجع الاخير فيض دجلة باسم شط العرب .

(٤) راجع الى أصل اسم البصرة : المقدسى ص ١١٨ ؛ ياقوت ١ : ٦٣٦ ؛ وسومر ٤ : [١٩٤٨]

(ص ١٣٦ - ١٤١) (م) .

المشهورة ومع ان الامام عليا قد تغلب على من سبب موت الخليفة عثمان ، فذلك لم يؤثر في مجرى الامور . وفي هذه الوقعة قتل طلحة والزبير الصحابيَّان المشهوران . والبصرة ، على نحو اثني عشر ميلا من فيض دجلة في خط مستقيم . وقد شق اليها من دجلة نهران : نهر معقل^(١) من الشمال الشرقي وتأتيه السفن النازلة من بغداد ، ونهر الأبلّة وتسير فيه السفن من البصرة نحو الجنوب الشرقي فتخرج الى خليج فارس عند عبادان . ويتألف مما توسط بين هذين النهرين وبين مياه الفيض في الشرق ، الجزيرة الكبرى ، على ما كانت تسمى به . وبلدة الأبلّة في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الجزيرة ، فوق مصب نهر الأبلّة في الفيض . وكانت البصرة تقوم على امتداد النهر الموصل بين نهري معقل والأبلّة . وكانت دورها من ناحية البر غربا تطيف بها البادية بشكل قوس . وللبصرة في هذه الجهة باب يقال له باب البادية . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كان امتدادها من النهر الى هذا الباب نحو ثلاثة أميال . أما طولها فيزيد على ذلك بكثير . وأكثر دورها بالآجر . وحول اسوارها ارض خصبة تسقيها انهار صغار كثيرة ، ويلبها بساتين التخليل الواسعة . وذكر المقدسي ان بالبصرة ثلاثة جوامع : احدها على الباب الغربي في وجه البادية وهو القديم ، وجامع ثان في الاسواق « بهي » جليل عامر أهل ليس بالعراق مثله ، على أساطين مبيضة . وجامع ثالث « على طرف البلدة » . وفي البصرة ثلاث اسواق فيها الدكاكين والحانات ، وهذه الاسواق كأسواق بغداد سعة . وكان الميربّد من اشهر محالها في الباب الغربي ، وفيه تحطّ القوافل الآتية من البادية . وهو أكثر أقسام المدينة اكتظاظا^(٢) وبها قبر طلحة والزبير .

(١) قامت في عصرنا في تلك الجهة مبان واسعة كالمطار الحوى والمنايا ومحطة القطار ودور الموظفين والعمال القائمين بشؤون هذه المصالح . وقد حرف الانكليز اسم « المعقل » حين احتلالهم البصرة في اول الحرب العالمية الاولى فنطقوا به « ماركيل » وجاراهم في ذلك من كان يشتغل عندهم ، فشاعت هذه التسمية المخلوط فيها وقتا ما . ثم رجع القوم اليوم الى استعمال الاسم الصحيح أي « المعقل » . (م)

(٢) كان الميربّد قبل ان تخطط البصرة ، بل كان قبل الاسلام . واحباره في الجاهلية منقطة او معدومة مما يدل على فلة أهميته اذ دلك . انما كانت له أهمية بعد فتح العرب العراق وسكوه وخططوا البصرة . فقد انشئت فيه المساكن بعد ان كان مريدا للابل فقط ، لان الميربّد في اللغة كل شيء حبست فيه الابل والغنم . واتصلت العمارة بينه وبين البصرة . وصار الميربّد في الاسلام صورة معدلة لمكان . كان سوقا للتجارة وكان سوقا للدعوات السياسية وكان سوقا للأدب . فكان مجتمع العرب من

- ٦٦ -

وكان كثير من محال البصرة حين كتب المقدسى قد آل الى الخراب^(١) . وذكر المقدسى فيما ذكر من دور العلم : دار كتب كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ، انشأها ابن سوار ووقفها . وانشأ أيضا دار كتب مثلها فى مدينة رامهرمز بخوزستان . « وأجرى فى الدارين على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ » . وكانت دار الكتب فى البصرة حافلة بجمهرة كبيرة من الاسفار .

وقد عانت البصرة كثيرا من جراء الحروب والفنن المذكورة فى تاريخ الدولة العباسية . وفى سنة ٢٥٧ (٨٧١) حين كانت ثورة الزنج على أشدها ، خرب صاحب الزنج - وكان يدعى انه من سلالة الامام علي - البصرة وأحرق معظم أَسْماها . وكان الجامع مما خرب . وانتهب جنده المدينة ثلاثة أيام^(٢) . وفى سنة ٣١١ (٩٢٣) نهب زعيم القرامطة مدينة البصرة ، ودام النهب فى هذه المرة سبعة عشر يوما . ولكن المدينة استرجعت بعض رخائها السابق . فلما زارها الرحالة الفارسى ناصر خسرو فى سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) قال : بها خلق كثير ولها سور عظيم يحيط بها ، وكان معظم البصرة خرابا . وكان بيت الخليفة علي ، قرب المسجد الجامع . وكان فيها ثلاثة عشر مزارا تشير الى الاحداث المختلفة التى جرت حين مقام علي فيها . وسرد ناصر خسرو أيضا اسماء العشرين ناحية المحيطة بالمدينة . وفى سنة ٥١٧^(٣) (١١٢٣) استحدث القاضي عبد السلام سورا للمدينة كان يمتد نصف فرسخ فى داخل حدودها القديمة . وكانت البصرة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زارها ابن بطوطة بعد الفتح المغولى ، مدينة آهلة . وقد تكلم ابن بطوطة على مسجد علي بن ابي طالب فقال : انه « بناء عال مثل الحصن

الافطار ، ينشأدون فيه الاشعار ويبيعون ويشتررون . راجع : فيض الخاطر لاحمد امين (٤ : ٢٧٨ - ٢٨٧) . (م) .

(١) تعين قبر الزبير الآن ، الخرائب المروقة بهذا الاسم ، وهى فى موضع البصرة القديمة . اما البصرة الحديثة فتقوم على فيص دجلة (أى شط العرب) وهى فى موضع الابلة عند نهر الابلة . فلما : والربيع اليوم ، بلدة صغيرة عامرة ولها جامع فيه قبر الزبير . تقوم على جزء صغير من خرائب البصرة القديمة (م) .

(٢) من أحدث المراجع فى هذا الموضوع ، كتاب « ثورة الزنج » للدكتور فيصل السامر (م) . (٣) فى كتاب صورة الارض لابن حوقل (١ : ٢٣٧ طبعة كريسز) ان القاضي عبد السلام الجبلى سور ما بقى من البصرة سنة ٥١٦ هـ .

وهذا الكلام ليس لابن حوقل بل للمعلق المجهول على ابن حوقل ، وكان من أهل المئة السادسة (م) .

وله سبع صوامع وهم يصلون الجمعة فيه فلا يأتونه الا فى الجمعة ، وبينه الآن وبين أحيائها العامرة ميلان وحوله الخرائب ، وكذلك بينه (أى بين الجامع) وبين السور الاول ميلان . وبالقرب من السور قبر طلحة^(١) وقبر الزبير . اما البلدة نفسها فلم يبق فيها غير ثلاثة أحياء أهلة . وسرد المستوفى ، وقد كتب فى ذلك الزمن نفسه ، اخبارا طويلة عن البصرة ، فذكر ان جامعها لم يجدده الا الخليفة علي ، وكان أعظم جامع فى الاسلام - ولم بين جامع أوسع منه - وعين علي قبله هذا الجامع فى اتجاهها الصحيح . وكان فيه منارة تتحرك أو تبقى ساكنة وفقا للقسم الذى يحلف به فى وجهها ان كان صدقا أو كذبا وهى كرامة تعزى الى الامام علي بن ابي طالب وكان رافعا . وللمستوفى كلام آخر فى مشاهد البصرة . وأطرى بساكنيها الفن ونخيلها الذى يحف بالمدينة حتى انه لالتفاف اشجارها لا يكاد يرى الرائي أبعد من مئة خطوة . وتمرها من أجود التمور وتجارتها رابحة فى الهند والصين .

واشتهرت البصرة فى كل الازمنة بانهارها . وقد عدت ، على ما ذكر ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) ، فزادت على مئة الف نهر تجرى فى أكثرها الزواريق . ونهر معقل ، وقد بيتنا انه هو النهر الكبير الآتى من جهة بغداد ، حفره معقل بن يسار الصحابى فى أيام عمر . وهذا النهر ونهر الابل ، وهما يمتدان من البصرة نحو الجنوب الشرقى ، كان طول كل منهما أربعة فراسخ . وكانت بساكني نهر الابل بامتداد الجانب الجنوبى للجزيرة الكبرى ، احدى جنان الدنيا الاربع^(٢) .

(١) يرى قبر طلحة لى خرائب البصرة القديمة فى جنوب شرقى المنارة الاثرية . عليه قبة معقودة مربعة الشكل . وهو يزاد (م) .

(٢) والحنان الثلاث الأخرى المشهورة هى : غوطة دمشق ، وشعب بران لى فارس وسلسفه فى الفصل الثامن عشر ، ووادى الصفد بين سمرقند وبحارى وسياتى ذكره لى الفصل الثالث والعشرين .

الاصطخرى ٨٠ : ابن حوقل ١٥٩ و ١٦٠ والحاشية Q : المقدسى ١١٧ و ١٣٠ و ٤١٣ : ناصر خسرو ٨٥ - ٨٩ : ياقوت ١ : ٦٣٦ : ٤ : ٨٤٥ : ابن بطوطة ٢ : ٨ و ١٣ و ١٤ : المستوفى ٣٧ .

ملنا : وراجع مما كتب حديثا عن البصرة . خطط البصرة للدكتور صالح احمد العلى (سومر ٨ [١٩٥٢] ص ٧٢ - ٨٣) وكتابه « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الاول للهجرة » (بغداد ١٩٥٣) (م) .

والأُبلة ، وهى تعريب اسمها اليونانى (Apologos) ، يرجع تاريخها الى العهد الساسانى بل الى أقدم من ذلك^(١) . وهى على الفيض ، ذات هواء حار . ولما ابتنى المسلمون البصرة مدينتهم الجديدة ، جعلوها فى الداخل عند طَفّ البادية . وكانت الابلّة على ما بنا ، عند فم نهر الأُبلة من قبل الشمال فى الجزيرة الكبرى وبازائها من نحو الجنوب البلدة المسماة شقّ عثمان (ويقال ان عثمان هذا حفيد سحبه الخليفة الثالث) وكانت فوق فم نهر الابلّة وتجاهه فى الجانب الشرقى من الفيض ، مرحلة ينزل فيها من يعبر دجلة ويريد خوزستان . وكان يقال لهذا الموضع عسكر ابى جعفر ، أى عسكر الخليفة المنصور . وكانت الابلّة فى المثة الرابعة (العاشرة) بلدة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان شق عثمان مثل ذلك . وهما على ما روى المقدسى عامرتان . وذكر ناصر خسرو ، وقد زارها بعد ذلك بنصف قرن ، ان قصور هاتين المدينتين وأسواقهما وجامعتهما فى حال حسنة . ولكن المغول بعد ذلك بقرنين خرّبوا هذه الجهات . ولما كتب القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) قال ان هذه المواضع قد آلت الى الخراب . وبقي شق عثمان مشهورا بسدرته العظيمة . وبعد ذلك بقرن وصف ابن بطوطة الأُبلة فقال هى الآن قرية . وقد نهضت فى العصر الحديث من حالتها هذه التى آلت بها حين قامت البصرة الحديثة فى موضعها القديم^(٢) .

« وكان على ركن الأُبلة فى دجلة بين يدى نهرها ، خور عظيم الخطر جسيم الضرر ، وكانت أكثر السفن تفرق فيه » . وعلى ما جاء فى ابن حوقل « احتالت له بعض نساء بنى العباس - ذكر بعضهم انها زبيدة - بمراكب أوسقتها بالحجارة العظام وبلّعتها ذلك المكان فابتلمها ، وقد توافقت على مقدار فانسد المكان

(١) كان اسم الأُبلة باسمها اليونانى Apologos معروفا فى المثة الرابعة قبل الميلاد - فقد ذكره نياردخس Nearchus البحار الاغريقى وقد كان قائدا لاسطول الاسكندر الكبير . واشتهر برحلته البحرية التى طالت خمسة أشهر . وقال فيها ان هذه المدينة مستودع تجارات خليج فارس . واسم هذه المدينة ظهر فى الخارطة الثانية المرفقة برحلته المقابلة لصفحة ٢٨٥ منها . وعنوان الرحلة فى طبعها الانكليزية :

The Voyage of Nearchus from the Indus to the Euphrates (ed. W. Vincent; London 1797). (م) .

(٢) خربت بلدة الأُبلة ولم يصل التحقيق الى اثبات انها البصرة الحديثة ومنها المشار . وأنظر سومر ٩ [١٩٥٣] (ص ١٦٢ - ١٦٦) . (الدكتور مصطفى جواد) .

وزال الضرر ، • وذكر ابن سراييون الانهار التسعة وكلها يصب الى فيض البصرة
فى جانبه الغربى وهى : نهر معقل وثلاثة فوقه وأربعة جنوب البصرة بين نهر الابله
وفى الفيض^(١) على ان أهم هذه الانهار هو نهر ابى الخصيب - وانما سمي بذلك
نسبة الى مولى من موالى الخليفة المنصور - فقد بني عليه فى أواسط المئة الثالثة
(التاسعة) ، حصن عظيم للثوار من الزنج • وهذه المدينة التى سماها الزنج
« المختارة » كانت حصينة مكيئة فامتنعت زمناً طويلاً على جيوش الخليفة العباسى
التي جردها عليها ولم يقض بعد ذلك على فتنة الزنج القضاء النهائى الا بعد حروب
دامت خمس عشرة سنة^(٢) •

وكانت أهم الانهار فى شرقي فيض دجلة ، على ما ذكر ابن سراييون ، نهر
الريان وعلمه أو على مقربة منه مدينتا المفتح والدسكرة ولايعلم موضعهما الصحيح ،
وان كانت الاولى ذات شأن بحيث غلب أسمها على الفيض فسمي دجلة المفتح •
وأسفل هذا النهر ، نهر بيان وعند فمه بلدة بيان على خمسة فراسخ من الابله
بازائها على الفيض • وفى موضعها اليوم ميناء المحمرة على نهر الحفار وهذا النهر
يصل أعالى فيض دجلة بفيض دجيل (كارون) • قال المقدسى ، وقد كتب بعد ابن
سراييون بثلاثة أرباع القرن ، ان هذا النهر ، وطوله أربعة فراسخ ، قد شقه عضد
الدولة البويهى • وقبل ذلك بقرن ذكره قدامة باسم « النهر الجديد » وكانت تسير
فيه السفن الآتية من البصرة الى الاهواز وكانت السفن قبل ان يشق النهر المضدى
(على ما سماه المقدسى) تذهب فى النهر الى البحر ثم تعود فتدخل من البحر الى
فيض دجلة مارة ببيان الى الابله^(٣) •

والجزيرة الكبرى التى بين الفيضين (أى فيض دجلة ودجيل) ، سماها
ياقوت ميان روزان (وهو فارسي معناه وسط الانهار) وقد وصفها المقدسى بانها

(١) هذه الانهار التسعة ، على ما لى ابن سراييون (ص ٢٩) ، هى : (١) نهر المرأة (٢) نهر
الدير (٣) بنق شيرين (٤) نهر معقل (٥) نهر الابله (٦) نهر اليهودى (٧) نهر ابى الخصيب
(٨) نهر الأمير (٩) نهر الفندل (م) •

(٢) الاصطخرى ٨١ : البلاذرى ٣٦٢ ، ابن حوقل ١٦٠ و ١٦١ : المقدسى ١١٨ و ١٣٥ : ابن
سراييون ٢٩ و ٣٠ : ناصر خسرو ٨٩ : الفزوينى ٢ : ١٩٠ : ياقوت ٣ : ٦٧٥ : ابن بطوطة
٢ : ١٧ : الطبرى ٣ : ١٦٨٢ •

(٣) ابن سراييون ٣٠ : ابن خرداذبه ١٢ : قدامة ١٩٤ : الاصطخرى ٩٥ : ابن حوقل
١٧١ : المقدسى ٤١٩ : المسعودى : التنبية ٥٢ : ياقوت ٤ : ٥٨٦ •

سبخة في زاوية منها على ساحل البحر مدينة عبادان ، وفي زاوية أخرى عند فيض دجيل سليمانان • وما زالت عبادان قائمة^(١) ولكنها الآن على فيض دجيل تبعد عن ساحل خليج فارس الحالى أكثر من عشرين ميلا ، اذ ان البحر قد انحسر الى هذا المدى بفعل دلتا النهر العظيم • ومع ذلك فالمقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) وصف عبادان بان ليس وراءها بلد ولا قرية غير البحر ، فيها صنّاع الحصر من الخلفاء التى تنبت فى الجزيرة وحولها مسالح عظيمة لحراسة قم الفبض • وقال تاصر خسرو ، وقد حل فيها سنة ٤٣٨ (١٠٤٧) ، ان البحر فى زمنه كان يتعد عنها أقل من فرسخين فى اثناء الجزر • وقد أقاموا فيه ما عرف بالخشاب^(٢) وهو بمثابة منار • يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجنيق وهو مربع قاعدته متسعة وقمته ضيقة ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعا وعلى قمته حجارة وقرميد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس • • • فى الليل يشعلون سراجاً فى زجاجة بحيث لا تطفؤ الرياح وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحاطون وينجون • •^(٣) وكانت عبادان كثيرة الجوامع والرباطات ولكنها حين مر بها ابن بطوطة فى المثة الثامنة كانت قد صارت قرية كبيرة بينها وبين الساحل ثلاثة أميال • ومع ذلك فان المستوفى ، معاصر ابن بطوطة ، قال فى عبادان انها ميناء كبير وروى ان جبايتها بلغت اربعمئة وواحدا

(١) اشتهرت عبادان فى العصر الحديث بكونها تنتهى فيها انابيب النفط الايراني الممتدة من مسجد سليمان اليها مسافة ١٣٧ ميلا • وبعد ان كانت عبادان قرية أصبحت بلدة أهلة بسبب حصادي النفط المنشأة فيها • وصارت ميناء كبيرا تؤمه السفن ولاسيما حاملات النفط • (م) •
(٢) ان « الخشاب » تحريف « الخشب » • لقد ذكرها المسعودى فى المروج (١ : ٨٧) من الطبعة المصرية الجديدة بصورة « الخشب » وقال « وخبر الموضع المعروف الحدارة وهى دخلة من البحر الى الير من نحو بلاد الابلّة ، ولهذه الحدارة اتخذت الخشاب لى لم البحر مما تلى الابلّة وعبادان ، عليها أناس يوقدون النار بالليل على « خشبات » ثلاث كالكبرى لى جوف الليل خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرها أن تقع لى تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص • • وقال ابن سعيد المغربى فى جغرافيته « دار الكنب الوطنية بباريس ٢٢٣٤ ورقة ٧٥ » فى وصفها « الخشب » وهى علامات فى البحر للمراكب وفى شرقى الخشب دجلة الأهواز • • وقال ابن الوردى فى خريدة العجائب « ومن عبادان الى الخشب - وهى خشبات منصوبة فى ثغر البحر بإحكام ومهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها أحراس البحر • • وجاء لى حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث الجامعة - ص ١٢ - « وفى هذه السنة وصلت الطيور الحمام من عبادان وخشب • • وهذه نصوص لا تدع شكاً فى حدوث التصحيح فيما نقل منه المحقق لسترنج (الدكتور مصطفى جواد) •

(٣) سفرنامه ناصر خسرو الترجمة العربية ليحيى الخشاب ص ١٠٠ (م) •

- ٧١ -

واربعين ألف دينار بصرف زمنه تدفع الى بيت مال البصرة • وكانت ميناء سليمانان على بضعة فراسخ شرق عبادان ، وهى تمد فى الغالب من أعمال خوزستان • وما نعرفه عنها ان مؤسسها رجل يقال له سليمان بن جابر الملقب بالزاهد^(١) •

ولنعد الى سمت بغداد لنصف المدن التى على امتداد دجلة فى شمال العاصمة حتى حدود العراق والمدن القريبة من ضفاف النهر وان • ولقد تكلمنا قبلا (انظر الصفحة ٥٠) على الطريق العام من بغداد الى الموصل والمدن الشمالية التى على دجلة الشرقية أى اليسرى • فهذا الطريق كان يبدأ فى شرقي بغداد من باب البركان بمحلة الشماسية • وبعد نحو أربعة فراسخ يبلغ بلدة البردان وهى ما زالت قائمة باسم تحرف الى بدران^(٢) • وعند البردان قريتان أخريان جليلتا الشأن هما بزوغى والمزرقة • والمزرقة على ثلاثة فراسخ فوق بغداد^(٣) • ويلتقى نهر الخالص ودجلة عند الراشدية قرب البردان ، على ما سيأتى بيانه ، وينتهى فوق ملتقاء منطف دجلة الكبير المتجه شرقا وهو المنطف الذى يبدأ من القادسية على ستين ميلا شمال بغداد • وقد كان مجرى النهر فى القرون الوسطى يتابع فى الغالب خطأ مستقيماً من القادسية الى البردان • واطلال ما كان على شرقى عقيقه

(١) البلاذرى ٣٦٤ ؛ الاصطخرى ٩٠ ؛ ابن حوقل ١٧٣ ؛ المقدسى ١١٨ ؛ القزوينى ٢٨٠ ؛ ناصر خسرو ٨٩ و ٩٠ ؛ ياقوت ٤ : ٧٠٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ١٨ ؛ المستوفى ١٣٧ ؛ المسعودى ١ : ٢٣٠ •

وأشار ياقوت (١ : ٦٤٥) الى ان من اصطلاح أهل البصرة ان يزيدرا فى اسم الرجل الذى تنسب اليه القرية الفا ونونا ، نحو قولهم طلحان • نهر نسب الى طلحة • وهذا يفسر صيغة اسم سليمانان وعبادان وهذه الأخيرة تنسب الى عباد •

وقد ابتعد الساحل من قم ليضرب دجلة بمعدل نحو ٧٢ قدما فى السنة أو نحو ميل ونصف ميل فى القرن • وهذا هو السبب فى ابتعاد عبادان الآن عن النهر •

قلنا : هناك نظرية جديدة فى هذا الموضوع ، قامت على نتائج التحريات الجيولوجية التى أجرتها شركات النفط فى جنوبى العراق وخوزستان بإيران • ربحسن بالقارىء مراجعة ما كتبه G. M. Lees و N. L. Falcon فى المجلد الجغرافية (The Geographical Journal, Vol. 118, Part 1; March, 1952, pp. 24 ff). Geographical History of the Mesopotamian Plains. وعنوان البحث :

(٢) يبعد تل بدران عن الضفة الشرقية لدجلة الحال نحو ستة كيلومترات وهو فى شرق قرية الداودية التى على النهر • ويبعد عن شمال بغداد نحو ١٨ كيلومترا (م) •
(٣) فى الجانب الغربى من دجلة ، شمال غربى محطة التاجى ، أراض تعرف اليوم بالمزرقة فى ناحية الطامية • وهى تقابل تل بدران الذى فى الجانب الشرقى • وقد وهم المؤلف فى قوله ان بزوغى والمزرقة فى الجانب الشرقى (م) •

من مدن قد أشير إليها في الخارطة ، وذكرها ابن سرايون وغيره من المصنفين الأولين .

والظاهر ان مجرى دجلة قد تحول هنا غير مرة ، فالمجرى الحالي (الشرقي) لدجلة سماه مؤلف المراسد ، وقد كتب كتابه في نحو سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) ، الشطيطة^(١) ومن أعظم التبدلات في مجراه ، ما حصل أيام الخليفة المستنصر ، أعني بين سنتي ٦٢٣ و ٦٤٠ (١٢٢٦ - ١٢٤٢) فقد روت الأخبار ان الخليفة شق كثيرا من الانهار لسقي ما أجذب من أراض بتحول المجرى الاصلى عنها . وقد تكلم المسعودى منذ أوائل المئة الرابعة (العاشرة) على تسوية شرعية لمطالبات بالاراضى بين أهل الجانب الغربى والجانب الشرقى فوق بحداد ، نشأت من هذا التحول الأخير لمجرى دجلة . فما كان من مدن في الجانب الشرقى (وترى اطلالها الآن على عقيق دجلة وهو يبعد كثيرا عن غرب المجرى الحالي) : عكبرا وهى أشهرها ويجاورها أوانا ويليهما بانحدار النهر بصرى . وهذه المدن الثلاث على نحو عشرة فراسخ من بحداد . وكانت تكتنفها البساتين التى يقصدها أصحاب اللهو والطرب . وقد أطرى المقدسى أعقاب عكبرا بوجه خاص وقال انها مدينة كبيرة عامرة . وفوق عكبرا بشىء يسير ، بلدة علك أو العلك وما زالت تبيّن في خوارطنا ولكن في الجانب الغربى . ووصفها المقدسى بقوله انها مدينة كبيرة أهلة على نهر "ميجر" اليها من دجلة . وفي شمال غربى العلك حيث ينعطف النهر اليوم الى ناحية الشرق انعطافه العظيم : قادية دجلة ، فلا يخلطن بين هذه القادية وقادية الفرات التى كانت في غرب هذا النهر^(٢) . وكانت قادية دجلة مشهورة بعمل

(١) الذى يفهم من كلام المراسد ، وهو المصدر الوحيد ، في مادة « عكبرا » ر « العلك » و « صريفون » ، ان الصواب هو العكس ، أى ان المجرى العتيق (الغربى) هو الذى كان يسمى الشطيطة (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) يقوم سور القادية في جنوب اطلال سامراء بين الضفة اليمنى لنهر القائم المدرس وضفة دجلة اليسرى . وهو سور مثنى من اللبن طول كل ضلع من اضلاعه ٦٢٠ مترا تدعنه من الخارج ١٧ دعامة نصف دائرية ولى كل ركن من اركان السور برج مدور كبير قطره نحو ٨ امتار - وثخن السور أربعة امتار وعلوه نحو خمسة امتار . وتبلغ مساحة الارض التى يكتنفها السور نحو ٧٤٥ دوناً (الدونم = ٢٥٠٠ متر مربع) . في هذا السور فتحات تدل على انها كانت أبواباً له . والسور من الداخل مؤلف من اربعة كل رواق بين دعامين من دعائمه وبعض هذه الاروقة اتخذ حجرات . وتشاهد في داخل القادية ، في وسطها ، معالم ابنية من اللبن . وقد جرى بالماء الى القادية من النهر الماء من القاطول الكسرى الى نهر القائم ، ثم يجره فوق قنطرة من الحجر قد

الزجاج^(١) . وبازائها يأخذ نهر دجيل من دجلة ماداً صوب الجنوب^(٢) .
ونهر دجيل (وهو غير نهر دجيل المعروف بنهر كارون) ، كان في أصله ،
على ما سنبينه في الفصل الآتي ، يحمل من الفرات الى دجلة . غير انه في مطلع
المئة الرابعة (العاشرة) انطمر قسمه الغربي وبقي الماء في مجراه الاسفل وهو
قسمه الشرقي ، بشق^٣ نهر جديد يأخذ من دجلة أسفل القادسية . وكان دجيل
يسقى طسوج مسكن الخصب في شمال بغداد الغربية مما يلي طسوج قطربل .
فنهـر دجيل الأخير هذا ، على ذلك ، كان يأخذ من دجلة ثم يصب فيه بازاء عكبرا
وينفرع منه أنهار كثيرة ، منها ما بمد الى الجنوب فيسقى الحربية الربض الشمالى
الكبير في بغداد الغربية (أنظر ص ٤٩) . وكان في طسوج دجيل ، ويسمى أيضا
مسكن ، كثير من القرى والمدن في غرب عكبرا ودجلة وأهمها : حربى وقد زارها
ابن جبير في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وكانت حينذاك قائمة . وفي هذا الموضع
اليوم بقايا قنطرة كبيرة فوق النهر شيدها ، على ما جاء في (الفخرى) ، الخليفة
المستنصر بالله في سنة ٦٢٩ (١٢٣٢) وهو ما تؤيده الكتابة التي ما زالت فيها^(٣) .

اندرست . وعند وصول النهر الى سور القادسية يدخلها من أحد أبوابها ويفرغ في داخلها .
راجع : « سامراء » لدار الآثار العراقية (ص ٧٢) ؛ سومر (٣ - ١٦٧) ؛ رى سامراء
١ . ٢٤٨ . (م) .
(١) يلاحظ الآن في شرقي سور القادسية خرائب عباسية قرب ضفة دجلة تكثر فوق سطحها
كل من الزجاج المنصهر وكسر كثيرة من الاواني الزجاج . وقد نقبت دائرة الآثار العراقية هذا
الموضع سنة ١٩٤٠ وعثرت فيه على مقادير كبيرة من هذه المواد الزجاجية وعلى بقايا آنية وأكواب من
رماد . (م) .

(٢) قدامة ٢١٤ ؛ المعنسى ١٢٢ و ١٢٣ ؛ المسعودى ١ : ٢٢٣ ؛ ياقوت ١ : ٣٩٥ و ٥٥٢
و ٦٠٦ و ٦٥٤ ؛ ٣ : ٧٠٥ ؛ ٤ : ٩ و ٥٢٠ ؛ المراصد ٢ : ٢٧٠ و ٤٢٩ .
(٣) في أعلى جهتي هذه القنطرة كتابة منقوشة بالآجر وهذا نص كنانة الجبهة العربية .
« بسم الله الرحمن الرحيم وادعوا الصلوة وآتوا الزكاة وادعوا الله فرضا حسنا وما تقدموا
لافسكم من خير تحبوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . أمر بإنشاء هذه القنطرة
الباركة تقربا الى الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا وطلباً للفوز بجنت الفردوس التي
اعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا ، سيدنا ومولانا امام المسلمين ووارث الانبياء والمرسلين
وخليفة رب العالمين وسبحته على الخلائق أجمعين » .

وتنص الجبهة الشرقية :
« الذى أيد الله تعالى بأعزاز نصره الدين وافترض طاعته على الحاضرين والبادين (واختصه من
جليل لما) يعجز عنه حصر العادين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له في أرضه

وقرب حربى كانت الحظيرة « ينسج فيها الثياب الكرباس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد » . وسرد ياقوت ، الى ذلك ، أسماء قرى كثيرة وهى مئة قرية ونيف كانت فى هذا الطسوج ، وما زال كثير منها يرى فى الخارطة كـ « بلد » قرب الحظيرة . وظل طسوج دجيل ومدينته حربى حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فى غاية الخصب على ما وصفه به المستوفى . وكان رمانه أجد ما يرى فى أسواق بغداد .

وكان فى هذا الطسوج مدن كثيرة غيرها . ففى عشرة أميال فوق القادسية مدينة سامراء وسبأى وصفها فى الفصل الآتى . وتتوسط المسافة بينهما : المطيرة وهى فوق موضع تفرع ثلاثة أنهار صغيرة من يسار (شرق) دجلة . وفى منتصف الطريق بين المطيرة والقادسية وأسفل صدور هذه الأنهر يقوم بركوار ويقال له أيضا بلكوار وبزكوار . وقرية المطيرة على ما جاء فى ياقوت « نسبت الى مطر الشيبانى ، وكان يرى رأى الخوارج ، وانما هى المطرية فقيرت وقيل المطيرة » (١) . وكان أيضا على عشرة أميال شمال سامراء ، كرخ فيروز ويقال له أيضا كرخ سامراء تميزا له عن الكرخ ، المحلة الجنوبية فى الجانب الغربى من بغداد . ثم الى شماله « الدور » وبالقرب منها يحمل النهر وان (٢) من يسار دجلة . وبازائها يأخذ

تكوين الوارثين ربيع مقدس أصالة الصالحات الى عليين ونشر بمدائه الزاهرة فى آفاق الارضين وارضع للحلائق بولاية سبيل الرشاد ومنهج الحق المبين ابن الامام السعيد البر القفى ابي نصر محمد الطاهر بأمر الله بن الامام السعيد الزكى الطاهر الولي ابي العباس الناصر لدين الله بن الامام السعيد الزكى ابي الحسن محمد (كذا) والصواب ابي محمد الحسن (المستطفي) بأمر الله أمير المؤمنين ووارث الخلفاء الراشدين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون صلوات الله ورسالة عليهم اجمعين وذلك فى سنة تسع وعشرين وستمئة وصل الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين ورسالة « (م) » .

(١) اليعقوبى ٢٦٥ : ابن سراجيون ١٤ : ابن جبير ٢٣٣ : ياقوت ١ : ١٧٨ و ٦٠٥ : ٢ : ٢٣٥ و ٢٦٢ : ٥٥٥ : ٤ : ٥٢٦ و ٥٦٨ : المستوفى ١٣٨ : الفخرى ٣٨٠ : وفى كتاب جيس للفس جونس

J. F. Jones, Records of the Bombay Government (New Series No. XLIII, 1857, P. 252).

صورة لقطرة حربى . وفى ص ٤٧ منه كتب اسم بركوارا بصورة بركوار .

قلنا : لمديرية الآثار القديمة فى العراق نشرة مصورة بالعربية والانكليزية عنوانها « جسر حربى » صدرت سنة ١٩٣٥ ولها نص الكتابة على لقطرة حربى مع صور لها . (م) .
(٢) يريد به القاطول الكسرى (م) .

- ٧٥ -

من ضفة دجلة الغربية ، أي اليمنى ، نهر الاسحاقي وهو نهر يأخذ من دجلة ثم يعود اليه ثانية بازاء المطيرة • ومواقع هذه الأمكنة جميعا تعينها الانهار وهى وان كان بعضها خرائب ، الا انها ما زالت موجودة ، ولكن علمنا بها لا يتجاوز اسماءها •

الفصل الرابع

العراق «تتم»

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة
جسر النهروان وطريق خراسان - جلولا وخانقين - البندليجين
وبيات - مدن الفرات من الحديثة الى الانبار - نهر
عيسى - المحول وصرصر ونهر الملك -
نهر كوكي

كانت مدينة سامراء التي اتخذها سبعة من خلفاء بنى العباس عاصمة لهم مدى نصف
قرن ونيف ، أي من سنة ٢٢١ الى ٢٧٩ هـ (٨٣٦ - ٨٩٢) ، معروفة قبل الفتح
العربي ، ثم بقيت بعد ان تهاوت من ذروة عزها الذي لم يدم كثيرا مدينة ذات شأن
ردحا طويلا من الزمن . واسمها بالارامية سامرا ، فأمر الخليفة المعتصم ، حين
أقام فيها ، ان تسمى سر من رأى . وبهذه الصيغة الاخيرة وجد اسمها في النقود
العباسية المضروبة فيها . وكانت التسمية مع ذلك تلفظ بصور مختلفة ، ذكر ابن
خلكان ستاً منها أشهرها « سامراء » وهو الاسم الذي اختاره ياقوت عنوانا لبحثه
عن هذه المدينة (١) .

(١) اثبتت التنقيبات الاثرية في اطلال سامراء ، ان موصع سامراء ، كان أهلا منذ آدوار
ما قبل التاريخ . فقد اكتشف فيها الروفسور هرتسفلد المنقب الالماني ، مقبرة من تلك الادوار بين
نقايا العصر العباسي والسن الصخرى الذي بنيت عليه المدينة العباسية على نحو ميل واحد من جنوب
دار الحليفة . وقد عثر فيها على ضرب من الفخار المصبوغ اطلق عليه اسم فخار سامراء ، وهو يمثل
دورا من آدوار ما قبل التاريخ في العراق سى بـ « دور ثقالة سامراء » لسببة الى الموضع الاثرى الذي
اكتشف فيه هذا الفخار لأول مرة . كما عثرت مديرية الآثار العراقية على موضعين آخرين لم

- ٧٧ -

وانتهى البناء من اليعقوبى ، وقد كتب فى آخر المثة الثالثة (التاسعة) ، حديث طويل مفصل لسامراء وقصورها . فالخلفاء السبعة الذين أقاموا فيها ، وكانوا فى الغالب أسرى جندهم من الترك ، قد شغلوا وقت فراغهم المفروض عليهم فرضاً ، بالبناء وتنظيم الأحياء وميادين اللعب . قامت المدينة نفسها على ضفة دجلة الشرقية فامتدت قصورها سبعة فراسخ بمحاذاة النهر وقام فى الجانب الغربى كثير من القصور وأنفق الخلفاء ، الواحد تلو الآخر أموالاً طائلة لا يكاد العقل يصدقها ، على إنشاء ميادين جديدة للصيد واللعب ، وكانت الأرض التى بنى عليها الخليفة المعتصم (وهو أصغر أبناء هرون الرشيد) أول قصر له حين قدم الى سامراء فى سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، دبراً للنصارى اشترى من أصحابه بأربعة آلاف دينار^(١) (٢٠٠٠ باون) وكانت أرضه تعرف بالطيرهان . وأقطع جنده الأتراك قطائع فى الكرخ وما فوقها حتى الدور ، وقطائع أخرى فى جنوبى سامراء فى جهة المطيرة . وبنى الخليفة أول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية . وخط قصره . وكتب فى اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من سائر أنحاء الدولة ، وفى حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من البصرة ، وفرش الرخام من انطاكية واللاذقية . واختط الشارع المسمى بالشارع الاعظم ، بموازاة دجلة . وقامت على يمين الشارع ويساره القصور الجديدة والقطائع . وكان الشارع الاعظم معتداً من المطيرة الى الكرخ وفى جانبه دروب وأسواق . وانشأ أيضاً بيت المال الجديد

سامراء برتعيان الى هذا الزمن ، أحدهما فى شمال المقبرة المارة الذكر والآخر فى جنوبى سامراء على ضفة دجلة شمال صدر القام يسمى « تل صوان » . وقد جاء اسم هذا الموضع فى الكتابات الآشورية بصورة « سمارتا » Su-ur-mar-ta وكان لهذا الموطن فى أيام الفرس شأن كبير ولا سيما فى حروبهم مع الرومان ولقربه من القاطول الكسرى . ثم ادهم هذا الموضع حين انتقل اليه المعتصم وأقام فيه مدينته .

راجع « سامراء » لدار الآثار العراقية ؛ وكتاب هرتسفلد :

Geschichte der Stadt Samarra- P. 1-3.

اما ما قاله ابن خلكان فى اسماء سامراء فهو : « وسر من رأى فيها ست لغات ، حكاهما الجوهرى فى كتاب الصحاح ، فى فصل رأى ، وهى (سر من رأى) بضم السين المهملة وتحتها (سر من رأى) بضم السين وتحتها وتقدم الالف على الهزة فى اللفتن (ساء من رأى) و (سامراء) . واستعمله البهزرى ممدوداً فى قوله (ونصبته علماً لسامراء) » (رفيات الاميان ١ : ١٠ بولاق) فى ترجمة ابراهيم بن المهدي (م) .

(١) هذا المبلغ يوافق ما ذكره اليعقوبى فى البلدان (ص ٢٥٨) . اما ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦) فقال ان المعتصم دفع خمسة آلاف دينار . (م) .

ودواوين الدولة ودار العامة التى يجلس فيها الخليفة يوم الاثنين والخميس • ولما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الأساس للبناء فى جانب سامراء ، عقد جسرا الى الجانب الغربى من دجلة • فأنشأ هناك البساتين والأجنّة وحمل النخل اليها من البصرة وحملت القروس من الشام وخراسان وسائر الاقاليم • وكان يسقى الجانب الغربى أنهار تحمل من الاسحافى ، وقد مر ذكره ، حفرة اسحق بن ابراهيم صاحب شرطة المعتصم • فهذه كانت الارض المسماة بالطيرهان ، وفيها قال اليعقوبى ان سامراء صحراء من أرض الطيرهان • ولما توفى المعتصم فى سنة ٢٢٧ (٨٤٢) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد فى فخامة قصورها وجمال مبانيها • واكمل ابنه الواثق والمتوكل اللذان تعاقبا على الخلافة من بعده ، ما بدأ به أبوهما • فقد بنى هرون الواثق القصر المعروف بالهارونى ، نسبة اليه ، على دجلة وجعل فيه مجالس فى دكة شرقية ودكة غربية • وحفر الواثق فرصة من النهر تصلح لدخول السفن التى تردّها من بغداد • وخلفه أخوه جعفر المتوكل على الله فى سنة ٢٣٢ (٨٤٧) فنزل الهارونى أولاً ، الا انه فى سنة ٢٤٥ (٨٥٩) ابتدأ ببناء قصر جديد له على ثلاثة فراسخ شمال الكرخ ، ومدّ الشارع الاعظم ، وعرف قصره والمدينة الجديدة التى قامت حوله بالمتوكلية أو القصر الجعفرى ، وما زالت أطلال القصر الجعفرى فى الزاوية التى يؤلفها تفرّع النهر وان هناك ، واندمجت به الماحوزة وهى المدينة القديمة •

وبنى المتوكل أيضا جامعا جديدا واسما فى مكان الجامع الذى بناه أبوه ، اذ ضاق على أهل العاصمة الجديدة • وامتدت القصور والبساتين من المطيرة الى الدور واتصلت • وفى سنة ٢٤٧ (٨٦١) قتل المنتصر أباه المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى فى المتوكلية • وأقام الخلفاء الاربعة الذين أعقبوه فى ذلك العهد المضطرب ، فى قصر الجوسق فى غربى دجلة قبالة سامراء ، وهو من أبنية المعتصم • وقد أقام المعتمد بن المتوكل وآخر الخلفاء ، فى سامراء فى الجوسق أولاً ، ثم ابنتى له قصرا جديدا فى الجانب الشرقى وهو القصر المعروف بالمشوق^(١) •

(١) المعروف ان قصر « الجوسق » لى سر من رأى فى جانبها الغربى ولعله كان حيث بلدة

ومن هذا القصر انتقل مركز الدولة الى بغداد قبيل وفاة المعتد في سنة ٢٧٩ (٨٩٢) • وقد نوهت مراجعنا باسماء كثير من القصور الأخرى • فذكر ابن سراجون قصر الجص المشهور وهو من أبنية المعتصم على الاسحاقى (١) • وسرد ياقوت أسماء جملة كبيرة من القصور ، وزاد على غيره مينا ما أنفق الخلفاء عليها من أموال خيالية • فكان مجموع تلك النفقات مئتي مليون وأربعة ملايين درهم أى ما يعادل نحواً من ثمانية ملايين باون استرلينى •

وكان طبيعياً ان يزول عز سامراء ويضع مجدها بعودة الخلفاء منها الى بغداد وان تؤول قصورها الكثيرة الى الخراب (٢) • ولقد أطنب ابن حوقل ، وهو من أهل المئة الرابعة (العاشرة) ، فى وصف بسايتها الزاهرة العامرة لاسيما ما كان منها فى الجانب الغربى • ولكن المقدسى قال ان الكرخ فى الشمال أصبح فى أيامه أعمر منها (أى من سامراء) وكان المسجد الجامع فى سامراء ما زال قائماً ، قال فيه المقدسى : « بها جامع كبير يُختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالميناء وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به ، وله منارة طويلة » • وقال ياقوت : انها منارة الجامع الاول الذى بناه المعتصم فقد « أمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها » • وكانت هذه المنارة تشاهد من مسافة فرسخ من كل جهة (٣) •

سامراء الحالية • اما المشرق ويسمى اليوم نصر العاشق فهو فى الجانب الغربى • راجع معجم البلدان (مادة المشرق ٤ ٥٧٦) ولعل ما فى اليقوبى (ص ٢٦٨) من وهم الناسخ • وما زالت اطلال العاشق شاخصة (م) •

(١) اكتشفت دائرة الآثار العراقية موطناً من العصر العباسى قرب ساحة نهر الاسحاقى المدرس فى غربى دجلة على ١٧ كيلومترا شمال محطة قطار سامراء يعرف اليوم بالحويصلات • وقد تبين من نتائج تنقيباتها فيه ومقارنتها بالآثار البلدانيين الاقدمين فى نصر الجص ، ان موصع الحويصلات هو نصر الجص نفسه (م) •

(٢) أقام فى سامراء بعد المعتصم سبعة خلفاء هم • الواثق ، المتوكل ، المنتصر ، المستعصم ، المعتز ، المهندي وآخرهم المعتد الذى هجر سامراء وعاد الى بغداد سنة ٢٧٩ (٨٩٢) (م) • (٣) ما رالت هذه المنارة قائمة الى اليوم تعرف بـ « الملوية » • وهى على بعد قليل من شمال شرقى سامراء الحديثة ، على نحو ٢٥ مترا من الجدار الشمالى لجامعها القديم • وكانت « الملوية » قد نال الخراب من بعض أقسامها ولاسيما فى قاعدتها وفى ملتوياتها الاولى ، حتى ان معالم قاعدتها خفيت عن الانظار بما تراكم عليها من القاذى ، فظن كثيرون ان مرقاتها تبدأ من سطح الارض • الا ان مديرية الآثار العراقية عيّنت بصيانة هذه المنارة فازاحت عنها تلك الانقاض وظهرت أسس القاعدة وأعادت بنائها وعمرت مرقاتها حتى الآن • وهذه المنارة مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢ مترا يصعد الى قمها بمرقاة حلزونية تدور حولها من خارجها خمس مرات وعرضها ٢/٥٠ مترا • وتبدأ المرقاة من وسط الضلع الجنوبية للقاعدة المقابلة لباب المسجد الجامع وتنتهى الى

والظاهر ان هذه المنارة القديمة ، وهى ما زالت شاخصة تعرف بـ « الملوية » كانت ذات مرقاة حلزونية تدور حولها من خارج يُصعد بها الى قمته . والملوية الآن على نحو نصف ميل من شمال سامراء الحالية . وهذا ما رآه المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد قال ان المنارة القائمة فى المسجد الجامع يومذاك يبلغ طولها مئة وسبعين ذراعاً ولها مرقاة من خارجها لا يرى مثلها فى مكان آخر وزاد على ذلك ان قد بناها الخليفة المعتصم ^(١) .

اما ما هو أحدث من ذلك من مراجع ، فلم يزدنا علماً بسامراء الا قليلاً . ثم صار جل اهل سامراء من الشيعة ، اذ ان فيها ضريحى الامامين العاشر والحادى عشر : على الهادى وابنه الحسن السكري . وفى جامعها سرداب الغيبة يقولون ان الامام الثانى عشر غاب فيه فى سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وهو القائم المهدي المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان ^(٢) . ويقوم هذان الضريحان فى الموضع المعروف بـ «سكر المعتصم» . والى هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالسكري . وفى اوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين كتب المستوفى ، وهو شيعي ، ذكر هذه المراقد بوجه خاص وقال ان فى المسجد الجامع القريب من هذه المراقد ، فضلاً عن منارته العظيمة التى أشرنا اليها ، حوضاً مشهوراً من حجر ، يعرف بقصعة فرعون ^(٣) ، محيطها ثلاث وعشرون خطوة وارتفاعها سبع اذرع وثلاثون نصف ذراع ، قائمة فى صحن

القمة برفقة صخرة مستديرة علو سقفها سنة أمتار ، بابها من الجهة الجنوبية يبلغ ارتفاع الملوية عن سطح الارض ٥٢ متراً . (راجع سامراء لدائرة الآثار العراقية ص ٤٣ - ٤٥) (م) .

(١) اشار أبو منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) الى المنارة الملوية فى سر من رأى فى كتابه لمار القلوب لى المصاف والمسنوب ، فقال (ص ٤٢١) ان المتوكل « كان يصعد منارة سر من رأى على حمار مريسي ، ودرج تلك المنارة من خارجها وأساسها على جريب من الارض ، وطولها تسع وتسعون ذراعاً . ومريس قرية ببصر » (م) .

(٢) راجع فى صفة هذا السرداب وما فيه من نقوش وزخارف وكتابات رسالة « باب الغيبة لى سامراء » لدائرة الآثار القديمة ، وقد طبعت سنة ١٩٣٨ . (م) .

(٣) جاء فى الحوادث الجامعة (ص ٣٠٦) : « ولها (سنة ٦٥٣ هـ) : « حملت القصعة الحجر المروقة بقصعة فرعون من سر من رأى الى بغداد فى كلك ، ورفقت تحت دار الخليفة ، وكانت عظيمة جداً ، فلم تزل الى سنة سبع وخمسين وستمئة ، ثم كسرت » وهذا يدل على ان المستوفى نقل خبرها . وعلى انها لم تكن فى زمانه باقية (الدكتور مصطفى جواد) .

الجامع للوضوء . وقد امر الخليفة المعتصم بعملها . وزاد المستوفى على ذلك ان معظم سامراء في ايامه قد استولى الحراب عليه ولم يبق من المدينة الا قليل . وايد هذا القول وصف ابن بطوطة لها ، وقد زار سامراء سنة ٧٣٠ (١٣٣٠)^(١) .

وعلى ثلاثين ميلاً من شمال سامراء ، مدينة تكريت على ضفة دجلة الغربية . وكانت تعد آخر مدينة في حد العراق . وهي مشهورة بقلعتها الحصينة المظلة على دجلة . وذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ان أكثر أهلها نصارى وان لهم ديراً هناك . وكانت هذه المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، معروفة بصنّاع الصوف وانها معدن السمس . وزاد المستوفى على ذلك ما يقال من ان البطيخ يزرع فيها ثلاث مرات في السنة بالرغم من برودة هوائها . وذكر ابن جبير حين مر في تكريت سنة ٥٨٠ (١١٨٤) انه يطيف بالبلد سور محيطه ستة آلاف خطوة وابعاجه مكيّنة . وقد اطرى ابن بطوطة اسواقها وجوامعها الكثيرة^(٢) .

والنهر وان يحمل من دجلة ، وأوله أسفل الدور بشيء يسير على ما قد بينّا . وكان يعرف في أعلاه بالقاطول الكسروى لائن الأكراسة أول من أحدثه . وكان يسقى الارضين التي في شرقي دجلة من فوق سامراء الى نحو مئة ميل جنوب بغداد . وذكر ابن سراييون عدداً كبيراً مما على ضفافه من مدن ، وأشار الى الجسور والشاذروانات ، غير ان جلّها قد زال الآن ، وان كانت معالم النهر ما زالت ترى

(١) البلاذرى ٢٩٧ و ٢٩٨ ؛ المعصومى ٢٥٥ - ٢٦٨ ؛ ابن خرداذبه ٩٤ ؛ ابن سراييون ١٨ ؛ الاصطخرى ٨٥ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ المقدسى ١٢٢ و ١٢٣ ؛ ابو العلاء ٢٨٩ ؛ ياقوت ٣ ، ١٤ - ٢٢ و ٨٢ و ٦٧٥ ؛ ٤ ؛ ١١٠ ؛ ابن خلكان (رقم ٨ ص ١٥) ؛ المسنوقى ١٣٩ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ١٣٢ . فلنا . بعد ان صنف المؤلف كتابه ، ظهرت جملة تأليف عن « سامراء » ، « رباب الغيبة » في سامراء ، ومقالات في مجلة سومر ، وكتاب رى سامراء للدكتور أحمد سوسة ، وكتاب حمريات سامراء للبروسور هرتسفلد Herzfeld, Ausgrabungen von Samarra وهو في ستة مجلدات الخمسة الاولى تصف الحفريات ، والسادس في تاريخ سامراء وخطتها وقد صدر أخيراً بعنوان Geschichte der Stadt Samarra . ورحلة بيلي Beylie بالفرنسية ، وكتاب فيوليه Viollet بالفرنسية في حمريات سامراء ، وما كتبه البروقسور كرسويل عن عمارات سامراء في كتابه : Early Moslem Architecture (م) .

(٢) الاصطخرى ٧٧ ؛ ابن حوقل ١٥٦ ؛ المقدسى ١٢٣ ؛ ابن جبير ٢٣٤ ؛ المستوفى ١٣٨ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ١٣٣ .

فى الخارطة . وبعد ان يتجاوز النهران الدور^(١) التى سميت دور عربايا أو دور الحارث تميزا لها عن غيرها من المدن الكثيرة التى عرفت بهذا الاسم ، يمر مماسا لقصر المتوكلية وغيره مما فى ظاهر شمالى سامراء من احياء ، وعليه هناك قنطرة حجارة^(٢) . ثم يمر الى الايتاخية وهى قرية وقطعة منسوبة الى ايتاخ التركى ، وقد كان صاحب حرس الخليفة المتصم ، وكانت أولاً تعرف بدير أبى صفرة ، وعليه هناك قنطرة كسروية . وانما سمي الدير بهذا الاسم نسبة الى ابي صفرة وهم قوم من الخوارج . ثم يمر النهران الى المحمدية وهى بلدة صغيرة وعليه هناك جسر زواريق^(٣) . والمحمدية هذه على ما قال ياقوت اسم حديث للايتاخية ، سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المتصم وقد تولى الخلافة بعد مصرع أبيه . وعلى بعد قليل أسفل من هذه المواضع ، يلتقى بالنهران القواطيل الثلاثة وهى : اليهودي فالمأموني فأبو الجند . وأوائلها كلها موضع واحد فى جانب دجلة الايسر قرب المطيرة أسفل من سامراء ، وكانت تسقى البقاع الخصبة فى جنوب المدينة . وأقيم فى النهران ، فوق مصاب هذه القواطيل فيه ، أول سد من السدود الكثيرة (الشاذروانات) ، ثم يمر الى المأمونية وهى قرية كبيرة عند مصب أول قاطول . وكان على قاطول اليهودي بين المطيرة والمأمونية قنطرة تعرف بقنطرة وصيف ، نسبة الى وصيف القائد التركى فى أيام المتصم . والقاطول الثانى وهو المأموني ، يصب فى النهران أسفل من قرية القناطر . والقاطول الثالث وهو أبو.

(١) الدور جمع الدارة . والدارة : المحل والقبيلة وكل ارض واسعة بين جبال .

قلنا . ان دور عربايا فى شمال كرخ سامراء حيث قطعة اشناس وسوره ، بينها وبين المتوكلية ، وبالقرب منها القاطول الكسرى ، وهى غير مدنة الدور الحالية . الى يقال ان فيها ضريح الامام محمد الدورى (م) .

(٢) يريد المؤلف بها قنطرة الرصاص . ولا اثر لها الآن وان كان موضعها معروفا (م) .

(٣) يحسن بنا ان نشير الى ان لفظة « حسر » تطلق على جسر سفن أو رواريق . و « قنطرة » على ما جنى بالحجارة . والشاذروان يطلق على قسم من نهر أو فاع نهر قد رصفت فى ارضه الحجارة وبنيت جوانبه بها لضبط الماء فى النهر . وقد تطلق لفظة الجسر أيضا على القنطرة المشيدة بالحجارة كما هو الامر فى جسر الوليد المشهور وهو اسم القنطرة التى على نهر سروس بين اذنه والمصيصة Mopsuestia وقد بناها يسطينيان . وتطلق لفظة قنطرة على أى بناء ذى عقود كالاروقة التى تعلو بعض الدروب أو القناطر التى يعبر فوقها . والقنطرة لفظ مأخوذ من البرتطين وكانوا يستعملون كلمة Kentrom وفى اللاتينية Centrum . وهى الطاق الأوسط من الجسر ثم صارت تطلق على البناء كله .

الجند ، وسمي أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الارضين وهى التى جمعت أرزاقا للجند . وكان أبو الجند أجلّ القواطيل وأعمرها شاطئا حفره هرون الرشيد وبنى له فيه قصرا يوم أقام هناك إبتان حفره . وكانت على جانبيه مدينة «طَقَر»^(١) وعليه هناك جسر زواريق . ووصف ياقوت طفر ، وقد زارها فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، انها « قاع موحش ليس به ماء ولا مرعى بين باعقوبا ودقوقا »^(٢) . وقد سلكه ياقوت مرة من بغداد الى اربل فلم ير فيه أثر ساكن ولا أثر طارق . وقال ان دليله كان يستقبل الجدي حتى أصبح وقد قطعه .

وعلى أربعة فراسخ أسفل من التقاء آخر هذه القواطيل الثلاثة والنهروان ، مدينة صولى (أو صلوى) وتسمى أيضا باب صلوى أو باصلوى . وأسفل منها مدينة باعقوبا ، على عشرة فراسخ شمال بغداد . وهى مدينة طسوج النهروان الاعلى . وعند باعقوبا يعرف القاطول الكبير بـ « تامرا » ويبقى بهذا الاسم حتى يصل الى باجسرا^(٣) ومنها الى البلدة المسماة جسر النهروان . وبالقرب من باجسرا (وهى الصيغة الارامية لبيت الجسر) ، وهى وسط طسوج عامر تحف به النخيل يحمل من يمين تامرا ، نهر يقال له نهر الخالص ويصب فى دجلة عند البردان شمال بغداد . ويحمل من الخالص أنهار كثيرة تسقى بغداد الشرقية . أما جسر النهروان ، ويقطعه طريق خراسان الذاهب من بغداد ، فسيأتى الكلام عليه فى سياق بحثنا هذا . ويحمل هنا من يمين النهروان نهر يقال له نهر يمين يصب فى دجلة عند كلواذى . ويتفرع من هذا النهر أنهار كثيرة تسقى المحلات السفلى فى بغداد الشرقية . ويحمل من النهروان نهر يقال له نهر دىالى أوله أسفل الجسر بميل ، يمر بقرى وضياح ويصب فى دجلة أسفل بغداد بثلاثة أميال^(٤) .

(١) لم يعثر فى المراجع البلدية على ما يشير الى ان طفر كانت مدينة ويؤخذ من وصف ياقوت لها انها اسم لأرض واسعة بين باعقوبا ودقوقا . (م) .

(٢) تعرف اليوم باسم داقوق وطاوق وهى مركز ناحية داقوق فى لواء كركوك (م) .

(٣) اسمها اليوم ابو جسرا ، وهى من القرى المامرة لى قضاء المقدادية (شهربان) ، وليها محطة للقطار الذاهب من بغداد الى كركوك ، وهى فوق باعقوبا لا أسفل منها كما ذكر المؤلف (م) .

(٤) الصواب : ثلاثة فراسخ ، على ما فى ابن سرييون (ص ٢٠ من طبعة لسترنج) فالمسافة اليوم بين الباب الشرقى ببغداد ومصب دىالى فى دجلة نحو عشرين كيلومترا (م) .

ومن جنوب مدينة جسر النهروان ، يعرف النهر باسم النهروان • ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ، ثم يمر الى جسر بوران ، وانما سمي بذلك نسبة الى زوجة الخليفة المأمون • وأسفل من جسر بوران : يرزاطية (لعلها يرزاطية) ثم يمر الى مدينة عبرتا ، وقد ذكر ياقوت انها اسم أعجمي^(١) وفيها سوق عامر ، ثم الى الشاذروان الاسفل ، ثم يمر الى اسكاف بنى الجنيد ، وهى مدينة فى جانين والنهر يشقها • ويؤخذ مما ذكره ياقوت ، ان بنى الجنيد كانوا رؤساء هذه الناحية وكان فيهم كرم ، وزاد على ذلك قوله « وهاتان الناحيتان الآن (المثة السابعة = الثالثة عشرة) خراب ، بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية ، كان قد انسد نهر النهروان ، واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم ، وتطرقها عساكرهم ، فخربت الكورة بأجمعها » •

ويمر النهروان بعد اسكاف بنى الجنيد ، بنحو ستين ميلا ، بين قرى متصلة وضياح مائة الى ان يصب فى دجلة أسفل ماذرايا بشىء يسير • وماذرايا ، على ما قد بينا ، فى جنوب جبّـل فوق المبارك التى بازاء مدينة نهر سابس ، وكانت فى زمن ياقوت خرابا ولم يبق لاسمها أثر فى الخارطة الآن • على انها قد كانت أسفل كوت العمارة حيث يتعد دجلة عن شط الحجي على ما تقدم بيانه^(٢) •

وهذه الأقسام الثلاثة للنهر (واعني بها القاطول وتامرا والنهران) مع فروعها الثلاثة (الخالص ونهر بين وديالى) التى تعود مياهها الى دجلة بعد ان تسقى نواحي بغداد الشرقية ، توضح ما أورده ابن سراييون عن الشبكة المائية المعقدة • فالأسماء التى أطلقها عليها لا توافق ما صارت اليه بعد زمنه • فان نظرة واحدة الى الخارطة الحديثة ترينا ان النهروان البالغ طوله مئتين ميل ، كانت تجتمع فيه مياه الجداول ومخارجها فى الجبال الفارسية • ولولا ان النهروان قد حفر ، لطغت مياهها (فى أيام الفيضان) على الجانب الايسر لدجلة • فقسم تامرا

(١) قلنا انه ارامى (م) •

(٢) لىل يرزاطية هى رزطية أو زطرية الحالية وهى فوق عبرتا • اليعقوبى ٣٢١ : ابن سراييون ١٦ و ٢٠ : البلاذرى ٢٩٧ : ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٥ : المسعودى : القلبيّه ٥٣ : ياقوت ١ : ٢٥٢ و ٤٥٤ : ٣ : ٥٣٩ و ٦٠٤ : ٤ : ١٦ و ٣٨١ و ٤٣٠ •

من النهروان كان في مبدئه جدولا من هذه الجداول . فقد ذكر ياقوت انه « خيف ان ينزل من الأرض الصخرية الى الترابية فيحفرها ، ففرش سبعة فراسخ وسيق على ذلك الفرش سبعة أنهار كل نهر منها لكورة من كور بغداد » الشرقية . وكان الخالص وديالى ، على ما ذكر ، فرعين لثامرا (وعلى كل حال فان الخالص الذي ذكره البلدانون العرب ليس بالنهر المعروف بالخالص اليوم ، اذ ان النهر الحالي يجري على مقربة من شمال غربي باعقوبا) . والخالص في أيام ياقوت اسم كورة في شمال طريق خراسان ، وينتهي أحد أطرافها الى أسوار بغداد الشرقية . وفي المئة الثالثة (التاسعة) جعل ابن رسته وابن خرداذبه النهروان اسم نهر يأتي من الجبال ويصب في القاطول عند صلوى . وذكر المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان النهروان كان اسما لنهر ديالى الذي يخرج من جبال كردستان ويتألف من اقتران نهرين هما شروان وبسى في أسفله تيمرا ونهر حلوان وهو يمر الى قصر شيرين وخانقين ويصيران فوق باعقوبا نهرا واحدا يصب في النهروان^(١) .

اما بلدة النهروان المعروفة أيضا بجسر النهروان ، فهي أول مرحلة في طريق خراسان من بغداد . وكانت في القديم موضعا جليل الشأن وقد حل محلها الآن دسكرة سفوة الصغيرة . وقد وصف ابن رسته في المئة الثالثة (التاسعة) بلدة النهروان بأنها مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين في وسطها وقال : « في الجانب الغربي أسواق ومسجد جامع ونواعير تسقي أراضيها . وفي الجانب الشرقي مسجد جامع وسوق وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والمارة » . ونوه ابن حوقل في المئة الآتية بكثرة غلاتها وخيراتها . وزاد المقدسى على ذلك ان الجانب الشرقي كان في يومه أعمر وفيه المسجد الجامع ، ولما كتب المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت بلدة النهروان خرابا لان طريق خراسان قد عدل عنها واتجه شمالا مارا بباعقوبا^(٢) وظلت تلك البقعة الخصبة هناك حتى أيامه تعرف بطسوج

(١) راجع عن النهروان فليكس جونس وكتاب « رى سامراء » للدكتور أحمد سوسة (م) .

(٢) قلنا : وما زال هذا الطريق مستعملا حتى اليوم وهو الماد من بغداد الى خانقين ومنها الى

إيران (م) .

طريق خراسان وكانت باعقوبا^(١) على ما ذكر المستوفى أولى مدنه ، وهى ذات بستين ونخيل متصلة تؤتى أجود أنواع التارنج والأترج^(٢) .

وتعرف بلدة براز الروز الآن ببلدة الروز (أو بلد روز) وهى فى شمال شرقى بلدة النهروان . وذكرها ياقوت غير مرة . وكان الخليفة المعتضد قد بنى فيها قصرا^(٣) . وتمتد من طسوج تامرا . وهى من شرقى طريق خراسان ، وقد أشار إليها المستوفى أيضا . والمرحلة التى تلى مدينة النهروان فى طريق خراسان دسكرة الملك وقد وصفها ابن رسته بقوله « هى مدينة كبيرة وبها قصر من بناء الأكاسرة حوله سور مشرف وليس داخله شيء من البناء له باب واحد مما إلى المغرب » . ويتبين من موضع هذه الدسكرة انه يطابق موضع دستجرد المشهورة حيث ابتنى خسرو برويز قصرا عظيما جاء فى التاريخ ان هرقل نهبه وأحرقه عن آخره فى سنة ٦٢٨ للميلاد . وهذا القصر ، وبقيت خرائبه على ما يظهر الى المثة الرابعة (العاشرة) ، يعرف بدستجرد كسروية ، قد رآه الرحالة ابن مهلهل (وقد نقل عنه ياقوت) فقال « فيها أبنية عجيبة من جواسق واىوانات ، كلها من الصخر المهتدم ، لا يشك الناظر إليها انها من صخرة واحدة منقورة »^(٤) ، اما الدسكرة ،

(١) باعقوبا ، مدينة عامرة على نهر خريسان هى اليوم مركز لواء ديبالى . تبعد عن شمال شرقى بغداد نهر ٦٠ كيلومترا . وتتصل بها بالقطارات والسيارات . ولعل اسمها الحالى من الارامية « باعاقوبا » (بيت عاقوبا) ومعناه موضع الفاحص أو المفتش أو المحقق لانها على طريق القوافل الذاهبة شرقا الى ايران ولانها تتوسط أنهارا للرى تنفرع من ديبالى . وقد جرى الناس على كتابة اسمها اليوم بصورة « بعقوبة » ر « بعقوبا » . وهذه الصورة الأخيرة مستعملة فى المثة السابقة للهجرة فقد وردت بها فى المراتك الجامعة (ص ٢٢٨) ومعجم البلدان (مادة بعقوبا) (م) .
(٢) ابن رسته ٩٠ و ١٦٣ : ابن خردادبه ١٧٥ : الاصطخرى ٨٦ : ابن حوقل ١٦٧ : المقدسى ١٢١ : ياقوت ٨ : ١١٢ : ٢ : ٣٩٠ و ٩٣٨ : الجستولى ١٣٩ و ١٤٦ و ٣١٦ .
(٣) قال ياقوت (معجم البلدان مادة « براز الروز ») : كان للمعتضد به (أى بطسوج براز الروز) أبنية جليلة .
وبلد روز اليوم بلدة على نهر روز من الفروع اليسرى لنهر ديبالى ، وهى مركز ناحية باسمها تابعة الى قضاء مندلى ، قيل اسمها مركب من « براز الروز » وأصله الفارسي براز - روز (روز = نهر براز = خنزير) ليكون معناه النهر الخنزير . وقيل فى تفسير معناها أيضا أنه « ضياء النهار » أو « بهاء النهار » (راجع : القصد والاستطراد فى أصول معنى بغداد لتوفيق وهبى ص ٣٠ - ٣١ : ولغة العرب ١ : ٣٧) (م) .

(٤) ظهر لنا من مراجعة ياقوت (٢ : ٧٣ مادة دستجرد) ان ابن المهلهل قال « تسير من قنطرة النعمان قرب نهاوند الى قرية تعرف بدستجرد كسروية فيها أبنية عجيبة من جواسق الح » على ما هو منقول فى متن الكتاب أعلاه . لهذا الوصف يعود الى دستجرد فى بلاد فارس وهى غير دستجرد التى كانت دسكرة الملك فى العراق . (م) .

البلدة العربية ، فان ابن حوقل ذكر في المئة الرابعة (العاشرة) ان في الدسكرة حصنا قويا بناء المسلمون^(١) . وقال المقدسي في هذه المدينة انها « مدينة صغيرة سوقها واحد طويل ، الجامع أسفله ، غام بأزاج » . وعلى مقربة من الدسكرة ، قرية شهربان ، ذكرها ياقوت والمستوفي وأشار الأخير الى ان من أعمال هذه البلدة ثمانين ضيعة انشأتها الأميرة گلبان من بنات الاكاسرة .

وكانت المرحلة التالية في طريق خراسان ، مدينة جلولاء ، تحف بها الاشجار ولا سور لها . وعلى مقربة من هذه المدينة قنطرة من بناء الاكاسرة من حجر مرصصة ، وهناك قرية يقال لها الهارونية . وعلى ما في ياقوت ، انها كانت فوق النهر الذى تسير فيه السفن من باعقوبا الى باجسرا . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ (٦٣٧) فاستباحهم المسلمون وفر الملك يزجرد . وسمى المستوفي هذا الموضع رباط جلولاء ، لان فيه رباطا بناء ملكشاه السلجوقى . وموضع جلولاء في وقتنا هذا هو مرحلة قزلرباط^(٢) (أى الرباط الاحمر) الحديثة . وكان في شرق جلولاء ، مدينة خاتقين وقد أشار المقدسي الى انها مدينة « على جادة حلوان » . وذكرها ابن رسته فقال : « بها واد عظيم قد بنيت عليه قنطرة عظيمة بجص وآجر وطيقان » . وبالقرب من خاتقين عين للنفط^(٣) عظيمة كثيرة الدخل . وقال ياقوت : « بها قنطرة عظيمة على واد تكون ٢٤ طاقا ، في أيامه أى في المئة السابعة (الثالثة عشرة) عليها جادة خراسان . ولما كتب المستوفي في القرن التالى ، ذكر ان خاتقين قد آلت الى الخراب فلا تعدو قرية كبيرة الا ان ناحيتها لبثت وافر الغلات^(٤) .

(١) ما في ابن حوقل (١ : ٢٤٦ من الطبعة الثانية = ١٦٨ من الطبعة الاولى) « وبالدسكرة نخيل وزروع كثيرة وبخارجها حصن من طين داخله فارغ » (م) .

(٢) عبرت الحكومة العراقية اسم بلدة قزلرباط وجعلته « السعدية » نسبة الى القائد العربى المشهور « سعد بن ابى وعاث » . وهى اليوم مركز ناحية السعدية في قضاء خاتقين - لواء ديالى (م) .

(٣) وتسمى اليوم « نطفخانة » وبها آبار للنفط تستعبطه شركة لطف خاتقين ويبيع فى اسواق العراق (م) .

(٤) اما خاتقين اليوم فانها بلدة عامرة ، وهى مركز قضاء خاتقين فى لواء ديالى ، وبها تنتهى سكة الحديد الممتدة من بغداد ، ومنها يسر الطريق من بغداد الى ايران مارا بقصر شيرين الى كرمانشاه (م) .

وعلى ستة فراسخ مما يلي خانتين ، فى وسط الطريق الى حلوان ، وهى أول بلدة فى اقليم الجبال ، تقوم قصر شيرين . وكانت شيرين معشوقة الملك كسرى ابرويز . وهناك قرية كبيرة ذات أسوار واطلال قصر ساسانى ، وصفه ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) بقوله : « فيه ايوان عظيم كبير مبني بالحص والاجر ، وحول الايوان حُجَرٌ ينفذ بعضها الى بعض ومنها أبواب تؤدي الى الايوان والدكان بالبلاط والمرمر » . ولياقوت والمستوفى وصف طويل لقصر شيرين التى ما زالت أطلالها باقية . ومما يتّوه به ان حكاية فرهاد ، عشيق الملكة شيرين وبلهذ الغنى والمواد وشهيد فرس الملك ابرويز المشهور ، قد صارت من الحكايات المحلية فى كثير من البقاع فى تلك الارحاء^(١) وتطلّ على قصر شيرين الجبال العظيمة التى عند بداية هضبة فارس . وحلوان ، المرحلة التالية فى فى طريق خراسان ، وهى وان كانت تعد من أعمال العراق فى الغالب ، الا انها لوتوعها فى المضيق الجبل ، سنأتى على وصفها فى فصل آخر .

وفى جنوب طريق خراسان عند حدود خوزستان ، مدينتان مهمتان تحسن الاشارة اليهما ، هما : البنديجين وبيات . والبنديجين اسم لم يبق له ذكر فى الحارطة ، الا ان هذه المدينة كانت أهم مدن طسوجى بادرايا وباكسايا ، وما زالت قرية باكسايا قائمة ولا بد ان يكون موضع البنديجين على مقربة منها^(٢) . وهذان الطسوجان مما يلي شمال شرقى النهروان ، فيهما عدد كبير من القرى الحصبة . وكانت البنديجين مركز هذين الطسوجين ، عرفت بالفارسية على ما رواه ياقوت وندنيكان . وذكر المستوفى ان الاسم فى أيامه كان يلفظ بندنيكان وانها فى ناحية لحف جبال كردستان ، وينحدر نهراها من أرتجان . والبنديجين ، على ما ذكر ابن

(١) ابن رسته ١٦٤ ، الاصطخرى ٨٧ ، ابن حوقل ١٦٨ ، المقدسى ١٢١ ، القزوينى ٢ ، ٢٩٥ ؛ ياقوت ١ : ٥٣٤ ، ٢ : ١٠٧ و ٣٩٣ و ٥٧٣ و ٥٧٥ و ٨١٣ ؛ ٤ : ١١٢ ، المستوفى ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٩٣ .

(٢) قلنا : ان البنديجين تعرف اليوم باسم « مندى » . ومندى على نحو ٦٣ كيلو مترا من شرقى باعقوبا ، قرب الحدود العراقية الايرانية . وهى اليوم مركز قضاء باسمها فى لواء دىالى بالعراق . واسم هذه المدينة بالاشورية « اردليكا » او « اردريكا » . وفى العارسية القديمة « رودنيكا » وذكرها هيرودتس باسم « اردريكا » وقال ان فيها عيون نعط . والظاهر ان الاسم « مندى » تطور من رودنيكا او اردنيكا او اردريكا الى وتديكان وبندنيكان نالى بندنيج والبنديجين فمندليج فمندلى وهو الاسم القائل اليوم « راجع سومر : ٨ (١٩٥٢) ص ٢٧٧ - ٢٧٨ (م) .

خرادذه ، كانت هي وبراز الروز في كورة واحدة . اما بيات ، وما زالت خرائبها ظاهرة ، فقد ذكرها المستوفى بقوله : ان مخرج نهرها جبال كردستان وبقي في المفاوز فلا يصل دجلة ومع ان ماءه كان على شيء من الملوحة ، فان كثيرا من النواحي كانت تسقى منه . والظاهر ، ان بيات كانت حيث بلدة الطيب التي ذكرها ابن حوقل بقوله : « يتخذ بالطيب تكك تشبه الارمني »^(١) . وكانت الطيب بلدة قليلة الشأن في أيام العباسيين . وتجاور خرائبها بقايا بلدة بيات الحادثة بعدها . وروى ياقوت ان أهل الطيب « نبط ولغتهم نبطية »^(٢) ، ويرجعون نسبهم الى شيث بن آدم^(٣) .

ونصف الآن مدن العراق التي على الفرات وعلى الانهار الحاملة من الفرات الى دجلة . فقد بينا قبالا ، ان الخط الذي يبدأ من دجلة عند تكريت ويتجه غربا الى الفرات ثم يعبره أسفل من عانة يسير عند انعطاف النهر جنوبا ، هو الحد الطبيعي بين اقليمى الجزيرة والعراق ، على ما قال المستوفى . ومن جنوب هذا الخط يبدأ السواد ، وهو أرض بلاد بابل الرسوبية . وفي شماله السهول الحجرية فيما بين النهرين الأعلى . وتمتد « حديثة » الفرات وهي على خمسة وثلاثين ميلا أسفل من عانة ، أقصى مدينة في شمال هذا القسم . وعرفت بحديثة النورة تمييزا لها عن حديثة دجلة . وذكر ياقوت ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات ، والماء يحيط بها ، أنشئت في أيام عمر بعد الفتح العربي بوقت يسير . ووصفها المستوفى بانها مقابل تكريت موصفا وهواء . وبين الحديثة وهيت ، للمنحدر ، بلدا آلوسة وناووسة وهما على الفرات بين الواحدة والأخرى سعة فراسخ . وآلوسة ، على ما ذكر ياقوت ، بلدة صغيرة وما زالت قائمة الى اليوم

(١) اشتهرت مدن ارمينية بعمل الملابس ونحوها من خالص الحرير تسمى « الارمني » وهي ثينة جدا لا نظير لها في باقي البلدان بالحسن والجودة . نوه بالارمني كثير من الكتبة الاقدمين . انظر الاصطخرى ٩٤ و ١٥٣ و ١٨٨ ؛ ابن حوقل ٧٩ و ١٧٦ و ٢١٤ و ٢٤٤ و ٢٤٦ ، معجم البلدان ١ : ٢٧٢ ؛ الاغانى ٥ : ١٧٣ ؛ بولات ؛ والتبصر بالتجارة للجاحظ ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ؛ ثمار القلوب للخالبي ٤٢٨ ؛ ولطائف المعارف للخالبي ١٢٨ (م) .

(٢) الببطية هي اللغة الارامية التي كان يتكلم بها في العراق حتى أيام السج (م) .
(٣) ابن خرداذبه ٦ ؛ الاصطخرى ٩٤ ؛ ابن حوقل ١٧٦ ؛ ياقوت ١ : ٢٣٠ و ٤٥٩ و ٤٧٧ و ٧٤٥ ؛ ٣ : ٥٦٦ ؛ ٤ : ٣٥٣ ؛ المستوفى ١٣٧ و ١٢٨ و ٢٢٠ . وبادرايا طسوج في البندليجين فلا يختلطن امرها ببادوريا الطسوج الجنوبي في بغداد الغربية .

ويقترون ذكر هاتين البلديتين في أخبار الفتح الاسلامي • وكانت الناوروسة تحسب من قرى هيت • وكانت هيت مدينة عليها سور ولها قلعة حصينة وفيها نخيل كثير وهي على جانب الفرات الغربي • وذكر ابن حوقل ان هيت مدينة عامرة • وقال المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان من أعمالها نبعاً وثلاثين قرية • منها قرية جبة (جبتى) وكانت تكثر فيها فاكهة البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والتمر والتاريخ ، غير ان المدينة نفسها لم تكن طيبة السكنى لما يخالط هواءها من روائح كريهة تنبعث من عيون القير المجاورة لها^(١) •

وفي أيام الفتح الاسلامي ، كان خندق سابور (وهو الملك سابور الثاني) موجودا • وقد حفر هذا الخندق في المئة الرابعة للميلاد ، سابور ذو الاكتاف على ما أسماه العرب • يبدأ هذا الخندق من هيت ويمتد جنوباً الى الأبلّة (قرب البصرة الحديثة) حتى ينفذ الى البحر • وكان الماء يجري فيه أول أمره • وجعل عليه المناظر والمسالح ليكون مانعاً لمن أراد السواد من أهل البادية • وما زالت ترى بعض أقسامه الجافة • وعين التمر ، وهي في جنوب هيت في البادية ، قال فيها المقدسى انها بلدة حصينة ، ويخرج من عين التمر نهر يمرّ بارضها ويصب في الفرات أسفل من مدينة هيت • ومنها يحمل القصب والتمر الى سائر البلاد ومن موضع يقال له شفاثا بقربها • على ان موضع هذين

(١) بلدة « هيت » اليوم مركز ناحية باسمها في لواء الدليم • تكثر بعربها عيون الغار وعيون معدنية شافية لبعض الامراض • وهي مدينة قديمة ، جاء اسمها في السومرية بصورة دليل Dul-Dul-i اما اسمها « هيت » فمن البابلية • فالبابليون يسمون الغار في لغتهم « ادو » • وكانوا يسمون هذه البلدة باسم « اد » (ID) و « ات » (IT) ومعتابها (مدينة) الغار • وأشار هيرودتس في تاريخه الى بلدة « ار » (IS) على مسيرة ثمانية ايام من بابل • وكان يمر من هذه البلدة نهر صغير يقال له « ار » • ايضاً كان يلفى بالفرات وكانت مناهه تحمل فيرا مثل القير الذي اتخذ في تحصينات بابل • وذكر ايزيدور الكرخي (Isidore of Charax) منزلاً في كلامه على « المنازل الفرتية » باسم « ازبوليس » (Ispolis) وجاء في حمراية بطليموس بلدة « ادكارا » (Idikara) على عين الفرات ، وهو اسم مركب من « اد » البابلية و « قارا » اللفظة النبطية العربية للغار • وذكر اميانوس مرشليس ان الجيش الروماني دخل في سنة ٣٦٣ م مدينة « دى افيرا » (Diacira) وكذلك ذكرها زوسيمس بهذه المناسبة باسم « داكيرا » (Dakira) وهي « دقيرا » بالسريانية و « ذو قير » بالعربية • وفي بطليموس السمود - وهو مكتوب بالارامية ذكر مدينة « اهي » او « اهد قيرا » (Ihidacira) وفي النبطية عرفت هيت باسم « هيد » او « هد » - وحرف « الهاء » يشير الى اداة التعريف في هذه اللفظة • وعلى ذلك في اللغة العبرية • وعليه ، فاسم هذه المدينة قد تطور من « اد » او « ات » البابلية بمعنى القار قال « اهد قيرا » العبرية او « هد » و « هيد » النبطية ثم صار « هيت » وهو الاسم الحالي لهذه البلدة ، وبه عرفها الكتبة العرب الافادمون • (راجع سومر ٨ [١٩٥٢] ص ٢٧٩ - ٢٨٠) (م) •

نهر معروف^(١) .

وكان على اثني عشر فرسخا اسفل من هيت ، قرية الرب حث كان يحمل نهر دجيل القديم من يسار الفرات قبل المثة الرابعة (العاشرة) ويشترق فبسقى طسوحى مسكن وفطربل ثم يصل الى الارباض الشمالية لنداد الغربية . وقد انطمر هذا القسم الغربى من دجيل على ما قد بنا . وحين كتب الاصطخرى فى سنة ٣٤٠ (٩٥١) كان دجيل يأخذ ماء من دجلة بازاء القادسية ، وقد أوضحنا ذلك فى كلامنا على طسوج مسكن . أما الأنبار ، وهى على يسار الفرات ، فقد كانت من مدن العراق العظيمة أيام العاسيين . ويرتقى زمنها الى ما قبل الفتح الاسلامى . وقد سماها الفرس فيروز سابور (وباليونانية برسابور Perisabor) وكان أول من عمرها شابور^(٢) وصار اسم فيروز سابور يطلق فى أيام العرب على الطسوج الذى بكتنفها . ويقال ان هذه المدينة انما سميت بالانبار « لانه كان يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير والقت والتن ، وكانت الاكاسرة ترزق أصحابها منها ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء نى العباس وبنى بها قصورا وأقام بها الى ان مات » . وأقام بها أيضا أخوه المنصور حثاً من الزمن ثم انتقل منها^(٣) الى بغداد عاصمة بنى العباس الجديدة الى أخذ المنصور بنائها . وحكى المسوفى ، ان اليهود الذين سبهم نبوخذ نصر من بيت المقدس الى بابل كانوا قد حسوا فى الانبار . وقال ان دور أسوارها كان فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) خمسة آلاف خطوة^(٤) .

ومنزلة الانبار فى انها عند مخرج أول نهر كبير صالح لسير السفن يحمل

(١) ابن سراجون ١٠ و ١٣ ؛ ابن رسته ١٠٧ قدامة ٢١٧ ؛ اللادى ١٧٩ ؛ الاصطخرى ٧٧ ؛ ابن حوقل ١٥٥ ؛ المقدسى ١١٧ و ١٢٣ و ١٣٥ ؛ ياقوت ١ ؛ ٣٥٢ . ٢ ؛ ٢٢٣ ؛ ٣ ؛ ٧٥٩ ؛ ٤ ؛ ٧٣٤ و ٩٩٧ ؛ المسوفى ١٣٥ و ١٤١ .
(٢) اطلق العرب اسم سابور على الاسم العارسى « شابور » ار « شاهور » . وكبه اليونان سابور Sapor .

قلنا . وهو الملك الساسانى المعروف بسابور دى الاكتاف .

(٣) الذى ذكرته الواريخ انه انتقل الى بغداد من هاشمية الكوفة . (م) .

(٤) تعوم اطلال الانبار على يسار الفرات فوق القلوة بخمسة كيلومترات ، بينها وبين صفة الفرات اليوم مرار يعرف بالفياض . ولقطة الاسار جميع نهر مشقى من اللغة الابراية (فى الفارسية . القديية هم - بارا . وفى الفارسية الحديثة - انير) . وكان فى موضع مدينة الانبار مدينة قديمة لعلها هى مدينة « مسكينة » (بفنح الميم والسين) (سومر ٨ . [١٩٥٢] ص ٢٥٢ - ٢٥٣) (م) .

- ٩٢ -

من الفرات الى دجلة ويصب في الفرضة جنوبي المدينة المدورة في الجانب الغربي . وهذا النهر هو نهر عيسى ، وانما عرف بذلك نسبة الى عيسى الامير العباسي ، وهو اما ان يكون عيسى بن موسى ابن عم المنصور ، أو عيسى بن علي عم الخليفة (واليه ينسب النهر في الاغلب) . ومهما يكن الامر ، فان الامير عيسى اطلق اسمه على النهر اذ جدد حفره وجعله صالحا لسير السفن من الفرات حتى بغداد . وكان على هذا النهر بعد خروجه من الفرات أسفل الانبار بشيء قليل ، قنطرة مهولة يقال لها قنطرة ديمّا نسبة الى قرية ديمّا^(١) وكانت على ضفة الفرات عند القلوجة . ثم يمر فبستقي قرى طسوج فيروز سابور وضباعه حتى ينتهي الى المحول على فرسخ واحد من أرباض الجانب الغربي من بغداد . فاذا صار الى المحول تفرع من يساره نهر الصراة وهو النهر الذي يؤلف الحد الفاصل بين طسوج قطربل في شمال بغداد الغربية وطسوج بادوريا في جنوبها . ونهر الصراة الذي كان يجري غالبا بموازية نهر عيسى يصب في دجلة أسفل من باب البصرة أحد أبواب المدينة المدورة . وكانت تفرع من هذين النهرين جميع أنهار بغداد الغربية الا ما تفرع من نهر دجل وهو قليل .

أما المحول ، فقد سميت بذلك لان عندها يحول ما يكون في السفن الآتية من مدن الفرات الى بغداد الى سفن اصغر منها تعبر من تحت القناطر العديدة التي تعلو نهر عيسى فيما يلي المحول الى ريبض الكرخ . وكانت المحول بلدة حسنة طيبة نزهة كثيرة الساتين والفواكه والاسواق والمياه ، وكان فيها حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قليل من البنايات الفخمة . ذكر المستوفى منها قصرا بناء الخليفة المعتصم فوق تل لا يقربه البعوض بفعل رقية . ولا يعرف الآن موضع المحول الصحيح ، بيد انه يجب ان يكون في شمال شرقي التل البابلي القديم المعروف بحرقوف الذي ذكره البلدانون العرب كثيرا^(٢) . وقد ربط المستوفى بين هذا

(١) قال هلال الصابري (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧) : « وكان على نهر عيسى عند خروجه من الفرات قنطرة تسمى قنطرة ديمّا ، لها خمسة أبواب واحد كبير واربعه صغار » . وفي آخر القرن الثالث للهجرة جعل عرض الباب الاكبر اثنين وعشرين ذراعا وعرض الابواب الصغيرة ثمانية اذرع وذلك بعد الاسنيثاق من ان اكبر السمن تستطيع ان تمر منها (انظر متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٦ من الترجمة العربية) . وقد اخلف الاندلسيون في ضبط اسم ديمّا (م) .

(٢) تقع اطلال حرقوف على نحو ٣٠ كيلو مترا من غربي بغداد ، فوق مزرعة ابي غريب

الثل وأسطورة نمرود الجبار الذى ألقى بإبراهيم فى نار تتور حامية^(١) .
وعلى ثلاثة فراسخ أسفل من قرية دممّا يحمل من الفرات ، النهر الثانى
الكبير الى دجلة ، وهو نهر صرصر ومصبه فوق المدائن بأربعة فراسخ . وكانت
أسفل هذا النهر تسقى طسوج بادوريا فى جنوب بغداد القريبة . وذكر ابن
سرابون انه يُسقى منه بالدوالى والشواديّ . وفوق مصب هذا النهر فى دجلة
بشيء يسير عند زريّان وحيث يمكن رؤية قصر الاكاسرة الابيض فى المدائن ،
كانت مدينة صرصر العامرة وعليه فيها جسر من مراكب يعبر عليه طريق الكوفة .
ومدينه صرصر على فرسخين من الكرخ ، الرض الجنوبى الكبير فى جانب بغداد
الغربى . وكان نهر صرصر على ما ذكر ابن حوقل تجرى فيه السفن . ومدينة
صرصر عامرة بالخيّل والزروع . وشبهها المقدسى ببعض قرى فلسطين فى طراز
بنائها . وظلت صرصر مدينة ذات شأن حتى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
حينما استولى تيمور على بغداد وعسكر فى الارياض المجاورة لها .

اما النهر الثالث الذى يحمل من الفرات الى دجلة فكان نهر الملك . وأوله
عند قرية القلوجة^(٢) أسفل من فوهة نهر صرصر بخمسة فراسخ ، ومصبه فى

الحكومية ، وقد عرف هذا الموضع باسم « عرقوف » منذ ازمان بعيدة . وذكره المندائيون العرب به
وزاره كثير من السياح منذ منتصف القرن السادس عشر للميلاد . وطى بعضهم خطأ ان برجه ، اى
زفوره ، هو برج نابل المذكور فى النوراة . الا انه فى منتصف القرن التاسع عشر ثبت انه موضع المدينة
الكشفية المعروفة بدور كوريكلزو . وقد اجرت مديرية الآثار العامة تحريات محدودة فيه سنة ١٩٤٢ ، ثم
نقبت فيه ثلاث سنوات (١٩٤٣-١٩٤٥) . فظهرت هذه التنقيبات معلومات ثمينة عن أسس الزقورة وهيئة
قاعاتها وكشفت عن معابد المدينة ونصورها فى مكان يبعد نحو كيلو متر عن شمال البرج . فى تل
يعرف بالنل الابيض .

وقد تبين من هذه الكشف ، ان مدينة « دور كوريكلزو » قد أسسها الملك الكشى كوريكلزو
الاول فى بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد واتخذها عاصمة له بعد انتقاله من مدينة نابل وظلت
كذلك حتى سقطت الدولة الكشفية فى سنة ١١٧٠ ق م .

راجع سومر (١) : [١٩٤٥] ص ٣٦ - ٧٥) - (م) .

(١) ابن سراجون ١٠ و ١٤ ؛ ابن خرداذبه ٧ و ٧٢ و ٧٤ ؛ دمامة ٢١٧ ؛ الاصطخرى

٧٧ ؛ ابن حوقل ١٥٥ و ١٦٦ ؛ المقدسى ١٢٣ و ١٣٤ ؛ ياقوت ١ ؛ ٣٦٧ ؛ ٢ ؛ ٦٠٠ ؛ ٣ ؛ ٦٦٧ ؛

٤ ؛ ٤٣٢ ؛ المستوفى ١٣٦ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤١ .

واسائل نهر عيسى ونهر الصراة تعد من ضمن خطط بغداد ، وقد اشبعناها وصفا فى مصنف
لنا نشرناه سابقا وسدو ان موضع الالبار هو الخراف التى عند صفيرة (بالتنصير) ولعله الخراف التى فى
شمال هذه القرية وهى الى وضع المستر بيترز J. P. Peters مخططا لها فى كتابه « نهر »
(Nippur 1, 177) .

(٢) الفلوجة هى فلوجة (Feluchia Feluge) التى ذكرها سيزار فردريك وغيره
من تجار عصر الملكة اليزابيث اللين ، يأنحدارهم فى الفرات ، ابقوا سفنهم فيها وسافروا برا الى

- ٩٤ -

دجلة أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ • وكان نهر الملك معروفا منذ الازمنة القديمة فقد ذكره اليونان باسم نهر ملخا (Malcha) • وعلى ما فى ياقوت « قبل ان أول من حفره سليمان بن داود (عم) ، وقيل انه حفره الاسكندر الكبير • وكانت على ضفافه مدينة يقال لها نهر الملك ، عليه فيها جسر من سفن يعبر عليه طريق الكوفة » وهى على سبعة أميال جنوبا من صرصر • ومدينة نهر الملك ، كانت على ما ذكر ابن حوقل « أكبر من صرصر ، عامرة بأهلها وهى أكثر نخلا وزرعاً وثمرأ وشجراً منها » • وزاد المستوفى على ذلك ان قد كان فى كورتها نيف وثلاثمئة قرية (١) •

والنهر الرابع الذى كان يحمل من الفرات الى دجلة هو نهر كوثى • أوله أسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ • ويصب فى دجلة أسفل المدائن بعشرة فراسخ • وكان هذا النهر يسقى طسوج كوثى من كورة اردشبر بابكان (نسبة الى الملك الساسانى الاول) ويسقى فرع آخر منه طسوج نهر جوبر • وكانت مدينة كوثى ربأ ، وفيها جسر من سفن ، على هذا النهر ، ويقال انها تطابق كوثى الوارد ذكرها فى التوراة فى سفر الملك الثانى (١٧ : ٢٤) وكانت مدينة ذات شأن فى ناحية بابل • وكوثى ، على ما جاء فى الروايات الاسلامية ، « يزعمون انها نار النمرود بن كنعان التى طرح فيها ابراهيم واسمها من كوثى جد ابراهيم الخليل » • وقال ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) : « كوثى بلدان وتاجيتان تعرف احدهما بكوثى الطريق والاخرى بكوثى ربأ • ويزعم قوم ان كوثى ربأ مدينة كانت أكبر من بابل • وبها تلال رماد عظيمة قالوا هى رماد نار نمرود • وزاد المقدسى على ذلك « بقرب كوثى الطريق شبه منارة « قديمة » لهم فيها كلام » • وروت كتب الرحلات ان مدينة كوثى وموضعها على ما تشير اليه الخوارط هو تل

بغداد على ما جاء فى مجموعة هكلويت

Hakluyt, Principal Navigations (Glasgow, 1904) V. 387, 455, 466; VI 4.

قلنا : والفلحة اليوم على يمين الفرات قرب خرائب الانبار • وهى مركز قضاء الفلوجة فى لواء الديلم ، وهى من المواضع المسمورة قديما • فقد جاء هذا الاسم فى اللغة الاكديتية بصورة « بلوكاتو » Pallukatu وعرفها الاراميون باسم « بلوكا » Pallugtha واسمها بمعنى الانشطار والانفلاق اذ انها فى موضع تنفلق فيه الضفة الفرات (م) •

(١) وجاء فى ياقوت (٤ : ٨٤٦) وقد سبق المستوفى بنحو مئتين سنة « نهر الملك كورة واسمة ببغداد بعد نهر عيسى يقال له يشتمل على ثلاثمئة وستين قرية على عدد ايام السنة » (م) •

ابراهيم على ما يظهر ، وكانت على أربعة أميال جنوب مدينة نهر الملك^(١) .
وعلى بضعة أميال من شمال كوثي ، قرية فراشا الكبيرة وهي مرحلة تتوسط
بين بغداد والحلة في طريق الحاج الذاهب الى الكوفة على ما كان عليه في نهاية
المئة السادسة (الثانية عشرة) . وصفها ابن جبير وكان فيها سنة ٥٨٠ (١١٨٤)
فقال « قرية كثيرة العمارة يشقها الماء . . . وفيها خان كبير يحدق به جدار عال
له شرفات صفار » . وذكر المستوفي فراشا أيضا في وصفه للمسالك فقال انها
على سبعة فراسخ جنوب صرصر^(٢) .

(١) ترى اطلال مدينة كوثي ، في نحو منتصف الطريق بين المحاويل والصويرة ، وهي على ٢٦ كيلومترا
من الاولى . وتعرف اليوم بتل ابراهيم وتل جبل ابراهيم ، لوحود مرقد عليه نية في أعلى التل ينسب
الى ابراهيم . وهو اليوم في أرض لا ماء فيها . وهذه الاطلال واسعة عالية وتبين من فحص مديرية
الاثار العراقية لها ، انها من الازمة الفرثية والاسلامية (م) .

(٢) ابن سراييون ١٥ : ابن رسته ١٨٢ : الاصطحرى ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ :
المقدس ١٢١ : ابن حبير ٢١٧ : ياقوت ١ : ٧٦٨ ، ٤ ، ٣١٧ و ٨٤٦ ، المرصد ٢ : ٣٦٣ : على
اليزدي ١ : ٦٣٣ : المستوفي ١٤١ و ١٩٣ .

مجرى نهر عيسى هو مجرى الصفلاوية الحالي مع شيء من التفاوت . اما نهر صرصر فكان يماشي
نهر (ابن غريب) ، ونهر الملك هو الرضواوية ، ونهر كوثي هو جبل ابراهيم الذي في الخوارط
الحديثة . وهذه التحققات تقريبيه على كل حال اذ ان سطح ارض السواد قد تغير طبعا في خلال
الف سنة ونيف مضت عما كانت عليه في العصر العباسي .

فلنا : ويحسن بالمتنب لموضوع هذه الانهار وتاريخها ان يرجع الى تحقيقات موسيل في كتابه
« الفرات الاوسط » الصفحة ٢٥٨ - ٢٨٣ .

Musil (Alois), The Middle Euphrates (pp. 258-283; New York 1927).

الفصل الخامس

العراق «تمت»

انشطار الفرات - نهر سورا - قصر ابن هبيرة - النيل ونهر النيل - نهر
النرس - نهر البداة وبمباديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة -
القادسية - مشهد علي وكربلاء - استنانات العراق
الاثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق

كان نهر الفرات في المئة الرابعة (العاشرة) « اذا جاوز نهر كوثي بستة
فراسخ ، انقسم الى قسمين » : الغربى ، وهو النهر الايمن ، عمود الفرات .
وكان يماس مدينة الكوفة وينتهي الى البطائح . والشرقى ، وهو النهر الايسر ،
عمود الفرات الحالى . سمى ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب نهر سورا أو
سوران . ثم كان يشعب الى انهار تصب فى البطائح . وذكر ابن سراييون ان
نهر سورا (وهو الفرات الحالى) ، كان فى ايامه نهرا عظيما أعظم من نهر الكوفة
وأعرض منه . وكان نهر سورا الاعلى ، حيث ينقسم الفرات ، يسقى طسوج
سورا وبريسما وباروسما ، وكانت هذه الطساسيج قسما من استنان بهقباد
الاووسط . ثم يمر بغرب مدينة يقال لها قصر ابن هبيرة وبينهما ميلان . وعندها ،
على النهر ، جسر سورا وعليه يمر طريق الحج من قصر ابن هبيرة الى الكوفة .
ومدينة القصر ، وسميت بذلك اختصارا ، هى قصر ابن هبيرة ينسب الى
مؤسسه ابن هبيرة^(١) عامل العراق من قبل مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية .

(١) هو يزيد بن عمر بن هبيرة الغزالي الطلفانى (م) .

- ٩٧ -

ولم يشأ ابن هيرة ليستحه • وبعد زوال بنى أمية ، نزل السفاح أول خلفاء بنى العباس • واستتم تسقيف مقاصير فيه ، وزاد فى بنائه وسماه الهاشمية • ، تخليدا لاسم جده هاشم • وظل الناس يسمون المدينة التى نشأت حول قصر الخليفة باسم العامل الاموي ، وبقي الامر كذلك حتى نزول المنصور فى الهاشمية قبل بنائه بغداد ، فكانوا يسمونها قصر ابن هيرة أو مدينة ابن هيرة على العادة الاولى • وكان قصر ابن هيرة فى المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدينة بين بغداد والكوفة ، وهو على نهر يخرج من نهر سورا يقال له نهر ابى رحي ، أوله من فوق القصر ويصب الى سورا أسفل من القصر • وكانت المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، « كبيرة جيدة الاسواق كثيرة اليهود ، والجامع فى السوق » • على انه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) انحطت وقل شأنها على ما يظهر بارتفاع شأن الحلة حتى ان موضعها اليوم أصبح غير معروف وان اشارت اليها الخوارط باحدى الاخباربة الكثيرة التى على بضعة أميال شمال الاطلال الواسعة لبابل القديمة •

اما مدينة الحلة ، وهى على بضعة أميال من اطلال بابل على الفرات أى نهر سورا على ما كان يسمى به فى المئة الرابعة (العاشرة) ، فقد عرفت فى هذا الزمن بالجامعين • وكان معظمها فى أول أمرها فى الجانب الشرقى ، وكانت موضعا عامرا كثير الخصب • ثم بنى سيف الدولة رئيس بنى مزيد فى نحو سنة ٤٩٥ (١١٠٢) الحلة بازائها ، أى فى الجانب الايمن • وسرعان ما علا شأنها لوجود جسر عظيم فيها معقود على مراكب متصلة • وصار طريق الحج من بغداد الى الكوفة يعبر الفرات عليه لما بطل الطريق المار بقصر ابن هيرة (وكان قد آل حينذاك الى الخراب) الذى كان يعبر جسر سورا • وما ان حلت المئة السادسة (الثانية عشرة) حتى صار نهر سورا عمودا للفرات شأنه اليوم وبطل مع الزمن استعمال اسم نهر سورا • وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) عبر ابن جبير جسرا فى الحلة على الفرات ، وكان هذا الجسر « عظيما معقودا على مراكب كبار تحف بها من جانبها سلاسل من حديد » • وكانت الحلة آنذاك مدينة كبيرة على جانب الفرات الغربى ممتدة مع الفرات • ولاين بطوطة ، وقد اقتفى خطوات سلفه فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف طويل لجسر السفن المشهور هذا

فى الحلة ، فقد كان على جانبى هذا الجسر سلاسل من حديد مربوطة فى كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل • وقد اطرى أسواق المدينة • وما ذكره ابن بطوطة أوردته معاصره المستوفى بكماله فقال ان الحلة أخذت تمتد فى جانب الفرات الشرقى على نحو ما هى عليه فى جانبه الغربى • وكان النخيل يكثر فى داخلها وخارجها فكان ذلك سببا لرتوبة هوائها • واطاف المستوفى الى ذلك ان أهل الحلة كلهم امامية اثنا عشرية ولهم بها مقام يسمونه مشهد صاحب الزمان المهدي المنتظر الذى اختفى فى سامراء سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وسيخرج لهداية الناس الى الايمان (أنظر ص ٨٠ أعلاه) (٢) •

واذا ما عدنا ثانية الى وصف ابن سرايون فى المثة الرابعة (العاشر) لنهر سورا ، ألقبناه يقول ان هذا النهر كان على ما قد بينا ، يمر فى غرب اطلال بابل • وذكر المقدسى ان فى هذه الاطلال قرية قريبة من جسر • وللمستوفى حديث طويل عن الكهنة العظام الذين عاشوا فى بابل وعن الحبب الذى فى قمة التل ، وقد حبس فيه الملاك السافطان هاروت وماروت الى يوم الدين (٣) •

وفوق بابل يأخذ من سورا ، آخر الانهار الكثيرة التى تحمل من الفرات الى دجلة • وهذا النهر ، ويعرف اليوم بشط النيل ، قد سماه ابن سرايون فى قسمه الاعلى غرب مدينة النيل بـ « الصراة الكبيرة » • وبشبه هذا الاسم اسم

(٢) ابن سرايون ١٠ و ١٦ ؛ اليعقوبى ٣٠٩ ؛ الاصطخرى ٨٥ و ٨٦ ؛ ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ ؛ المقدسى ١٢١ ؛ ياقوت ٢ ؛ ٣٢٢ ؛ ٣ ؛ ٨٦١ ؛ ٤ ؛ ١٢٣ ؛ ابن جبير ٢١٤ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ٩٧ ؛ المستوفى ١٣٨ •

(٣) تقع اطلال مدينة بابل على نحو تسعين كيلو مترا جنوب بغداد على نهر الفرات • وقد لقيت فيها بقية المانية قبل الحرب العالمية الاولى وكشفت عن أهم بقاياها ، على ما يرى ذلك مفصلا فى الكتاب الذى وضعه كولدواى رئيس تلك البعثة وقد نقل الى الانكليزية وطبع بعنوان Koldewey, Excavations at Babylon (London, 1914).

ومما أظهرته التنفست : بقايا معبد ايساكلا ، اكبر معابد بابل المخصص بعبادة الاله مردوخ كبير الالهة البابلية ، وزقورة المعبد أى برج المدرج ، ومعابد اخرى منها المعبد المخصص بعبادة الالهة عشتار ، وباب عشتار الذى يمر منه شارع المراكب • وقصر نبوخذنصر وغيره من القصور ، والمهلى الاغريقى ، وبعض دور السكنى •

ومع ان هناك ما يدل على استيطان موضع بابل فى عصور ما قبل التاريخ (نحو ٤٠٠٠ ق م • م •) فان أقدم اشارة تاريخية الى المدينة باسمها المعروف قد جاءت من عصر السلالة الاكدية (فى حدود ٢٣٥٠ ق م • م •) ، وذكرت المدينة كذلك فى اخبار سلالة أور الثالثة • ولما بنىها البابليون القدماء ، سموها باب ايلو ، أى باب الاله • وقد صارت بابل عاصمة للدولة البابلية واشتهرت فى أيام حمورابى سادس ملوكها وكذلك فى أيام نبوخذ نصر ملك الكلدانيين • (م •)

نهر آخر اشتهر منه في بغداد الغربية (أنظر ص ٩٢) ونهر الصراة الكبيرة ،
يجرى الى الشرق ابتداء من مخرجه ويمر بقرى عامرة كثيرة ، وتتفرع منه أنهار
صغيرة متعددة • وقبل ان يصل مدينة النيل بشيء يسير ، يتفرع من يساره نهر
صراة جاماسب ثم يعود فيصب فيه أسفل المدينة • وكان الحجاج ، عامل بنى أمية
المشهور على العراق ، قد اعاد حفر صراة جاماسب • ولكن اسمه ، على ما انتهى
الينا ، بقي ينسب الى جاماسب ، كبير الموايذة الذي عاون الملك كشتاسب في توطيد
دين زرادشت في بلاد فارس في قديم الزمان • كما بنى الحجاج مدينة النيل
وصارت أجمل مدينة في هذا الطسوج كله • واطلالها ما زال يشار إليها في
الخارطة باسم التيلية^(٤) • وقد سمي هذا النهر باسم نبل مصر على ما يقال • ويمر
الصراة الكبيرة بمدينة النيل ، وعليه هناك قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة الماسي •
وما كان من النهر في غربى المدينة ، وهو الذى سماه ابن سرايون الصراة الكبيرة ،
عرف في أيام أبى الفداء بنهر النيل أيضا • اما ابن سرايون فقد اطلق هذا الاسم
على ما جاوز منه شرق مدينة النيل فقط •

ويمر هذا النهر بقرى ورسائيق على جانبيه فيسقيها حتى يصل هورا يقال
له الهول قرب دجلة بازاء النعمانية (أنظر ص ٥٦) • ومنه يتفرع نهر
يقال له الزاب الاعلى بحمل الى دجلة رأسا • اما نهر النيل نفسه فانه من الهول
ينساب في طريقه جنوبا فيسير بموازية دجلة مسافة قليلة حتى يصير في أسفل
مدينة نهر سابس • ومدينة سابس على مسيرة يوم فوق واسط ، وعندها يصب النهر
في دجلة • وربما ينساب بعض مائه في الزاب الاسفل الى دجلة • ومما يحسن

(٤) على نهر النيل المتدرس وفي ما يعرف بالجريرة بين المسحتية (قرب القرات) والنعمانية
(على دجلة) ، اطلال واسعة تعرف بل النيل والبيليات والنيلية - في موضع يطابق صفة موضع مدينة
النيل التي بناها الحجاج • وقد حصتها دائرة الآثار العراقية سنة ١٩٤٥ • وبامتداد حانبى هذا النهر
القديم للول أثرية وبقايا أثرية هي معالم القرى التي كانت تقوم على هذا النهر ، وهي اليوم أرض
رعوية - ولكن أكبر هذه التلول وأعلاها هو المسمى بالنيلية أو البيليات - ويشق النهر هذه المدينة ،
وعرضه نحو ثلاثين مترا • وفيه بقايا دعائم من الحجر والنورة كانت تقوم عليها ولا شك « قنطرة
الماسي » • وعدد ضفاته الجنوبية بناء فخم قد تدعى يقال من هو فيه بقايا اساطين من مدينة النيل
كان مبنيا ثلاثين - وتبين من فحص كسر الفخار التي على سطح التل انها من الملة السابعة للهجرة •
كما عثر فيها على نقود نحاس من العصر الإيلخاني • والمعروف ان مدينة النيل كانت دار ضرب من
العصر المباسي أيضا (م) •

بيانه أيضا ان ما كان من النيل أسفل الهول يقال له نهر سابس واليه نسبت المدينة التى على يمين دجلة ، على ما بنا فى (ص ٥٧) • ولقد تبدلت تسميات هذه الانهار فى أزمنة مختلفة : ففى المة السابعة (الثالثة عشرة) ذكر ياقوت ان مجرى النهر من مدينة النيل الى النعمانية كان يسمى نهر الزاب الاعلى ، بينما يظهر ان زابه الاسفل يطابق نهر سابس لدى ابن سراييون • وعلى كل فان معظم أقسام هذين النهرين قد جفت فى المة السابعة (الثالثة عشرة) وان بقى عامرا ما كان على جانبيهما من رساتيق •

فاذا عدنا الى اطلال بابل على الفرات ، وجدنا اسفل منها على نهر سورا قنطرة يقال لها قنطرة القامغان « والماء فيها منصب عظيم » ، على ما ذكر ابن سراييون • وعلى ستة فراسخ اسفل من هذه القنطرة ، بالقرب من الجامعين - الحلة الحديثة - ، ينقسم نهر سورا الى قسمين : يتجه الايمن جنوبا فيمر بالجامعين ، والايسر ويقال له نهر النرس يجرى نحو الجنوب الشرقى فيسقى حمام عمر وغيرها من القرى ويتهى الى مدينة نفر • وقد سمي هذا النهر بذلك نسبة الى نرسى (نرسس) الملك الساسانى الذى اعتلى العرش فى سنة ٢٩٢ للميلاد وقد كان أمر بحفرة • وبعد ان يجرى جنوبا بشىء يسير ، يصب نهر النرس ونهر سورا مائهما فى نهر البداءة الذى يخترق حافة البطائح الشمالية • ونهر البداءة أو البداءة هذا كان مقيضا يأخذ من يسار فرات الكوفة على مسيرة يوم شمال مدينة الكوفة وربما من قرب بلدة قنطرة الكوفة ويقال لها أيضا القناطير • ولعل الطريق العام كان يعبر نهر البداءة عليها • ومدينة القناطير هذه على سبعة وعشرين ميلا جنوب جسر السفن العظيم الذى على سورا • وهذا الجسر على ثمانية وعشرين ميلا شمال الكوفة ولعل القناطير تجاور أو تطابق موضع فومبدية (Pombedita) العبرية (وبالعربية فم البداءة) وكانت ، على ما ذكر بنيامين التپلى فى المة السادسة (الثانية عشرة) ، مركزا علميا عظيما لليهود فى بلاد بابل • وبعد ان يجرى نهر البداءة نيفا وخمسين ميلا ويستقبل فى يساره مياه نهر سورا الاسفل ونهر النرس ، يصب أخيرا فى البطائح قرب مدينة نفر^(٥) •

(٥) ابن سراييون ١٦ : البلاذرى ٢٥٤ ر ٢٩٠ ، ابن رسته ١٨٨ ؛ ابن حوقل ١٦٧ : المقدسى.

وكان الطسوجان اللذان بين منقسم الفرات الاسفل ، ونهر سورا الى شرقهما وعمود الفرات الى غربهما ، يعرفان بطسوج القلوجة العليا والسفلى ، وفي اسفلهما يمر النهر بمدينة القنطرة وبفم نهر البداة ثم ينتهى الى الكوفة فى الجانب الغربى من الفرات تجاه الجسر . وفى جنوب الكوفة كانت مياه هذا النهر تنصب فى البطائح من فروع صغيرة له . والنهر القديم سماه قدامة والمسعودى نهر الملقمى ، وهو على ما يظهر يطابق نهر الهندية الحالى الذى ينشطر اليوم من الفرات فى أسفل المسيب . وكان يمر بخرائب الكوفة القديمة ثم يلتقى بعمود الفرات الحالى بعد ان يجرى بين أهوار البطائح التى كانت فى العصر العباسى .

وأسس المسلمون مدينة الكوفة عقيب فتحهم بلاد العراق بعد ان بدأوا ببناء البصرة ، أى فى نحو سنة ١٧ (٦٣٨) أيام الخليفة عمر . واخذت الكوفة لتكون معسكرا للجيش فى الجانب الغربى من الفرات أى جانب البادية . وقامت على بسط واسع من الارض على ضفة النهر جوار الحيرة المدينة الفارسية القديمة^(٦) . ثم تكثر الناس فى الكوفة . وحين قدم اليها علي (بن أبى طالب) فى سنة ٣٦ (٦٥٧) وأقام فيها ، صارت مدى اربع سنين عاصمة المسلمين الذين والوا علياً وبايعوه بالخلافة . وقد أغتيل الامام علي سنة ٤٠ (٦٦١) فى جامع الكوفة . ووصف الاصطخرى مدينة الكوفة فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال « انها قريبة من البصرة فى الكبر وهواؤها اصح وبنائها مثل بناء البصرة » . وكانت أسواقها عامرة ، الا انها دون أسواق البصرة شأنًا ، وكان المسجد الجامع^(٧) الذى فيه أصيب الامام علي بضربة قاتلة ، فى شرقي المدينة . وفيه

١٢١ : ابو الفداء ٥٣ : ياقوت ١ : ٧٧٠ : ٢ : ٣١ و ٩٠٣ : ٣ : ٤ : ٣٧٩ و ٤ : ٧٧٣ و ٧٦٨ ر ٨٤٠ و ٨٦١ : المستوفى ١٣٦ : رحلة بنيامين التليل (طبعة اشرف) ١ : ١١٢ . انظر أيضا دى غوى فى ZDMG. لسنة ١٨٨٥ ص ١٠ .
قلنا : نقل عزرا حداد « رحلة بنيامين التليل » من العبرية الى العربية وطبعها فى بغداد سنة ١٩٤٥ (م) .

(٦) كانت الحيرة من المدن العربية قبل الاسلام ، قامت فيها دولة المناذرة العربية . (م) .
(٧) ترى خرائب الكوفة القديمة اليوم بين الكوفة الحديثة والتجف . وهى تتألف من آكام ومرتفات واسعة . وقد نقتب مديريّة الآثار العراقية فى سنة ١٩٣٦ موضع « قصر الكوفة » و« ضلع » المسجد الجامع « الملاصقة له وتمكنت من وضع مخطط لبنايا القصر والمسجد الجامع المجاور له . وظهر لها ان القصر كان مربع الشكل تقريبا يتراوح طول اضلاعه بين ١٦٩ و ١٧٢ مترا . وثخن الجدران ٣٦٠ متر . وقد اصاب هذه البنايا تدمير وتخريب بسبب اقتلاع حجارتها منذ عشرات او مئات السنين لاستعمالها

السواري من صم الحجارة المنحوتة التي نقلت من مدينة الحيرة المجاورة وكانت قد خلت عن الامل بناء الكوفة . ومن محلات الكوفة الكبيرة : الكناسة ، في طفـ البادية وحولها بساتين النخيل وتمرها أحود الثمور . ولما مرّ ابن جبير بالكوفة في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) كانت « لا سور لها فقد استولى الخراب على أكثرها ، والجامع العتيق آخرها » . وذكر ابن بطوطة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان سقف جامع الكوفة يقوم « على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت برصاص » . وبهذا المسجد محراب يعين موضع مقتل علي . وسرد المسنوفي حديثاً طويلاً عن الكوفة فقال ان ذرع أسوارها ١٨٠٠٠ خطوة ، وقد بناها الخليفة المنصور . وكان قصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق ، وبكثر فيها القطن . وكان في سارية من سواري الجامع علامة كف علي وفيه أيضاً « الموضع الذي فار منه النور حين طوفان نوح » (٨) .

وعلى دون الفرسخ من جنوب الكوفة ، اطلال الحيرة . وكانت مدينة عظيمة في أيام الساسانيين وبالقرب منها القصران المشهوران : الخورنق والسدير . وقد بنى النعمان ملك الحيرة قصر الخورنق ، على ما قبل ، للملك بهرام جور الصياد العظيم . وحين استولى المسلمون على الحيرة في أثناء فتح العراق ، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من ابهاء فسبحة . واتخذ الخلفاء بعد ذلك موضعاً ينزلون فيه أثناء خروجهم للصيد . ومع انه لم يبق من هذا القصر شيء الآن على ما يظهر ، الا ان بقايا قبابه الضخمة وبعض عمارته كان ما زال شاخصاً حين مر به ابن بطوطة في مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) (٩) . وكانت القادسية مدينة على سيف البادية ، على خمسة فراسخ غرب الكوفة ، وهي أول مرحلة في طريق

في مبالى الكوفة الحديثة . راجع « مسجد الكوفة » وهو من منشورات دار الآثار العراقية . (م) .
(٨) للمستشرق الفرنسي لويس ماسنيون ، رسالة في « خطط الكوفة » نقلها الى العربية تقي الدين الصببي . وما طبع عن الكوفة « تاريخ الكوفة » للراقي ، و « مسجد الكوفة » لدار الآثار العراقية . (م) .

(٩) ترى اطلال الحيرة على نحو سبعة كيلومترات من جنوب الكوفة . وقد نقب فيها سنة ١٩٣١ لاثريان رايس Talbot Rice وريتليكر Reitlinger وعثرا فيها على مبان وبيع وزخارف جدارية من الجص وغير ذلك من الآثار . وليوسف غنيمة كتاب « الحيرة » طبعه سنة ١٩٣٦ .
اما الخورنق فقد نقيت مديرية الآثار العراقية في بعض اطلاله . راجع سومر ٢ [١٩٤٦] ص ٢٩ - ٣٢ (م) .

- ١٠٣ -

الحج الى مكة • وكان حولها نخل وبساتين • وبالمرب منها احرز المسلمون سنة ١٤ (٦٣٥) نصرا عظيما فى أول وقعة كبيرة جرت لهم مع الفرس ، أسفر عن استيلائهم على العراق • ووصف المقدسى القادسية - وتسمى قادسية الكوفة تميزا لها عن قادسية سامراء على دجلة (أنظر ص ٧٣) - بأنها « مدينة تعمّر أيام الحج • ولها بابان وحصن طين • وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد • وعند باب النادية ، الجامع • وامامه كانت تقام السوق فى أيام الحج (١٠) • ولما اجتاز ابن بطوطة بالقادسية فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قد اضرحت قرية كبيرة • وذكر المستوفى ان معظمها فى أيامه خراب (١١) •

والنجف ، وفيها مشهد علي الذى بكرمه الشيعة ويقدسونه ، على نحو أربعة أميال من غرب خرائب الكوفة • وهى مدينة عامرة الى يومنا هذا • والنواتر لدى الشيعة ، على ما ذكر المستوفى ، ان الامام علياً لما ضرب فى جامع الكوفة وحضرته الوفاة أوصى بان يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحشما يبرك تدفن جثته هناك ، فعُمل بهذه الوصية • ولكن فى أيام بنى أمية لم يشيد له قبر ، اذ كان الموضع قد أخفى • على انه فى سنة ١٧٥ (٧٩١) اهتدى الى موضعه الشريف ، الخليفة هرون الرشيد العباسى • فانه خرج راكبا ذات يوم الى ظاهر الكوفة يتصيد ، وطارده صيده الى كتيب فلما لحق به توقف فرسه عنده • فطلب من له علم بذلك فاخبره بعض شيوخ أهل الكوفة انه قبر علي ابن أبى طالب تلجأ اليه حتى وحوش البر فلا ينالها اذى • ثم ان الرشيد أمر بحفر الموضع وظهر قبر علي • وعلى ما ذكر المستوفى بنى عليه قبة • وأخذ الناس فى زيارته • وبدء تاريخ هذا المقام مبهم ، وما أوردناه انما هو ما اتفق عليه الشيعة • على ان هرون

(١٠) ما قاله المقدسى بسدد الجامع (ص ١١٧) - فى القادسية « ماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحج • وهى سوق واحد الجامع فيه » (م) •

(١١) ابن سراجيون ١٠ و ١٦ : قدامة ٢٣٣ : المسعودى : التنبية ٥٢ : الاصلطرى ٨٢ : ابن حوقل ١٦٣ : المقدسى ١١٦ و ١١٧ : ياقوت ٢ : ٤٩٢ : ٣ : ٥٩ : ٤ : ٣٢٢ : ابن جبير ٢١٣ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ : ٢ : ١ : ٦٤ : المستوفى ١٣٣ و ١٣٨ و ١٤٠ •

لم تكن البحيرة الواسعة الضحلة - المروفة ببحر النجف - الممتدة الآن غرب بقايا الكوفة القديمة ومشهد النجف ، فى العصور الوسطى • وكان طريق الحج من الكوفة الى مكة يجتاز ما مد سار قمرا لها الآن •

الرشيد وان قرّب اليه العلويين حقبة من عهده ، فان تواريخ العرب لم تذكر انه هو الذى وقع على قبر علي .

وأقدم من أطلال القول فى مشهد علي ، ابن حوقل ، فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة) • فقد أخبرنا ان الامير الحمداني ابا الهيجاء - وكان أمير الموصل فى سنة ٢٩٢ (٩٠٤) وتوفى فى سنة ٣١٧ (٩٢٩) • ابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها أبواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بتمين الحصر الساماني • وجعل عليها حصارا منيعا • على ان الاصطخرى وابن حوقل ذكرا ان قبر علي فى ايامهما كان فى زاوية جامع الكوفة الكبير • وقد أيد ذلك كثير من الثقات وعززوه غيرهم من المصنفين^(١٢) • وزاد المستوفى على ذلك قوله : ان فى سنة ٣٦٦ (٩٧٧) شيد عضد الدولة البويهى الضريح الذى ظل قائما حتى أيامه (أى فى أيام المستوفى) • واصبح الموضع حينذاك مدينة صغيرة محبستها ٢٥٠٠ خطوة • وجاء فى تاريخ ابن الاثير ، ان عضد الدولة دفن فيها عملا بوصيته • ودفن فيها أيضا ابناه شرف الدولة وبهاء الدولة • واقتفى أثره بعده كثير من أعيان القوم • وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥١) أحرق أهل بغداد الضريح وأزالوا أثره^(١٣) • وكانوا يشتدون فى اضطهاد الشيعة • على انه سرعان ما أعيد بناؤه فقد زاده ملكشاه ووزيره نظام الملك فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) •

وحينما كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان غازان الایلخانى ، كان استحدث فى مشهد علي دارا للسادة سميت بدار السيادة وأنشأ خانقاه (تكيه للصوفية) • وذكر ياقوت قبل المستوفى بقرن ان « النجف يظهر

(١٢) جاء فى الاصطخرى (ص ٨٢) :

« وفرب من الكوفة قبر على (عم) وقد اختلف فى مكانه فقليل انه فى زاوية على باب جامع الكوفة ، أخفى من اجل بنى أمية • ورايت فى هذا الموضع دكان علاف • ومنهم من زعم انه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة (وفى نسخة ثانية : منظرية) وآثار المقابر » • وقال ابن حوقل (ص ١٦٣ دى غويه = ٢٤٠ كريمرز) :

« وبالكوفة قس أمير المؤمنين على صلوات الله عليه ، ويقال انه بموضع بل زاوية جامعها وأخفى من أجل بنى أمية خوفا عليه • وفى هذا الموضع دكان علاف • ويزعم أكثر ولده ان قبره بالمكان الذى ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة » (م) •

(١٣) حادثة الاحراق جرت على قبر الامام موسى بن جعفر ، كما فى كامل ابن الاثير والمنظم لابن الجوزى وكما ذكره المؤلف نفسه فى كتابه عن بغداد (الدكتور مصطفى جواد) •

الكوفة كالمسناة تمنع مسبل الماء أن يعلو الكوفة » • ولكنه لم يشر الى المشهد •
وقدم الرحالة ابن بطوطة الى النجف في سنة ٧٣٦ (١٣٢٦) فقال في مشهد
علي انه « مدينة حسنة » • ودخله من باب الحضرة الفضة المؤدى رأسا الى
الضريح • واطلب في وصف أسواقها ومدارسها الجليلة كما أشاد بجامعها وفيه
ضريح الامام علي وكانت حيطانه بالقاشاني • وذكر ان المقعدين كانوا يبرأون من
عاهاتهم في الروضة • وسرد كشفا بكثير من قتاديل الذهب والفضة التي نذرت
لها ، وذكر أيضا انها مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه^(١٤) • ووصف
الضريح نفسه فقال : « في وسط القبة مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليها صائغ
الذهب المنقوشة والمحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة » • ويفضي الى الضريح
أربعة أبواب ، بجلى كل باب ستار وعنبته من الفضة وعليه ستور من الحرير
الملون » وختم ابن بطوطة حديثه بذكر الكرامات التي يضيفها الامام علي على
المؤمنين الصادقين^(١٥) •

اما كربلاء ، أى مشهد الحسين ، فعلى ثمانية فراسخ من شمال غربى
الكوفة • وهى تعين موضع الوقعة التى اسشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول
مع جميع آله وذويه تقريبا فى سنة ٦١ (٦٨٠) • ويزور الشيعة اليوم مشهد
الحسين أكثر مما يزورون مشهد علي • ولا علم لنا بأول من بى هذا المشهد ،
الا ان هناك ما يدل على وجود بناية فيه ، منذ المئة الثالثة (التاسعة) • فان
الخليفة المتوكل ، وهو الذى يمقتة الشيعة مقتا لم يضعف على مرور الزمن ، أمر
فى سنة ٢٣٦ (٨٥٠) بهدم قبر الحسين ويسقى موضع قبره ومنع الناس من

(١٤) فى الروضة الجديرة فى النجف ، خزانة حافلة بكنوز ثمينة وذخائر نفيسة ، اجتمعت
من النذور المهداة اليها تبركا وتقرنا • وهى محفوظة فى موصع حرير • وقد نظم لهذه الدخائر
ثبت فى صفنها ، وقفنا على نسخة منه (مكتوبة بالالة الكاتبة) فى دار الآثار العراقية • كما
ان الاساذ محمد اعا ارعلو ، رار النجف واطلع على ما فى الحضرة من سجاجيد وملسوجات ،
وصفها فى كتابه الموسوم :

Safawid Rugs and Textiles. The Collection of the Shrine of Imam
Ali at al-Najaf, (New York, 1941). (م)

(١٥) الاصطخرى ٨٢ : ابن حوقل ١٦٣ ، المقدسى ١٣٠ : ابن الاثير ٩ : ١٣ و ٤٢ و ١٦٩
و ١٩٤ : ١٠ : ١٠٣ : المسكونى ١٣٤ : ياقوت ٤ : ٧٦٠ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ - ٤١٦ •
قلنا : ومن التأليف الحديثة فى النجف ، كتاب « مامى النجف وحاضرها » للشيخ جعفر
محبوبة (صيدا ١٩٣٤) • (م ج)

- ١٠٦ -

ايمانهم ، وتهتدهم بالعقاب الشديد ان زاروه . وذكر المستوفى فى وصفه قصور سامراء ، ان هذه الاسماء التى أوقعها المنوكل قد جوزي عليها فلم ينجز بناء قصر واحد من قصوره التى ابتناها فى سامراء ، بل اصابها ما اصاب قبر الحسين على يده . ولا يعلم كم بقى هذا الموضع خرابا ، الا ان عضد الدولة البويهى ، بنى فيه سنة ٣٦٨ (٩٧٩) حضرة جليلة ، ولا ريب ان اتساع هذا البناء قد تنبه اليه الاصطخرى وابن حوقل ، البلدانان اللذان كتبنا قبل هذا التاريخ بمدة قصيرة .

وفى سنة ٤٠٧ (١٠١٦) احترقت قبة مشهد الحسين ، ولكنها جددت بعد فترة وجيزة على ما يظهر . فان ملكشاه ، زار مشهد الحسين فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) حين خرج متصيذا فى تلك الانحاء . ومما يؤسف عليه ، أن ياقوتا الحموى لم يصف الضريحين فى كربلاء ، بل انه ذكر عرضا « الحائر » ، وهو السور الذى يحف بضريح الحسين . وتكلم المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) على مدينة صغيرة كانت قد تشأت حول الروضة . وقال ان محيطها نحو ٢٤٠٠ خطوة . ووصف معاصره ابن بطوطة المدرسة العظيمة التى زارها هنا وقال : « على باب الروضة الحجاب والقومة » لا يدخل احد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة ، وهى من الفضة . وعلى الضريح المقدس ، قناديل الذهب والفضة ، وعلى الابواب أستار الحرير . وزاد ابن بطوطة على ذلك ان أهل هذه المدينة فى قتال ابداء ، ولجل فتنهم تخربت هذه المدينة . على انها كانت تحف بها بساتين النخل وتسقيها أنهار تأخذ من الفرات (١٦) .

ولما وصف ابن خرداذبه وقدامة اقليم العراق فى المثة الثالثة (التاسعة) ، قالوا ان هذا الاقليم كان اثنى عشرة كورة كل كورة اثنان ، وطساسيجه ستون طسوجا . وهذا التقسيم ، ولعل الاصل فيه كان لغايات مالية ، قد أعاد المقدسى

(١٦) الاصطخرى ٨٥ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ المقدسى ١٣٠ ؛ ياقوت ٢ ؛ ١٨٩ ؛ المسوفى ١٣٤ و ١٣٩ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ٩٩ ؛ ابن الاثير ٧ ؛ ٣٦ ؛ ٨ ؛ ٥١٨ ؛ ٦ ؛ ٢٠٩ ؛ ١٠ ؛ ١٠٣ . قلنا : وقد عني بعض المؤلفين العراقيين المحدثين بوضع تأليف عن كربلاء ، منها : ١ - كربلاء فى التاريخ - للسيد عبد الرزاق آل وهاب . ٢ - مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء - للسيد محمد حسن مصطفى آل كليدار (جزآن) ٣ - تاريخ كربلاء - وحائر الحسين عليه السلام : للدكتور عبد الجواد الكليدار (م) .

- ١٠٧ -

سرد شيء منه في القرن الذي يليه . وعليه يحسن بنا ان نذكر الاستانات الاتي عشر واشهر طساسيجها . بتألف ثبت الاستانات ، من ثلاث مجموعات ، بما يوافق الانهار التي تسقيها وماآخذ تلك المياه .

فالمجموعة الاولى ، تتألف من أربعة استانات ، وهي التي في جانب دجلة الشرقي . وسقيها من هذا النهر ومن تامرا وهي : (١) كورة استان شاد فيروز : وهي حلوان (ويقال لها أيضا شاذفيروز) وفيه طسوج تامرا وطسوج خافين وثلاثة طساسيج أخرى^(١٧) . فمجموعها خمسة طساسيج . و (٢) كورة استان شاذ هرمز حول بغداد ، وطساسيجه : طسوج نهر بوق وطسوج كلواذي ونهر بين وطسوج المدينة العتيقة (أي المدائن) وطسوج راذان الاعلى وطسوج راذان الاسفل وطسوجان آخران^(١٨) وكلها سبعة طساسيج . و (٣) كورة استان شاذ قباذ وطساسيجه طسوج جلولا وطسوج البنديجين وطسوج براز الروز وطسوج الدسكرة وأربعة طساسيج أخرى^(١٩) وكلها ثمانية طساسيج . وتسميات الاستانين الاخيرين أوردناها على ما جاءت في ابن خرداذبه وقد خالفه قدامة بابداله الاسمين ، فجعل استان شاذ قباذ : استان بغداد . واطلق اسم خسرو شاذ هرمز على طسوج جلولا مع الطساسيج السعة المجاورة له . وآخر الاستانات في شرقي دجلة كان (٤) كورة استان بازيجان خسرو ويقال له النهروان ، وقد سماه قدامة ارندين كرد ، وفيه خمسة طساسيج وهي : طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل (ومعه اسكاف بنى جنيد وجرجرايا ونحوها) وطسوج بادرايا وأخيرا طسوج باكسايا .

والمجموعة الثانية ، استانان وكان سقيهما من دجلة ومن الفرات وهما (٥) كورة استان كسكر وهي شاذ سابور اربعة طساسيج حول واسط^(٢٠) و (٦)

(١٧) هذه الطساسيج الثلاثة التي اغفل المؤلف ذكرها ، هي طسوج فيروز قباذ ، وطسوج الجبل ، وطسوج اربل (المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ٦) . (م) .
(١٨) وهما طسوج بزرجسابور وطسوج جازر (ابن خرداذبه ص ٦) (م) .
(١٩) وهي طسوج رستقباذ وطسوج مهرود وطسوج سلسل وطسوج الدينين (ابن خرداذبه ص ٦) . (م) .
(٢٠) وهي طسوج الزندورد وطسوج الفرثور وطسوج الاستان وطسوج الجواز (ابن خرداذبه ص ٧) . (م) .

- ١٠٨ -

كورة استان شاذ بهمن وهى كورة دجلة على دجلة الاسفل وفيها اربعة طساسيج
هى طسوج ميسان وطسوج دستميسان وطسوجان آخرا^(٢١) ويقع دستميسان
حول الابله .

اما الاستانات الستة الباقية فكلها الى غربى دجلة وكان سقيها من نهر دجيل
القديم ، وقد مر ذكره ، ومن الانهار الكبيرة الآخذة من الفرات والمادة شرقا الى
دجلة . وأول هذه الاستانات كان (٧) كورة استان العالى وطساسيجه الاربعه
بامتداد نهر عيسى وهى : طسوج فيروز سابور وهو الانبار وطسوج مسكن
وطسوج قطربل وطسوج بادوريا . يليه اسفله (٨) كورة استان اردشير بابكان
وهى على امتداد نهر كوئى والنبل وفيها طسوج بهرسبر وطسوج الرومقان
بازاء المدائن وطسوج كوئى وطسوج نهر درقيط وطسوج نهر جوبر . والى
شرق هذا الاسنان كان (٩) كورة استان الزوابى وهى به ذيواماسفان وطساسيجه :
طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل .

اما الاستانات الثلاثة الاخيرة فكانت بالتعاقب : استان بهقباد الاعلى والاوسط
والاسفل . وأول هذه الثلاثة (١٠) كورة استان بهقباد الاعلى وهى ستة
طساسيج : طسوج بابل (حول خرائب بابل) وطسوج الفلوجة العليا وطسوج
الفلوجة السفلى وطسوجان آخرا^(٢٢) . وطسوج عين النمر على بعد يسير من
غرب الفرات . و (١١) كورة اسنان بهقباد الاوسط وفيه اربعة طساسيج هى
طسوج نهر البداة وطسوج سورا وبريسما وطسوج باروسما وطسوج نهر الملك .
وأخيرا (١٢) كورة اسنان بهقباد الاسفل وفيها خمسة طساسيج^(٢٣) كانت على
الفرات الاسفل حيث يدخل الطائج . ويتبين لنا من هذه الاسماء تقسيمات
الاقليم التى أخذها العرب عن الساسانيين . فقد كان اردشير بابكان مؤسس الدولة
الساسانية وشاذ فيروز أو شاذ فيروز معناها بالفارسية الطالع السعيد . وبهقباد

(٢١) ربما طسوج بهمن اردشير وطسوج ابرقباد (ابن خرداذبه ٧) . (م) .

(٢٢) هما طسوج خطرنية وطسوج المهرين (ابن خرداذبه ص ٨) . (م) .

(٢٣) هى طسوج قرات بادئى وطسوج السيلحين وطسوج نسر وطسوج رودستان وطسوج
هرمز جرد . ويقال ان رودستان وهرمز جرد شياع منفردة من طساسيج عدة . (ابن خرداذبه
ص ٨) . (م) .

ومعناها أرض قباذ الطيبة ، وشاذ معناها مجد . فشاذ هرمز وشاذ قباذ وشاذ سابور وشاذ بهمن ينوّه كلها باسماء أربعة من أشهر ملوك الفرس (٢٤) .

وكانت تجارات العراق اكثرها مما يُحمل اليها من سائر البلدان وكانت عاصمة الاقليم تستهلك محصول غيره من الانحاء . ومع ذلك فقد سرد المقدسي ثبنا بالسلع والصناعات التي اشتهرت بها جملة من المدن ، وهذا الثبنت ، وان لم يكن قد أوفى على الغاية ، الا انه حريّ بالنظر .

كانت اسواق بغداد حافلة مشهورة . بفرائب السلع التي تحمل اليها من سائر البلدان وكان يسج فيها ألوان ثياب الحرز - النسيج العتّابي المشهور وجلّه من الحرير . وانما سمي بذلك نسبة الى احدى محلات بغداد (٢٥) - وبغداد أزر وستور وعمائم رفيعة وألوان المناديل السامانية الرفيعة . واشتهرت البصرة بالخز ، وأسواقها باعة اللآلئ والطرائف . والبصرة الى ذلك معدن الجواهر « وبها يصنع الراسخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج (٢٦) . ومنها تحصل

(٢٤) ابن خرداذبه ٥ - ٨ ؛ فداية ٢٣٥ و ٢٣٦ ، المقدسي ١٣٣ .

(٢٥) للفظه العنابي حير طويل ذكره المؤلف في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٢٢ - ١٢٣ من الترجمة العربية) قال يصدّد كلامه على محلة العنابية ، وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد « داعت شهره الحرير العنابي في جميع اطراف العالم الاسلامي ، وقلدت صنعه مدن اخرى . فقد روى الادريسي في سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ان المربة في حومي الاندلس كان فيها في ايامه ثمانية معزل لنسج الحرير ، منها الثياب العنابية . واستعمل هذا الاسم في اللغة الاسبانية بلفظه Attabi ومنها انتقلت الى الايطالية والعربية بصورة Tabis .

واستعمل الانكليز لفظه Taby للدلالة على نوع جيد من المسوحات الحرير ، ثم أصبحت اسما عاما في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولما استعملت اليزايت ملكة انكلترة السعير الهندقي في شباط سنة ١٦٠٣ كانت عليها حلة من الفضة وال Taby (الحرير) الابيض . وجاء في نوبيات صموئيل بيبس . انه لس في ١٣ تشرين الاول ١٦٦١ صدرية حرير Tabby وشريطا ذهبا . كما ان المس برني ، ظهرت في حلة جميلة من ال Tabby السفسحي متناسبة حفلة ولادة اميرة في قصر وندسور . وورد لفظ Tabbi في معجم جونسون واعامه هذا التفسير : وشريطا ذهبا . كما ان المس برني ، ظهرت في حلة جميلة من ال Taby اذا كانت ذات فرو ناعم مخطط . ومن الغريب ان سم لفظ Taby بهذا الوحه وهو في الاصل اسم صحابي كان عاملا على مكة في المئة السابعة للميلاد .

وانظر ما كتبه الاب السناس الكرمل عن العتاني في مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ : ٢٢ -

(٢٤) - (م) .

(٢٦) الراسخت - الكحل .

الزنجفر - معدن متفتت بخاص يعمل منه الحبر الاحمر . تعريب شتخرف وقال عنه في البرهان الفاطح « انه معدني وصناعي . للمعدني يحصل في معادن النحاس والذهب والزئبق ، وهو نادر الوجود . والصناعي يستعقب من الزئبق والكبريت وهو سم قتال « (الالفاظ الفارسية العربية لافى شير . ص ٨٠) . والنظر تاج العروس ٣ : ٣٤٤ ؛ ومحيط المحيط لبطرس البستاني

التمور والحناء والخز والماورد والنفسيج * * وبالبلة تعمل ثياب الكتان الرفيعة على عمل القصب * واشتهرت الكوفة بالمرور والنفسيج وعمائم الخز * واشتهرت واسط بالسبك البني وبسبك مقدد يقال له « شيم » وأخيرا كان يصنع في النعمانية اكسية وألوان ثياب الصوف (٢٧) *

وقد بيّنا في الفصل الممهدي ، ان بغداد كانت في أيام الخلافة العباسية ، المركز الذي تخرج منه جميع الطرق * فعنها كان يخرج خمسة طرق كبيرة - الى البصرة والكوفة والانباء وتكريت وحلوان - نصلها بأقصى الدولة * ولا مرأى في ان يسر الطرق من بغداد الى البصرة ، كان بالسفن المنحدرة في دجلة * وقد ذكر ابن رسته واليعقوبي ما في هذا الطريق من مدن على يمين النهر ويساره * فكانت السفن تنحدر في عمود دجلة حتى القَطْر ثم تدخل البطائح فتجتازها من أزقة تتخلل الهول (أنظر ص ٦٢) ثم يفضى نهر ابي الاسد الى رأس فيض دجلة ومنه الى البصرة في نهر معقل * فاذا ارادت السفن عبادان فخليج فارس ، عادت الى الفيض بنهر الابلة * اما الطريق البري من بغداد الى واسط في شرقي دجلة المار بالمداين ، فقد وصفه ابن رسته وصفا ساعدنا على تعيين المدن التي على النهر في الخارطة لانه ذكر ما بينها من مسافات بالفراسخ * ووصف قدامة هذا الطريق أيضا وصفا مطولا ، واستكملنا وصفه الطريق في موضع أو موضعين من ابي الفداء * وانتهى اليها من قدامة ، وصف الطريق البري من واسط الى البصرة بامتداد الحافة الشمالية للبطائح * وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بطوطة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * ولابن رسته وقدامة وصف للطريق من واسط باتجاه الشرق الى الاهواز عاصمة خوزستان * وعند محطة باذيين ، وهي على مرحلة شرق واسط في هذا الطريق ، ينشطر منه فرع كان يذهب نحو الشمال الشرقي الى الطيب ومنها الى السوس (سوسا) في

١ : ٨٨٨ * الزنجار - هو المتولد في معادن النحاس (التاج ٣ . ٢٤٤) *
المرداسنج - يعمل من الرصاص * ومنه ما يعمل من الفضة ومنه ما لونه احمر وهو صميل *
ويقال له الذهبي وهو أجود اصنافه * وهو دواء يجفف كما تجفف جميع الادوية المعدنية والحجرية والارضية الا ان تجميحه قليل جدا (المغرب للجوالقي ص ٣١٧ ح ٢ طبعة احمد محمد شاكر) *
وانظر محيط المحيط (٢ : ١٩٦٤) - (م) *
(٢٧) المقدسي ١٢٨ *

خوزستان (٢٨) .

وطريق الحج من بغداد الى الكوفة ، يخرج من باب الكوفة فى المدينة المدورة متجها نحو الجنوب ومجتازا محلة الكرخ الى صرصر ومنها الى قصر ابن هيرة . فاذا جاوز هذه المدينة ، عبر نهر الفرات الشرقى (وهو عمود الفرات الآن) وكان يقال له فى المثة الرابعة (العاشرة) نهر سورا ، على جسر السفن فى سورا ، ومها يتجه الى الكوفة . وبازائها يعبر نهر الفرات الغربى على جسر سفن يفضى الى الارياض الشرقية فى الكوفة . ومن الكوفة يتجه طريق الحج نحو الجنوب الغربى الى القادسية . فاذا خرج من القادسية وقع فى البادية . وقد أورد جميع البلدانين القدماء وصف هذا الطريق . وكان أكثرهم تفصيلا له : ابن رسته . فقد ذكر لبعض اقسام الطريق من بغداد الى الكوفة مسالك أخرى مع ذكر المسافات بالامبال والفراسخ . وبعد مطلع المثة السادسة (الثامنة عشرة) خربت مدينة قصر ابن هيرة ، وهى مرحلة فى نصف الطريق بين بغداد والكوفة ، وقامت مقامها الحلة (أنظر ص ٩٧) . فكان الطريق ينحدر اليها من صرصر مارا بفراشا . وكان الطريق يعبر نهر الفرات الشرقى فى الحلة على جسر سفن عظيم على غرار الجسر الذى كان قبله فى سورا . وهذا هو الطريق الذى سلكه ابن جبير ومن جاء بعده من الرحالين . وكان المعروف ان طول الطريق من الكوفة الى البصرة ، بمحاذاة حافة البطائح الجنوبية ، بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخا . وهذا الطريق الذى يتفرع الى اليسار عند المرحلة الثانية من مراحل البادية فى جنوب القادسية ، قد وصفه ابن رسته وابن خرداذبه (٢٩) .

وقد مر بنا انه كان يقطع البادية العربية من العراق الى الحجاز طريقان

(٢٨) ابن رسته ١٨٤ و ١٨٦ - ١٨٨ : اليعقوبى ٣٢٠ ، قدامة ١٩٣ و ٢٢٥ و ٢٢٦ : المستوفى ١٩٥ : أبو الفداء ٣٠٥ : ابن بطوطة ٢ : ٨ .

(٢٩) ابن رسته ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢ : اليعقوبى ٣٠٨ : ابن خرداذبه ١٢٥ و ١٤٥ : قدامة ١٨٥ : أبو الفداء ٣٠٣ : ابن جبير ٢١٤ - ٢١٩ : المستوفى ١٩٣ .

قدر المستوفى (ص ٢٥٢) المسافة بين البصرة والكوفة بمحاذاة حافة البادية بعشر مراحل وهى أكثر من مئتين وخمسين ميلا على أقل تقدير . والمشهور فى التاريخ ان بلال ابن أبى بردة قطع هذا الطريق من البصرة الى الكوفة فى ليلة ويومها على حمالة - وهى الناقة السريعة - فى أمر خطير مستعجل له مع خالد القسرى عامل الكوفة فى سنة ١٢٠ (٧٣٨) أيام الحليفة هشام الاموى (الطبرى ٢ : ١٦٥٧) . وهذا يذكرنا بركوب دك تيرين Dick Turpin من لندن الى يورك ، وبينهما نحو مئتين ميل بـ ١٨ ساعة وهى نحو سرعة بلال .

- ١١٢ -

للحج : اولهما يبدأ من الكوفة والآخر من البصرة ويلتقيان عند مرحلة يقال لها « ذات عرق » . وكانت على مسيرة يومين من شمال شرقي مكة . وقد وصفت كتب المسالك في المئة الثالثة (التاسعة) وكذلك المقدسي ، هذين الطريقين المشهورين مرحلة مرحلة مع ذكر المنازل التي فيها المتعشى ، بين مرحلة وأخرى ، وما بينها من المسافات بالأميال . كان الطريق من الكوفة يمر بفيد على بعد قليل جنوب الحائل ، اجل مدينة في جبل شمر اليوم . اما طريق البصرة فيمر الى ضرية ، العاصمة القديمة للبلاد التي اصبحت فيما بعد دولة للوهابيين ، وما زالت خرائبها ظاهرة على بضعة أميال غرب الرياض أكبر مدن نجد الآن . وكان يتفرع من طريقى الحج الآخذين من الكوفة والبصرة طرق فرعية تخرج من يمينهما وتفضى رأسا الى المدينة (٣٠) .

(٣٠) جاء وصف طريق الكوفة الى مكة والمدينة في ابن خردادبه ١٢٥ : قدامة ١٨٥ : ابن رسته ١٧٥ : اليعقوبي ٣١١ : المقدسي ١٠٧ و ٢٥١ . وجاء وصف طريق البصرة في ابن خردادبه ١٤٦ : قدامة ١٩٠ : ابن رسته ١٨٠ و ١٨٢ : المقدسي ١٠٦ و ٢٥١ .

ويحسن بنا ان نشير هنا الى ان أكبر مدينة قديمة في نجد قد كتبها البلديون العرب بصورة ضرية . ولكن الحاج خليفة (جهان نما ٥٢٧) كان أول من أورد اسمها بالتهجئة الحديثة فقال - درعية وان كتب اسمها مرة أو مرتين في رحلته (جهان نما ٥٢٧ و ٥٤٣) بصورة ضرية أو حصن ضرية . وقد عسى البروفسور وستنفلد بوصف جغرافية الحجاز وبلاد العرب عامة ما هو في شمال الدمام ، بالاسناد الى المراجع العربية في سلسلة من المجلات نشرها في

Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaft zu Göttingen.

وهذه البحوث التي ردها كيبيرت Kiepert بخوارط ذات فهارس حسنة قد احتوت على ما يأتي بيانه من البحوث يتناولها الكاملة . ويظهر ان الجغرافيين الانكليز ليسوا على وفاق تام عليها :

Die von Medina aus laufenden Hauptstrassen (Vol. XI, 1862).

Die Wohnsitze und Wanderungen der Arabischen Stämme (Vol. XIV, 1869).

Die Strasse von Basra nach Mekka mit der Landschaft Dharija (Vol. XVI, 1871).

Das Gebiet von Medina (Vol. XVIII, 1873).

وهو بين طريق الحج بين الكوفة ومكة .

Bahrein und Jemama (Vol. XIX, 1874).

ثم Geschichte der Stadt Medina (Vol. IX, 1860) وقد طبع هذا البحث على انفراد وكذلك المجلد الرابع من : Chroniken der Stadt Mekka (Leipzig, 1861)

وفد كتبه بالالمانية ويحتوى على خلاصة لتاريخ مكة مع تعليق خطي . (انتهت حاشية المؤلف) . قلنا : ومن كتب في صفة هذه البلاد ، بعد ان ألف لسترنج كتابه ، جماعة من الباحثين والرحالين . نخص بالذكر منهم برتن Burton ودوتي Doughty وهوكارت Hogarth وموسيل Musil وحيسمان Cheesman وفلسبي Philby وامبي الريحاني ولؤاد حمزة (م) .

ويخرج من بغداد عند باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق ثان يتجه غربا ويذهب الى المحول أولا ثم يتابع ضفة نهر عيسى الى الانار على الفرات ، ومنها يصعد مع النهر فيمر بالحديثة أعلى مدينة في اقليم العراق ، ومنها يبلغ عانة في اقليم الجزيرة . وهذا الطريق هو القسم الاول لاحد الطرق (المحاذية للفرات) الذاهبة من بغداد الى الشام ، وقد وصفا ابن خرداذبه وقدامة . اما الطريق الآخر الى الشام ، فتجه شمالا بمحاذاة دجلة الى الموصل ، ويكون في اقليم العراق حتى مدينة تكرت . وهذا الطريق ، وكان طريق البريد ، يخرج من باب بردان في بغداد الشرقية ويسير يسار النهر مارا بعكبرا وسامراء حتى يبلغ تكرت . وعند هذه المدينة كان يلتقى هو وطريق القوافل البادية من محلة الحربية في بغداد الغربية والصاعد مع نهر دجيل الى حربي . ثم يمر بالقصر الذي بازاء سامراء^(٣١) . ثم يسير نهر الاسحاقى الى تكرت . والطريق الاخير هذا ، هو الذى سلكه ابن جبير وابن بطوطة^(٣٢) .

وأخيرا كان يشرع من باب خراسان في بغداد الشرقية ، طريق خراسان . وكان يجتاز بلاد فارس ويتجه ، على ما قد بينا ، الى حدود الصين مخترقا بلاد ما وراء النهر . وقد اسهب ابن رسته في وصف هذا الطريق مرحلة مرحلة ، بل ان اغلب البلدان الاخرين ، ان لم نقل كلهم ، قد ذكروا المسافات بين اقسام هذا الطريق المختلفة . فصار علمنا به يفوق ما سواء من الطرق^(٣٣) .

(٣١) لعله يريد به قصر العاشق ، وقد مر ذكره . (م) .
 (٣٢) ابن خرداذبه ٧٢ و ٩٣ ؛ قدامة ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٧ ، المقدسى ١٣٤ ؛ ابن جبير ٢٣٢ ، ابن بطوطة ٢ ، ١٣٢ ؛ المسعودى ١٩٥ .
 (٣٣) ابن رسته ١٦٣ ؛ اليعقوبى ٢٦٩ ؛ ابن خرداذبه ١٨ ؛ قدامة ١٩٧ ؛ المقدسى ١٣٥ ؛ المستوفى ١٩٣ .

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل وبنوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحدثة وادبل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الخابور الصغير
والحديثة والعادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي -
نصيبين ورأس العين - ماردين ودليس - الهرماس
والخابور - عربان والثرثار - سنجار
والحضر - بلد وأذمة ،

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، على ما قد بينا ،
لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها • وكان هذا الاقليم ينقسم الى
ديار ثلاث وهى : ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية :
ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام ، وكان يحكمه الساسانيون ،
فعرف كل من هذه الديار بقبيلته • وكانت الموصل على دجلة اجل مدن ديار
ربيعة • والرقعة على الفرات قاعدة ديار مضر • وآمد فى أعالي دجلة أكبر مدن
ديار بكر • وديار بكر ، هى أقصى هذه الديار الثلاث شمالا • على ان المقدسى ،
وصف اقليم الجزيرة تحت اسم « اقليم اقور » • واصل اقور غير واضح ، ولكن
يخال لنا انه كان حيناً من الزمن اسم السهل العظيم فى شمالى ما بين النهرين •
واذا رجعنا الى الخارطة ، تبين لنا ان دجلة والفرات فى بلاد ما بين النهرين
العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما • فقد كانت هذه الروافد ، تتحدر
اليهما من شمالهما الشرقى أو من الشمال • وقد شذت عن هذه القاعدة فى القرون
الوسطى ، انصراف ماء نهر الهرماس الاتى من نصيبين • والهرماس رافد الخابور

(الكبير) • فعياه الهرماس قد سُكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكير العباس • فبينما كان قسم من مائه يجرى فيلتقى هو والخابور الذي يصب في الفرات عند قرقيسياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب في يمين دجلة عند تكريت بعد ان تجرى في واد يقال له الثرثار^(١) • والى ذلك فحدود هذه الديار الثلاث قد عيتها الفواصل المائية ، على ما سيتبين لنا • فقد كانت ديار بكر ، وهي سقي دجلة من منبعه الى منعطفه العظيم في الجنوب أسفل من تل فافان مع ما في شمالها من ارض ، تسقيها روافد دجلة الكثيرة التي تنصب في يساره غرب تل فافان • وكانت ديار مضر ، الى الجنوب الغربى ، هي الاراضى المحاذية للفرات من سميساط حيث يغادر سلاسل الجبال منحدرًا الى عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ رافد الفرات الآتى من حران • اما ديار ربيعة ، فقد كانت في شرق ديار مضر ، وتتألف من الاراضى التي في شرق الخابور (الكبير) المنحدر من رأس العين ومن الاراضى التي في شرق الهرماس وهو النهر المنساب في وادى الثرثار نحو الشرق الى دجلة ، على ما قد بينا • وكذلك مما على ضفتى دجلة من اراض تمتد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أى الاراضى التي في غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان الاسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير •

وكانت الموصل ، قاعدة ديار ربيعة ، على ضفة دجلة الغربية ، حيث تصل عواقل النهر فتؤلف مجرى كبيرا واحدا • ويقال ان الموصل انما جاء اسمها من هذا الاتصال • وكان يقوم في موضعها ايام الساسانيين مدينة يقال لها بوز اردشير • وعلا شأن الموصل في أيام بنى أمية • ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التى في الجانب الغربى بخرائب نينوى فى الجانب الشرقى • وصارت الموصل فى عهد مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية ، قاعدة اقليم الجزيرة وبنى فيها ايضا الجامع الذى عرف بعدئذ بالجامع العتيق^(٢) • ووصف ابن حوقل ،

(١) ولى ابن سراجيون (ص ١٢) : « ويخرج من الهرماس أيضا نهر يقال له الثرثار ، اوله من عند سكير العباس ، يمر فى وسط البرية ويصب فى دجلة اسفل من تكريت بعد ان يمر بالحضر ويقطع جبل بارما » • (م) •
(٢) المقدسى ١٣٦ - ١٣٨ ؛ ابن خرداذبه ١٧ ؛ ياقوت ٤ : ٦٨٢ - ٦٨٤ ؛ المراصد ١ : ٨٤ •
وجاء فى ياقوت الاسم الفارسى للموصل بصورة بو اردشير أو نو اردشير ، ولا شك ان الصيغة

وقد كان في الموصل سنة ٣٥٨ (٩٦٩) ، هذه المدينة بانها بلدة طيبة عامرة الأسواق ، نواحيها ورسايقها كثيرة الخيرات . أشهرها الرستاق المحيط ببنينوى حيث دفن النبي يونس . وكان جل أهلها في المئة الرابعة (العاشرة) من الاكراد (٣) .

وقد عني ابن حوقل بسرد ما حول الموصل من كور ورسايق كثيرة تؤلف ديار ربيعة . واطرى المقدسى حسن فنادق الموصل الكثيرة . وكانت المدينة حسنة البناء ودورها بهيمة . والبلد نصف مستدير نحو ثلث البصرة (٤) . كبرا وفيها حصن يسمى المربعة على نهر زبدية ، في داخله سوق تعرف بسوق الاربعاء ، وكان يعرف الحصن باسم السوق أيضا . والجامع (جامع مروان الثاني) على رمية سهم من الشط على نشزة يصعد اليه بدرج كله أزاجات من الحجاره . ومداخله المؤدية من مصلى الجامع الى صحنه لا أبواب لها . وأكثر الاسواق مغطاة . وذكر المقدسى اسماء ثمانية من دروبها الكبيرة (٥) . وكانت دور المدينة تمتد بامداد الشط مسافة كبيرة . وقال ان اسم الموصل كان خولان ، وان قصر الخليفة في الجانب الآخر على نصف فرسخ من المدينة يشرف على نينوى القديمة . ولهذا القصر قديما حصون قوية تحميه ، أقلبه الريح ، ويشق خرابئها الآن نهر يقال له نهر الخوسر . وحين كتب المقدسى ، كانت تلك الخرائب مزارع (٦) .

الاحيرة تصحيف للساح .

(٣) ما في ابن حوقل (١ : ٢١٥) . « وللموصل بواد واحياء كثيرة تصيف في مصاطها وتشتر في مشايقها من احياء العرب وقبائل ربيعة ومضر واليمن واحياء الاكراد كالهلبانية والحديدية واللايرة » . (م) .

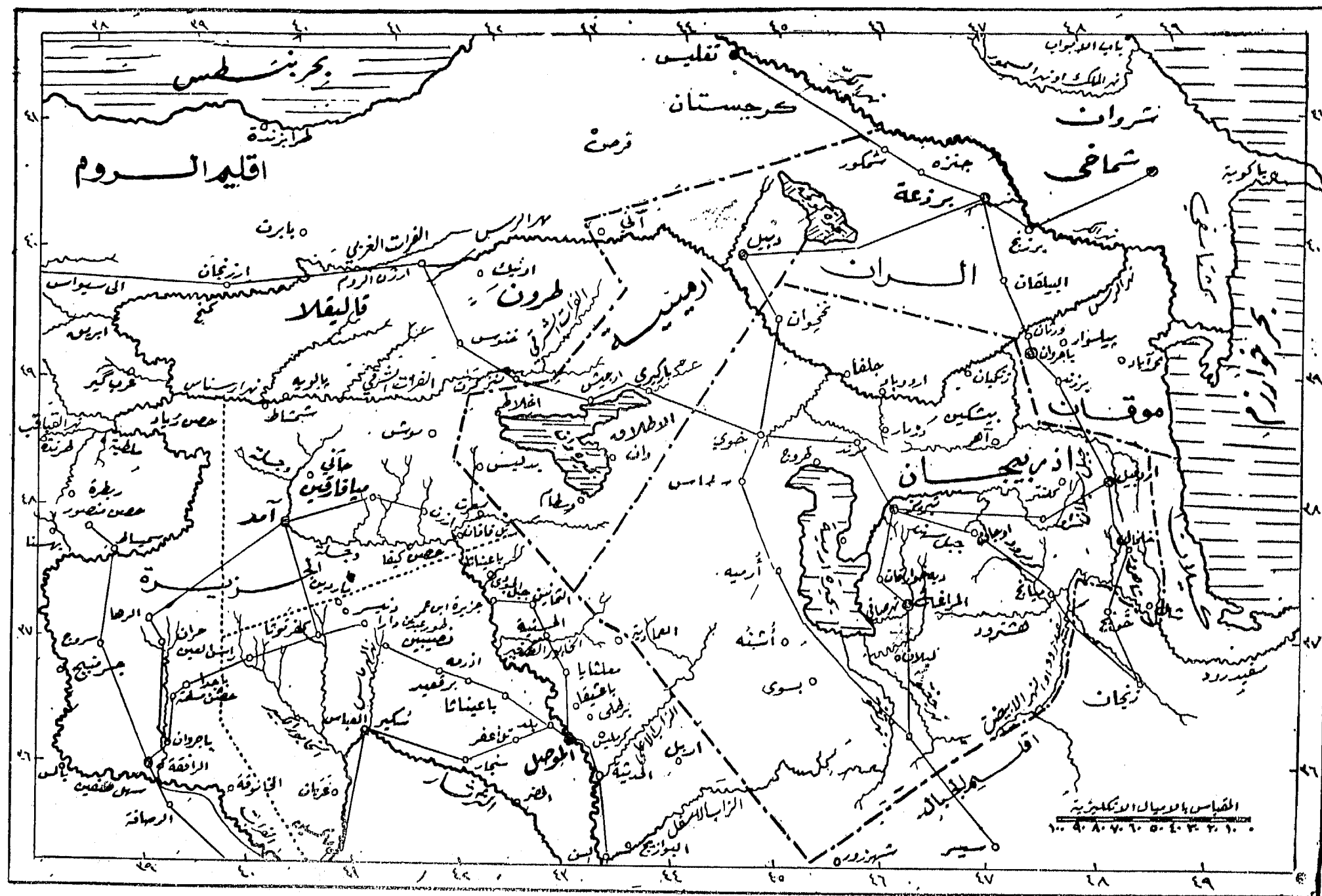
(٤) جاء في المقدسى بهذا الصدد ما يأتي « والبلد شبه طبلسان مثل البصرة لس بال كبير في تلكه شبه حصن يسمى المربعة » . (م) .

(٥) اسماء هذه الدروب ، على ما في المقدسى (ص ١٣٨) ، هي - درب الدبر الاعلى ، ودرب ناصلوت ، درب الجصاصين ، درب بنى ميدة ، درب الجصاصه ، درب رحي أمير المؤمنين ، درب الدباغين ، درب جميل . (م) .

(٦) ترى اطلال بينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة على نحو كيلومترين من ضفته . وقد كان هذا النهر يحاذي سورها الغربي في أيام عمرانها . ويشق نهر الخوسر بقاياها ، لما كان في يمينه سمي « تل قوينجق » . وما كان في يساره « تل النبي يونس » .

كانت لينوى من عواصم الآشوريين . وفيها كان معبد الاله عشار . وعظم شأنها في زمن الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) اذ وسعها وشيد فيها قصورا ومعابد وتكنات وحوطها بسور وخذق . وطلت عاصمة للآشوريين الى زوال ملكهم بيد الكلدانيين والماديين عام ٦١٢ ق م .

وقد تقف في تل قوينجق ، وهو من اقسام هذه المدينة ، متقبون انكليز منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر ليه على بقايا مصورها ومعابدها وكثير من آثارها ، منها مكتبة آشور بانيبال التي



اقلیما الجزیره واذریبجان ، مع اقالیم الحدود الشمالیة الغربیة

- ١١٧ -

وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) زار ابن جبير مدينة الموصل ووصفها • وقبل هذا الزمن بيسير ، كان نور الدين المشهور ، وهو الذى تحت لوائه عمل صلاح الدين (الايوبى) فى أول أمره ، قد بنى جامعا جديدا^(٧) فى وسط السوق ولكن الجامع العتيق الذى بابه مروان الثانى كان ما زال قائما على النهر^(٨) بمسره المزوق الجميل وشبابيكه الجديدة • وفى أعلى البلد قلعة عظيمة ينتظمها سور مشيد البروج وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى اسفله • ودجلة شرقى البلد وهى متصلة بالسور وابراره فى مائها^(٩) ، وللبلدة ربض كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والاسواق وفيها مارستان حفيظ • ، وسوق يقال له القيسارية^(١٠) • وفى المدينة مدارس للعلم كثيرة • ومرد القزوينى اسماه الديارات المخلفة المجاورة للموصل ، وأشار بوجه خاص الى خندق الموصل

استخرج منها نحو ٣٠٠٠٠ رقيم طين نعلت الى المتحف البريطانى • وآخر حمر جرى فى هذا التل كان سنة ١٩٣١ •

وفد عرفت نينوى بهذا الاسم لانها كانت موضع عبادة الالهة « نينا » منذ اقدم الازمة • وكانت السمكة تعد من الحيوانات المقربة لهذه الالهة • ويحتمل ان للفظه (نون) التى كانت تسمى فى الآشورية « سمكة » صلة بهذا الاسم على نحو ما فى العربية واللغات السامية الاخرى • وقد اشئى من لفظة نون الاسم العلم بأشكاله : يونان ويونس ودو النون • ولعصه يونان والحوت ، على ما يبدو ، جلدور فى العقيدة الخاصة بعبادة الالهة « نينا » التى صارت أيضا لدى الآشوريين الالهة عشتار وعبدت فى غير نينوى من المدن الآشورية (م) •

(٧) وهو الجامع المعروف اليوم بالجامع الكبير أو الجامع الوردى نسبة الى بابه نور الدين محمود ركنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) • وعن الجامع النورى فى الموصل راجع سومر (٥ [١٩٤٩] ص ٢٧٦ - ٢٩٠) • (م) •

(٨) سبق للمؤلف ان قال ان هذا الجامع كان على رمية سهم من دجلة وهو الصواب • فالجامع اليوم قد زال ونامت فى أرضه دور موقوفة • وفى قسم صغير من أرضه شيد جامع صغير يعرف اليوم بجامع المصطفى نسبة الى الحاج محمد مصطفى الذهب ، كان قد حدد بناءه سنة ١٢٢٥ هـ وما زالت منارة الجامع الاموى القديسة شاخصة فى صحن احدى الدور وهى المنارة المعروفة بالمقطومة لان أعلاها قد سقط • وانظر عن الجامع الاموى فى الموصل : سومر (٦ • [١٩٥٠] ص ٢١١) • (م) •

(٩) ما زالت قطعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين « قره سراى » (بعابا قصر ندر الدين لؤلؤ) وباشطابية وهو البرج الكبير المطل على النهر جنوب عين كركيت • (م)

(١٠) سعى العرب ، لاسيما من كان منهم فى الانحاء الغربية (ويريد بلاد الشام وما فى شمالها) ، الابنية الكبيرة لسوق ما المتخذة فى الغالب خانات أو منازل : بالقيصرية أو القيسارية • ولا شك انهم اقتبسوا هذه التسمية من اليونان • وان كانت اللفظة اليونانية لم ترد على ما يظهر عند المؤرخين النبطيين بمعنى السوق الملكية فى المدينة Caesarion وعلى كل حال يبعد ان يكون المسلمون قد أخذوا هذه الكلمة من اسم سيزاريون Caesarian المحلة المشهورة فى الاسكندرية ، مع ان أكثرهم يؤولونه به •

العميق وقلعتها العالية • وكان حوالها بساكن كثيرة تسقيها النواعير على ما قال (١١) •
 اما تلؤل نينوى فقد كان يقال لها منذ ايام المقدسى تل توبة وهو الموضع الذى
 خرج اليه النبی یونس لدعوة أهل نينوى الى التوبة (١٢) وفى هذا الموضع جامع
 حوله دور للزوار بناها ناصر الدولة الحمداني • وعلى نصف فرسخ منه ، عين
 يستشفى بمائها يقال لها عين یونس نسبة الى النبی یونس ، بجوارها جامع وُرى
 هناك شجرة اليقطين التى غرسها هذا النبی (١٣) • وذكر ياقوت ان معظم دور
 الموصل كان مبني بالرخام وكلها آراج • وفى المدينة قبر النبی جرجيس • وممر
 ابن بطوطة بالموصل فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال : على البلد سوران
 اثنان وثيقان ابراجهما كثيرة عالية « مثل السور الذى على مدينة دهلي » • وكانت
 قلعتها تعرف بالحدباء • وكان فى جامعها الحديث (جامع نور الدين) « خصه
 رخام ثمينة يخرج منها الماء بقوة وانزعاج فيرتفع مقدار القامة » وبها مسجد جامع
 ثالث على شط دجلة ، ولعل هذا الجامع هو الذى نوه به المستوفى وقال ان منبره
 من حجارة محفورة حفرا جميلا متقن الصنع كأنه حفر فى الخشب • وكان دور
 الموصل فى ايامه الف خطوة (١٤) • وأشار الى « مشهد یونس » ، فى الجانب
 الآخر من دجلة ، المشيد فوق خرائب نينوى (١٥) •

وعلى بضعة أميال من شرقى الموصل ، بلدتان صغيرتان ، هما : برطلى
 وكرمليس وقد ذكرهما ياقوت والمستوفى • والى شمالهما بقليل باعشيقا • وهذه
 البلدان الثلاثة من أعمال الموصل • وذكر المقدسى باعشيقا بقوله « بها نبت من

(١١) الموصل اليوم من أجل مدن الرماح وأشهرها - وتلى بغداد سعة • كان لها فيها مضى سور
 مكين عال مبنى بالحجر والجص ، محيطه نحو عشرة آلاف متر ، تتخلله عشرة أبواب • ولكن
 قسما كبيرا من ذلك السور وأبوابه وإبراجه قد هدم سنة ١٩١٥ • وفى سنة ١٩٣٤ هدم باقيه ، الا
 قطعة صغيرة منه فى أعلى المدينة ، مانها ما زالت شاخصة تعرف بـ « باشطابية » • وكان يحندق
 بهذا السور خندق عريض • وبعد ان زالت معالم السور ردم الخندق فجعلت الارض التى كان فيها
 السور والخندق شوارع وحدائق (م) •

(١٢) ما يسمى بتل توبة ، هو جزء من التل المعروف بالنبی یونس ، وهو قسم صغير من
 حديقة نينوى الآشورية (م) •

(١٣) جاء فى المقدسى (ص ١٤٦) : « تل توبة على رأسه مسجد ودور للمجاورين ، بقلته
 جميلة انما ناصر الدولة (الحمداني) واوقفت عليه أوقافا جليلة » (م) •

(١٤) ما لى نزهة القلوب (ص ١٠٢ طبعة لسترنج) ان دورها ٨٠٠٠ قدم (م) •

(١٥) ابن حوقل ١٤٣ - ١٤٥ : المقدسى ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٦ : ابن جبير ٢٣٤ - ٢٣٨ ؛
 ياقوت ٤ : ٦٨٤ ؛ ابن بطوطة ٢ : ١٣٥ ؛ القزويني ٢ : ٢٤٧ و ٣٠٩ ؛ المستوفى ١٦٥ و ١٦٧ •

قلعه وبه بواشير أو خنازير سقطت عنه » • وزاد ياقوت على ذلك ان باعشيقا « من قرى الموصل ••• لها نهر جار يسقى بساتينها وتدار به عدة ارجاء ، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والتارنج ، ولها سوق كبير ، وفيه حمامات وقيسارية ••• وبها جامع كبير حسن له منارة ••• وأكثر أهلها نصارى « فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • وكانت برطلى على بضعة أميال جنوب باعشيقا ، وهى مثلها من أعمال نينوى • وقال ياقوت انها « قرية كالمدينة كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء والغالب على أهلها النصرانية • وبها جامع للمسلمين ، ولهم بقول وخس جيد يضرب به المثل « • وأطرى المستوفى جودة قطنها • والى الجنوب بضعة أميال : كرمليس وكان بها سوق عامر على ما فى ياقوت • وهى قرية شبيهة بالمدينة وبها تجار • وكان بالقرب من هذه الامكنة ايضا : مرجهنة أو مرج جهينة • بيد انها على ضفة دجلة وهى أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل • وذكر المقدسى « انها كثيرة ابراج الحمام • والحصن من جص وحجر ، والجامع وسط البلد » (١٦) •

وبين الموصل وتكريت ، يستقبل دجلة فى ضفته الشرقية مياه الزابين • ويصب احدهما على نحو مئة ميل فوق الآخر • وقد اطرى ابن حوقل المرائى والمزارع الخصبة الواسعة فى ما بين هذين النهرين • ومبدأ الزاب الاعلى ، أى الكبير ، فى الجبال بين ارمينية واذربيجان ، ومصبه فى دجلة عند الحديثة • اما الزاب الاسفل أى الصغير ، ويسمى المجنون ايضا لحدة جريه ، فانه ينحدر من بلاد شهرزور وينصب فى دجلة عند السن • وتعرف البلاد التى يمر بها الزاب الكبير على ما ذكر ياقوت ، باسم مشتكر وبابغيش • ويكون ماؤه فى أوله شديد الحمرة ، وكلما جرى صفا قليلا • اما الحديثة ، وهى على فرسخ فوق ملتقاه بدجلة (وتسمى حديثة الموصل تميزا لها عن حديثة الفرات وقد مرت ذكرها فى الصفحة ٨٩) ، فقد اعادها الى العمارة مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية على

(١٦) ما زالت برطلى وباعشيقا وكرمليس ، من اعرى مرى شرقى الموصل • اما مرجهنة ، وهى فى غربى دجلة ، جنوب الموصل قرب القيارة ، فقد حريت ، وتعرف بقاياها اليوم بهذا الاسم أيضا • وهى على يمين طريق السيارات القاصد بغداد ، وامامها « سار » (أى شاطئ) واسع ينتهى بضفة دجلة وهو ما كان يقال له قديما مرج جهينة • (م) •

جرف يشرف على منافع ، وهى كثيرة الصيد ذات بساتين واشجار ، وقد بنيت على شبه دائرة ويصعد اليها من دجلة بدرج • وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط • وكانت تعرف فى أيام الساسانيين باسم نوكرد ومعنى ذلك بالفارسية (البلدة الحديثة) ايضا^(١٧) • وقد كانت قصبة الكورة قل قيام الموصل^(١٨) •

وبلدة السن على ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة ، على ما فى المسعودى • ولكنها ، على ما فى المقدسى ، فوقه ، والزاب الاصغر فى شرقها • وكان معظم اهلها فى المصور الوسطى نصارى • وفيها ، على ما ذكر ياقوت بيع لهم • وكان يقال لها سن بارمًا تميزا لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسن • وكان دجلة يقطع جبال بارما قرب السن • وجامع السن فى الاسواق بناؤه بالحجارة • وللمدينة سور ، الى شرقها باربعة فراسخ ، على ضفة الزاب الاسفل : مدينة البوازيج (حسب تسمية ابن حوقل) والظاهر انها لا أثر لها اليوم فى الخارطة • وكذلك الحال فى السن والحديثة • وتعليل ذلك ان اسفل الزابين قد تبدلت كثيرا منذ المئة الرابعة (العاشرة) • وأشار ياقوت الى هذه المدينة باسم بوازيج الملك ، وظلت قائمة حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد ذكر المستوفى انها كانت تؤدى الى بيت مال الایلخانيين ١٤٠٠٠ دينار •

ومن جنوب السن ، كان طريق الريد الى سامراء وبغداد ، يسير ضفة دجلة اليسرى مارا أولا ببارما وهى بلدة فى لحف جبل بارما ، ويعرف أيضا بجبل حميرين • ومنها الى السودقانية ، وينتهى أخيرا الى جيليتا أو جيلمتاء ، وقد كانت على ما يظهر دارا للضرب فى سنة ٣٠٤ (٩١٦) ، وكانت على ضفة دجلة الشرقية شمالي تكريت بقليل ولا أثر لهذه البلدان الصغيرة الآن فى الخارطة الا ان كتب المسالك قد ذكرت مواضعها بوجه دقيق •

وعلى نيف ومئة ميل من شرق السن ، مدينة دقواء أو دقوق - أورد علي اليزدى هذا الاسم بصورة طاووق وطاووق وهى التسمية الشائعة الآن - وقد

(١٧) لا أثر للحديثة اليوم • وقد سماها العرب « الحديثة » لما نزلوها بعد الاسلام واستحدثوها • وعرفها الارميون « حدتا » ومعناه الحديثة • وسماها اليونان « كيني (KAINAI) » وهى بالمعنى ذاته • (م) •

(١٨) الاصطخرى ٧٥ : ابن حوقل ١٤٧ و ١٥٥ ، المقدسى ١٣٩ و ١٤٦ : ياقوت ١ : ٤٤٦ و ٤٧٢ و ٥٦٧ : ٢ : ١٦٨ و ٢٢٢ و ٥٥٢ و ٦٠٢ : ٤ : ٢٦٧ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ و ٢١٤ •

أكثر ياقوت ومن بعده من البلدانين من ذكرها • وتكلم المستوفى على نهر دقوق (على ما ضبطه) ومخرجه في جبال كردستان قرب دربند خليفة ، ويقضى ماؤه أسفل مدينة دقوق في الأرض الرملية حيث ، على ما جاء في المستوفى ، مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها من يحاول اجتيازها • ويصل نهر دقوق الى دجلة في موسم الفيضان على قوله ، ومجرأه الأسفل هو ما يعرف اليوم بنهر العظيم^(١٩) ولكن في الازمة القديمة ، حين كان النهر وان حيا بأجمعه ، قد كانت مياه نهر دقوق في فيضان الربيع تنصب في النهر وان • ووصف المستوفى مدينة دقوق بانها بلدة وسطية وهوأها أصح من هواء بغداد والقرب منها عيون نطف • وما تحسن الاشارة اليه ان البلدانين العرب الاولين لم يذكروا هذا الموضع^(٢٠) • اما اربل ، وهي اربلا القديمة ، ففي فضاء من الأرض واسع بسيط بين الزاين الكبير والصغير • وقد وصفها ياقوت بانها مدينة يقصدها التجار • وقلعتها على تل عال من التراب عظيم ولها خندق عميق ، وسور المدينة ينقطع في نصفها وفيها سوق عظيمة • وبها مسجد يسمى مسجد الكف فيه حجر عليه كف انسان • • وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) قامت في ربضها خارج السور مدينة

(١٩) يصب في العظيم ، الفائض من مياه نهر دقوق وغيره • وما زالت نفايا بعض انهار كانت تحمل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه موق البند (أى سد العظيم) نحو كيلومرين عند جبل حرين • وكان يخرج من العظيم انهار تنساب الى الجنوب ، تسقى الاراضى المروثة بالفرقة في قضاء الخالص • ونهر يقال له الب ، كان ينساب الى الجنوب النهرى يستقى ما يعرف بالعبث - وارضى الفرقة والعبث اليوم حافة مغلقة لحراب سد العظيم وانقطاع الماء عن الانهار التي كانت تسقيها • (م) •
(٢٠) الاصطخرى ٧٥ ، ابن حوقل ١٥٣ ؛ المسعودى • النبيه ٥٢ ؛ ندامة ٢١٤ ، المقدسى ١٣٣ ، بافوت ١ : ٤٦٤ و ٧٥٠ ، ٢ : ٥٨١ ، ٣ : ١٦٩ ، المستوفى ١٣٩ و ١٦٥ و ٢٢٠ • على اليزدى ١ : ٦٦٠ •

لم يذكر ياقوت ومن سبقه من البلدانين مدينة كركوك التي قال فيها على اليزدى (١ : ٦٦١) انها حرب طاوق • وما نلاحظ ان حبلنا (نفتح أوله وكسر ثابيه) أو جبلنا (نفتح أوله وصم ثابيه) وهي على دجلة بازاء تكريت كثيرا ما جاء اسمها خطأ بصورة حبلنا (على نحو ما جاء في المقدسى ص ١٣٥ وهو من تصحيف النساخ أو الناشرين) • فالحرف الاول من هذا الاسم هو « الجيم » حتما اد ان اسمها كثيرا ما ورد بالسريانية بصورة كلمنا • وفي خط هذه اللغة لا تشابه صورة حرف الجيم وحرف الحاء • (انتهى كلام المؤلف) •

ولنا : كركوك اليوم من أجل مدن العراق ، وهي مركز لواء كركوك • وقد اشتهرت بمزارعة نطفها الذي تستخرجه بكميات وافرة شركة النفط العراقية • ولهذه الشركة مقر كالكدة قرب كركوك •

والمعروف ، ان التل الاثرى الذى تقوم عليه قلعة كركوك ، كان مدينة في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد ، تعرف باسم « أربخا » (Arrapkha) الذى حرف حديثا الى صورة « أرافا » وأطلق على حي العمال الجديد في شركة النفط في كركوك • (م) •

كبيرة عمرت فيها أسواق وقساريات • واطرى المستوفى جودة غلتها لاسيما القطن^(٢١) • وإلى شمال الموصل ، مدينة العمادية • وهى بالقرب من منابع الزاب الأعلى • وعلى ما ذكر المستوفى ، نسبت العمادية الى مؤسسها عماد الدولة الامير الديلمي المنوفى سنة ٣٣٨ (٩٤٩) الا ان غيره من المؤلفين يعزون انشاء العمادية أو تجديدها فى سنة ٥٣٧ (١١٤٢) الى عماد الدين زنكى ابى امير الجزيرة المشهور نور الدين وكان صلاح الدين (الايوبى) من أشهر رجاله ، وروى ياقوت ان حصنا للاكراد كان هناك قبلها يعرف بأشب^(٢٢) • ووصف المستوفى العمادية فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها مدينة كبيرة^(٢٣) •

وفى الجبال المجاورة للعمادية ، منابع نهر خابور الحسنة وهو ينصب فى دجلة شمال مدينة فسابور^(٢٤) على نحو مئة وخمسين ميلا فوق الموصل • ومخرج هذا النهر (وهو غير خابور رأس العين) على ما جاء فى ياقوت ، من أرض الزوزان ، وكان عليه عند بلدة الحسنة قنطرة عظيمة وما زالت بقاياها

(٢١) ترمى مدينة اربل الى اقدم العهود الآشورية بل لعلها الموضع الآشورى الوحيد الذى ظل عامرا أهلا ومحتفظا باسمه حتى اليوم • واسم اربل الآشورى القديم هو « اربا - ايلو » ومعناه : أربعة آلهة • ولعل « اربا ايلو » من اسماء الالهة عشتار أيضا • فان مدينة اربل كانت موطنًا لعبادة هذه الالهة • وقد ذكرها الملندانيون العرب باسم « اربل » على ما نوه به المؤلف أعلاه • وهى اليوم مدينة كبيرة عامرة تقوم احياؤها العبيقة على النمل الاثرى العالى المعروف بعللة اربيل ونى ارباصه امتدت احياؤها الحديثة • وسسبها الناس اليوم « اربيل واريل وادريل واولير وهولير » والصحيح الثلاث الاخيرة هى حسب نطق الاكراد لاسمها • ومدينة اربيل اليوم مركز لواء اربيل من الوية العراق الشمالية •

وفى سهل اربيل ، جرت الوعدة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام ٣٣١ ق م • وهى الموقعة المعروفة باسم « كركملا » • وكانت اربل فى العهد الفرثى عاصمة لمملكة حدناب الارامية الى امند لغوذها فى وقت ما الى الفرات غربا ونصيبين شمالا • (م) •

(٢٢) العمادية اليوم بلدة فوق جبل مليح على ١٦٨ كيلومترا من شمال الموصل • وهى مركز قضاء باسمها فى لواء الموصل •

جاء فى الكتابات الآشورية اسم مدينة فى هذا الموضع أو بالقرب منه وهى « Amat » وأقدم ذكر لها انتهى اليها ، فى مسلة وجدت فى القصر الجنوبي العربى فى نمرود ، فيها أخبار شمسى اداد الخامس الملك الآشورى (٨٢٣ - ٨١٠ ق م) وهو ابن شلمنصر الثالث • وذكرها الملك اداد يراى الثالث (٨٠٥ - ٧٨٢ ق م) ابن شمسى اداد الخامس فى مسلة وجدت فى نمرود أيضا • وبقيت « Amat » مدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث (م) •

(٢٣) المقدسى ١٣٩ : القرينى ٢ : ١٩٢ : ياقوت ١ : ١٨٦ : ٢ : ٣٨٤ : ٣ : ٧١٧ و ٩٣١ : المسنوفى ١٦٥ و ١٦٦ •

(٢٤) وجاءت فى ياقوت بصورة فيشباور بالشين المجبة • اما اليوم متعرف باسم فيشباور وهى الآن فى قضاء زاحو على الحدود العراقية التركية • (م) •

قرب قرية حسن اغا ، ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة . وكان في الحسنية جامع . وقد وصفها المقدسي بانها موضع ذو شأن^(٢٥) . وعلى مرحلة يوم من جنوبها في طريق الموصل ، بلدة معلتاي الصغيرة وفيها جامع على تل وهي كثيرة البساتين .

وفي شمال فيسابور ، الجزيرة وهي مدينة ذات شأن وتعرف بجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر التغلبي بانها . وكانت دجلة ، على ما ذكر ياقوت ، « تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء » . وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل الجزيرة بقوله : « عليها سور وهي فرضة لأرمينية وكانت مشهورة بالجبن والصل » وزاد المقدسي على ذلك ان بناءها من الحجارة « وهي وحلة في الشتاء » . وشاهدها ابن بطوطة وكان فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال : ان « أكثرها خراب » ولها سوف حسنة ومسجد غنيق مبني بالحجارة محكم العمل وسورها مبني بالحجارة أيضا « . وذكر المستوفي انه كان من أعمالها مئة قرية ونيف . وكان قبالة جزيرة ابن عمر : بازبدى وهي قرية في كورة باقردي^(٢٦) . وبازبدى تقوم مقام الحصن الروماني المشهور المسمى بزبدى (Bezabda) غير انه لم ينته اليها وصف لهذا الموضع .

ويرى من جزيرة ابن عمر ، من شرقها ، جبل الجودي . وفي قمته مسجد نوح ، وتحت الجبل قرية الثمانين . وقد جاء في القرآن (السورة ١١ الآية ٤٣) ان فلك نوح « استوت على الجودي » . وهو الجبل الذي يتفق موضعه في الجزيرة وما عتته الروايات الاسلامية . ويقال ان ثمانين من رجال نوح بنوا قرية هناك سميت ثمانين بعددهم . وأشار المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) الى هذه القرية فقال هي مدينة على مرحلة شمال الحسنية . وسماها المستوفي بسوق

(٢٥) من رأى جرتروود بل G. L. Bell ان زاخر هي الموضع المعروف لدى البلدانين العرب بالحسنية نفسه . ولعل قرية حسنة الغائبة بارائها في الجاب الآخر من الخابور قد حافظت على اسم الحسنية القديم . انظر كتابها Amurath to Amurath المطبوع في سنة ١٩١١ الصفحة ٢٨٧ الحاشية ٢ . (م) .

(٢٦) قلنا : بازبدى قرية سميت كورتها باسمها بها وهي في غربي دجلة . وبافردي كورة اخرى في شرقيه فهما كورتان متقابلتان (راجع معجم البلدان ١ ، ٤٦٦) فقرية بازبدى ليست من كورة باقردي (م) .

- ١٢٤ -

ثمانين ، وقال ان الخراب كان مستحوذا عليها في ايامه . وينصب في يسار دجلة ، قرب جزيرة ابن عمر ، روافد كثيرة سرد يافوت اسماءها وهي : يرني وباعينا (وهو باسانفا في ابن سراييون) وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم فوق الجزيرة . واسفل هذه المدينة في شمال خابور الحسنية ينحدر نهر البويار ودوشا من ارض الزوزان (٢٧) .

وفي جانب دجلة الغربى في سمت جزيرة ابن عمر ، كورة طور عبيدين الجبلية ، وأهلها يعاقبة ، وفيها مخرج نهري الهرماس وخابور نصيبين . وكانت نصيبين وهي نسيبيس (Nisibis) الرومانية وقد ذكر ياقوت انها مشهورة بوردها الابيض (٢٨) وبساتينها الاربعين الفا . تقوم في اعلى نهر الهرماس وقد سماه جغرافيو اليونان سوكورس (Saocoras) أو مكدونيس (Mygdonius) وما زالت نصيبين من أعظم مدن الجزيرة شأنا ، وصفها ابن حوقل ، وكان فيها سنة ٣٥٨ (٩٥٩) ، فقال : هي اجل بقاع الجزيرة واحسنها ، الى سعة غلات من الحبوب والقمح والشعير . ومخرج مائها عن شعب جبل يعرف بالوسا . وهي من أطيب المدن لولا الخوف من عقاربها . وعلى ما في المقدسي انها ارحب من الموصل . وأطرى « حماماتها الحسنة وفصورها المنيفة وسوقها من الباب الى الباب ، والجامع وسط البلد ، وبها حصن من حجر وكلس » . وقد زار ابن جبير نصيبين في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وأطرى بساتينها . وذكر ان في جامعها صهريجين ، وعلى نهر الهرماس جسر معقود من صم الحجارة . وفيها مارستان ومدارس وغير ذلك من العمارات الحسنة . ووصف ابن بطوطة نصيبين ، وقد زارها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال ان أكثرها قد خرب اما جامعها فكان قائما في ايامه وفيه صهريجاه الكبيران . وتحف بها البساتين الملتفة وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في العطارة والطيب (٢٩) . وذكر المستوفي ان دور سورها نحو

(٢٧) الاصطخري ٧٨ : ابن حوقل ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٧ : المقدسي ١٣٩ : ابن سراييون ١٨ : ابو الفداء ٥٥ و ٢٧٥ ، ياقوت ١ : ٤٦٦ و ٤٧٢ : ٢ : ٧٩ و ١٤٤ و ٥٥٢ و ٩٥٧ : ٤ : ١٠١٧ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٩ : المستوفي ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢٨) لم نجد في ياقوت ذكرا للورد الابيض في نصيبين . (م) .

(٢٩) هذا قوله فيها : « وتحف بها عن يمنين وشمال بساتين ملتفة الاشجار يالعة الشمار ينساب بين يديها نهر فد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم بحافتيه وتليء ظلالها الوارفة عليه » - (م) .

٦٥٠٠ خطوة وأطرى كرومها الفاخرة وفواكهها الحسنة وخمورها الجيدة .
ولكنه قال انها وخمة وبثة . وتكلم كذلك على جودة وردها وشر عقاربها المميّة
وهى سامة مؤذية وكالبعوض كثرة (٣٠) .

وكانت رأس العين قرب منابع الخابور ، وهى رأس اينّا (Resaina)
الرومانية على نهر خابوراس (Chaboras) مشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠
عينا على ما يقال . وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كأنها بستان
واحد . وقيل ان عينا منها ، وهى عين الزاهرية ، لا يعرف لها قرار . والماء الماد
منها يصب فى الخابور . وكانت الزواريق الصفار تدخل الى عين الزاهرية والناس
يركبون فيها الى بساتينهم والى قرقيسياء على الفرات ان شاءوا . ووصف ابن حوقل
رأس العين ، فقال انها مدينة ذات سور من حجارة وكان داخل السور بساتين
وطواحين ، وكان لاهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مما الى
دورها . وذكر المقدسى ان « بها بحيرة صغيرة رأس الماء نحو من قامتين زلال ،
يطرح الدرهم فلا يخفى فى اسفله » . والبيان فى رأس العين حجارة وجص
وقد مرّ بها ابن جبير سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وقال : لها جامعان ومدرسة وحمام على
الخابور . ولم يكن للمدينة فى أيامه سور يحصنها وان كان فى المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) قد عمر ثانية ، لان المستوفى ذكر ان محيطه نحو ٥٠٠٠ خطوة
وقال انها كثيرة القطن والقمح والكروم .

وعلى نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، فى شمالهما ، القلعة
الصخرية العظيمة : ماردين المشرفة على ديسر التى هى تحتها فى السهل على
نحو ثلاثة فراسخ جنوبها وكانت قلعة ماردين فى المئة الرابعة (العاشرة) يقال
لها الباز . وهى معقل امراء بنى حمدان . وهذه القلعة على قنة جبل وفى جانبها
الجنوبى نشأ رضى عظيم كان أهلا فى المئة السادسة (الثانية عشرة) . وقامت فيه
« أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط . ودور اهلها كالدرج كل دار فوق

(٣٠) ابن حوقل ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ : ابن سراييون ١٢ : المقدسى ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٠
ياقوت ٣ ٥٥٩ : ٤ : ٧٨٧ : ابن بطوطة ٢ : ١٤٠ : المستوفى ١٦٧ .

الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع • وجل شربهم من صهاريج معدة في دورهم • • ووصف ابن بطوطة ماردین وقد زارها في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها «مدينة عظيمة بها تصنع الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز • ولها قلعة شماء تسمى الشهباء» • ويقال لها أيضا قلعة كوه «أى قلعة الجبل» • ووصف المستوفى ماردین فقال : يسقيها نهر صور الآتى من جبل باسمه في طور عدين ويصب هذا النهر في الخابور ، وزاد على ذلك ان ناحيتها كثيرة الغلات والقطن والفواكه •

وديسر ، على بضعة فراسخ منها (تفاوت القول في ذلك ما بين فرسخين الى اربعة ويظهر ان موضعها الحقيقى غير معروف) • وكانت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) مدينة ذات أسواق عظيمة ويقال لها أيضا فوج حصار • وذكر ياقوت انه حين زارها في صباه في نهاية المئة السادسة (الثانية عشرة) رآها قرية ولكنها في سنة ٦٢٣ (١٢٢٥) «صارت مصرا لا نظير لها كبرا وكثرة أهل وعظم أسواق» • ووصفها ابن جبير ، حين مرّ بها في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، بانها مدينة لا سور لها وهى مخطر للقوافل • وخارجها مدرسة جديدة وحمامات • ودارا ، على بضعة أميال شرقا • وكانت في أيام الرومان قلعة عظيمة • ذكر ابن حوقل انها مدينة صغيرة (٣١) • ووصف المقدسى «قناة تعم البلد وتجرى فوق السطوح وتقر في الجامع ثم تنحدر الى واد • وبنيتهم حجارة سود وكلس» • وقال ياقوت انها بلدة في لحف جبل • ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تنطيب به الاعراب • وهى ذات بساتين • • وحين مرّ ابن بطوطة بدارا في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قلعتها خرابا لا عمارة بها • وكفرتوثا في جنوب غربى ماردین على نهرها الصغير • وذكر ابن حوقل انها صارت في المئة الرابعة (العاشره) بلدة قليلة الشأن وكانت عند ملتقى الطريق المنحدر من آمد • وكانت حينذاك أوسع من دارا ، الا ان ياقوت الحموى أشار في المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها

(٣١) تبين من مراجعة الاصول ان هذا القول للمعدسى لا لائن حوقل • (م) •

قرية كبيرة (٣٢) .

كان الخابور الكبير يستقبل في يساره مياه نهر ماردين الآتي من رأس العين ، ويصب فيه أسفل من ذلك نهر الهرماس الآتي من نصيين . على ان أكثر مياه هذا النهر كانت - على ما بنا - تنساب من سكير العباس وكان على شيء يسير فوق ملتقى الهرماس بالخابور الى وادي الثرثار . فتجتمع من ذلك في الخابور مياه ثلاثة أنهار كبيرة ، هذا الى ما ينصب فيه من مياه ثلاثمائة جدول على ما ذكر المستوفى . ثم يتحد الخابور جنوبا الى قرقيسياء على الفرات وهي أكبر مدينة في ديار مصر ، وسيجيء وصفها . وقبل ان يصل النهر الى هذه المدينة يمر بمدينة عرابان وماكسين ، وهما في أراضي الخابور من أعمال ديار ربيعة . وعرابان أو عرابان ، وما زالت خرائبها موجودة ، كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور منيع وتعمل فيها الثياب القطن ، وهي كثيرة الاقطان التي تنمي في جانبي الخابور . وتكلم المقدسي على عرابان وقال انها « تل رفيع حولها بساتين ، وإلى جنوبها في نصف الطريق بينها وبين قرقيسياء : ماكسين (أو ميكسين) حيث كان جسر سفن يقطع الخابور . وكان القطن يكثر فيها أيضا . وعلى مقربة منها بحيرة صغيرة تسمى المنخرق ، استدارتها مساحة جريب أو أزيد وفيها ماء أزرق عذب كالزجاج الملوح ولا يعرف قعرها ولا يعلم كمية مائها » .

ويقال ان مخرج الهرماس من عين بينها وبين نصيين ستة فراسخ (شمالا) مسدودة بالحجارة والرصاص . « ويقال ان الروم بنت هذه الحجارة عليها لثلا تفرق هذه المدينة . وكان المتوكل لما دخل هذه المدينة سار اليها وأمر بفتحها ففتح منها شيء يسير . . . فغلب عليه الماء غلبة شديدة حتى أمر بإحكامه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص » . وعلى مئة ميل أو يزيد جنوب نصيين ، السكر المعروف بسكير العباس وكان هناك في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة

(٣٢) البلاذري ١٧٦ : الاصطخرى ٧٣ و ٧٤ : ابن حوقل ١٤٣ و ١٤٩ و ١٥٢ : المقدسي ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٢ و ٢٤٤ : الفروبي ٢ : ١٧٢ : ياقوت ٢ : ٥١٦ و ٦١٢ و ٧٣٣ و ٩١١ : ٣ : ٤٣٥ : ٤ : ٢٨٧ و ٣٩٠ : المستوفي ١٦٦ و ٢٠٥ و ٢١٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٤٢ : علي البزدي ١ : ٦٧٧ .

لها جامع / وأسواق • وسكير العباس^(٣٣) في رأس نهر الثرثار ، وقد كان يصب في دجلة على ما بينا • اما اليوم فقد قل ماء الثرثار وانقطع جريه • وكان ماؤه منذ المئة السابعة (الثالثة عشرة) ضيلا فحين كتب ياقوت معجمه ذكر انه « يمد اذا كثرت الامطار • فأما في الصيف فلبس فيه الا منافع ومياه حامية وعيون قليلة ملحة » • وقد ارتاد ياقوت مجرا غير مرة وزاد على ما تقدم : « يقال ان السفن كانت تجرى فيه (من الخابور الى دجلة) وكانت عليه قرى كثيرة وعمارة » • اما حين كتب ياقوت فلم تكن تلك البقاع غير برية مقفرة^(٣٤) •

وفى برية سنجار ، كان نهر الثرثار يجري بين مرتفعات يقال لها جبل حميرين ، وهو جبل بارما ، وكان الثرثار يستقبل من الشمال نهرا صغيرا ينحدر اليه من مدينة سنجار • وكان على سنجار في المئة الرابعة (العاشرة) سور من حجر ، ونواحيها عامرة كثيرة الخيرات • وأشار المقدسي الى شهرة اساكفتها وترنجها ونارنجها وقال « بها نخل كثير » والجامع في وسط البلدة • وتقول الروايات الاسلامية ان سفينة نوح نطحت في جبل سنجار في زمن الطوفان ، ثم استوت على جبل الجودي في الجانب الشرقي من دجلة • وزاد ياقوت على ذلك ان في مدينة سنجار ، على ما قيل ، ولد آخر سلاطين السلاجقة سنجار أو سجر بن ملكشاه • وكانت سنجار ، على ما ذكر القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، مشهورة بحماماتها : فرشها فصوص وسقوفها جامات ملونة • ونوه ابن بطوطة ، وقد مر بها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بمسجدها الجامع الفخم • وكان دائر سورها على ما ذكر المستوفي ٣٣٠٠٠ خطوة وهو من حجارة ويصعد الى دورها بدرجات في سفح الجبل • وتكثر في بساينها الكروم والزيتون

(٣٣) ترى اليوم على الهرماس (نهر حفيج ، ويسمى بقايا سكر على شيء يسمى من ملقاه بالخاور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبي النهر • راجع : الخريطة ١٤٠ من اطلس كتاب •
A. Poidebard, La Trace de Rome dans la Désert de Syrie, (Paris, 1934).

وكذلك ص ١٢٩ - ١٤٣ من المص • (م) •

(٣٤) الثرثار اليوم ما زال حاله على ما وصفه به ياقوت في المئة السابعة للهجرة (الثالثة عشرة للسيلاد) فالأما لا يجري فيه الا في موسم الامطار وترى في جهات من الوادي عيون قليلة الماء تغلب عليه الملوحة • والبرية التي يشعبها حاليا قاحلة الا في أيام الربيع فانها تتحول الى مراتع حضر ينتقل اليها الرعاة بأعصامهم من النواحي المجاورة • وترى في جانبي الثرثار معابل مدينة الحضر ، بقايا قنطرة من الحجارة • (م) •

والسماق^(٣٥) . والحضر وهى حترا (Hatra) عند الرومان . ذكر ابن سراجيون ان الثرثار يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاء بدجلة قرب تكريت . وما زال يرى فى الحضر بقايا قصر فرنى كبير^(٣٦) . روى ياقوت ان بانيه الساطرون شيدته من حجارة مربعة ، وفيه بيوت كثيرة بنيت سقوفها وابوابها بالحجارة المهندمة وذكر انه « يقال كان فيها ستون برجا كبيرا وبين البرج والبرج تسعة أبراج صفار بازاء كل برج قصر »^(٣٧) . وكان الطريق من الموصل الى نصيبين فى جانب دجلة الايمن . وهذا الطريق يتقسم عند بلد (الموضع المعروف اليوم باسكى موصل)^(٣٨) وهى على اربعة فراسخ من الموصل

(٣٥) ما زالت سنجار من المدن العائرة فى شمالى العراق وهى اليوم مركز قضاء سنجار فى لواء الموصل . جاء فى الكتابات المسماة ما يدل على انها كانت منذ المصور الآشورية . واستولى عليها الرومان فى القرون الاولى للميلاد . وذكرت كثيرا فى اخبار الحروب بينهم وبين الفرس . وظلت على شيء من الاستقلال فى عهدهم فان ملوكها ضربوا النمود باسمائهم ومن تلك النمود ما يرى فى دور الآثار (م) .

(٣٦) ترى خرائب الحضر ، من قصور ومباني وحصون وكلها مشيد بالحجارة المهندمة على اربعة كيلومترات من غرب رادى الثرثار وعلى نحو ٧٠ كيلومترا غرب الشرفاء وعلى ١٥٠ كيلو مترا جنوب غربى الموصل . وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف . فسا زلنا نحمل زمن بنائها ومن بناها وسبب قيامها بمفردها فى البرية الواسعة التى بين نهري دجلة والفرات . ولكننا نعرف انها وصلت الى اوج عزها فى اواخر المائة الاولى للميلاد وثبتت امام جيوش الرومان فى المئة الثانية للميلاد . ولكنها لم تقو على الوقوف بوجه صوم سابر الاول الساساني فقد فتحها بعد ان حاصرها راعيل السيف فى اهلها ونهب قصورها ومبانيها فى نحو منتصف المئة الثالثة للميلاد . ويظهر ان الحضر لم تمش بعد ذلك وهجرها من تبقى من اهلها .

وقد تسهت دار الآثار العراقية الى منزلة الحضر الاثرية فابتدأت فى التفتيش فيها منذ عام ١٩٥١ وتوصلت فى موسمين من التنقيبات الى نتائج عظيمة القية كشفت عن شيء مما غطى من احوال هذه المدينة وتاريخها . وعثرت فى بعض المعادن على عدد من السائيل الرخام وغيرها وعلى كتابات ارامية . وما زالت دار الآثار ماضية فى الكشف عن خفايا هذه المدينة . راجع عن الحفريات فى الحضر مجلة « سومر » (٧ : ١٩٥١) ص ١٧٠ - ١٨٤ : ٨ : [١٩٥٢] ص ٣٧ - ٥٢ و ١٨٣ - ١٩٥ (م) .

(٣٧) يكتب اسم البلدة سنجار بالف قبل الراء ، واسم السلطان سنجر من دونها . ابن سراجيون ١٢ و ١٨ : الاصطحسرى ٧٣ و ٧٤ ابن حوقل ١٣٩ و ١٤٨ و ١٥٠ ، المقدسى ١٤٠ و ١٤١ : ياقوت ١ : ٤٦٤ و ٩٢١ : ٢ : ٢٨١ : ٣ : ١٠٩ و ١٥٨ : ٤ : ٩٦٢ : المستوفى ١٦٦ ر ٢١٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٤١ : القزوينى ٢ : ٢٦٣ .

(٣٨) اسكى موصل قرية على نحو اربعين كيلومترا شمال غربى الموصل على صفة دجلة اليمنى . تقوم عند الخرائب المعروفة اليوم بهذا الاسم . وهى بقايا مدينة « بلط » الآشورية التى ورد اسمها فى كتابات ستحاريب الملك الآشورى (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) وقامت هناك مدينة فى العصر الاسلامى ، سماها البلديون العرب باسم « بلد » و « بلط » . وقد عثر فى بعض اطلالها على مسكوكات اتاكية احداها تعود الى فطى الدين مودود ، مما قد يؤول ان هذا القسم من الاطلال والسور الذى حولها فوق التل القديم من المنشآت الاتاكية . وعلى مقربة من اسكى موصل ،

الى طريقين : طريق يتجه الى اليسار ذاهبا الى سنجار مارا بتل اعفر • ذكر ياقوت انه كان في بلد مشهد علوى • وبلد في موضع المدينة الفارسية القديمة شهراباذ • وقال ان مدينة « بلد » ربما قبل لها بلط • وأشار ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) الى بلد فقال هى مدينة كبيرة • وقال المقدسى فى قصورها انها حسنة البناء من جص وحجر فرجة الاسواق والجامع وسط البلدة وينمى فى نواحيها قصب السكر وهى خصبة • وفوق تل « تل اعفر »^(٣٩) المنفرد ، وهو على مرحلة واحدة من غربها ، قلعة حصينة تشرف على ربض كبير فيه نهر جار • وذكر ياقوت ان النخل كان ينمى فى ناحية منها يقال لها المحلية « نسبة الى المحلب وهو شئ من العطر » يعمل فيها^(٤٠) .

اما الطريق الايمن ، فانه يبدأ من منقسمه ، مما يلى مدينة بلد ويذهب الى مدينة باعينا وقد وصفها المقدسى بقوله « نزهة طيبة وهى خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والمياه ، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص » • وينبغى ان لا تخلط بينها وبين « قرية كبيرة كالمدينة » تعرف أيضا باعينا على النهر الذى يلتقى بدجلة شمال جزيرة ابن عمر ، على ما بيننا فى الصفحة ١٢٤ وعلى طريق نصيين مما يلى باعينا : بركعيد ، وهى بلدة يضرب المثل باهلها فى اللصوصية • فكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الامرئين • وكانت فى المثة الثالثة (التاسعة) بلدة كبيرة عليها سور ولها ثلاثة أبواب وفيها مئتا حانوت وبها آبار كثيرة عذبة • وما حلت

قنطرة ذات طاق واحد تعرف بهذا الاسم أيضا • ارتفاعها ١٢ مترا فى الوقت الحاضر وعرضها ٢٢ر٥ مترا مبنية بالحجارة الكبيرة المهندمة على بعضها حروف يحتل انها يونانية - وفى وجه الطاق كتابة عربية منقورة فى الحجر هذا نصها « عمل ح ١٠٠٠ بن محمد الجزرى رحمه الله » • ويرجح انها كتبت بعد انشاء القنطرة التى يبدو من طرازها انها رومانية • (م) •

(٣٩) تل اعفر ، بلدة فى غربى الموصل ، على طريق سنجار ، وهى مركز قضاء تل اعفر . ويقال لى اسمها أيضا : تل يعمر وتليمر وتل يعفور وتلعفر • وهذا الاخير هو الاسم الدارج اليوم • وقيل انما أصله « التل الاعفر » لكونه فغير لكثرة الاستعمال وطلب الخفة • وكان اسمها عند الآشوريين نيت عشتار • (م) •

(٤٠) المحلية (كعلبية) من قرى ناحية حميدات فى لواء الموصل • قرب الحد الفاصل بين هذه الناحية وقضاء تلعفر • وهى اليوم قرية كبيرة كالبدة فيها عين وافرة الماء تعرف بـ « سرب المحلية » (سرب • وزان سبب) تعيش فيها اسماك وتسقى مياهها بساتين القرية التى تكثر فيها الاشجار المثمرة كالزيتون والتين والعنب والخوخ وغيرها • وفى اطرافها بقايا بلدة اسلامية وتل عال يعرف بتل باليوز على سطحه كسر فخار من ادوار ما قبل التاريخ والدور الآشورى ، ولعل أقدم من اشار اليها من البلاديين العرب البشارى المقدسى فقد ذكرها مرتين فى كتابه • (م) •

المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى تجنبتها أكثر الفواقل لكثرة أفاعيل أهلها
فاصبحت قرية صغيرة حقيرة •

وأذمة في نحو نصف المسافة بين برقيد ونصيبين ، وكانت مدينة مثل
برقيد كبرا وهي من كورة تعرف بين النهرين • وانتهى الينا من المئة الثالثة
(التاسعة) انه كان بها قصر حسن ونهر يشقها وعليه في وسط المدينة قنطرة
معقودة بالصخر والجص • وفيها سوران احدهما دون الآخر ومن خارج السور
خندق يحيط بالمدينة • وهذا ما انتهى الينا على كل حال مما وصفها به طيب^(٤١)
الخليفة المغنضد ، وقد مرّ بها حين كان في خدمة الخليفة • وفي المئة الرابعة
(العاشرة) وصف المقدسي اذمة فقال « صغيرة في البرية ، شربهم من آبار
مبنيانهم قباب »^(٤٢) •

(٤١) في معجم البلدان (١ : ١٧٧) هو : احمد بن الطيب السرخسي العيلسوف (م) •
(٤٢) قدامة ٢١٤ ؛ الاصطخرى ٧٣ ؛ ابن حوقل ١٤٨ و ١٤٩ ، المقدسي ١٣٩ و ١٤٠ ؛
ياموت ١ : ١٧٧ و ٤٧٣ و ٥٧١ و ٧١٠ و ٨٦٣ ، ٤ : ٤٢٨ ؛ القزويني ٢ : ٢٠٤ •

الفصل السابع

الجزيرة «نمرة»

ديار مضر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - أذسا وحسن مسلمة - فرلبيسباء - نهر
سعيد والرحبة والدالية - رصافة الشام - عانة - بالس وجسر منبج
وسميساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاني ومنايع دجلة -
ميفارفين وارذن - حصن كيلا وتل فافان -
سـمـرـت .

كانت ديار مضر ، على ما قد بينا ، تحف بضفاف الفرات • واجل مدنها
الرقة ، وهي فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات • وقامت في
موضع المدينة اليونانية القديمة كلنيكس (Callinicus) وهي تقفوروم
(Nicephorium) • وما اسم « الرقة » العربي الا نعت لها « فالرقة كل ارض الى
جنب واد ينسبط عليها الماء » وقت الفيضان • ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع
أخرى كتسمية لمكان • وهذه الرقة التي على الفرات عرفت بالرقة السوداء ميمزا
لها عن غيرها •

وحين انتقلت الخلافة الى بنى العباس في المئة الثانية (الثامنة) ، كانت الرقة
من أهم مدن ما بين النهرين الاعلى ، وتسبطر على تخوم الشام • فكان عليهم
الاحتفاظ بها فشرع الخليفة المنصور في سنة ١٥٥ (٧٢٢) ببناء مدينة الرافقة على
نحو ثلاثمئة ذراع من الرقة ورتب بها جندا من أهل خراسان الموالين للدولة
الجديدة • ويقال ان الرافقة بنيت على غرار مدينة السلام • فكانت مدينة مدورة •

- ١٣٣ -

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصرا سماه قصر السلام ، لانه كان يقيم فى الرقة أو الرافقة كلما اشتد الحر فى بغداد . وسرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت أبنية جديدة فى الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وحول رقتها وكانت بحيرة ضحلة . وغلب اسم الرقة على الرافقة ، وقد كانت الاخيرة حيناً من الزمن ريفاً لها ، وبطل اسمها بمرور الايام . على ان ابن حوقل تكلم فى المثة الرابعة (العاشرة) على مدينتى الرقة والرافقة فقال هما « مدينتان كالتلاصقتين وفى كل واحدة منهما مسجد جامع » . وكاتا كثيرتى الاشجار ، اما المقدسى فلم يصف الا الرقة وقال « الرقة قصبه ديار مضر ، بحصن عريض ولها بابان ، حسنة الاسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، ومعدن الصابون الجيد^(١) والزيتون . وجامع الرقة فى البزازين وبها حمامات طية » . ثم قال : كان لكل بيت كبير فى الرقة دكة . وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها الرقة المحترقة . على ان المستوفى تكلم على الرافقة وقال هى ريف الرقة ، الجامع فى الصاغة فيه شجر عناب وبالقرب منها مسجد يطل على الفرات^(٢) .

وفى جانب الفرات الايمن ، بازاء الرقة فيما فوقها ، ارض صفين المشهورة وفيها كان القتال بين اصحاب الخليفة علي ومعاوية وقبور من استشهد فى هذه الوقعة من اصحاب علي معروفة فيها . وروى ابن حوقل ، وقد تابعه فيه المستوفى ، ان من كان بعيداً عن القبور يرى عجباً ذلك انه يرى قبوراً ويصعد الى المكان فلا يرى لذلك أثراً ولا يحس منه خبراً . ومقابل ارض وقعة صفين على ضفة الفرات الشمالية (اليسرى) قلعة يقال لها قلعة جعبر نسبة الى مالکها الاول وكان عربياً من بنى نمر وكانت هذه القلعة تعرف فى بدء امرها بدوسر وكثيراً ما تردد ذكرها فى آخر أدوار تاريخ الخلافة . وفى سنة ٤٩٧ (١١٠٤) استولى الفرنج

(١) اشار المقدسى (احسن التقاسيم ص ١٤٥) الى اشتهاى الرقة بعمل الصابون . وللصابون الرقى وهو منسوب الى مدينة الرقة شهيرة بصيدته ، وقد بوه به بعض الكبة الاقدمين (انظر شرح اسماء العمار لموسى بن ميمون ص ٣٥ ، وعيون الانباء من طبقات الاطباء ١ : ٢٦٥ ، ونخلة الدهر لى عجائب البر والبحر لشمس الدين الدمشقى ص ٢٠٠) (م) .
(٢) عرفت الرقة باسم تققوروم . بناها الاسكندر الكبير فى زحفه على دجلة . وقد نالها الاذى اثناء الحروب العارسية الرومانية والعارسية البيزنطية لوقوعها على ممر الجيوش حتى كان الفتح العربى لها سنة ٦٣٨ م . (م) .

- ١٣٤ -

عليها من اذسا في الحملة الصليبية الاولى . ويستقبل الفرات من يساره اسفل الرقة
نهر البليخ ، وقد عرفه اليونان باسم بليخا (Bilecha) ومنبعه من عين تسمى عين
الذهبية في شمال حران . وورد اسم هذه العين ايضا في المراجع التي بيدنا
بصورة الدهمانية والذهبانية وكتبه المستوفي (بالفارسية) بصورة حشمة دهانة أى
عين دهانة^(٣) .

وبجرى البليخ نحو الجنوب ثم يلتقى بالفرات تحت الرقة ويمر بمدن جليلة
كان سقيها من هذا النهر وروافده . فقرب منبعه حران (كرها Carrhae)
وكانت مدينة الصابئين (وهم الصابئة الحرانية فينبغى الا يخلط بينهم وبين صابئة
العراق اليوم) وهم على دين ابراهيم . ويقال ان حران كانت أول مدينة بنيت في
الارض بعد الطوفان . وقال المقدسى في حران انها « مدينة تزبها عليها حصن من
حجارة على عمل ايلياء^(٤) في حسن البناء » وفيها جامع . وذكر ابن جبير ، وقد مرّ
بحرّان سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، ان لها سورا مبنا بالحجارة ووصف الجامع فقال :
له صحن كبير ذو تسعة عشر بابا وفيه قبة قد قامت على سوار من الرخام . ولها
اسواق مسقفة كلها بالخشب . ولهذه البلدة مدرسة ومارسان . وزاد المستوفي
على ذلك ان محيط سور الصحن كان ١٣٥٠ خطوة . وعلى ثلاثة فراسخ من
جنوبها ، مشهد ابراهيم ، وما حوله من اراض تسقيه انهار لا عدّ لها^(٥) .

اما ادسا وقد سماها العرب الرها (وهو تحريف للاسم اليونانى كلرهو
Callirhoe) ، فهي عند منابع احد روافد البليخ . ولم يسهب البلدانون

(٣) البلاذرى ١٧٩ و ٢٩٧ : الاصطخرى ٧٥ و ٧٦ : ابن حوقل ١٥٣ و ١٥٤ : المقدسى ١٤١ : ابن
سراييون ١٢ : ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٣ : ياقوت ١ : ٧٣٤ : ٢ : ٦٢١
و ٧٣٤ : ٤ : ١١٢ و ١٦٤ : المستوفى ١٦٦ و ٢١٩ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥٣ .
(٤) قال ياقوت (٤٢٣ . ١) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس . (م) .

(٥) تقوم حران عند ملتقى الطرق التجارية لى شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق
الجزيرة . وكانت حران منذ الالف الثانى قبل الميلاد ، قاعدة اقليم كبير وطلت عامرة حتى المئة
الساعة (الثالثة عشرة) . حكمها الآشوريون وحكمها اليونان والرومان والعمرس قبل ان ياخذها
العرب صلحا سنة ١٨ (٦٣٩) . ونزلها مروان الثانى آخر خلفاء بنى امية .

تبلغ مساحة اطلالها نحو ميل مربع يحيط بها سور خرب . وقد لقب الآثريون حديثا فى بقايا
مسجدها الجامع وقلمتها . راجع عن الحفريات فى حران :

Anatolian Studies (Vol. I, 1951; pp. 77-III); Illustrated London News
(Sep. 20, 1952 p. 466). - (م) .

- ١٣٥ -

المسلمون في أخبار هذه المدينة ، لان أغلب سكانها أقاموا على نصرانيتها . وأكثر ما اشتهرت به هذه المدينة كنائسها الكثيرة فقد ذكر ابن حوقل « بها زيادة على ثلاثمائة بيعة ودير ، وكان بها منديل لعيسى » ، أعطاه المسلمون للروم في سنة ٣٣٢ (٩٤٤) انقادا للرها من هجوم الروم عليها ونهبها . وقال المقدسي في النصف الثاني من المئة الرابعة (العاشرة) بعد كلامه على جامعها ان « بها كنيسة عجيبة بأزاح ملبسة بالفاسفاء هي إحدى عجائب الدنيا » الرابع . وقال أيضا ان المسجد الأقصى في بيت المقدس قد بني على غرارها .

وزاد على ذلك انها كانت مدينة محصنة . ولم تثبت الحامية العربية بوجه الحملة الصليبية الاولى في سنة ٤٩٢ (١٠٩٨) . فاستولى بلدوين على ادسا وبقيت نصف قرن ولاية لاتينية . ولكن في سنة ٥٤٠ (١١٤٥) استعادها زنكي^(٦) من جوسلين الثاني (Jocelin II) . ومنذ هذا الزمن صارت الرها بأيدي المسلمين . وكانت خرائب كثير من مبانيها الجميلة شاخصة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ووصف المستوفي قبة عظيمة حسنة البناء بالحجارة تقوم وراء صحن سعة مئة ذراع ونيف في مثلها . وذكر علي اليزدي مدينة الرها غير مرة في حديثه عن حروب تيمور . وظلت الرها تعرف بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) فانها بعد انتقالها الى ايدي الترك العثمانيين عرفت باسم « اورفا » وقيل ان هذا الاسم تحريف « الرها » العربي . وما زالت تسمى بأورفا حتى اليوم^(٧) .

(٦) هو عماد الدين زنكي وقد حكم سنة ٥٢١ - ٥٤١ هـ (م) .
(٧) الاصطخرى ٧٦ : ابن حوقل ١٥٤ : المقدسي ١٤١ و ١٤٧ : ابن جبير ٢٤٦ : ياقوت ٢ : ٢٣١ ر ٥٩١ : علي اليزدي ١ : ٦٦٢ : المستوفي ١٦٦ : جهان نما ٤٤٣ .

اما منديل عيسى المشهور الذي كان في ادسا وقتنا ما ، فانه احد المناديل الكثيرة من نوعه (Veronica) ولا تتفق المصادر الوثيقة على ما اذا كان منديل ادسا هو ذاك المنديل المعروف في رومة الآن أم انه المنديل الذي يشاهد في جنوة . وهالك مناديل أخرى غيرها . وأقدم مرجع اسلامي ذكر هذا الموضوع هو كتاب المسعودي الذي ألفه سنة تسليم المنديل المشهور الى الرماطور الروم قال فيه ان « ايشوع الناصري حين خرج من ماء المعمودية تلتفت به » . وذكر المسعودي ان في سنة ٣٣٢ (٩٤٤) اعطى هذا المنديل للروم ففتحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليم هذا المنديل لرح عظيم . اما ابن حوقل ، وقد كتب في تلك المئة نفسها ، فسماء « منديل عيسى بن مريم عليه السلام » . وقال ابن الاثير في تاريخه في أخبار سنة ٣٣١ (٩٤٣) ان « منديلا زعم ان المسيح مسح به وجهه

- ١٣٦ -

وفى جنوب حران على مقربة من شرق نهر البليخ ، مدينة باجدا الصغيرة على الطريق الى رأس العين . وكان فيها بساتين ، وهى قرب حصن مسلمة الذى هو أقرب الى البليخ منه الى باجدا وقد نسب هذا الحصن الى مسلمة بن عبد الملك الخليفة الاموى . وهو على تسعة فراسخ جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل عن ضفة النهر الحالية . « وشرب أهله من مصنع فيه طوله مئتا ذراع فى عرض مثله ، وعمقه نحو عشرين ذراعا معقود بالحجارة . وكان مسلمة قد اصلحه . والماء يجرى فيه من البليخ فى نهر مفرد فى كل سنة مرة حتى يملأه فيكفى أهله بقية عام . ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة . وكان الحصن « قد بني على قدر جريب من الارض (وهو ما يعادل ثلث ابر) وارتفاعه فى الهواء أكثر من خمسين ذراعا . وكان فى جنوب حصن مسلمة فى طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها : باجروان . وقد وصفها ابن حوقل فقال : « كانت منزلا خصبا نزها واسعا » . وقد عراها الاختلال فى المئة الرابعة (العاشرة) . اما ياقوت ، وقد قدمنا وصفه لحصن مسلمة ، فذكر ان باجروان قرية من ديار مضر (٨) .

وعلى نحو مئى مبل اسفل من الرقة ، قرقيسياء وهى كركيسيوم (Circesium) القديمة على ضفة دجلة (١) اليسرى حيث يصب الخابور فضلا مياهه فيه على ما قد بينا فى الصفحة (١٢٧) . ووصف ابن حوقل قرقيسياء بانها « مدينة لها بساتين وأشجار كثيرة وهى فى نفسها نزهة » . اما ياقوت والمستوفى فقد ذكرا انها بلد أصغر من الرجة المجاورة لها على ستة فراسخ منها فى الجانب الغربى من الفرات . والرجة هذه سميت برجة مالك بن طوق مؤسسها ، تميزا

فصارت صورة وجهه فيه . « وتابع حديثه مبينا ان الخليفة المتقى والى على تسليم هذا المنديل الى ملك الروم لكى يطلق كثيرا من اسرى المسلمين وبعد الروم عن الرها - اما الرواية النصرانية بشأن منديل ادسا فهى على ما ذكر موسى الخورى Moses of Chorene انه كان فى المنديل صورة المسيح مطبوعة باعوبة وقد ارسلها المسيح الى ابجر ملك الرها - المسعودى ٢ : ٣٣١ ؛ ابن الاثير ٨ : ٣٠٢ .

(٨) ابن حوقل ١٥٦ ؛ فدامة ٢١٥ ؛ ياقوت ١ : ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٧٣٤ ؛ ٢ : ٢٧٨ .

(٩) لا شك ان ذلك من حطا الطبع فان المؤلف يريد الفرات ، فقد اثبتنا على الفرات فى خوارطة . (م) .

- ١٣٧ -

لها عن غيرها من الرحاب • وقد عاش مالك في خلافة المأمون • وكان بالقرب منها : الدالية وهي بلدة صغيرة • والرحبة والدالية قرب نهر يقال له نهر سعيد ، كان يخرج من يمين الفرات على شيء قبلل فوق قرقيسياء ويعود فيصب فيه فوق الدالية • وهي مثل الرحبة تعرف بدالية مالك ابن طوق تميزاً لها عن غيرها • وكان قد أمر بحفر هذا النهر الأمير سعيد ابن الخليفة عبد الملك الاموي ، وكان رجلاً تقياً يلقب بسعيد الخير ، وقد تولى الموصل حيناً من الزمن • وقد وصف المقدسي مدينة الرحبة فقال هي اجل مدن ناحية الفرات ، في الجزيرة ، وكانت دورها « من نحو البادية طيلسان » ولها حصن منيع وربض كبير • اما الدالية فكانت اصغر منها حسنة فوق شرف من الارض على شاطئ الفرات في غربه •

وفي البادية ، بين الرحبة والركة : الرصافة - وما زالت بقاياها على أربعة فراسخ جنوب الرقة وكانت تسمى رصافة الشام أو رصافة هشام نسبة الى بانيها^(١٠) • فقد بنى الخليفة هشام احد ابناء عبد الملك هذا القصر له في البادية لما وقع الطاعون بالشام اتقاء شره • وكان يسكن في هذا الموضع ملوك غسان قبل الاسلام • وذكر ياقوت ان في الرصافة آباراً طول رشاء كل بئر مئة وعشرون ذراعاً وأكثر • وذكرها ابن بطالان الطيب في رسالة له كتبها سنة ٤٤٣ (١٠٥١) بقوله : فيها « بعة عظيمة أنشأها قسطنطين الملك ، طاهرها بالفص المذهب • وتحت البعة صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام • وسكان هذا الحصن أكثرهم نصارى (في المئة الخامسة = الحادية عشرة) معاشهم تخفّر القوافل وجلب المناج والصعاليك مع اللصوص » فكانوا يرافقون القوافل في اجيازها البادية الى حلب • وكان في شرقي الفرات ، بين الرقة وقرقيسياء ، على يمين فوق قرقيسياء ، الخانوقة • وهي على ما ذكر ابن حوقل مدينة « رزحة الحال » • وزاد ياقوت عليه ان بالقرب منها أرض « المضيق » •

(١٠) تفهم اطلال رصافة الشام ، وتعرف برصافة هشام ، على نحو مئتي كيلو متر من شرق حلب • وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية • وفي سفر الملوك الرابع (١٩ : ١١ - ١٢) • ولم يبق من هذه المدينة الا اطلال في صحراء معفرة (م) •

- ١٣٨ -

ولم يكن في اقليم الجزيرة اسفل من قرقيسياء ، مدينة ذات شأن غير عانة وهي اناثو Anatho القديمة وما زالت ترى في الخارطة العصرية^(١١) . وقد ذكرها ابن سريابون فقال ان الفرات يدور بها وتصير جزيرة فيها مدينة . اما ابن حوقل فقال ان عانة « في وسط الفرات ويطوف بها خليج من الفرات » . وزاد ياقوت على ذلك ان « بها قلعة حصينة مشرفة على الفرات » واليها التجأ القائم بأمر الله في سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) حين استولى البساسبري الديلمي على بغداد^(١٢) وأمر بإقامة الخطبة في غيبته باسم خليفة مصر الفاطمي . وقال المستوفي ان عانة كانت حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة ذات نخيل وفرضها تعرف بفرضة نعم وهي الى غرب عانة على الفرات في وسط المسافة بين عانة وقرقيسياء ولعلها عند المنعطف الشرقي للفرات ولكنها لا ترى اليوم بالخارطة . وكانت هذه الفرضة محطة مهمة عند منقسم الطريق ، فيقطع ايسره البادية مارا بالرصافة ثم الى الرقة رأسا ويصعد الطريق الايمن مع النهر^(١٣) .

(١١) قلنا : ما زالت عانة بلدة عامرة على الفرات وهي مركز قضاء عانة في لواء الدليم على ٢١٢ كيلومترا شمال الرمادي . وقد ورد اسمها في الكتابات المسبارية بصورة (اناث) وفي المراجع الاعرفية بصورة « اناثا » وفي الكتابات الندربة باسم « عانة » وسماها الاراميون « عانات » . قال المستشرق موسيل في كتابه الفرات الاوسط Musil, The Middle Euphrates (ص ٣٤٥ - ٣٤٩) كانت عانة المعسكر السابع والمشرقي في الطريق الذي انشاء الملك الآشوري توكليتي نينورتا الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق م) فقد كان معسكره فناءة جزيرة « عانات » في ارض سوخي وهي « عانة » الوقت الحاضر . وكانت عانة في الاصل تقوم في الجور الخصبة ولم تكن في الارملة الساقطة على ما هي عليه من امتداد ولم يكن أهلها في مأمن من غزوات البدر فقط بل ان مركزها ساعدهم على احضار الجهات المجاورة . ولهذا كان الآشوريون عادة يولون سادة عانة حكاما على مقاطعة سوخي . وكان الملك توكليتي نينورتا الثاني قد تسلم الجزيرة من ابلو ابني رئيس سوخي الذي كان في بلدة « اناث » في وسط الفرات .

ومر اسطول تراحان الروماني بجزيرة « اناثا » في عام ١٩٤ م . وفي سنة ٣٦٣ م حاصرها الاسطول الروماني فأحرقها وحرب أهلها منها . وفي اليوم التالي غرقت عدة سفن من هذا الاسطول لصدمتها سدودا في النهر . وفي أوائل سنة ٥٩١ م ارسل ورامس جيشا الى نربة عانة لصد كسرى من الرجوع الى بلاد فارس . وفي كتاب الخراج لابي يوسف (ص ١٨٥) مر خالد بن الوليد ببلاد عانات فخرج اليه « بطريعه » فطلب الصلح فصالحه وأعطاه ما اراده وقد ورد ذكر عانة في مؤلفات البلدانيين والمؤرخين العرب وغيرهم (م) .

(١٢) المعروف في التاريخ ان الخليفة نفي الى حدثة النورة ، وتعرف ايضا بحدثة عانة . راجع مثلا المنظم ٨ : ٩٤ (الدكتور مصطفى جواد) .

(١٣) الاصطخري ٧٧ و ٧٨ : ابن حوقل ١٥٥ و ١٥٦ : المقدسي ١٤٢ : البلاذري ١٧٩ و ١٨٠ و ٣٣٢ : ابن سريابون ١٠ و ١٤ : ياقوت ٢ . ٣٤٩ و ٣٨٠ و ٧٦٤ و ٧٨٤ و ٩٥٥ : ٣ : ٨٧٦ و ٨٧٧ : ٤ : ٦٥ و ٥٦٠ و ٨٤٠ : المستوفي ١٣٩ و ١٦٦ .

وكان على الفرات فوق الرقة ، ثلاث مدن وهى : بالس ، وجسر منبج وُسَيْسَاط . وقد كانت تحسب جميعا من أعمال الشام فى الغالب ، لوقوعها فى يمين الفرات ، أى فى جانب الغربى . وان عدها أكثر المؤلفين من أعمال الجزيرة . وكانت بالس فى غرب الرقة عند حد ارض صفين حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب . وهى هربلسس (Barbalissus) عند الرومان ، وكانت فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم كانت مركزا لكثير من طرق القوافل . وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال « عليها سور ازلي ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات . وأكثر غلاتها الفمح والشعير » . وهى وان كان الخراب قد امد اليها ، فقد قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) انها ما زالت عامرة . على ان ياقوت الحموى ذكر ان الفرات فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) « لم يزل يشترق عنها قليلا قليلا حتى صارت بينهما فى أياما هذه أربعة أميال » . ولتح ابو الفداء الى بالس فقال انها « بلدة كانت مسكونة » .

وجسر منبج ، على الفرات ومنه يصعد طريق يغرّب الى منبج « هيرابولس » (Hierapolis) من أعمال حلب وكانت موضعا ذا شأن فى القرون الوسطى . وعند الجسر « قلعة حصينة تحتها ربض عامر مطلة على الفرات » . ويقال لهذه القلعة قلعة النجم لأنها على جبل وكانت تسمى أيضا حصن منبج . ولما مرّ ابن جبير بقلعة النجم وهو آت من حران فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) قال « حولها ديار بادية وفيها سوقة » . وقال ابو الفداء ان بناء القلعة « صار يعرف بقلعة نجم وهو من بناء السلطان (نور الدين) محمود بن زنكى وكانت مسلحة تشدد النكير على ما فى يد الصليبيين من مدن » . وذكر القزوينى ، وقد كنب فى النصف الاخير من المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، حكاية طويلة عن « طائفة يتعانون أنواع القمار . فاذا رأوا غريبا أظهروا انهم مرمدين (كذا) ويلعبون دونا ليظن الغريب انهم فى طبقة نازلة يطمع فيهم ويخرجون المال اذا قمروا من غير اكتراث فتتوق نفس الغريب ان يلعب معهم فكلما جلس لا يتركونه يقوم ومعه شئ حتى سراويله . وربما استرهنوا نفسه ومنعوه من الذهاب حتى يأتى أصحابه ويؤدون عنه ويخلصونه » .

- ١٤٠ -

وسميساط ، وهى سموساطا (Samosata) عند الرومان ، أعلى هذه المدن على الفرات فى ضفته اليمنى أى الشمالية . وعند هذه المدينة ينحرف النهر الى الغرب . وقد كانت قلعة حصينة مكينة . وذكر المسعودى ان سميساط كانت تعرف أيضا بقلعة الطين . وروى ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان « شقا من قلعته يسكنه الارمن » . ويحسن بنا أخيرا ان نذكر مدينة سروج اسكمالا لما وصفنا من مدن ديار مصر . فقد كانت فى نحو نصف الطريق الضارب شمالا من الرقة ، قاطعا البرية الى سميساط . ويكون هذا الطريق وترا لصف الدائرة العظيمة التى يؤلفها مجرى الفرات . وكانت سروج أيضا على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج . وقد قال فيها ابن حوقل انها مدينة عامرة خصبة ، وأبدء ياقوت فى ذلك دون ان يزيد شيئا^(١٤) .

اما مدن ديار بكر ، وهى اصغر الديار الثلاث التى يتألف منها اقليم الجزيرة ، فان كلها على دجلة الاعلى أو فى شماليه . وكانت فصبة هذه الديار : آمد ونكتب أحيانا حامد وهى آمدا (Amida) عند الرومان . وتم اشتهرت بعد تلك الازمان باسم ديار بكر ، وهو ما تعرف به اليوم أيضا . وقيل لها أيضا قرء آمد (أى آمد السوداء) لان حجارة بنائها سود .

ومدينة آمد ، فى غربى دجلة أى بيمينه ، ويطلق عليها جبل علوه مثة فامة^(١٥) . قال ابن حوقل « عليها سور اسود من حجارة الارحية » . ووصف المقدسى آمد فقال « بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل انطاكية ... له أبواب وعليه شرف بنه وبين الحصن فضاء » نشأت فيه أرباض بعد ذلك . وفى آمد عيون . وأشار المقدسى أيضا الى انها بنيت « بحجارة سود صلبة وكذلك أساسات الدور . وفى وسط البلد : الجامع . ولأسوارها خمسة أبواب : باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل وباب السر يحتاج اليه وقت الحرب » . وكان بعض

(١٤) الاسطخرى ٦٢ و ٧٦ و ٧٨ : ابن حوقل ١١٩ و ١٢٠ و ١٥٤ و ١٥٧ : المقدسى ١٥٥ ؛ المسعودى ١ - ٢١٥ : ابن جبير ٢٥٠ : ياقوت ١ : ٤٧٧ : ٣ . ٨٥ و ١٥١ : ٤ : ١٦٥ : أبو الفداء ٢٣٣ و ٢٦٩ ، الفزوينى ٢ . ١٦٠ .
(١٥) هذا ما فى طبعة ابن حوقل الاول . وفى طبعته الثانية (ص ٢٢٢) ان علوه نحو خمسين فامة (م) .

الحصن - على ما أشار المقدسى فى المثة الرابعة (العاشره) - على الجبل ثم قال « لا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحصن ولا ثغرا أجل منها » فى تخوم المسلمين بوجه الروم . وفى سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) مرّ ناصر خسرو الحاج الفارسى بآمد ودوّن وصفا دقيقا للمدينة حسبما رآها بنفسه ، فكان طول المدينة ألفى خطوة وعرضها مثل ذلك . وسورها من الحجارة السود يحيط بالنل، المشرف عليه . وعلو هذا السور عشرون ذراعا وثخنه عشر أذرع وأكثر حجارتها ملتصق بعضها ببعض من غير طين أو جص ، اذ كل حجر منه على قول ناصر خسرو يزن ألف من (١٦) (وبعادل ذلك نحو ثلاثة أطنان) . وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بني برج نصف دائري تنتهى قمته بشرفات من الحجارة السود أنفسها . وقد شيد فى عدة أماكن داخل السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور . وكان فيه أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الاصلية ، بسمى الباب الشرقى باب دجلة ، والشمالى باب الارمن ، والغربى باب الروم ، والجنوبى باب التل . وخارج هذا السور سور آخر من الحجر نفسه علوه عشر أذرع . وفى الفصل بينهما ريبض كالحلقة عرضه ١٥ ذراعا . وكان من فوق هذا السور شرفات ومراقبة للدفاع . وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل . وزاد ناصر خسرو على ذلك انه لم ير امنع من آمد .

وفى وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الاصم . وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفى فى ادارة خمس أرحاء ، وهو غاية فى العذوبة . وتسقى البساتين المجاورة من هذا الماء . ومسجدها الجامع جميل البناء وهو من الحجر الاسود كسائر المدينة . وقد أقيم فى وسطه أكثر من مئتين سارية من الحجر كل سارية قطعة واحدة . ويلو هذه السوارى عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك . وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والمدهون . وفى صحن الجامع حوض مستدير من الحجر فى وسطه أبواب من النحاس ينفر منه ماء صاف . فيبقى الماء فى الحوض على مستوى واحد فى كل الاوقات . وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة مبني كلها من الحجر وقد قرشت أرضها

(١٦) وفى الترجمة العربية للخشاپ (ص ٨) ان كل حجر منه يزن ما بين مئة واثم من (م) .

- ١٤٢ -

بالرخام • وجدرانها غنية بالزخارف • ورأى ناصر خسرو فيها بابا جميلا من الحديد المشبك يؤدي الى مذبحتها لا نظير له •

وقد أيد المعلق المجهول على مخطوطة باريس من كتاب ابن حوقل ما ذكرناه عن روعة مدينة آمد وجلالها في تعليقاته أيضا • فقد كان هذا المعلق في آمد سنة ٥٣٤ (١١٤٠) وذكر ان أسواقها حسنة عامرة^(١٧) • وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) أعاد ياقوت والقزويني أكثر الوصف المتقدم • فقال القزويني في آمد ان دجلة في أيامه « ... محيط بها من جوانبها الا من جهة واحدة على شكل الهلال وانها كثيرة الاشجار والساتين » وكتب المستوفي بعد ذلك بقرن فقال انها بلدة وسط وكان ما تؤديه لحكومة الايلخانيين ثلاثة آلاف دينار^(١٨) • واسنولي تيمور عليها في ختام هذا القرن^(١٩) •

وفي شمال آمد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعالي دجلة ، مدينة حاني • ذكر ياقوت ان « فيها معدن الحديد ومنها يجلب الى سائر البلاد » • وذكر المستوفي مدينة حاني أيضا • وعلى بعد قليل من غربها « اصل دجلة العراق فانها تخرج من تحت كهف الظلمات ماء أخضر » على حسب وصف المقدسي • وقال « أول مبداها - أي دجلة - لا تدیر أكثر من رحي واحدة • أول ما يختلط بها نهر الذئب » وهو نهر الكلاب عند ياقوت على ما يظهر • وكان يخرج من الجبال قرب شمشاط شمالي حاني • وأول مخرج دجلة فيما قال ياقوت ، على مسيرة يومين ونصف من آمد ، من موضع عرف بهلورس « وهو الموضع الذي استشهد فيه علي الارمني » • وتكلم أيضا على الكهف المظلم الذي يخرج منه ماء • وذكر المقدسي وياقوت اسماء سواق ورواضع وانهار كثيرة ليس من الهين التوفيق بين اسمائها التي سردها المقدسي وسردها ياقوت في كلاميهما عليها • ولعل هذه الاسماء تبدلت تبدا كبيرا فيما بين المئة الرابعة والمئة السابعة (العاشرة والثالثة عشرة) •

(١٧) في التعليق المذكور خلاف ذلك • في الصفحة ٢٢٣ من الطبعة الثانية لابن حوقل ما يأتي :
« لم يبق بأشواقها حانوت فضلا ان يقال مسكون » (م) •

(١٨) في الاصل الفارسي لنزمة القلوب (من ١٠٣ من طبعة لسفرنج) « سی هزار دینار »
ومعناها ثلاثون الف دينار (م) •

(١٩) الاصطخرى ٧٥ ؛ ابن حوقل ١٥٠ و ١٥١ ؛ المقدسي ١٤٠ ؛ ناصر خسرو ٨ ؛ ياقوت ١ : ٦٦ ؛ القزويني ٣٣١ ؛ المستوفي ١٦٥ ؛ علي اليزدي ١ : ٦٨٢ •

- ١٤٣ -

وعلى شيء يسير اسفل من آمد ، يشرق نهر دجلة فيكون على هيئة زاوية قائمة ثم ينصب فيه من شماله نهر يقال له نهر الرمس أو نهر الصلب . غير ان أعظم الانهار المنصبه فيه : النهر المنحدر من شمال ميفارقين ، ويتفرع منه نهر يسقى هذه المدينة وهو نهر سائيدما أو سائيدما وكان أحد فروعہ يسمى وادی الزور الآخذ من انحاء كلک . اما نهر سائيدما ، فأول مائه من درب الكلاب . وانما سمى بذلك ، على ما ذكر ياقوت ، لأن الروم قتلهم انوشروان « قتل الكلاب » وقد وقعت هذه الحادثة قبيل مولد النبي محمد . ونهر سائيدما هذا الذى ذكره ابن سراييون هو ما سماه المقدسى بنهر المسويلات وهو المعروف اليوم باسم بظمان صو وأحد روافده على ما بيننا ينحدر من ميفارقين^(٢٠) .

والظاهر ان ميفارقين العربية تحريف لاسم ميفركت (Maypharkath) الارامى أو موفرکن (Moufargin) الارمنى . وسماها اليونان مرتيروبولس (Martyropolis) . وقد ذكرها المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال « بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخذق بها ربض فيه الجامع » . ولكن المقدسى لمح الى انها « قلعة البساتين » . وزار ناصر خسرو ميفارقين فى سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وتكلم على المدينة قائلاً ان عليها سورا عظيما من الحجر الابيض الذى يزن الحجر منه خمسمئة من (نحو طن ونصف طن) . وبينما كانت آمد مبنية بالحجر الاسود ، على ما قد بينا ، كانت مباني ميفارقين كلها من الحجر الابيض . وكان سورها فى أيامه كأنه بني اليوم . وفى أعلاه شرفات . وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه . ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ركب فيه باب من حديد لا خشب فيه . وكان فيها على ما ذكر ناصر خسرو مسجد جامع حسن البناء ومسجد ثان فى الربض ظاهر المدينة يقوم فى وسط الاسواق ويليہ بساتين كثيرة . وزاد على ذلك ان فى ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميفارقين ، مدينة أخرى تسمى المحدثه ، بها مسجدها الجامع وحماماتها وأسواقها . وعلى اربعة فراسخ من ميفارقين مدينة النصرية بناها مرداسد

(٢٠) ابن سراييون ١٧ و ١٨ ، المقدسى ١٤٤ ؛ ياقوت ٢ : ١٨٨ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٦٣

ج ٩٥٦ ؛ ٣ : ٧ و ٤١٣ ؛ ٤ : ٣٠٠ و ٩٧٩ ، المستوفى ١٦٥ .

أمير نصر الملقب بشبل الدولة (٢١) •

وأسهب ياقوت والقزويني في حديثهما عما كان في ميفارقين قديما من مختلف البيع وعن أبراجها الثلاثة وأبوابها الثمانية • وقال ياقوت ان اسمها عند الروم مدور صالا ومعناه بالعربية مدينة الشهداء • ويرجع تاريخ هذه المباني الى ايام الملك ثيودسيوس • وكان بها من بقايا هذه البيع حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة « من عهد المسيح » • وفي برج في الركن الغربي القبلي في أعلاء صليب منقور كبير يقال انه مقابل البيت المقدس • وعلى بيعة القيامة في البيت المقدس صليب مثل هذا مقابله ويقال ان صانعهما واحد • • والى ذلك فقد « كان في المحلة المعروفة بزقاق اليهود في ميفارقين قرب كنيسة اليهود جرن من رخام اسود فيه منطقة زجاج من دم يوشع بن نون وهو شفاء من كل داء • • • • • جيء به من رومية الكبرى » • ولما انتقلت ميفارقين في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الى يد المغول كانت ما زالت موضعا ذا شأن • وقد أطرى المستوفى طيب هوائها ووفرة فاكهتها (٢٢) •

وارزن ، على شيء يسير من ميفارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له سربط • ولأرزن حصن عظيم منبع • وقد زارها ناصر خسرو في سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) فقال انها مدينة عامرة فيها أسواق حسنة وتحف بها بساين يانعة كثيرة الماء • وذكر ياقوت مدينة أرزن (ولا يخلط بينها وبين ارزن الروم أو ارضروم التي نصفها في الفصل الآتي) بقوله : « بلغني ان الخراب ظاهر فيها الآن » غير ان المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) - وقد كتبها بصورة ارزنه - تكلم عليها بما يستدل منه على انها ما زالت بلدا مزدهرا عامرا •

وعلى ضفة الفرات الجنوبية ، بين مصبى النهرين الآتين من شمال ميفارقين وارزن ، حصن يعرف بحصن كيفا • وسماء الروم كيفس (Kiplas) أو كيفي

(٢١) ما في الترجمة العربية لسفرنامه ان الامير الذي بنى النصرية (وجاءت في الترجمة : الناصرية) هو « الامير الاعظم عز الاسلام سعد الدين نصر الدولة وشرف الملة ابو نصر احمد » (م) •
(٢٢) ابن حوقل ١٥١ : المقدسي ١٤٠ : ناصر خسرو ٧ : ياقوت ٤ : ٧٠٣ - ٧٠٧ : القزويني ٢ : ٣٧٩ : المستوفى ١٦٧ •

(Cephe) • ووصف المقدسى حصن كيفا بانها « كثيرة الخير وبها قلعة حصينة وكنايس كثيرة » • وتكلم الملق المجهول على مخطوطة ابن حوقل الذى أشرنا اليه قبلا ، وقد كتب تعليقاته فى المثة السادسة (الثانية عشرة) على قنطرة كانت « بين يديها على دجلة » استحدثها الامير فخر الدين قرا ارسلان فى سنة ٥١٠ (١١١٦) وتحتها رضى عامر فيه الاسواق والفنادق والمساكن الحسنة وبنائهم بالحجر والجلس • ولها رساتق كثيرة وضياح عامرة وهى وخمة الهواء وبينة لاسيما فى الصيف • وذكر ياقوت حصن كيفا وقد زارها فقال : « بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة وهى كانت ذات حائين » وعلى دجلة قنطرة لم أر فى النلاد التى رأيتها أعظم منها • وهى طاق كبير فوقه طاقان صغيران ، وعلى ما يظن انهما كانا يقومان على دعامة فى وسط النهر قسمت دجلة الى قسمين^(٢٣) • ووصف المستوفى حصن كيفا بعد ذلك بقرن بانها مدينة عظيمة ولكن الخراب ظاهر فيها وان كانت أهلة بالناس حينذاك •

اما التل المعروف بتل فافان ، ففى أسفله مدينة بهذا الاسم على ضفة دجلة الشمالية أى اليسرى ، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا حيث ينعطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب • وكان حول المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، فى المثة الرابعة (العاشرة) ، بساتين • وأسواقها عامرة وبنائوها وان كان من طين، الا ان اسواقها كانت مغطاة ، والنهر الذى يلتقى بدجلة عند تل فافان ينحدر من بدليس (بتلس) ومخرجه فى جبال ارمينية جنوب غربى بحيرة وان • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب البحيرة سماء المقدسى وياقوت : وادى الرزم • ويصير دجلة اسفل اقترانهما فى مجرى واحد صالحا لسير السفن • وعلى ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه ، مدينة سعرت أو سعرد أو اسعرت • وكانت تعد فى الغالب من أعمال ارمينية • أشار اليها ياقوت غير مرة ولكنه لم يصفها • على ان المستوفى قال فى سعرت انها مدينة

(٢٣) أما وصف ياقوت لهذه القنطرة (٢ : ٢٧٧) بهذا تصه « وهى طاق واحد يكسفه طاقان

صغيران • (م) •

- ١٤٦ -

عظيمة مشهورة بآتيها النحاس الفاخرة التي يصنعها الصفارون هناك ، وبإدراج
الشرب التي تجلب منها . وكان يقرب اسعرت ، على ما ذكر القزويني ، ببلدة
يقال لها حيزان « وبها الشاء بلوط وليس الشاء بلوط في شيء من بلاد
الجزيرة ... والعراق الا بها » (٢٤) .

(٢٤) الاصطخرى ٧٦ ؛ ابن حومل ١٥٢ ؛ المقدسي ١٤١ و ١٤٥ ، ناصر خسرو ٧ ؛ ياقوت
١ : ٢٠٥ ؛ ٢ : ٢٧٧ و ٥٥٢ و ٧٧٦ ؛ ٣ : ٦٨ و ٨٥٤ ؛ القزويني ٢ : ٢٤١ ؛ المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ .
جاء اسم نهر رزم بصور مختلفة في المخطوطات فقبل فيه : رزم و رزب او زوب ولا يعرف
الوجه الصحيح في تهجئته .

الفصل الثامن

الفراتُ الأعلى

الفرات الشرقي اى ارسناس - ملاكرد وموش - شمشاط وحصن زياد اى خربوط -
الفرات الغربى - اذن الروم اى فاليقلا - ارزنجان وكمخ - قلعة ابريق اى
تفريك (Tephrike) - ملطبة وطرنده - زبطرة والعدث -
حصن منصور وبهنا وفنطرة سنجة - تجارات الجزيرة
وغلانا - المسالك .

كانت المدن والكور التى تحفّ بضفاف الفرات الاعلى ، الشرقى والغربى
(فان لنهر الفرات منعين) تمد بوجه عام تابعة لشمالى ما بين النهرين ، بل كانت
فى الغالب تضاف الى اقليم الجزيرة . والفرات الشرقى هو أقصى الاثنين
جنوبا ، ويرى بعض البلدانين انه منبع الفرات الاصلى وقد ذكره تاسيتس
(Tacitus) وبلنى (Pliny) باسم نهر ارسنياس فلومن (Arsanias Flumen)
وسمى ابن سراييون هذا النهر فى المئة الرابعة (العاشرة) بنهر ارسناس .
وذكره ياقوت أيضا بهذا الاسم حتى لكأنه ظل مستعملا حتى المئة السابعة (الثالثة
عشرة) وقال انه « يوصف ببرودة مائه » . ويعرف هذا النهر اليوم عند الترك
باسم مراد صو وسمى بذلك ، على ما يقال ، اكراما للسلطان مراد الرابع الذى
استولى على بغداد فى سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨) .

ومخرج نهر ارسناس فى بلاد طرون ، ويكتب الارمن هذا الاسم بصورة درون (Daron) وعرفها الروم باسم ترونيتس (Taronites) وفيها الجبال التى الى شمال بحيرة وان . وأول موضع ذى شأن على نهر ارسناس : مدينة ملازكرد ، وتعرف أيضا حسب لغات هذه الانحاء باسم منازجرد ومنزكرت وملاسكرد^(١) . ووصف المقدسى ملازكرد فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها « حصينة ، الجامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين » . وفى منزكرت ، على ما سماها به الروم ، وقعت سنة ٤٦٣ (١٠٧١) وقعة فاصلة بين الروم والمسلمين ، أسرف فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع (ديوجينيس) ، وأدت هذه الواقعة الى فتحهم آسية الصغرى وقرارهم فيها . وأشار ياقوت غير مرة الى منازجرد أو منازكرد . وأطرى المسنوفى ، وقد كتب اسمها بصورة ملازجرد ، حصنها المنيع وهواءها الطيب وأرضها الخصبة . وكانت مدينة موش فى جنوب ارسناس فى السهل العظيم غرب بحيرة وان ، وتحسب فى الغالب من أعمال ارمينية . وقد ذكرها ياقوت ووصفها المستوفى فقال : فيها مراعى غنية تسقيها انهار تجرى شمال الفرات الشرقى وجنوب دجلة ، وكانت المدينة فى أيامه خرابا^(٢) .

ويصب فى يمين نهر ارسناس رافدان ينحدران من الشمال من بلاد قاليقلا . وهذان الرافدان مهمان لانهما يمكناننا من تعيين الموضع التقريبى لشمشاط وهى مدينة ذات شأن قد اختفت من الخارطة . وكثيرا ما يلتبس أمرها بسمشاط التى على الفرات وقد مر ذكرها (ص ١٤٠) وروى ابن سراييون ان الرافد الاول كان نهر الذئب ومخرجه فى قاليقلا ويصب فى ارسناس فوق مدينة شمشاط بشىء يسير . والثانى نهر يقال له السلقيط . ومخرجه من جبل مرور (أو مزور) ويصب فى ارسناس اسفل مدينة شمشاط بميل . واذا رجعنا الى الخارطة رأينا ان هذين النهرين يعرف أحدهما الآن باسم كونك صو (Gunek Su) والثانى برى چاي

(١) سيذكر المؤلف فى الفصل التاسع ، صورة خامسة لاسم هذه المدينة وهى « ملسجرد » (م) .

(٢) ابن سراييون ١١ : قدامة ٢٤٦ و ٢٥١ : المقدسى ٣٧٦ : ياقوت ١ : ٢٠٧ : ٤ : ٦٤٨

و ٦٨٢ : المسنوفى ١٦٥ و ١٦٧ .

ويظهر ان الحاج خليفة مؤلف جهان نما ، وقد كتبه فى سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) ، هو أفدم مراجعنا التى سمت الفرات الشرقى مراد صو (ص ٤٢٦) . ولا كان يد كتب كتابه قبل عهد السلطان مراد الرابع ، فان ذلك يثبت ان النهر لم يسم باسم ذلك السلطان على ما هو الشائع .

(Peri Chay) وبلاد قاليقلا هي منطقة الجبال ، ما بين ارسناس والفرات الغربي ،
والى غربها بلاد طرون .

وكانت شمشاط (شمشاط) اجل مدينة على ارسناس وهو النهر الذي سماه
ابن سراييون نهر شمشاط أيضا . ويبدو ان المدينة كانت على الضفة الجنوبية أى
اليسرى للنهر . ولا ريب ان شمشاط هي ارساموسا Arsamosata عند الروم .
وذكر ياقوت - وقد نبّه بوجه خاص الى انها غير سمبساط - ان شمشاط بين
بالوبة (يالو الحدبة) وحصن زياد (خربوط الحديثة) وكانت شمشاط فى المئة
السابعة (الثالثة عشرة) حين كتب ياقوت ، قد خربت . وما افادنا به ابن سراييون
وياقوت مكننا من حصر موضعها فى أضيق نطاق . وكان حصن زياد ، وقد ذكر
ابن خرداذبه انه على بعد غي كبير من شمشاط ، الاسم العربى لخربت المدينة
الارمنية على رأى ياقوت ، وتعرف اليوم باسم خربوط . وأورد المسنوفى هذا الاسم
بصورة خربت ولم يزد على ذلك . واشارته لا تعدو كونها مدينة كبيرة طيبة
الهواء . وذكر البلاذرى وغيره من المصنفين الاوائل ان فى هذه الارض جسر
يفرا فوق نهر لعله من روافد ارسناس ، وهو من شمشاط على نحو من عشرة
أميال . على ان موضع الجسر الحقيقى غير معروف . ثم ان ارسناس ، أى الفران
الشرقى ، يختلط بالفران الغربى على نحو مئة ميل غرب شمشاط (٣) .

وكان الفران الغربى يعدّ بوجه عام اصل هذا النهر العظيم ، ويعرف الآن
عند الترك باسم فره صو « الماء الاسود » وهو نفسه نهر الفران عند ابن سراييون .
ذكر ابن سراييون ان أوله من جبل يقال له جبل أقّر دّخس (والظاهر ان هذا
الاسم كتبه المسعودى بصورة افردخس كما وردت صور أخرى له) فى بلاد
قاليقلا شمال ارزروم . وازروم مدينة جلييلة سماها العرب ارزن الروم أو
ارض الروم وقد عرفها الارمن باسم كرن Karin والروم باسم ثيود سيوبوليس
(Theodosiopolis) وهى المدينة الاسلامية فى بلاد قاليقلا وأكبر مدنها .
والظاهر ان اصل اسم قاليقلا ، وهو ما أكثر البلدان يون العرب القدماء من ذكره .

(٣) ابن سراييون ١٠ و ١٣ و ٣٠ ؛ ابن خرداذبه ١٢٣ ؛ البلاذرى ١٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ٢٧٦
و ٤١٧ ؛ ٣ : ٣١٩ ؛ المسنوفى ٢٦٢ .

غير معروف • الا انهم يجمعون على انها كانت البلاد التى يخرج منها الفرات الغربى ونهر الرس (Araxes) وروافد ارسناس • ولم يأت البلدان يون العرب الا اول شىء من التفصيل عن مدينة ارزروم ما عدا قولهم انها كانت مدينة عظيمة • وقال المستوفى ان فيها كثيرا من البيع الحسنة ، كان لاحداها بوجه خاص قبة قطر دائرتها خمسون ذراعا ، وكان بازاء هذه الكنيسة جامع شيد على غرار الكعبة فى مكة • ووصفها ابن بطوطة ، وكان فى ارز الروم (حسبما كتب الاسم) ، فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بأنها « مدينة كبيرة الساحة من بلاد ملك العراف ، خرب أكثرها ، وفى أكثر دورها بساين ويسفيا ثلاثة اناهار » • وعلى ثمانية فراسخ شرق ارزن الروم : أونيك وهى قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس • وقال المستوفى ان المدينة التى فى لطفه كانت تسمى ايسخور (أو ايشخور) وكانت من أعمال ارزن الروم • وزاد باقوت على ذلك ان كورتها كانت تسمى باسين • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى تيمور على اونيك بعد حصار مديد ، وقد كثر ذكرها فى أخبار حروبه •

وعلى نحو متنى ميل غرب ارزن الروم ، فى ضفة الفرات اليمنى ، أى الشمالية ، مدينة ارزنجان • قال باقوت انها غالبا ما تسمى ارزنكان • وتكلم عليها قائلا « هى بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات وغالب أهلها أرمن ، وشرب الخمر بها ظاهر وفيها مسلمون » • وزاد المستوفى عليه ان السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى قد جدد عمارة أسوارها فى ختام^(٤) المثة السابعة (الثالثة عشرة) فبناها من حجارة مهندمة متلاحمة • وارزنجان ذات هواء طيب ويكثر فيها القمح والقطن والعب • وأشار ابن بطوطة ، وقد مرّ بها فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، الى ان « أكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية ، وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاواني وغيرها • ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها » • وذكر باقوت بابرث فى شمال ارزنجان وقال انها مدينة حسنة أكثر أهلها أرمن • وقد زاد المستوفى عليه ان شأنها ضؤل فى أيامه • وقلعة كمنخ

(٤) هذا السلطان تولى سنة ٦١٦ وتوفى سنة ٦٣٤ ، فوجب ان يكون قد جدد الأسوار فى أيام سلطنته ، فهو لم يبلغ منتصف القرن السابع فضلا عن ختامه (الدكتور مصطفى جواد) •

(كَمَحْخ) على الفرات الغربى على مسيرة يوم أسفل من ارزنجان فى يسار النهر
أى فى ضفته الجنوبية • وقد أكثر ذكرها ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب
الاقدمين • وهى كمخا (Kamcha) عند الروم • وقال المستوفى انها قلعة عظيمة
فى اسفلها مدينة على ضفة النهر ، وكان من أعمالها كثير من القرى الخصبه^(٥) •
وعلى ستين ميلاً أو أكثر غرب كمخ يزور الفرات جنوبا بعد ان كانت
وجهة مجراه من ارزروم نحو الغرب ، ويصب فى ضفته اليمنى هنا نهر سماه
ابن سراييون نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة فى أعاليه • وهذا هو النهر
المعروف الآن بنهر جلنه ايرمق الآتى من دوريك أى دبوريكى • وجاء الاسم
فى المستوفى وابن بيسى بصورة دفرىكى • وقد كتبه الروم بصورة تفريك
(Tephrike) (وذكر الاسم أيضا فى المخطوطات البونانية بصورة افريك
(Aphrike) وقد اختصر البلدانون العرب القدماء هذا الاسم فجعلوه بصورة
ابريق • واشتهر هذا الموضع فى ختام المئة الثالثة (التاسعة) بكونه معقلاً عظيماً
للبالفة (Paulicians) وهم فرقة غريبة من فرق نصارى الشرق ومذهبهم
بين النصرانية والمجوسية ، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثوذكس
اضطهاداً شديداً • وكانوا على المذهب الذى أحدثه بولس الشمشاطى • وعرفهم العرب
بالبالفة • وقد استولى البالفة على تفريك وحصونها • وكان الخلفاء بؤازرونهم
ويعنونهم فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين • وذكر قدامة والمسعودى
وهما من زمن واحد تقريباً ، ان « السيلقانى صاحب مدينة ابريق » • وانتهى اليها
من علي الهروى^(٦) (وقد نقل منه ياقوت) وهو من كتبه المئة السابعة (الثالثة

(٥) ابن سراييون ١٠ : ابن رسته ٨٩ ، ابن خرداذبه ١٧٤ : المسعودى ١ : ٢١٤ : السبى
٥٢ ، ياقوت ١ : ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٤٠٨ و ٤٤٤ : ٣ : ٨٦٠ : ٤ : ١٩ و ٣٠٤ ، الفزوينى
٢ : ٣٧٠ : المسعودى ١٦٢ و ١٦٣ : على الزدى ١ : ٦٩١ : ٢ : ٢٥٢ و ٤٠٣ : ابن بطوطة
٢ : ٢٩٣ و ٢٩٤ •

(٦) هو على بن بكر بن على ، الهروى الاصل • ولد فى الموصل وطاف فى انحاء الشرق
الاسلامى وفى الهند وفى القسطنطينية والمغرب وصقلية وغيرها من جرائر البحر المتوسط • وقد عرف
بالسائح الهروى • ألف كتاب « الاشارات الى معرفة الزبارات » وقد طبع سنة ١٩٥٣ • وله غير
ذلك من التأليف البلدانية وقد فقدت • مات سنة ٦١١ للهجرة • رعه نقل ياقوت فى جملة مواطن
من معجم البلدان • (م) •

عشرة) حديث غريب عن كهف عظيم وكنيسة قرب الابروق (بحسب تسمية ياقوت) فيه جثث جماعة من الشهداء ، وهم على زعمه اصحاب الكهف السبعة في افسوس .

وعلى شيء يسير من جنوب جلته ايرمق وديوريك ، يلتقى نهر صاري جيچك هو والفرات ، وعليه قلعة عرب غير . والظاهر ان هذا الموضع لم يشر اليه أحد من البلدانين العرب القدماء ، وان كان ابن يبيى قد ذكره غير مرة في تاريخه عن السلاجقة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ويرى الاسم أيضا في التواريخ البنظية بصورة (Arabraces) . وعلى كل حال فان عرب غير لا تمثل ابرق وتفريك كما نوهم في ذلك بعضهم . والظاهر ان اقدم ذكر لاسم عرب غير أو عرب كير عند بلداني مسلم ، في جهان نما التركية للحاج خليفة ، في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) . وقد ذكر أيضا ديوريكي (على ما تسمى المدينة اليوم) . ومما يؤسف عليه انه لم ينته إلينا وصف ما عن حصن اليبالقة القديم^(٧) .

وملطية ، وقد سماها الروم ملتين (Melitene) كانت في الازمنة الخالية من اجل الثغور الاسلامية امام الروم . روى البلاذري انه كان لها مسلحة تحمي الجسر الذي على ثلاثة أميال منها ، وهناك بقطع الطريق العام نهر القباقيب بالقرب من ملتقاه بالفرات . والقباقيب هو النهر المعروف عند الروم باسم ملاس (Melas) ويسميه الترك اليوم طوخمه صو . ومنبعه في غرب ملطية بعيدا عنها في الجبل الذي منه يخرج نهر جيحان . وهو نهر يرامس (Pyramus) القديم وينحدر نحو الجنوب الغربي (على ما سنينه في الفصل الآتي) الى البحر المتوسط في خليج اسكندرونة . ونهر القباقيب أهم روافد أعالي الفرات بعد ارسناس . ولنهر القباقيب نفسه روافد كثيرة ذكر ابن سراييون اسماءها . وقد أمر الخليفة المنصور في سنة

(٧) ابن سراييون ١١ و ٣١ : قدامة ٢٥٤ : المسعودي ٨ : ٧٤ : التنبية ١٥١ و ١٨٣ : ياقوت ١ : ٨٧ : ابن يبيى ٢١٠ و ٣١٨ : المسنوفى ١٦٢ : جهان نما ٦٢٤ .
انظر أيضا JRAS لسنة ١٨٩٥ ص ٧٤٠ والتصحيحات في JRAS لسنة ١٨٩٦ ص ٧٣٣ .

- ١٥٣ -

١٣٩ (٧٥٦) بتجديد بناء ملطية وبناء مسجد حسن فيها وبنى لها مسلحة اسكنها اربعة آلاف مقاتل • ووصفها الاصطخرى^(٨) في المئة الرابعة (العاشرة) بقوله : « مدينة كبيرة وتحف بها جبال كثيرة بها مباح الجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية » • وقد تعاورتها غير مرة ايدى الروم والمسلمين • وعدّها ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) من بلاد الروم • وتكلم المستوفي بعده بقرن على ملطية فقال انها مدينة حسنة ذات حصن منيع • وكانت مراعيها مشهورة ويكثر فيها القمح والبطن والفواكه • وكان على قلة جبل قرب ملطية دير يسمى دير برصوما ، وصفه القزويني فقال انه دير معتبر عند النصارى وفيه كثير من الرهبان •

وحصن طرنده ، درنده الحديثة - وجاء في جهان نما بهذه الصورة - في أعلى نهر القبايق على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية • وكانت فيه مسلحة اسلامية لحماية الدرب منذ سنة ٨٣ (٧٠٢) ولكن المسلمين تخلوا عن هذا الحصن في سنة ١٠٠ (٧١٩) بأمر الخليفة عمر الثاني (عمر بن عبد العزيز) وذكرت النوااريخ البنزطية هذا الموضع غير مرة باسم نرنه (Taranta) وقد كان في المئة الثالثة (التاسعة) من أقوى حصون البيالقة^(٩) •

ولنهر قبايق رافد كبير هو نهر قراقيس ويصب فيه من جنوبه • وفي أعالي قراقيس حصن زبطرة العظيم ويقال له عند الروم سوزبطرة (Sozopetra) أو زبطرة (Zapetra) ولعل أطلاله هي ويران شهر على بضعة فراسخ جنوب ملطية على نهر سلطان صو وهو الاسم الحديث لقراقيس • وتكلم البلاذري والاصطخرى على زبطرة فذكرا انها حصن عظيم « من أقرب الثغور الى بلد الروم » خربه الروم غير مرة ثم بناء الخليفة المنصور وبعده المأمون • وقد جمع

(٨) ما نسبته المؤلف للاصطخرى انما هو لاين حوئل ص ١٨١ من الطبعة الثانية • (م) •
(٩) ابن سريون ١٠ و ١٢ و ١٣ ؛ البلاذري ١٨٥ و ١٨٧ ؛ الاصطخرى ٦٢ ؛ ابن حوئل ١٢٠ ؛ ياقوت ٤ ؛ ٢٦ و ٦٣٣ ؛ المسنولى ١٦٣ ؛ القزويني ٢ : ٣٥٦ ؛ جهان نما ٦٢٤ •
اما ملطية الحديثة فهي على فرسخين من جنوب الحصن الذي كان في العصور الوسطى •
واطلال المدينة القديمة في اسكى شهر على فرسخ من الجسر القديم المسمى مرق كز ، وهو يعلو نهر طوخمه صو فوق ملتقاء بالفرات بقليل •

ياقوت وغيره من الثقات بين اسمي زبطرة وقلعة الحدث التي سذكرها قريبا . واشتهرت زبطرة أو سوزبطرة في التواريخ العربية والبنطية باستيلاء الملك ثيوفيلس (Theophilus) عليها واسعادة الخليفة المتصم لها في حملته على عمورية ، على ما سيأتي ذكره في الفصل القادم . وظلت زبطرة وقتا طويلا موضعا ذا شأن . الا ان ابا الفداء حين زارها في سنة ٧١٥ (١٣١٥) قال « ان زبطرة اليوم خراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم سورها وليس بالكثير » . حتى ان ابا الفداء اصطاد « من ارض زبطرة بين شجر البلوط صيودا كثرآ وهي أراتب كبار الى الغاية لا يوجد في الشام أراتب تقاربهن في القدر » . وقال « هي في الجنوب من ملطية على نحو مرحلتين وهي في جهة الغرب عن حصن منصور » الذي سنصفه فيما يأتي^(١٠) .

وقلعة الحدث وهي اdata (Adata) عند الروم ، قد اسنولى عليها المسلمون في أيام الخليفة عمر ولها ذكر كثير في الاخبار . ومعنى « الحدث » في العربية « الخبر » ولا سيما « الخبر المحزن » . وقال البلاذري ان الدرب ، وكان يقال له درب الحدث ، قد سمي بدرب السلامة بعد استيلاء المسلمين على هذا الحصن . وعلى كل فان اسم درب السلامة على ما سنيته في الفصل الاتي يطلق في الغالب على طريق القسطنطينية الذي يجتاز الابواب القليقية . وكان في الحدث جامع . وقد جدد الخليفة المهدي عمارة الحدث في سنة ١٦٢ (٧٧٩) ثم أعاد هرون الرشيد عمارتها واسكنها الفتي مقاتل من جنده . ونوه الاصطخري بكثرة خيراتها . وروى ان الروم والمسلمين قد تناوبوا الاستيلاء عليها غير مرة . وعلى ما ذكر ياقوت وغيره كان يقال للحدث : الحمراء ، لاحمرار تربتها وقلعتها على جبل يقال له الاحيدب . وفي سنة ٣٤٣ (٩٥٤) بعد ان تعاورتها أيدي المسلمين والروم ، استعادها سيف الدولة الحمداني نهائيا فجدد عمارتها ، ثم انتقلت الى يد مسعود بن قلعج ارسلان السلجوقي في سنة ٥٤٥ (١١٥٠) .

(١٠) ابن سراييون ١٣ ؛ البلاذري ١٦١ ؛ الاصطخري ٦٣ يافوت ٢ ؛ ١٦٤ ؛ ابر الفداء ٢٣٤ .
لقد بحث في تحقيق موقع زبطرة والحدث : المسمر جي . جي . سي . اندرسن .
J.G.C. Anderson في مجلة Classical Review نيسان ١٨٧٦ في بحثه عن حملة
باسيل الاول على البيالطة في سنة ٨٧٢ م .

وكان النهر الذى تقوم الحدث بالقرب منه يسمى جوريث أو حوريث ، وهو النهر الذى جعله ابن سراييون وهماً رافداً من روافد القاقب (نهر ملطبة) • ولكن ياقوتا الحموى وقد كتب اسمه بصورة حوريث اصاب فى قوله انه « يصب فى نهر جيحان » وهو برامس • وأفاد ابن سراييون ان اول نهر الحدث عين يقال لها عين زيشا ، يصب الى بحيرات ويمر بالقرب من مدينة الحدث • وقال أيضا « انه يصب الى حوريث نهر يقال له نهر العرجان أوله من حبل الرمش ومن العرجان قناة الحدث واليه تصب » • ونكمل هذا الكلام بقول ابى الفداء : « بين الحدث وبين مخاطب العلوى على نهر جيحان انا عشر ميلا » • ولسنا على يقين من موضع الحدث ولعلها كانت تحمى الدرب من مرعش (جرمانيقية Germanicia) الى البسنان (عرسوس Arabissus) وهى على ضفاف أف صو الحالى قرب انكلى • وآق صو أحد منابع جيحان^(١١)

وكان كل من حصن منصور وقلعة بهسنا (وهى ما زالت) على نهر له • وهذان النهران من الروافد البمنى للفرات ويصان فيه أسفل سيمباط • ويقال لحصن منصور اليوم فى الغالب أديمان وكان يسميه الروم برها (Perrhe) وقد نسب هذا الحصن الى بانيه منصور القيسى وكان تولى بناء عمارته وممرته • وهو من قادة الجند فى خلافة مروان الثانى آخر حلفاء بنى أمية وقد قتل فى سنة ١٤١ (٧٥٨) • ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال فى أيام ابيه المهدي • وقال فيه ابن حوقل انه « مدبنة صغيرة حصنة فيها منبر ولها رستاق وقرى برسمها اعزاء »^(١٢) • وذكر ابن حوقل انه قد اصاب هذه المدينة ما أصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب لتعاور ايدى الروم والمسلمين لها • وزاد يافوت على ذلك ان حصن منصور كان « مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب وفى وسطها حصن وقلعة عليها سوران » • وذكر ابو الفداء فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) حصن منصور فقال « هو الآن خراب ولكن به مزدرع » •

(١١) البلاذرى ١٨٩ - ١٩١ : ابن سراييون ١٤ : الاصطخرى ٦٢ : ابن حوقل ١٢٠ : ياقوت
٢ : ٢١٨ : ٤ : ٨٣٨ : أبو الفداء ٣٦٣ •
(١٢) العدى بالكسر وبفتح : الزرع الذى لا يسقيه الا المطر (تاج العروس ١٠ : ٢٣٨) • (م) •

وينحدر النهر الازرق الى شمال غربى حصن منصور وهذا الحصن « فى مسنو من الارض » فوق الفرات والفرات يحاذي حده الجنوبى • اما قلعة بهسنا ، وجاء ذكرها فى أخار الحرب الصليبية باسم بهسدن (Behesdin) ، فهى فى غرب حصن منصور ورستافها هو رستاق كيسوم • وكانت بهسنا على سن جبل عال • وبالبلدة التى تحتها ، مسجد جامع ولها أسواق عامرة وما حولها ارض واسعة الخبز والخصب • وتكلم ياقوت عليها فقال انها قلعة حصينة عجيبة • وعلى نهر سنجة القريب منها ، وهو ما اسماء الروم سنكر Singas كانت سنجة وهى مدينة صغيرة بقربها فطره مشهورة على هذا النهر منخذة بحجر مهندم وهى طاق واحد • ليس أعجب ولا أعظم منها ويضرب بها المثل ، هى احدى عجائب الدنيا « على قول ابن حوقل • وقد تكلم ياقوت على نهري سنجة وكيسوم وقال انهما من روافد الفرات ، وأورد وصفا لهذه القنطرة العظيمة جاء فيه انها « طاق واحد من الشط الى الشط والطاق يشتمل على مثنى خطوة وهو متخذ من حجر مهندم طول الحجر عشر أذرع فى ارتفاع خمس أذرع » ولم يذكر ثخنها • وقال أيضا انه استعين فى بنائها بطلسم (١٣) •

(١٣) البلاذرى ١٩٢ ، الاصطخرى ٦٢ ؛ ابن حوقل ١٢٠ ، ياقوت ١ ، ٧٧٠ ؛ ٢ ، ٢٧٨ . ٣ : ١٦٢ و ٨٦٠ ؛ ابو الفداء ٢٦٥ و ٢٦٦ •

تذكر فطره سنجة دائما بانها احدى عجائب الدنيا الاربع • اما الثلاث الأخرى وهى كبسة الرها ، وقد مر ذكرها ، ومناره الاسكندرية ، ومسجد دمشق (ياقوت ٢ : ٥٩١) • ومن القريب ان المقدسى قد وهم فى موضعين فى هذه القنطرة الى على سنجة وهو نهر من روافد الضفة اليسرى للفرات ويصب فيه قرب سميساط بحسب جميع الروايات فحلط بينها وبين قنطرة الحسينية ، وهى دويها شاميا وكانت على الجانور الصغير أحد روافد دجلة (المقدسى ١٣٩ و ١٤٧ وأنظر الصفحة ١٢٢ من كتابنا) • ونهر سنجة سمي الآن بلم [بصم أوله ولنج ثابته] صو بعد ان تلغى بكاحتته جأى يصب فى الفرات من الشمال على بعد قليل فوق سميساط وهو على ما يظهر نهر سنجة نفسه عند اللدابين العرب - وقنطرنه العظيمة التى تعد من عجائب الدنيا ما زالت قائمة ، بناها فسيپسان Vespasian وهى طاق واحد مداه (١١٢) قدما تعلق بلم صو فوق ملنقى كاخته جأى به • ووصفت بانها من أعجب ما نرى من مبانى العهد الرومانى وترى صورتها فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر تشرين الاول ١٨٩٦ ص ٣٢٣ • وكذلك فى بحث مستعقب كتبه هومان Humann وبخشين Puchstein فى كتابهما : رحلة فى آسيا الصغرى Reisen in Kleinasien راجع الاطواح ٤١ و ٤٢ و ٤٣ فه • (انهمت حاشية المؤلف) •

فلنا : اما الطلسم الذى اشار اليه ياقوت (٣ . ١٦٢) فهذا قوله فيه « وحكت عنه (أى عن الطاق) اعجوبة - والعهد على راويها - ان عندهم طلسم على شيء كاللوح فاذا غاب من القنطرة

- ١٥٧ -

وفى اقليم الجزيرة أى اقليم ما بين النهرين الاعلى ، تجارات سرد المقدسى صنوفها وأكثرها من حاصلات ارضه . فقال : ترتفع من الموصل - وهى قاعدة الجزيرة - الجبوب والعسل والفحم والجبن والشحوم والسماق وحب الرمان والمنّ والنمكسود والطريخ الفائق وكذلك الحديد . ومن المصنوعات السكاكين والشاب والسلاسل والاسطال . ومن سنجار اللوز وحب الرمان والسماق والقصب . ومن نصيين الشاء بلوط . ومن الرقة الزيت والصابون والافلام . ومن الرجة السفرجل الفائق الرائق . ومن حران عسل التحل فى آدُن والقيط^(١٤) . ومن جزيرة ابن عمر الجوز واللوز والسمن والخي الجياد وتربى فى مراعيها . ومن الحسنية ، وهى على الخابور الاصغر (فى ضفة دجلة الشرفيه) ، الجبن والقشج وفراخ الدجاج والفواكه المقددة . ومن معلثا المجاورة لها الفحم والاعناب والفواكه الرطبة والنمكسود وبزر القنب ونسيج القنب . ومن آمد فى ديار بكر بواب الصوف والكتان^(١٥) .

اما مسالك الجزيرة فانها تكملة وصلة لمسالك العراق . فطريق البريد من بغداد الى الموصل يصعد فى شرفى دجلة نحو اقليم الجزيرة فيدخله عند تكريت ويظل فى يسار النهر فيصل الى جبلتا رأساً ثم ينتهى الى الموصل عن طريق السن والحديثة . وقد جاء وصف هذا الطريق فى مصنفات العرب القدماء وفى المسنوفى^(١٦) .

ومن الموصل يعبر طريق البريد الى يمين دجلة أى الى الجانب الغربى فيتجه صاعدا الى بلد ، وعندها ينقسم الى طريقين ينتهى ايسرهما الى قريسياء على الفرات ماراً بسنجار ويتجه الايمن صوب كفرتونا ماراً بنصيين وهناك ينقسم أيضا الى

موضع دلى ذلك اللوح على الموضع المغيّب فيعرل عنه الماء حتى يصلح ويرفع اللوح ليعود الماء الى مجراه » (م) .

(١٤) النمكسود ووردت أيضا بصورة النمكسود - نوع من اللحم المملح وما زال فعل « كسد » مستعملا فى بعض انحاء شمال العراق بمعنى ملح اللحم وحفظه فى برية أو خابية فى فصل الشتاء .
الطريخ (بكسر اوله وثانيه مع التشديد) - سمك صفار نعالج بالملح .

القيط - نوع من الحلويات (م) .

(١٥) المقدسى ١٤٥ و ١٤٦ .

(١٦) ابن خرداذبه ٩٣ ؛ فداية ٢١٤ ؛ المقدسى ١٣٥ و ١٤٨ و ١٤٩ ؛ المستوفى ١٩٥ .

طريقين ينتهي الايمن الى آمد واليسر الى الرقة على الفرات ماراً برأس العين • وقد جاء وصف هذا الطريق اعني من الموصل الى آمد في ابن خردادبه وقدامة ، ووصفه المقدسي أيضاً مع ذكر المراحل • وورد في هذه المصنفات نفسها ذكر الطرق التي تخرج منه الى الفرات • وسرد المقدسي كذلك مراحل الطريق من الموصل الى جزيرة ابن عمر ماراً بالحسنية • وذكر الطريق من آمد الى بدليس قرب بحيرة وان ماراً بأرزن^(١٧) •

اما طريق البريد الصاعد بحذاء ضفة الفرات اليمنى ، أى الغربية ، فانه يبدأ من آلوسة ماراً بعانة الى الفرضة على النهر • وعندها ينقسم الى طريقين : احدهما يحاذي الفرات صاعداً الى فاش بازاء قرقيسياء ثم يظل في الجانب الغربى من النهر حتى الرقة • والطريق الايسر البادىء من الفرضة كان يتجه الى الرقة فيقطع البادية ويمر بالرصافة فكان بذلك يجانب تعاريج الفرات • وكانت الرصافة محطة ذات شأن اذ يخرج منها طريقان الى الغرب يقطعان بادية الشام احدهما الى دمشق فحمص (Emessa) • وكان ينتهى الى قرقيسياء والرقة ، على ما قد بينا ، طرق : واحد يأتى من الموصل ماراً بسنحار ، وآخر من نصيبين ماراً برأس العين وباجروان وثالث من الرقة ماراً بباجروان وحران والرها (اذسّا) الى آمد • وأخيرا كان يخرج طريق من الرقة فيمر بسروج وينتهى الى سميساط مجانباً في سيره ازورار الفرات العظيم • وورد في كتب المسالك ذكر المسافات من سميساط الى حصن منصور وملطية وكمخ وغيرها من الثغور • على ان ما يؤسف عليه ان هذه المسافات لم تذكر بتدقيق يساعدنا على تعيين مكاني الحدث وزبطرة ، اذ ما زال ذلك موضع النظر ، مع ان المقدسي أورد بعض الفوائد حتى المتعلقة منها بهذه الثغور البعيدة^(١٨) •

(١٧) ابن خردادبه ٩٥ و ٩٦ : قدامة ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ : المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ •

(١٨) ابن خردادبه ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ : قدامة ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ : المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ •

الفصل التاسع

بلاد الروم

أى آسية الصغرى

بلاد الروم - الثغور من ملطية الى طرسوس - الدربان الكبيران فى جبال طوروس -
طريق القسطنطينية المار بالابواب القليقة - طرابزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى آسية الصغرى -
نهب عمورية بأمر المعتصم - فتح السلاجقة آسية
الصغرى - مملكة ارمينية الصغرى -
الصليبيون - اجل مدن السلاجقة
فى بلاد الروم •

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البيزنطية فى جملتها : بلاد الروم • ولفظ
الرومى أى الرومانى فى العصور الاسلامية الاولى كانت ترادف عندهم « النصرانى »
سواء أكان من اليونان أم اللاتين • وكانوا يعرفون البحر المتوسط باسم بحر
الروم أيضا ثم اختصر اسم « بلاد الروم » الى « الروم » فقط • وصارت لفظة
« الروم » بمرور الايام اسما لاقرب الاقاليم النصرانية من بلاد الاسلام • ومن
ثمة صار « الروم » اسما لآسية الصغرى عند العرب وهى البلاد العظيمة التى
انقلت نهائيا فى ختام المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى ايدى المسلمين باستيلاء
السلاجقة عليها •

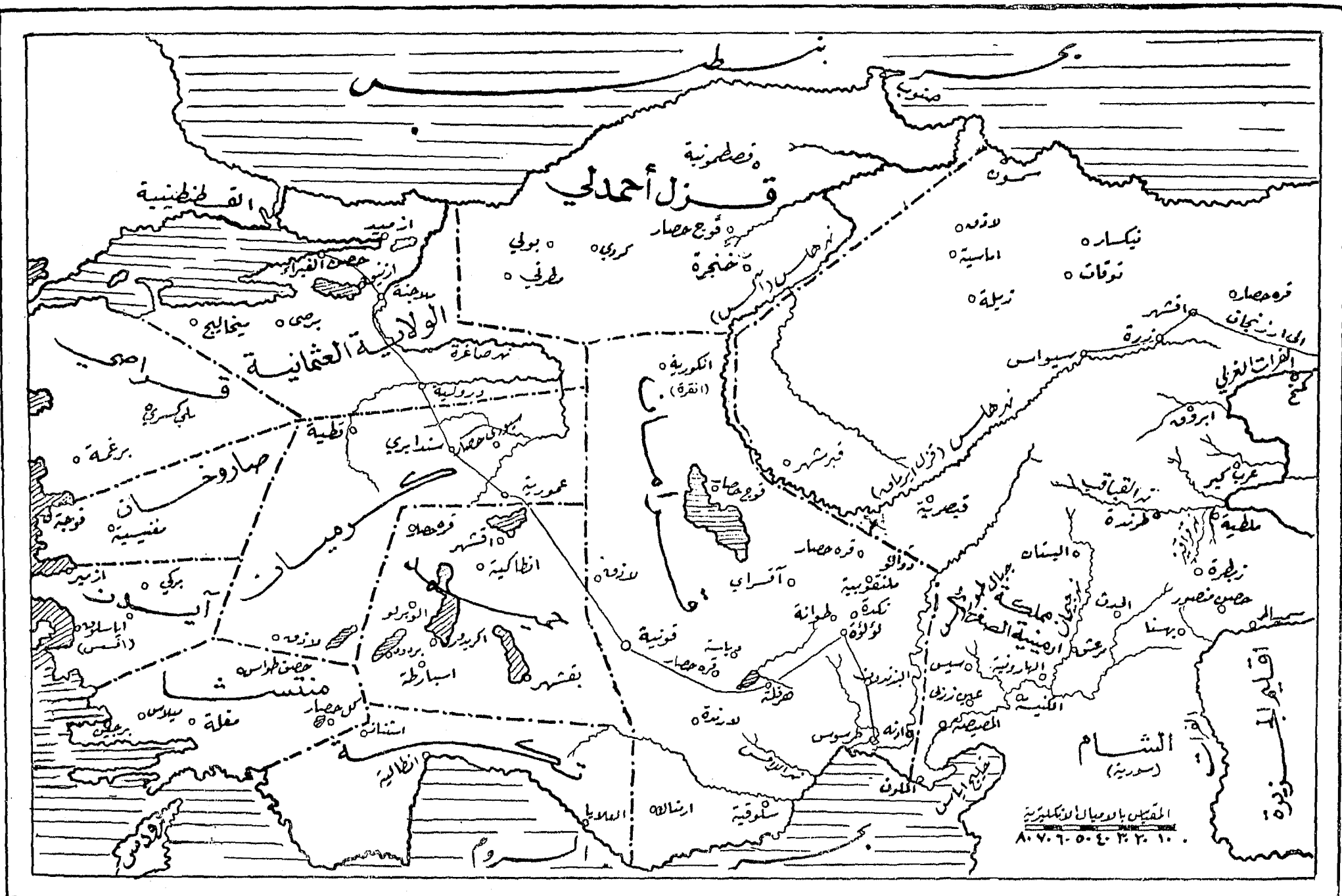
ولقطة ما بأيدينا من مراجع عن ذلك الزمن لم يتوفر لدينا - يا أسفا -

من وثيق الأخبار ما يعتد به عن تاريخ آسية الصغرى وجغرافيتها التاريخية فى القرون الوسطى ، سواء فى عهدها النصرانى أم فى أيام المسلمين^(١) . ولا غرابة فى قلة ما عرفه البلدانون العرب القدماء عن هذه البلاد : فقد كانت فى أيامهم اقلية من أقاليم دولة الروم ، وبعد انتقال هذا الاقليم الى سلطان السلجقة الترك لم يعن - يا للأسف - مصنفونا المسلمون بهذا الاقليم الاسلامى البعيد ، فلم يتنه لينا وصف دقيق له يشبه ما خلفوه عن غيره من الاقاليم . وأول وصف كامل لآسية الصغرى الاسلامية ، كتبه الحاج خليفة ، غير ان هذا لا يرقى الا الى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أى بعد أن مضى نحو مئتي سنة على دخول هذا الاقليم فى جملة أجزاء الدولة العثمانية^(٢) .

كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم فى أيام بنى أمية وبنى العباس بل حتى قبل ان يقضى المغول الفضاء المبرم على العباسيين بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلة (انتي طوروس) Anti Taurus . وكان يعين هذه الحدود ويحدها خط طويل من القلاع (تعرف بالعربية بالثغور) يمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى . فكان الفريقان فيها بين كركر وفر - وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احدهما تحمى الجزيرة (وتسمى ثغور الجزيرة) وهى الشمالية الشرقية ، والثانية تحمى الشام (وتسمى ثغور الشام) وهى الجنوبية الغربية . وكان من ثغور الجزيرة : ملطية وزبطرة وحسن منصور وبهسنا والحدث ، وقد مر

(١) يحتوى كتاب الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى Historical Geography of Asia Minor لمؤلفه البروفيسور رسمى N. M. Ramsay (وسنشير اليه بحروف HGAM) على خلاصة رائعة لكل ما يعرف الآن عن هذا الموضوع . ولا عنى الله ان يبتفى تفهم هذه المعضلة المعقدة نفهما صحيحا ، والفضل فى كتابه هذا الفصل يعود الى هذا الكتاب أكثر من أى مرجع آخر مذكور فى الحواشى . ويحسن الرجوع أيضا الى مقالات البروفيسور رسمى المفيدة فى المجلة الجغرافية (G.J.) لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ - وتقرين الاول ١٩٠٣ ص ٣٥٧ .

(٢) اما فى القسم الشرقى من بحر الروم فقد أجاد العرب فى معرفة جزيرتى قبرس ورودس . فان المسلمين غروا الجزيرة الاولى منذ سنة ٢٨ (٦٤٨) بقيادة معاوية الذى صار خليفة فيما بعد . على انه لم ينته لينا وصف جغرافى لهاتين الجزيرتين . البلادى ١٥٣ و ٢٣٦ ؛ ياقوت ٢ : ٨٣٢ ؛ ٢٩ : ٤ .



وصفها فى الفصل السابق • ثم مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربى • ومن الثغور التى تحمى الشام ، وكانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونة) : المصّصة وأذنة وطرطوس •

اما مرعش ، وسماها الروم مراسيون (Marasion) فُبقال انها قامت فى موضع جرمانيقية • وقد جدد بناءها الخليفة معاوية فى المئة الاولى (السابعة) • وفى عهد أواخر خلفاء بنى أمية حصنها المسلمون وانتقلوا اليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعا • ثم حصنها هرون الرشيد • وكان لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروائى ، على ما جاء فى ياقوت • وانما سمي بذلك نسبة الى بانيه مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية • وفى سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) استولى الصليبيون على مرعش بقيادة غودفرى دى بويون (Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى (وسيأتى الكلام عليها) • ولبت أغلب الوقت فى ايدى النصارى حتى سقوط هذه المملكة • وما زال ثغر عين زربى ، وعرفه الصليبيون باسم انازربس (Anazarbus) ، قائما • وقد كان هرون الرشيد جده وأحكم تحصينه فى سنة ١٨٠ (٧٩٦) • ووصف الاصطخرى عين زربى بقوله انها « بلد يشبه مدن الفور • بها نخيل وهى خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعى » • وكان لها سور مكين ، كثيرة الخيرات جليلة الشأن فى المئة الرابعة (العاشرة) • وفى نحو منتصف هذه المئة انفق سيف الدولة الحمدانى على ما يقال ثلاثة آلاف ألف درهم (نحو ١٢٠٠٠٠ باون) حتى أعاد عمارتها • ثم استولى الروم عليها غير مرة ، وفى ختام المئة الثالثة استولى الصليبيون عليها وخرّبوها • ثم صارت جزءا من دولة ملك ارمينية الصغرى • ووصف أبو الفداء هذه المدينة بقوله : بلد فى جبل ذات قلعة مستعالية عنها • وهى على مسيرة يوم جنوب سيس • وزاد ابو الفداء على ذلك ان فى جنوبها نهر جيحان • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) « غبّر الناس اسمها وسموها ناورزا » •

وموضعا الهارونية والكنيسة ، لا يعرفان على وجه الصحة ، الا انهما تقعان فى الجبال بين مرعش وعين زربى • والهارونية ، وهى على مرحلة غرب مرعش ، وحصونها نسبت الى هرون الرشيد ، بناها سنة ١٨٣ (٧٩٩) • وكان هذا الثغر غربى

جبل اللكام فى بعض شعابه • وجبل اللكام اسم اطلقه البلدانون المسلمون على سلسلة جبال اتني طوروس • والظاهر ان ابن حوقل زار الهارونية فقد قال فيها انها « فى غاية العمارة » وقلعتها حصينة وقد خربها الروم « ففى سنة ٣٤٨ (٩٥٩) سبوا من أهلها ألفا وخمسمئة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبى » على ما ذكر ياقوت • ثم ان سيف الدولة الحمدانى جدد عمارة الهارونية ، واستعادها النصارى ثانية ، وظلت بعد ذلك فى يد ملك ارمينية الصغرى • اما الكنيسة ، ويقال لها الكنيسة السوداء ، فهمى حصن منيع قديم • بناها الروم بحجارة سود على ما قال البلاذرى • وزاد على ذلك ان هرون الرشيد « أمر بنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها » وندب اليها المقاتلة • فيها منبر والظاهر انها كانت الى جنوب جيحان • فذكر الاصطخرى انها « نغر فى معزل من شط البحر » • وقال ابو الفداء : « كان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا » • وكانت فى أيامه من جملة بلاد ارمينية الصغرى ، حالها حال الهارونية •

وأما الثغر الآخر فى هذه الجهات ، فهو المعروف عند العرب بالمتقّب ، وسمي بذلك على ما جاء فى ياقوت « لانه فى جبال كلها مثقبة • فيه كوى كبار » • والظاهر ان موضعها الحقيقى غير معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة • وأول من بنى حصن المتقّب هشام الحليفة الاموي • وقال ياقوت ان الذى استحدثه عمر الثانى « عمر بن عبد العزيز » وكان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أى بخط عمر بن عبد العزيز) أُنقش خلفاء بنى أمية وأكثرهم ورعا • وروى البلاذرى الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها ، حفروا أولا الخندق فى حصن المتقّب فوجد فى خندقه حين حفر ، عظم ساق مفرط الطول فبعث به الى هشام لطرافته (٣) •

اما المدن الثلاث : المصيصة (Mopsuestia) واذنة طرسوس ، وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة • فالمصيصة على نهر جيحان (نهر ييرامس) فتحها عبدالله بن

(٣) الاصطخرى ٥٥ و ٦٣ : ابن حوقل ١٠٨ و ١٢١ : البلاذرى ١٦٦ و ١٧١ و ١٨٨ : المسعودى ١ : ٢٦ : ٨ : ٢٦٥ : ياقوت ١ : ٩٢٧ : ٣ : ٧٦١ : ٤ : ٣١٤ و ٤٩٨ و ٩٤٥ • أبو الفداء ، ٢٣٥ و ٢٥١ •

الخليفة عبد الملك الاموي في المثة الاولى (السابعة) وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانا من الجند من أرباب البأس والنخوة • وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن • وكان في الحصن كنيسة جعلت مُمريا • وبعد وقت قصير نشأ في الجانب الآخر من جيحان ربض أو مدينة ثانية سميت كفريا ، بنى فيها الخليفة عمر الثاني مسجدا جامعا اتخذ فيه صهريجا • ثم ان مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقي جيحان يقال له الخصوص • وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخذق خندقا • وفي زمن الخلفاء العباسيين ، بنى المنصور في المصيصة مسجدا جامعا في موضع هيكلك قديم كان بها وجعله مثل مسجد عمر (الثاني) ثلاث مرات • واستحدث هرون الرشيد كفريا • وزاد المأمون في مسجدتها • وكان بين كفريا والمصيصة قنطرة على نهر جيحان • ثم لما استخلف المنصور ودخلت سنة ١٣٩ (٧٥٦) أمر بعمارة مدينة المصيصة وكان حائطا متشعنا من الزلازل وسماها المعمورة • وبعد ذلك انتقلت المصيصة كسائر البلدان المجاورة لها الى ايدي ملوك ارمينية الصغرى •

ومدينة اذنة ، وهي قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس Sarus) وكان في الطريق على شيء يسير من المصيصة قنطرة ترقى الى أيام سيطنيانس (Justinian) رمت في سنة ١٢٥ (٧٤٣) وسميت بجسر الوليد نسبة الى الوليد الخليفة الاموي • ثم رمم المعتصم الخليفة العباسي هذا الجسر ثانية في سنة ٢٢٥ (٨٤٠) • وأعاد المنصور بناء قسم من اذنة في سنة ١٤١ (٧٥٨) • وصفها الاضطخري بقوله انها مدينة خصبة عامرة في غربي نهر سيحان حصينة وكان حصنها في ضفة النهر الشرقية بينه وبين المدينة • قنطرة معقودة عليه على طاق واحد • ، على ما جاء في ياقوت • ولا اذنة ثمانية أبواب وسور يليه خندق •

واطلق المسلمون على نهري سارس وبيرامس اسم نهر سيحان ونهر جيحان • وكانا في صدر الاسلام حدا مايا بين بلاد المسلمين وبلاد الروم • وقد سمي البلدان يون العرب نهري بيرامس وسارس باسم جيحان وسيحان ، على غرار تسميتهم نهري أوكسس (Oxus) وجكسارتس (Jaxartes) في آسية الوسطى

وهما أكثر شهرة ، باسم جيحون وسيحون ، على ما سنسبسط القول فيه • ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال ارمينية الصغرى • وكان نهر جيحان - وقد ذكر ابو الفداء انه « بقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسميه العامة جهان » - بعد مروره بالمصيصة يصب في بحر الروم في خليج اياس الى شمال ميناء اكلثون (ملس Mallus) ثم صار ملو (Malo) • اما نهر سيحان فاصغر منه ، ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير اذنة • وعلى هذا النهر كانت قطرة الحجر وقد مر ذكرها • وجيحان وسيحان على ما روى المسعودى من انهار الجنة^(٤) •

ومهما يكن من أمر ، فان أجل الثغور مدينة طرسوس • وكان مغاللتها من الفرسان والمشاة • وهى تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طوروس المعروف بأبواب قليقة ذكر ابن حوقل ان على طرسوس سورين من حجارة وبها مئة الف فارس • ثم قال « وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعه متشعبة من اللكام كالحاجز بين العمليين » ويقصد بهما عالمي الاسلام والصراية • وقال ابن حوقل ان الحامية العظيمة التى أدركها وشاهدها فيها سنة ٣٦٧ (٩٧٨) « كانت من الغزاة الوافدين اليها من البلدان الاسلامية لقتال الروم » • وسبب ذلك - فيما ذكر - « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والنساعات ومصر والمغرب الا وبها لأهلها دار ورباط فى طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها • وترد عليها الجرايات والصلوات وتدر عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلفونه وينفذونه متطوعين ويتحفظون عليه متبرعين » •

(٤) الملاذرى ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ ، الاصطخرى ٦٣ و ٦٤ ؛ ابن حوقل ١٢٢ ؛ المسعودى ٢ : ٣٥٨ ؛ ٨ : ٢٩٥ ؛ ياقوت ١ : ١٧٩ ، ٢ : ٨٢ ، ٤ : ٥٥٨ و ٥٧٩ • ابو الفداء ٥٠ •

جاء اسما هذين النهرين فى بعض الاوقات خطأ بصورة سيحون وجيحون ، على نحو ما يسمى به صناعهما نهرا آسية الوسطى • اما فيما ينصل بالفم القديم لنهر سارس ، فيحسب بنا أن للاحظ ان ابن سرايون (المخطوطة : الورقة ٤٤ آ) ذكر ان نهر سيحان (سارس) كان فى ايامه (أى فى بداية المئة الرابعة = الماشرة) يصب فى حيحان (بيراسس) على خمسة فراسخ فوق المصيصة • وبهذا يشترك هو وجيحان فى مصب واحد فى البحر • أما اليوم ، قلنهر سيحان فم فى الجهة الغربية قرب مرسينة • ومن الممكن تنبع معالم المجرى القديم • انظر : المحلة الجغرافية • Geog. Jour. لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٤١٠ •

وعني الخلفاء العباسيون الاولون ، ولا سيما المهدي وهرون الرشيد ، بتحسين طرسوس وسُحُها في أول الامر بمائة آلاف من المقاتلة . وكانت الندبات السنوية على النصارى تجتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم . وفي الجهة اليسرى من جامع طرسوس ، دفن الخليفة المأمون ، فقد ادركته ميته وهو فى بزندون (بدندس) (Podandos) العربية منها . وكان يشق المدينة نهر الردان (نهر كودنس) (Cydnus) . وفى سورى المدببة ستة أبواب وخندق عميق . ولبت طرسوس ، على ما قال ياقوت ، ثغراً اسلامياً حتى كانت سنة ٣٥٤ (٩٦٥) فان تقفور ملك الروم Nicephorus Phocas استولى على الثغور ونزل على طرسوس فسلمها اليه من كان بها على الامان والصلح . فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الاسلام وأقام نفر يسير على الجزية . وخربت المساجد « وأحرق تقفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يُسمع بمثله ، ولم تزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغاية أى سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) » .

وكان نهر كودنس القديم يعرف على ما بينا ، بنهر البردان أو بردى . وذكر ابن الفقيه انه كان يسمى ايضا نهر الغضبان . ومخرجه من أصل جبل فى شمال طرسوس يعرف بالاقرع ويصب فى بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث لنهر سيحان . وفى ناحية الغرب ، على مرحلة من طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً فى الازمنة الاولى ، وهو نهر لموس Lamos سماه العرب نهر اللامس . « وعليه يكون القاء اذا فودي بين المسلمين والروم » . ومما يلي هذا النهر بلدة للروم تعرف بسلوفية أو سلوقية قليقة Seleucia of Cilicia وقد صار أسماها فى أيام الترك فى العهد الاخير سلفكة Selefkeh^(٥) .

ويطعم جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اثبتن منها بوجه خاص فى غزواتهم السنوية لبلاد الروم : اولهما درب الحدث وهو فى الشمال الترفى وكان من مرعش فشمالا الى ابليتين وقد عرفت هذه المدينة فى الازمنة الاخيرة

(٥) ابن حوقل ١٢٢ ، ابن الفقيه ١١٦ ؛ البلاذرى ١٦٦ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٤ ؛
٧ ، ٢ ، ٨ ، ٧٢ ؛ ياقوت ١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٨ ، ٣ ، ٥٢٦ ؛ الطبرى ٣ : ١٢٢٧ .

بالبستان (وهي أبليستا الزنطية Ablastha وعربسوس اليونانية Arabissus) وكان يحمي هذا الدرب حصن الحدث Adata وقد مر ذكره في الفصل السابق • وثاني الدروب ، وكثيرا ما كان يسلك في الأزمنة القديمة ، هو درب الأبواب القليقية الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية • كان هذا الطريق هو الذي يسلكه سعاة البريد وبرز منه وفود قيصر والخليفة ، كما انه الطريق الذي تتبعه نوبات الغزو العديدة من الاسلام والنصارى • وقد عني ابن خرداذبه في سنة ٢٥٠ (٨٦٤) بوصف هذا الطريق ، وعنه نقل غير واحد من المصنفين بعده • كان هذا الدرب يعرف في قسمه الجنوبي بدرب السلامة وينصل بما يسمى بيلية قليقية Pylae Ciliciae وهي الأبواب القليقية المشهورة •

ودونك هذا الوصف ، على ان كثيرا من المواضع المذكورة فيه لا يمكن تعيينها في يومنا ، وقد وضعنا بين قوسين ما تسرت معرفته عن اسماء بعضها • قال ابن خرداذبه : « من طرسوس الى الميثيق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة (أي المكان المنخفض ولعلها مبسكرة Mopsukrene القديمة) ، ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البزندون (Podandos وهي بزنتي الحديثة) سبعة أميال وفيها عين تسمى عين رفة مات عندها المأمون (٦) • ثم الى معسكر الملك على حمة لؤلؤة (لولون Loulon) والصفصاف عشرة أميال (قرب فوستنوبولس Faustinopolis) وكذلك حصن الصقالة عشرة أميال ، وتصير الى معسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب الأبواب القليقية) وأصحرت • ومن معسكر الملك (حث نهاية الأبواب القليقية) الى وادي الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى عشرون ميلا ، ثم الى نهر هرقله (وهرقله هي اراكلية الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم وهي المدينة التي استولى عليها هرون الرشيد عنوة) اثنا عشر ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا • ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا

(٦) انظر خبر ذلك في مروج الذهب (٧ : ٩٦) وتاريخ الخلفاء للسوطي ص ٢٠٩ طبعة

الندرية • (م) •

عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى الهر الذى تحت الارض) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربح قونية (ايكونوم Iconium) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابرومسمانة عشرون ميلا ، ثم الى وادى الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية (آموريون Amorion) اثنا عشر ميلا . وطريق آخر من العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الاربعين شهيدا) عشرة أميال ، ثم الى السند عشرة أميال ، ثم الى حصن سادة (وهى حصن ساندس Synades) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مغل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا . ومن عمورية الى قرى الحراب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغري (وهو Sangarius) نهر عمورية ميلان ، ثم الى العليج اثنا عشر ميلا ، ثم الى فلامى الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابري (سنتابريس Santabaris) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حمر الملك فى دروئية (دوريلوم Dorylneum) خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن غرموئيلي خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك Basilica of Anna Comnena ثلاثة أميال ، ثم الى النلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الاكوار خمسة عشر ميلا ، ثم الى ملاجة Malagina خمسة عشر ميلا ، ثم الى اصطبل الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الغبراء (وهى كيبونس Kibotos) حيث معدية تصل الى Aigialos) ثلاثون ميلا ثم الى الخليج (وهو بوسفور القسطنطينية Bosphorus) اربعة وعشرون ميلا ، ونيقية Nicaea بأراء (أى جنوب) الغبراء . وبهذا يختتم ابن خرداذبه كلامه على طريق القسطنطينية^(٧) .

(٧) ابن خرداذبه ١٠٠ - ١٠٢ و ١١٠ و ١١٣ وقد جاء فى ابن خرداده (ص ١٠٢ - ١٠٣) وصف طرق تخلف بعض الشيء عن هذا الطريق . وزاد الادريسى على ذلك ذكر المسافات (طبعة جوبرت Jaubert ٢ : ٣٠٨ و ٣٠٩) وقارن ذلك بما كتبه ريمسى Ramsay فى HGAM (ص ٢٣٦ و ٤٤٥) . وقد عين البروسور ريمسى (أنظر المحلة الجغرافية GJ لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٢٨٣) حصن الصقالبة المشهور بكونه خرائب الحصن الزنطى المبني بالرحام الاسود المسمى الآن أنشا فله من الجائفة فى أعالي الجبل المطل جنوبا على مدينة بزنتلى (بديدون أى بودندس) اما حصن لولون Loulon الزنطى ، وقد ساء العرب لؤلؤة ، فقد عيه أيضا (أنظر نفس

اما ما كان يعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافية آسية الصغرى ، فليس الا لمحات خاطئة لا تمت الى الواقع بصلة الا وصفهم الطريق العام الى القسطنطينية . مصداق ذلك ما نراه من خلط عد ابن حوقل بين النهرين المختلفين : آلس وصاغره وهلس وسنكارايوس . ونجد أيضا فى النوارىخ القديمة اسماء جملة من مدن الروم بصورتها المعربة ولكن معظم هذه الاسماء قد انتهى اليها على غير هذه الصور بعد الفتح التركى . على ان ما يؤسف له ، هو ان المصنفين العرب لم يخلفوا لنا وصفا لهذه المدن . ونذكر هنا شيئا منها مما لا شهة فى صحته : الطوانة (Tyana) دباسة (Thebasa) ملفوية (Malacopia) هرقله (Heraclia) لاذق (Laodicea) قيصرية (Caesarea Mazaka of Cappadocia) انطاكية (Antioch of Pisidia) قطنة (Cotyaeneum) انقره (Angora) افسوس (Ephesus) أبدوس (Abydos) نقمودبة (Nicomedia) وغيرها من المدن .

أما طرابزون (Trebizond) وكتب اسمها طرابزنده أو اطرابزنده ، فهى على ما جاء فى ابن حوقل أجل ميناء كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينية فى صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام . فكان البحار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الاعلى ، وكانت هذه التجارة سد الارمن على ما فى ابن حوقل . على ان كثيرا من التجار المسلمين ، حسبما ذكر ، كانوا يقيمون فى اطرابزنده . وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليونانى وثياب الصوف والدباج والاكسية الرومية وكلها كان يجلب بحرا من الخليج أى البوسفور . ومما يدل على شهرة طرابزون وعظم شأنها فى ذلك الزمن ، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزنده . على ان اسمه الرسمي كان بحر بنطس أو بنطش . وهو پنتس Pontos

المصدر ص ٤٠١ و ٤٠٢ فعه صوره لهذا الموضع (واللؤلؤة تقوم فى الشمال فوق الصفصاف . وتدل الصفصاف على المسوطن الذى فى الوادى أسفلها حيث كانت المدينة اليونانية فوسنبوبوليس . Faustinopolis

عند الروم الذى كان لتصحيح اسمه (من جرّاء اعجام الحروف العربية) قد كتب ولفظ منذ الأزمنة الاولى خطأ بصورة نيطس ونيطش ، وغالبا ما اقتبس المصنفون الفرس والترك الاسم بهذه الصورة المصحفة ، وانقل هذا التصحيح الى المطبعة فلا سبيل الى رجعه الى سابق اسمه (٨) .

ومع ان ما دونه مصنفو العرب عن طبرقاية مدن آسية الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى ، أى فى النصف الاخير من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، قبل غاية القلة ، فقد كان المسلمون يعرفون معظم هذه البلاد ، فانهم كانوا فى أيام بنى امية وصدر الدولة العباسية يقومون فى كل سنة تقريبا بل غالبا مرتين فى السنة ، فى الربع والخريف بغزوات يحتازون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم . وكانت غاية الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينية . وفى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينية ثلاث مرات فى أيام بنى امية ولكن نهاية كل حصار كانت وخيمة على المهاجمين . وليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان البوسفور يعد عن طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيفا واربعمئة وخمسين ميلا فى خط مستقيم يقطع هضبة آسية الصغرى الجبلية .

واول هذه الحصارات الثلاثة المشهورة كان فى سنة ٣٢ (٦٥٢) فى ايام عثمان ، حين غزا معاوية - وقد تولى الخلافة فيما بعد - آسية الصغرى واجتازاها يريد القسطنطينية . فهاجمها اولاً ثم ضرب عليها الحصار ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لما بلغه مقتل الخليفة عثمان . واعقب ذلك أحداث انتهت بقيام الدولة الاموية . وكان الحصار الثانى فى سنة ٤٩ (٦٦٩) حين بعث معاوية - وكان قد اصبح خليفة - ابنه وولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع . بيد ان عجز قادة الجبش اوقع بالجبش الاسلامى هزيمة مكررة . فلما توفى ابوه صارت اليه الخلافة فعاد الى بلاده . أما الحصار الثالث وهو اشهر حصار وقع على القسطنطينية فقد دام سنين فى عهد الخليفة سليمان الذى بعث اخاه مسلمة فى سنة ٩٦ (٧١٥)

(٨) ابن حوفل ١٢٩ و ١٣٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ؛ ابن خرداذبه ١٠٣ ؛ البلاذرى ١٦١ ؛ الطبرى ٣ : ٧٠٩ و ٧١٠ ؛ ابر اللداء ٣٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٠١ و ٤٩٩ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٠ .
وفد يسمى البحر الاسود بحر الخزر وهو اسم يطلق فى العادة على بحر فروين (ابن خرداذبه ١٠٣) .

لقتال ليو الايزورى Leo the Isaurian وقد انتهى الينا عن هذه الحملة التى باءت ايضا بهزيمة المسلمين اخبار كاملة من النوارخ العربية والرومية . وفى هذه الحروب اشتهر عبدالله الملقب بالبطل الذى اعتبره الترك بعد زمن طويل بطلهم القومى والجدى المسلم الذى لا يقهر .

ولم تحل هذه الخسائر والهزائم دون مضي المسلمين فى غزواتهم سنة بعد أخرى ما خلا فترة قصيرة انصرف فيها العباسيون الى توطيد أركان دولتهم ، ثم حلّوا فى ذلك محل بنى أمية بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافة . والعباسيون وإن صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينية ، فإنهم غزوا أرجاء آسية الصغرى مرة تلو أخرى وأعملوا فيها النهب والحرق . وأشهر هذه الغزوات : ندبة الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد فى سنة ٢٢٣ (٨٣٨) على عمورية . وهى الموصوفة بأنها اجل مدينة فى الشرق « وامنع واحصن بلاد الروم وهى عين النصرانية » فأمر الخليفة بنهبها وهدمها وحرقها وعاد الخليفة راضيا ومعه المغانم ^(٩) . وقد عني ابن خرداذبه بوصف أعمال آسية الصغرى فى أيام ملوك الروم . ويفيدنا وصفه فى تصحيح التفاصيل المشوشة التى دونها قسطنطين بورفروجينيس

(٩) اناض المستر بروكس E. W. Brooks لى سرد غزوات المسلمين فى آسية الصغرى مستفيا ذلك من المراجع العربية مع التعليق عليها لى بحثه الموسوم « العرب فى آسية الصغرى من سنة ٦٤١ الى ٧٥٠ م » The Arabs in Asia Minor, 641 to 750 المنشور فى مجله الدراسات الهلنكية (Journal of Hellenic Studies) المجلد ١٨ سنة ١٨٩٨ . وفى بحثه الموسوم « البيزنطيين والعرب فى صدر الدولة العباسية : ٧٥٠ - ٨١٣ م » Byzantines and Arabs in the time of early Abbasid, 750 to 813 المنشور فى المجلة الانكليزية التاريخية English Historical Review القسم الاول منه لى عدد تشرين الاول ١٩٠٠ وقسمه الثانى فى عدد كانون الثانى ١٩٠١ . وقد عالج موضوع حصار القسطنطينية العظيم فى امام خلافة سليمان فى مقال نشره فى مجلة الدراسات الهلنكية أيضا (المجلد ١٩ لسنة ١٨٩٩ بعنوان « حملة سنة ٧١٦ الى ٧١٨ بحسب المراجع العربية » The Campaign of 716 to 718 from Arabic Sources) وتناول هذا الموضوع من الجانب البيزنطى البروفسور جى . بى . بورى J. B. Bury فى كتابه History of the Later Roman Empire المجلد الثانى ص ٤٠١ . ويسمى المسلمون بالقسطنطينية . اما فيما يتصل باسمها البيزنطى الذى يقال ان منه اشتق لفظ « اسطنبول » الاسم التركى الحديث فمحسن بنا ان نلاحظ ان المسعودى فى النصف الاول من الملة الرابعة (العاشرة) كتب (الننبه ص ١٣٨) ان الروم فى أيامه كانوا يسمون عاصمتهم بولن Buhn (أى بولن Polin ومعناها : المدينة) . « واذا أرادوا عنها انها دار الملك ، لعظمها قالوا استن بولن ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تسم عنها بذلك » .

Constantine Porphyrogenitus ونحن على كل حال فى غنى عن بحث ذلك ها هنا اذ ان هذا الموضوع يدخل فى جغرافية بلاد الروم • اما عدا ما وصفنا من مدن ، فان المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الاسلامية على ما وراء الحدود ، أشاروا الى جملة مواضع يصعب تعيينها الآن اما لمفوض ما ذكره عنها واما للبس فى الاسم • وعليه فان مرج الاسقف ، وكثيرا ما ذكره ، جاء عنه فى أحد مسالك ابن خرداذبه انه على شى يسير غرب بدندس (البذندون) • والمطمورة^(١٠) أو المطامير (بصيغة الجمع) تردد ذكرها كذلك ، وعليها ان نبحت عنها فى ما جاور ملقوبية • وذو الكلاع وتكتب أيضا ذو القلاع كانت قلعة مشهورة • قال البلاذرى ان اسمها عند الروم تفسيره « الحصن الذى مع الكواكب » • ويبدو انها تطابق سيدروبوليس Sideropolis فى بلاد القباذق Cappadocia .

ومدينة لؤلؤة وهى لولون عند البزنطيين سماها العرب بذلك ليصفوا على اسمها معنى ، وهى على ما ذكرنا فى النهاية الشمالية لدرب الابواب القليقية والى شمالها كانت تيانا (طوانة أو طوانة) وقد كان هرون الرشيد شحها بالمقاتلة وبنى فيها جامعا • وكانت مدينة أو حصن الصفصاف فى طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ولعلها موضع فوستينوبوليس على ما قد مرّ (ص ١٦٦) • وفى جنوب البذندون حصن الصقالبة وفيه عسكر ، على ما ذكر البلاذرى ، قوم من الصقالبة كانوا فروا من البزنطيين • وكان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية قد جعلهم فيها لحراسة الدرب^(١١) •

وبعد عام ٢٢٣ (٨٣٨) وهو تاريخ حملة الخليفة المعتصم المشهورة على عمورية ، قلت الغزوات الاسلامية لبلاد الروم • فان تواتر الفتن فى بغداد صرف خلفاء بنى

(١٠) انظر Mazmorra باللغة الاسبانية تسمى الدباس وهى Massamora بالاسكلندية (انظر The Antiquary الفصل ٣٣ فى الحاشية) •

(١١) انظر عن أعمال بلاد الروم ، البحث الموسوم بـ « الاثبات العربية لأعمال بلاد الروم » E. W. Brooks بقلم بروكس فى مجلة الدراسات الهلينية المجلد ٢١ لسنة ١٩٠١ • ابن خرداذبه ١٠٢ و ١٠٥ البلاذرى ١٥٠ و ١٧٠ الطبرى: ٣ : ٧١٠ و ١٢٣٧ ، ابن الاثير ٦ . ٣٤١ ، رمسى Ramsay فى HGAM ص ٣٤٠ و ٣٥٤ • ٣٥٦ •

- ١٧٢ -

العباس عن التفكير فى غزو بلاد الروم • ومع ذلك فانه منذ منتصف المئة الثالثة (التاسعة) حتى المئة الخامسة (الحادية عشرة) كان كثير من الجيوش الاسلامية المجتدة من ممالك عدة تابعة للخليفة قد عبر الدروب • ولم تثبت الحدود على حال واحد بل كانت فى تقدم وتراجع واقبال وادبار وفى وسعنا القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مسنداما •

ولكن بقيام الاتراك السلاجقة فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) بعد [كذا • والصواب : قبل] الحروب الصليبية ، تغير وجه الامور فى آسية الصغرى كل التغير • وفى ربيع سنة ٤٦٣ (١٠٧١) أحرز الب ارسلان السلجوقى نصرا ميئا فى وقعة ملسجرد (منكرت) فأباد جيش الروم على بكره أبيه وأسر ملكهم رومانس ديوجينس (Romanus Diogenes) • والى ذلك ، كان الب ارسلان قد اسنولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) على آنى عاصمة ارمينية النصرانية ، فتقوضت بذلك مملكة بَـرَـوَنَد الارمنية العديمة فكان من ذلك ان أسس روبن (Rupen) أحد اقاربهم مملكة ارمينية الصغرى فى طوروس • وعلى أثر وقعة ملسجرد انفذ الب ارسلان ابن عمه سليمان بن قنلمس الى آسية الصغرى • ثم ان السلاجقة بعد ما كانوا عليه من بداوة ، اقاموا فى الهضبة العالية التى تؤلف قلب هذا الاقليم وصار مملكة الروم منذ ذلك الحين من ديار الاسلام •

وقد أوغل السلاجقة غربا وحلبفهم النصر ، فامتدت غزواتهم حتى نيفية ، وبقيت فى أيديهم زمنا قصيرا متخذوها عاصمة لهم • ولكنهم ردوا على أعقابهم فى الحملة الصليبية الاولى وتراجعوا الى الهضبة الوسطى واصبحت ايكونوم (Iconium) وهى فونة النى فتحوها فى سنة ٤٧٧ (١٠٨٤) دار ملكهم ولبش، كذلك (١٢) •

(١٢) ابن الاثير ١٠ : ٢٥ و ٤٤ ؛ جهان نما ٦٢١ • وانظر تاريخ فن الحرب History of the Art of War بقلم اومان G. Oman ص ٢١٦ - ٢٢١ عن وقعة منكرت •

وتاريخ السلاجقة فى بلاد الروم وخلفائهم الامراء التركمان العشرة المنتهى بتمام سلاطين آل عثمان ، اعرض دور فى جميع النوارىخ الاسلاميه يا للاسف • ولم تكن للمؤرخين العارسين ميرخواند ومخواند مير ما يصيبفانه الى الموحز الذى كتبه المستوفى عن سلاجقة الروم فى كتابه « تاريخ كزنده » • ولعل اكمل تاريخ لهذه الدولة ما فى كتاب « العبر » لابن حلدون (٥ : ١٦٢ - ١٧٥) غير ان ذلك

- ١٧٣ -

دامت سلالة سلاطين قونية السلجوقية أكثر من قرنين أى من سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) حتى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) غير ان سلطانهم الحفبقي كان قد انتهى بفتح المغول لقونية فى سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) وذلك قبل سقوط بغداد بسنة واحدة . واقرن قيسام السلاجقة فى هضبة آسية الصغرى بنشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية فى بلاد طوروس . وبعيد سنة ٤٧٣ (١٠٨٠) اتخذ روبن مؤسس الدولة الجديدة مدينة سيس ويقال لها أيضا سيسية قاعدة للملكه . وبعد ذلك بمرن أى فى سنة ٥٩٤ (١١٩٨) لقب ليو بالملك . ولم ينه حكم ملوك ارمينية الصغرى الذين قاوموا الفتح المغولى الا فى سنة ٧٤٣ (١٣٤٢) . وكانت هذه المملكة قد اتسعت رقعتها من سيس فشملت البلاد الجبلية التى يسقيها نهرا سبجان وجيحان . وامتدت جنوبا الى بحر الروم وضمت مدينة المصيصة واذنة وطرشوس ومعظم مدن الساحل الى غرب طرسوس . وكانت سبس (أى سيسية) وهى فلافيوبوليس Flaviopolis القديمة حصن عين زربى البعيد فى صدر الدولة العباسية . وقد جد أسواره الخليفة المنوكل حميد هرون الرشيد . واستولى عليه الروم بعد ذلك . وحين كتب ابو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) نوّه بان ليو الثانى (ابن لاون) الملقب بالعظيم ملك ارمينية الصغرى قد احدثها ، وهى ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مسنطيل ولها بساتين ونهر صغير من روافد جيحان . وذكر ياقوت « ان عامة أهلها يقولون سبس » فى أيامه .

وفى غرب مملكة ارمينية الصغرى وشمالها تمتد بلاد سلاطين السلاجقة . ولم تمض مئة سنة على اسبائلتهم على هضبة آسية الصغرى حتى كانت جيوش الصليبيين قد اخترقت هذا الاقليم ثلاث مرات ، وقد انتهت الحرب الصليبية الاولى

لا يعدو فى الحفيفة ان يكون ثبتا بالاسماء والنواريح . اما تاريخ ابن بيبى ، وقد شره أخيرا البروفسور هوتسا ، فانه وآسعا لا بدأ الا بعد فلج ارسلان الثانى فى سنة ٥٥١ (١١٣٦) . اما السبعون سنة الاولى من حكم السلاجقة حين كابوا يفتحون آسية الصغرى وبوطدون حكمهم فيها ، فلا تعرف عنها شيئا قط . ولم ينوّه الا بالنصر العظيم الذى أصابوه فى وعة منكرت . اما المعارك التى أسفرت عن طرد الروم من هضاب آسية الصغرى فلم يدور عنها شيء كما لم يشر الى معاهده بفرض عقدها - بوجه رسمى أو غير رسمى - بين الروم والسلاجقة بعد وعة منكرت . وللاطلاع على خلاصة ما يعرف عن أمراء التركمان الذين خلفوا سلاطين بلاد الروم ، انظر بحث البروفسور لين بول « أخلاف السلاجقة فى آسية الصغرى » The Successors of the Saljuks in Asia Minor فى مجلة

JRAS لسنة ١٨٨٢ ص ٧٧٣ .

- ١٧٤ -

سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) بهزيمة قلعج ارسلان الاول (ابن وخليفة سليمان ، أول سلطان على بلاد الروم) من نيقية . ومرت شرذمة من الصليبيين بقونية وعادت الى البحر عند طرسوس وركبت السفن الى فلسطين . وفي الحرب الصليبية الثانية تغلب لويس السابع ملك فرنسا على السلطان مسعود (ابن قلعج ارسلان) عند ضفاف مياندر (Meander) سنة ٥٤٢ (١١٤٧) ولكن الفرنج في مسيرهم الى ميناء أنطالية كاندوا خسرانا فادحا في المنطقة الجبلية . وفي الحرب الصليبية الثالثة يقال ان الملك فردريك ببروسة انتزع في سنة ٥٨٦ (١١٩٠) قونية عاصمة السلاجقة من قلعج ارسلان الثاني (ابن مسعود) . ولكن ببروسة في متابعته السير غرق في نهر قرب سلوقية (سلوقية قليقية) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجري في أيام العباسيين الاوائل تبادل الاسرى بين المسلمين والنصارى أى فداؤهم .

ولا ريب في ان رقعة البلاد التي حكمها سلاجقة الروم قد اختلفت باختلاف الازمنة والاحوال . فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدياد قوتهم ، ونشوء مملكة ارمنية الصفرى النصرانية ، وما كانت عليه حال الدويلات الاسلامية المجاورة التي اكتسح الصليبيون بعضها وحكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين ، أثره في ذلك . وقد عرفنا أهم المدن التابعة لسلاجقة بلاد الروم على نحو ما كانت عليه في سنة ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلعج ارسلان الثاني أملاكه في تلك السنة بين أولاده الاحد عشر . فقد كانت قونية (ايكونيوم) ، على ما بيننا ، عاصمة السلاجقة . وكانت قيصريه (Caesarea Mazaka) ثاني مدن سلطنتهم . وملطية (Melitene) أهم مدن الولاية الشرقية على حدود الفرات . وفي الشمال سيواس (Sebastia) ونكيسار (أو نيكسار وهي نوسيزارية (Neo-Caesarea) القديمة) ، وتوقات واماسية (Amasia) وقد اقطع كل منها أميرا سلجوقيا . ومثل ذلك انكورية (Angora) في الشمال الغربى ومبرغلو في الحد الغربى ولعلها ألو برلو الحديثة وهي غرب بحيرة اكردور . وعلى الحدود الجنوبية شرقى قونية المدن

- ١٧٥ -

المهمة : اراكلية Heraclia ونكيدة أو نكدة وابلستين التي عرفت بعدئذ بالبستان (Arabissus).

وقد مدّ السلطان علاء الدين ، الذى اعتلى العرش فى سنة ٦١٩ (١٢١٩) وهو حفيد قلعج ارسلان الثانى ، سلطانه شمالا وجنوبا من سواحل البحر الاسود الى بحر الروم . فاستولى على سينوب (Sinope) على البحر الاسود وأنشأ على الساحل الجنوبى ميناء عظيما فى العاليا - وقد نسب اليه - وما زالت ترى فيه بقايا أخشاب لبناء السفن وغير ذلك من المنشآت الخاصة بحرية السلاجقة العظيمة . ومدّ سلطانه فى الشمال الشرقى الى مدينة صارى بولى . وقد كان لكتابات جلال الدين الرومى الشاعر الصوفى العظيم الذى عاش ومات فى قونية أبلغ الاثر فى اشتهار عهده . وبعد ان مضت ثلاثون سنة على موت علاء الدين أى فى سنة ٦٣٤ (١٢٣٧) قوض الجيش المغولى سلطان السلاجقة ولم يكن السلاطين الاربعة الاخرون فى الحقيقة غير ولاية خاضعين لایلخاني فارس . وفى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) قسمت ولاية الروم بين الامراء التركمان العشرة وهم فى الاصل من اتباع السلاطين السلاجقة^(١٣) .

(١٣) البلاذرى ١٧٠ : ياقوت ٣ : ٢١٧ : أبو الفداء ٢٣٧ : ابن يبي ٥ : جهان نما ٦٢١ و ٦٢٢ .
وذكر الادريسي ، وقد كتب فى سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، انه زار عمورية (جوبرت ٢ : ٢٠٠) ورأى سنة ٥١٠ (١١١٦) كهف أصحاب الكهف السبعة . وهو السلدانى المسلم الوحيد الذى وصف آسبة الصغرى فى أيام السلاجقة . وما يؤسف عليه ان كتابه وصل الينا مصححا تصحيحا عظيما فقد ذكر عددا من المسالك التى تخترق آسبة الصغرى فى كل جهة ولكن من الصعب جدا التحقق منها . فان اسماء المواضع التى تمر بها هذه المسالك لا يميز معظمها وإن كان لا يشك فى أسماء المراحل الختامية . الادريسي ٢ : ٣٠٥ - ٣١٨ .

وقد عين البروفسور رسمى (MGAM) من ٧٨ و ٣٨٢ و ٣٨٤) حدود مملكة السلاجقة بوصرح ويرى وصف للجوامع وغيرها من أبنية السلاجقة فى سلسلة مقالات كتبها هوار M. C. Haurt موسومة بـ « الكتابات العربية فى آسبة الصغرى Epigraphie Arabe d'Asie Mineure » فى مجلة الساميات Revue Sémitique سنة ١٨٩٤ من ٦١ و ١٢٠ و ٢٣٥ و ٣٢٤ وسنة ١٨٩٥ من ٧٣ و ١٧٥ و ٢١٤ و ٣٤٤ . وفى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٩٠١ المجلد الاول و ٣٤٣ وكذلك فى المقال الموسوم Monuments Seljoukides de Sivas etc.

الانثار السلجوقية فى سياراس لكتابه كرنار M.F. Grenard المنشور فى المحلة الآسيوية لسنة ١٩٠٠ العدد الثانى من ٤٥١ وانظر أيضا بحث البروفسور رسمى مع ملاحظات فيه للسرى . ولسن C. Wilson وغيره فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر ايلول ١٩٠٢ من ٢٥٧ -

الفصل العاشر

بلاد الروم^١ «تتم»

الامارات التركمانية العشر - ابن بطوطة والمستوفي - قيسارية وسيواس - سلطان
المراق - امير قرمان - قونية - امير نكة والعلابا وانطالية - امير حميد
واكريندور - امير جرميان وكوتاهية وصورى حصار - امير منتشا
وميلاس - امير آيدين والفسوس وازمير - امير صاروخان
ومفتيسية - امير فراصى وبرعاس - الولاية
العثمانية وبرصى - امير قزل احمدلى :
صنوب (سينوب) *

تتفق حدود الامارات التركمانية العشر فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
وحدود المقاطعات اليونانية القديمة فى آسية الصغرى • وهذه الامارات هى :
قرمان أو قرمان أكبرها وهى ليقونية القديمة (Lycaonia) • وعلى ساحل بحر
الروم : نكة وتشتمل على ليقية (Lycia) وبمفيلية (Pamphylia) • وفى
الداخل : حميد وتضم بسيدية (Pisidia) وايزورية (Isauria) معا • وكرميان
أو جرميان وتطابق فريجية (Phrygia) • وعلى ساحل البحر الاسود : قزل
احمدلى ويقال لها أيضا اسفنديار وكانت بلفغونية (Paphlagonia) • وعلى
السواحل الايجية : منتشا وهى كارية (Caria) القديمة • وآيدين وصاروخان

مما تطابقان مملكة ليدية (Lydia) • وفراصي كانت ميسية (Mysia) وأخيرا الولاية العثمانية (وهى للعثمانيين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) وكانت فى أول أمرها مقاطعة فريجية ابيكتس (Phrygia Epictetus) وفى طهرها أراضى بيشية (Bythia) العالية التى انتزعها العثمانيون أخيرا من يد الروم •

وفد انتهى الينا عن حال آسية الصغرى فى أيام الامراء التركمانيين أخسار غربية جدا دوتها ابن بطوطة المغربى فى رحلته ، وكان قد نزل فى العلايا فى منصرفه من الشام وزار فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) كثيرا من الامراء الصغار فى طريقه الى صنوب (Sinope) • ومنها قطع البحر الاسود الى القرم ، ويبدو ان قسما من وصفه قد ضاع يا للأسف • سافر ابن بطوطة من العلايا محاذيا ساحل البحر الى أنطالية ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحيرة اكريدور ومنها توجه الى لاذق (Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا • ثم قطع آسية الصغرى بطريق منحرف الى قونية وقيسارية فسيواس وارزن الروم • ومن بعد ذلك يعترى حديث رحلته نقص : اذ ان المدينة التالية التى ذكرها كانت بركي فى آيدين • ومنها زار اياسلوق (افسوس Ephesus) • وأخيرا اتجه ابن بطوطة صوب الشمال فالشرق فمرّ فى طريقه بمدينة برصى وغيرها من المدن حتى انتهى الى صنوب فى ساحل البحر الاسود • وقد زاد معاصره المستوفى ، فى ما كتبه عن جغرافية بلاد الروم ، بعض التفصيل على ما وصفه من مدن • على ان المستوفى ، وان كتب فى سنة ٧٤٠ (١٣٤٠) ، فقد اعتمد على مراجع قديمة • فكانت أخباره تصف حال بلاد الروم فى أواخر عهد السلاجقة أكثر مما تصف حال تلك البلاد حين وطد الامراء العشرة سلطانهم فيها •

وفى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) كانت غارة تيمور على آسية الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسا على عقب الى أجل ما ، وردت الدولة العثمانية الحديثة النشأة على أعقابها زهاء ربع قرن ، وما أورده علي اليزدى عن حروب تيمور وسّع علمنا بهذه البلاد • وهناك تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

التركي • وهذا السفر وان دون في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، حيث كانت الدولة العثمانية قد وطدت أركانها في آسية الصغرى منذ عهد بعيد ، فانه ذكر أهم ما خلفه سلاطين آل سلجوق من آثار •

وقبل ان نصف الامارات العشر التركمانية ، وقد نوهنا باسمائها آنفا ، بحسن بنا ان نذكر شبا عن المدن التي في شرقي قرامان ، وهي التي قد يعينها المجرى الاسفل لنهر هلس (فزل ايرماق عند الترك) وبكملها خط بتجه جنوبا الى جبجان • كانت آسية الصغرى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مما يلي شرق هذا الحد من مملكة الاليلخانيين ، وهم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق وفارس • وكانوا يولون عمالهم على هذه البقاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدوية الصغيرة التي حلت في هذه البلاد بعد الفتح المغولي العظيم • وكانت أهم المدن في شرف حدود فرامان : قيصرية (وتكتب أيضا قيسارية وهي Caesarea Mazaka في القباذق) وقد كانت في زمن بنى سلجوق ثاية مدن الروم ، وعدّها القزويني قاعدة ملكهم • ويرى فيها فيما يرى من المقامات : جامع (ابي محمد) البطال ، بطل العهد الاموى • ووصف المستوفى قيصرية بان حولها شورا من حجر بناء السلطان علاء الدين السلجوقي • وكانت مدينة عظيمة محصنة عند لحف جبل ارجاست (Argaeus) • وذكر المسنوفى ان ارجاست كان جبلا شامخا لا يفارق الثلج قمه • وينحدر منه أنهار كثيرة • وفي لحفه : دولو (Davlû) • وهو موضع سيأتي ذكره • وفوق قمة الجبل بيعة عظيمة • وفي قيصرية « موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفية » من ابناء الامام علي • ولما زار ابن بطوطة قيسارية (وقد كتب اسمها بهذا الوجه) « كان بها عسكر اهل العراق » من عساكر السلطان المغولى • وكانت قيصرية في مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أولى المدن الكبرى التي استولى عليها جيش تيمور في آسية الصغرى •

وابلستين (ارابيسوس Arabissus) في شرق قيصرية • وهي من مدن الثغور في أيام الروم • وقد ذكرت أيضا في فتوح تيمور • قال المستوفى ان ابلستين مدينة لا كبيرة ولا صغيرة • وذكرها صاحب جهان نما بالتهجئة الحديثة

« البستان » • وكانت قير شهر (وهى جستيانوبوليس موكيسوس Justinianopolis Mokissus) الرومية على نحو ثمانين ميلاً غرب قيصرية ، وكانت ذات شأن ، وكثيراً ما ورد ذكرها فى أخبار حروب تيمور • ووصف المستوفى قير شهر بانها مدينة كبيرة ذات مبان جميلة • وعدها صاحب جهان نما من مدن قرامان • وكانت اماسية أو اماسية (Amasia) فى عهد السلاجقة من مراكز حكوماتهم • وروى المستوفى ان السلطان علاء الدين قد احدثها • ووصفها ابن بطوطة ، وقد مرّ بها ، بقوله انها « مدينة كبيرة حسنة وهى فسيحة الشوارع والاسواق ذاب أنهار وبساتين وعلى أنهارها التواعير تسقى حنائها ودورها • ومملكها لصاحب العراق • وبفرب منها بلدة سونسى (كتبها جهان نما بصورة صونيسا) « وبها سكنى أولاد ولى الله تعالى ابنى العباس احمد الرفاعى » • وفى شمال اماسية : لاذق (Laodicea Pontica) وهى موضع ذو شأن بيد السلاجقة • وكثيراً ما ذكرها ابن بيبى فى تاريخه • ووصف المستوفى ميناء سمسون (أو صامصون وهى اميسوس Amysos عند الروم) بأنه مرفأً عظيم للسفن • ويحلول النصف الاخير من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) نمت ثروتها بانتقال تجارة سنوب (أو صنوب Sinope) اليها وهى المباء الذى كان قبلها^(١) •

وكانت نيكسار (أو نكبسار وهى Neo-Caesarea اليونانية) مدينة جليلة خاضعة للسلاجقة • وكثيراً ما ورد ذكرها فى ابن بيبى • وقد وصفها المسنوفى بانها مدينة وسطة حولها بساتين تكثر فيها الفواكه • وكانت توقات (وتكتب أيضاً دوقاط) فى غرب نيكسار على طريق اماسية • وكانت من الحكومات العظيمة التابعة لبني سلجوق • وبليها فى الغرب : زيلة وقد ذكرها ابن بيبى ومن جاء بعده من المصنفين • وأحدث السلطان علاء الدين مدينة سواس (Sebastia) على نزل ايرماق (هلس Halys) وقد شيّد أبنيها الجديدة كلها بالحجارة المهندمة • وروى المستوفى ان الموضع كان مشهوراً بشباب الصوف التى تحمل

(١) الغزوينى ٢ : ٣٧١ • ابن بطوطة ٢ : ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٢٩٢ : ابن بيبى ٢٦ و ٣٠٨ : المسنوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ : على البردى ٢ : ٢٧٠ و ٤١٦ و ٤١٧ : جهان نما ٥٩٩ و ٦١٥ و ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

منها • وهى ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح • وتكلم ابن بطوطة على سيواس فقال هى « من بلاد ملك العراق وأعظم ما له بهذا الاقليم من البلاد ، وبها منزل أمرائه وعماله • مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسوافها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة » •

ووصف المستوفى الطريق المضارب غرباً^(٢) من سيواس الى بلاد فارس وهو كما يأتى : مرحلتان الى زاره ، وهى مدينة قليلة الشأن • ثم مرحلتان الى آق شهر (المدينة البيضاء) وقد تردد ذكرها كثيراً فى أخبار السلاجقة • وفى شمال غربى آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) وقد أكثر ابن بيبى من الاشارة اليه وسماه قره حصار دولة تميزا لهذا الحصن - الذى أشار اليه أيضا المستوفى - عن حصن آخر بالاسم ذاته • وسماه جهان نما قره حصار شين نسبة الى معدن الشب على مقربة منه • ومن آق شهر يتجه الطريق الى بلاد فارس فيبلغ ارزنجان فى ثلاث مراحل ، ومنها مثل ذلك الى ارزن الروم ، ثم يتجه جنوبا الى خنوس (خوناس كما كنه ابن بيبى ، وخنس اسمها الحالى) وهو ثلاث مراحل • ومنها عشر مراحل الى ملاسجرد (منزكرت) وهذه على ثمانى مراحل من ارجيش القائمة على بحيرة وان^(٣) •

كانت اماره قرمان أو قرامان ، أكبر الامارات العشر • وانما سميت بذلك نسبة الى القبيلة التركمانية التى حلت فى هذه الارزاء • وكانت قاعدتها لارندة وقيل لها قرمان أيضا نسبة الى الامارة • وبرقى زمن لارندة الى أيام الروم • وصفها ابن بطوطة ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وكتب اسمها بصورة اللارندة فقال « مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين » • وفى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور ونهبتها ، الا انها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول • والى جنوب لارندة مدينة ارمناك ، وقد تكام عليها المستوفى وقال انها كانت فيما مضى مدينة كبيرة ولكنها انحطت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فصارت مدينة

(٢) الصواب « شرقا » على ما هو واضح (م) •

(٣) ابن بيبى ٢٦ و ٢٩٢ و ٣٠٨ ؛ ابن بطوطة لا : ٢٨٩ ؛ المستوفى ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤

و ١٩٩ ؛ جهان نما ٤٢٤ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

أقلية • ونوّه بها جهان نما حين ذكره سلفكة وكان العرب يسمونها قبلا سلوقية (Seleucia of Cilicia) • ودخلت هذه المدينة في أيام العثمانيين ضمن الولاية المسماة ايج ايلي ومعناها بالتركية « الأرض الداخلة » • ولما كان هذا الوصف لا يتفق هو ووضع الولاية المبحوث عنها ، اذ انها تحاذى الساحل ، ظنّ ان ايج ايلي ليس الا تصحيفا منقطعاً من الاسم اليوناني القديم لقبية Cilicia .

وكانت قونية (Iconium) على ما بينا دار ملك السلاجقة • ولكنها في عهد امراء قرامان تضام شأنها فصارت مدينة في المرتبة الثانية وروى المستوفى انه كان فيها ايوان عظيم في القصر الذي بناء السلطان قليج ارسلان وهو باني الحصن أيضا • ثم بنى علاء الدين ، أو استحدث ، أسوار المدينة بالحجارة المقدودة وجعل علوها ثلاثين ذراعا واطاف بها خندقاً عمقه عشرون ذراعا • وكان محيط الاسوار عشرة آلاف خطوة وفيها اثنا عشر باباً جعل فوقها أبراجاً عظيمة • ومدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها • واختزنه في صهريج عظيم تعلوه قبة عند أحد أبواب المدينة • ومنه كان يخرج ثلثمة قناة ونيف توزع الماء بين سائر انحاء المدينة • واشتهرت قونية بساتينها التي يكثر فيها المشمش الاصفر وينمو في مزارعها القطن والقمح •

وذكر المستوفى ، الى ما تقدم ، ان الخراب كان غالباً على قونية في أيامه وان بقي الرض الذي في أسفل الحصن أهلاً بالسكان • وكان في المدينة تربة الشاعر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي ، وقد مرّ ذكره • ويزورها كثيرون • ورأى ابن بطوطة هذه التربة • وأشاد بقونية فقال انها « مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والانهار والساتين والعواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين ويحمل منها أيضا الى الشام • وشوارعها متسعة جدا وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صاعقة على حدة » • وذكر ابن بيبي في تاريخه عن السلاجقة اسماء ثلاثة من أبواب قونية ، هي : باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) وباب دار الفحص (دروازه جاشنى گیر) وباب جسر احمد (دروازه بول احمد) •

وقلعة قره حصار التابعة لقونية ، لا تبعد كثيراً عن شرق قونية • وقال

- ١٨٢ -

المستوفى ان بهرام شاه قد بناها • ويلبها هرقله (Heraclea) وهو اسم نحرف
فى الازمنة المتأخرة الى اراكليه • وكثيرا ما تردد ذكرها فى جهان نما • وفى شمال
قونية : لاديق سوخته أى لاديق المحروقة (Laodicea Combusta)
وهى Katakekaumena اليونانية) وقد أطلق عليها ابن بيبى قرية لاديق تميزا
لها عن غيرها من المدن التى تسمى (Laodicea (Ad Lycum, Pontica)
وأشار جهان نما الى لوديقية كمبوستة باسم يورغان لاديق وتسمى أيضا لاذقية
قرمان^(٤) •

وفى شمال ولاية قرمان : انكورة (Angora) (انقرا Ancyra اليونانية)
وقد كتبها البلدانون العرب القدماء بصورة انقرة والمؤلفون الفرس والترك
المحدثون إنكورية^(٥) • وصفها المستوفى بقوله انها مدينة ذات هواء بارد يكثر فيها
القمح والقطن والفواكه • وقد اشتهرت فى التاريخ لان فيها تغلب تيمور سنة ٨٠٤
(١٤٠٢) على السلطان بايزيد العثماني وأسره بعد موقعة حامية • وقوشحصار
أو كوج حصار على الحافة الشرقية للبحيرة الملحة الكبرى ، ذكرها المستوفى وقال
انها مدينة وسطية • وقد ورد ذكرها أيضا فى جهان نما • وعلى شىء يسير من شرق
الطرف الجنوبي للبحيرة : آقسرا (القصر الابيض) • بناها السلطان قلعج ارسلان
الثانى فى سنة ٥٦٦ (١١٧١) • وصفها المستوفى بانها مدينة فى ارض كثيرة
الخيرات • وأقصرا (بحسب تسمية ابن بطوطة لها) « يشقها ثلاثة انهار • وداخلها
بساتين كثيرة وفيها الاشجار ودوالى العنب وتصنع فيها (فى المئة الثامنة = الرابعة
عشرة) البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها فى بلد من البلاد • ومنها
تحمل الى الشام ومصر والعراق » • وزاد ابن بطوطة على ذلك ، ان أقصرا فى
أيامه كانت « فى طاعة ملك العراق » •

وعلى نحو خمسين ميلا شرق آقسرا : ملنقوبية (ملكوبية Malacopia)

(٤) ابن بطوطة ٢ : ٢٨١ و ٢٨٤ ؛ المسنوفى ١٦٢ و ١٦٣ ؛ عل اليزدى ٢ : ٤٥٨ • جهان نما
٦١١ و ٦١٥ و ٦١٦ ؛ ابن بيبى ٨ و ٩ و ٢٨٧ و ٣٢٤ •
(٥) فى معجم البلدان (مادة القرة) القرة : هو فيما يلفنى اسم للمدينة المسماة انكورية (م) •

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) • والى شمال هذه المدينة : قرا حصار أخرى • وصفها المستوفى بانها من أعمال نيكدة • والى شرق هذه المدينة أيضا : دولو (وجاء أسمها فى جهان نما بصورة دوه لو) • وهى على ما بينا تقوم عند لحف جل ارجاست وقد ورد ذكرها غير مرة فى تاريخ ابن يبيى فى كلامه على قيصرية • ووصف المستوفى دولو بانها مدينة وسطية ، جدد السلطان علاء الدين السلجوقى بناء أسوارها • وفى جنوب ملقوبية : نيكدة (وكتبها ابن يبيى نيكده) وقد قامت فى موضع طوانة القديمة (تيانة Tyannah) بنها السلطان علاء الدين • وصف المستوفى نيكدة بانها مدنة لا كبيرة ولا صغيرة • وقد مرّ ابن بطوطة بمدينة نكددة (على ما سماها به) وقال ان بعضها قد خرب وانها من بلاد ملك العراق ويشفها النهر المعروف بالنهر الاسود وعليه ثلاث قناطر ، وعليه السواير ومنها تسقى البساتين والفواكه بها كبيرة ، وفى جنوب نكددة : لؤلؤة (لولون Loulon) وكثيرا ما ذكرها ابن يبيى • وقد بينا انها قلعة عظيمة فى الطرف الشمالى من درب أبواب قليفة • وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى لؤلؤة فقال هى مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة^(٦) •

والظاهر ان أهم المدن فى بلاد امير تكة : مدنتا العاليا وانطالية وهما ميناءان مشهوران • فالاولى ، على ما بينا ، اسسها السلطان علاء الدين السلجوقى فوق كوراكسيوم (Coracesium) وقد نزلها ابن بطوطة حين جاء من الشام سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) فوصف العاليا بانها مدنة كبيرة على ساحل البحر ولها تجارة مع الاسكندرية ولها قلعة صعد اليها ابن بطوطة ووصفها بقوله « لها قلعة باعلاها عجيبة منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين » • وكانت العاليا فى أيامه على ما يظهر من بلاد سلطان قرمان •

أما أنطالية ، وهى الميناء الثانى ، فكانت على نحو مئة ميل من غرب العاليا عند رأس الخليج • وقد اشتهرت بان الصليبيين كانوا يبحرون منها الى فلسطين •

(٦) ابن يبيى ٥ و ٣٤ و ٤٤ و ٢٧٩ و ٣١٤ ؛ ابن بطوطة ٢ ، ٢٨٥ و ٢٨٦ ؛ المسعودى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ ياقوت ٤ ، ٦٣٥ ، علو اليروى ٢ ، ٤٢٩ ؛ جهان نما ٦١٧ و ٦٢٠ •

وهى بلد كبير عده ياقوت « من مشاهير بلاد الروم وهى حصن على شط البحر واسع الرستاق كثير الاهل » وفيها بنى السلطان قلعج ارسلان السلجوقى قصرا له فوق نشز من الارض يطل على البحر • ووجد فيها ابن بطوطة أيضا ان « كل فرقة من سكانه منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى : فتجار النصارى مآكون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور • واليهود فى موضع آخر وعليهم سور • وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة • » وانطالية ، وهى التى ورد اسمها فى أخبار الحروب الصليبية بصورة ستالية (Satalia) أو اتالية (Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا فى حروب تيمور لك باسم عدالية • وفى غربها ، على ما ذكر علي اليزدى ، استانوس • وهى مدينة ذكرت فى جهان نما بصورة استناز^(٧) •

وفى شمال تكه كان لامير اماره حميد البلاد التى حول البحيرات الرابع : اكريدور وبردور وبقشهر وآقشهر • وكانت دار المملكة فى أيام السلاجقة ، على ما جاء فى ابن بيبى ، فى مدينة برغلو وهى تطابق الوبولو الحديثة على ما يظهر (فى غرب اكريدور) وهى سوزوبوليس (Sozopolis) أو ابولونية (Apollonia) عند الروم • وانطاكبة (Antioch of Pisidia) ، وكثيرا ما ذكرتها التواريخ الاسلامية القديمة ، قد اضحى اسمها فى العهد التركى يلاواج • وكانت فى البرية بين بحيرتى اكريدور وآقشهر • والظاهر ان أهم مدن هذه الولاية فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، على ما جاء فى المستوفى ، اكريدور وهى مدينة بروسته Prostanna القديمة (فى جنوب بحيرة اكريدور • ووصف ابن بطوطة مدينة اكريدور بقوله « مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين (ثم قال :) ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها الى آقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى » التى على شطآن هاتين البحيرتين • وكانت مدينة بقشهر أو بى شهر (وهى كرلية Karallia عند الروم)

(٧) ورد فى العهد الجديد من الكتاب المقدس ذكر اتالية لى سفر الاعمال ١٤ : ٢٥ • ياقوت ١ : ٣٨٨ : ابن بطوطة ٢ : ٢٥٧ و ٢٥٨ : جهان نما ٦١١ و ٦٣٨ و ٦٣٩ : على اليزدى ٢ : ٤٤٧ و ٤٤٩ •

- ١٨٥ -

عند طرف بحيرتها وقد بناها السلطان علاء الدين السلجوقي على ما جاء في جهان نما • ولها سور من حجر فيه بابان وفيها مسجد جامع وحمامات حسنة وسوقها في موضع يسمى آلرغة • وإلى غرب اكريدور مدينة بردور على بحيرة بردور وهي بلدة صغيرة • قال ابن بطوطة انها كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق • وجاء في جهان نما ان اسارطة وهي في جنوب اكريدور كانت قاعدة حميد في الازمنة الماضية • وكتب ابن بطوطة هذا الاسم بصورة سبرتا • وقال انها • بلدة حسنة العمارة كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شامخ • • وتمثل هذه المدينة مدينة برس (Baris) البرنطية وتعرف اليوم باسم سبارتا^(٨) •

أما بحيرة آقشهر فهي التي سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحة ١٦٧ أعلاه) الباسليون وقد عرفها الروم بحيرة الاربعين شهيدا • وإلى غربها الحصن العظيم قرا حصار • وكثيرا ما جاء اسمه مرتبطا بأقشهر في حروب تيمور لك • وفي آقشهر ، على ما ذكر علي اليزدي ، كان السلطان بايزيد ايلدرم العثماني المنكود الحظ قد مات كمدا في سنة ٨٠٥ (١٤٠٣) وكان تيمور لك قد قهره في انقرة • وذكر المستوفي هاتين المدينتين : آقشهر وقرا حصار في جملة ما عرف من أمكنة بهذين الاسمين • وقرا حصار هذه تعرف اليوم بأفون قره حصار لكثرة ما يزرع فيها من الافيون وهي تعين موضع مدينة بريمنسوس (Prymnessor) أو اكروينس (Akroenos) اليونانية • وتؤكد الروايات المحلية ان البطال ، وهو بطل عهد بنى امية الاول ، في حروبهم مع الروم قد قتل في وقعة جرت بالقرب منها • على ان الطبري ، وهو أقدم مرجع لدينا ، روى في حوادث سنة ١٢٢ (٧٤٠) ان عبدالله البطال « قتل في أرض الروم » ولم يشر إلى موضع مقتله^(٩) •

(٨) سبرتا أو اسبارته هو تصحيف الاسم اليوناني (eis Bápion) انظر الحاشية في ص ١٩٠ عن أرميد وازبى (نيقوميديا ونيقية Nicaea ، Nicomedia) •
(٩) ابن بيبى ٥ و ٢١٢ و ٢٥١ و ٢٨٣ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٦٥ و ٢٦٦ ؛ المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ ؛ جهان نما ٦١٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ ؛ علي اليزدي ٢ : ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٨٩ و ٤٩٢ رمسى HGAM ٨٧ و ١٣٩ و ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٦ ؛ الطبري ٢ : ١٧١٦ •
ورد في جهان نما (ص ٦٤٢) ان قبر البطال كان قائما في المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في سيدى عازى على نيف وخمسين ميلا شمال قرا حصار وشرق كوتاهية • اما اليوم فانه

وفى شمال اماره حميد وغربها ، البلاد التى كان يحكمها أمير كرميان أو جرميان وكانت دار حكومته كوتاهية (كوتيوم Cotyaenum) • وكتب المؤرخون العرب هذا الاسم ، على ما بينا ، قطيعة ولا مراة ان المدينة البنزنية قد خربت منذ زمن بعيد • وجاء فى جهان نما ان الذى بنى كوتاهية مدينة القرون الوسطى هو سلطان جرميان • وأشار ابن بطوطة الى ان فيها طائفة من قطاع الطرق • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر هذا الموضع كثيرا فى حروب تيمورلنك وكان قد جعله مقر فيادته بمضى الوقت • وفى شرق كوتاهية بمئة ميل قرب روافد سنكاربوس (Sangarius) الحلا حصن عظيم يقال له سورى حصار اتخذه تيمور أيضا مركزا لقيادته وقاما • ومعنى اسمه فى التركية « الحصن المدب » ، (وكتبها القزوينى بصورة سبرى حصار) ، وكان فوق موضع بسينوس (Pessinus) الرومانى الذى سمي بعدئذ جستينانوبوليس بالبـا (Justinianopolis Palia) • وروى القزوينى انه كان فيه فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة مشهورة تسمى بعة كمنانوس • « وان الدابة اذا اخبس ماؤها يطاف بها حول هذه البيعة سبعا ينفج ماؤها » •

والى جنوب سورى حصار : مدينة عمورية (Amorion) وهى عند أسوار قلعة الحديثة (وقد تكلمنا عليها قبلا (ص ١٧٠) • وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) أشار المستوفى اليها بقوله انها موضع ذو شأن وان عامة الناس كانوا يسمونها ، لسبب مبهم ، أنكورية أو انكوره (Angora). وكرر جهان نما هذه التسمية الغريبة المخلوط فيها وقال ان انكورية هى التى يقال لها عمورية • وفى جنوب شرقى جرميان ، مدينة لاذق (Laodicea ad Lycum) التى سمّاها الاتراك دنزلو (المياه الوافرة) لكثرة انهارها ويعرف هذا الموضع اليوم باسم اسكى حصار (القلعة القديمة) وقد وصفها ابن بطوطة فقال « هى من أبعد المدن واضخمها

يرى فى مير شهر • اما انطاكية بسيدية (Antioch of Pisidia) فيظهر ان التواريخ العربية القديمة تميل فى كل وقت الى خلطها بمواضع أخرى بالاسم ذاته ولا سيما بالانطاكية الشام • وقد أشار اليعقوبى فى تاريخه (١٧٧٠) الى انطاكية المحترقة التى تفسر على ما يظهر معنى انطاكية بسيدية • وتكلم المؤلف نفسه (٢٨٥ . ٢) على غزوة وقعت فى سنة ٤٩ (٦٦٩) • ثم ذكر « انطاكية السوداء » ولعله أراد بهذا الاسم Antioch of Isuria انطاكية ايزورية •

فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة وأسواقها حسان • وتصنع بها ثياب قطن معلمة بالذهب لا مثل لها وأكثر الصنائع بها نساء الروم • وقد ذكر جهان نما ان اسمها القديم : لاذقية^(١٠) •

وفي اماره أمير المنتشا ، زار ابن بطوطة المدن المتجاورة الثلاث : مغلة وميلاس وبرجين وكان مقام الامير في مغلة (مبله Mobollu القديمة) وهي دار حكمه على ما جاء في جهان نما • وقد أشار ابن بطوطة الى انها مدينة حسنة • وكانت ميلاس (Mylasa أو Melisou) أيضا مدبنة من أحسن بلاد الروم واضخمها ، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه • وكانت برجين (Bergylin) ونعرف اليوم اسارلك) على بضعة أميال من ميلاس « وهي جديدة على تل هالك بها العمارات الحسنات والمساجد » • وزار ابن بطوطة في القسم الشرقي من المنتشا مدينة قل حصار وقد ذكرها المسنوفى باسم « گل » وقال فيها انها مدبنة وسطه • وأشير اليها أيضا في حروب تيمور • ووصفها ابن بطوطة فقال « بها المياه من كل جانب فد نبت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر مهأ ما بين القصب والمياه ، والمدينة على تل في وسط الماء منعة لا يُقدر عليها » • وكان في شمال المنتشا حصن طواس ويسمى في وقتنا هذا دوناس (Donas) وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق (Tnodicen ad Iyennu). وصف ابن بطوطة طواس بأنه حصن كبير في اسفله ربض • ويقال ان مُصهيا الصحابي من أهل هذا الحصن^(١١) •

والى شمال المنتشا بلاد امير آيدين وكانت قاعدتها تيره (Teira) • وحكى ابن بطوطة وقد زار امير آيدين فيها انها « مدينة حسنة ذات انهار وبساتين » • وقد مر أيضا بمدينة بركي (برگيون Pyrgion) على مرحلة من شمال تيره • وقد أطرى أشجارها الباسقة • وتقوم مدينة آيدين أو گزل حصار في موضع

(١٠) العزوي ٢ : ٣٥٩ ، ابن بطوطة ٢ : ٢٧١ و ٢٧١ و ٤٥٧ ، المسنوفى ١٦٢ ، على اليردى ٢ : ٤٤٨ و ٤٤٩ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٤٣ •
(١١) ابن بطوطة ٢ : ٢٦٩ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ المسنوفى ١٦٣ ؛ جهان نما ٦٣٨ ؛ على اليردى ٢ : ٤٤٨ •

ترليس (Trallein) البنظية وكانت مدينة قليلة الشأن • وكانت أفسس على الساحل، وقد عرفها البلدانون العرب باسم افسوس أو أبسوس • واشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم فى القرآن (السورة ١٨ ، الآية ٨) • وقد عرفت هذه المدينة بعد ذلك باسم ايا سلوق (وتكتب أيضا اياثلوخ أو اياسلينج) وهو تصحيف الاسم اليونانى (Agiou Theologou) وسميت بذلك لان فيها كنيسة كبيرة للقدس يوحنا اللاهوتى بناها الملك يسطينيائس • وقد زار ابن بطوطة هذه الكنيسة حين كان هاك سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ووصفها بقوله « مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها ، منحوتة ابداع نحت • والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبداع مساحد الدنيا لا نظير له فى الحسن وكان كنيسة للروم • فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا جامعا ، وحيطانه من الرخام الملون ، وفرشه الرخام الابيض ، وهو مستقف بالرصاص ، وفيه احدى عشرة قبة منوعة • وزاد ابن بطوطة على ما تقدم انه كان لأيسلوق فى أيامه خمسة عشر بابا ، ونهرها يشقها الى البحر • « وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاحناس ودوالي الغنب ومعرشات الياسمين » •

وكان فى آيدبن مساء عظيم آخر هو سمرنة (Smyrna) وسمّاه الترك أزميز أو يزمر وهى التى ظفر بها تيمور من الفرسان الاسبالية فى مطلع المثة التاسعة (الخامسة عشرة) • وصفها ابن بطوطة ، وكان فيها سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، فقال « معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها » • وزاد على ذلك ان امير آيدبن « كان كثر الجهاد ، له احفان غزوية^(١٢) يضرب بها على مدن نصرانية فى سواحل البحر قرب ثر آيدبن يسبي ويفهم » • ومن هذه المدن : فوجة « أو فوجة وهى فوجية (Phocia) على ساحل اماره صاروخان ، فقد ذكرت بعد ذلك فى أيام تيمور لك بانها حصن اسلامى • وذكر ابن بطوطة فى رحلته انها كانت حيثذ فى ايدى الكفار ، والمراد بهم الجنوبيين (أهل جنوة) • وكانت قاعدة صاروخان مدينة مغنيسية (مغنيسيا وهى Magnesia) قال ابن بطوطة فيها « هى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه » •

(١٢) الاحفان ضرب من السفن (م) •

وفيهما يقيم أمير صاروخان • وفى حروب تيمور اطلق على البلاد التى حول مفتي
سياه (بحسب تهجئة ذلك الزمن) اسم سروهان ايلي^(١٣) •

وفى شمال صاروخان بلاد امير قراصى (أو قره سى) وله داران للحكم
فى بلي كسرى وبرغمة (برگامس Pergamus) • ووصف ابن بطوطة برغمة
وقد زارها فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها « مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة
بأعلى جبل » • اما بلي كسرى ، وقد زارها أيضا ، فكانت « مدينة حسنة كثير العمارة
مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه » ، وان كان سلطان قراصى ديمور (أو تيمور)
خان يعبش فيها • وأبوه هو الذى بنى بلي كسرى • • وكثر ذكر هذه المدينة فيما
بعد أيام حروب تيمور •

ومن بلي كسرى سار ابن بطوطة الى برصى وقد كانت فى أيامه قاعدة
الدولة العثمانية حين أخذ نجمها يتألق وسطوتها تقوى وبدأت تبلى الامارات
التركمانية الأخرى • وكانت برصى أو بروسة (Prusa) فى ذلك
الزمن « مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفها البساتين من
جميع جهاتها والعيون الجارية • وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب فى بركة
عظيمة وقد بنى عليها بيتان احدهما للرجال والآخر للنساء • والمرضى يستشفون بهذه
الحمة ويأتون اليها من أقاصى البلاد » • وقد زار ابن بطوطة سلطانها العثمانى
اورخان (وهو جد بايزيد ايلدرم) وقد مرت الاشارة الى تغلب تيمور عليه فى مطلع
القرن التالى) • وفى عاصمته من المباني قبر ابيه السلطان عثمان بمسجدها • وكان
مسجدها كنيسة للنصارى •

وكانت ميخاليج (ميلتوبوليس Miletopolis) ، وقد سمّاها الروم
Michaelitze) على نحو خمسين ميلا غرب برصى • وقد ورد ذكرها كثيرا
فى حروب تيمور وفى جهان نما • على ان أهم بلاد العثمانيين سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)

(١٢) ابن بطوطة ٢ : ٢٩٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١١ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٦٦ و ٤٦٨ و ٤٧٠
و ٤٨٠ ؛ جهان نما ٦٣٤ و ٦٣٦ و ٦٣٧ ؛ رسمى HGAM ١١٠ و ٢٢٨ ؛ ياقوت ١ : ٩١ و ٢ : ٨٠٦ •
لقد تكللت على حكاية اصحاب الكهف فى افسوس فى كتابى
Moslems ص ٢٧٤ •

هى نيقية التى أخذها السلطان اورخان من الروم وكان البلدانيون العرب الاولون
سمون Nicaea : نيقية ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو ازنيق . ووصف ابن
بطوطة بحيره يزنيك فقال انها « تنبت القصب » . وفى طرفها الشرقى مدينة يزنيك
« لا يستطيع دخولها الا على طريق واحد مثل الحسر لا يسلك عليها الا فارس
واحد » . والمدينة على قوله « خاوية على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون
وبداخل المدينة البساتين . وعليها أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء
ويدخل اليها على جسور خشب » . والى شمال نيقية : نيقوميدية (Nicomedia)
وقد عرفها اللدانيون العرب الاولون باسم نيقومودية ، وسماها الترك ازنيكيد .
وبهذه الصورة ورد اسمها فى جهان نما ثم اخصر الى ازمد وهو ما تعرف به
اليوم ولم يصف هذه المدينة ابن بطوطة ولا غيره من المصنفين^(١٤) .

وكانت امانة قزل احمد لى تشرف على ساحل البحر الاسود مما يجاور
البوسفور الى سبوب . وأول مدينة كبيرة بلغها ابن بطوطة فى رحلته من يزنيق
بعد عبوره نهر سنكاربوس الذى يسميه الترك سقري كانت : مطرنى أو مدرنى
(مدرلو الحديثة وهى Modrene القديمة) وقد ذكر انها بلدة كبيرة . وجاء
ذكرها فى جهان نما أيضا . ووصف ابن بطوطة مدينة بولى (كلودوبوليس
Claudiopolis) وهى فى شمال شرقى مطرنى فقال : « بالقرب منها واد ليس
بالصغير . وكانت كردي بولى على مرحلة من شريقها » وهى مدينة كبيرة فى بسيط
من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق وهى محلات متفرقة كل محلة
تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم » . وكانت كردي بولى فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)
مقام الامير ، والظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى .

(١٤) ازنيكيد تصحيف للاسم البيزنطى eis Nikomeoeian وارنيق تصحيف eis Nikaian

ابن بطوطة ٢ : ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٢ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٦٦ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٥٦ و ٦٦١
و ٦٦٢ ؛ رسمى HGAM ١٧٩ .

والصورة التى وصف بها ابن بطوطة السلطان اورخان مؤسس الفرقة المشهورة بالبيجيرة عربية
حدا فقد قال ابن بطوطة « هذا السلطان اكبر ملوك التركمان واكثرهم مالا وبلادا وعسكرا له من
الحصون ما يقارب مئة حصن وهو فى اكثر اوقاته لا يزال يطوف عليها ويعيم بكل حصن منها اناما .
ويقال انه لم يعم قط شهرا كاملا ببلد وساتل الكفار ويحاصرهم » .

وفى القسم الشرقى من الولاية : قصطمونية (أو قصطمونى وأصلها قصطمون) وقد ذكر المستوفى انها مدينة وسطية • وذكرها ابن بطوطة فقال انها « من أعظم المدن » التى زارها فى آسية الصغرى • « وهى كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار » • وفى شمال شرقها ميناء صنوب الكبير (سينوب وهو سينوپ Sinope). ومنها ابجر الى القرم • وقد علمنا من وصفه لصنوب انه « يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهى جهة الشرق • ولها هنالك باب واحد ، وهى مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحصين • والمسجد الجامع بمدينة صوب من احسن المساجد فيه قبة تقلتها ارجل من الرخام • وبها قبر الولي الصالح بلال الحسى » اول من أذن للصلاة فى الاسلام •

وعلى خمسين ميلاً جنوب قصطمونى : المدينة البرنطية گنگرة جرمانيكوبوليس (Gangra Germanicopolis) وقد ستمها الترك كانقرى • وورد اسمها فى التواريخ العربية القديمة بصورة خنجرة • وغزا المسلمون فى أيام الخليفة هشام الاموي بلاد الروم وتوغلوا فيها حتى بلغوا مدينة خنجرة • وقال القزوينى ، وقد أورد الاسم بصورة غنجرة : « بها نهر يسمى المقلوب لانه آخذ من الجنوب الى الشمال بخلاف سائر الانهار » • وزاد على ذلك ان فى سنة ٤٤٢ (١٠٥٠) « وقعت زلزلة هائلة سقط منها أبنية كثيرة » ولم يبق لها أثر^(١٥) • وللإحاطة فى ذكر مدن امارة قزل أحمد لى ، بحسن بنا ان نذكر ما سماه صاحب جهان نما بـ « كوج حصار » وهى فى نحو نصف الطريق بين فصطمونى وكانقرى • ولعلها هى قوشحصار نفسها عند المستوفى ، وقد مرت الاشارة اليها (ص ١٨٢) • ويعينها هناك المدينة التى بالاسم ذاته على البحيرة الملحة العظمى^(١٦) •

فاذا استئينا الطريق من طرسوس الى القسطنطينية (وجاء وصفه فى ص ١٦٦) والطريق من شرق سيواس الى تبريز (ووصف فى ص ١٨٠) ألفينا ان ما

(١٥) مامى المزوينى (ص ٣٦٨) : « سقط منها أبنية كثيرة وحسف هناك حصن وكبسة حتى لم يبق لها أثر » • (م) •
 (١٦) المسوفى ١٦٣ و ١٦٤ : ابن بطوطة ٢ . ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٨ •
 جهان نما ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٢ : يافوت ٢ • ٤٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٨ :
 الطبرى ٢ . ١٢٣٦ •

- ١٩٢ -

دونه اصحاب كتب المسالك عما يخترق آسية الصغرى من طرق لا طائل تحنه •
على ان جهان نما^(١٧) ذكر عددا من المسالك التى تنفرع من سبواس وذكر اسماء
ما عليها من قرى ومنازل •
وما زال كثير منها برى فى الخارطة • ومما يؤسف عليه ان ما بينها من
مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال • ومن ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف
هذه الطرق قليل الجدوى •

الفصل الحادي عشر

أذربيجان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - المرافة وانهارها - بسوى واشنه -
مدينة ارمية وسلطاس وخوى ومرند - نخجوان - المناظر على
نهر ارس Araxes - جبل سيلان - اردبيل وآهر -
سفيدرود وروافده - الميانج - خلخال
وفيروزاباد - نهر شمال وولاية
شاهرود .

كان اقليم اذربيجان الجبلى ، ويلفظ اذربيجان بالفارسية الحديثة^(١) ، فى أيام
الخلافة أفل شأنًا مما صار اليه فى أواخر العصور الوسطى بعد الغزو المغولى ، وكان
فى أقدم أدواره متبعدا عن طريق خراسان الذى تسلكه القوافل قاطعا اقليم الجبال
(ماذى) . ومما امعن فى انزال اذربيجان أيضا ، ما ذكر المقدسى من انه

(١) انظر الحارطة ٣ (صفحة ١١٤) وصورة الاسم العديدة فى الفارسية اذرباذاكان فصحفه
اليونان الى اتروپاتنه (Atropatene) . وذكر المقدسى (ص ٣٧٣) ان اذربيجان والران وارميسية
تؤلف اقليما كبيرا واحدا قد سماه اقليم الرحاب تمييزا له عن اقليم الجبال فى ماذى راعليم افور
(الارس المطبنة) فى وادى ما بين النهرين . (انتهى) .
فلنا . وراجع ايضا فى أصل اسم اذربيجان ومعناه . القصد والاستطراد فى أصول معنى
بغداد لوتيق وهبى (تابع الملحق ١ معادل ص ٢٨ وكذلك الصفحة ٣٠) وقد نشر هذا البحث فى
الجزء الاول من مجلة المجمع العلمى المرامى الصادر فى سنة ١٩٥٠ ص ٤٦ - ٩٤ . ومن تكلم على
أصل هذا الاسم ايضا J. M. Kinneir فى كتابه A Geographical Memoir of the Persian Empire, p. 148 (London 1813) (م) .

« يقال ان به سبعين لسانا » ينكلم بها أهل جباله وهضابه • وليس بين مدنه مدينة عظيمة الكر •

وبتأقب الازمان ، علا شأن بعض مدنه فصارت الواحدة بعد الاخرى قصبة الاقليم • فقد كانت قاعدة الاقليم فى صدر العهد العباسى اردبيل أولا ، ثم تبوأ تبرز المقام الاول فى أواخر عهد الخلفاء • ولكن بعد الغزو المغولى أخذت المراغة مكانها ثم استعادت تبرز سابق عزها فى أيام الایلخانين • ولكن نجمها اقل فى أيام الملوك الصفويين الاولين بنهوض اردبيل ثانية • وبعد ذلك الزمن أى فى المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) حين اتخذ الشاه عباس اصفهان عاصمة لبلاد فارس جميعا وانحطت اردبيل ، استعادت تبرز مقامها السابق واضحت المدينة الاولى فى اذربيجان • وما زال على ذلك الى يومنا هذا • فهى الآن أجل مدينة فى القسم الشمالى الغربى من بلاد فارس •

وابرز العوارض الطبيعية فى هذا الاقليم بحيرة ارمية • وهى أوسع رقعة دائمة الماء فى بلاد فارس • اذ يربو طولها على ثمانين ميلا من الشمال الى الجنوب ونحو ثلث ذلك فى أعرض أقسامها • وهى فى غرب نريز • وقد سميت بذلك نسبة الى مدينة ارمية التى على ساحلها الغربى • وتطلق مراجعنا على هذه البحيرة اسماء مختلفة : ففى زند آفسنا سميت چيجستا • واحتفظت الفارسية القديمة بهذا الاسم بصورة چيجست وهو الاسم الذى عرفت به فى الشاهنامه • وقد ظل شائعا حتى أيام المستوفى • وسماها المسعودى وابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة كبودان وهو اسم مشتق من الارمنية ومعناه « البحيرة الزرقاء » (گابويد معناه : ازرق فى تلك اللغة) • واطلق عليها الاصطخرى اسم بحيرة ارمية (وتابعة فى ذلك المقدسى) • وكذلك بحيرة الشراة ، والشراة فرقة من الخوارج كانت تقيم فى شطائها • وقال ان هذه البحيرة مالحة الماء وزاد على ذلك ان فيها مراكب كثيرة تختلف بالنجارة بين ارمية والمراغة وحواليها كلها عمارة وقرى ورساتيق •

وفى وسط البحيرة جزيرة سماها ابن سراييون جزيرة كبودان ، فيها مدينة صغيرة يسكنها الملاحون ، وفى البحيرة سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى • (وخالفه

فى ذلك ابن حوقل فقد قال « ليس فيها دابة ولا سمك » () وفيها دابة غريبة تسمى كلب الماء . وفى الشتاء « يكون أمواج عظام » وتصير الملاحاة محفوفة بالاحطار . وذكر ابو الفداء هذه البحيرة باسم بحيرة تلا - غير ان هذا الاسم لا يدل على شىء معروف . ووصف القزوينى هذه البحيرة فقال « يخرج منها ملح يجلو ، شبه التوتيا » ويحمل منها الى سائر الانحاء . اما المستوفى فقد بينا انه سماها بحيرة جييجست ووصفها أيضا بلفظة « دريا شور » (أى البحيرة الملحة) . وذكرها أيضا باسم بحيرة طروج أو طسوج نسبة الى مدينة ذات شأن على ساحلها الشمالى . وأشار المستوفى وحافظ ابرو الى جزيرة شاها أو شامى التى « تصير شبه جزيرة حين يضل الماء » . وفيها قلعة حصينة على جبل ، وبها مدافن هولاكو وغيره من أمراء المغول . وجاء ذكر حصن شاها فى المثة الثالثة (التاسعة) فان مسكويه حين سرد حوادث الخليفة المتوكل حفيد هرون الرشيد تكلم على شاها ويكدر وهما قلعتان كانتا حينذاك بيد رؤساء الشراة فى تلك الانحاء . وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) جدّد هولاكو قلعة شاها - وقد سماها حافظ ابرو قلعة تلا فى بحيرة أرمية - وجعل فيها أمواله مما نهبه من بغداد وأقاليم الخلافة . ثم صارت هذه القلعة مدفنا له . وكانت تعرف بالفارسية باسم گور قلعة « قلعة القبر » . وحين دوّن حافظ ابرو تاريخه فى أيام تيمور كانت خالية خاوية (٢) .

ومدينة تبريز على نحو ثلاثين ميلا من شرق البحيرة على نهر يصب فيها قرب جزيرة أو شبه جزيرة شاها . ويبدو ان تبريز كانت قرية حتى نزلها فى المثة الثالثة (التاسعة) الرواد الازدى فى أيام المتوكل وبنى بها هو وأخوه وابنه

(٢) بلعل اسم ارمية اليوم عادة اورمية وكذلك حاء فى ابن سريون (المخطوطة - الورقة ١٢٥) .
الاصطخرى ١٨١ و ١٨٩ ، ابن حوقل ٢٣٩ و ٢٤٧ ؛ المقدسى ٢٧٥ و ٣٨٠ ؛ المسمودى ٩٧ ؛ أبو العلاء ٤٢ ؛ ياقوت ١ : ٥١٣ ؛ القزوينى ٢ : ١٩٤ ؛ المسنوفى ٢٢٦ ؛ حافظ ابرو ١٢٧ ؛ مسكويه ٥٣٩ .

ومى الشاهنامه (تورمکان . کلکتا ١٨٢٩) ص ١٨٦٠ السطر ٤ وص ١٩٢٧ السطر ٦ من الاسفل ينبغى قراءة جييجست بدلا من خنجست (وهو تصحيف) فالتصحيف حصل من الاعجام .

قصورا ، وحصنها بسور فنزلها الناس معه . وأشارت رواية متأخرة الى ان باني تبريز : زبيدة زوجة هرون الرشيد ، غير ان التواريخ القديمة لا تؤيد هذا القول . هذا الى انه لم يرد ما يشير الى ان هذه الاميرة قد رأت اذربيجان . ووصف المقدسي مدينة تبريز في المثة الرابعة (العاشرة) فقال « مدينة حسنة والجامع وسط البلد تجرى خلالها الانهار وتميد في سوادها الاشجار » . وذكرها ياقوت ، وكان فيها سنة ٦١٠ (١٢١٣) ، فقال انها في ايامه أشهر مدن اذربيجان . وزاد الفزويني على ذلك انه « تحمل منها الثياب العتابي والسقلاطون^(٣) والاطلس والنسيج الى الآفاق » . واقتدى الناس مدينتهم حال استيلاء المغول عليها في سنة ٦١٨ (١٢٢١) فنجت بذلك مما أحاق بالمدن التي اكسحها المغول من نهب وسلب . ثم اصبحت بعدهم في أيام الدولة الايلخانية على ما بينا أوسع مدن تلك الانحاء .

وقد اسهب المستوفى في كلامه على تبريز فقال : ان الزلازل دمرتها مرتين ثم أعيد بناؤها بعد كل تدمير وكان ذلك في سنة ٢٤٤ (٨٥٨) و ٤٣٤ (١٠٤٣) وهلك من سكانها في هذه الزلازل اربعون الفا . وبعد أن بنيت حصنت بسور محيطه ستة آلاف خطوة له عشرة أبواب . وظلت على ذلك حتى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) حين شرع غازان خان ببناء ارباض كبيرة في ما يلي سورها القديم ، وحوط هذه الارياض بسور جديد . ولهذا السور ستة أبواب وفي داخله جبل ولبان . وكان محيط السور خمسة وعشرين ألف خطوة . وذكر المستوفى أسماء أبواب تبريز الداخلة والخارجة (والمخطوطات متضاربة في هذه الاسماء) وقال ان غازان خان كان قد دفن في سنة ٧٠٣ (١٣٠٣) في ربض الشام العظيم الذي أنشأه هو . وزاد خلفاؤه على ابنه كثيرا من المساجد الكبيرة وغيرها من الابنية في داخل المدينة وفي الربض الرشيدى في منحدرات جبل وليان . وكان يسقى بساتين تبريز نهر مهران رود ومخرجه في جبل سهند في جنوب المدينة . وكان حول تبريز سبع نواح سمي معظمها باسم النهر الذي يشقه . وسرد المستوفى أسماء

(٣) السقلاطون أو السقلاطوني : ضرب من الثياب ، والكلمة رومية من سقلاطون Sigillatun
وكان فيه صور منقوشة عليه . وقد اشتهرت بغداد بصنعه . والظر « مجلة غرفة تجارة بغداد »
(٤) [١٩٤١] ٨٥٧ - ٨٦٠ . أما العتابي ، فقد مر ذكره في الصفحة ١٠٩ من هذا الكتاب (م) .

هذه النواحي وما جاورها من قرى الا ان قراءة كثير من تلك الاسماء غير موثوق بها . وتكلم ابن بطوطة ، وقد زار تبريز في سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ، فقال : « نزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام » . وزاد ان فيه مدرسة حسنة من بناء قازان خان وزاوية . إلى أن قال « دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد . ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان ٠٠٠٠ واجتازت بسوق الجوهريين فحار بصري مما رأيته من أنواع الجواهر ٠٠٠ ويعرضون الجواهر على الناس ٠٠٠ ودخلنا سوق العنبر والمسك ٠٠٠ ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المعروف بجبلان ، وصحنه مفروش بالمرمر ، ويشقه نهر جار ، وحيطانه بالقاشاني ، وكان بخارجه عن يمين القبة مدرسة وعن يساره زاوية » (٤) .

وفي تبريز نهران : اولهما مهران رود وهو يشق ارباض تبريز والثاني سرد رود (النهر البارد) ويجري إلى الجنوب الغربي وهو كصاحبه منبعه في جبل سهند جنوب تبريز ، ويلتقي النهران بنهر سراو على بعد قليل شمال المدينة . وسراو رود وكان يسمى أيضا نهر سرخاب ينبع في جبال سبلان كوه ، وهي على متي ميل شرقي تبريز وتشرف على اردبيل . وبعد ان يجري نهر سراو متممجا مسافة طويلة مارا بمستنقعات ملحة يأخذ بعضها برقاب بعض ويستقبل كثيرا من الروافد ، يصب في بحيرة ارمية على نحو اربعين ميلا غرب مدينة تبريز . وقد اسهب المستوفي في وصف جلي سهند وسبلان والنهرين اللذين ينحدران منهما وقال ان مدينة سراو أو سراب ، واليها ينسب النهر الذي بهذا الاسم ، على الطريق من تبريز إلى اردبيل . وكان في ظاهرها اربع نواح ، وهي على ما جاء في المستوفي : ورزند^(٥) ودرند وبراغوش وسقهر . وسمّاها البلديون العرب الاولون باسم سراه (عوض سراب) . ووصفها ابن حوقل بانها « مدينة طيبة كثيرة الخير والمير والبساتين والمياه والفواكه والزروع والطواحين ولها أسواق حسنة

(٤) المقدسي ٣٧٨ : ١ ياقوت ٨٢٢ : القزويني ٢ : ٢٢٧ : المستوفي ١٥٣ - ١٥٥ : جهان نما ٢٨٠ : ابن بطوطة ٢ : ١٢٩ .
(٥) نى طبعة لسترنج لنزعة القلوب (ص ٨٦) : رولد - وقد ذكر سقهر عوضا عن سقهر . (م) .

وفنادق نظيفة » • وذكرها ياقوت باسم سراو أو سرو وقال خربها التتر في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) وقتلوا كل من وجدوه فيها • على انها استعادت سابق حالها حين كتب المستوفى بعد ذلك بقرن وقال ان بنها وبين تبريز ثلاثة أيام وبينها وبين اردبيل يومان •

وعلى رافد في الجانب الايسر (الجنوبي) لنهر سراو : مدينة آوْجان أو أُجان وكانت على عشرة فراسخ من تبريز في طريق ميسانه • وصف ياقوت أُجان وكان فيها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) بانها مدينة « عليها سور وبها سوق الا ان الخراب غالب عليها » من فعل المفعول فيها • وقد أعاد غازان بناءها في أيام المستوفى وأقام فيها زمنا ما • وأطلق عليها اسما جديدا هو شهر اسلام (أى مدينة الاسلام) ولها سور ذرعه ٣٠٠٠ خطوة من حجارة وجص • وكانت نواحيها وافرّة الحيرات يكثر فيها القطن والقمح والفواكه • ويسمى نهرها آب أُجان ، وينبع في قمة جبل سهند الشرقية • والى جنوب غربى هذا الجبل ، على نحو ستين ميلا من تبريز واربعة فراسخ من شاطئ البحيرة ، القرية الكبيرة داخرقان بحسب تسمية ابن حوقل والبلدانيين العرب لها • وقد كتبها الفرس ديه خوارقان • وأورد ياقوت اسما آخر لها وهو ده نخيرجان وتفسيره « ده : قرية ونخيرجان : صاحب بيت مال (كسرى ملك فارس) » ووصفها المستوفى بانها بلدة صغيرة حولها ضباع وثماني قرى تكثر فيها الفاكهة والقمح^(٦) •

ومدينة المراغة على سبعين ميلا جنوب تبريز على « نهر صافى » وهو ينحدر نحو الجنوب من جبل سهند اليها ثم ينحرف غربا حتى يصل البحيرة • واسم المراغة « من قرية المراغة (قرية المراعي) فحذف الناس القرية وقالوا مراغة » • وكان الفرس يسمونها افراز هروذ • وفي المئة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل المراغة بقوله « المراغة تلى اردبيل فى الكبر » • وقد كانت فى أيامه مدينة اقليم اذربيجان • وزاد على ما تقدم انها كانت فى قديم الايام المعسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية بها فنقلت الى اردبيل • وكانت المراغة مدينة تزده عليها

(٦) الاصطخرى ١٩٠ : ابن حوقل ٢٤٨ و ٢٥٣ : ياقوت ١ : ١٣١ و ١٩٨ : ٢ : ٤٢٥ و ٦٣٦ :

٣ : ٦٤ : المستوفى ١٥٥ و ١٥٨ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٧ و ٢١٨ •

- ١٩٩ -

سور كثيرة البساتين والانهار والفواكه واشتهرت بضرب من البطيخ « مستطيل الخلق قبيح المنظر غاية فى الحلاوة وطيب الطعم » • وقال المقدسى : « لها حصن وبها قلعة ولها ربض » • وقال ياقوت ان هرون الرشيد امر ببناء سورها وتحصينها وقد مرم سورها فى أيام الخليفة المأمون •

واضحت المراغة فى أيام المغول الاولين ، على ما رأينا ، قصة اذربيجان • وصفها المستوفى بانها مدينة عظيمة حولها نواح كثيرة الحيرات ذكر اسماء بعضها • وكانت تسقيها انهار كثيرة • وفى ظاهر المراغة الرصد العظيم الذى بناه الفلكى نصر الدين الطوسى بأمر هولاء وفيه وضع كتابه « الزيج الايلخانى » المشهور • وهذا الرصد ، وما زالت اطلاله ترى هناك ، كان خرابا حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وذكر القزوينى القلعة المسماة روين دز فقال انها « على ثلاثة فراسخ من المراغة وهى بين رباض على بيمينها نهر وعلى يسارها نهر وعلى القلعة بستان يسمى عميد اباذ ومصنع بر الماء من تحنها » • وعلى فرسخ منها قرية جندوق فيها فوارات يحكى عنها عجائب كثيرة •

ونهر صافى يصب فى البحيرة قرب المراغة ، وتختلط مياهه ايام الفيضان بمياه نهر جفتو ورافده تغتو • وذكر المستوفى ان كليهما ينبع فى جبال كردستان • وكان شاطئ البحيرة الجنوبي عند مصب هذه الانهار مستقما كبيرا • وفى هذا الموضع ليلان (أو نيلان) وهى مدينة صغيرة تلتف حولها الانهار وتحف بها البساتين المثمرة • وكانت آهلة بالمغول فى أيام المستوفى • وعلى شىء من جنوب ليلان بحسب المسافات الواردة فى كتب المسالك قرية برزة ، وفيها ينقسم الطريق الصاعد من سيسار (فى اقليم الجبال) • فالايمن يتجه نحو الشمال الشرفى الى المراغة واليسر الطريق الذاهب الى ارمية مصقبا غرب البحيرة •

وعلى خمسين ميلا من شاطئ البحيرة الجنوبي بسوى ، وينطق بها الفرس بسوى • وقد زارها ياقوت فقال « رأيتها ، أكثر أهلها حرامية » • واطرى المستوفى بساتينها المثمرة • والى شمالها الغربى مدينة أشنه وكان بها فى أيام ابن حوقل أكراد • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كان « يجلب منها ومن سوادها الاغنام والدواب الى بلد الموصل ونواحى بلد الجزيرة • وهى أيضا مدينة كثيرة الشجر

والخضر والخيرات » • ولمراعيها ينتجع اصحاب الاغنام • وقال ياقوت ، وقد زارها ، انها ذات بساتين • ووصفها المسنوفى ، وأورد اسمها ، بصورة أشنويه فقال انها فى المنطقة الجبلية التى سماها ده كباهان^(٧) •

ومدينة ارمية ، وبها عرفت البحيرة التى باسمها ، على شىء يسير من شاطئها الغربى • « وهى فى ما يزعمون مدينة زرادشت » • وكانت هذه المدينة على ما ذكر ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) « تلى المراغة فى الكبر • وهى مدينة نزهة كثيرة الكروم وافرة الحظ من التجارات » • « والجامع فى البزّازين »^(٨) • وكانت ارمية « بقلعة عامرة ولها حصن وبها نهر » ينحدر الى البحيرة وهى على نحو فرسخ منها • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) اوضحت مدينة كبره ذرع سورها عشرة آلاف خطوة • ومن أعمالها عشرون قرية • وعلى الطريق فى شمال ارمية ، على بعد قليل من زاوية البحيرة الشمالية الغربية ، مدينة سلماس وقد وصفها المقدسى بانها بلدة طيبة ذات أسواق حسنة والمسجد الجامع منى بالحجارة « وقد أحاط بها الاكراد » فى المئة الرابعة (العاشرة) وقال ياقوت ان معظم سلماس قد خرب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • ولكن الوزير علي شاه ، على ما روى المستوفى ، كان فى القرن التالى ، فى حكم غازان خان المعولى ، قد جدد بناء أسوارها ، ومحطها ٨٠٠٠ خطوة • فاستعادت المدينة شأنها الاول • وهى باردة الهواء ، ولها نهر ينبع فى الجبال التى فى غربها ويصب فى البحيرة •

وعلى شاطئ البحيرة الشمالى مدينة يقال لها طروج أو طسوج ولعلها تُرسة الحديثة • والمستوفى ، على ما بينا ، كثيرا ما ذكر بحيرة طسوج أو طروج الملحة وعلى هذا فمدينة طسوج مثل ارمية قد انتقل اسمها الى هذه الرقعة من الماء • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت طسوج ، على ما يبدو ، موضعا ذا شأن ، وكانت أدقا هواء من تبريز وأكثر رطوبة لشدة اقترابها من البحيرة • وحولها البساتين والكروم • والى شمال شرقى سلماس ، مدينة خوي وتلفظ خوي على نهر يحرى

(٧) الاصطخرى ١٨١ ، ابن حوقل ٣٣٨ و ٣٣٩ ؛ المقدسى ٣٧٧ ؛ ياقوت ١ ، ٢٨٤ و ٥٦٤ و ٦٢٦ ؛ ٤ : ٤٧٦ ؛ القروينى ٢ : ٣٥٠ و ٣٥٨ ؛ المستوفى ١٥٨ و ١٥٩ و ٢١٨ •
(٨) هذا القول للمقدسى (احسن التقاسيم ص ٣٧٧) (م) •

شمالا فيصب في نهر ارس (Araxes) • وخوي ، على ما ذكر بأقوت والقزويني ،
« ذات سور حصين ومياه وأشجار كثيرة الخيرات يعمل بها الديباج ، بها عين ينبع
منها ماء كبير جدا بارد في الصيف حار في الشتاء » • وقال المستوفي ان دائر أسوار
المدينة ٦٥٠٠ خطوة وان أهلها من قوم بيض الاجسام كأهل الخطا (وهم من
الصين) ولها ثمانون قرية •

وفي المئة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسي مدينة مرند وهي في شرق
خوي على ضفاف نهر من روافد الجانب الايمن لنهر خوى بقوله : « مرند : حصينة
لها ربض عامر والجامع في الاسواق تحدد بها الساتين » • وقال ياقوت فيها :
« قد تشعث الآن وبدا فيها الخراب مذ نهبها الكرج^(٩) وأخذوا جميع أهلها » •
وكان نهرها على ما جاء في المسوفي سمي زولو (أو زكوير) ويقال ان قسما منه
كان يجري مدى أربعة فراسخ تحت الارض • وروى المسوفي ان مرند كانت
في أيامه على نصف سعتها الاولى الا انها بقيت مشهورة ببرية دود القرمز وكان
يستخرج منها صمغ أحمر • وحول المدينة ستون قرية كانت من أعمالها^(١٠) •

وكانت نخجوان أو نقجوان الى شمال نهر أرس وتحسب عادة من أعمال
اذريجان • وهي تشوّى لدى اللدانيين العرب • وذكرتها كتب المسالك كثيرا دون
ان تنطرق الى وصفها • وقد علا شأن نخجوان في أيام المغول • ووصفها المسوفي
بانها بلدة كبيرة بناؤها من الآجر وبالقرب منها في ناحية الشرق قلعة آلنَجِيق وفي
شمالها جبل ضارب في الفضاء تغطيه الثلوج يقال له ماست كوه • وفي نخجوان
القبة التي بناها ضياء الملك ابن نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي العظيم •
ووصف علي الزدي قنطرة ضياء الملك المشهورة (وما زالت بقاياها قائمة) فوق
نهر ارس عند قلعة كركر على طريق مرند على نحو ١٥ ميلا من نخجوان •

وعلى نهر ارس ، اسفل منها بشيء يسير ، مدينة مجلفا وقد تكتب جولاهها •
دمرها الشاه عباس ملك فارس في سنة ١٠١٤ (١٦٠٥) حين نقل أهلها الارمن

(٩) هذا نص ياقوت (٤ : ٥٠٣) • اما المؤلف فقد ذكر الكرد بدلا من « الكرج » • (م) •

(١٠) الاصطخري ١٨١ : ابن حوقل ٣٣٩ : المقدسي ٣٧٧ : العزويني ١ : ١٨٠ :

٢ : ٣٥٤ : ياقوت ١ : ٢١٨ : ٢ : ٥٠٢ : ٣ : ١٢٠ : ٤ : ٥٠٣ : المسوفي ١٥٦ - ١٥٩ و ٢١٨ •

الى ربض جديد ابناه في جنوب اصفهان وسماه جلفا نسبة الى جلفا القديمة التي على نهر ارس . ومما ذكره المستوفى من مدن نهر ارس : اردوباد (وما زالت قائمة) وهى قرب ملتقى نهر بارس من الجنوب . تقوم على ضفافه قلعة دزمار وقد ذكرها ياقوت أيضا . وأسفل منها على نهر ارس أيضا مدينة زنگيان فى كورة مردان نعيم . وهناك قنطرة ثانية ما زالت قائمة على نهر ارس يقال لها بالفارسية يلّ خدا آفرين (جسر خلقه الله) وقد بناها على ما ذكر المستوفى أحد الصحابة فى سنة ١٥ (٦٣٦) وتشتمل ارض مردان (أو مراد) نعيم على نيف وثلاثين قرية^(١١) .

ومدينة اردبيل فى أعلى نهر سماء المستوفى اندراب ، واسفل منها يقع نهر اهر فى سار نهر اردبيل وهذا يصب فى نهر ارس على شىء يسير أسفل من قنطرة خدا آفرين . ومخرج نهري اردبيل واهر من منحدرات سلان كوه الشرقية والغربية (على التوالى) وهو الجبل العظيم المطلّ على اردبيل . ومن منحدراته الجنوبية يخرج نهر سراو ، على ما قد بينّا ، فيجرى غربا الى بحيرة ارمية . وذكر ابن حوقل جبل سلان فى المئة الرابعة (العاشرة) ولكنه أخطأ فى قوله انه اعظم من دماوند^(١٢) وهو على بضعة أميال من شمال طهران ، وتكسو الاشجار سفوحه وعليه قرى ومدن كثيرة أحصاها المستوفى . وقال ان الجبل كان يرى من بعد خمسين فرسخا ولا يفارقه الثلج ثناء ولا صيفا . وبالقرب من قمته عين كان سطحها دائم الجمود . وعلى مقربة من جبل سلان ، قمتان أخريان هما كوه سراهند شمال أهر وسياه كوه (الجبل الاسود) وهو يطل على كلتر وهى مدينة صغيرة فيها قلعة تحفّ بها الاشجار ويسقى مزارعها نهر .

وكانت اردبيل ، على ما بينّا ، قصبة اذربيجان فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال فيها الاصطخرى « عليها سور وهى مدينة تكون ثلثي فرسخ فى مثلها . والغالب على ابنتها الطين والآجر وبها المعسكر . وبها رساتيق وكور جليلة وهى خصبة

(١١) نابت ٤ . ٢٦٢ و ٧٦٧ و ٧٨٤ ، المسولى ١٥٧ و ١٥٩ و ٢٠٦ ، على اليزدى ١ : ٣٩٨ و ٣٩٩ : ٢ . ٥٧٣ .

(١٢) ما فى ابن حوقل (ص ٣٧٢) : دنباوند (م) .

- ٢٠٣ -

واسعارها رخيصة • وعسل اردبيل مشهور • وتكلم المقدسى على الحصن وقال ان أسواق اردبيل « مصلبة الى اربعة دروب والجامع وسط الصليب وخلف الحصن روض عامر » • وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) نهب المغول اردبيل وتركوها قاعا صفصفا ولكنها قبل ذلك كانت آهلة بالسكان حين زارها ياقوت • وكانت اردبيل معروفة لدى الفرس قديما باسم باذان فيروز وهى حين كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وان لم تعد أولى مدن اذربيجان الا انها اسعدت كثيرا من سالف عزاها • وفى المثة العاشرة (السادسة عشرة) اضحت « على ما قد بينا » عاصمة بلاد الفرس كلها فى أيام الدولة الصفوية الجديدة قبل ان ينقلوا قاعدة ملكهم الى تبريز أولا ثم الى اصفهان •

وأهر « وهى على مئة وخمسين ميلا غرب اردبيل » على نهر اهر • وقد ذكرها البلدانيون العرب القدماء • وصفها ياقوت بانها « مدينة عامرة كثيرة الخيرات » • الى شمالها جبل سراهند وحولها كثير من البلدان الصغيرة القائمة على سفوح الجبل • وقد ذكر ياقوت والمستوفى اسماءها الا انه يصعب الآن تمييز تلك الاسماء أو تعيين مواضعها • وكانت الناحية المحيطة بها تعرف باسم بيشكين (وهى مبشكين فى الوقت الحاضر) نسبة الى اسرة أميرها التى حكمت فيها فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) • ومدنة بيشكين على مرحلة من اهر وكانت تعرف فى الاصل باسم وراوى وكان على نهر اندراب « فوق ملتقى نهر اهر به على ما ذكر المستوفى » قنطرة حسنة بناها علي شاه وزير غازان خان المغولى (١٣) •

ونهر سقبدروود « أى النهر الابيض » وروافده الكثيرة تسقى نواحي اذربيجان الجنوبية الشرقية • ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين اذربيجان واقليم الجبال ويصب هذا النهر أخيرا فى بحيرة فروين بعد مروره باقليم كيلان • وسماه الاصطخرى وغيره من المصنفين العرب باسم سيذروود • وقال المستوفى ان المغول كانوا يطلقون عليه اسم هولان مولان (والاصح : ألان موران) ونعنى بالمغولية « النهر الاحمر » • ويعرف اليوم قسم من سفيدروود باسم قزل اوزن

(١٣) الاصطخرى ١٨١ : ابن حوقل ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٦٦ : المقدسى ٣٧٤ و ٣٧٧ :

ياموت ١ : ١٦٧ و ٣٩٧ و ٤٠٩ و ٤٦١ و ٤ : ٩١٨ : المستوفى ١٥٦ و ١٥٧ و ٢٠٤ و ٢٠٥ :

و ٢١٧ •

- ٢٠٤ -

وهى بالتركية « النهر الاحمر » أيضا • وكتب المستوفى ان مخرج سفيدروود من جبال كردستان فى جبل يسمى بالفارسية پنج انگشت وبالتركية بش یرماق ومعنى السميتين « الاصابع الخمس » • وفى انحدار سفيدروود شمالا يستقبل اولاً نهر زنجان فى ضفته اليمنى وهو النهر الآتى من مدينة زنجان التى سنصفها فى فصل قادم • ثم يصب فى ضفته اليسرى نهر ميانج الذى يآلف من اجتماع عدة انهار تنحدر من الغرب • وشمال ميانج ينعطف سفيدروود غرباً ويستقبل فى ضفته اليسرى النهرين المتحدین سنجده وکنديو المنحدرين من خلخال الى جنوب أردبيل • ويلي ذلك نهر شال من ناحية شاهرود التابعة لخلخال • وأسفل ذلك ، على ضفته اليمنى ، يلتقى نهر طارم الآتى من اقليم الجبال (على ما سنبينه فى الفصل الخامس عشر) بنهر سفيدروود ثم يلتقى به نهر شاهرود (ويحب ان لا يلتبس بناحية شاهرود المارة الذكر) الآتى من بلاد الحشيشيين (الحشاشين) • وأخيراً فان سفيدروود بعد ان يخترق الحاجز الجبلى يصل الى بحر قزوين عند كوتهم فى اقليم كبلان •

وكان نهر ميانج كما بينا أهم الروافد اليسرى لسفدروود • وهو يأتى من الغرب وينبع من البلاد التى فى جنوب أوجان (أنظر ص ١٩٨) • ويستقبل فى ولاية كمرود فى ضفته اليسرى مياه نهر كمرود (النهر الحار) وهو نهر ينبع فى الجبال التى فى جنوب سراو • وأسفل مدينة ميانج يستقبل النهر الاصلى فى يمينه مياه هشتروود (الانهار الثمانية) ومخرجها فى الجبال شرق المراغة • وكان فى أيام المستوفى عند ملتقى هشتروود بنهر ميانج قنطرة حجر عظيمة ذات اثنين وثلاثين طاقا •

وكانت ميانج أو ميانه « الموضع الوسط » التى تقوم عند ملتقى كل هذه الانهار مدينة ذات مركز خطير منذ الازمنة القديمة • ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) انها منعمة بالخيرات كثيرة الثمار ومثلها كورتها التى عرفت فى الأزمنة المتأخرة باسم كمرود • والمقدسى ، وقد أورد اسمها بصورته الحديثة اعني ميانه ، قال انها كثيرة الخير • ونوه بها ياقوت وقد زارها فى المثة السادسة (الثانية عشرة) • وفى القرن التالى ذكر المستوفى انها قد ضوّلت وأمسّت قرية

كبيرة الا انها بقيت من المراحل المهمة فى شبكة الطرق التى انشأها المغول • وهى حارة الهواء كثيرة الحشرات (وبموض ميانه مؤذ للمسافرين اليوم) • وكان فى ولاية كرمروود نيف ومئة قرية خصبة يكثر فيها القمح •

والانهار الثلاثة المسماة سنجيده وكديو (أو كديو فى جهان نما) وشال تلتقى بنهر سفيدرود من الشمال منحدره اليه من ناحية خلخال • وكانت خلخال أيضا أولى مدن هذه الناحية وقد وصفت كتب المسالك موضعها بانه على اثنى عشر فرسخا جنوب اردبيل • وكانت فيروز اباد فوق قمة الدرب حيث هنالك حمة يغلي ماؤها ويفور فى وسط القمم المغطاة بالثلوج • وعلى ما فى المستوفى قد كانت فى الازمنة السابقة دار الملك • ولما آلت الى الخراب حلت محلها مدينة خلخال • ولا يمكن الآن معرفة الموضع الصحيح لفيزوز اباد • وكانت اللدتان كلاً وروشال ، وما زالت الخوارط تذكرهما ، من أعمال شاهرود وتقومان على نهر شال « يسمى الآن شاهرود الصغير » ومخرجه فى جبل شال • وذكر المستوفى جملة مواضع أخرى فى خلخال غير انه لا يمكن تعيينها فى الوقت الحاضر^(١٤) •

اما غلات اذربيجان فقليلة وسنأتى على ذكرها فى آخر الفصل القادم • وفى ختام الفصل الخامس عشر لحصن القول فى مسالك هذا الاقليم بعد ان وصفنا اقليم الجبال لان كل هذه المسالك تخرج من مواضع عديدة فى طريق خراسان الذى يعترق اقليم الجبال •

(١٤) الاصطخرى ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٦ و ٢٥٣ : المقدسى ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٢٣٩ :
٤ : ٧١٠ : المستوفى ١٥٦ و ١٥٨ و ١٩٨ و ٢١٥ و ٢١٨ : جهان نما ٣٨٤ و ٣٨٨ •

الفصل الثاني عشر

كيلان

والاقلیم الشمالية الغربية

الجبلان - الیما الیلیم وخالش - پروان ودولاب وخشم - لاهجان ورشت وغیرهما من مدن کیلان -
اللیم موغان - باجروان وبرزند - محمود اباد - ورتان - اقلیم الران - برذعة - البیلقان -
کنجه وشمکور - لهر الکتر ونهر الرس - الییم شروان - شماخی - باکویه
وباب الابواب - الییم کرجستان او جورجیا - تفلیس وقرص
- الییم ارمنیة - دبیل او دوین - بحیرة وان -
اخلات وارجیش ووان وبتلیس - حاصلات
وتجارات الاقلیم الشمالية •

اوضحنا فی الفصل السابق ان نهر سفیدرود بعد ان یخترق مجراه المتعرج
جبال ألبرز ، یصب فی بحر قزوین فی النهایة الغربية من ساحله الجنوبي •
وتتكون فی هذا الموضع « دلتا » ومناقع علی شیء من السعة ووراءها الجبال • ودلتا
سفیدرود هذه التي تحفّ بها من الجنوب والغرب سفوح الجبال المتدرجة المكسوة
بالغابات ، هی اقلیم کیلان الصغیر الذی سماه العرب الجیل أو جیلان ، وفیه ثلاث
نواح^(١) •

واراضی الدلتا الرسویة هی التي اطلق علیها البلدانیون العرب اسم الجیل
أو جیلان بوجه خاص • وهم اذا أرادوا الاشارة الى الاقلیم باجمعه ، أطلقوا علیه

(١) انظر کیلان لی الخارطة رقم « فی اول الفصل القادم •

- ٢٠٢ -

اسما بصيغة الجمع فقالوا جيلانات ، كيلانات ، . وقد يشمل هذا الاسم أيضا الاصقاع الجبلية . وفي جنوب هذا الاقليم وغربه ، مما يحاذي جبال ناحيتي الطالقان وتارم من اقليم الجبال ، كانت بلاد الديلم ، وقد جاء اسمها بصيغة الجمع فقيل الديلمان . واشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بنى بويه أى الديلمة . فقد كان رؤساؤهم فى المئة الرابعة (العاشرة) سادة بغداد وذوى النفوذ على الخلافة فى أكثر تلك الحقبة . اما الشقة الساحلية الضيقة والمنحدرات الجبلية الممتدة شمالا من جنوب غربى بحر قزوين والمواجهة من شرقها ذلك البحر فهى بلاد طالش وقد ذكر ياقوت هذا الاسم بصيغة الجمع فقال طالشان أو طلشان . والى الشرق ، على حدود طبرستان ، جبال روبنج ، ويلها الناحية الجبلية العائدة الى اسرة قارن العظيمة وكان رؤساؤها منذ أزمنة غير معروفة سادة هذه البقاع الفسيحة على ما سنبينه أيضا فى الفصل السادس والعشرين .

وحين كتب المقدسى كتابه فى المئة الرابعة (العاشرة) ، وهو الوقت الذى بلغت فيه سيادة البويهيين ذروتها ، كانت جميع جيلان وأقاليم الجبل التى فى شرقها المحاذية لبحر قزوين ، وهى طبرستان وجرجان وقومس ، فى ضمن اقليم الديلم . ثم صار ينظر الى هذه الاقاليم الشرقية فى الازمنة المتأخرة كأنها مستقلة عنه . وبعد ذلك بطل استعمال اسم الديلم نفسه فى الغالب . وانتقل اسم المناقع فى دلتا سفيدرود الى جميع الجهات المجاورة فعرفت بأقليم جيلان . على ان جيلان ، بوجه اصح ، لم تكن غير البقاع الساحلية بينما الديلم كان الصقع الجبلى المطل عليها . وجرى اطلاق احد هذين الاسمين فى بعض الاحيان على جميع الاقليم الذى يكتنف جنوب غربى بحر قزوين (٢) .

وكانت قصبة بلاد الديلم تسمى ، على ما يقال ، رودبار . الا ان موضعها غير معروف . اما المقدسى فقد قال ان « قصبة الديلم : بروان » . ومما يؤسف له ان لا أثر لها اليوم ، ولم تذكر كتب المسالك موضعها الحقيقى . وزاد المقدسى

(٢) الاسطخرى ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٢٠٦ ؛ ابن حوقل ٢٦٧ و ٢٦٨ ؛ المقدسى ٣٥٣ ياقوت ١ : ١٧٤ و ٨١٢ : ٢ ؛ ١٧٩ و ٧١١ : ٣ ؛ ٥٧١ ؛ المستوفى ١٤٧ و ١٩١ ؛ ابو الفداء ٤٢٦ .
اسم طالش يكتب اما بالغاء او بالطاء ، وبالجمع تالشان أو طالشان ، وذكره المستوفى أيضا طوالش .

- ٢٠٨ -

على ذلك قوله انه لم يكن فى يروان « منازل رشيقة انيقة ولا أسواقها بالواسعة عطيفة ولا جوامع ... » وحيث مستقر السلطان يسمى شهرستان « • وقد كان فيها تجار من أهل الثراء فكثير خيرها • وذكر المقدسى ان « دولاب : قصبة الجيل » وقال فيها : « بلد طيب ، بناؤهم من جص وحجر ، وسوق حسن » والجامع وسط السوق • وعلى ما فى ابى الفداء ان « دولاب تسمى كسكر » • ولم ينته الينا شيء عن مسالك هذه البلاد غير ما ذكره المقدسى من ان دولاب على اربع مراحل من بيلمان ، وهى قرية على ما جاء فى ابى الفداء • والظاهر انها كانت من أهم المواضع فى بلاد طالش • وعلى مرحلتين من سفيدرود واربع مراحل من بيلمان ، مدينة خشم وهى مدينة الداعى (العلوى) فى النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) وكان يحكم هذه الانحاء حكم السلطان المستقل وخلق الطاعة للخليفة • ووصف المقدسى خشم فقال « لها سوق عامر وعلى طرف الاسواق جامع ثم دار الامير • والنهر منها على جانب عليه جسر هائل » • ويحسن ان تبين ان مواضع هذه المدن القديمة غير متحقق منها^(٣) •

وكانت أكبر مدن كيلان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على ما فى المستوفى : لاهيجان وفومن • وذكر ابو الفداء لاهيجان أيضا وقال انها فى شرق مصب سفيدرود • وكانت حينذاك مدينة وسطية يجلب الحرير منها وينمو فى ناحيتها الرز والقمح والنانج والاترنج وغير ذلك من فواكه المنطقة الحارة • وكوتوم أو كوتوم وهى أقرب الى قم سفيدرود ، كانت ميناء تقصدها السفن من سائر انحاء بحر قزوين • ذكرها ياقوت وابو الفداء • وكانت مدينة تجارية كبيرة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وقال ابو الفداء « انها ناقلة عن البحر (بحر قزوين) مسيرة يوم » • وفومن ، وناحياتها داخلية أكثر من كوتوم ، فى غرب نهر سفيدرود • وكانت أكبر مدن القسم الجبلى فى بلاد الديلم • وذكر المستوفى انها مدينة كبيرة... فى بقعة خصبة يكثر فيها القمح والرز والحرير وهو ينسج فيها أيضا •

(٣) الاصطخرى ٢٠٤ و ٢٠٥ : المقدسى ٣٥٥ و ٣٦٠ و ٣٧٣ : ابو الفداء ٤٢٩ (طبع فيه خطأ اسم بيلمان بصورة بيمان) : ياقوت ٢ : ٨٣١ • وللوقوف على أسرة الداعى العلوى (الحنية) انظر : G. Melgunof, Das südliche Ufer des Caspischen Meeres, P. 53.

- ٢٠٩ -

والمستوفى من أقدم مراجعنا التى وصفت رشت ، وهى الآن قصبة كيلان والظاهر ان بلدانى العرب لم يتكلموا عليها بل لم يذكروا اسمها . فلقد أشار المستوفى الى ان هواءها شديد الحر عفن . ويكثر فيها القطن والحسبر ومنها يحملان الى سائر الانحاء . وكانت هذه المدينة فى أيامه موضعا على شىء من السعة والشأن . وفى غربى رشت اليوم كورة تولم . ووردت تولم فى المستوفى اسما لمدينة ذات شأن فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وعلى ما فى ابى الفداء ، كانت تولم اولى مدن القسم السهل فى جيلان . ونواحيها ذات خيرات فيها القمح والقطن والرز والتارنج والاترنج والليمون . وشفت ، أو شفته ، ذكرها المستوفى اسما لمدينة ولم يبق اليوم من هاتين التسميتين غير ناحية تعرف بشفت وهى فى جنوب رشت . وأخيرا ذكر المستوفى من مدن كيلان : اصفهد وهى مدينة صغيرة كتبها ياقوت اصبهذان . وزاد على ذلك فقال « بينها وبين البحر (قزوين) ميلان » . ولم يشر الى موضعها . وفيها القمح والرز وبعض الفاكهة . وفى ناحيتها نحو مئة قرية^(٤) . وقد اشتق اسم المدينة ، من الاصبهذان وكانوا ملوكا لهذه البلاد خاضعين للساسانيين اعتنقوا الاسلام ظاهرا وظلوا امراء فى طبرستان فى صدر الخلافة^(٥) .

موغان

موغان ومفكان أو موقان^(٦) اسم يطلق على سهل عظيم فيه مناطق يمتد من جبل سبلان حتى ساحل بحر قزوين الشرقى . وهذه البلاد فى جنوب مصب نهر ارس وشمال جبال طالش . وكانت تعد أحيانا من اقليم اذربيجان ولكنها فى الغالب كانت تؤلف اقليما بنفسه .

وقصبة موغان فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة موغان ، وبصعب تعيين موضعها . ذكر المقدسى مدينة موغان فقال انها « مدينة قد احاط بها نهران وحولها حدائق حسان كأنها فى رجبها جنان هى مع تبريز روضتان » . ومن وصفه

(٤) الكلام على هذه الغلات منقول من المستوفى (ص ١٦٢) (م) .

(٥) ياقوت ١ : ٢٩٨ ؛ ٤ : ٣١٦ ؛ ابر الفداء ٤٢٦ و ٤٢٩ ؛ المستوفى ١٩١ و ١٩٢ ؛ جهان نما

٣٤٣ و ٣٤٤ .

(٦) لمعة موغان واقليم السخوم الشمالية الغربية انظر الخارطة رقم ٣ ص ١١٤ .

لا يستبعد ان تكون مدينة موغان هذه مطابقة لباجروان التى عدتها المستوفى قسبة الاقليم فى القديم وكانت فى أيامه قد آلت الى الخراب • وفى وصفه للمسالك عيّن موضع باجروان على اربعة فراسخ شمال برزند ، وهذا الاسم ما زال يرى فى الخارطة • وفى الروايات الاسلامية ان عند باجروان « عين الحياة التى وجدها الخضر عليه السلام » وهو النبى الياس • والى جنوب باجروان ، على ما بينا ، برزند وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة كبيرة • وأشاد المقدسى بأسواقها التى تأتى اليها السلع من الاتجاه المجاورة لها وتحمل الى سائر الاتجاه ، فهى موئل التجارة فى هذه البلاد • وأشار المستوفى الى ان كلاً من باجروان وبرزند كان قرية فى أيامه • وهواء نواحيها حار ويكثر فيها القمح^(٧) •

وذكر المستوفى ثلاث مدن فى سهل موغان ، هى : بيلسوار ومحمود اباد وهمشيرة • وبيلسوار كانت على نهر يتحدر من باجروان على مسافة ثمانية فراسخ من باجروان ويقال انها سميت بذلك نسبة الى الامير يله سوار الذى ولّاه بنو بويه عليها ومعنى اسمه « الفارس أو الجندى الصنديد » • ومحمود اباد فى مقافة كاوبارى قرب بحر قزوين وكانت على اثنى عشر فرسخا مما يلى بيلسوار • ذكر المستوفى ان بانها غازان خان المغولى وكانت همشيرة المجاورة لها على فرسخين من الساحل وتعرف فى الاصل باسم ابرشهر أو بوشهرة وقد أسسها ، على ما فى المستوفى ، فرهاد بن كودرز « ويزعمون انه نبوخذ نصر » • وكان فى الازمنة القديمة فى شمال باجروان : بلدة بلخاب قيل انها « قرية آهلة فيها رباطات وفنادق للسبيل تنزلها السيارة » • ووراء هذه المرحلة فى الطريق الشمالى على ضفة نهر الرس الجنوبية مدينة ورتان • وهى عند المعبر المؤدى الى بلاد الران • وكانت ورتان فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور وبها أسواق عامرة ولها ربض خارج السور • وكانت آهلة وهى فى سهلة عامرة على فرسخين من ضفة النهر ومسجدها الجامع فى الربض • ويقال ان ورتان بنيت بأمر زبيدة زوجة هرون الرشيد^(٨) •

(٧) ابن حوقل ٢٥١ : المقدسى ٣٧٦ و ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٤٥٤ و ٥٦٢ : ٤ : ٦٨٦ : المستوفى ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٨ : جهان لما ٣٩٢ •

(٨) ابن حوقل ٢٥١ : المقدسى ٣٧٦ : ياقوت ٤ : ٩١٩ : المستوفى ٢٦٠ و ٢٩٨ : جهان لما ٣٩٣ •

أَرَّان (المرارة)^(٩)

أما إقليم الران وشروان وجورجيا^(١٠) وارمينية ، وهى فى جملتها شمال نهر ارس ، فقد كان يصعب عدها من ديار الاسلام . ولهذا لم يتبسط البلديون العرب فى وصفها . لقد أقام المسلمون فيها منذ صدر الاسلام وولى الخلفاء عليها عمالهم فى أوقات مختلفة ، غير ان اغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى اوشكت العصور الوسطى ان تنتهى ، وما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حلّ فيها المسلمون ثانية عقب الفتح المغولى ، ولاسيما بعد الحروب الكثيرة التى شنها تيمور على جورجيا فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، اذ استقرّ فيها الترك فصار الاسلام الدين السائد فيها .

واقليم الران فى المثلث العظم غرب اقتران سيرس واراكسس - وهما نهرا الكر والرس - فهو اقليم « بين النهرين » على ما سبّاه به المستوفى . وكتب البلديون العرب القدماء هذا الاسم بصورة الران (ونطقوا به أرَّان) وما ذلك الا ليجعلوا منه اسما عربيا . وكانت قصبة هذا الاقليم فى المئة الرابعة (العاشر) برذعة - وما زالت خرائطها باقية . ووصف ابن حوقل مدينة برذعة - وكتب بعدئذ بصورة برذعة - فى المئة الرابعة (العاشر) بانها نحو فرسخ طولاً فى أقل منه عرضا وكانت أكبر مدن هذه الديار مربعة الشكل لها قلعة وهى من نهر الكر على نحو ثلاثة فراسخ على ضفة احد روافده المعروف بالثرثور . وقربها فى نهر الكر السمك المعروف بالسرمامى (وشورمافى بالفارسية تعنى السمك المملّح) ويحمل منها الى سائر البلاد ويكون من هذا السمك أيضا فى نهر الرس بورثان . « وكان من برذعة على أقل من فرسخ ، ناجبة بموضع يدعى الاندراب ، وأقطاره أكثر من مسيرة يوم فى مثله ، مشبكة البساتين والعمارات ، طيبة المنتزهات

(٩) فى المراجع المخلطة تسميتان منشأتهما وهما « الران » و « اران » . ويلاحظ ان بعض البلديين كابن حوقل والمقدسى وابى العلاء استعملوا تسمية « الران » فى كلامهم على هذا الاقليم . اما ياقوت فقد أشار اليهما (٧٣٩٠٢) قائلا « والذي عندى ان الران وأران واحد ، وهى ولاية واسعة من نواحي ارمينية » .

اما المستوفى فقد ذكر هذا الاقليم بصورة « اران » (م) .

(١٠) سماها العرب بلاد الكرّج . (م) .

- ٢١٢ -

والباغات ، ولها فواكه كثيرة ، وتشتمل اجتمها على البندق والشاه بلوط وبها
تين ، ويربى فيها دود القز .

وفى ظاهر برذعة عند باب الاكراد ، سوق يجتمع فيها الناس كل يوم أحد ،
مقدارها فرسخ ، تعرف بسوق الكركى (من قرياقوس (Kuriakos) اليونانى
وتعنى « يوم الرب ») . ويسمون يوم الاحد هناك يوم الكركى . وفى برذعة
مسجد جامع حسن فسيح يرتفع سقفه على اساطين خشب وحيطانه من الآجر
مكسوة بزخارف الجص . وفيها حمامات كثيرة . وكان بيت مال الاقليم فى أيام
بنى أمية فى برذعة . وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت برذعة حين كتب
ياقوت قد استولى الخراب عليها اما المسنوفى فقد ذكر فى القرن التالى انها مدينة
كبيرة على نهر الثرثور . وعند المعبر الذى على نهر الكر ، ولله اسفل من اقتران
الثرثور به على ثمانية عشر فرسخا أى مسيرة يوم واحد فى الطريق من برذعة الى
شماخي فى شروان ، مدينة برزنج ، ويقصدها التجار وتحمل السلع الكثيرة اليها
ومنها^(١١) .

واضحت مدينة البيلقان وتعرف بالارمنية باسم فيداكران (Phaidagaran)
قصة الران بعد خراب برذعة . ومعالم هذه المدينة ، وان زالت الآن على ما
يبدو ، الا ان كتب المسالك العربية قد عرفت بموضعها تقريبا . والبيلقان على
أربعة عشر فرسخا من جنوب برذعة ، وعلى سبعة أو تسعة فراسخ من شمال الرس
فى الطريق الصاعد من برزند . وقد كانت موضعا عظيما حتى المئة التاسعة (الخامسة
عشرة) . وصفها ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) بانها « مدينة طيبة كثيرة
المياه والاجنة والاشجار والطواحين الواسعة على انهارها » . « وبها ناطف^(١٢)
موصوف » . وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) « فصدھا التر ورأوا حصانة سورها ،
أرادوا خرابه بالمتجنق ، فما وجدوا حجرا برمى به الحائط ورأوا أشجارا من الدلب
عظاما قطعوها بالناشير ونركھا فطأعھا فى المتجنق ورموا بها السور حتى خربوا
سورها ونهبوا . . . ثم احرقوها . فلما انفصلوا عنها تراجع اليها قوم كانوا هربوا

(١١) الاصطخرى ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٨٨ ؛ ابن حوقل ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٤ و ٢٥١ ؛
المعدي ٣٧٤ و ٣٧٥ ؛ ياقوت ١ : ٥٥٨ و ٥٦٢ ؛ المستوفى ١٦٠ ؛ القزوينى ٢ : ٣٤٤ .
(١٢) الناطف : ضرب من الحلواء . (م) .

- ٢١٣ -

عنها وهي الآن متماسكة... وعادت الى عمارتها ، وفي ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، حاصرها تيمور واستولى عليها . ثم أمر باعادة بنائها وحفر نهر مُحمل اليه الماء من نهر ارس كان طوله ستة فراسخ وعرضه خمس عشرة ذراعا ومنه كان ماء المدينة الجديدة . وكان يقال لهذا النهر برلاسى نسبة الى برلاس قبيلة تيمور .

وحاء ذكر مدينتين أخريين في الران الى شمال غربي برذعة في طريق تفليس . أولاهما مدنة كنجة (والاشهر في تسميتها اليوم اليزايت بول Elizabetpol) وقد كتبها البلدانون العرب بصورة جنزة وسمى القزويني نهرها باسم قردقاس . والى شمالها الغربي شمكور وخرائبها ما زالت موجودة . وكانت هذه المدينة تعرف في المئة الثالثة (التاسعة) بالمتوكبة لان الخليفة المتوكل احدها في سنة ٢٤٠ (٨٥٤) (١٣) .

والنهران اللذان يحدان افليم الران المعروفان لدى اليونان باسم اراكسس وسيرس ، سماهما العرب بنهر الرس (أو ارس) ونهر الكر (أو كر) . وينبع نهر ارس في بلاد فالقلا في غربي ارمينية . وبعد ان يجري بمحاذاة حدود اذربيجان الشمالية يلفى بنهر كر (على ما ذكر المسنوفي) في بلاد قراباغ في شرقي الران . ومخرج نهر الكر في الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا ، أي في بلاد الخزر التي تتألف من ولايتي أبخاز واللان . وبعد أن يمر نهر الكر بنفليس ينحدر الى شمكور وفيها ، على ما ذكر المستوفي ، يتفرع منه نهر يصب في بحيرة شمكور العظيمة وبعد ان يلتقي الكر بنهر ارس على بعد قليل أسفل من برذعة يصب في بحر قزوين بولاية كشتاسفي (١٤) .

(١٣) ليس في الحارطة العسكرية الروسية اثر لخرائب البيلقان .
ابن خردادبه ١٢٢ ؛ قدامة ٢١٣ ؛ الاصطخرى ١٨٧ و ١٨٩ ؛ ابن حوقل ٢٤٤ و ٢٥١ ؛ المقدسي ٣٧٦ ؛ باقوت ١ ؛ ٧٩٧ ؛ ٣ ؛ ٣٢٢ ؛ القزويني ٢ ؛ ٣٤٥ و ٣٥١ ؛ علي البيهقي ٢ ؛ ٥٤٣ و ٥٤٥ .
المسنوفي ١٦٠ .
(١٤) جاء في جهان نما (٣٩٦ و ٣٩٧) وصف طويل لنهر ارس والكر مع روايتهما المختلعة .
ويفيد هذا الوصف في تصحيح المسنوفي وفي توضيح حروب تيمور في جورجيا ، وان كانت مواضع كثير من هذه المدن غير معروفة .
الاصطخرى ١٨٩ ؛ ابن حوقل ٢٤٦ ؛ المقدسي ٣٧٩ ؛ القزويني ١ ؛ ١٨٤ و ٢ ؛ ٣٣١ ؛ المسنوفي ٢١٣ و ٢١٥ .

شروان

وفى ما يلى نهر الكر على بحر قزوين ، حيث تفتى جبال القفقاس فيه ، اقليم شروان وقصبته الشماخية وهى اليوم شماخي أو شماخى . وفى المثة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسى هذه المدينة بقوله « الشماخية على أسفل جبل ، بنيانهم حجارة وجص ولها ماء جار وبساتين ونزّ . » وكان ولائها ، وهم خواقين الولاية ، يلقبون بشروان شاه . ويكثر فيها القمح . » وبالقرب منها ، بحسب الروايات الاسلامية ، على ما قال المستوفى ، صخرة موسى (وقد أشار اليها القرآن فى السورة ١٨ الآية ٦٢) وعين الحياة على ما قد بينّا فى باجروان . وذكر المقدسى وغيره من المؤلفين مدينتين أخريين فى اقليم شروان لم يعين موضعهما ، هما شابران و « الغلة فيها للنصارى » وهى على ما يقال على عشرين فرسخا من دربند . وشروان وهى « فى سهلة والجامع فى الاسواق » على مسيرة ثلاثة أيام من شماخي قسبة الاقليم فى طريق دربند .

وكان فى اقصى شمالى بلاد شروان ، باب الابواب وهى تسمية العرب لدربند أجل موانئ بحر قزوين . وفى ابن حوقل ان المدينة كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) أكبر من اردبيل التى كانت قسبة اذربيجان « فى وسطها مرسى للسفن . وفى هذا المرسى الخارج من البحر اليها بناء قد بني كالسد بين جبلين مطلّين على هذا المرسى الخارج مأؤه من بحر الخزر . وفى هذا السد باب مفلق على الماء قد استحکم من وصيده بعقد قد عقد على الماء نفسه والماء من تحته وعلى فم المدخل الذى تدخل فيه السفن ، سلسلة ممدودة وعليها قفل لمن ينظر فى أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر صاحب القفل . والسد من صخر ورصاص وهذه المدينة عليها سور منيع من حجارة » (١٥) . وفيه بابان : الباب الكبير والباب الصغير غير الباب الثالث المارّ الذكر وهو نحو البحر . وعلى الاسوار أبرجة (١٦) . وتصنع فى دربند ثياب الكتان تجلب منها الى سائر البلاد . وبها زعفران كثير .

(١٥) هذا النص من ابن حوقل (٢ : ٣٣٩) (م) .

(١٦) هذا القول للمقدسى (ص ٢٧٦) (م) .

وفى سوق باب الابواب مسجد جامع • فقد كانت ثغرا من ثغور الاسلام لان اهل الكفر كانوا يحيطون بها من كل جانب فى أول العهد • واسهب ياقوت فى ذكر الامم التى فى أعلى جبال القفقاس وهضابها فى ناحية الغرب فان فيها على ما قال « نيفا وسبعين أمة ، لكل أمة لغة لا يعرفها مجاورهم » • وأول تلك الامم الخزر واليهم نسب بحر قزوين فعرف ببحر الخزر • ووصف ياقوت السور العظيم الذى على المدينة وكان يمتد من دربند حتى الغرب ليصد عنها شر الاعداء ويقال انه من بناء انوشروان ملك فارس فى المئة السادسة للميلاد • ونهر السور^(١٧) وهو يصب فى بحر قزوين على شئ يسير من جنوب دربند قد ذكره المقدسى باسم نهر الملك ، وكان على نهر السور جسر ، بينه وبين الدربند عشرون فرسخا ، وكان على الطريق الماد من شماخي •

وميناء باكوه أو باكويه (باكو الحالية) فى جنوب دربند وقد اشار الاصطخرى الى نفلها • وتبسط ياقوت وغيره فى الكلام على هذا النفط • قال ياقوت : فيها « عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها فى كل يوم الف درهم (٤٠٠ باونا) • والى جانبها عين أخرى تسبل بنفط ابيض لا تنقطع ليلا ولا نهارا • • • وهناك ارض لا تزال تضطرم نارا » • وتكلم المسنوفى على قلعة باكويه التى كانت تطل على المدينة فنشر عليها ظلها فى وسط النهار • والى جنوب باكو ولاية كشتاسفي قرب فم نهر الكر وسقيها من نهر يحمل منه • ويكثر فيها القمح والقطن • وأخيرا كان فى الجبال القريبة من دربند قلعة يقال لها قَبَسْكَ وجامعها « ناء على تل » على ما فى المقدسى • وقد ورد ذكر قلعة غير مرة فى حروب تيمور • وزاد المسنوفى انه يكثر فيها الحرير والقمح^(١٨) •

(١٧) ورد ذكره بهذا الاسم فى البلاذرى (ص ٢٠٦ و ٢٠٨) (م) •
 (١٨) الاصطخرى ١٨٤ و ١٩٠ : ابن حوقل ٢٤١ و ٢٥١ : المقدسى ٣٧٦ و ٣٧٩ و ٣٨١ :
 ياقوت ١ ، ٤٣٧ و ٤٧٧ : ٣ : ٢٢٥ و ٢٨٢ و ٣١٧ : ٤ : ٣٢ : المسنوفى ١٥٩ - ١٦١ : القزوينى
 ٣ ، ٣٨٩ : على البزدى ١ : ٤٠٦ •

- ٢١٦ -

كرجستان

وكرجستان ، هي التي نسميها جورجيا الآن ، وابخاز ويقال لها ابخازية ، لم تدخل في عداد الولايات الاسلامية الا بعد ان فتح تيمور هذه النواحي في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وتقليس قصبة كرجستان وهي في أعالي نهر الكر وقد عرفها البلدانون مع ذلك في المئة الرابعة (العاشرة) فوصفها ابن حوقل بقوله : « عليها سوران وهي حصينة لها ثلاثة أبواب ، وبها حمامات ماؤها سخين من غير نار ، وهي خصبة كثيرة الخيرات » • ويخرق المدينة نهر الكر ، وهي جانبان بجسر على ما في المقدسي •

اما افليم ابخاس أو ابخاز المجاور لها فكان ، على ما في المقدسي ، يعد من جبل القبق أى القوقاس • وفيه قرية يونس وبها مسلمون وحولها قبائل من الكرج (أهل جورجيا) واللان وغيرهم • وتنحدر من جبل البرز انهار كثيرة على ما ذكر المستوفي الذي زاد على ذلك ان قرص من المدن الكبيرة بجورجيا^(١٩) •

أرمينية

كانت ارمينية الكرى تنقسم الى ارمينية الداخلة وارمينية الخارجة وهي وان كان اكثر اهلها نصارى ، الا ان خضوعها لحكم المسلمين كان منذ زمن بعيد • وفي هذه البلاد جبال عظيمة تمتد بين بحيرة وان وبحيرة گوگجة • ومن هذه الجبال مخرج نهر ارس ورافدى الفرات • وكانت قصبة ارمينية الاسلامية في الازمنة الاولى ديل ، وتسمى ايضا دوين أو توين ، وتدل عليها الآن قرية صغيرة في جنوب اريفان أو اريوان قرب نهر ارس • وكانت ديل في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر من اردبيل وهي اجل ناحية وبلدة بارمينية الداخلة ، وعليها

(١٩) الاصطخرى ١٨٥ ، ابن حوقل ٢٤٢ ؛ المقدسي ٣٧٥ - ٣٧٧ ؛ المستوفي ١٦١ و ٢٠٢ ؛ ياقوت ١ ، ٧٨ و ٣٥٠ و ٨٥٧ •

كتب المسوفي جبال البرز بصيغة الجمع وأراد بذلك سلسلة الجبال • على انه اطلق هذه اللفظة دون تدقيق ، اذ ان نفسا من هذه السلسلة هو جبل القوقاس • ويلفظ اليوم البرز بصورة البرز أو البروز [بكسر الهمزة في كليهما] وهو اسم أعلى منه في القوقاس • وفي فارس يطلق اسم « البرز اليوم على سلسلة جبال كبيرة (وأعلى قمة فيها دماوند) في شمال طهران •

- ٢١٧ -

سور له ثلاثة أبواب^(٢٠) ، وجامعها الى جنب البيعة ، ويطلق جبل اراراط بقمته على ديبيل وهى فى جنوبه وراء نهر الرس . وقد اشرنا (ص ١٢٣) الى ان الروايات الاسلاميه تقول ان جبل الجودى فى الجزيرة هو الجبل الذى استوت عليه سفينة نوح . ويقال لاراراط فى ارمينية جبل الحارث (اما ان يكون الاسم مشتقا من الحارث واما ان الحارث كان علما لرجل فيما قبل الاسلام حل فى هذه الديار) . وكانت قمة اراراط الصغرى تسمى الحويرث (تصغير الحارث) ، وقال الاصطخرى ان الثلوج على هذين الجبلين دائمة ولا يرتقى الى اعلاهما من الارتفاع وصعوبة المسلك . ومحط اهل ديبيل ومنصيدهم فى هذه الجبال . وزاد المقدسى على ذلك انه كان بين شعاب هذه الجبال « ألف مدينة » . « ويرتفع (فى ديبيل) ثياب مرعزي وصوف مصبوغ بالقرمز وهو صبغ احمر اصله من دود كدود القز » . ووصف المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) بلد ديبيل فقال : « الاكراد به الا ان الغالب عليه الصارى . ذات ربض عنيق قد حفت به البساتين » . وآنى ، وهى قصبة ارمينية النصرانية وديما ، وقد استولى عليها الب ارسلان السجلوقى وأمر بتهدمها سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) وقد قال فيها المسونفى ، انها بلد فى الجبال تكثر فيه الفواكه . وعلى بعد يسير من شمال شرقى ديبيل بحيرة عذبة المياه سماها علي اليزدى كوكجة تنكيز (البحيرة الزرقاء) . ويبدو انه لم يطلق عليها هذا الاسم من المصنفين المسلمين الاوائل غير المستوفى^(٢١) .

وبحيرة وان أو ارجيش ، على ما سماها به المصنفون الاولون ، كانت ولا مراء اشهر بحيرات ارمينية . فقد كان على شطآنها مدينة اخلاط وارجيش ووان ووسطان وقد وصفها الاصطخرى ، وطولها عشرون فرسخا يخرج منها سمك صفار يعرف بالطريخ (وهو ضرب من الشبوط ما زال يصاد فيها بوفرة) فيملح ويحمل الى كثير من الاقطار كالموصل ونواحي الجزيرة بل الى اقصى بلاد خراسان . فقد ذكر ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) انه ابتاع فى بلخ شيئا

(٢٠) فى المقدسى (ص : ٣٧٧) ان للسور أبوابا عدة ذكر منها ثلاثة فقط . (م) -
(٢١) الاصطخرى ١٨٨ و ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسى ٣٧٤ و ٣٧٧ و ٣٨٠ : ياقوت ١٨٣ : ٢ : ٥٤٩ : المسونفى ١٢٦ و ١٦١ و ١٦٤ : على اليزدى ١ : ٤١٤ و ٤١٥ : ٢ : ٣٧٨ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥ .

- ٢١٨ -

من هذا السمك المالح • وماء البحيرة ملح مر • وكانت اخلاط أو خلاط وهي في طرف البحيرة الغربى من اجل مدن ارمينية ، وصفها المستوفى^(٢٢) بانها مدينة في سهلة تحف بها البساتين وعليها حصن ، والجامع في الاسواق ، والبرد فيها قارس في الشتاء ، وهي آهلة جدا • والنهر يخرقها ويصل جانبيها جسر • ونوه المستوفى بالبساتين المجاورة لها • ويطل على اخلاط الجبل العظيم المسمى كوه سيان وكان على ما في المستوفى يرى من بعد خمسين فرسخا ولا تفارق الثلوج قمته •

وارحيش ، وهي على الساحل الشمالى للبحيرة ، وكثيرا ما عرفت البحيرة باسمها ، كانت على ما ذكر المستوفى قد احكم تحصينها الوزير علي شاه بامر غازان خان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ويكثر الفمح في نواحيها ، وتبعد عنها من شرقها مدينة بارگيري أو بهرگري قرب بندماهى (سد السمك) وهي على الطريق من ارحيش الى خوي في اذربيجان • ذكر المستوفى ان فيها قلعة حصينة في رأس الجبل • وكان نهرها ينحدر من مروج الأطلاق حيث ابنتى ارغون الايلخانى قصرا عظيما يصطاف فيه في وسط حير للصيد عليه سور • ومدينة وان وقد عرفت البحيرة بها اليوم ، قرب شاطئها الشرقى ، ولم يتنه البناء وصف لها • وكانت قلعة وسطام أو وسطان في ساحل البحيرة الجنوبى وقد تكلم عليها المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال ان بالقرب منها مدينة كبيرة • وأخيرا كان في جنوب غربى بحيرة وان مدينة بدليس (بتلس) • وصفها المقدسى بانها « في واد عميق بجري فيه نهران في المدينة يجتمعان وهي جانبان فيها قلعة من حجارة » • وعلى ما جاء في ياقوت ان « تفاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص ويحمل الى بلدان كثيرة »^(٢٣) •

وكانت حاصلات وتجارات هذه الاقاليم الشمالية قليلة • فكان يصنع فيها اصناف من الثياب المصبوغة بالقرمز واصله من دود يربى على شجر البلوط الذى يكثر في انحاء اذربيجان • والى القرمز ينسب الحرير القرمزى (Cramoisie)

(٢٢) هذا الوصف في الاصل للمقدسى (ص ٣٧٧) وعنه نقل المستوفى • (م) •

(٢٣) الامطخري ١٨٨ و ١٩٠ ؛ ابن حوقل ٢٤٥ و ٢٤٨ ؛ المقدسى ٣٧٧ ؛ ياقوت ١٠١ و ٥٢٦ ؛

٢ : ٤٥٧ ؛ الفزوينى ٢ : ٣٥٢ ؛ المستوفى ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٠٥ و ٢٢٦ ؛ جهان نسا ٤١١ و ٤١٢ ؛

على اليزدى ١. ٦٨٥ و ٦٨٨ •

- ٢١٩ -

ومنه جاءت اللفظتان (Crimson) و (Carmine) (٢٤) • ووصف ابن حوقل
والمقدسي القرمز فقال الاول : « اصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز اذا
نسجت على نفسها القز » • وقال المقدسي ان القرمز « دودة تظهر في الارض
وتخرج اليها النسوان يقرنها بنحاسة معهن ثم يجعلنها في قرن » • ويصنع به
المرعزي والحريز والصوف وكان هذا الصبغ معروفا في كل مكان • ومما اشتهرت
به ارمينية ايضا : « الاثماط والتكك الرفيعة والبسط والمحפורيات والوسائد
والستور » وكذلك التين والشاه بلوط وسمك يقال له الطريخ من بحيرة وان
- على ما اشرنا اليه - وكل ما يعرف من عملهم هذا لا نظير له في شيء من
الارض » • وكانت تجلب منها هذه السلع وتحمل كلها من ديل • وكان يحمل
الابريسم من برذعة ومن سائر النواحي المجاورة • ومن باب الابواب تحمل
البغال الجياد • وأخيرا يقع الى هذا الميناء الذي يقال له الدربند رقيق كثير من
سائر البلدان الشمالية المصاغة له (٢٥) •

(٢٤) جاء في تاج العروس (٤ : ٦٩) :

« القرمز بالكسر هو صبغ ارمني احمر يقال انه يكون من عصارة دود يكون في اجامهم -
فارسي معرب ١٠٠٠ رميل هو احمر كالعديس محبب يقع على نوع من الباطون في شهر آذار فان غفل عنه
ولم يجمع صار طائرا وطار • وهذا الحب منه شيء يسمى القرمز من خاصيته صبغ ما كان حيوانيا
كالصوف والقز دون القطن » - (م) •

(٢٥) ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسي ٣٨٠ و ٣٨١ •

الفصل الثالث عشر

الجبال

اقليم الجبال اى عراق العجم ، ونواحيه الادبع - فرميسين اى كرمان شاهان - بهستون
ومنحوتاتها - كنگور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان العظيم -
كرند - كردستان فى عهد السلاجقة - بهار - جمجمال - الانى
واليشتر - همدان ورساتيقها - دركزين - خرقالين
واوه الشمالية - نهاوند - كرج دودراور
وكرج ابى دلف - فراهان •

ان البلاد الجبلية الواسعة التى سماها اليونان ميديا (ماذي Media) الممتدة
من سهول العراق والجزيرة فى الغرب الى مفازة فارس الملحية الكبرى فى الشرق،
قد سماها البلدانون العرب اقليم الجبال • ثم بطل استعمال هذا الاسم ، وصار
الاقليم ايام ملوك السلجوقية فى المئة السادسة (الثانية عشرة) يعرف غلطا بعراق
العجم • وقد سمي بذلك تميزا له عن عراق العرب ، وهو ما يعرف به القسم
الاسفل من ما بين النهرين^(١) •

وقد حصل هذا التغير فى اسم هذا الاقليم على الوجه الآتى حسبما يظهر :

(١) اطلق العرب بالاصل اسم « عجم » و « اعجمى » على الاحنى ، اى من لم يكن عربيا كاستعمال
اليونان للفظه بربرى • وما ان الفرس كانوا اول اجانب صارت للعرب علاقة بهم ، اصبحت عجم
واعجمى مختصة بالاجانب من الفرس ، وهى تقابل الآن فى الاستعمال لفظه فارسى • وجبال بالعربية
جمع جبل • وقد استعمل ابو الفداء (ص ٤٠٨) « بلاد الجبل » فقال « ذكر بلاد الجبل وهى عراق
العجم » •

«العراق» على ما قد بينّا (الفصل الثاني ص ٤٢ الحاشية ١) ، اسم أطلقه المسلمون على النصف الأسفل لما بين النهرين ، كما أطلق العرب هذا الاسم بصيغة المثنى على المدينتين الكبيرتين : الكوفة والبصرة فقالوا « العراقيين » أى « عاصمتي العراق » . وكانت هذه التسمية هي التسمية القديمة الوارد ذكرها في الأدب العربي . غير ان السلاجقة ، وقد تولّوا حكم بلاد فارس الغربية في النصف الثاني من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، جعلوا دار حكومتهم في همذان ، وبسطوا نفوذهم أيضا على ما بين النهرين حيث مقام الخليفة العباسي . واحرز السلاجقة من الخليفة لقب سلطان العراقيين ، فكان اسم عراق العجم يتفق هو ووضعهم هذا على ما يظهر . وسرعان ما اصح ثاني هذين العراقيين يراد به اقليم الجبال حيث كان السلطان السلجوقي يمضي أكثر وقته . وهكذا صار يعرف لدى العامة بعراق العجم تميزا له عن الآخر . وليأقوت رأي بصدد هذه التسمية . فقد أشار الى ان تسمية العجم لهذا الاقليم بالعراق في ايامه غلط ، وهو اصطلاح محدث . وقد استعمل يأقوت نفسه الاسم القديم فقال الجبال . ولكن القزويني معاصره ، وقد كتب بالعربية أيضا ، اطلق على هذا الاقليم ما يرادفه بالفارسية فسماه قوهستان (أى اقليم الجبل) . ومهما يكن من أمر فان لفظ « الجبال » ، بطل استعماله على ما يظهر بعد الفتح المغولي . ولم يستعمله المستوفي البتة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وينقسم اقليم الجبال القديم الى قسمين : الصغير ، وهو كردستان في الغرب ، والكبير وهو عراق العجم في الشرق . وما زال اسم « العراق » يطلق عليه حتى اليوم . وما زال ذلك القسم من البلاد الذي كان اقليم الجبال قديما في جنوب غربي طهران ، يعرفه أهله اليوم باسم « ولاية عراق »^(٢) . وكانت المدن الاربع القديمة - قزمسين (كرمانشاه الحديثة) وهمذان والري واصفهان - أجلّ مدن النواحي الاربع لهذا الاقليم منذ القدم . ففي أيام بنى بويه ، أى في المئة الرابعة (العاشرة) ، كانت دواوين الدولة في الري ، على ما في ابن حوقل ، ثم اصبحت همذان في ختام القرن التالي قاعدة سلاجقة بلاد فارس . ولكن اصفهان كانت في جميع الاوقات على ما يظهر اوسع بلاد الجبال

(٢) يالوت ٢ ١٥ : القرويني ٢ : ٢٢٨ : المستوفي ١٤١ .

- ٢٢٢ -

واخصبها وأكثرها مالا • وفي بحثنا هذا يحسن ان نصف الاقليم بحسب ولايات مدنه العظيمة الاربع • ونبدأ بالولاية الغربية التي تتبع كرمانشاه فقد كانت منذ أيام السلاجقة تعرف عادة بكردستان ويراد بذلك بلاد الكرد •

وقصة كرمان شاهان ، ويختصر اسمها عادة الى كرمانشاه ، قد عرفها العرب قديما باسم قرميسين (وتكتب أيضا قرماسين وقرماشين) • وصفها ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) فقال : « مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثمر ورخص وعيون متدفقة وخيرات وتجارات » • وكان المقدسي أول من ذكرها باسمها الفارسي كرمان شاهان وقال ان « الجامع في الاسواق » وقد بنى عضد الدولة (البويهى) ثم دارا حسنة ، وهى على الجادة • وتكلم القزوينى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) على قرميسين وقال انها « بقرب كرمانشاهان فكأنهما بلدة واحدة » • واما ياقوت فقد ذكر الاسمين ، ولم يطل فى الكلام على المدينة بل قصر وصفه على الصور المنحوتة والخرائب وما فى جبل بهستان المجاور من آثار • وكان من أثر الفتح المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ان خربت كرمانشاه ، فقال المستوفى فى المئة التالية ان هذه المدينة ضوّلت فى أيامه وصارت كالقرية وقال ان اسمها فى الكتب ما زال يكتب قرماسين (وقد بطل منذ أيامه) • وهو الآخر قد قصر وصفه على منحوتات بهستان أو بيستون •

وهذه الصور كانت منحوتة فى سفح الجبل العظيم وقاعدته ، على حجر اسود • وهى على مسيرة يوم من شرق كرمانشاه قرب طريق خراسان • وتحوى هذه الصور على بقايا يرقى تاريخها الى الملوك الاخمينيين (المئة الخامسة قبل الميلاد) والساسانيين (السابعة للميلاد) وقد وصفها الاصطخرى وابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) فذكرا ان اسم الجبل بهستون وبيستون ، وقالوا انه كانت هناك قرية تدعى ساسانيان^(٣) • ولا ريب فى انها هى القرية التى سماها المسنوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وسطام أو بسطام وتعرف اليوم باسم طاق بستان • فيها صورة دارا المشهور يستقبل الملوك التابعين له • وفيها كتابة مسمارية بثلاث لغات.

(٣) فى المطبوع من ابن حوقل (ص ٣٥٩) : « ساسانان » ولعله من اوام النسخ والطبع (م) -

- ٢٢٣ -

أشار إليها ابن حوقل وقد وصفها بقوله ان فيه « صورة مكتب ومعلم صبيان من حجارة ، وبید معلمهم كالسير يومى به لضرب الصبيان ، وان هناك قدورا منصوبة على ائاف ، كل ذلك من حجارة » . واما المنحوتات الساسانية التى اضيفت الى الاولى بعد ما يربو على الف سنة فقد كانت « فى مكان يشبه الغار فيه عين ماء تجرى » . وفيه على ما جاء فى ابن حوقل وتناقله من جاء بعده من مؤلفى الفرس « صورة دابة كسرى المسمى شبداز (شيديز) وعليه صورة كسرى من حجر وصورة امرأته شيرين فى سقف هذا الغار » . وهذه الصور وان نالها بعض التشويه ، ما زالت ترى الى يومنا هذا ، وقد صورت ووصفت غير مرة . وروى ياقوت ، نقلا عن رحلة ابن مهلهل فى المئة الرابعة (العاشرة) ، والمستوفى كثيرا مما كان يحكى فى زمنهما بشأن هذه الصور . فقصة خسرو وشيرين وعشيقها النحات فرهاد الذى انتحر يأسا ، تسمع محوورة تحويرا محليا فى كثير من الامكنة المجاورة . وحوادث القصة معروفة جيدا من الشاهنامه للفردوسى ومن شعر نظامى الشاعر العظيم (وعنه نقل المستوفى) بعنوان « عشق خسرو وشيرين »^(٤) .

ويطل على كرمانشاه من ناحية الشمال ، فى يسار الداهب بطريق خراسان ، الجبل الفرد المسمى سن سميرة ومنه يبدأ الطريق الشمالى الى الدينور واقليم اذربيجان . وانما سمي هذا الجبل بسن سميرة نسبة الى امرأة عربية بهذا الاسم كانت لها سن مشرفة على اسنانها فسمى المسلمون الجبل بسننها حين مرت جيوشهم به تريد نهاوند . ومما يلى بيستون فى الناحية الشرقية على طريق خراسان العظيم قرية صُحنة وقد ذكرها الاصطخرى ، وما زالت قائمة فلا يلتبس أمرها بمدينة سحنة الحديثة التى سبأتى الكلام عليها . ويلي قرية صُحنة مدينة كنگوار وقد سماها العرب بقصر اللصوص لأن أهلها سرقوا دواب المسلمين لما سار جيشهم الى نهاوند فى أول الفتح الاسلامى . وكان فى هذه المدينة على ما فى ابن رسته

(٤) ابن رسته ١٦٦ ؛ اليعقوبى ٢٧٠ ؛ الاصطخرى ١٦٥ و ٢٠٣ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٥ و ٢٦٦ ، المقدسى ٢٨٤ و ٣٩٣ ؛ القزوينى ٢ ؛ ياقوت ٢٩٠ ؛ ٢٥٠ ؛ ٤ ؛ ٦٩ ؛ المستوفى ١٦٨ و ٢٠٣ ؛ جهان نسا ٤٥١ . بهستان هى الصورة القديمة للاسم . وبيستون ومعناها بالعارسية « بدون عمد » أى غير المسندة . ولعل هذا الاسم جاء من تسمية الناس لحال هذه الصور .

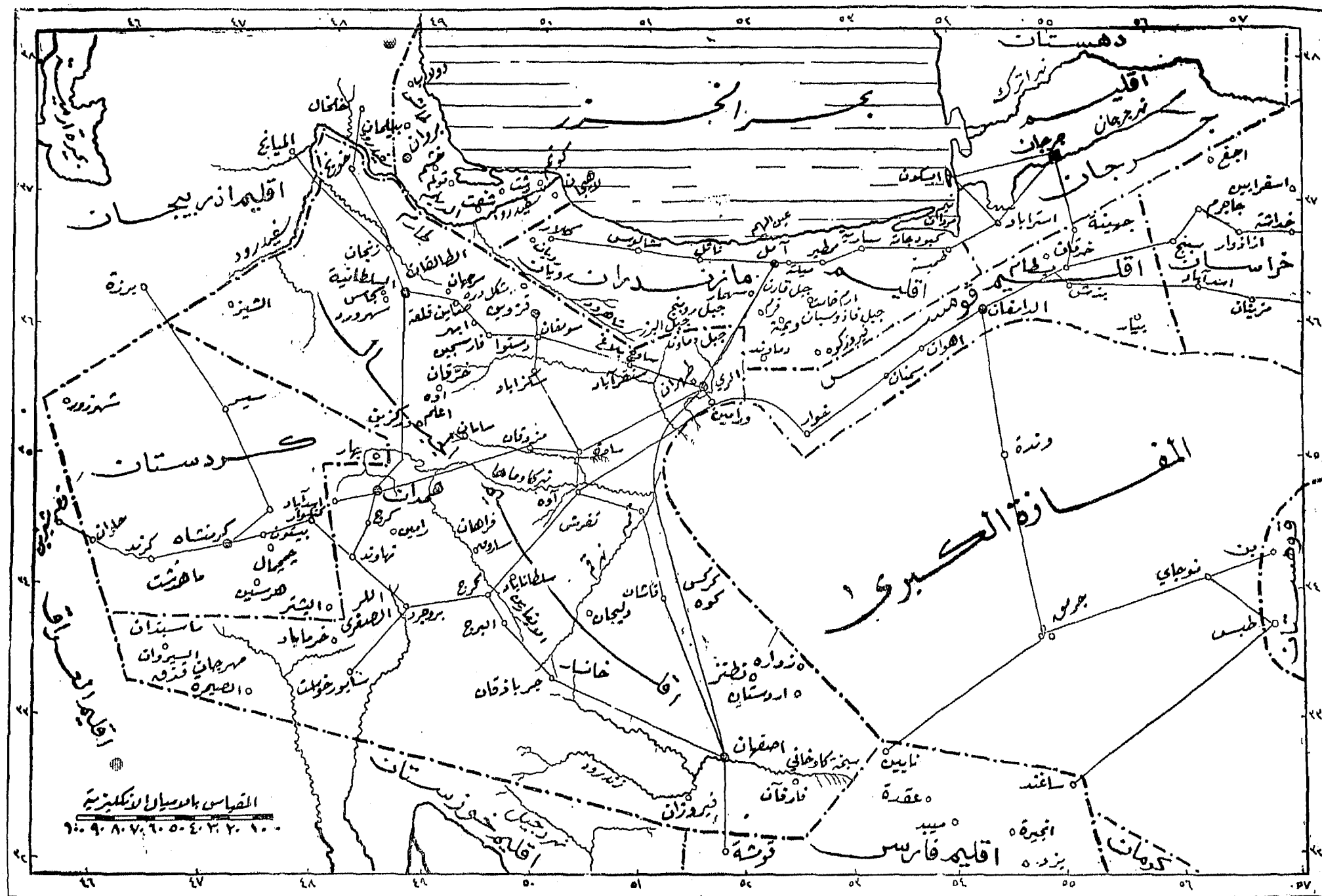
- ٢٢٤ -

وغيره ، ايوان على دكة من حجر وهو لكسرى ابرويز ، مبني بالجص والحجارة على اساطين . وكانت مدينة كنگوار جليلة القدر وفيها منبر ، استحدثها مؤسس المظفر حاجب الخليفة المقتدر . وقال ياقوت ان الدكة التي عليها القصور الساسانية ، ارتفاعها عن وجه الارض نحو عشرين ذراعاً . وزاد المستوفى على ذلك قوله ان الحجارة العظيمة التي بنيت بها القصور جئء بها من جبل بيستون^(٥) .

وعلى نحو خمسة وعشرين ميلاً من غربى كنگوار ، اطلال الدينور وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) قصبة للامارة المستقلة الصغيرة المنسوبة الى حسنويه أو حسنوية رئيس القبيلة الكردية الغالبة على هذه الانحاء . وفي أيام الفتح الاسلامى لبلاد فارس ، سميت الدينور ماء الكوفة لأن (على ما فى يعقوبى) « مالها كان يحمل فى اعطيات أهل الكوفة » . وسميت المدينة وما جاورها ماء الكوفة زمناً ما . ووصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) الدينور فقال هى « كئلى همدان وتزيد على همدان من جهة آداب أهلها وتصرفهم فى العلم » . وزاد المقدسى على ذلك انها « حسنة الاسواق وقد احدث بها يساتين » . وكان الجامع ، وهو من بناء حسنويه فى السوق^(٦) « على المنبر قبة حسنة ومقصورة ما رأيت أحسن منها » . وكانت الدينور مدينة أهلة حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، طيبة الهواء ووفرة المياه يكثر فيها القمح والاعناب . ولعل ما يرى فى هذا الموضع من خراب الآن ، قد حل به بعد فتح تيمور ، فقد ذكر على اليزدى ان تيمور ابقى بعض جنده فى حامية هناك .

ولعله كانت فى جوار الدينور قلعة آسراماج العظيمة ، ولا يعرف حتى الآن موضعها على ما يظهر . وصفها ياقوت بأنها حصينة من أحصن القلاع وأشدّها امتناعاً . بناها حسنويه بالصخور المهندمة وتوفى فيها سنة ٣٦٩ (٩٧٩) بعد ان حكم حكماً حافلاً ، على ما فى ابن الاثير ، زهاء خمسين سنة . وفى المئة التالية استولى ظفرل بك

(٥) الاصبغرى ١٩٦ ، ابن حوقل ٢٥٦ : ابن رسته ١٦٧ : المقدسى ٣٩٣ : ياقوت ٣ : ٥٠ ر ١٦٩ : ٤ : ١٢٠ و ٣٨١ .
وكتب اسم القرية صحنة وسحنة (المستوفى ١٦٨) .
(٦) فى المقدسى (ص ٣٩٤) : « والجامع ناء عن الاسواق » (م) .



اقليما الجبال وجيلان ، مع اقليم مازندران وقومس وجرجان

السلجوقي على سرماج في سنة ٤٤١ (١٠٤٩) بعد ان ضرب الجصار عليها اربع سنين^(٧) ولم يستول على هذه القلعة الا بعد ان انفذ جيشا من مئة الف رجل واستنزل (ينال) من هذه القلعة العظيمة مقهورا^(٨) .

وعلى ستين ميلا شمال خرائب الدينور تقوم اليوم مدينة سحنة الجليلة ، وهي القاعدة الحديثة لاقليم كردستان الفارسي ، وان لم يذكرها بهذا الاسم بلدانيو القرون الوسطى من عرب وفرس . وكان في موضع سحنة الحديثة في القرون الوسطى ، على ما جاء في كتابي المسالك لابن خرداذبه وقدامة ، مدينة سيّسر ومعنى الاسم بالفارسية «ثلاثون رأسا» بحسب تفسير ياقوت الصحيح له . وفي سبسر عيون كثيرة لا تحصى وكانت تدعى صد خانية (أى البيوت المئة) أو منابع المياه لكثرة عيونها ومنابعها . وقد بنى الخليفة الامين حصنها ونزله المأمون بعسكره ، بينهم جند من القبائل الكردية التي كانت في المراعى المجاورة وقد اسخدمهم في محاربة أخيه وخلعه من الخلافة . وكانت سيسر رستاقا من الرساتيق الاربعة والعشرين التابعة لههذان . ولعل اسم سحنة الحديث تصحيف صد خانية اختصرت الى سيخانة (أى ثلاثين بيتا) الا انه لا دليل على ذلك .

وعلى مسيرة اربع مراحل شمال غربي الدينور ، مدينة شهر زور في كورة شهر روز . وقد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) شهر زور بأنها مدينة حصينة عليها سور يسكنها الاكراد ، وقد سرد اسماء قبائلهم المنشة في تلك الارزاء . وكانت « من رغد العيش وكثرة الرخص وخصب الناحية بحالة واسعة وصورة رائعة » . ووصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما اقتبس منه ياقوت بقوله « شهرزور مدينت وقرى ، فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها في

(٧) في الكامل لابن الاثير (حوادث سنة ٤٤١ هـ) « وتحصن ابراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه محصره طمرل بك فيها وكانت عساكره قد بلغت مئة الف من انواع العسكر وقتلته . ملكها في أربعة أيام » . (م) .

(٨) اليمغوبى ٢٧١ : ابن حوقل ٢٦٠ : المقدسى ٣٩٤ : المستوفي ١٧٦ : ياقوت ٣ : ٨٢ . على اليزدى ٢ : ٥٣٠ : ابن الاثير ٨ : ٥١٨ و ٥١٩ : ٩ : ٣٨٠ . وعلى ما في ياقوت (٤ : ٤٠٥) الكلمة الفارسية « ماه » مصاحا « فصبة البلد » بالعربية . وللمظة « ماه » التي ترى في الاسمين القديمين لدينور وبهاوند هي (مادا) بالفارسية القديمة . وقد انتهت اليها الكلمة نفسها عن طريق اليونان بصورة مبدية والميديين لانها اسم مكان . وقد زار اطلال دينور أخيرا دى موركن De Morgan ووصفها في كتابه Mission en Perse (٢ : ٩٥ و ٩٦) .

- ٢٣٩ -

وقتاً هذا . * يقال لها نيم راه^(٩) عند الفرس . * (ومضاه منزل نصف الطريق) لأنها تقوم في نصف الطريق بين المدائن (طيسفون) والشيز ، وفيهما بيتا النار العظيمان في أيام الساسانيين . * وبقرّب من هذه المدينة جبل يعرف بشعران وآخر يعرف بالزّلم ، على ما ذكر القزويني « ينبت حب الزلم الذي يصلح لأدوية الباه » وكان أكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشيء ستين ألف بيت . * وحين كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت شهرزور مدينة زاهرة وأهلها أكراد^(١٠) . * كان طريق خراسان ، وقد مرّ وصفه في الفصل الاول ، يأخذ من بغداد فيشرق الى اقصى حدود بلاد الاسلام . * فبعد ان يخترق سهل ما بين النهرين ، يدخل في منطقة جبال فارس عند حلوان وهي من مدن اقليم الجبال . * وقد عدّها بعضهم في ضمن العراق العربي . * وقال ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ان « حلوان نحو نصف الدينور وبنائها من طين وحجارة . * وهي وان كانت مدينة حارة فيها تخيل وorman وشجرتين كثير موصوف ، فان الثلج يكون منها على فرسخين في الصيف غير منقطع ابداً » . * وقال المقدسي ان لها حصناً عتيقاً فيه الجامع ولورها ثمانية أبواب سرد اسماءها وقال « ثم كنيسة اليهود يعظمونها خارج البلد » من الجص والحجارة المربعة المتلاحكة . * وكانت حلوان حين كتب القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) خراباً . * « وفي حوالها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة ادواء » . * وفي المئة التالية نوه المستوفى بقمحها ، ولكنه قال ان المدينة كانت خالية خاوية ما خلا مزارات الاولياء وكان في ناحيتها ثلاثون قرية . *

وعلى طريق خراسان ، على اربعة فراسخ فوق حلوان من ناحية كرند ، مدينة ماذرستان على مافى ياقوت ، كان فيها ايوان عظيم وبين يديه دكة عظيمة وأثر بستان خراب بناء بهرام جور « الملك الساساني وقد آل في أيام ياقوت الى الخراب . *

(٩) في ياقوت (٣ : ٣٤٠) ان « شهرزور يقال له نيم از راي » (م) .
(١٠) ابن حرداذبه ١٢٠ ، فداه ٢١٢ ؛ ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٥ ؛ ياقوت ٣ . ٢١٦ و ٣٤٠ .
٤ : ٩٨٨ ؛ القزويني ٢ : ٢٦٦ ؛ المستوفى ١٦٧ .
ان كورة شهرزور ما زالت محتفظة باسمها . اما المدينة القديمة فهي حيث الخرائب المسماة الآن ياسين تبه .
قلنا : ولا يمكن الجرم بهذا الرأي ، اذ يرى بعضهم ان مدية شهرزور قد يمثلها تل بكرآه (قرب حلوه) ، أو الخرائب العربية من خورمال . اما كورة شهرزور فهي اليوم جزء من لواء السليمانية . (م) .

- ٢٢٢ -

وعلى ستة فراسخ مما يلي ماذرستان ، مدينة كرنند ويبدو ان أول من ذكرها المستوفى
فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد جمع اسم كرنند الى قرية مجاورة لها يقال
لها خوشان ولا أثر لها اليوم . مع ان المستوفى قال انها فى أيامه أهلة أكثر من كرنند .
وهذان الموضعان عند رأس درب حلوان فى سهل خصب ويتفق موضعهما - اذ كما
بينّا لم يذكر البلدانون العرب القدماء موضع كليهما - مع المرج المعروف بمرج
القلعة . ووصفها ابن حوقل فقال انها مدينة عليها سور لطيف وحولها رساتيق أهلة
كثيرة الخيرات . وروى اليعقوبى ان « بهذا الموضع دواب الخلفاء فى المروج » .
وعلى أربعة فراسخ مما يلي هذه المروج يمر الطريق بطّوّر ، فيها على ما فى المقدسى
بقايا ايوان للاكاسرة ، بناء خسرو جرد بن شاهان على ما ذكر ياقوت . وفى طزر
أسواق حسنة . ولعلها قصر يزيد الذى ذكره غير ياقوت من المصنفين . وعلى ستة
فراسخ مما يلي طزر أيضا ، الزبديّة . وهى « منزل صالح » على ما فى ابن حوقل .
ويستدل من وجودها على الطريق العام انها قد تكون فى موضع قرية هرون اباد
الحديثة . وينعطف طريق خراسان هنا نحو الشرق فيخترق سهل مايدشت
(او ماهدشت) قاصدا كرمانشاه . وذكر المستوفى ان فى سهل مايدشت فى أيامه
خمسين قرية ذات مروج خضر ياتعة كثيرة المياه المنحدرة اليها من الجبال المجاورة
لها . وفى هذه الارزاء قلعة هرسين وعند قاعدتها مدينة صغيرة ما زالت قائمة على
نحو عشرين ميلا جنوب شرقى كرمانشاه (١١) .

اما ما يقال فى أصل اقليم كردستان ، فيروى انه فى نحو منتصف المثة السادسة
(الثانية عشرة) اقتطع السلطان سنجر السلجوقى القسم الغربى من اقليم الجبال ، أى
ما كان منه من اعمال كرمانشاه وسماء كردستان وولى عليه ابن أخيه سليمان شاه
الملقب أبوه (أو آيوه) وهو الذى صار فيما بعد - أى من سنة ٥٥٤-٥٥٦ (١١٥٩) -

(١١) ابن حوقل ١٦٨ و ٢٥٦ و ٢٦٢ ؛ ابن رسته ١٦٥ ؛ اليعقوبى ٢٧٠ ؛ المقدسى ١٢٢ و ١٣٥
و ٣٩٣ ؛ القزوينى ٢ : ٢٣٩ و ٣٠٢ ؛ المسنوفى ١٣٨ و ١٦٨ ، ياقوت ٣ : ٥٣٧ ؛
٤ : ٣٨٢ ؛ جهان نما ٤٥٠ .

ما زالت نخرائب حلوان ترى عند القرية المسماة الآن سربل (رأس الجسر) وعلى النهر هناك
قطرة .

(١١٦١) - خلفا لعمه فى رئاسة البيت السلجوقى وسلطنة العراقين • وهذه هى رواية المستوفى الذى قال ان كردستان فى أيام سليمان شاه ازدهر ازدهارا عظيما وبلغ ارتفاعه مليونى دينار ذهبا (ما يعادل نحو مليون استرلىنى) • وهو عشرة أضعاف ما كان يدّره هذا الاقليم فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أيام الحكم المغولى حين كان المستوفى نفسه مستوفيا أموال الدولة • واتخذ سليمان شاه بهار - وهى مدينة ما زالت قائمة على نحو ثمانية أميال شمال همدان - قاعدة له • وكان فيها قلعة منيعة • وفى أيام المغول بنى السلطان ألباتو عاصمة ثانية فى سلطان آباد جمجمال (چمجمال) قرب حافة جبل بيستون • وقد وصف المستوفى هذه المدينة فقال هى وسط صقع وافر الخيرات كثير القمح • وأشار فى وصف المسالك الى موضع جمجمال أو چمجمال - وهى على اربعة فراسخ من قرية سحنة وستة من كرما نشاء - وما زالت أطلالها قائمة معينة فى الخارطة فى الموضع المنوه به • وقد ذكر على اليزدى هذه المدينة غير مرة حين وصفه زحف تيمور الى كردستان •

ومن المدن التى يقع ذكرها فى أخبار حروب تيمور ، وأشار اليها المستوفى ، مدينة دربند تاج خاتون « مدينة متوسطة السعة أكثرها قد استولى عليه الخراب الآن » • ودربند زنكى وهى دونها • وكانت فيها مراتع حسنة وهواؤها طيب معتدل ، والظاهر انه لم يبق لهاتين المدينتين أثر فى الخارطة • وبما ان دربند تعني الدرب الجبلى ، وان علي اليزدى ذكر اسم الاولى بصورة دربند تاشى خانون ، فان هاتين المدينتين المشتركتين باسم دربند كانتا فى الحدود الغربية لبلاد كردستان على ما يظهر ، (بين شهرزور وحلوان) فى الجبال التى تهيم على سهول ما بين النهرين •

وذكر المستوفى أيضا اربع مدن أخرى فى كردستان هى : ألانى واليشتر وُخفتيان ودربيل • وقال ان هذه المدن كانت فى أيامه جليلة ، اما اليوم فليس من اليسير تعيين مواضعها • وكانت ألانى ، وقد ورد ذكرها فى بعض المخطوطات بصورة ألابى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قصبة الاقليم المعبرة على ما يظهر وان لم يذكرها غير المستوفى على ما نعلم • ويكثر فيها القمح وهواؤها طيب ومروجها وافرة المياه ويكثر الصيد فى انحائها • وهى اليشتر أيضا بيت للنار قديم

يسمى اردحش (اروحش أو ارخش) بيد ان كتب المسالك لم تعين موضعها •
الا ان سهل اليشتر ما زال معروفا ولعل من مواضعه القديمة المدينة التي ذكرها
المستوفى وهى بلا ريب مطابقة لمدينة ليشر أو لاشتر التي ذكر ابن حوقل وغيره
بانها على عشرة فراسخ جنوب غربى نهاوند واتى عشر فرسخا شمال
شابرخاست^(١٢) • ويحسن بنا ان نين من الجهة الثانية انه يشك كل الشك فى
قراءة اسم اليشتر ، فان كثيرا من اوثق المخطوطات واصحها وكذلك جهان نما
التركية ، وأوردته بصورة الشر كما وقعت فيها صور أخرى مختلفة لهذا الاسم •
ولا يعلم شئ عن خفتيان^(١٣) (وأوردها جهان نما حقشبان ، والمخطوطات بصور
أخرى) سوى انها كانت قلعة محكمة البناء حولها القرى على ضفاف نهر الزاب •
وغير واضح ما اذا كان هذا الزاب هو الزاب الاعلى أم الاسفل • فموضعها غير
معلوم والامر كذلك فى دربيل (أو دزويل) وهى « مدينة وسطية ذات هواء
طيب » • ولم يشر المسنوفى الى موضعها ولو بوجه التقريب • وبهذا يختم المستوفى
كلامه فى اقليم كردستان^(١٤) •

وهمدان (وقد كتبها العرب بصورة همدان)^(١٥) وهى اكبانا القديمة
قاعدة اقليم مازي • وصف ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) همدان بأنها
« مدينة كبيرة حسنة مقدارها فرسخ فى مثله ، محدثة ، اسلامية • ولها سور
وربض • وللمدينة أربعة أبواب ، كثيرة التجارات والمبر ، ولها مياه وبساتين كثيرة
وزروع خصبة » وغللات وافرة ولاسما الزعفران • وقال المقدسى ان اسواق
المدينة ثلاثة صفوف ، والجامع فى السوق وبنائه عتيق • وقال ياقوت ، وله فى
همدان فوائد كتبها قبيل ان يقوضها الفتح المغولى ويحيلها أرضا يابا فى سنة ٦١٧

(١٢) هذه تسمية ابن حوقل لها (ص ٣٦٠) - وفى المسنوفى « شابرور خراست » (ص

١٧٢) (م) •

(١٣) ذكرها ابن خلكان فى وفيات الاعيان (١ : ٥٦٩ و ٥٧٠) (م) •

(١٤) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٤ : ياقوت ١ : ٢٧٦ : ٣ . ٥ : المسنوفى ١٦٧ و ١٩٢ :

عل اليردى ١ : ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٩٩ و ٦٤٠ : جهان نما ٤٥٠ •

ولم يذكر البلدانون العرب القدماء بلدة بهار والاسى وخفتيان ودربيل ولا المدينتين المعروفتين
بالدريند •

(١٥) همدان هى هكنايا فى الكتابات الاخمينية وقد كتبها اليونان بصورة اكبانا (Ecbatana)

(١٢٢٠) ، انها اربعة وعشرون رستاقا لكل رستاق قصبة ، وقد سرد اسماءها .
ثم أورد المستوفى هذه الاسماء فى المثة التالية وقد زاد عليها اسماء القرى التى
فى كل رستاق . على ان أكثرها لا يمكن تعيين موضعه الآن . ووصف المستوفى
هذه المدينة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها فرسخان فى مثلها وفى وسطها
تقوم القلعة العتيقة وقد بنيت بالطين ، يقال لها شهرستان . وقلعة همذان العتيقة
هذه كنظيرتها التى فى اصفهان . وسيأتى ذكرها - سماها ابن الفقيه ساروقا^(١٦)
ولكنه لم يفسر معنى الاسم . وكان سوق الصاغة فى همذان مشهورا ، أنشئ فى
موضع قرية قديمة يقال لها زمينديه . وكان محيط أسوار المدينة ١٢٠٠٠ خطوة .
وقوام همذان فى أول ايامها ، على ما ذكر المستوفى ، خمس مدن وهى : قلعة
كبريت وقلعة ماكين^(١٧) ، وكرد لاه وخورشيد وكورشيت . وزاد على ذلك « ان
الاخيرة وهى مدينة كانت واسعة فى القديم قد آلت الى الخراب » . ومن أعمال
همذان أيضا النواحي الخمس العظيمة الآتية مع قراها وهى : فريوار قرب
المدينة ثم ازمدن وشرامين وأعلم . وأخيرا يلحق بها كورة سردرود
وبرهندرود . ويحسن بنا ان نقول انه لا يركن الى قراءة هذه الاسماء ، فان
مخطوطات الكتاب المختلفة متباينة فى ذلك كثيرا^(١٨) .

وعلى ثلاثة فراسخ من همذان ، قرية يقال لها جوهسته (ولم تذكر المراجع
فى أية جهة من همذان هى ، كما لم تذكر الخوارط اسمها) فيها اطلال قصر الملك
بهرام جور . وصفه ابن الفقيه فقال ان القصر كله حَجَرٌ واحد منقور فيه الحَجَرُ
والدروب والغرف « وفى كل ركن من اركانه صورة جارية وفيه كتابة بالفارسية
من أوله الى آخره » تشيد بفنوحات الاكاسرة . وعلى مقدار نصف فرسخ من
هذا القصر ، تل مشرف عليه « ناووس الظية » . وروى ابن الفقيه حكاية الملك
بهرام جور وجارته المحبوبة . جاء فيها خبر صيده كثيرا من الظباء فى البرية القريبة

(١٦) فى هامش ابن الفقيه (ص ٢١٩) : الشاروق (م) .

(١٧) فى حاشية المطبوع من المستوفى (ص ٧١) : قلعة ماكير او مالكرة . (م) .

(١٨) ابن حوقل ٢٥٦ و ٣٦٠ : المعدس ٣٩٢ : ابن الفقيه ٢١٩ : ياقوت ٤ : ٩٨٨ :

المستوفى ١٥١ و ١٥٢ .

وقد كرر جهان نما التركية (ص ٣٠٠) ما فى المستوفى من اسماء الرستاق والقرى .

- ٢٣٩ -

من ذلك الموضع ، ثم قتله جاريته جزاء أقوالها المهينة التي انتقصت فيها من قدرته على الصيد .

والى جنوب غربى همذان يشمخ جبل ألوند العظيم أو أروند ، على ما كتبه ياقوت . وهذا الاسم يرى فى دراهم الفضة التي ضربها فيها أبو سعيد الابلخاني فى سنة ٧٢٩ (١٣٢٩)^(١٩) . وسرد المستوفى حديثا طويلا عن كوه الوند فقال فيه ان محيطه ثلاثون فرسخا وقمعه لا تفارقها الثلوج شتاء وصيفا . وكان فى ذروة الجبل عين يخرج ماؤها من شق فى صخرة . وزاد على ذلك انه ينبع من ذراء أيضا اثنان واربعون نهرا . فاذا سرنا غربا من همذان وعبرنا درب الوند فى الطريق الى كنكوار الفينا اسدآباد ، وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة آهلة . وذكر المقدسى ان على مقدار فرسخ منها ايوانا فى بناء سماء ياقوت مطابخ كسرى . وكان فى اسداباد جامع وأسواق عامرة وهى كثيرة الخير والسل . وقال المستوفى انه كان من أعمالها خمس وثلاثون ضيعة^(٢٠) .

والسهل الذى تقوم فيه همذان تنصرف مياهه الى الشمال والشرق ، فتجد مجاريه العديدة لتؤلف أوائل نهر كاوماها (كاوماسا) وسذكره فى كلامنا على نهر قم . والى شمال همذان ناحية دركزين وفى شمالها أيضا ناحية خرقان . وقد كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) عن دركزين وقال انها مدينة جليلة كانت قبلا قرية وهى قصبة ناحية أعلم وقد مرت بنا فى الصفحة السابقة انها واحدة من خمس نواح من أعمال همذان . وقال ان ناحية أعلم - وذكرها ياقوت قبله أيضا - سماها الفرس خطأ باسم آلمر ، وكانت هضبة عالية بين همذان وزنجان . وتكثر فيها الاعناب والقطن والقمح . أما خرقان وتسمى فى الغالب خرقانين فهى الى شمال أعلم وفيها كثير من القرى سرد المستوفى اسماءها (ولكن قراءتها فى مخطوطات كتابه لا يوثق بها) . وقصبتها : آوه أو آبه همذان وما زالت قائمة . وانما سميت بذلك تمييزا لها عن آوه ساوه وسياى ذكرها . وقد تكتب آوه

(١٩) هو ابو سعيد بهادر خان تاسع الابلخانيين - روى المتحف العراقى عدد من هذه النقود بينها نقد باسمه ضرب فى اروند سنة ٣٣ ايلخانية وتبادل سنة ٧٣٥ للهجرة . (م) .
(٢٠) ابن حوقل ٢٥٦ ، ابن الفقيه ٢٥٥ ؛ المقدسى ٣٩٣ ؛ ياقوت ١ : ٢٢٥ و ٢٤٥ ؛
٤ : ١١٠ و ٧٣٣ ؛ الفروينى ٢ : ٢٣٦ و ٣١١ ؛ المستوفى ١٥٢ و ٢٠٢ .

الشمالية هذه احيانا بصورة آوا على ما ذكر ياقوت * وجاء ذكرها منذ المثة الرابعة (العاشرة) فقد نوه بها المقدسى * وكان نهر خرّقان ، على ما فى المستوفى ، يفيض فى الربيع ويسيل مأؤه فى نهر كوشك رود ثم يفضى فى المفاوز الكبيرة فى نواحى الرى * ولا يتجاوز ماء نهر خرّقان فى الصيف حدود هذه الناحية فان السقى يستنفد مياهه (٢١) .

ومدينة نهاوند على نحو اربعين ميلا جنوب همذان وكانت مدينة جليلة منذ ايام الساسانيين * وبعد ان فتحها المسلمون بجيش من أهل البصرة صارت تعرف المدينة وناحيتها باسم ماء البصرة لان خراجها كان يحمل فى اعطيات أهل البصرة مثل خراج الدينور الذى كان يحمل فى اعطيات أهل الكوفة (راجع الصفحة ٢٢٤) * وتكلم ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال هى مدينة جليلة كثيرة التجارة والرساتيق * ويرفع بها زعفران الروذراور ، وبها جامعان احدهما عتيق والاخر محدث * وذكر ياقوت : يروى ان كثيرا من عرب البصرة سكنوها منذ ايام الفتح الاولى * واشتهرت نهاوند بصنف من الطور * وروى المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جل أهلها فى أيامه من الاكراد * ويكثر فى رساتيقها قطن لاسيما فى ثلاثة رساتيق ذكر اسماءها وهى : ملاير واسفيذان وجهوق * وعلى نحو نصف الطريق بين همذان ونهاوند رستاق روذراور * وهو رستاق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران ، والمنبر منه بموضع يعرف بكرج الروذراور * وروذراور على ما فى ياقوت « مسيرة ثلاثة فراسخ فيها ثلاث وتسعون قرية » * وجاء اسمها فى المستوفى بصورة رودارود وغير ذلك * وذكر من مدنها سركان وتوي وكتنها ما زالت ترى * وبطلق على ناحيتها الآن اسم توي (٢٢) . وفى شرقى نهاوند كورة الايفارين وقصبتها يقال لها كرج ، واشتهرت باسم

(٢١) المقدسى ٢٥ و ٥١ و ٣٨٦ : اليعقوبى ١ : ٣١٦ و ٤٠٨ : المستوفى ١٥٢ و ٢١٧ : جهان نما ٣٠١ و ٣٠٥ .
 (٢٢) ابن رسته ١٦٦ : ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٢ : المقدسى ٣٩٣ : ياقوت ٢ : ٨٣٢ : ٤ : ٢٥١ و ٨٢٧ : المستوفى ١٥٢ و ١٥٣ .
 لا ريب ان اطلال كرج روذراور هى التى وصفها دى موركن De Morgan فى كتابه « بحثة الى فارس » Mission en Perse (٢ : ١٣٦) واطلق عليها اسم رودلاور .

- ٢٣٣ -

كرج ابي دُلف . ولا يعرف الآن الموضع الحقيقي لكرج هذه . ولكن مع التدقيق في المسافات التي ذكرت في وصف المسالك ومما قاله المستوفى في ان المدينة كانت وراء جبال راسمند (وهي الجبال المعروفة اليوم باسم راسبند) ينبغي أن يبحث عن موضعها بالقرب من منابع النهر المارّ بساروق والملتقى بنهر قراصو الحالي . وتكلم ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) على كرج فقال انها اصغر من بروجرود ولكنها كانت مدينة ذات شأن « بنيانها عال وكانت مدينة طويلة نحو فرسخين ولها سوقان احدهما على باب مسجد الجامع وسوق آخر وبنيهما صحراء كبيرة . وتصافيهما المنازل والمساكن والحمامات . وبناؤهم من طين وليس بها كثير بساتين ومتنزّهات » وتحف بها اراض قليلة وافرة الخصب . اما ابو دلف ، وهو الذي نسب اليه هذا الموضع ، فقد كان قائدا شهيرا وشاعرا في قصر هرون الرشيد وابنه المأمون . وقد أقام ابو دلف وآله في هذه الكورة وفي ما حول الرّج^(٢٣) ، وهو على اثني عشر فرسخا أمام اصفهان . وقد اوغرت لهم ايفارا أي انها معفاة من الخراج ما خلا ما يدفع سنويا من المال الى الخليفة^(٢٤) . وروى ياقوت ان « كرج » فارسة وأهلها يسمونها كره . وكانت فرّزين « قلعة على باب كرج » . وقد اشار المستوفى الى نهرها باسم كره - كره رود - وقال ان جبل راسمند كان يطل على السهل في شمالها . وعند حافة الجبل عين ماء غزيرة يقال لها عين الملك كبخسرو تسقى المراتع المجاورة طولها ستة فراسخ في عرض ثلاثة وكانت تعرف باسم مرغزار كيتو وتحميها قلعة فرّزين . وجبل راسمند ، على

(٢٣) ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل بن عمير وينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان العجلي (ابن خلكان) . وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكرج واتسها هو . وكان بها أهله وعشيرته وأولاده . وقد بنى ابو دلف ايضا العاجر وهي منزل خصيب كبير على طريق الحج بين الكوفة ونجد وماؤها من البرك والآبار (ابن رسته ١٧٦) . واشتهر بالشجاعة والكرم ، وألف جملة كتب وكان من رجال المأمون ثم المعتصم وحبيه الاثني عشر في أيام المعتصم سبب ما كان بين الترك والعرب من نزاع . ثم سعى ابن ابي دود فاطلقه وكانت وفاته في بغداد سنة ٢٢٥ وقل ٢٢٦ هـ (تاريخ خداد للخطيب البغدادي ١٢ : ٤١٦ - ٤٢٣) . ومدحه كثير من الشعراء كابن تمام وبكر بن الطاج وعلى بن حيلة المعكوك (راجع : سومر ٣ [١٩٤٧] ص ٧٦) . وفي سامراء بقايا جامع كبير من بناء المتوكل يعرف اليوم بجامع ابي دلف (م) .

(٢٤) جاء في ياقوت (١ : ٤٢٠) في مادة « الايفارين » تفسير لمسي « الايفار » قال « الايفار اسم لكل ما حمى نفسه من الصياع وغيرها ويمسح منه ٠٠٠ ولا يسمى الايفار ايفارا حتى يأمر السلطان بحمايته فلا تدخله الصال لمساحة خراج ولا معاسة غلة فيكون الايفار لقبه من بعده على ممر السنين خلا الصدقات فانها خارجة عنها يحصيتها المصدق ويأخذ الواجب عنها » (م) .

ما قيل ، صخرة سوداء تشمخ مثل جبل يستون • وتشق سفوحه وديان صغيرة ومحيطه عشرة فراسخ اما موضع البرج وهى مدينة الايقارين الثانية فلم يتوصل الى تعيينها ولكن موضعها معروف بوجه التقريب فقد قال ابن حوقل انها مدينة حسنة الحال فى الطريق الذهاب الى اصبهان على اثنى عشر فرسخا من الكرج (٢٥) .

وأسفل منها بانحدار نهر الكرج وفى شمال كرج أبى دلف ، مدينة ساروق فى رستاق قراهان وقد أشار اليها ياقوت والمستوفى وعدّاها من أعمال همذان • ودولة آباد ، وهى ما زالت قائمة فى تلك الانحاء ، ذكرت فى جملة المواضع الجليلة ، وكان بالقرب منها ملاحة وهى بحيرة تكون اربعة فراسخ فى مثلها فاذا كانت ايام الصيف وجفت البحيرة صارت ملحا جيدا يأخذه الناس ويحملونه الى البلدان فيباع • وقد سمي المنول هذه البحيرة ، على ما فى المستوفى ، جفان ناوور ومعناها « البحيرة الملحة » وهى بلا ريب بحيرة تواله الحالية • وأخيرا فان فى جوب شرقى همذان ، فى نحو نصف الطريق بين هذه المدينة ونهاوند ، بلدة رامن الصغيرة وقد ذكرها ياقوت فى جملة مدن هذه الناحية الا ان غيره من المصنفين لم يتعرض لوصفها (٢٦) •

(٢٥) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٢ : المقدسى ٣٩٤ : ياقوت ١ : ٤٢٠ و ٥٤٨ : ٣ : ٨٧٣ .
 ٤ : ٢٥٠ و ٢٧٠ : المستوفى ١٥١ و ٢٠٤ .

(٢٦) ياقوت ٣ ، ٨٧٦ و ٨٨٧ : ٤ : ٦٨٣ [قلنا : هذه الاشارة خطأ فهى تعود الى بلدة باسم رامين من أعمال الموصل ، اما رامن فقد وردت فى ياقوت ٢ : ٧٣٧ (م)] : المستوفى ١٥١ .

راجل مدن هذه الناحية اليوم المشهورة بصنع السجاد ، هى سلطان آباد وقد أسسها لفتح على شاه فى مطلع القرن التاسع عشر • وتعرف عادة باسم شهر ناو (المدينة الجديدة) • ١٠ • .

قلنا : لم نعد وصف ياقوت ٢ . ٧٣٧ لبلدة رامن ذكر بعدها عن همذان وبروجرد وهى بينهما • ولكن ابن حوقل قد سبق ياقوت الى مثل هذا القول ووصفها بانها « مدينة صالحة الحال » • (م) •

الفصل الرابع عشر

الحبال «تابع»

المر الصغرى - بروجرد - خرما باذ - شابرخواست - سيروان
والصبرة - اصفهان وكورها - فيروزان وفارغان ونهر
زنده رود - اردستان - فاشان - لم وكليكان
ونهر تم - آوه وساه - نهر
كاوماها .

في جنوب همدان ، لورستان (لُرستان) أي بلاد المر ، والمر جبل من
الأكراد . وانهار هذه البلاد الجبلية تقسمها الى قسمين : المر الكبرى في الجنوب
والمر الصغرى في الشمال ، ويفصل بين المر الصغرى والمر الكبرى نهر كارون
الاعلى . وقد آثرنا بسط القول في مدن المر الكبرى في فصلنا عن خوزستان ،
وان عدت بعض المؤلفين كورة المر الكبرى جزءا من عراق العجم أيضا .
وكانت أهم مدن المر الصغرى ، حسبما جاءت في المستوفى في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) : بروجرد وخرما باذ وشابرخواست . وقد وصف ابن حوقل
في المئة الرابعة (العاشرة) بروجرد فقال هي مدينة حسنة طولها أكثر من عرضها
وطولها نحو نصف فرسخ . وفواكه الكرج منها ، وبها زعفران كثير . واستحدث
حمويه^(١) فيها منبرا . وكان حمويه وزبر آل ابي دلف وقد مر ذكرهم . وحين

(١) هكذا ضبط ابن حوقل هذا الاسم . اما المؤلف فقد ذكره بصورة « حمولة » . (م) -

- ٢٣٦ -

كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فيها جامعان : عتيق ومحدث .
اما المدينة فكان الخراب قد اسنولى عليها فى ايامه حسب قوله . وأشار إليها
علي البزدي غير مرة فى سباق وصفه حروب تيمور ، الا انه سماها وروجرد حيثما
ذكرها وقال ان القلعة المسماة أرمبان قد جددت بأمر تيمور^(٢) .

وخرماباذ وقد كانت منذ ايام تيمور اجل موضع فى اللر الصغرى بعد
بروجرد ، لم يذكرها أحد من بلدانيين العرب فى القرون الوسطى بهذا الاسم .
ولعل خرماباذ هى مدينة شابر خواست على رأى بعضهم ، فقد كثر ذكرها قبل
ذلك . على ان ما يثبت خطأ هذا الرأى ذكر المستوفى لهما كلا على انفراد ، هذا
الى كونه أشار الى موضع شابور خواست . وكانت خرماباذ حين كتب المستوفى فى
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة وان دب الخراب فى بعضها . وكان
بكثرت فيها النخيل . وقال ان هذه المدينة هى الموضع الوحيد الذى ينمو فيه النخيل
فى بلاد الجبال ما خلا الصيمره . على ان هذا القول لا يمكن الاخذ به على
علاته .

أما شابور خواست وقد كتبها اللدانيون العرب بصورة سابور خواست
فقد اشتهرت بتيمورها أيضا منذ أيام ابن حوقل . وفى المئة الرابعة (العاشرة)
خضعت سابور خواست وروجرد ونهاوند لحسنويه الزعيم الكردي الذى أقام
دولته فى الدينور (أنظر الصفحة ٢٢٤ أعلاه) . وفى دزبز ، قلعة سابور خواست
وهى تضاهى سراج ماعة ، خأ بدر بن حسنويه أمواله التى وقعت فى سنة ٤١٤
(١٠٢٣) بأيدي البويهيين . وفى المئة الخامسة (الحادية عشرة) ورد ذكر سابور
خواست غير مرة فى أخبار السلاجقة . وفى سنة ٤٩٩ (١١٠٦) اسنولى عليها
الأتابك منكوبرس كما استولى على نهاوند ولبشتر (البشتر) . وحين كتب المستوفى
تاريخه غزيرة فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فى اللر
الصغرى فى أيامه مدن أهلة هى : بروجرد وخرماباذ وشابور خواست (على ما
كتبها بالفارسية) وذكر ان هذه الاخيرة وان كانت فى ما مضى مدينة عظيمة أهلة

(٢) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٢ ؛ ياقوت ١ : ٥٩٦ ؛ ٢ : ٧٣٧ ؛ المسوفى ١٥١ ؛ على البزدي
٥٨٧ . ٢ : ٥١٥ .

- ٢٣٧ -

فيها اخلاط من الشعوب وعاصمة المملكة ، فان شأنها قد تضائل وتحولت الى مدينة اقليم ليس الا . وقال ان موضعها مما يلي بروجرد في الجنوب . « فالطريق من نهاوند الى اصفهان يتشعب يمينا الى شاپور خواست » ويسارا (أى الى الشرق) يبقى الطريق الاصلى على اتجاهه الى كرج ابى دلف . وهذا يتفق وما أورده ابن حوقل والمقدسى ، فقد قال الاول ان من نهاوند الى لاشتر عشرة فراسخ (جنوبا) ومن لاشتر الى الشابرخاست اثنا عشر فرسخا . ومن الشابر خاست الى اللور (الكبرى) ثلاثون فرسخا - أى الى المفاوز التي في شمال دزفل ، على ما سيأتي بيانه في الفصل السادس عشر . وزاد المقدسى على ذلك ان من شاپور خواست الى كرج ابى دلف أربع مراحل على مثل ما كان من شاپور خواست الى اللور^(٣) . وفي غرب اللر الصغرى على حد العراق الغربى : كورتا ماسبذان ومهرجان قَدْزَق . واهم مدنها : السيروان والصيمرة . وما زالت ترى اطلال هاتين المدينتين . وماسبذان اسم يطلق الآن على البقعة النى في جنوب سهل ماي دشت . وكانت سيروان (أو السيروان) على ما في ابن حوقل « مدينة صغيرة غير ان الغالب على بنائها الجص والحجر كمدينة الموصل في أبنيتها » وفيها الثمر الكثير والجوز والدستنبويه^(٤) وما يكون في بلاد الصرود والجروم^(٥) . وكان فيها أيضا النخيل على ما قلنا . وأشار القزوينى الى ما في كورة ماسبذان من الكباريت والزجاجات والبوارق (جمع البورق) والاملاح . وعلى نحو خمسين ميلا من شرقها : الصيمرة وهى كالسيروان وبقيت زمنا مدينة آهلة بعد زوال المدينة الاخيرة وكانت اصلح موضعا منها . واشتهرت كورة مهرجان قَدْزَق ، وهى التي تحيط بالصيمرة ،

(٣) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٤ : المقدسى ٤٠١ : ياقوت ٢ : ٥٧٢ : ٣ : ٤ و ٨٢ و ٢٢٥ ، ابن الاثير ٩ : ١٧٤ : ١٠ : ٢٧٤ : المستوفى ١٥١ و ١٩٥ : تاريخ كزیده لناشره كانتان Gantian ١ : ٦٢٢ وفي الورقة ١٥٩ ب من مخطوطته لبنة عن اللر الصغرى في نهاية القسم الحادى عشر من الفصل الرابع . وهى تتقدم القسم الذى يبحث في الفول . ووردت كتابة الاسم بصور مختلفة . شاپور خواست وشابر خاست وشاپور خواست ولا يعرف موضع خرائبها .

(٤) في الالفاظ الفارسية المعربة لادى شير (ص ٦٣) : الدسنبويه نوع البطيخ الاصغر معرب عن دسنبوى أى الشمامسة وهو مركب من « دست » أى يد ومن « بوى » أى الرائحة . وفي مجلة الزراعة العراقية (٧ [١٩٥٢] ص ٤٥٠) مقال للدكتور مصطفى جواد ذكر فيه نصرا يدك ظاهرها على ان الدسنبويه هو الليمون المعروف بالمسكى عند العراقيين . (م) . (٥) في الحاجم : الصرود الاراضى الباردة وهى خلاف الجروم أى الاراضى الحارة . (م) .

- ٢٣٨ -

بكثره خيراتها في المئة الرابعة (العاشرة) • وأشار المقدسي الى انها كبيرة عامرة •
ووصف ياقوت الصيمرة فقال « بها نخل وزيتون وجوز وثلج » • وفي الطريق
بين الصيمرة والطَّرْحان وهي ضيعة مجاورة لها « فطرة عجيبة بديعة تكون ضعف
قنطرة خاتنين » وهي بين حلوان وخانقين • وحين كتب المستوفى في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) كانت الصيمرة مدينة حسنة وان أخذ الخراب يدب فيها • وكانت
نواحيها مشهورة بنخلها^(٦) •

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من اقليم الجبال ، ليس ببعيد عن شفير
المفازة الكبرى ، مدينة اصفهان (وكتب العرب هذا الاسم « اصبهان » والفرس
« اسباهان ») وكانت منذ اقدم الازمنة موزعا جليل القدر لعظم خيرات اراضيها
ووفرة مياهها الآتية من زائنده رود^(٧) • وتقوم اليوم اصفهان وارياضها على
ضفاف هذا النهر اما في القرون الوسطى فكانت احيائها الآهلة على ضفة زائنده
رود الشمالية أي اليسرى فقط • وقد كان في هذا الموضع مدينتان متقاربتان هما :
في الشرق جى ويقال لها أيضا شهرستانه^(٨) يحف بها سور ذو مئة برج ، وعلى
ميلين من جنوبها : اليهودية وهي ضعف جى • وقد نسبت هذه المدينة على ما اجمعت
عليه الروايات الى اليهود الذين اسكنهم نبوخذ نصر فيها •

ووصف ابن رسته في ختام المئة الثالثة (التاسعة) مدينة جى فقال طولها
نصف فرسخ وسعتها نحو ٢٠٠٠ جريب (أى نحو ٦٠٠ أكر) • ولها أربعة
أبواب : الاول باب خور ويقال له أيضا باب زرین رود وهو الاسم القديم للنهر •
والثاني باب اسفيج والثالث باب طيرة والرابع باب اليهودية • وذكر ابن رسته
عدد أبراج السور بين باب وباب وأورد المسافات بينها بالذراع • وبمدينة حى بناء
عنيق يقال له الساروق على مثال الحصون • وهذا الاسم يشبه اسم قلعة همذان
على ما قد بينّا • وقال ابن رسته : « لا يعرف بانه لقدمه فقد بنى قبل الطوفان » •
ووصف ابن حوقل والمقدسي في المئة التالية جى واليهودية فقالا : في كل واحدة

(٦) ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٤ : المقدسي ٣٩٤ : اليعقوبى ٣٦٩ : الفزوينى ٢ : ١٧٢ : ياقوت
٣ : ٤٤٣ و ٥٢٥ : المسنولى ١٥١ •

(٧) سيذكر المؤلف هذا النهر بصورة : زندرود في أوائل الفصل السادس عشر (م) •

(٨) معنى شهرستان او شهرستانه بالفارسية : المدينة وهي تطلق على العاصمة من المدن • (م) •

- ٢٣٩ -

منهما منبر واليهودية وحدها تضارع هذان سعة بل هي أكبر مدينة في إقليم الجبال • وقد تستنى الرى من ذلك • وكانت اصفهان مركزا تجاريا في إقليم الجبال • يرتفع منها العتايى وسائر ثياب القطن ويجود • تجلب منها الى سائر النواحي • وبها زعفران وفواكه وهى أخصب مدن الجبال واوسعها عرصة وأكثرها ماء وتجارة • • وعلى ما فى المقدسى « يقال ان يختصر لما جلى بنى اسرائيل من الارض المقدسة لم يروا بلدا تشاكله ارضهم غيرها فسكنوها • • وقال ان للمدينة اثنى عشر دربا • وبنائهم طين وأسواقها بعض مظلة وبعض مكشوفة • والجامع فى الاسواق حسن على اساطين مدورة وله منارة فى قلبه طول سبعين ذراعا • وكانت مدينة جى المجاورة لليهودية على ميلين من شرقها • ويقال لها المدينة على ما فى المقدسى وهى ترادف لفظة شهرستانة • وكان على النهر أسفل قلعتها القديمة جسر سفن فى المئة الرابعة (العاشرة) •

وفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو اصفهان وقال انها أكبر مدينة رآها فى جميع البلاد الناطقة بالفارسية • وكان فيها مئتا صراف وخمسون رباطا ويقال ان طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف وله شرفات ومراق يصعد بها الى أعلاه • وكان مسجدها الجامع بناء فخما وسوق الصرافين مما تحسن رؤيته • ولكل سوق من أسواقها الكثيرة باب يغلَق عليها • وحين كتب ياقوت فى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) كان الخراب قد دب فى اليهودية وجى وبقيت ثانيتهما أكثر سكانا • ونكلم أيضا على جامع جى الذى بناء الخليفة الراشد بالله ابو جعفر المنصور الذى خلعه عمه^(٩) محمد المقتفى فى سنة ٥٣٠ (١١٣٦) ثم انه قتل فى حرب بينهما^(١٠) ودفن فى ظاهر باب الصحن الا ان اليهودية استعادت شيئا من منزلتها السابقة بعد الفتح المغولى • وحين كتب أبو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) كانت اليهودية عامرة بينها وبين شهرستان ميل من شرقها تقوم على قسم من موضع جى القديمة •

(٩) الذى فى التواريخ ، وهو القول المقبول ، ان جماعة من القضاة حلموه بتحريض السلطان مسعود السلجوقى (الدكتور مصطفى جواد) •
(١٠) ذكر المؤرخون ، ان الباطنية اغتالوه وقتلوه ولم تكن حرب بينه وبين عمه مط (الدكتور مصطفى جواد) •

وسرد معاصره المستوفى حديثا طويلا عن اصفهان وكورها ذاكرا اسما
كثير من مواضعها التى ما زالت موجودة • ويثبت وصفه لها ان يهودية القرون
الوسطى هى مدينة اصفهان التى وصفها شاردان Chardin فى ختام القرن السابع
عشر حين اضحت عاصمة بلاد فارس فى عهد الشاه عباس • وما زالت معالم مجدها
التالذ ظاهرة للعيان اليوم • وعلى ما فى المستوفى كان طول أسوار المدينة ٢١٠٠٠
خطوة • ويرقى زمنها الى المئة الرابعة (العاشرة) اذ بناها عضد الدولة الهوى •
وكان فى بقعة اصفهان قبلا اربعة قرى انتسبت اليها محال المدينة وهى كران
(وذكر شاردان ان باب كران كان فى جبهتها الشرقية) وكوشك وجوبارة
(وكانت هى المحلة الشرقية حين كتب شاردان • وكان باب جوبارة فى الشمال
الشرقى) ودردشت (والباب الذى بهذا الاسم فى الشمال • ومحلة دردشت فى
الشمال الغربى) • وعلى ما ذكر المستوفى ان أكثر المحلات سكنا فى أيام السلاجقة
كانت المحلة التى يقال لها جلبارة (وهى محلة كلبار عند شاردان وكانت حول
ميدان كهنة الحالى « أى الميدان القديم ») حيث كانت مدرسة السلطان محمد
السلجوقى وقبره • وفيها قطعة حجر تزن عشرة آلاف من (ولعل ذلك يعادل
ما يقرب من ٣٣ طنا) وهى صنم (بُد) عظيم حملة السلطان من الهند ونصبه أمام
باب المدرسة (١١) •

ولما استولى تيمور على اصفهان فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ورد
اسم القلعة التى فتحها بصورة قلعة طبرك (وهى تعنى الراية بالفارسية) • وقد
وصف شاردان اطلال هذه القلعة وهى ما زالت شاخصة بانها فى ظاهر باب دردشت
والى ذلك فقد علمنا ان ملكشاه السلجوقى أقام قلعة حصينة أخرى - شاه دز
« القلعة الملكية » - فوق قمة جبل عند اصفهان فى سنة ٥٠٠ (١١٠٧) • واورد
القزوينى حكاية طويلة تدور على الاحوال التى لا يست تأسيسها • وفى مطلع
المئة العاشرة (السادسة عشرة) خضعت فارس للشاه اسماعيل الصفوى وفى

(١١) على ان التاريخ لم يدون ان السلطان محمدا - وقد حكم من سنة ٤٩٨ الى ٥١١ (١١٠٤ -
١١١٧) وهو ابن ملكشاه - قد قام بفتوحاته فى الهند ولعل الاسم اشبه على المستوفى فذكره وهو
يريد به محمودا المزلوى - (م) •

- ٢٤١ -

ختمها نقل الشاه عباس الكبير قاعدة ملكه من اردبيل الى اصفهان . وتقل ايضا جميع الارمن من جلفا ، وهى على نهر ارس ، واسكنهم فى حي جديد بالمدينة انشاء على ضفة نهر زائنده رود الجنوبية أى اليمنى . وازاد الشاه عباس أيضا الى اصفهان احياء وارباضا جديدة فى شمال النهر . وقد وصف ذلك كله شاردان وصفا وافيا فقد عاش فى اصفهان سنين كثيرة فى خلال النصف الاخير من القرن السابع عشر للميلاد^(١٢) .

والتواحي الثمان حول اصفهان ، وقد عني المستوفى بذكر اسمائها واسماء قراها ، ما زالت موجودة . ووردت هذه الاسماء نفسها فى اليعقوبى وفى غيره من مصنفى المثني الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشر) . وكان اربع من هذه التواحي فى شمال النهر . اما الاربع الاخرى ففى يمينه فى الجنوب . فاذا ابتدأنا من الضفة الشمالية رأينا ناحية المدينة ، وكان يقال لها جى ، وهو اسم المدينة العتيقة التى فى شرقها . وكانت ناحية مربين فى غرب اصفهان وفيها بيت تار قديم بناء الملك الاسطورى طهمورث الملقب بـ « ديوبند » أى « مكتف الشياطين » . وإلى الشمال الغربى على شىء يسير من أبواب المدينة ناحية برخوار . وكانت جز (كز الحديثة) أوسع قراها . وإلى الشمال الشرقى ناحية قهاب وهى رابعة التواحي التى فى شمال النهر . وفى جنوب زائنده رود ، وإلى جنوب شرقى مدينة شهرستانه القديمة ، ناحية برآن . ويلها فى منحدر النهر ناحية رودشت . وقصبتها فارفان وكانت مدينة واسعة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكنها الآن قرية قرب سبخة گاوخاني الكبيرة . وكانت ناحية كرارج فى جنوب برآن . وإلى غربها فى أعلى الضفة اليمنى لنهر زائنده رود ، ناحية خان لنجان الكبيرة وهى آخر التواحي الاربع التى فى جنوب النهر . وكانت أهم مدينة فيها فيروزان . ولم

(١٢) ابن رسته ١٦٠ و ١٦٢ : ابن حوقل ١٦١ : المقدسى ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ : ناصر خسرو ٩٣ : ياقوت ١ : ٢٩٥ : ٢ : ١٨١ : ٣ : ٢٤٦ : ٤ : ٤٥٢ و ١٠٤٥ : ابو الفداء ٤١١ .
المسنوفى ١٤٢ : على اليزدى ١ : ٤٣١ : القزوينى ٢ : ٣٦٥ . ويلا وصف اصفهان المجلد الثامن (انظر بوجه خاص ص ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤٧ و ١٥٣ و ٢١٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩ ففيها نبذ خاصة بها)
من رحلات السفاليه شاردان فى فارس Voyage du Chevalier Chardin en Perse
(امستردام ١٧١١) انظر عن اصفهان الحالية هنر شندلر Houtum-Schindler فى كتابه العراق المعجم الشرقى Eastern Persian Iraq (١٨٩٧ ص ١٨ و ١٩ و ١٢٠ و ١٢٢) .

تبقى معالم ما لباقيا هذه المدينة على ما يظهر مع انها كانت مدينة كبيرة ذات جانبين في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وبين يديها نهر زابنده رود . قال ابن بطوطة ، وقد مرّ بها ، انها تبعد ستة فراسخ من اصفهان . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كانت ناحية خان لنجان مشهورة بفواكهها الوفرة وبخصوبة ارضها . ويكتب اسمها غالبا خالنجان أو خولنجان كما عرفت باسم خان الابرار . واسم خان لنجان اذا أُريد به المدينة فانها تنطبق ولا ريب على فيروزان المارة الذكر وهي التي تذكر كتب المسالك انها أول مرحلة باتجاه الجنوب في الطريق الغربي من اصفهان الى شيراز . وفي المئة الخامسة (الحادية عشرة) مرّ ناصر خسرو بخان لنجان في طريقه الى اصفهان ورأى على باب المدينة كتابة فيها اسم طفول بك السلجوقي^(١٣) .

ونهر اصفهان يعرف اليوم بنهر زندرود وسماء مصنفونا على اختلافهم باسم زابنده رود أو زرنروذ . ويطلق اسم زرین رود اليوم على أحد فروع هذا النهر . وكان المجرى الاصلی يسمى في أعاليه جوي سرد (النهر البارد) ومخرجه في زرده كوه (الجبل الاصفر) وما زال هذا الجبل يعرف بهذا الاسم لأن صخوره من الحجر الكلسي الاصفر ، وهو على ثلاثين فرسخا غرب اصفهان ولا يبعد كثيرا من منابع نهر دجيل أو كارون في خوزستان . وفي تلك الاتجاه أيضا ، على ما في المستوفي ، جبل اشكهران وهو الذي يعين حد اللر الكبرى . وفي أسفل مدينة فيروزان في خان لنجان يستقبل نهر زنده رود رافدا يضارع المجرى الاصلی سعة ينحدر من جوار كليكان (جرباذقان) وبعد ان يمر باصفهان ويسقى نواحيها الثمان ينحرف زنده رود شيئا يسيرا الى شرق رودشت ويفور أخيرا في كاوخاني على شفير المفازة الكبرى . ويقال ، على ما ذكر ابن خرداذبه في المئة الثالثة (التاسعة) ، ان هذا النهر « يفور في رمل في آخرها ثم يخرج بكرمان

(١٣) ابن خرداذبه ٢٠ و ٥٨ ؛ ابن رسته ١٥٢ ؛ قدامة ١٩٧ ؛ ابن حوقل ٢٠١ ؛ اليعقوبي ٢٧٥ ؛ المقدسي ٣٨٩ و ٤٥٨ ؛ ياقوت ١ ؛ ٢٩٤ ؛ ٢ ؛ ٣٩٤ ؛ ٣ ؛ ٨٣٩ . المستوفي ١٤٣ وأكثر ما فيه عنها اقتبس صاحب جهان نما ؛ ٢٩١ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ٤٢ ؛ ناصر خسرو ٩٢ . وتشتهر خان لنجان أيضا بأنها الموضع الذي التجأ اليه الفردوسي حين فر من غضب السلطان محمود الغزنوي . وورد وصف استقبال والي خان لنجان له في نسخة من الشاهنامه محفوظة في المتحف البريطاني (Or. 1403, Fol. 518 a) وقد نشر نصه وترجمته سي شعر G. Schéfer في طبعته لناصر خسرو (الملحق ٤ ص ٢٩٨) .

على ستين فرسخاً^(١٤) من الموضع الذى غار فيه ثم يصب فى البحر * ولكن المستوفى لا يؤيد هذا القول بطبيعة الحال لأن بين اصفهان وكرمان جبلا عالية وان روى هو الزعم القائل ان كسر القصب التى ترمى فى سبخة كاوخانى تخرج فى كرمات وعقب ذلك * ولكن هذه الحكاية لا تصدق^(١٥) .

وكانت نائين ، وهى فى شمال كاوخانى عند حافة المفازة الكبرى وكذلك المدن التى فى جنوب شرقها باتجاه يزد ، تعد من أعمال اقليم فارس فى القرون الوسطى على ما سنبينه فى الفصل الثامن عشر . الا ان اردستان وهى على بضعة أميال شمال غربى نائين كانت من أعمال اقليم الجبال . وقد وصف الاصطخرى اردستان فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها مدينة حصينة عليها سور ذو خمسة أبواب * وهى ميل فى مثله ، والمسجد الجامع فى وسط المدينة . وكان يعمل فيها ثياب الحرير وتحمل الى الآفاق . وفى زوارة وهى فى شمال شرقى اردستان أبنية من بناء الملك انوشروان العادل . وذكر المقدسى ان اردستان « أرض على بياض الدقيق ومنه اشتق اسمها » بالفارسية ، ارد : الدقيق . فمعنى اردستان موضع كالدقيق . والاطلال التى أشار اليها ياقوت باسم أزواره ، قال ان « بناءها آراج ، وفى وسط حصن منها بيت نار » يقال ان انوشروان ولد فيه . غير ان المستوفى وقد كتب الاسم بصورة زوارة نسب كل هذه الاطلال بما فيها بيت النار الى الملك بهمن بن اسفنديار . وقال ان المدينة التى تقوم فى حافة المفازة كان حولها ٣٠ قرية وذكر أنها من بناء دستان أخى البطل رسنم على ما يقال .

وعلى شفير المفازة بين اردستان وقاشان كرجس كوه « جبل النسر » وصفه المقدسى بانه أعلى جبال مفازة فارس وامنعها ويليها سياه كوه « الجبل الاسود » وهو دونه فى الكبر غير انه متبع . وهذان الجبلان عاليان وعرا المسلك الى ذراهما . وجبل سياه كوه « جبل أسود قبيح المنظر والمخبر » وكلا الجبلين ، على ما قال الاصطخرى ، مأوى للصوف يتصمون به . وفى هذا الجبل ماء يسمى آب بنده « اذا صرت عنده كنت كأنك فى حظيرة والجبل محيط بك » . وفى نحو

(١٤) وهم المؤلف فى نقله هذا الرقم فقال تسعين فرسخا . (م)
(١٥) ابن رسته ١٥٢ ؛ ابن خردادبه ٢٠ و ١٧٦ ؛ المستوفى ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١٤ .

- ٢٤٤ -

نصف الطريق في المفازة بين كركس كوه وسياه كوه ، رباط حصين يقال له دير الجص من جص وآجر ، عليه أبواب حديد . وهذا الرباط على ما ذكر الاصطخرى يسكنه بذرة السلطان^(١٦) وفيه حياض الماء يجتمع فيها ماء المطر . وقال المقدسي انه رآه شعنا وعلى باب الرباط يقال مقيم . ووصف المستوفي كركس كوه بانه جبل منقطع عن الجبال ومحيطه نحو عشرة فراسخ^(١٧) . وكانت النور تعشش في صخور ذراه . وتكثر فيه الوعول التي تحمل العطش اياما طويلة . والى غرب اردستان مدينة نظنز أو نظنزة ولم يذكرها احد من بلداني العرب قبل ياقوت^(١٨) . وروى المستوفي ان قلعتها كانت تسمى وشاق نسبة الى وال كان على نظنز . وقد عرفت هذه القلعة قديما باسم كسرت . وفي جوار نظنز أيضا قرية كبيرة يقال لها طرق ، هي « شبه بلدة » على قول ياقوت . ولاهلها على ما ذكر القزويني « يد يأسطة في الآلات المستخرقة من العاج والابنوس يحمل منها الى سائر البلاد »^(١٩) .

وقد وصف الاصطخرى مدينة قاشان بانها « مدينة صغيرة ، بناؤها وبناء قم الغالب عليه الطين » . وكتب بلدانيو العرب القدماء اسمها بصورة قاشان لا كاشان . واشتهرت قاشان في ديار الشرق بقرميدها الذي يقال له القاشي (والقاشاني) واصبحت هذه التسمية تطلق على القرميد الازرق والاخضر المتخذ في تزويق المساجد حتى يومنا هذا . وعلى ما في المقدسي كان بقاشان « عقارب عجيبة » وقد أشار ياقوت الى « ما يجلب منها من الفضائل القاشاني » وقال ان « أهلها كلهم شيعة امامية » . وذهب المستوفي الى ان اول من بنى قاشان زبيدة زوجة هرون الرشيد ، ونوه بقصر فين وهو بقرب قاشان وقال فيه حياض وكهاريز

(١٦) البدرقة بالدال المهملة وقد تصح : الخعارة . يقال بعت السلطان بدرقة مع القائلة أي من بغرها . وهي فارسية معربة - (م) .

(١٧) في الاصطخرى (ص ٢٣٨) وابن حوقل (ص ٤٠٢) ان دور (بفتح الدال) اسفله نهر فرسخين . (م) .

(١٨) بل سبقه ابو سعد السمعاني الى ذكر هذه البلدة (انظر الانساب ، وجه الورقة ٥٦٤) (م) .

(١٩) الاصطخرى ٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ / ابن حوقل ٢٨٨ - ٢٩١ : المقدسي ٣٩٠ و ٤٩٠ و ٤٩١ : ياقوت ١ : ١٩٨ : ٣ : ٥٣١ : ٤ : ٧٩٣ : [القزويني ٢ : ٢٧٣ : (م)] . المستوفي ١٥٠ و ١٥١ و ٢٠٦ : جهان نما ٢٩٩ .

تستمد الماء من نهر يأتي من قهرود • وكان نهر قاشان يجف صيفا قبل ان يصل
ظاهر المدينة ، اما في الربيع فعابا ما يطغى فيضانه على المدينة • وبعد ان يجتازها
كان يقنى في المفازة المجاورة لها •

ومدينة قم ، وهي الى شمال قاشان ، مشهورة الآن عند الشيعة بمشهدها ،
وهو مشهد فاطمة أخت علي رضا الامام السادس ، وقد عاش في أيام هرون
الرشيد • والمعروف انها توفيت مسمومة في طريقها الى اخيها في خراسان • وصف
ابن حوقل مدينة قم في المثة الرابعة (العاشرة) فقال ان جميع أهلها شيعة ،
وكانت حينذاك مدينة عليها سور ، خضبة وبها بساتين وأشجار فستق وبندق •
وكان اسم قم القديم على ما في ياقوت : « كُندَان » فاسقط العرب بعض حروفها
فسميت بتعريضهم قما • وقال أيضا (٢٠) : « داخل المدينة حصن قديم للعجم ،
ما زال يرى • » ولها واد بجري فيه الماء بين المدينتين (أى بين الحصن القديم
والمدينة الاسلامية) عليه قنطرة معقودة بحجارة • وذكر المستوفى ان دائر أسوار
قم كان عشرة آلاف خطوة ، وقد اشتهرت قم اشتهار آوّه بكثرة مخابىء الثلج
التي تحفر في الارض • ويكثر فيها السرو وتُقصّر الحمر من عنبها الاحمر الفاخر •
وحين كتب المستوفى في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كان الحراب قد دبّ في
معظم مدنة قم • ومما يحسن ذكره انه لا المستوفى ولا غيره من المصنفين القدماء
لمح الى قبر فاطمة وان كانت المدينة معروفة بانها مركز للشيعة (٢١) •

ومخرج نهر قم في ناحية كليكان قرب جبل خاسار على ما جاء هذا الاسم
في المستوفى • وهذا الجبل يرتفع بين نهر قم والرافد الايسر لنهر اصفهان المار
الذكر • وجرباذقان هو الاسم العربى لكليكان • وصورة الاسم القديمة كانت
كربائيكان وقد فسرّه المسنوفى بـ « موضع الورود » وكتب اسمه بصورة
كلبادكان • ونوه بخصب ناحية كليكان ، وذكر ان من أعمالها خمسين قرية •
وأشار المقدسى الى جرباذقان فقال هي في نصف الطريق بين كرج ابى دلف

(٢٠) لم يرد هذا القول في ياقوت : وقد وجدناه في البلدان لليعقوبى (ص ٢٧٣) (م) •

(٢١) [اليعقوبى ٢٧٣ (م)] : الاصطخرى ٢٠١ : ابن حوقل ٢٦٤ : المدنى ٣٩٠ :

ياقوت ٤ . ١٥ و ١٧٥ : المستوفى ١٥٠ و ٢١٧ : جهان لما ٣٠٥ •

واصفهان وان قرية خاسار ، وقد عرفت الناحية باسمها ، كانت مجاورة لها على ما فى ياقوت . وكانت مدينة دليجان اسفل منها على نهر قم . وذكرها ياقوت بصورة دليجان أو دليكان . وقد كانت فى ما مضى عامرة الا انها آلت الى الخراب حين كتب المستوفى . وبعد ان يجتاز نهر قم مدينة قم ، يلتقى بالنهر الكبير الاتى من همذان وهو نهر كاوماها أو كاوماسا . ويستقبل فى يمينه على بعد قليل فوق قم نهر آوه وفى يساره النهر المار بساوه وهذه الانهار بشعب كلها الى جداول كثيرة يوصل فيما بينها سواق ثم تفنى أخيرا فى المفازة الكبرى شمال شرقى قم . ومدينة آوه (وتسمى آوه ساوه تميزا لها عن آوه القريبة من همذان . أنظر ص ٢٣١) على شىء يسير غرب قم . وينبع نهر آوه فى تفرش وهى ، على وصف المستوفى لها ، ولاية لا يكون الوصول الى أى طرف منها الا بدروب . وهى وافرة الخيرات كثيرة الضياع . وقد ذكرها المقدسى باسم آوه الرى . اما ياقوت فقال انها قرية أو بلدة . وكتب اسمها بصورة آبه وقال ان اهلها شيعة . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى آوه وقال عليها سور محيطه الف خطوة وفيها مخابىء محفورة لاختزان الثلج لان الحاجة تمس الى الثلج فى اشتداد القبط . وخزها ردىء . وذكر ان بين آوه وقم جبل منقطع يقال له كوه كتمك (جبل الملح) لان تربته يخالطها الملح . وبلوغ قمة هذا الجبل معتنع لان ارضه هشة ولا يستقيم الثلج على سفوحه . وملحه لا يستعمله الناس لشدة مرارته . ودور هذا الجبل ثلاثة فراسخ وهو شاهق جدا فىرى من عشرة فراسخ (٢٢) .

ومدينة ساوه فى منتصف المسافة بين همذان والرى على طريق القوافل التى تقطع بلاد فارس (أى طريق خراسان) . وكانت ذات شأن فى المثة الرابعة (العاشرة) . وصفها ابن حوقل بانها « كثيرة الجمال وأكثر الحجاج يحججون على جمالهم لانهم مع قبيتهم الجمال جمالون » . وقال المقدسى ان المدينة « عليها حصن وبها حمامات ظريفة والجامع بعيد عن السوق وهى على الجادة » . وذكر

(٢٢) الاصطخرى ١٩٥ و ١٩٨ ؛ المقدسى ٢٥ و ٥١ و ٢٥٧ و ٣٨٦ و ٤٠٣ ؛ ياقوت ١ : ٥٧ ؛ ٢ : ٤٦ و ٣٩٢ و ٥٨٤ ؛ المستوفى ١٤٧ و ١٥٠ و ٢٠٦ و ٢١٦ .

- ٢٤٨ -

باسم قراصو (الماء الاسود) • ومنابعه على ما مرّ بيانه في مفازة همذان حيث
تحدّر جداول متشعبة من اسداباد وجبل الوند وكورة فريوار فيجرى أولا الى ناحية
الشمال ثم ينعطف انعطافا حادا الى الشرق فيستقبل من الجنوب رافدا عظيما هو
النهر الذى ينبع بالقرب من كرج ابي دلف ويستقبل معا الى ساوه وآوه رافدين
آخرين قد مرّ ذكرهما • وأنشئ في هذا النهر سد عظيم يخزن الماء للسقى في
موسم الصيهد • ويختلط مجرى كاوماها بنهر قم الاتى من كليكان • وذكر
المستوفى ان مياه هذين النهرين الفائضة بعد ان تيجاز موضعا يقال له هفتاد بولان
أى « القناطر الثمانين » ينفى ما يتبقى منها في المفازة الكبرى • وقال المستوفى
ان مثل نهر كاوماها في ناحته مثل نهر زنده رود في اصفهان • فقد كان كلاهما
مصدر الخير والبركة لهاتين المدينتين • ومما تحسن الاشارة اليه ان أحدا من
البلدانيين العرب القدماء لم يذكر هذا النهر (٢٣) •

(٢٣) ابن حوقل : ٢٥٨ ؛ المقدسى : ٣٩٢ ؛ باموت : ٣ : ٢٤٠ : ٤ : ٥٢٠ ؛ التزوينى : ٢ : ٢٥٨ •
المسنوفى : ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٢ و ٢١٧ •

بنى السد الذى فى كاوماها شمس الدين صاحب ديوان السلطان احمد بن هولاكو ثالث
ايلخانيى بلاد فارس •

قلنا : هو شمس الدين محمد بن محمد الجوينى صاحب دواوين الدولة الايلخانية (م) •

الفصل الخامس عشر

الجبال «تتم»

الري - ورامين وظهران - قزوين وقلعة الموت - زنجان - السلطانية - شير
او ستوريق - خونج - ناحيتا الطالقان وطارم - قلعة شميران -
تجارات اقليم الجبال وغلاته - مسالك اقليم الجبال
واذربيجان واهاليهم الحدود الشمالية
القريبة

فى الطرف الشمالى الشرقى من اقليم الجبال ، مدينة الري • وكبها بلدانيو
العرب مقترنة دائما بال التعريف • وهى مدينة ريجس Rhages عند اليونان •
وقد كانت الري فى المئة الرابعة (العاشرة) على ما يظهر أكبر القصبات الاربع
لاقليم الجبال • قال ابن حوقل « ليس بعد بغداد فى المشرق مدينة أعمر من
الري الا ان نيسابور أكبر منها عرصة وافسح رقعة ، ومقدارها فرسخ ونصف
فى مثله » • وكانت الري فى أيام الخلافة العباسية يقال لها الحمدية ، وانما سميت
بهذا الاسم لان محمدا ، وهو المهدي الخليفة العاسى ، نزلها فى خلافة ابيه المنصور
وبنى أكثر مدينة الري • وبها ولد ابنه هرون الرشيد • وصارت مدينة الحمدية
هذه أكبر دار للضرب فى هذا الاقليم • وقد وجد اسمها هذا على كثير من النقود
العباسية •

« وبناء الري من طين ويسنعمل فيها الآجر والبصص » • وعلى ما فى ابن

حوقل كان للرى حصن حسن مشهور له خمسة أبواب : باب باطاق (فى الجنوب الغربى) ويخرج منه طريق بغداد • وباب بليسان (فى الشمال الغربى) ويفضى الى قزوين • وباب كوهك (فى الشمال الشرقى) ويفضى الى طبرستان • وباب هشام (فى الشرق) ويخرج منه طريق خراسان • وباب سين (فى الجنوب) ويفضى الى قم • وكانت أسواق المدينة عند هذه الابواب وخارجها • وأعظمها تجارة ربض ساربانان وروذه • وبها معظم التجارات والخانات ، وهو شارع عريض مشبك الابنية والعقارات والمساكن • وفى المدينة على قول ابن حوقل : « نهران للشرب ، يسمى أحدهما سور ققى ويجرى على رُوذَه » والآخر الجيلانى يجرى على ساربانان • وذكر ياقوت أيضا نهر موسى الآتى من جبل الديلم ، فقد يكون هذا النهر هو الجيلانى أو نهر كيلان المار الذكر • وأشار المقدسى الى بنائين جليلين فى الرى أحدهما دار البطيخ وهو اسم يطلق عادة على سوق الفاكهة ، والثانى دار الكتب بأسفل الروذه فى خان ، ولم تكن كثيرة الكتب على قول المقدسى •

وفى المثة الرابعة (العاشرة) قال ابن حوقل والمقدسى ان الرى قد خرب أكثرها وتحولت تجارتها الى ارباض المدينة القديمة • وكان يطل على المسجد الجامع الذى بناه الخليفة المهدي وفرغ من عمارته فى سنة ١٥٨ (٧٧٥) ، على ما روى ياقوت ، الحصن وهو على قلة جبل صعب المرتقى « فاذا صعدت الى تلك القلعة اطلعت على سطوح الرى كلها » على وصف ابن رسته • اما ما رواه ياقوت عن الرى فغير واضح كثيرا الا انه اقتبس فى شطر مما روى وصفا خططا قديما للمدينة جاء فيه ان المدينة الداخلة فيها المسجد الجامع ودار الامارة وحولها خندق • وأهل الرى يدعونها « المدينة » • والمدينة الخارجة كان غالبا يعرف بالمحمدية وقد كانت فى أول أمرها ربضا محصنا • وكان على قلة جبل يطل على المدينة النحتانية (الداخلة) وعلى ما نقله ياقوت كان هذا الحصن يعرف بالزبيدية (وقد ورد اسمه فى بعض المخطوطات بصورة الزيندى)^(١) • وقد كان المهدي

(١) فلما سعى ياقوت هذا الحصن بالزبيدى بنفديم البرق على الباء (٢ : ٨٩٥) • على اننا لم نعثر فى مادتي « الرى » و « الزبيدية » من معجم البلدان على ما يدل على ان الحصن كان يسمى بالزبيدية أيضا (م) •

- ٢٥١ -

نزله أيام مقامه بالرى • ثم جعل بعد ذلك سجنا ثم خرب وعمر فى سنة ٢٨٧ (٨٩١) • وكان فى الرى قلعة أخرى يقال لها قلعة الفَرَّخان وعرفت أيضا بالجوسق • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كره فخر الدولة البويهى القصر القديم القائم فوق قلة الجبل فابتنى له أبنية مشرفة على البساتين سماها فخر آباد^(٢) •

وأشهر رساتيق الرى فى الازمنة الاولى وأكثرها خصوبة : رستاق روده (أو الروذه) وفيه قرية كبيرة بهذا الاسم فى ما إلى ربض المدينة • وورامين وقد أخذت مكان الرى بعدئذ وصارت اولى مدن ذلك القسم من اقليم الجبال • وبشاويه وما زالت قائمة تعرف باسم فشاويه • وأخيرا قوسين وديزه والقصران الخارج والداخل • وديزه اسم قريتين كبيرتين أو مدينتين على مسيرة يوم من الرى وهما ديزه القصرين وديزه ورامين • وكل هذه الرساتيق وغيرها مما ذكره ابن حوقل كانت اشبه بمدن صغيرة « يزيد ما فى احدها من أهلها على عشرة آلاف رجل » • وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) استولت جحافل المغول على الرى ونهبتها واحرقتها ولم تبق لها قائمة منذ نزول هذه الكارثة بها • وحين مرّ بها ياقوت فى ذلك الزمان قال « رأيت حيطان خرابها قائما وقد خربت دورها • وكثير منها مبني بالآجر المنمق المحكم الملمع بالزرقه مدهون كما تدهن النضائر » • ولم ينج من أذى المغول غير ربض الشافعية وهو أصغر أحياء المدينة • اما احياء الخصبه والشيعة فقد حربت ولم يبق لها أثر^(٣) •

وقد حاول غازان خان المغولى تعمير الرى واتقاها من الخراب المسحوذ عليها فأمر باعادة بناء المدينة والسكنى فيها • ولكنه خاب فى ذلك لان سكانها كانوا قد انتقلوا عنها الى مدينتي ورامين وطهران المجاورتين لها لاسيما الى الاولى اذ كانت أطيب هواء من الرى القديمة • واضحت فى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أكثر مدن هذه الناحية ازدهارا • وخرائب ورامين على شيء يسير من

(٢) الطوقى ٢٧٥ : ابن رسته ١٦٨ : ابن حوقل ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٠ ' المعدى ٣٩٠ و ٣٩١ : يافوت ٢ : ١٥٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ : ٣ : ٨٥٥ ' ٤ : ٤٣١ •
 ولم يبين ما اذا كانت قلعة الرى التى سماها المهدي واطلق عليها الزيدية (ان صحب قراءة الاسم) قد نسبت الى زيدية روعة هرون الرشيد أم الى امرأه غيرها بهذا الاسم •
 (٣) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٨٩ ' يافوت ٢ : ٥٧٢ و ٨٢٣ و ٨٩٣ و ٨٩٤ •

- ٢٥٢ -

جنوب الرى • والى شمالها ، على ما ذكر المستوفى ، جبل طبرك - وهو على ما يظن غير الجبل الذى بنى عليه (الخليفة) المهدي قلعة المارة الذكر - • وكان فيه معدن الفضة ويأتى منه ربح كثير • وقلعة طبرك هذه ، على ما فى تاريخ ظهور الدين ، قد بناها منوچهر الزيارى فى مطلع المئة الخامسة (الحادية عشرة) • وروى ياقوت ان طغرل الثانى^(٤) آخر سلاطين سلاجقة العراق خربها فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) • وتحدث طوبلا عن حصار هذا الحصن المتيع المشهور وقال ان جيل طبرك على يمين القاصد خراسان وعن يساره جبل الرى الاعظم (ويظن انه موضع القلعة التى بناها المهدي) • وهو متصل بخراب الرى • ووصف المستوفى ضريح امام زاده عبد العظيم بانه على مقربة من الرى وما زال هذا المشهد من المزارات المكرمة فى طهران اليوم • وفيه ضريح الحسين بن علي الرضا الامام الثامن •

ومن الولايات المشهورة قرب الرى : ولاية شهر بار • وذكر المستوفى عرضا قلعة بهذا الاسم تقوم فى شمالى المدينة • وقد اصبحت هذه القلعة بعد ذلك ذات شأن لان شهر يار أو رى شهر يار هو الاسم الذى أطلقه علي اليزدى على الرى حين وصف حروب تيمور • اما ورامين فكانت ، على ما بينا ، أول المراكز الآهلة الا ان الخراب قد نال من هذه المدينة فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) وبعد زمن قام فى موضعها مدينة طهران التى لم تكن فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) غير قرية من أكبر فرى الرى • وفى طهران القديمة (وتلفظ تهران أيضا) كان لاهلها نحت الارض بيوت « كنفاء اليربوع » على ما فى القزوينى « وفيها اثنتا عشرة محلة كل محلة تحارب الاخرى » • ووصف المستوفى طهران فى القرن النالى فقال هى مدينة وسطية • ولكن فى ختام المئة الثانية عشرة (الثامنة عشرة) اتخذها اقا محمد شاه مؤسس الدولة القاجارية عاصمة لبلاد فارس^(٥) •

(٤) الصحيح : الثالث . الاول طغرل بك الفاتح ، والثانى طغرل بن السلطان محمد بن ملكشاه . والثالث طغرل الثالث بن ارسلان بن طغرل الثانى • (الدكتور مصطفى جواد) -
(٥) القزوينى ٢ ٢٢٨ و ٢٥٠ ، المستوفى ١٤٣ و ١٤٤ و ٢٠٥ ؛ ياقوت ٣ : ٥٠٧ و ٥٦٤ على اليزدى ١ ٥٨٣ و ٥٨٦ و ٥٩٧ •
وروى طهر الدين (Dorn) فى : Muhammadanische Quellen ١٥٠١ من النص الفارسى (ان طبرك تعنى « الحبيب » فهى تصغير طبر ومماها « جبل » فى اللهجة الطبرية وقد أشرنا الى طبرك اصفهان فى ص ٢٤٠ •

والانهار التي تسقى سهل الري وورامين وطهران تساب من هذا السهل الى حدود المفازة الكبرى فتفنى فيها . وكان من أهم هذه الانهار : نهر موسى ، وقد مر ذكره ، وعليه قرى كثيرة . وتكلم المستوفى أيضا على نهر كرج وكانت عليه قنطرة ذات طاق واحد يقال لها پل خاتون (قنطرة الخاتون) ويقال انها انما سميت بذلك نسبة الى السيدة زبدة زوجة هرون الرشيد . وما زالت بقايا هذه القنطرة ترى قرب طهران . وذكر القزويني ان أهل الري من الشيعة يكرهون نهر سورين وتطيطرون منه لان جثة القتيل يحيى حفيد علي زين العابدين الامام الرابع غسلت فيه فلا يقربونه^(٦) . على ان المستوفى ذكر ان أهم انهار الري نهر جايجرود ومخرجه في جبل جايج تحت دماوند ويتشعب الى اربعين نهرا عند وصوله سهل الري .

وعند الحد الغربى لهذا السهل ناحية ساوج بلاغ - ومضاها بالتركية « العيون الباردة » - وهى على ما وصفها المستوفى بقعة كانت ذات شأن في أيام السلاجقة . وقد بلغ خراجها في أيام المغول اثنى عشر الف دينار . وكان من أهم قراها العديدة سنة راباد (وما زالت قائمة) وهى مرحلة جليلة في المسالك التى وصفها المستوفى . وكان يسقى ناحية ساوج بلاغ كمرود ومخرجه في الجبال شرق قزوین وهو يسقى نواحي الري وشهریار وتلقى به هناك انهار كثيرة تتحدر من الجبال في الشمال قبل ان تفضى مياهه الباقية من السفى في المفازة الكبرى^(٧) .

وقزوین على نحو مئة ميل شمال غربى طهران وهى في أسفل الجبال العظيمة . وقد كانت منذ أقدم الأزمنة موضعا جليلا تحرس الدروب المخترقة اقليم طبرستان وتؤدي الى شطآن بحر قزوین . وكانت البقاع الحليّة في الشمال

(٦) وجدنا ان القزويني (١٨١٠ : ١) وياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٨٦) قد نفا ما ذكره عن نهر سورين من مسمر بن مهمل . وقد اتفقا في ما نقلاه وهذا نصه : « نهر سورين : بالري . قال مسمر بن مهمل رأيت أهل الري يكرهونه وتطيطرون منه ولا يقربوه فسالت شيخا من أهل الري عن سببه فقال لان السيف الذى قتل به يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنه غسل فيه » (م) .
(٧) القزويني ١ : ١٨١ ؛ المستوفى ١٤٤ و ١٤٨ و ١٩٦ و ٢١٦ وانظر مخطوطة المتحف البريطانى Add. 543, 23 الورقة ١٧٩ ب ؛ جهان سا ٢٩٢ و ٣٠٤ .

الغربي تؤلف منذ القدم تسما من بلاد الديلم (وقد مرّ وصفها في الفصل الثاني عشر) وكانت وقتا ما مستقلة استقلالاً داخلها فلم تخضع لحكم العباسيين • وكانت قزوين في هذا العصر أهم ثغر يقف بوجه أولئك الكفار الأشداء • وكانت مشحونة بقوة كبيرة من مقاتلة المسلمين • وفي أيام بني أمية كان محمد بن الحجاج - والحجاج عامل بني أمية المشهور على العراق - قد بعثه أبوه على رأس جيش لمحاربة الكفار في حبال الديلم • « فنزل محمد قزوين وبني بها مسجداً » وصفه ياقوت بأنه « المسجد الذي على باب دار بني جنيد ويسمى مسجد الثور » فلم يزل قائماً حتى بنى الرشيد المسجد الجامع • ووصف ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) قزوين فقال « مدينة عليها حصن وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن » - وفي المدينة الداخلة مسجذان • وأراضيها خصبة ويكون مقدارها ميلاً في مثله • وأهلها أشداء مقاتلة فكان خلفاء بني العباس يرسلون من هذه المدينة حملاتهم لمعاينة أهل الطالقان والديلم •

ولقزوين على ما ذكر اليعقوبي واديان ، يقال لاحدهما الوادي الكبير والآخر وادي سيرم • وكان بالقرب منها آثار لبيوت النار • ونوه المقدسي بكثرة كرومها • وكان اسم إحدى المدينتين : مدينة موسى والآخرى مدينة مبارك ويقال لها المباركية أيضاً • وإنما سميت الأولى بذلك لأن الخليفة موسى الهادي (الأخ الأكبر لهرون الرشيد) قد ابتناها فنسبت إليه • وكان بناؤه لها في خلافة أبيه المهدي • ولما نزل هرون الرشيد بعد ذلك (وقد خلف الهادي) قزوين في طريقه إلى خراسان أنشأ الجامع الجديد وبني أسوار المدينة • وكان مبارك التركي من موالى المأمون أو المعتصم قد بنى قلعة المباركية في مبارك أباد ويقال لها أيضاً مدينة مبارك •

وظلت قزوين في القرون الوسطى مدينة زاهرة غير أن المغول في مطلع المثة السابعة (الثالثة عشرة) خربوها • وبعد ذلك بمئة سنة أفاض المستوفي وكان من أهل قزوين في الحديث عن قزوين • اقتبس بعضه مما يتناقله الناس فيها • فروى أنه كان في موضع قزوين الحديثة مدينة فارسية قديمة بناها الملك شابور يقال لها شاد شابور « فرح شابور » • وقرب خرائبها كانت المدينتان الإسلاميتان مدينة

موسى ومبارك اباد (وكان مبارك على قول المستوفى من موالى الخليفة الهادى) •
ثم ان هرون الرشيد حوَّط هذه المدن الثلاث بسور حصين ولم يكمل الا فى
سنة ٢٥٤ (٨٦٨) اذ أكمله القائد التركى موسى بن بفا فى عهد الخليفة المعتز •
ثم ان صدر الدين وزير السلطان السلجوقى ارسلان الثانى حدد بناءه بالآجر فى
سنة ٥٧٢ (١١٧٦) واستطرد المسنوفى فقال كان من أعمال قزوين ثلاثمة قرية
أجملها فارسجين وسكن اباد وورد اسماهما فى سياق وصفه للمسالك • وذكر
أيضا اسماء جملة أنهار كانت تسقى ناحية قزوين وهى : خروء ، وكذلك بوه رود
وكردان رود ، وكانا يأتیان من الطالقان • وتركبان رود ويأتى من ناحية خرقان
(أنظر ص ٢٣١) • وعلى ما حاء فى القزوينى ، كانت الانهار الى تسقى بساتين
المدينة : وادى درج فى الشرق ووادى أترك فى الغرب • وسرد هذا المؤلف أيضا
اسماء جملة مدن وقرى كانت فى سهل قزوين وفى البقاع الجبلية المطلة عليها^(٨) •

وكانت دنسوا (أو دستبى) فى أيام بنى أمية دار ضرب للنقود • ويطلق هذا
الاسم على كورة كبيرة أجلّ قراها يزد اباد • وكانت دستوا فى أيام الامويين
مقسومة بين الرى وهمدان • والذى انتهى البنا ان طريق الرى الذاهب من الرى
الى اقليم اذربيجان رأسا كان يخترقها عادلا عن قزوين • ولم يبق لاسم دستوا أثر فى
الخارطة ، الا ان موضعها ينغى ان يكون جنوب قزوين ، وقد صارت تعد فى أيام
بنى العباس من أعمالها •

والى شمال غربى قزوين ، على قن الجبال الفاصلة بين هذه الكورة ورود بار
التى على نهر شاهرود فى طبرستان ، قلاع الاسماعيلية المشهورة (الحشيشية

(٨) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٣ و ٢٧١ : اليمعوى ٢٧١ : ابن حرداذبه ٥٧ : المدعى ٣٩١ : باقوت
٤ . ٨٨ و ٨٩ و ٤٥٤ و ٤٥٥ : القزوينى ٢ : ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٤٤ و ٢٧٤ و ٢٧٥
و ٢٩٠ : المسنوفى ١٤٥ و ١٤٦ و ١٩٦ و ٢١٧ •

وكان القزوينى على ما يدل عليه اسمه ، من أهل قزوين (كالمستوفى) • وقد أورد المستوفى
فى تاريخه (كزیده) حديثا مستقيصا عن بلده ، ترجمه المسيو باربيه دى مینار (Barbier
de Meynard) فى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٨٥٧ المجلد الثانى
ص ٢٥٧ • ووضع القزوينى (٢ : ٢٩١) مخططا ارضيا تمرييبيا للمدينة رسم المدينة فيه داخل
دوائر من اسوار مشتركة المركز فالدائرة الداخلة مدينة شهرستان كانت تحيط بها المدينة العظمى
وحول هذه الساتين وتحف بها المزارع ويخترق نهراها المزارع •

- ٢٥٦ -

(= الحشاشين) وكانت خمسين قلعة عدداً على ما فى المستوفى منها آلاموت وكانت كرسى ملكهم ، ويمون دز أمتع حصونهم • ويقال ان معنى ألموت « عش العقاب » أو « ما وجد العقاب »^(٩) بلسان أهل طبرستان • وقيل ان أول من اتخذ له قلعة فى هذه البقاع بعض ملوك الديلم فقد ارسل عقابا للصيد فتبعه فرآه وقع على هذا الموضع فوجده موضعا حصينا • وكان القزوينى ، وهو ولا مرأ ممن يجيد معرفة الموضع ، قد وصف القلعة بقوله انها « على قلة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يلقيها » • وقلعة ألموت على ستة فراسخ من قزوین وقد بنى آخر حصونها الحسن الداعى العلوى الملقب بالداعى الى الحق فى سنة ٢٤٦ (٨٦٠) وفى سنة ٤٨٣ (١٠٩٠) أو ٤٤٦ (١٠٥٤) على ما فى القزوينى - صارت ألموت فى حوزة حسن الصباح الملقب بشيخ الجبل ولبت مئة واحدی وسبعين سنة أمتع حصون الاسماعيلیة • ثم استولى هولاکو خان المغولى عليها وأمر بتجريدھا من آلاتها الحربية فى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) • وبعد سقوطها سرعان ما انهارت مقاومة قلاع الحشيشية الواحدة تلو الاخرى فوقعت بيده كلها فجعلها قاعا صفصفا • وقد زار كثير من الرحالة ما يظن انه موضعها • وما زالت آثار كثير من قلاع الاسماعيلیة الاخرى على ما يقال ظاهرة فى الجبال شمال قزوین^(١٠) •

وأبهر وزنجان ، وهما مدينتان يقترن ذكرهما معا فى الغالب ، على الطريق غرب قزوین ، وقد اشتهرتا منذ قديم الزمان • ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة

(٩) فى القزوينى (٢ : ٢٠٠) ان اسمها بلسان الديلم « آله أموت » أى « تعليم العقاب » رلى « تاريخ العراق بين احتلالين لنباس العزوى (١ : ١٥٢ ح ٢) نفلا عن جامع التواريخ لرشيد الدين ، ان اسم الموت هو تاريخ حكومتهم وظهورهم ، وحروله تساوى ٤٧٧ - (م) •

(١٠) العزوينى ٢ . ٢٠٠ : المستوفى ١٤٧ •

أورد المستوفى فى تاريخ كزیده (الفصل الرابع - القسم التاسع - الجزء الثانى) تاريخ الاسماعيلیة الى الحشيشية (الحشاشين) فى فارس • وقد ترجم هذا القسم وعلق عليه ديفريمرى (Defrémery) فى المجلة الآسيوية (لسنة ١٨٤٦ ؛ ١ : ٢٦) وسرد فيها (ص ٤٨) اسماء قلاع الاسماعيلیة التى استولى عليها هولاکو وأمر بتعويضها - غير ان مواضع معظمها غير معروفة • وكانت كرد كوه ولنسر آخر ما سقط من قلاعهم • ويظهر ان هولاکو لم يخرب الموت تخريبا تاما ، أو لعلها بيت ثانية بعد ذلك ، اذ ان الشام سليمان الصفوى اتخذها سجنًا على ما ذكره شاردان فى رحلته فى فارس (١٠ : ٢٠) - وفى القرن الماضى زار الكولونيل مونتيت Monteith اطلالها ورصفها فى JRGS لسنة ١٨٣٣ (ص ١٥) •

(العاشرة) ان ابهر مأهولة بالاكتراد كثيرة المياه والاشجار ويكثر فيها القمح ولها حصن منبع شيد على دكة • وأشار القزويني الى ان المدينة كلها مشتملة على طواحين تدور على الماء^(١١) • وبها نوع من الكمثرى مدور بحجم التارنج يقال له العاسى لذبد جدا ما فى البلاد شىء مثله • وقال ياقوت : العجم يسمونها أوهر • وذكر المستوفى ان الاتابك بهاء الدين حيدر قد جدد بناء القلعة فى أيام السلاجقة فعرفت بالحيدرية • وكان محيط أسوار المدينة ٥٥٠٠ خطوة • ونهر أبهر بعد ان يسقى نواحها يجرى نحو مدينة قزوین ثم يقنى فى المفازة • ومدينة زنجان على نحو خمسين ميلا الى شمال غربى أبهر على نهر زنجان وهو بجرى غرب سفيدرود • وقال ابن حوقل ان زنجان أكبر من أبهر وانها على طريق اذربيجان • وذكر ياقوت ان العجم يقولون زنكان • وروى المستوفى ان مؤسسها هو الملك اردشير بابكان وكان اسمها أولا شاهين • وقد خربت زنجان فى خلال الفتح المغولى • وطول أسوارها التى بقيت الى زمنه عشرة آلاف خطوة ، وكانت ناحيتها كثيرة الخيرات • بلغ خراجها عشرين ألف دينار • وقال المستوفى ان اللغة السائدة فيها فى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت ما تزال لغة بهلوية صرفة ، يستشف من خلالها بلا ريب انها لهجة محلية فارسية^(١٢) •

وفى نحو نصف الطريق بين ابهر وزنجان ، وسط السهل العظيم الذى يؤلف منقسم الماء بين الانهار الفائضة غرب سفيدرود وشرق المفازة الكبرى ، أطلال السلطانية ، المدينة المغولية التى أنشأها ارغون خان واتمها السلطان ألباتو فى سنة ٧٠٤ (١٣٠٥) وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية • قال ابو الفداء ان اسمها المغولى كان قنغران • وذكر المستوفى ان من أعمالها تسع مدن • ومحيط أسوارها ٣٠٠٠ خطوة • وفى وسط حصنها قبر ألباتو وعليه نقوش منحوتة فى الحجر • وما زالت أطلال هذا القبر المقبب (أو المسجد) قائمة ولكن لا أثر للمدينة اليوم •

(١١) وقد جاء فى ياقوت (١٠٤٠) ان معنى ابهر مركب من « آب » وهو الماء و « هر » وهو الرعى • (م) •
(١٢) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٧١ و ٢٧٤ : المقدسى ٣٧٨ و ٣٩٢ : القزوينى ٢ : ١٩١ : ياقوت ١٠٤ : ٢ : ٥٧٣ و ٥٧٤ : ٩٤٨ : ٤ : ١٠١٧ : المستوفى ١٤٦ و ١٤٧ و ٢١٧ •

- ٢٥٨ -

على ان المستوفى قال ان السلطانية كانت تشتمل فى أيامه على مبان أفخم مما فى أية مدينة فارسة أخرى ما خلا تبريز • وفى طريق أبهر على خمسة فراسخ شرق السلطانية قرية قههود • ويسمىها المغول صاين قلعة • على ما ذكر المستوفى • وما زال هذا الموضع موجودا باسمه الاخير صاين • ويقال له أيضا باتوخان • وباتوخان حفيد جنكيز خان • وقلعة سرجهان المنبئة فوق قلة الجبل فى نصف الطريق بين صاين قلعة والسلطانية • وكانت تبعد عن الاخرة خمسة فراسخ • وتتوج قمة جبل وتشرف على السهول الواسعة الممتدة من هناك شرقا الى ابهر وقزوين • ووصف باقوت سرجهان وكانت من كورة طارم بأنها من احصن القلاع وأحكمها وقد رآها • وحين كتب المستوفى كان الخراب قد استولى عليها بسبب الفتح المتولى فنقل سلاحها وحاميتها الى صاين قلعة •

والى غرب السلطانية : سهرورد وسجاس • وهما بليدتان متقاربتان بقيتا حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على شىء من حسن الحال • أما اليوم فقد آلتا الى الخراب • وكتب ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) ان سهرورد قد غلب عليها الاكراد وهى كشهرزور فى مساحتها ورقعتها • وهى حصينة فى جنوب زنجان فى طريق همدان • أما سجاس أو سجاس فأنها قرب سهرورده • ووصف المستوفى هاتين البلدتين بأنهما خربتا فى خلال الفتح المغولى فلم تكونا فى أيامه غير قريتين كبيرتين أهليتين • وكانت الكورتان القريتان منها يقال لهما جرود وأنجروود (وتعرفان اليوم باسم أيجرود وانكوران) وكانت سجاس على خمسة فراسخ غرب السلطانية • يحفّ بها نيف ومئة قرية يسكنها المغول • وكان فى الجبل المجاور لها قبر ارغون خان فجعل كروغا • (وهو المعبد الطاهر) على عادة المغول • وابنت ابنته الجاي خاتون خاتنها للدراویش هناك (١٣) •

وفى الحد الغربى لاقليم الجبال قرب منبع من منابع سفيدرود، الآثار المشهورة

(١٣) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٣ : العروينى ٢ : ٢٦١ ، ياقوت ٣ : ٤٠ و ٧٠ و ٢٠٣ ؛ ابو الفدا ٤٠٧ • المستوفى ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٩٦ •
والظاهر ان سجاس وسهرورد لا ذكر لهما فى الخارطة اليرم وان كتب السر رولنسون H. Rawlinson (JRGS - ١٨٤٠ ص ٦٦) ان سجاس كانت فى زمته قرية صغيرة • على لحر ٢٤ ميلا جنوب شرقى زنجان • وقال ان سهرورد « قد ضاعت اليوم » •

المسماة اليوم «تخت سليمان» وفيها بركة صغيرة ينبجس الماء منها ولا يشحّ مها حمل منه • وهذه الآثار قد عدّها بعضهم من بقايا مدينة شيز التي أشار اليها البلدانونيون العرب القدماء • وذكرها المستوفى أيضا باسم ستوريق • ووصف ابن خرداذبه في المثة الثالثة (التاسعة) بيت النار في الشيز فقال هو عظيم القدر عند المجوس ويقال له اذرجشنس ، كان اذا ملك منهم الملك زاره من المدائن (طيسفون) ماشيا فيسريح في شهرزور وهي نصف الطريق (وقد مرّ ذكرها في ص ٢٢٥) ثم يتابع سيره الى شيز • فقد ذكرت الاخبار ان في شيز ولد زرادشت • وقال ياقوت ان اسمها الفارسي كان جيس وتسمى أيضا كزن ، وشيز تصحيف عربي لهذا الاسم • واقنيس ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذي كتب في سنة ٣٣١ (٩٤٣) يصف شيز وكان قد زارها باحثا عن معادن الذهب التي في بطن جبالها على ما يقال فقال ان « هذه المدينة يحيط بها سور وبها بحير في وسطها لا يدرك قراره واستدارته نحو جريب (ثلث اكر) ، ويخرج منه سبعة أنهار • ومتى بلّ بمائه نراب صار في الوقت حجرا صلدا » • ووصف ابن مهلهل ايضا بيت نار عظيم الشأن في شيز « منه تذكي نيران المجوس من المشرق الى المغرب وانهم كانوا يوقدون فيه منذ سبعة سنة ولا ينقطع الوقود عنه ساعة من الزمان » • ووصف المستوفى مدينة شيز فقال انها اولى مدن ولاية انجروود سماها المغول ستوريق • ووصف قصرا عظيما فيها بناء الملك كيخسرو على ما يقال ، كان في صحنه بركة أو بحيرة صغيرة لا يدرك قرارها ولا يقل ماؤها وان كان هناك نهر يأخذ منها على الدوام ، فاذا قطع الماء عن هذا النهر لا يفيض ماؤها • وذكر المستوفى ان اباقاخان المغولي ابتى له فيها قصرا اذ كانت تحيط بها مروج نضرة^(١٤) •

وفي الطرف الشمالى الغربى من اقليم الجبال على الطريق من زنجان الى اردبيل مدينة خونج التجارية الجبلية • جاء فى ابن حوقل ان هذه المدينة كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) مشهورة بالخيل الجياد والاغنام والبقر • واورد

(١٤) ابن خرداذبه ١١٩ : ابن الفقيه ٢٨٦ : المردينى ٢ : ٢٦٧ : ياقوت ٣ : ٣٥٣ : المستوفى ١٤٨ •
وقد عد السرحنى رولنسون (JRGS) لسنة ١٨٤٠ ص ٦٥) تخت سليمان أو شيز انها اكبانا Ecbatana الشمالية لدى الكتبة اليونان -

ياقوت ، وقد زار المدينة ، اسمها بصورة خونا ولكنه قال انها تسمى فى أيامه كاغد كنان أى « صناع الكاغد » • « وأهلها يكرهون تسميها بخونا لقريئة قبيحة تقرن بهذا الاسم » فى معناه الفارسى • والمستوفى وفد ذكر فى مسالكة ان كاغد كنان على ستة فراسخ جنوب سفيد رود وأربعة عشر فرسخا شمال زنجان فى الطريق الى اردبيل قال انها قد تخربت فى اثناء الفتح المغولى وانها حين صنف كتابه صارت كالقربة • وكان يسقى اراضيها فرع من فروع سفيدرود • وكان الكاغد الفاخر يصنع فيها فى أيامه • وأطلق عليها المغول الذين سكنوها اسم « المغولية » ، ولم يشن حتى الآن على ما يظهر تعيين موقع خونج الحقيقى •

وبمحاذاة السفح الجنوبى للجبال التى تفصل اقليم الجبال عن بلاد الديلم وطبرستان فى الشمال الكور الثلاث : بشكل درة والطاقان وطارم • وكثيرا ما كان يستعمل الاسمان الاخيران بدون تدقيق احدهما فى موضع الآخر • وكانت كل كورة من هذه الكور تنقسم الى قسمين : أعلى وأسفل • فالأعلى ما كان فى الجبال فهو بذلك يعد تابعا لاقليم الديلم • وكانت بشكل درة ، على ما فى المستوفى ، الى غرب قزوین و جنوب الطالقان وفيها اربعون قرية كان ريعها قبلا وقفا على جامع قزوین ، وقد زالت من الخارطة • والطاقان وهى بين سهل السلطانية وسلسلة الجبال الشمالية ، وقد اختفى اسمها من الخارطة ، كثيرا ما ذكرها بلدانيو العرب القدماء • فقد أشار المقدسى الى انها « كبيرة عامرة نبيلة ليس فى الكورة مثلاً » وقد كان يجب ان تكون حضرة السلطان (أى سلطان الديلم) وعندي انهم كرهوا ذلك لتطرفها • وأشار القزوینی الى ما فى الطالقان من زيتون ورمال • وسرد ياقوت أسماء عدد من قراها • وأورد المستوفى ثبوتا طويلا باسماء هذه القرى • على ان أغلبها اليوم لا يمكن رؤيته فى الخارطة الحديثة • وكان من رأيه ان معظم الطالقان يعود الى كيلان دون غيرها •

والى شمال زنجان بامتداد أسفل المرتفعات الجبلية أيضا ، كورة طارم • عرفها البلدانيون العرب بالطارمين ، متى الطارم ، ويريدون بذلك طارم السفلى وطارم العليا • وطارم العليا تدخل كلها فى بلاد الديلم ، ونهر طارم على ما ذكرنا من فروع سفيدرود اليمنى وكانت فروعه الكثيرة تسقى هذه الكورة الخصبة • قاله

- ٢٦١ -

ياقوت وقد كتب الاسم بصورة تارم أو ترم انه ليس فيها مدينة مشهورة • غير ان هذه البلاد اشتهرت فى التاريخ بأسرة وهسودان • وكان ركن الدولة البويهى قد خلع آخر امرائها • وذكر المسنوفى ان فيروزاباد كانت قصبة طارم السفلى • واندر (أو ايدى) أهم مدينة فى طارم العليا • ويقال لحصنها قلعة تاج • وسرد اسماء خمسة من أعمالها فى كل عمل منها قرى كثيرة •

وذكر المسنوفى فى طارم السفلى قلعة شميران العظيمة وموضعها غير معروف وهى سميران بحسب تهجئة ياقوت لها وقد زار خرائبها • ونقل ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذى رأى سميران فى نحو سنة ٣٣١ (٩٤٣) وكانت يومذاك من أمنع فلاع ملوك الديلم فقال ان فيها « الفين وثمانئة ونيفا وخمسين دارا كبارا وصغارا » • وكان فخر الدولة البويهى فد ملك هذه القلعة فى سنة ٣٧٩ (٩٨٩) وخلع آخر أمراء أسرة وهسودان ، وكان طفلا قد تزوج هذا الزعيم البويهى أمه • وفى نحو هذا الزمن وصف المقدسى هذه القلعة وقد سماها باسم سمبروم بانها من أعمال سلارود وهى قلعة عليها « سبع ذهب وشمس وقمر » وبيوتهم لبن • وفى أواسط القرن التالى كان الرحالة الفارسى ناصر خسرو قد زار شميران فى طريقه الى مكة سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وقال انها قصبة ولاية طارم فى بلاد الديلم وهى على ثلاثة فراسخ غرب ملتقى شاهرود بسفيدرود فى طريق سراو باذريجان • وفى حافة المدينة قلعة عالية مشيدة على صخر صلد محاطة بثلاثة أسوار يقيم بها الف رجل وبحمل الماء الى القلعة بفتاة • وكان ياقوت قد زار سميران فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) فوجدها مخربة • خربها شيخ الحشيشية صاحب الموت • « وبها آثار حسنة تدل على انها كانت من أمهات القلاع » • وهى على نهر كبير يأتى من جبال طارم • ويظهر ان موضعها لم يعينه أحد من الرحالين المحدثين • وذكر ياقوت أيضا قلعة أخرى فى هذه الكورة يقال لها قلاط كانت فى جبال تارم من جبال الديلم وهى بين قروين وخلخال على قلة جبل ولها رىض فى السهل فيه سوق وتحتها نهر عليه قنطرة حجر كثيرة العقود^(١٥) وذكر ياقوت ان هذه القلعة كانت من قلاع شيخ الحشيشية صاحب

(١٥) عبارة ياقوت نى سفة القنطرة . « عليه قنطرة الواح ترنح وتوضع » (م) •

- ٢٦٢ -

الموت وهى مثل سمران لا يعرف موضعها^(١٦) .

وحدثنا المقدسى بما قلّ ودلّ عن تجارات وغلّات جملة مدن فى إقليم الجبال، فقال : يحمل من الرى أصناف من النسيج منها صنف يقال له المنّيرات • والقطن ويفزل فيها ويصنع بالنيل • وكانت برود الرى المقلّمة مشهورة • وتصنع فيها المسالّ والامشاط والقصاع • وكانت الامشاط والقصاع على ما ذكر القزوينى تعمل من خشب صلب مخروط يعرف بالخلنج وكان يؤتى به من غابات طبرستان • وكانت الرى مشهورة أيضا بطبخها وخوخها ويجلب منها طين يفسل به الرأس، فى غاية النعمة •

ومن قزوين : تحمل الأكسية وجوارب الادم للأسفار والقسي والنعناع • ومن قم : الكراسى واللجم والركب وبز وزعفران كثير • ومن قاشان : يحمل القماقم (يابس البسر) والطلخون (نبات) • وتشتهر اصفهان بحلّوها ونمكسودها وأقفالها • ومن همدان ونواحها تحمل الاجبان والزعفران وجلود الثعالب والسمّور^(١٧) ، وبالقرب منها معدن القصدير • وكان يصنع فى المدينة البرز والخفاف • وأخبرا يحمل من الدينور حبن مشهور^(١٨) •

وأهم ما كان يخرق إقليم الجبال من طرق : طريق القوافل الكبير المعروف بطريق خراسان ، وهو الذى مرّ وصفه فى الفصل التمهيدى • بدأ هذا الطريق من بغداد ويصل الى ما وراء النهر وأقصى الشرق • فكان يدخل إقليم الجبال عند حلوان ويقطعه من أوله الى آخره ، فيمر بقرميسين (أو كرمانشاه) أولا ، ومنها الى همدان ثم الى ساوه ثم يتجه شمالا الى الرى ثم يشرّق من إقليم الجبال الى قومس ومنها الى خراسان • واكمل وصف قديم انتهى اليها لطريق خراسان ، وصف ابن رسته فى ختام المئة الثالثة (مطلع العاشرة) ، على ما بينا • فقد وصفه

(١٦) ابن حوقل ٢٥٣ : المقدسى ٣٦٠ باموت ١ : ٦٣ و ٨١١ : ٢ : ٤٩٩ و ٥٠٠ : ٣ : ١٤٨ و ٤٩٢ و ٥٣٣ : ٤ : ١٥٦ : القزوينى ٢ : ٢٦٨ : المسنومى ١٤٩ و ١٥٠ و ١٩٨ و ٢١٧ : جهان با ٢٩٧ ، ناصر خسرو ٥ [ص ٤ - ٥ من الترجمة العربية] •

(١٧) السمور - حيوان برى لونه أحمر مائل الى السواد ومنه ما يكون أسود لامعا وأشقر • يتخذ من جلده فراء ثميّة • ويعرف فى العراق بالسنسار ويعيش فيه • (م) •

(١٨) المقدسى ٣٩٥ و ٣٩٦ : القزوينى ٢ : ٢٥٠ •

- ٢٦٣ -

مرحلة مرحلة ذاكرة الانهار والقناطر التي يعبرها مبنا نزوله وصعوده والتفافه ودوراته ، مسميا ما يمر به من قرى ومدن . وانتهى اليها الى ذلك اربعة اوصاف قديمة اخرى لهذا الطريق آخرها وصف المقدسى وفيه أورد المسافات بالمراحل .

وبعد الفتح المغولى وقيام الدولة الايلخانية فى فارس اضحت السلطانية عاصمة هذه الدولة ومن ثمة صارت مركزا لهذه الشبكة من الطرق . وعليه فان المستوفى فى وصفه المسالك بدلا من ان يبدأ من بغداد ويشرق منها وصف الطرق مبتدئا بها من السلطانية باتجاهها الى بغداد . فانع بذلك اتجاهها معاكسا للاول . على ان المراحل من حلوان الى همدان (وهى معكوسة بالنسبة الى الطريق القديم) شىء واحد فى الواقع فى كلا الوصفين . ولكن الطريق بدلا من ان يذهب من همدان الى الرى بطريق ساو ، جعله المغول يتجه شمالا الى السلطانية مخترقا ناحيتي دركزين وخرقان فلا يمر بمدينة كبيرة ، وليس ما ذكره المستوفى من مراحل هذا الطريق الا اسماء قرى لا يعرف شىء عن جميعها^(١٩) .

ومن قرب كرمانشاه ، عند جبل سن سميرة (أنظر الصفحة ٢٢٣) كان الطريق الذهاب الى مراغة فى اذربيجان والى الشمال يأخذ من طريق خراسان فيتجه أولا الى الدينور ثم الى سسر (لعلها تطابق سحنة الحالية . أنظر ص ٢٣٣) فالى حدود اقليم الجبال . وهذا الطريق الذى نصف الآن تتمته المارة باذربيجان ، قد وصفه قدامة وابن خردادبه ، ويرى وصف اجزائه الاولى فى ابن حوقل . فمن كرمانشاه (قريسين) ومن كنكوار ومن همدان تتفرع طرق من يمينه تذهب نحو الجنوب الشرقي الى نهاوند ومنها ومن همدان كان الطريق يذهب الى كرج ابى دلف مارا ببروجرد ومن كرج ابى دلف الى اصفهان . وأورد المستوفى مراحل الطريق من كنكوار الى نهاوند . ثم يتفرع الطريق عندها باتجاه اصفهان بينما ذكر المقدسى ان الطريق من كرج يتجه الى الرى مارا بآوه ورامين^(٢٠) .

(١٩) ابن رسته ١٦٥ - ١٦٦ : ابن خردادبه ١٩ - ٢٢ : قدامة ١٩٨ - ٢٠٠ : ابن حوقل ٢٥٦ - ٢٥٨ : المقدسى ٤٠٠ - ٤٠٢ : المستوفى ١٩٢ .
(٢٠) ابن خردادبه ١١٩ و ١٢٠ : قدامة ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢١٢ : ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ : المقدسى ٤٠١ و ٤٠٢ : المستوفى ١٩٥

- ٢٦٤ -

والطريق الحالى من أصفهان الى طهران (مارا بالرى) يأخذ فى الصعود فيمر بقاشان وقم • اما طريق القوافل فى أوائل العصور الوسطى فكان اتجاهه الى الشرق أكثر وإلى حافة المفازة أقرب • وكان يتفرع من يساره نحو الغرب فروع تذهب الى قاشان وقم • على أن المقدسى فى ختام المثة الرابعة (العاشرة) قال ان هذا الطريق كان يذهب رأسا الى قاشان وقم ، أى على ما هو عليه اليوم • والذى فى المستوفى ان هذا الطريق بعد أن يجتاز بهاتين المدينتين ينعطف يسرة فيمر بأوه فساوه ثم الى السلطانية • وعند مرحلة سومغان يلتقى به الطريق الماد من هذه العاصمة الجديدة الى الرى ، على ما سنصفه فى الفقرة التالية (٢١) •

وذكر ابن حوقل وغيره عدد مراحل الطريق فيما بين المدن التى فى غرب الرى حتى اذربيجان ، وكذلك مراحل الطريق من زنجان شمالا الى اردبيل • وقد أفاض المستوفى فى بيان مراحل هذا الطريق • فبين السلطانية والرى يمر الطريق بأبهر الى فارسجين تاركا قزوین فى شماله • ومنها يبلغ مرحلة يقال لها سومغان (قراءة هذا الاسم غير ثابتة) وفيها ينقسم الطريق • فكان طريق خراسان يستقبل الرى مارا بمقام عبد العظيم ومنها الى ورامين • اما الفرع الآخر وهو الايمن فيتجه جنوبا • فيذهب طريق اصفهان أولا الى سكراباد فساوه على ما مرّ وصفه (٢٢) •

ومن الطرق التى كانت تجتاز اذربيجان ، فى أوائل عهد الخلافة على ما سبقت الاشارة اليه ، الطريق الشمالى المتفرع من طريق خراسان عند همذان الذهاب الى سيسر ومنها الى برزة فى اذربيجان ، وهى على ستين ميلا جنوب بحيرة ارمية حيث تشعب هناك (٢٣) • فالى اليمين يمر الطريق بمراغة فى شرق البحيرة الى تبريز ثم يشرق الى اردبيل مارا بسر او • والفرع الايسر المتفرع عند برزة يلازم غرب البحيرة فيمر بمدينة ارمية ثم الى خوى ومنها يمر بنخجوان (نشوى) فيصل دبيل قاعدة ارمينية • ومن تبريز كان يأخذ طريق فيمر بمرند الى خوى ومنها يمر بارجيش الى خلاط وهى فى الطرف الغربى لبحيرة وان • ولم يصف

(٢١) ابن رسته ١٩٠ و ١٩١ ؛ ابن خرداذبه ٥٨ و ٥٩ ؛ ابن حوقل ٢٨٦ و ٢٩٠ ؛ المقدسى

٤٩١ ، المستوفى ١٩٩ •

(٢٢) ابن حوقل ٢٥٢ و ٢٥٨ ؛ المقدسى ٣٨٣ ؛ المستوفى ١٩٦ و ١٩٨ •

(٢٣) النظر الخارطة ٣ ص (١١٤) •

هذا القسم الاخير من الطريق غير الاصطخرى والمقدسى (٢٤) .

ومن اردبيل يجتاز الطريق كورة موغان فى الشمال فيبلغ ورثان . وهناك يعبر نهر ارس ومنها الى برذعة مارا باليلقان . ومن برذعة يتجه طريق يمر بشمكور فيتجه نحو الشمال الغربى ويصل الى نهر الكر ووجهته تفليس بجورجيا . أما فى اليمين فيأخذ طريق آخر يمر ببرزنج عد معبر نهر الكر وينتهى الى شماخى قاعدة ولاية شروان ومنها الى باب الابواب وبفال لها درند . وذكر المقدسى وغيره طريقا من اردبيل قاعدة ارمينية الى برذعة ولكن ليس من اليسير التحقق من طوله (٢٥) .

وفى أبام المغول ، كان نظام الطرق القاطعة اذربيجان الى الحدود الشمالية الغربية على ما وصفه المستوفى فى المثة النامنة (الرابعة عشرة) ، يبدأ من السلطانية ، العاصمة الجديدة ، ويتفرع عند زنجان . فالفرع الايمن وهو الشمالى كان يمر بالخونج أو كاغد كنان ويعبر سفيد رود ثم يمر بمدينة خلخال قاصدا اردبيل ومنها الى باجروان قاعدة موغان . ومن زنجان يعبر الطريق سفيد رود على قنطرة حجر (يقال لها قنطرة سييد رود) وبعض هذا الطريق ذكره أيضا الاصطخرى وابن حوقل مع ذكر طريق من الميانج . وبمتابعة وصف المستوفى للطريق من باجروان نرى انه أشار أولا الى الطريق الفرعى فى الشرق الى محمود أباد . ثم ذكر مراحل الجادة الكبرى الذاهبة من باجروان الى تفليس مارة ببرذعة وشمكور .

وان عدنا الى موضع نفرع الطريق فى زنجان ، رأينا ان الفرع الايسر ، وقد وصفه المستوفى ، يذهب الى المبانج فى اذربيجان ومنها الى تبريز مارا بأوجان متابعا الخط الذى وصفه بلدايو العرب القدماء (باتجاه معاكس) . وذكر المستوفى أيضا الطريق من تبريز الى ارجيش على بحيرة وان ، ومنها يعدل عن الطريق الايسر المحاذى لشاطئ البحيرة الى خلاط . وذكر المسافات فى الطريق المتجه نحو الشمال الغربى الى ملاسجر . ثم يمر بارزن الروم (ارضروم) مجتازا ارض زنجان الى

(٢٤) ابن خرداذبه ١١٩ - ١٢١ ، فدامة ٢١٢ و ٢١٣ ، الاصطخرى ١٩٤ ، ابن حوقل ٢٥٢ - ٢٥٤ ؛ المقدسى ٣٨٢ و ٣٨٣ .
(٢٥) ابن خرداذبه ١٢١ و ١٢٢ ؛ فدامة ٢١٣ ، الاصطخرى ١٩٢ و ١٩٣ ، ابن حوقل ٢٥١ ؛ المقدسى ٣١٨ .

- ٢٦٦ -

ميواس قاعدة اقليم الروم السلجوقي • وأخيرا ذكر المستوفى الطريق من تبريز
باتجاه الشمال الشرقى الى باجروان وهو يمر بآهر ويجتاز دربين من دروب
الجبل • وروى المسنوفى ان الوزير علي شاه بنى حديثا على هذا الطريق
جملة ربط (٢٦) •

الفصل السادس عشر

خوزستان

نهر دجيل اى كارون - خوزستان والاهواز - تستر او شوستر - الشاذروان العظيم - نهر
المسرقان - عسكر مكرم - جندبساپور - دزفول - السوس ونهر كرخه - بصنا
ومتوت - نرقوب ودور الراسبي - الحويزة ونهر تيرى - الدورق وكورة
سرق - حصن مهدي - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايلج او مال امير -
سوسن - لردكان - تجارات خوزستان
وغلاته - مسالكه *

يتألف اقليم خوزستان من الارض الرسوبية التى كونها نهر كارون
وروافده الكثيرة * وقد عرف العرب نهر كارون باسم دجيل الاهواز^(١) * وانما
سموه بدجيل (تصغير دجلة) الاهواز لانه يمر بمدينة الاهواز فميزوه بذلك عن
دجيل دجلة فى أعلى بغداد * ومعنى خوزستان « بلاد الخوز » ويكتب هذا الاسم
أبضا بصورة حوز أو هوز * وجمع الهوز بالعربية الاهواز * وكانت الاهواز
قاعدة الاقليم واسمها مختصر من « سوق الاهواز » * وتسمية هذا الاقليم
بخوزستان اليوم قد بطلت ، وصارت هذه الولاية التابعة لبلاد فارس تسمى عربستان
« أى اقليم العرب »^(٢) * وكذلك تغير اسم نهر دجيل وصار يعرف الآن بنهر

(١) انظر عن خوزستان الخارطة ٢ ص ٤٠ -

(٢) عاد العرس الى تسميتها بخوزستان منذ أيام البهلوى رضا شاه (م) *

- ٢٦٨ -

كارون وهو اسم مصحف على ما يقال من كوه رنك « الجبل الملوّن » وهو الجبل الذى ينحدر منه هذا النهر فالاسم « كارون » على ما يظهر لم يعرفه بلدان القرون الوسطى من عرب و فرس •

وأعلى نهر دجيل ، أى كارون ، تتخلل الشعاب الجبلية فى بلاد اللر الكبرى • اما روافده فنحدر من بلاد اللر الصغرى و جبال كردستان • ومخرج دجيل فى كوه زرد « الجبل الاصفر » (أنظر ص ٢٤٢) • ومن الجانب الثانى لهذه الجبال ينحدر نهر زندرود الذاهب الى اصفهان • وبعد ان يشق مجرى دجيل المتعرج وكثير من روافده الصغيرة سلسلة الجبال يصل الى مدينة تستر وهى التى عدّها المسنوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) قاعدة اقليم خوزستان • ولذلك سمي هذا النهر بدجيل تستر • ويخرج من النهر عند تستر فرع يعود ثانية اليه عند عسكر مكرم ومنها يمر بالاهاواز حيث يلتقى هو ونهر جنديسابور أى نهر دزفول • ويأخذ نهر دزفول ماء من بروجرد فى اللر الصغرى (أنظر ص ٢٣٥) • وكانت أعاليه تعرف باسم قرعة (أو قوعة) وبعد ان يلتقى به نهر آخر يقال له كركى يجتاز النهر مدينة دزفول فيلتقى بدجيل على ما مرّ بنا • ولدجيل رافد كبير آخر أكثر اتجاها الى الغرب هو نهر السوس ويعرف أيضا بنهر كرخه • ومخرجه فى جبال اللر الصغرى • وكان يلتقى به نهر كوكلكو ونهر أخر مباد • وبعد أن تجرى هذه الانهار المتحدة مسافة طويلة وتجاوز مدينة السوس تأتى الى أراضي الحويزة فى غرب الاهاواز ثم تلتقى بدجيل • وعلى شىء يسير اسفل من ملتقى هذه الروافد ، يصير نهر دجيل فيضا عظيما يحمل مياه انهار خوزستان مجتمعة ويجرى شرق فيض دجلة (على ما مر وصفه فى الفصل الثانى) الى ان يصب فى خليج فارس (٣) •

وكانت الاهاواز ، وهى قاعدة الاقليم ، تعرف قديما باسم هرمز شهر (وجاءت فى المخطوطات بصورة هرمز أوشير وهرمز اردشير) وهو اسمها الفارسى • ووصف المقدسى هذه المدينة بانها عانت كثيرا من اذى الزنج ابان ثورتهم فى المثة

(٣) ابن سريون ٣٢ : ابن رسته ٩١ و ٩١ : ياقوت ٢ : ٤٩٦ و ٥٥٥ : المستوفى ٢٠٤ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ : جهان نما ٢٨٦ •

الثالثة (التاسعة) واتخذها زعيمهم وقتا ما مقرا له • وفى المثة التالية أعاد الامير عضد الدولة البويهى بناء قسم منها • وأشار المقدسى الى ان البضائع والاموال كانت تحمل الى الاهواز من الاطراف فكانت « خزنة البصرة » •

وكانت الاهواز حين بنيت ، جانبيين : الشرقى وهو الكبير ، وفيه الجامع ومعظم الاسواق ، وبناه وبين جزيره فى نهر دجيل قنطرة • وفى الجزيرة جانب المدينة الغربى • والقنطرة من الآخر • ويقال لها قنطرة هندوان كان عضد الدولة هدمها وبناها وكان عليها مسجد يشرف على النهر • وعلى هذا النهر دواليب عدة يديرها الماء تسمى التواعير • وكان مجرى نهر دجيل نفسه يمر بجذء جانب الجزيرة الاقصى وهو جانبها الغربى • وعلى شئ يسير أسفل الاهواز ، شاذروان عظيم قد بني من الصخر بتجر الماء عنده • والشاذروان يرد الماء ويفرقه ثلاثة أنهار تمتد الى ضياعهم وتسقى مزارعهم التى فى يسار النهر فوق الشاذروان • وفى الشاذروان أبواب تفتح اذا كثر الماء لولاها لفرقت الاهواز • وهواء الاهواز على ما فى المقدسى متن ذميم « وفى النهار حر السموم وفى الليل بق وبرغيث كالذئاب » على حد قوله • وذكر المقدسى انك تسمح للماء المنحدر من الشاذروان صوتا يمنع من النوم أكثر السنة • وفى المدينة عقارب وحيات وماء حميم وتراب سبخ ويقتات أهلها خبز الرز وهو عسر الهضم^(٤) •

وعلى تقيض سمعة الاهواز السيئة ، كانت شهرة قاعدة خوزستان الثانية التى سماها العرب تستر والفرس شوستر أو شوشتر • وكانت هذه المدينة على ستين ميلا شمال الاهواز بخط مستقيم • وهى على ضعف هذه المسافة بطريق الماء لكثرة منمرجات دجيل • وقد ذكر المقدسى ان بساين الاترج والغب والتخل كانت تحف بمدينة تستر • وعلى ما روى ، ليس بالاقليم أطيب ولا أحسن ولا أجل من هذه المدينة • والبحر عندهم شديد ، وكانت أسواقها عامرة « معدن كل حاذق فى عمل الديباج والقطن » ، وديباجها مشهور فى كل مكان • وكان الجامع وسط

(٤) الاصلطرى ٨٨ : ابن حوفل ١٧١ : المقدسى ٤٠٦ و ٤١٠ : ياقوت ١ : ٤١٠ - ٤١٣ :

٤ : ٩٦٦ : المستوفى ١٦٩ •

الاسواق في البزّازين ، وعند الجسر أسفل المدينة موضع نزه به القصارون •
وفي سنة ٢٦٠ للميلاد وقع فاليريان Valerian قيصر الروم أسيرا بيد
الملك شابور (سابور الاول) ثاني ملوك الدولة الساسانية • وفي السنوات السبع
من اسره اشتغل ، على ما ذكر المؤرخون الفرس ، في بناء الشاذروان العظيم الذي
يقطع دجيل تحت تستر • وكان العرب يعدّون هذا الشاذروان من عجائب الابنية
وما زالت آثاره باقية حتى اليوم : فلقد رصّ قاع النهر بالحجارة ورصف كله في
غرب تستر حتى تراجع الماء فيه وارتفع الى المدينة وانساب ماءه في قناة باتجاه
الشرق كانت تعيد الماء الى النهر أسفل المدينة بأميال بعد ان تسقى تلك النواحي •
وذكرت المراجع القديمة ان شاذروان تستر كان طوله نحواً من ميل • وعلى ما جاء
في المقدسي كان عليه جسر يعبره الطريق الضارب غرباً من تستر الى العراق •
ويعلو النهر قنطرة عتيقة ذات عقود صغيرة يربو طولها على ربع ميل وكانت فوق
الشاذروان ، ومنها يعبر الطريق • وليس هناك ما يدل على وجود هذه القنطرة في
أوائل القرون الوسطى • ووصف المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة
شوستر فقال : لها اربعة أبواب وفيها قلعة حصينة • وسمى معاصره ابن بطوطة
نهر دجيل (أى كارون) النهر الازرق • وذكر جسرهما فقال انه « كجسر بغداد
والحلة » كان على النهر في غرب المدينة عند باب دسبول^(٥) • وتبسّط في ذكر
التراب المختلفة فيها وكانت المدينة حين زارها كثيرة الخيرات^(٦) •

والشاذروان الكبير في تستر قد بني ، على ما بيّنا ، ليرفع ماء النهر الى
المدينة وليتسنى لائه الدخول في قناة تأخذ من دجيل فوق المدينة فيسقى ناحيتها
الشرقية • ويقال لهذه القناة اليوم آب كركر • وكانت تعرف في القرون الوسطى
باسم الكسّر قان أو المشرقان • وعلى رواية ابن مهلهل - وهو رحالة من أهل المئة

(٥) سيذكر المؤلف لها تسمية أخرى بصورة دزفول (م) -

(٦) الاصطخري ٨٦ و ٩٢ : ابن حومل ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ : المقدسي ٤٠٥ ر ٤٠٩ : ياقوت
١ : ٨٤٧ : المستوفي ١٦٨ : ابن بطوطة ٢ : ٣٤ •

وقد روى الطبري (١ : ٨٢٧) قصة فاليريان وبناء سابور الاول للشاذروان • ووفق في ذكر
اسم قيصر الروم هذا بصورة الريانوس (وهو قريب جداً من اسمه الروماني) • وسرد المسمودي
أخبار هذه الحوادث في أيام سابور الثاني خطأ (٢ : ١٨٤) -

- ٢٧١ -

الرابعة (العاشرة) نقل عنه ياقوت - ان ماء المسرقان أبيض وماء نهر دجيل نفسه أحمر • وكان يجتمع ثمانية بنهر دجيل (وما كان من هذا النهر اسفل شوتر يسمى اليوم الشطيط) نهر المسرقان على نحو ٢٥ ميلا جنوب شوتر عند موضع يقرب من اطلال بندقيير • وتسير هذه الاطلال الى موضع مدينة يقال لها عسكر مكرم وقد كانت فى القرون الوسطى اجل مدينة على المسرقان • وكان هذا النهر يشقها ويسقى اراضيها • وكان بكثرت فيها قصب السكر ، وهو أجود ما يزرع منه فى خوزستان كلها على ما يقال •

وفى النصف الاول من المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أشار حافظ ابرو وعلي اليزدى ، وقد كتب بعد زمن تيمور ، الى هذه الانهار بالاسماء الاتية : فضلة مياه نهر دجيل نفسه المناسبة الى الشرق فوق شوتر (أى مياه المسرقان أو آب كركر) كان يقال لها حينذاك دودانكه أى السدسان «مثنى السدس» بينما كانت معظم مياه دجيل الجارية فوق الشاذروان غربى المدينة تسمى جهار دانكه أى « أربعة أسداس » • اما اليوم فيتفرع من دجيل نهر يتجه صوب الجنوب الشرقى يقال له ميثو يجرى فى سرب منقور فى الصخور التى تقوم فوقها قلعة شوتر • وكان يسقى الاراضى العالية التى فى جنوب المدينة • وهذا النهر هو الذى ذكره المستوفى باسم نهر دشتاباد • وأشار اليه حافظ ابرو بقوله ان جهار دانكه كان ينشطر قرب المدينة شطرين احدهما كان يتحد ثمانية اسفلها بدودانكه (أو المسرقان) • وعلى ما يقال ان اول من حفر نهر المسرقان اردشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية • وذكر المستوفى مدينة المسرقان فقال انها تقوم على ضفة النهر • وجنوب هذه المدينة ، على ما بينا ، فى نحو نصف المسافة بين شوتر والاهواز ، يعود نهر المسرقان فيصب فى دجيل قرب مدينة عسكر مكرم •

وكانت كورة المسرقان مشهورة بصنف فاخر من التمور وبقصب السكر الذى نوهنا به •

واما عسكر مكرم فقد سميت بذلك لان مكرما ، وهو قائد عربى كان الحجاج عامل بنى أمية المشهور على العراق قد بعثه الى خوزستان لاختماد فتنة نشبت هناك ،

- ٢٧٢ -

قد عسكر قرب اطلال مدينة فارسية يقال لها رستم كَوَادء وصَحَف العرب هذا الاسم وقالوا رستبازء فعرفت بعسكر مكرم . ونشأت في موضع المعسكر العربى مدينة جديدة بهذا الاسم . وقد زال اسم عسكر مكرم من الخارطة ولكن موضعها تشير اليه الخرائب المعروفة باسم بندقير أئى (سد القير) حيث يلتقى آب كر كر (المسرقان) بنهر كارون . وفى المئة الرابعة (العاشرة) كانت عسكر مكرم مدينة ذات جانين يشقها نهر المسرقان أعمرهما الجانب الغربى ، وبين الجانبين جسران من سفن . والمدينة بهية الاسواق كثيرة الخير وأسواقها وجامعها فى الجانب الغربى . ومن عيوب عسكر مكرم عقارب سامة لا يسلم من لسعها أحد . وعلى ما فى المستوفى كان يقال للمدينة الفارسية القديمة برج شابور . وانما سميت بذلك لان الملك شابور الثانى جدد عمارتها ووسعها . وذكر المستوفى انها كانت تسمى فى أيامه لشكر ومعنى ذلك بالفارسية « العسكر » وكانت حين كتب فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) اصح مدينة فى خوزستان كلها .

ونهر المسرقان ، على ما جاء فى ابن سراييون وغيره من المصنفين الاولين فى المئة الرابعة (العاشرة) ، لا يرجع الى دجيل فيصب فيه عند عسكر مكرم بل يواصل جريه وحده بموازة نهر دجيل فينتهى آخره الى الفيض . وقد وصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) ركوبه نهر المسرقان وقت نزول الماء فيه من عسكر مكرم الى الاهواز وقال « سرنا فى الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا فى وسط النهر وكان الباقي من هذا النهر (أربعة فراسخ) طريقا يابس الى الاهواز » . ولا يمكن الآن تعقب معالم القسم الاسفل من مجرى المسرقان القديم لائن مضي الف من السنين على هذه الارض الرسوبية قد غير وجه الارض كل التغيير . وأسفل من الاهواز كان يبدأ فى المئة الثالثة (التاسعة) القسم العريض الاخير من دجيل المعروف بنهر السدرة وبعد ان يستقبل كثيرا من الروافد ينتهى الى حصن مهدى قرب رأس فيض كارون (٧) .

(٧) ابن سراييون ٣٢ : الاصطخرى ٩٠ و ٩٢ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ : المعلى ٤٠٩ و ٤١١ : على اليردى ٥٨٨ و ٥٩١ و ٥٩٩ : حافظ ابرو ٨٣ أ : المستوفى ١٦٩ و ١٧٠ : ياقوت ١ : ٤١١ و ٤١٢ : ٢ : ٦٧٦ : حيزة الاصفهانى ٤٧ .

- ٢٧٣ -

وعلى ثمانية فراسخ شمال غربى تستر ، فى الطريق الى دزفول ، الاطلال التى يقال لها اليوم شاه آباد . وهى تعين موضع مدينة جند يسابور أو جند يسابور . وقد كانت جنديسابور فى أيام الساسانيين قاعدة خوزستان . وبقيت حتى أيام الخليفة المنصور مشهورة بمدرستها الطبية العظيمة التى أسسها الطبيب النصرانى بختيشوع ومن بعده ابنائهم وأحفاده وكانوا من ذوى الخطوة لدى غير واحد من خلفاء بنى العباس . وكان يكثر فى نواحيها قصب السكر ويحمل الى خراسان وأقصى الشرق . على ان المقدسى ذكر فى المثة الرابعة (العاشرة) ان جند يسابور « قد اختلت وغلّب عليها الاكراد » . « ولهم طُرُز كثير ومزارع الارزاز » . وفى المدينة قبر يعقوب بن الليث الصفار . وكان قد اتخذ هذه المدينة قاعدة له ومات فيها سنة ٢٦٥ (٨٧٨) . وقال المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جندى شابور أهلة ، فيها قصب السكر . اما اليوم فليس منها الا آثار .

ودزفول أى « قنطرة دز » أو « قنطرة القلعة » ، على نهر دز جنوب جند يسابور . وانما سميت بذلك لانها عند قنطرة مشهورة يقال ان سابور الثانى بناها . وقد سماها الاصطخرى قنطرة اندامش ، وما زالت آثارها شاخصة . وكان يقال للمدينة أيضا فى المثة الرابعة (العاشرة) قصر روناش . على ان المقدسى أشار اليها أحيانا باسم مدينة القنطرة فقط . ولهذه المدينة وقنطرتها المشهورة اسماء أخرى . فابن سراييون سماها قنطرة الروم . واسم دز أطلقه على نهر جند يسابور . اما ابن رسته فذكرها باسم قنطرة الروذ « أى قنطرة النهر » . وابن خردادبه باسم قنطرة الزاب ، فان الزاب اسم نهر دز على رأيه . ووصف المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) القنطرة فقال انها ٤٢ عقدا وطولها ٣٣٠ خطوة وعرض الطريق الذى فوقها ١٥ خطوة . وكانت تسمى على قوله قنطرة انديشك (أو اندامش) .

وكانت مدينة دزفول على جانبي النهر وفوق جانبها الشرقى قناة منقورة فى الصخر عليها ناعور عظيم يرفع الماء الى علو خمسين ذراعا فيسقى بيوت المدينة . وحول دزفول مراتع مشهورة يكثر فيها الترجس . وذكر علي اليزدى هذا

- ٢٧٤ -

النهر باسم « زال » • ووصف القنطرة في دزفول (وقد كتب الاسم بصورة دزبل على الطريقة الفارسية) بانها ذات ٢٨ عقدا كبيرا و ٢٧ عقدا صغيرا تنخلل العقود الكبار ، فكلها ٥٥ عقدا • وان رجعا الى الخارطة الحديثة وجدنا ان نهر دزبل اليوم يلتقى بكارون بازاء بندقيير (عسكر مكرم) • الا انه كان قدما يصب في دجبل اسفل من ذلك بقليل • ولعل مجراه الاعلى كان اقرب الى جند يسابور مما هو عليه الآن • وكان عند ملتقاء بدجيل في القرون الوسطى ، ولعل ذلك في شمال الاهواز ، كورتان خصبان فيهما مدن كبيرة يقال لهما مآذر الكبرى ومآذر الصغرى • وذكر ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) ان هاتين الكورتين « عامرتان بالنخيل والزروع » (٨) •

والارض التي في شمال دزفول وتسمر وشرقهما كانت تعرف في أوائل القرون الوسطى بصحراء اللر • وأهلها من قبائل اللر • وقد هاجرت منها بعد هذا العهد الى الكورتين الجبليتين : اللر الصغرى واللر الكبرى • وهما من اقليم الجبال على ما بينا في الفصل الرابع عشر • وحين كتب ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) كان اللر قد بدأوا بهجرتهم فقد ذكر هذا المصنف ان الغالب على هذه الانحاء الاكراد • وقال ان بلد اللر « خصب عليه هواء الجبال » (٩) •

والى جنوب غربى دزفول اطلال السوس وهى سوسة القديمة قرب نهر كرخة • وقد كانت في القرون الوسطى مدينة أهلة وقصبة كورة يتبعها مدن كثيرة • ويكثر فيها القز والنارنج وقصب السكر • وكان فيها قلعة محكمة قديمة وبها أسواق بهية وجامع سوي على أساطين مدورة • ويروى ان قبر النبي دانيال قد بني في عقيق نهر كرخة المار في الجانب الابد من مدينة السوس • وعلى

(٨) ابن رسته ٩٠ : ابن خرداذبه ١٧٦ : ابن سراجيون ٣٢ : الاصطخرى ٩٣ و ٩٥ و ١٩٧ : ابن حوقل ١٧٦ و ١٧٧ و ٢٥٩ : المقدسى ٣٨٤ و ٤٠٥ و ٤٠٨ : اليعقوبى ٣٦١ : ياقوت ٢ : ١٣٠ : ٤ : ١١١ : المستوفى ١٦٩ : على اليزدى ١ : ٥٨٨ و ٥٩١ •

اما الاطباء المعروفون باسم بختيشوع فكانوا تصارى في خدمة الخلفاء الساسانيين منذ أيام المنصور حتى هرون الرشيد ، فقد كانوا أطباء دار الخلافة • راجع عنهم ابن ابى اسيبعة ١ : ١٢٥ - ١٤٣ و ٢٠٢ طبعة ١ • ملر •

(٩) الاصطخرى ٨٨ و ٩٤ : ابن حوقل ١٧١ و ١٧٦ : المقدسى ٤٠٩ •

حافة النهر فى أقرب موضع من القبر المزعوم ، مسجد حسن يشير الى مكان هذا القبر . ووصف المستوفى هذه المدينة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال انها موضع زاهر وذكر قبر النبي دانيال فى غربها (والظاهر انه كان حينذاك فى ارض يابسة) وقال انهم يحرمون صيد السمك فى هذا النهر تكريما لدانيال . ومدينة كرخا (أو كرخة) وهى قرب السوس ، وبها يعرف الآن نهر كرخة المار بتلول السوس ، على شئ يسير فوق هذه الاطلال وهى فى يمين النهر أى فى حانه الغربى . وصفها المقدسى فقال : « صغيرة عامرة طيبة ، سوفها يوم الاحد ، وعليها حصن ، ولها البساتين » (١٠) .

وذكر البلدانون القدماء جملة مواضع على نهر كرخة أو بالقرب منه . منها ما كان فى الغرب ومنها ما كان أسفل السوس ، قد كانت مدنا جليظة فى القرون الوسطى ولكن لا أثر لها اليوم فى الخارطة الحديثة ومع ذلك فقد لمحت كتب المسالك عن مواضعها بوجه تقريبى . وكان من أهم هذه المدن : بصينة وهى على أقل من مرحلة جنوب السوس على نهر (أو لعله رافد صغير من روافد نهر كرخة) كان يقال له دجيل بصنة وكانت مركزا تجاريا عظيما . وفى بصنا تعمل السور التى تحمل الى الآفاق المكتوب عليها « عمل بصنا » وينسجون فيها الأنماط (١١) ويفزلون الصوف « وعليها حصنان محكمان » والجامع حسن على باب المدينة من نحو النهر والنهر منها على رمة سهم . وفى دجيل نهرا « سبعة ارجحة فى السفن » على ما فى المقدسى . وقرب بصنا مدينة بيروت أو بيروت وهى على مرحلة أيضا من السوس ولعلها الى غرب نهر كرخا . زارها ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) . وقال المقدسى انها كبيرة بها نخل كثير يسمونها « البصرة الصغرى » لرواج تجارتها .

ومتوت أو متوت فيها قلعة حصينة وهى من مدن هذه الانحاء على تسعة فراسخ من جنوب السوس بين الاهواز وقرقوب . وقرقوب - وبها يعمل النسيج

(١٠) الاصطخرى ٨٨ و ٩٢ و ٩٣ : ابن حوقل ١٧٤ : المقدسى ٤٠٥ و ٤٠٧ و ٤٠٨ : المستوفى ٢٩٠ : ابو العلاء ٣١١ : ياقوت ٤ : ٢٥٢ (ويطبع فيه اسم كرخا بصورة كرجا خطأ) .
(١١) الأنماط : واحدها النمط . وهو ضرب من البسط . انظر : تاج العروس ٥ : ٢٣١ (م)

المطرز المعروف بالسوسنجر - مدينة ذات شأن في نصف الطريق بين السوس والطيب التي في العراق . وكانت على مرحلة من السوس ومرحلتين من بصا . وفي هذه الكورة مدينة أخرى لا يعرف موضعها ولعلها في شمال قرقوب ، هي دور الراسبي . وصفها ياقوت بأنها بين الطيب وجند يسابور وفي هذه الدور ولد وعاش الراسبي^(١٢) . وقد مات في سنة ٣٠١ (٩١٣) وتقلد الولاية سنين كثيرة من حد واسط الى حد شهر زور في أيام الخليفة المقتدر . واشتهر الراسبي بسرائه العظيم ، فقد خلف مالا عظيما أورد ياقوت كشفا غريبا به^(١٣) .

وكان يتصل بنهر كرخة في نحو سمت الاهواز أنهار تنحدر من الحوزة (أو الحوزة وهي تصغير حوز أو هوز على ما مر بيانه ، وهم أهل هذا الاقليم) . وقد وصفها المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي من ازهر مدن خوزستان يكثر فيها القمح والقطن وتصب السكر . وكان يسكن المدينة في ذلك الزمن الصابئة^(١٤) . وكانت مدينة نهر تيرا أو نهر تيرين على نهر أو ترعة بهذا الاسم يظهر انه كان من الروافد اليمنى في أسفل نهر كرخة بارض الحوزة . وكانت على مرحلة غرب الاهواز في طريق واسط ، وبها ثياب تشبه ثياب بزداد وتحمل اليها فتدلس بها ، .

ويأتي نهر كرخة من الغرب فيصب في دجيل تحت الاهواز وربما في أسفل مجراء العريض ، على ما أشرنا اليه ، وهو المعروف بنهر السدرة . وفي الشرق أسفل من ذلك ملتقى نهر الدورق به ، وعليه مدينة باسمه وهي قصبة كورة مشرق يقال لها دورق الفرس ، وهي ذات رستاق واسع وسوق كبير وخصائص

(١٢) هو ابو الحسين علي بن احمد الراسبي وكان من عظماء العمال وأمراد الرجال (معجم البلدان ٢ : ٦١٧) (م) .

(١٣) الاصلحى ١٧١ و ١٧٥ ؛ ابن حنبل ٦٣ ؛ القديس ٤٠٥ و ٤٠٨ ؛ ياقوت ١ : ٦٥٦ و ٧٨٦ ؛ ٢ : ٦١٦ ؛ ٤ : ٦٥ و ٤١٢ ؛ حافظ ابرو ٨٢ ب ؛ ابو الفداء ٣١٣ .

(١٤) ما زال الصابئة يسكنون في تلك الانحاء وعلى ضفاف دجلة الحنوبى في العراق . وراجع عنهم ما كتبه الاب استاس الكرملي في المشرق (السنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٢) وعبد الحميد عبادة في كتابه مدائى ، ولا سيما كتاب اللبى دراور E. S. Drower: The Mandaeans وكتابنا « العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة تافرنيه » (ص ١٠٠ - ١١٥) وفيه تعليقات وبند نالعة عن الصابئة للدكتور عبد الجبار عبدالله ، وهو منهم (م) .

- ٢٧٧ -

وخيرات وسوقها متشعب واليها يقصد حجاج فارس وكرمان ، فى طريقهم الى مكة . وكانت الدورق مشهورة بستورها ، والجامع على طرف السوق . وعلى نهرها قرى كثيرة وبها الكبريت الاصفر قرب عيون الكبريت الحارة ، يقصد حماماتها اصحاب العاهات ، فمن نزل فيها يسيراً يسيراً انتفع بمائها ، وهى تنبع فى جبل ويجمع ماؤها فى حوضين^(١٥) . وفى المثة الرابعة (العاشرة) كان فى الدورق أبنية ساسانية عجيبة وبها بيت نار أيضا على ما ذكر ابن مهلهل .

وفى هذه الكورة قرب الدورق مدينتان ، هما ميراقيان وميراثيان وقد وصفهما المقدسى الاولى على « نهر يصل اليه المد والجزر ، وبرسانها قرى كثيرة وأعمال نفيسة » . وميراثيان ، ذات جانين فى كل جانب جامع ولها أسواق عامرة . ومياه الاهوار التى فى جنوبى اقليم خوزستان كانت تصرف فى المثة الرابعة (العاشرة) الى خليج فارس فى انهار تنحدر جنوبا من الدورق وتصب فى البحر عند باسيان . وكان قرب باسيان جزيرة دورقستان وقد ذكرها ياقوت والقزوينى وقال « برفاً اليها مراكب البحر التى تقدم من ناحية الهند ، وفى وسطها قلعة كان فى أيام الخلفاء يحمل اليها المنفيون من بغداد » . وكانت السفن حتى المثة السابعة (الثالثة عشرة) تصعد فيها شمالا فتسلك انهارا وترعا تجرى الى عسكر مكرم فى الناحية الشرقية من دجل^(١٦) .

ونهر دجيل أسفل الاهواز يزداد عرضا فيصبح فيضا يصل اليه المد والجزر وهو القسم الأسفل من نهر السدرة . وعلى هذا الفيض سوق بحر ، وهو موضع كان حتى أيام الخليفة المقتدر فى منتصف المثة الرابعة (العاشرة)^(١٧) تجبى فيه مكوس باهظة . ومدينة سوق الاربعاء ، بالقرب منه ، وهى فى شرق دجل على نهر يشق المدينة الى جانين بينهما قنطرة من خشب تحتها السفن . والجانب الشرقى

(١٥) قال القزوينى (٢ . ٢٤٦) ان الماء بجميعه فى حوضين احدهما للرجال والاخر للنساء (م) .

(١٦) الاصطخرى ٩٣ : ابن حوقل ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٢ : ياقوت ١ : ٤١١ : ٢ : ٣٧١ و ٦١٨ ر ٦٢٠ : المسعودى ١٦٩ : القزوينى ٢ . ١٣٠ و ٢٤٦ . ويظهر ان كلا من مدينتى نهر تيرا ومنادر كان موضعاً جليلاً فى أيام بى أمية فقد كانا بين سنتى ٩٠ و ٩٧ (٧٠٩ - ٧١٦) دارا لضرب النمسود .

(١٧) فسل المقتدر سنة ٣٢٠ فهو لم يبلغ نهاية الثلث الاول من المثة الرابعة فصلا عن

متصلها (م) .

- ٢٧٨ -

من سوق الاربعاء أعمر وفيه الجامع ، ومدينة مجبًا بقربها ، وفيها يكثر قصب
السكر ، وهي ذات قرى عامرة •

وفي رأس فيض دجيل العريض حصن يقال له حصن مهدي ، به جامع
ورباطات • وقد بنى الحصن على ما يقال الخليفة المهدي أبو هرون الرشيد •
وحصن مهدي على بضعة أميال فوق متفرع النهر العضي الجارى غربا والموصل
رأس فيض دجيل بدجلة الأعمى عند بيان • ويحفّ بهذا النهر سباخ وأهوار
(أنظر الفصل الثالث ص ٦٩) • أما فيض دجيل فينصب في خليج فارس
عند سليمان • وهي مجاز خطر للمراكب التي كانت على ما يظهر تصل الى الاهواز
بصورة أسلم اذا ما جازت في الانهار والجداول المختلفة مارة بباسيان في صعودها الى
الدورق ومنها تتابع طريقها في نهر السدرة • أما حصن مهدي ، ولا يعرف موضعه الصحيح ،
فيقال انه كان يقوم عند ملنقى طرق كثيرة ويسيطر على أعلى فيض دجيل حيث
كان يبلغ عرضه هناك نحو فرسخ • وذلك أسفل مصاب انهار كثيرة تأتي من
أرض الحوزة من الشمال الغربى ومصب نهر الدورق الآتى من الشرق • ومن
فوق هذا الموضع بدء نهر السدرة الصاعد الى الاهواز والاهواز تبعد عشرين
فرسخا عن حصن مهدي (١٨) •

وعلى مسيرة ثلاثة أيام من شرق الاهواز مدينة رامهرمز وما زالت تعرف
بهذا الاسم • وانما سميت بذلك نسبة الى الملك هرمز حفيد اردشير بابكان • وفي
المئة الرابعة (العاشرة) اشتهرت هذه المدينة بدود القز وبالبريس الذي يحمل
منها الى سائر الاقاق • وكان في رامهرمز جامع بهى وأسواق عامرة بناها عضد
الدولة البويهى • وروى المقدسى انه « جعل على أسواقها دروب تغلق في كل
ليلة يسكنها البزازون والطارون والحصارون » • وكان بها على ما قال دار كتب
مشهورة يدرس فيها ، أنشأها ابن ستوار كدار الكتب التي في البصرة • وشرب
أهل رامهرمز من نهر يأخذ من نهر طاب • وكان هذا النهر يجف غالبا في أيام

(١٨) ابن سريون ٣٠ : فدامة ١٩٤ : الاصطخرى ٩٣ و ٩٥ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٦ : المقدسى
٤١٣ و ٤١٩ : ياقوت ١ : ١٨٥ : ٢ : ١٢ : ٣ : ١٩٣ •

- ٢٧٩ -

الصيف • وكان الناس فيها « يحتاحون في ليالى الصيف الى الكلل مع كثرة البق »
على قول المقدسى • وذكر المسوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان اسم
رامهرمز كان يختصر حينذاك الى رامز وظلت حتى أيامه مدينة زاهرة يكثر في
ارجائها القمح والقطن وقصب السكر •

وعلى ستة فراسخ من جنوب شرفى رامهرمز ، فى طريق ارجان ، غير
بعيد عن نهر طاب وهو نهر بعين حدود اقليم فارس : الحومة أو ديار الزط و يقال
لهم أيضا الجات • وهم قبائل جاءت من الهند (وهم التور على ما يقال) • ويسقى
هذه الكورة نهر طاب • وفيها قرىتان عامرتان هما الزط والخبران • ووراءهما ،
قبل أرجان بمرحلتين عند حدود فارس فى الطريق بين ارجان والدورق : آسك وهى
بلدة صغيرة وبناحينها على ما فى الاصطخرى بركان صغير^(١٩) • وآسك بلدة ذات
نخل وبها يعمل الدوشاب - وهو دبس الزبيب - الذى يحمل منها الى الآفاق •
وبالقرب من آسك آثار ساسانية هى ابوان عال بازاء قبة منفة بنيف سمكها على
مئة ذراع بناها الملك فباز على عين غزيرة • والى شرف آسك ، على بضعة أميال
من أرجان غرب القناطر التى على نهر طاب ، مدينة سنبل الجاربة فى وسط
كورة باسمها • وكانت متاخمة لحدود فارس^(٢٠) •

وديار اللر فى شرق تستر وشمالها بامتداد نهر دجيل الاعلى (نهر كارون)
وروافده الكثيره • اما البلاد التى فى شرق كارون الاعلى وجنوبه (ونهر كارون
يؤلف هنا عدوة كبيرة ويشئى راجعا وذلك بن منبه فى الجبال التى فى غرب
اصفهان وموضع فى شمال تستر ومنها ينحاز أخيرا نحو الجنوب فنحدر الى خليج
فارس) فقد سماها المستوفى اللر الكبرى وهى تآخم ولاية شولستان عبر الحدود

(١٩) فى الاصطخرى (ص ٩٢) . « ولهم متاخمة آسك مناخا لارض فارس حمل ينقد منه نار
ابدا لا يطفى • وبرى منها الضوء بالليل والدخان بالهار وهو فى حد خوزستان - وبشبه ما اطن
انه عن بطن او زمت أو غيره مما تعمل فيه النار ، فوقع فيه على قديم الانام نار ، فعلى ندر ما تخرج بحرف
أندا فيما أحسنه من غير ان رأيت علامة لذلك ولا سمعت به وأنا أقوله طنا » - (م) •
(٢٠) الاصطخرى ٩٢ و ٩٣ : ان حوقل ١٧٥ و ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٣ : ياقوت
١ : ٦١ : المستوفى ١٦٩ •

والفرب ان يافوتا ذكر (٢ : ٧٩١) قرية الزط خطأ فوضعها بصورة الرط مع انه يعرف
الرط حق المعرفة وقد ذكر فى مادة « الزط » (٢ : ٩٣٠) انه نهر باسمهم •

فى فارس • وكانت أولى مدن اللر الكبرى : ايدج ويقال لها أيضا مال الامير • وصفها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها من اجل مدن خوزستان وهى قرب الجبال • وقصر السلطان فى موضع يقال له أسد آباد ويقع بها فى الشتاء تلج كثير يخزن ويحمل الى الاهواز والنواحي الاخرى لبيع فيها صيفا • ومزارعهم على الامطار وفيها أجود أنواع الفستق • وقال ابن بطوطة ، وقد زارها فى مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، ان الغالب على تسمية ايدج فى زمنه مال الامير • وهى ما زالت حتى اليوم تعرف بهذا الاسم ولا يقال لها ايدج •

وكانت ايدج الى ذلك مشهورة بقنطرتها العظيمة على دجيل ، وقد وصفها ياقوت فقال هى من عجائب الدنيا المذكورة • كانت هذه القنطرة وما زالت آثارها باقية تعرف بقنطرة ختره زاد ، وانما سميت بذلك نسبة الى أم الملك اردشير • والقنطرة مبنية على واد ، وهى طاق واحد تعلو مئة وخمسين ذراعا عن الوادى • ودونها بفرسخين تصوّر من الماء^(٢١) يعرف بغم البواب وكان هذا الصور خطرا • وقد جدد هذه القنطرة فى المثة الرابعة (العاشرة) وزير ركن الدولة البويهى^(٢٢) • واستغرق العمل فى ذلك سنتين • وكانت حجارتها تلتحم بالرصاص والحديد • وقيل انه انفق على هذا العمل مئة وخمسين الف دينار^(٢٣) (٧٥ الف باون) وروى ياقوت ان ايدج كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة وبها ضرب من القاقلى تنفع عصارته النقرس • وزاد على ذلك ان بها بيت نار عتيق كان يوقد الى أيام الرشيد •

وعلى ضفتي النهر ، على أربعة فراسخ شمال غربى ايدج ، مدينة صغيرة يقال لها سوسن وتعرف أيضا باسم عروّج (أو عروج) • وحول هذا الموضع بساتين يكثر فيها العنب والتاريخ والاترج والليمون • وقال المستوفى ان الجبال ، انتى لا يفارقها الثلج صيفا ، تبعد عنها نحو اربعة فراسخ • وكان يقال لعروج أو سوسن : جابلق أيضا • ويرى بعض المصنفين انها « شوشن القصر » المذكورة

(٢١) هو مجسج النهار • وكل ماء دائر يسمى سورا (م) •
(٢٢) اسم هذا الوزير « أبو عبد الله محمد بن احمد القسى » (آثار البلاد ص ٢٠١ - ٢٠٢) (م) •
(٢٣) فى القزوينى (٢ : ٢٠٢) : « لم يمكنهم عقد الطابق الا بعد سنتين فانه انفق على ذلك سوى أربعة الفللة ١٠٠ ثلاثمئة الف وخمسين الف دينار » (م) •

- ٢٨١ -

فى سفر دانيال^(٢٤) . وعلى نحو مئة وخمسين ميلا شرق مال الامير ، على حدود فارس وقرب أقصى روافد كارون فى الشرق ، مدينة لرجان (وتسمى أيضا لردكان أو لركان وكلها صور مشتقة من اسم لر) • وقد وصفها الاصطخرى بأنها قسبة رستاق سردان (أو السردن) وهى مدينة واسعة كثيرة الاشجار أطرى المستوفى عنها الكثير • تعد فى الغالب من أعمال اقليم فارس لانها على حدوده^(٢٥) •

وأهم تجارات خوزستان وغلاتها السكر • فان قصب السكر كان يكثر فى كل ناحية منها • قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) : • كل سكر تراه ببلدان الاعاجم والعراق واليمن فمن خوزستان يحمل • • وقال يعمل بالاهواز قوط من القز حسنة تلبسها النساء • ومن تستر يرتفع الدياج الحسن المشهور فى سائر الآفاق والانماط والياب الحسنة • ويحمل من تستر فواكه كثيرة ولاسيما الدسنبوى (البطيخ) • ومن السوس وهى موطن قصب السكر يحمل السكر الكثير الى سائر الجهات وبها بز وخزوز • ومن عسكر مكرم مقانع القز والمناديل والثياب • ومن بصنا الستور الجيدة • ومن قرقوب الانماط • ومن نهر تيرى أزر كبار^(٢٦) •

وكانت انهار خوزستان صالحة لسير السفن ، وأكثر تجاراتها تنقل بين مدنها فى تلك الانهار • ومجتمع طرقها فى الاهواز ، وللقادم الى الاهواز من البصرة ان يقصدها بطريق الماء فى النهر المضى أو فى البر فيجتاز السبخة من عسكر ابي جعفر يازاء الأُبُلّة الى حصن مهدى ومنها الى الاهواز مارا بسوق الاربعاء^(٢٧) •

وقد اورد الاصطخرى والمقدسى المسافات بين مدن خوزستان بكثير من التفصيل • فقد كان يخرج من الاهواز طريق يتجه غربا الى نهر تيرى ثم الى واسط

(٢٤) ما فى سفر دانيال (٨ ٣) • • فرائت فى الرؤيا وكان فى رؤاى وانا فى شوشن القصر الذى بى ولاية عيلام • • (م) •

(٢٥) الاصطخرى ١٠٣ و ١٢٦ : ابن حوقل ١٨٢ و ١٩٧ : المقدسى ٤١٤ : القزوينى ٢ : ٢٠١ : ياقوت ١ : ٤١٦ : ٤ : ١٨٩ • • المستوفى ١٥١ : ابن بطوطة ٢ : ٢٩ •
وعن سوسن راجع ما له السر هنرى لايارد والسر هنرى رولنسون فى JRGS لسنة ١٨٣٩
ص ٨٣ وسنة ١٨٤٢ ص ١٠٣ •
(٢٦) المقدسى ٤١٦ •
(٢٧) قدامة ١٩٤ : المقدسى ١٣٥ •

- ٢٨٢ -

فى العراق • ويدأ الطريق الشمالى من قاعدة الاقليم فيمر بعسكر مكرم الى تستر • ويتجه غربا من جند يسابور والسوس الى الطيب • ومن الطيب طريق آخر يذهب الى واسط •

وذكر المقدسى الطريق الذى يخترق جبال اللر من جند يسابور الى گل بايكان فى اقليم الجبال وهو شمال غربى اصفهان • وكان يخرج من عسكر مكرم طريق آخر (وصفه قدامة وغيره) يتجه شرقا الى ايدج ومنها يجتاز الجبال فيصل الى اصفهان (٢٨) •

وكان يلتقى فى رامهرمز طريقان احدهما من عسكر مكرم والاخر من الاهواز • ومن رامهرمز يضربان شرقا ويصلان حدود فارس عند نهر طاب خلف ارتجان • وقد ذكر قدامة وغيره من المصنفين هذين الطريقين فأشاروا الى انهما قسم من الطريقين الذاهب من البصرة الى شيراز • وذكر الاصطخرى أيضا طريقا آخر معظمه بالماء من حصن مهدى الى ارتجان يمر بباسبان على الساحل الى الدورق ومنها الى آسك فارتجان • وقد ذكر المقدسى المراحل من شمال رامهرمز الى ايدج ، ووصف أيضا طريقا من رامهرمز يجتاز جبال اللر الى اصفهان وطريقا آخر يجتاز صحراء اللر شمال دزفول فيمر بسابور خواست الى كرج ابى دلف ، على انه لم يذكر المسافات الا بالمراحل • ومن الصعب ، ان لم يكن مستحيلا ، تعيين مواضع هذه المراحل الآن • وقد ذكر المقدسى طريقا ثالثا فى الشمال يخترق الجبال من ارتجان فى سبعة أيام حتى يصل سميرم (فى فارس) فى جنوب اصفهان ويصاقب حدود خوزستان وفارس (٢٩) •

(٢٨) الاصطخرى ٩٦ : ابن حوقل ١٧٨ : المقدسى ٤١٨ - ٤٢٠ : ابن رسته ١٨٧ و ١٨٨ : قدامة ١٩٧ •

(٢٩) قدامة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٨ : الاصطخرى ٩٥ : ابن حوقل ١٧٧ : المقدسى ٤٠١ و ٤٢٠ : ر ٤٥٣ و ٤٥٩ •

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة اردشير خره - شيراز - بحيرة ماهلوية - نور
 سمان - جويم - بحيرة دشت ارزن - كوار - خبر والصمغان - كارزين
 وكورة فياذ خره - جهرم - جويم ابي احمد - ماندستان -
 ايراهستان - جور او فيروز اباد - اسياق
 فارس - جزيرة فبس - سيراف -
 نجيرم - توج - الفندجان -
 خارك وسائر جزر
 خليج فارس •

كان اقليم فارس ، موطن الدولة الاخمينية وقاعدة حكومتها • وقد عرفه
 اليونان باسم پرسس (Persis) ، وجروا خطأ على استعمال اسم هذا الاقليم
 الاوسط وأرادوا به المملكة كلها • وشاع وهمهم في استعمال هذا الاسم في انحاء
 أوربة الى يومنا هذا • فالاسم Persia (بلاد فارس) عندنا - وهو مشتق من
 Persis اليونانية - وقد صار اسما عاما يطلق على دولة الشاه بأسرها ، في حين
 ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم مملكة ايران • وما فارس ، أى Persis
 القديمة ، الا اقليم واحد من أقاليمها الجنوبية • وقد ورث العرب
 عن المملكة الساسانية تقسيم فارس على خمسة أقسام ، يقال لكل قسم منها كورة •
 وظل هذا التقسيم - ومن الملائم أن نأخذ به في وصف الاقليم - معمولاً به حتى
 أيام المغول • وهذه الكور الخمس ، هي : (١) أردشير خره ، وقصبتها شيراز

- ٢٨٤ -

أولى مدنها • (٢) سابور أو شاپور خرة ، ومدينتها شاپور وهى أكبر مدنها •
 (٣) أرتجان ومدينتها العظمى أرتجان • (٤) اصطخر ، ومدينتها اصطخر القديمة
 (پرسپوليس Persepolis) قصبة فارس الساسانية • وأخيرا (٥) دار ابجر د ،
 ومدينتها بالاسم نفسه دار ابجر د •

ثم ان مما يحسن ذكره ، أن اقليم فارس ، كان فى أيام الخلافة يضم مدينة
 يزُد وناحتها وناحية رودان (وهى بين أنار الحديثة وبهرام أباد) • وقد كانت هاتان
 الناحيتان جزءا من كورة اصطخر • على ان يزُد ، بعد الفتح المتولى ، كانت من
 اقليم الجبال • أما اليوم ، فتعدّ جزءا من كرمان • وكذلك القول فى ناحية رودان
 القديمة • ومعنى « خرة » بالفارسية القديمة « بهاء »^(١) • وعليه يكون أردشير
 خرة وشاپور خرة اسمين لكورتين ، الاولى تخلد مجد أردشير مؤسس الدولة
 الساسانية ، والثانية تخلد ذكر ابنه المشهور سابور أو شاپور ، وهو سابور (Sapor)
 عند اليونان • وأخيرا قسّم البلدان يون العرب اقليم فارس على قسمين ، هما :
 الاراضى الحارة والاراضى الباردة ، أى الجروم والسرود ، يفصل بينهما خط
 يمتد شرقا وغربا • وما زلنا حتى اليوم نجد هذا التقسيم متبا فى الاراضى الخفيفة
 القريبة من الساحل ، الممتدة من الهضاب التى تلى الدروب ، فانها تعرف بهاتين
 اللفظتين : گرم سير وسرد سير ، أى المنطقة الحارة والمنطقة الباردة ، وهما تسميتان
 جرى المستوفى على استعمالهما أيضا^(٢) •

وشيراز ، قصبة فارس ، قد مصرها العرب واتخذ المسلمون موضعها وقت
 الفتح فى أيام الخليفة عمر ، معسكرا لهم لما أنأخوا على فتح اصطخر • ولعل ما
 بلفته من منزلة ، يرجع ، على ما ذكر المقدسى ، الى كونها فى وسط البلاد ، اذ
 يقال انها على ستين فرسخا من الحدود فى كل جهة من الجهات الاربع ، وعلى
 ثمانين فرسخا من كل زاوية من زوايا الاقليم الاربع • وجاء فى الاخبار ان شيراز

(١) جاء فى معجم البلدان (١ - ١٦٦) ان اردشير خرة « اسم مركب ، معناه بهاء أردشير •
 و اردشير ملك من ملوك الفرس » • (م) •
 (٢) انفراد المقدسى (ص ٤٢١) بتقسيم فارس على ست (بدلا من خمس) كور ، مكورا من
 النواحي المحيطة بشيراز كورة قائمة بنفسها •
 الاسطخرى ٩٧ و ١٣٥ ؛ البلاذرى ٣٨٦ ؛ المقدسى ٤٤٧ •

قد تولى عمارتها في سنة ٦٤ (٦٤٨) محمد أخو الحجاج أو ابن عمه^(٣) ، والحجاج هو عامل بنى أمية المشهور على العراق . ثم اتسعت رقعتها وصارت مدينة كبيرة في النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) حين اتخذها بنو الصفار قاعدة لدولتهم نصف المستقلة . وكانت شيراز في المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من فرسخ في السعة ، أسواقها ضيقة يزدحم فيها الناس ، وكان للمدينة حينذاك ثمانية أبواب^(٤) ، وهي : باب اصطخر ، تستر ، بنداستانه ، غسان ، سَمْ ، كُوار ، مَندر ، مَندر . ومياه شيراز من القناة التي تجرى من جَوَيم وهي قرية على خمسة فراسخ من شمالها الغربي . ولشيراز بيمارستان ، وفيها دار عضد الدولة البويهى . التي أنشأ فيها خزانة كتب على ما جاء في فارسنامه .

وعلى نصف فرسخ من جنوب شيراز ، بنى عضد الدولة البويهى ، الملقب بفنا خسرو ، قصرًا آخر له وخط حوله مدينة جديدة نسبت اليه ، فقبل لها كرد فنا خسرو . وجعل الى جنب قصره بستاناً أنفق عليه الاموال العظيمة ، سعة نحو من فرسخ . ونقل الى الدور التي نشأت حوله الصوافين وصناع الخز والديباج وغيرهم من أصحاب الحرف الذين نقلهم بنو بويه من أقاصى البلاد وأسكنوهم في فارس . وكان يقام في كرد فنا خسرو احتفال في كل سنة . وقد صارت هذه المدينة أيضاً داراً لضرب النقود حيناً من الزمن . ولكن عزها لم يدم بعد موت مؤسسها فقد أشرفت على الحراب قبل ختام المئة الرابعة (العاشرة) وصار ربضها يعرف بسوق الأمير . وايجار حوائته عشرون ألف دينار (عشرة الآف باون) في السنة .

وأول من بنى سور شيراز وأحكمه ، صمصام الدولة أو سلطان الدولة (وهما ابن وحفيد عضد الدولة المار ذكره) . وكان عرض حائطه ثمانية أذرع وطوله اثني عشر ألف ذراع . وله ما لا يقل عن أحد عشر باباً . وفي منتصف

(٣) ما في معجم البلدان (٣ : ٣٤٩) : « قيل أول من تولى عمارتها . محمد بن القاسم بن يعقوب ابن عم الحجاج » . (م) .
(٤) ما في المقدسى (ص ٤٣٠ من المجلد) : لشيراز ثمانية دروب . وسرد اسماءها (على النحو الذى في اعلاه مضافة الى كلمة « درب » . وقد ذكر ناشر كتاب المقدسى في الحاشية ، ان في مخطوطة برلين « ثمانية أبواب » . والظاهر ان لسترنج اخذ بهذه القراءة . (م) .

- ٢٨٦ -

المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تخرب هذا السور فعمره محمود شاه انجو^(٥) ، غريم آل مظفر ، وأحكمه بأبراج من الآجر • وجن زار المستوفى مدينة شيراز رآها ذات سبع عشرة محلة وتسعة أبواب • وهذه الابواب هي باب اصطخر ، وباب دارك (أو دراك موسى) نسب الى جبل بهذا الاسم على نحو من فرسخين من شيراز وفيه بخزنون ثلج الشتاء في مخابىء لاسعماله أيام الصيف • ثم باب البيضاء ، وباب كازرون ، وباب سلم ، وباب قبا (وجاء في بعض المخطوطات بصورة فنا وقنا) ، ثم باب نو (الباب الجديد) ، وأخيرا باب الدولة ، وباب السعادة • وزاد المستوفى ، على ايراده أسماء هذه الابواب قوله ، ان شيراز مدبنة في غاية الحسن ، ذات أسواق عامرة ، غير انها قدرة على ما وصف • وكان مأوها من قناة ركن آباد المشهورة ، وهي التي حفرها ركن الدولة البويهى أبو عضد الدولة المار الذكر ، ومن قناة بستان سعدى • وفي أيام الربيع تنحدر السيول من جبل دارك فتخترق المدينة ثم تجتمع في بحيرة ماهلوية •

وكان في شيراز ثلاثة مساجد جامعة ، أولها الجامع العتيق وقد بناء عمرو بن الليث الصفار في النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) وأشار المستوفى الى ان هذا الجامع لم يخل من المصلين قط • والثانى الجامع الجديد وهو من النصف الاخير من المئة السادسة (الثانية عشرة) بناء الامتابك سعد بن زنكى السلفرى ، وثالثها مسجد سُنتَر في مربعة الحلاقين وقد بناء أول امتابك من السلفريين • وما زال بيمارستان عضد الدولة قائما • ويزور الشيعة في شيراز مشهد محمد وأحمد ولدى الامام السابع موسى الكاظم • وما أسلفنا من كلام على شيراز قد عزّزه ابن بطوطة ، معاصر المستوفى ، فقد تكلم هو أيضا على الجامع العتيق فيها وقال : بشماله باب يعرف بباب حسن • كما تكلم على مشهد أحمد وكان فيه مدرسة • ثم انه قد أطرى الانهار الخمسة التي تشق المدينة ، أحدها النهر المعروف بركن آباد ، ينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليعة ، وبقره بستان مليح يحفّ بقبر الشاعر سعدى [الشيرازى] المتوفى سنة ٦٩١ (١٢٩٢) أى قبل

(٥) جاء اسمه لى رحلة ابن بطوطة (٢ : ٦٤) ابو اسحق بن محمد شاه ينجوا • (م) -

- ٢٨٧ -

زيارة ابن بطوطة لها بنصف قرن ، وقد كانت لسعدى منزلة رفيعة فى قصر الاتابك
أبى بكر بن الاتابك سعد بانى المسجد الجديد . وكان فى البستان الذى
فيه قبر سعدى ، والناس يزورونه كثيرا ، حياض حسنة من المرمر لغسل الثياب ،
صنعها سعدى عند نهر ركن آباد .

وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نجت شيراز لحسن حظها من محاصرة
تيمورلنك لها الذى تغلب على آل مظفر فى وقعة بانيله فى الارض البسيطة فى
ظاهرها ، فلم تعال المدينة الا شيئا قليلا من الاذى على ما ذكر على اليزدى . لأن
تيمورلنك قد عسكر فى بستان يقال له تخت قراجه فى ظاهر باب سلم وباب السعادة
المفضيين الى يزد . وذكر هذا المؤلف نفسه ان الابواب الثمانية الاخرى كانت
مغلقة حين ذلك ، وأشار أيضا الى كوه قلعة سرخ (أى تل الملعة الحمراء) قرب
شيراز ، ولا يعلم موضعها . ومما ذكره المستوفى من القلاع المشهورة بالمرب من
شيراز ، قلعة تيز ، وتقوم على تل منفرد بعد ثلاثة فراسخ عن جنوب شرقى
المدينة ، وقد كان فيها عين ماء فى قمة التل ، وأخرى فى السهل أسفلها . وأما ما
يلبها فمفازة معطشة ، مفادها مبررة يوم^(٦) .

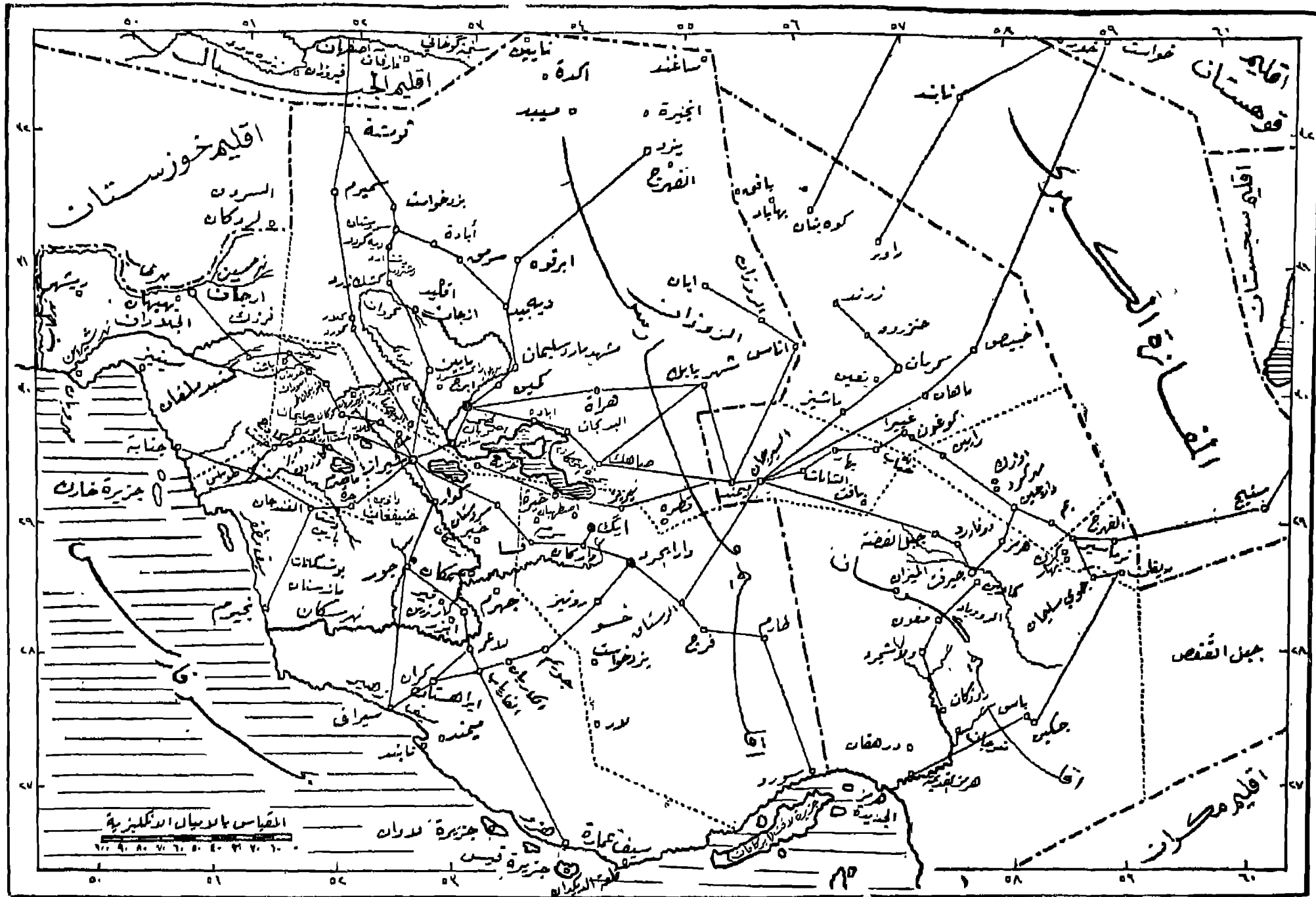
وشيراز لا تقوم على نهر كبير ، غير أن أنهارها تنحدر شرقا ، على ما بينا ،
وتصب فى بحيرة تغمر وهدة فى السهل على بضعة فراسخ من المدينة . وقد سمي
الاصطخرى هذه البحيرة بالحنكان . وحاء اسمها فى أبى الفداء وابن بطوطة
بصورة الجمكان . ووردت فى فارسنامه وفى المستوفى باسم ماهلوية ويقال لها
الهوم بحيرة ماهلو ، وماؤها ملح . ويرتفع من أطرافها الملح ويحمل الى شيراز ،
وصيد السمك فيها كثير ، وطول البحيرة اثنا عشر فرسخا ، وعلى شطآنها
الجنوبية فرى ناحية الكهرجان ، وفى جنوبها الشرقى مدينة خورستان ويقال لها

(٦) قراءة اسم تيز ليست مضبوطة ، فقد جاءت فى غير محطوة من كتاب المستوفى بصور
مختلفة : تير ، تبر ، ببر ، بير ، تسير ، تشير .
الاصطخرى ١٢٤ : المقدسى ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٥٦ ؛ فارسنامه ١٧١ - ب ؛ يافوت ٣ : ٣٤٩ ،
٤ : ٢٥٨ ، المسوقى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٩ و ٢٠٣ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٥٣ و ٧٧ و ٨٧ ؛ على اليزدى
١ : ٤٣٧ و ٥٩٤ و ٦٠٩ و ٦١٣ . وانما عرف بستان تخت مراجه (أى عرش مراجه) ، بذلك نسبة الى
الاتابك مراجه الذى حكم فارس على اثر وفاة الاتابك جاولى فى سنة ٥١٠ (١١١٦) . ويقال ان هذا
البستان هو الذى يعرف اليوم بتخت حجر .

أيضا سروستان ويكثر فيها النخيل والقمح وهي خصبة يجتمع فيها ما يكون في بلاد الصرود والجروم . وكانت كورنجان ، على ما في فارسنامه والمستوفي ، بلدة صغيرة بالقرب من سروستان^(٧) .

وأطول أنهار فارس ، نهر سكتان ، مخرجه على ثلاثين ميلا من شمال غربي شيراز ، ويجري منحرفا باتجاه الجنوب الشرقي مسافة تزيد على مئة وخمسين ميلا ، ثم ينعطف انعطافا كبيرا فيتجه نحو الغرب الى مسافة مئة وخمسين ميلا أخرى ، وتكثر التعاريج في مجراه الأخير ، ثم انه بعد ان يستقبل مياه نهر فيروز اباد من الشمال ، يقع في البحر على شيء يسير جنوب تجيرم^(٨) . وذكر الاصطخرى ان اسم «سكتان» مشتق من اسم قرية سكت ، وهي في غرب المنعطف الكبير لنهر سكتان بالقرب منه أما غيره من المصنفين ، فقد أورد اسمه بالصور المختلفة الآتية : سكتان ، سكتان ، سيكان . وأورده المستوفي بصورة زكان أو زكان . وقال صاحب فارسنامه ومن جاء بعده من المصنفين ، أن مخرج هذا النهر في ناحية يقال لها ماصرم . أما الاصطخرى فقال انه يخرج من رستاق الرويحان وهو السهل الذي في جنوب جويم وخلاتر ، وهاتان قرينان كبيرتا الشان ، الاولى على خمسة فراسخ والاخرى على تسعة فراسخ من شيراز في الطريق الذاهب الى التوبنجان في شمال دشت أرزن . ويخرج من قرب جويم ، على ما بيننا ، أحد أنهار شيراز . وكانت خلاتر ، على ما في المستوفي ، تشتهر بحجر الأرحاء وان كان أهلها لا أرحاء لهم . وكانوا يحملون جوبهم الى أماكن أخرى لطحنها . وكان يحمل منها أيضا عسل كثير . وكان دشت أرزن (أي سهل اللوز المر) معروفا بمراته الممرعة (مر غزار) . وكان طول بحيرة دشت أرزن نحو من عشرة فراسخ في موسم الأمطار ، وماؤها عذب . وربما تجف في الصيف حتى لا يبقى فيها من الماء

(٧) ابن مرداديه ٥٢ : الاصطخرى ١٢٢ و ١٣١ ، المدنى ٤٢٢ و ٤٥٥ : فارسنامه ١٧٣ ؛
٨٠ ب : المستوفي ١٧٢ و ٢٢٦ ، أبو الفداء ٤٣ ، ابن بطوطة ٢ : ٦١ ، ياقوت ٢ : ١٩٣ .
وجاء فيه اسم جيكان (بدلا من : جنكان) وهو من وهم النساخ .
(٨) ويعرف محراء الأعلى باسم برا أعاج ، أي الشجرة السوداء (بالتركية) . ومجرأ الاسفل
باسم نهر ماند . ولعل نهر سكتان يطابق نهر ستكس (Silakus) عند نرجس (Nearchus)
انظر الكولونيل روس في PRGS لسنة ١٨٨٣ ص ٧١٢ .



اقليم فارس وكرمان

الا القليل ويصاد فيها سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى وزاد المستوفى على ذلك ان الاسود كانت تكثر في غابة قريبة منها^(٩) .

وعلى عشرة فراسخ من جنوب شيراز يمرّ نهر سكان بمدينة كوار أو كوار وهي قرب ضفته اليسرى . وقد أشيء في هذا النهر ، على ما جاء في المستوفى ، سد من شاطئ الى شاطئ لكي يرتفع الماء به فدخل انهار السقي . وكانت المراعى القريبة من كوار مشهورة . ويكثر فيها الكرز البرى واللوز وكذلك الرمان الكبير وفي ما يلي كوار ، في يسار نهر سكان أيضا ، مدينة حبر ، وهي مشهورة بقبر سجد أخى الحسن البصرى الفقيه . وذكر المستوفى ان « خبر » كانت أكبر من كوار ، وأن بالقرب منها القلعة المشهورة المسماة تير خدا (سهم الله) ، وانما سميت بذلك لامتاعها واعتصامها ، فقد كانت تقوم على قمة جبل ، فلا تبلغها سهام الاعداء . وأسفل من خبر يتجه نهر سكان جنوبا فينسب في مجرى متمعج مخترقا ناحية الصيكان . وكانت مدينة الصيكان قرب ضفته اليسرى عند ملتقى رافد كبير به ينحدر من دار أبجرد في الشرق^(١٠) .

وكانت الصيكان ، على ما جاء في المسنوفى ، مدينة حسنة ، تقوم على النهر وعليه هناك حسر . ومما بلغت النظر ان في أعلى هذا الجسر ، نمو أشجار بلاد الصرود (أى أشجار المنطقة الباردة) فقط كالچنار (الدلب) والجوز وفي أسفله يكثر النارج والليمون وغيرها من فواكه بلاد الجروم . وما يعصر فيها من خمور في غاية القوة فلا تشرب الا بعد مزجها بما يعادل ضعفها أو ثلاثة أضعافها من الماء . وهيرك لا تبعد عنها كثيرا ، وهي قرية كبيرة من أعمال الصيكان . وكان بالقرب من يمين نهر سكان ، في جنوب ناحية الصيكان ، المدن الثلاث : كارزين ، وقير ، وأبرز . وكانت كورنها تعرف بقباز خرة (أى بهاء قباز) تخليدا لذكرى

(٩) تكتب جوبم أحيانا بصورة جوس ، وهي قرية كوبن الحالية .

الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٢ ؛ ابن خردادبه ٤٤ ؛ فارسنامه ٧٧ ب ، ٧٩ ب ، ٨٠ ب ، ٨١ أ ؛

ياقوت ٢ . ٤٥٧ ؛ المسنوفى ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٤ و ٢٢٦ .

(١٠) الاصطخرى ١٠٥ و ١٢٠ ؛ فارسنامه ٧١ ب ، ٧٢ أ ، ٨١ أ ، ٨٣ أ ، ٨٦ أ ؛ ياقوت

٢ : ٣٩٩ ؛ المسنوفى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٩ . وقال اليوم لهذه الناحية سيماكون ، وكثيرا ما تكتب في الخوارط خطأ بصورة اكون Akun انظر E. Stack في Six Months in Persia

٢ : ٢٢٢ .

أحد الملوك الساسانيين . وذكر الاصطخرى ان كارزين نحو الثلث من اصطخر (برسبوليس) ولها قلعة منيعة يرفع الماء اليها من نهر سكان ، وكانت ضاربة في الفضاء حتى ترى منها قلاع كثيرة بعيدة عنها^(١١) .

ومدينة جَهْرَم (أو جَهْرُم) ، وقد كانت تحسب أحيانا من أعمال كورة دار أبجرد ، في جنوب الصيمكان وشرق كارزين ، وحولها بسيط من الارض خصب ، واشتهرت بقلعتها العظيمة التي تبعد عن المدينة خمسة فراسخ ، يقال لها قلعة خورشه . وكان نظام الملك وزير السلاجقة العظيم ، قد أحكم بناءها وزاد في تحصينها . وأول من بناها خورشه ، وكان عامل بني أمية على جهرم^(١٢) . وإلى جنوب شرقى جهرم مدينة جويم أبى أحمد ، (وقد عرفت بذلك تميزا لها عن جويم التي في أعالي نهر سكان ، أنظر الصفحة ٢٨٩) ، وصفها المقدسى بانها على نهر صغير ، حولها التخليل ولها جامع حسن ، وبين الجامع والسوق زقاق طويل ، وتعرف الناحية التي في جنوبها الغربى بإيراهستان . وبالقرب من المدينة قلعة منيعة يقال لها سمران (أو سمران) وصفها المستوفى بقوله انها « عش للصوص وقطاع الطرق » وتكثر حولها المراعى ، وأحسنها ما كان بين جويم وضفة نهر سكان تكثر في نواحيها الخبارى الآسنة وتكثر الأسود في غاباتها .

ومدينة الكاريان ، وتشرف عليها قلعة حصينة ، على مرحلة غرب جويم ، وبها بيت نار معظم عند المجوس تحمل ناره الى بيوت النار فى الآفاق . وقلعتها على رأس جبل ، حصينة لا تقتحم وفي غرب الكاريان ، فى منعطف نهر سكان الى الغرب ، مدينة لاغر وهى موضع كان له حين كتب المسنوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) بعض الشأن . فقد كان مرحلة فى طريق القوافل الذاهبة من شيراز الى جزيرة قيس . وجاء ذكر لاغر أيضا عند الكلام على كهرجان (أو مكرجان) وهذا الموضع لا أثر له فى الخارطة . وما بين لاغر والساحل ، وبمحاذاة

(١١) الاصطخرى ١٢٥ : المقدسى ٤٢٢ : فارسنامه ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٨٢ ب ، ٨٣ : المستوفى ١٧٣ و ١٧٩ . ويظهر ما جاء فى فارسنامه (الورقة ١٧٨) والمستوفى (ص ١٧٧) أن كورة أخرى غير هذه يقال لها كورة تباد حره قد كانت على ضفاف نهر طاب فوق أرجان .
(١٢) الاصطخرى ١٠٧ : فارسنامه ١٦٩ ، ٨٢ ب : المستوفى ١٧٥ و ١٧٩ .
وقد جاء اسم القلعة لى مخطوطات مختلفة بصورة خروشة وخروشة وخروشة ، وكذلك بصورة خروشد وخروشر . ولكن البلدانين العرب القدماء لم يذكروها .

الجانب الايمن من نهر سكان الى شماله ، مفازة ماندستان وهى فى وسط المسافة بين نجيرم وبوشكانات . وليس فى هذه المفازة قرى أو وديان الا فى ما ندر حين هطول الامطار الغزيرة ، على ما ذكر المستوفى ، فيمكن ان ينمو فى هذه المفازة القطن والقمح ، فيتلّ فى نهاية الشتاء الواحد ألفاً^(١٣) .

وماندستان ، وهو ما كانت تعرف به هذه المفازة فى القرون الوسطى - ومعناه « بلاد ماند » - تحتفظ ولا ريب باسم نهر ماند ، وهذا الاسم ، على ما قد بينّا ، يطلق اليوم على أسفل نهر سكان . ويستقبل هذا النهر من الشمال فى نحو من نصف المسافة بين لاغر والبحر ، رافدا كبيرا يقال له نهر فيروز اباد . ومدينة فيروز اباد كان يقال لها قديماً « جور » . وكانت فى أيام الساسانيين مدينة كورة اردشير خرم . « بدلا من شيراز الحديثة » . وحكى الاصطخرى « يقال ان مكانها كان ماء واقفا كالبخيرة ... فاحتال الملك اردشير فى ازالة ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه ، فبنى بذلك المكان جور ... وفى وسط المدينة بناء مثل الدكة يسمى الطربال^(١٤) » - كان ما زال فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها - . ويعرف بلسان الفرس بايوان . وهو بناء بناء اردشير « على الدكة » وكانت جور فى هذا الزمن « قريبة فى السعة من اصطخر ... وعليها سور عامر وخندق ، ولها أربعة أبواب : باب مما الى المشرق يسمى باب مهر . ومما الى المغرب باب بهرام . ومما الى الشمال باب هرمز . ومما الى الجنوب باب اردشير » .

واسم جور ، ويلفظ بالفارسية جور ، يوافق اسم القبر . فكان اذا خرج اليها عضد الدولة (البويهى) قيل قد ذهب الملك الى القبر . فكره ذلك ، فسماها فيروز اباد ومعناه اتم دولته^(١٥) . وتكلم المقدسى ، وقد حكى قصتها ، على رحبتها الواسعة ، وعلى بسايتين فيروز اباد الحسنة . « وهى مدينة نزهة جدا ، يسير الرجل

(١٣) الاصطخرى ١١٧ : المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٨ ؛ فارسانة ٦٦ ب ، ٧٣ ب ، ٨٢ ب ، ٨٦ أ ؛ المستوفى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٠ ؛ جهان نما ٢٦٨ ؛ القزوينى ٢ : ١٦٢ .
(١٤) الطربال : علم يبنى . وكل بناء عال - مغرب تربالى - وهو اسم قصر متين شامخ بناء اردشير بن بابك بقرب مدينة جور من اعسال فارس ، وشيد موفه معبدا للنار . (اللفاظ الفارسية المبرية لأدى شير - ص ١١١) (م) .
(١٥) هذا التفسير عن ياقوت - وقال المقدسى : ان معنى بيروز اباد فى اتم دولة (ص ٤٣٢) (م) .

منها من كل باب نحو من فرسخ في بساين وقصور • وماؤها من جبل قريب • يخرج من قدر نحاس فيه ثقبه ضيقة ، ماء حاد جدا • وكان على نحو من أربعة فراسخ من المدينة قلعة حصينة يقال لها قلعة سَهَادَة « أو شهارة » على قول البلدانين الفرس • وقد سمي الاصطخرى نهر فيروز آباد بنهر تيرزه • اما فارسنامه والمسوقى ، فقد سمياه بنهر بُرَاذَة (أو براره) وهو يخرج من ناحية الخنيفغان^(١٦) • ويقال ان الاسكندر الكبير قد غير مجرى النهر الاصلى حين كان ضاربا الحصار على جور ، فأغرق ما حولها من صياح وكوّن البحيرة التي احتل في ازالة مياهها من بعده برازة الحكيم في عهد الملك أردشير ، ثم انه مدّ الماء من النهر الى المدينة ، في قناة أنشأها ، فسبب النهر اليه ففعل له نهر برازة • وذكر القزوينى ان في فيروز آباد بيت نار مشهورا ، وأشار الى الشر العجيبة على باب المدينة الى يخرج منها ماء حاد جدا ولا يحتاج الى اسفائه • ونوّه بالورد الجوري وهو ورد أحمر من أجود أنواع الورد وله شهرة في الآفاق • وفي شمالها ، على ما ببناء ، ناحية خَنِيفْغَان أو خَنْبَقَان ويلفظها المرس خَنْفَگَان • وكان بين الجبال قرية كبيرة بهذا الاسم يخرج منها طريق صخرى وعر ينحدر الى فيروزآباد^(١٧) •

وكان يقال للساحل البحرى في كورة اردشير خُرّة ، السيف (أى الشاطيء) وكان لها ثلاثة أسياف على خليج فارس كلها في گرمسير أى المنطقة الحارة وهى : سيف عمارة فى شرق جزيرة فبس ، وسيف زهير على الساحل جنوب ايراهستان وحول سِراف • وأخيرا سيف المظفر الى شمال نجيرم • وكانت مَعْمَارَة وزهير والمظفر ثلاث قبائل عربية عبرت الى السواحل الشمالية من الطرف الآخر من خليج فارس وأقامت فى هذه الديار من فارس • وكان فى سيف عمارة فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة على البحر لا تقدر أحد أن يرتقى اليها ، يقال لها قلعة الديكدان (أو الديكباية) وتعرف أيضا بحصن ابن عمارة وسيفها يتسع لعشرين مركبا • « ولا يرتقى الى الفلعة الا فى شيء من المحامل » • وعلى مسافة قصيرة من

(١٦) ما فى الاصطخرى (ص ١٢١) : « ونهر تيرة يخرج من ناحية دارجان سياه ، فيسقى رستاق الخيممان وجور » • (م) -
(١٧) الاصطخرى ١٠٥ و ١٢١ و ١٢٣ : المقدسى ٤٣٢ : فارسنامه ١٧٠ - ٧٢ ب ، ٧٩ ب ، ١٨٢ : المستوى ١٧٢ و ١٧٩ و ٢١٩ : القزوينى ٢ . ١٢١ •

غربها ، جزيرة قيس ، ويكتبها الفرس بصورة كيش . وصارت في المئة السادسة (الثانية عشرة) مرفأً تجارة خليج فارس بعد خراب سيراى التى سنأنى على وصفها فريبا . وفى جزيرة قيس أنشئت مدينة عليها سور مكين . وشربهم من صهاريج كثيرة ، وفى قربها مغاص على اللؤلؤ ، وهى مرفأً مراكب بلاد الهند والعرب ، ويكثر فى الجزيرة النخيل . ووصف القزوينى حرّها فى الصيف فقال انها « أشبه شئ بيت حمام حار شديدة السخونة » . ومع ذلك فقد كانت قيس مدينة أهلة عامرة . وكانت الجزيرة على أربعة فراسخ من الساحل . وفى الساحل مرفأً هزو ، واليه كان ينحدر فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) طريق قوافل من شيراز مارا بلاغر . وكانت هزو حين رآها يافوق فد حربت ، الا انها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة حصينة لبنى بويه جعلوها محبساً لمن سخطوا عليه . وكان بالقرب من المدينة قرية يعال لها ساوبة (وجاء اسمها فى المخطوطات بصور مختلفة : تابه ، تانه . أما القراءة الصحيحة لها فغير معروفة)^(١٨) .

والى الغرب من سيف عمارة ، بامتداد ساحل البحر ، سيف زهير وكانت مدينته : كران فى الداخل ومرفأً المشهوران سيراى ونابستد . وهذه الناحية كانت تمتد حتى نجيرم مما يلى قم نهر سكان . ومما يلى هذه الناحية نحو الداخل ، ناحية ايراهستان . وفى ناحية كران ، على ما فى الاصطخرى ، « طين أخضر كالسلق ، يؤكل ، لبس فى ما علمته فى بلد مثله » . وعدّ المستوفى كران من أعمال

(١٨) الاصطخرى ١١٦ و ١٤٠ : ابن حوقل ١٨٨ : باقوت ٢ : ٧١١ . ٤ : ٣٣٣ . ٩٧٤ : نارسامه ٧٤ ب : المسوفى ١٧١ و ١٧٣ و ١٨٠ : القزوينى ٢ : ١٦١ .

وبلغت اسم الجزيره بصورة قيس وقيش وكيش .

وسرد المسنوفى (ص ٢٠٠) المراحل التى فى الطريق من لاغر الى هزو . ولكن لما لم يسلك سائح معاصر هذا الطريق ، لا يجد هذه الاسماء فى الخارطة ، فمعظمها لا يعرف موضعها . وقد ذكر المسنوفى ما بينها من مسافات بالفراسخ .

قال . (من لاغر ٦ الى ناحية فاوياب . ثم ٦ الى مدله صبح (صبح ، حج ، صبح ، وغير ذلك من القراءات) . ثم ٥ الى آب أبار كئار . ثم ٥ الى هرم (سريم أو مرزم) . ثم ٦ فى دروب وعرة واففة الانحدار الى قرية داروك (داروك ، أورك دورك) . ثم ٦ الى ماهان (هامان ، مايان) . ثم ٦ من دروب لردك الى مرو على سيف البحر . وهذه الناحية التى سماها المسنوفى بقاراب ، توافق باراب على ما يظهر . وهى فى نصف الطريق بين الكاريان وكران ، على ما جاء فى المقدسى (ص ٤٥٤) . أما مدينة صبح ، فامرأها ميهم ، اذ ليس فى الناحية بلدة بهذا الاسم . ولكن قد تغرأ . جم (الاصطخرى ١٠٦) . وما يؤسف عليه ان صاحب جهان نما أو غيره من بلدان العرب لم يذكروا هذا الطريق . والطاهر ان سيف بنى الصغار يوافق سيف عمارة ان وازنا بين ما جاء فى الاصطخرى (ص ١٤١) وما كتبه ناقوت (٣ : ٢١٧) .

ايراهستان وقال ان فى أطرافها لا ينمو غير النخيل • وفى جنوبها كانت ناحية ومدينة ميعند ، غير بعيدة عن مرفأ نابند • وتابند عند رأس الخور المعروف بخور أو خليج نابند • ويكثر فى ميعند ، على ما ذكر المستوفى ، العنب وفاكهة المنطقة الحارة (گرمسير) وقد اشتهرت بالمهرة من الصناعات^(١٩) .

وعلى الساحل فى أعلى نابند والى شمالها الغربى ، مرفأ سيراف • وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) الفرضة العظمى فى خليج فارس قبل اشتهار أمر جزيرة قيس • وذكر الاصطخرى أن سيراف تقارب شيراز فى الكبر والفعامة ، « وبنائهم بالساج وخشب يحمل من بلاد الزنج (زنجبار أو زنجبار اليوم) ، وأبنيتهم طبقات ، وهى على شفير البحر » • وقال أيضا ان « أهلها يالغون فى نفقات الأبنية حتى ان الرجل من التجار لينفق على داره زيادة عن ثلاثين ألف دينار » (١٥ ألف باون) • ثم قال « وأهلها أيسر أهل فارس ، ومنهم من يجوز ماله ستين ألف درهم (مليون باون) ما اكتسبه الا من تجارة البحر » • وليس حوالها بساين وأشجار ، وانما فواكههم وأطيب مباحهم من جبل مشرف عليهم يسمى جم • وفى هذا الجبل قلعة عظيمة يقال لها سيران • وتكلم المقدسى على سيراف وقال انها أفضل تجارة من البصرة • وان دورها أحسن ما رأى • وحكى انه « جاءت زلزلة سنة ٣٦٦ أو ٣٦٧ (٩٧٧) فقلقلتها وحركتها سبعة أيام حتى هرب الناس الى البحر وتهدم أكثر تلك الدور وتفطرت » • وبذهاب دولة بنى بويه ، أخذت سيراف بالزوال • وروى صاحب فارسنامه ان آخر ما أصابها من خراب أوقعه بها ركن الدولة خمارتكين أمير جزيرة قيس ، فقد اتخذ من هذه الجزيرة مرفأ للتجارة ، ولكنه بقى يبنى سفنه الحربية فى سيراف • وحين زارها ياقوت فى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لم يبق فيها قائما غير جامعها الملبح على سوارى ساج ، وقد رآها ، وبها آثار عمارة فى طرف الساحل • ولم يكن للمراكب فيها حينذاك ميناء ، فاذا قدمت اليها استأمنت فى موضع يقال له نابند • وذكر ياقوت ان أهلها يسمونها فى زمنه شيلا •

(١٩) الاصطخرى ١٠٤ و ١٥٢ ؛ ياقوت ١ : ٤١٩ ، ٢ : ٤٨٩ ، ٣ : ٢١٢ و ٢١٧ ؛ المستوفى

١٧٢ و ١٧٣ ؛ أبو الفداء ٣٢٢ •

ونجيرم ، ميناء قليل الشأن ، الى غرب سيراف ، وهو مما يلي فم نهر سكان ، وكان في أول سيف المظفر ، وهذا السيف كان يمتد حينذاك حتى جنبابة في كورة أرتجان . وكان بنجيرم حين كتب المقدسى جامعان وأسواق حسنة « وبرك تملأ من المطر » . وكانت ناحية الدستوران أيضا في جملة سيف المظفر ، وكانت أجل مدنها في المئة الرابعة (العاشرة) صفارة والظاهر ان هذه الناحية كانت بالقرب من جنبابة ، غير انه لا يعرف الموضع الحقيقي لمدينة صفارة (٢٠) .

وبالقرب من حد كورة أرتجان ، يصب نهر شابور في البحر . وعلى مسافة قليلة من فمه ، ولعل ذلك فوق التقاء نهر جرّه به ، وسأنتى على ذكره فيما بعد ، كانت تقوم مدينة توج أو توتز ، المركز التجارى المهم . وقد كانت توج في المئة الرابعة (العاشرة) تقارب أرتجان في الكمر على ما ذكر الاصطخرى ، وهي « مدينة شديدة الحر ، في وهدة ، وهي كثيرة النخيل » ونوج مدينة ذات تجارة ، يعمل فيها ثياب كتان تنسب اليها ، ألوانها حسنة ، ولها طرز مذهبة . وكان نهر شابور المار على مقربة من المدينة يسمى في الغالب نهر توج وقد اسكن عضد الدولة البوبهى فيها عربا جاء بهم من الشام وآلت توج الى الخراب في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . اما موضعها فلم يبين حتى الآن . ولكن يقال ان المدينة كانت عند نهر شابور أو بقربه في وهدة من الأرض على ١٢ فرسخا من جنبابة على الساحل واربعة فراسخ من الدرب المنحدر من دريز . وكانت توج من المواضع المشهورة أيام الفتح الاسلامى ويرقى زمن جامعها الى ذلك العهد . على انها كانت خرابا يابا حين كتب المستوفى .

(٢٠) لعل ناحية الدستوران هذه توافن سيف بنى الصفار وقد مر ذكره .
 الاصطخرى ٣٤ و ١٠٦ و ١١٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٥٤ : المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٢٧ ،
 فارسانمه ٧٣ ب ، ١٧٤ ؛ يافوت ٣ : ٢١١ و ٢١٧ ، المسومى ١٧٢ .
 وفد وصف خرائب سيراف الكاتب سيف Stiffe في JRGS لسنة ١٨٩٥ ص ١٦٦ .
 فلنا بل راجع عن وصف خرائب سيراف كتاب السر أوربل شنائين وهو أحدث وأكمل ما وقفنا عليه فى بابّه وعنوانه .

Stein (Sir Aurel), Archaeological Reconnaissances in North-Western India and South-Eastern Iran. (London, 1937; pp. 202-212).

وفد عرز هذا المؤلف بحثه عن سيراف بخارطة وصور كثيرة لاطلال هذه المدينة الاثرية هياها بعفسه
 حن تحرى ذلك الموضع . (م) .

وكانت مدينة الفندجان المشهورة ، فى دشت بارين ، بالقرب من توج • وقد وصف فارسنامه موضع الفندجان ، ولم يبق لها أثر اليوم على ما يظهر ، بانها على أربعة فراسخ من جرّ و ١٢ فرسخا من توج • وتكلم أيضا على نهر جرّ وقال انه يشق قسما من الفندجان • وكانت هذه المدينة فى المثة الرابعة (العاشرة) تقارب ، على ما يقال ، اصطخر (پرسپولیس) أو جنابة فى الكبر • ويرتفع منها البسط والستور • وكانت تعد من بلاد الجروم • ووصف المقدسى نهرا فى جبال الفندجان فقال : « وبها نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحدا ان يقربه ، وان اجتاز به طائر سقط فيه فاحرق » • وكان فيها أيضا عيون حارة معدنية يبرأ من يغتسل بمائها • وأكثر أهل الفندجان على ما جاء فى المسنوفى ، من صنّاع النعال والخفاف ومن الحاكة • وفى أيامه صار اسم الفندجان يطلقه الناس على ناحية دشت بارين • وبالقرب منها قلعة حصينة يقال لها قلعة رمزوان (وجاءت بصورة دمدران وغير ذلك) وفيها صهاريج كبيرة أنشئت لخزن المياه • وناحية بوشكانات فى نصف الطريق بين الفندجان ومفازة ماندستان (أنظر الصفحة ٢٩١) الى شمال نجيم • وكانت هذه المفازة ، على ما ذكر المستوفى ، خالية من المدن ، الا ان التمور أهم غلاتها • لان بوشكانات من بلاد الجروم فى الخليج^(٢١) •

وجزيرة خارك^٢ ، البعيدة عن فم نهر شابور ، كانت من ضمن كورة اردشير خرة • وكانت ميناء للسفن اذا خرجت من البصرة تريد جزيرة قيس والهند • وقد زار ياقوت هذه الجزيرة وقال : « يقابلها فى البر جنباه ومهروبان ، تنظر

(٢١) ذكر المقدسى وياعوت وغيرهما من المصنفين الاقدمين ، ان دشت بارين كان اسم « المدينة » والفندجان اسم « الناحية » • على ان الامر فى الاصل لا يمكن ان يكون كذلك لان الاسم دشت بارين ، معناه سهل بارين ، وهذا لا يطلق على مدينة • وكثيرا ما حصل فى الشرق ان اطلق على أهم مدينة فى ناحية أو اقليم اسم تلك الناحية أو ذلك الاقليم ، فيحصل جريا على هذه القاعدة انه حين بطل استعمال اسم الفندجان ، حل محله دشت بارين فاطلق اسم دشت بارين على المدينة وعلى الناحية فى وقت واحد ، على ما سنه المسنوفى أيضا بعد ذلك ولكنه خالفهم فى الاسم الذى اتخذ للناحية والمدينة فقال انه الفندجان •

الاصطخرى ١٠٦ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٥٢ و ١٥٣ : المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٣٢ و ٤٣٥ و ٤٤٥ و ٤٤٨ : فارسنامه ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٧٩ ب ، ٨٢ ب ، ٨٦ : المسنوفى ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٨ : ياقوت ١ : ١٩٩ و ٨٩٠ ، ٢ : ٥٧٦ : ٣ : ٥ و ٨٢٠ • وقد كان السلدانيون القدماء بدون توج فى الغالب من أعمال كورة شابور خرة •

- ٢٩٧ -

هذه من هذه للجيد النظر « • وكانت كلناهما على ساحل كورة أرتجان • وهذه الجزيرة خصبة وافرة الخيرات تكثر فيها الفاكهة ويجود فيها النخل وفي بحرها من أحسن مفاص اللؤلؤ • وقد ذكرت مراجعنا جزرا كثيرة في خليج فارس غير هذه ، وعدته من كورة أردشير خرّه • غير ان أعظمها شأنا في التجارة ، جزيرتا خارك وقيس • اما الجزر الاخرى فليس من البسير التحقق لها • وكانت أوال أهم جزيرة في جزر البحرين عند الساحل العربى • وقد جاء ذكرها في أخبار الفوحات الاسلامية الأولى • وأول من ذكر بوشهر (بوشير اليوم) ياقوت ، ويفابلها في الداخل ريشهر أو راشهر توج على ما ذكر البلاذرى • والجزيرة التي يقال لها لاوان (اللان ، ولان ، أو لار) ، هي اليوم بالاستناد الى المسافات النى أوردها البلديون ، جزيرة الشبخ شعب في غرب جزيرة قيس • وجزيرة أبرون هي ولا شك هندرابى الحالية ، وهذه مع چين (أو تخين) بالقرب من جزيرة قيس •

والجزيرة الكبرى عند مضائق الخليج التي يقال لها اليوم - كشم ، وتسمى أيضا الجزيرة الطويلة • ربما كانت الجزيرة التي أشارت اليها مراجعنا المؤلفة في العصور الوسطى ، بالاسماء المختلفة الآتية - لعل منشأ ذلك اختلاف النسخ - : جزيرة بني (أو ابن) كوان ، وجزيرة أبركافان ، وجزيرة أبركمان • وذكر ياقوت انها تسمى أيضا لاف • وكانت جزيرة خاسك ، أو جاسك ، احدى الجزر القريبة منها ، وقد لا تكون غير اسم آخر لجزيرة كشم (الجزيرة الطويلة) • وكان « لاهلها جلادة وخبرة في حرب البحر » • وعلى ما ذكر القزوينى كانوا يسلطون على السفن ويسلبون ما فيها ، وفي هذه الجزر مفاوص اللؤلؤ ، الا ان معظم هذه الجزر غير مأهول الا في مواسم الغوص • ومما يلى جزيرة كشم ، في شرقيها ، جزيرة هرمز • وبما ان هذه الجزيرة كانت من اقليم كرمان ، فستكلم عليها في الفصل الذى عقدناه عن هذا الاقليم (٢٢) •

(٢٢) الاصطخرى ٣٢ : ابن خرداذبه ٦١ : البلاذرى ٣٨٦ و ٣٨٧ ، ياقوت ١ : ٣٩٥ و ٥٠٣ : ٢ : ٣٨٧ و ٥٣٧ : ٤ : ٣٤١ و ٣٤٢ : المستوى ١٨١ و ٢٢٢ : القزوينى ٢ : ١١٧ •

الفصل الثامن عشر

فارس «ناب»

كورة شابور خرة - مدينة سابور وكهله - نهر دئين - التوبنجان - القلعة
 البيضاء وشعب بوان - زوم الاكراد - كازرون وبحيرة كازرون -
 نهر اخشين ونهر جرشيق - جره وقنطرة سبوك -
 كورة ارجان ومدينة ارجان - نهر طاب -
 بههان - نهر شيرين - كنبد ملغان -
 مهربان - سينيز وجنابة
 - نهر الشاذكان *

كانت كورة سابور خرة أى « بهاء سابور » (سابور هو التسمية العربية
 للاسم الفارسي شابور ، على ما قد بينا) ، أصغر الكور الخمس فى إقليم فارس •
 ولا تتعدى حدودها حوض نهر شابور الاعلى وروافده •

وكانت قسبة هذه الكورة فى الزمن القديم ، مدينة شابور • وأصل اسمها
 كان بشابور^(١) • وأكثر ما كانت تعرف بشهرستان ، أى « موضع المدينة »
 أو القسبة والعاصمة • قال ابن حوقل : « أما سابور فمدينة هى فى السعة نحو
 اصطخر الا انها أعمر وأجمع وأيسر أهلا » • غير ان المقدسى تكلم عليها فى

(١) جاء الاسم فى المخطوطات بوجه عام (ربما كان ذلك خطأ) بصورة شابور (فتح الون وكسرهما) •
 اما بشابور فاصلها به شابور • وكانت مدينا وشابور ، ومعنى ذلك « سابور الصالح » أو « رفعة
 سابور » • و « به » قد تصدرت أسماء أمكنة أخرى أنظر : به اردشير ، أو كواشير فى أوائل الفصل
 الحادى والعشرين •

- ٢٩٩ -

النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) بقوله انها « اليوم قد اختلت وخرب أطرافها ... » وخفّ البلد وقلّ أهلها وأذهبت كازرون دولتها » . ومع ذلك فقد كانت سابور وافة الحيرات فيها قصب السكر والزيتون والنب والفاواكه والازهار . ويكثر فيها الين ، الياسمين والخرنوب . وتسمى دُنْبِلَاء وفي سورها أربعة أبواب : باب هرمز ، وباب مهر ، وباب بهرام ، وباب شهر (أى باب المدينة) . ولها جامع فى ظاهر البلد ، ومسجد آخر يسمى مسجد الخضر ، أى مسجد الياس . وقال صاحب فارس نامه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) ان شاپور فى أيامه قد استولى عليها الخراب . وحين كتب المستوفى بعد ذلك بقرنين ، كان اسم شاپور أو بشاپور ، قد انتقل الى كورة كازرون المجاورة لها .

والظاهر ان المسنوفى ، عرف نهر شاپور باسم شهر بار رود ، وقال ان المدينة كانت تسمى دين دار ، نسبة الى مؤسسها الاول الملك طهمورث الاسطورى « مكتف الشيطان » . ثم خربها الاسكندر الكبير ، وأعاد الملك شاپور بناءها فعرفت باسم بناشاپور ، على ما قال المسنوفى . ثم صارت شاپور أو بشاپور . وكانت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وافة الجبب ، يكثر فيها التبلور والبنفسج والياسمين والرجس ، وينسج فيها الحرير . والى ذلك فقد أشار المسنوفى الى تمثال هائل معروف للملك سابور كان فى كهف قرب أطلالها ، ووصفه بقوله انه « تمثال أسود لرجل بفوق الحجم الطبيعى ، منصب فى هيكل قال بعضهم انه طلسم ، وزعم آخرون انه كان انسانا مسخه الله حجرا . وكان ملوك تلك البلاد يزورونه ، ويكرّمونه بمسح تمثاله بالزيت » . وقد سبق للمقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) ان نوّه بهذا الكهف وقال انه « على فرسخ من التوبندجان » . ووصف « صورة سابور على باب كهف عليه تاج . خلفه ماء واقف لا مدّ له ولا مفذ ، وثم ربيع تخرج شديدة ، وتخه ثلاثة أوراق خضر . طول مشط رجله ثلاثة عشر شرا ، ومن رأسه الى قدميه أحد عشر ذراعا » (٢) .

(٢) ابن حوقل ١٩٤ ؛ المقدسى ٤٣٢ و ٤٤٤ ؛ فارس نامه ٧٤ ب ، ٧٥ ا حيث جاءت تهجئة الاسم بصورة بيشاور وبشاپور ؛ المستوفى ١٧٥ و ١٧٦ - أنظر C.A. De Bode فى كتابه Travels in Luristan لندن ، ١٨٤٥ ، ١ : ٢١٤ .

وكان البلدان يون العرب بسمون أعلى نهر شابور بنهر رنين ، ومخرجه في ناحية خمياجان أو خمياگان العليا . وكان أكبر فراها ديه علي على ما ذكر المستوفى . وكانت خمياجان السفلى تعد من أعمال كورة اصطخر (پرسپولیس ، وسیائی وصفها في الفصل القادم) وهي حول البيضاء على رافد لنهر كرت . وكان في هاتين الناحيتين ، خمياجان العليا والسفلى ، ثمار البلاد الباردة كالحوز والرمان ويحمل منها العسل الجيد . وأكثر أهلها من المكارين وأصحاب البغال ، وفي غرب خمياجان ناحية أنبوران ومدينتها النوبندجان ويقال لها أيضا النوبندگان أو النوبنجان ، وكانت هذه المدينة ، حين كتب الاصطخرى ، أكبر من كازرون . وهواؤها جار ويكثر فيها التخييل . وتكلم المقدسى على أسواقها الحسنة العامرة ، وبساتينها ذات العيون الكثيرة ، وجامعها . وآلت النوبنجان في أيام السلاجقة الى الخراب ، ولكن الأتابك الأمير جاولى المشهور^(٣) ، قد جدد بناءها في المئة الخامسة (الحادية عشرة) .

وعلى فرسخين من النوبنجان ، بدأ الشيمب المشهور الذى بعده المسلمون احدى جبات الدنيا الاربع وهو شعب بوآن . وتقع مياهه في نهر كرت في كورة اصطخر . وطول هذا الشعب ثلاثة فراسخ ونصف ، وعرضه فرسخ ونصف . وكان لا نظير له في الخصب والرخاء ، وعلّة ذلك ، على ما في المستوفى ، طبيعة الجبال التى تكتنف جانبيه ، فانها تخزن ثلوج الشتاء فاذا ذابت صيفا أمدت الوادى بالمياه . وعلى فرسخين من شمال شرقى النوبنجان التحصينات الجبلية المعروفة بقلعة سفيد أى القلعة البيضاء ، واسفيد دز - أى قلعة اسفديار ، وهي على ظهر جبل دوره عدة أمبال وجافنه حادة قائمة الانحدار . ولعل المقدسى قد أشار اليه باسم قصر أبى طالب الذى يقال له « عيان » على ما ذكر . وقال صاحب فارس نامه ان قلعة سفيد قد جدد بناءها أبو نصر وهو من أهل تيرمردان ، في أوائل عهد

(٣) كان الأمير جاولى (بالجيم المثلثة ويكتب غالبا جاولى بالجيم) وقد ورد اسمه كثيرا في فارس نامه والمسوقى ، مفرونا بنا جده من مدن وفلاع في انليم فارس ، وبنا إنشاء من سدود في الانهار ، حاكم اقليم فارس عن السلطان محمد السلجوقى . وقد لقب الاتابك جاولى سقاووه (ومعناه الباز) بفخر الدولة . ومات في سنة ٥١٠ (١١١٦) بعد أن حكم اقليمى كرمان وفارس زهاء عشرين سنة .

السلاجقة ، ثم صارت في أيدي عاملهم في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . ولا يرتقى الى قمة الجبل البالغ محيطها عشرين فرسخا ، الا بدرب واحد وكان يحمي أسفل هذا الدرب حصن يقال له دزك تشناك ، وكانت هذه القمة منبسطة السطح ، فيها عبون كثيرة وبساتين وافرة الفواكه . ومحاصرة تيمور لقلعة سفيد في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد أكسبتها شهرة تاريخية . فانه في مسيره من بهبهان الى شيراز استولى عليها عنوة بعد تضيق الخناق عليها ومقاتلتها يومين كاملين وذلك في ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣)^(٤) .

وعلى مرحلة من شرق النوبنجان في الطريق الذهاب الى شيراز ، تقع تيرمردان . وهي بلدة حولها ست قرى ، أجملها كدرجن أو جركن وهي على خمسة فراسخ من النوبنجان . وكان رستاقها وافر الماء خصب عامر ، يحمل منه علل كثير . ومدينة انوران من هذه الكورة وهي في غرب النوبنجان في الطريق الى أرتجان . وتجاورها أيضا ناحية باشت قوطا وقصبها باشت وما زالت قائمة . ويشق هذه الاراضي نهران هما درخيد والخوبندان . وعلى ضفاف نهر تخو راواذان ، ويقال له أيضا الخوبندان ، مدينة تعرف باسمه على اربعة فراسخ من النوبنجان . وكانت مدينة الخوبندان في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة آهلة ، لها جامع وأسواقها عامرة . وعلى أربعة أو ستة فراسخ غرب هذا النهر ، وعلى مرحلتين من النوبنجان ، كانت المدينة الصغيرة درخيد ، على نهر درخيد ومخرج هذا النهر في بحيرة صغيرة ، ويرى بعضهم انه يصب فيها . وقد جاء في الأخبار ان نهر درخيد واسع عريض فلا بعب . ونهر الخوبندان رافد من روافد نهر شيرين ، وسيأتي وصف هذا النهر في الكلام على كورة أرتجان . وكان على نهر الخوبندان أو نهر درخيد قنطرة عظيمة بناها رجل يسمى أيا طالب النوبنجاني ياني قلعة عيان وقد مر ذكرها في الفقرة السابقة . ولم يتفق الاصلطخري

(٤) الاصلطخري ١١٠ و ١١١ و ١٢٠ و ١٢٧ : المقدسي ٤٣٤ و ٤٣٧ و ٤٤٧ : فارس نامه ٧٦ ب ، ٧٨ ا ٨٢ ب : المسنوقى ١٧٧ و ١٧٨ و ٢١٩ : على اليزدى ١ : ٦٠٠ .
وجاء في المخطوطات صور مختلفة لاسم القلعة السفلى ، وهي ذكرى بشكان واسناك - وعلمة سميد وصفها وصفا حسنا ، مكدونالد كينر Macdonald Kinneir في كتابه Persian Empire ص ٧٣ .

- ٣٠٢ -

والمقدسى على أى النهرين كانت تقوم هذه القنطرة الشهيرة . وقد زاد المصنفون المحدثون هذا الموضوع التباسا وارتباكاً ، حين أعطوا أسماء مختلفة لهذين النهرين ، فصار من الصعب علينا الآن ان لم يكن مستحيلاً ، معرفة أى من هذين النهرين هو الذى تعينه خوارطنا . وقد وصف المقدسى هذه القنطرة فقال « وجسر أبى طالب عمل فى هذا العصر ، يعجز عن مثله كل بناء بالشام وأقور »^(٥) . فكان بناؤها فى النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، والظاهر ان ياقوت الحموى أشار فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها ما زالت باقية . وقد ذكر عليّ اليزدى كثيراً من هذه المواضع فى وصفه مسير تيمور لك من بهبهان الى شيراز^(٦) .

وفى هذا القسم الجبلى من فارس ، وقد عرف بعدئذ بجبل جيلويه ، قائل الاكراد الخمس ويقال لها زمّ الاكراد ، وكانت فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) مراعيهم منازلهم . وتكلم المقدسى على قلعة لهم فى الجبل قرب منازلهم ، « لها رستاق ونهر وهى وسط الجبال ذات بساتين ونخيل وفواكه وخيرات »^(٧) .

ومدينة كازرون ، أضحت منذ النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) حين خربت سابور ، أجل مدن كورة سابور . ووصفها ابن حوقل بقوله انها فى أيامه أصغر من النوبندجان ، حسنة البناء وبيوتهم من جص وحجارة . وأشار اليها المقدسى بعده بزمان قليل ، فقال هى « دمياط الأعاجم » وكانت واسعة التجارة ، تعمل فيها ثياب الكتان . وقد بنى عضد الدولة [البويهى] داراً جمع

(٥) يريد المقدسى بـ « أقور » اقليم الجزيرة . (م) .

(٦) تتباين تهجئة الاسماء تبايناً كبيراً . فخورا واذاً اختصر الى الخوبدان . وكتبه بعضهم بصوره خوابدان وحسادان وخاودان ، أو خاوران على ما فى على اليزدى . وكتب اسم درخيد بصورة درخويد ، الا ان دحوند (على ما جاء فى المقدسى) ربما كان من وهم النساخ ليس الا .

الاصطخرى ١١٠ و ١٢٠ ؛ المقدسى ٤٣٥ و ٤٤٠ ، مارس نامه ١٧٦ ب ، ١٧٩ ب ؛ المستوفى ١٧٦ و ٢١٨ ؛ ياقوت ١ : ٩٠٥ ؛ ٢ : ٤٨٧ ؛ ٣ : ٨٢٨ ؛ ابن الاثير ٨ : ١٢٢ و ٢٠٢ . على اليزدى ١ : ٦٠٠ .

(٧) الاصطخرى ٩٨ و ١١٣ ؛ المقدسى ٤٣٥ ؛ ياقوت ٢ : ٨٢١ ؛ المستوفى ١٧٦ و ٢٠٦ .

معنى زم بالكردية « قبيلة » (وأصح وجه لكتابتها « زومه ») وقد وردت هذه الكلمة خطأ بصورة زم . انظر : ترجمة البروفسور دى عويه لابن خرداذبه . ص ٣٣ الحاشية .

- ٣٠٣ -

فيها السماسرة ، دخلها على السلطان كل يوم عشرة آلاف درهم^(٨) (أى أربعمائة
 باون) • ووصف المقدسي دور المدينة فقال انها كانت كلها قصورا لها بساين
 « والجامع على تل يصعد اليه » • وذكر المستوفي ان كازرون كانت تتألف في
 الاصل من ثلاث قرى متجاورة ، هي : نورد ودرست وراهشان ، أنشئت على قني
 بهذه الاسماء وظل شرب أهلها من هذه القني التي صارت من ضمن أحياء المدينة •
 وتمور كازرون فاخرة لاسيما المعروف منها بجيلاان • وكان يحمل منها ثياب قطن
 تسمى الكرياس • ويقال لمراعيا المشهورة مرغزار نرگس أى مراعى النرجس •
 وكان ما حولها يعرف ببلاد شول على ما ذكر ابن بطوطة وقد مرّ بها سنة ٧٣٠
 (١٣٣٠) • وهى اليوم تعرف بشولستان • وكان فى السهل ، على شىء يسير من
 شرق المدينة ، بحيرة كازرون وكان يقال لها فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة
 موز^(٩) ، أو مورك (وقراءة الاسم غير مضبوطة) طولها نحو من عشرة فراسخ
 « وماؤها مالح وفيها صيد كثير » • والدريان المشهوران فى الطريق الذى فوق
 البحيرة الصاعدان الى شيراز ، والمعروفان اليوم عند المسافرين باسم كتال بير زن
 (درب المرأة العجوز) وكتال دختر (درب البنت) قد سمى المستوفي أولهما
 هوشنگ وهو على ثلاثة فراسخ من كازرون ، والثانى مالان وهو فوقه وكلاهما
 شديد الانحدار^(١٠) •

والطرق المنحدرة الى الساحل البحرى من كازرون تمرّ بدريز الى كمارج
 ثم تمرّ بخشت على نهر سابور الى توجّ وقد مرّ وصفها فى الفصل السابق
 (ص ٢٩٥) • وكانت دريز مدينة صغيرة • وكان بها فى المئة الرابعة (العاشرة)
 « صنّاع كتّان كثير » • وخشت تليها ولها قلعة حصينة على ما جاء فى المقدسي ،
 ولها رستاق واسع • وورد ذكر خشت وكمارج فى فارس نامه سوية • ووصف

(٨) هذا نص المقدسي ، اما المؤلف فقد وهم بنقله ، فقال « دخلها على السلطان كل ستة عشرة
 آلاف درهم » • (م) •

(٩) ذكرها الاصطخرى (ص ١٢٢) بصورة : بحيرة توز • (م) •

(١٠) الاصطخرى ١٢٢ : ابن حوقل ١٩٧ : المقدسي ٤٣٣ : المستوفي ١٧٦ و ١٨٠ و ٢٠٠ و ٢٦٦ -

جاءت اسماء الاحياء الثلاثة فى كازرون بصور مختلفة فى نسخ خطية اخرى للمستوفي : نور ،
 درست ، ورجيان أو رحيان - ابن بطوطة ٢ : ٨٩ • وقد جاء فى فارس نامه (الورقة ٨٠ ب) اسم
 للبحيرة « مور » فى غاية الوضوح ، ويقال لها أحيانا درياجه شور « البحيرة الملحة » •

المستوفى أهل هذين الموضعين برداءة الخلق وقال انهم لصوص دهاة •

وعلى شيء يسير أسفل من خشت ، يستقبل نهر سابور فى يساره مياه نهر جرّه ، وهو الذى عرفه البلدانون العرب بنهر جرشيق • وهذا النهر قبل التقائه بنهر سابور ببضعة أميال ، يقع فى يساره نهر صغير سمّوه نهر اخشين • ويخرج نهر اخشين من خلال جبال ناحية داذين • وماء هذا النهر ، على ما فى الاصطخرى ، عذب « يشرب ويسقى الاراضى • واذا غسل به ثياب خرجت خضرا » • واما نهر جرشيق فانه يخرج من جبال فى جنوب جرّه فى رستاق ماصرم (وعلى ما فى المستوفى ، كانت ماصرم ناحية تمتد من هذا النهر شمالا حتى أعلى نهر سكان) • وقبل أن يبلغ مدينة جرّه « يجرى تحت قنطرة حجارة عادية [أى عيقة] تعرف بقنطرة سبوك » • ثم يسقى هذا النهر رستاق داذين • وأخيرا بعد أن يستقبل نهر اخشين يقع فى نهر سابور على شيء يسير فوق توج • وذكر فارس نامه والمستوفى ان البلاد التى عند أعلى نهر جرّه قرب مدينة جرّه ، تؤلف قسما من رستاق الفندجان وهذا الخبر بقودنا الى معرفة موضع دشت بارين ، وقد مر بنا القول فى صفحة سابقة انه من أعمال كورة أردشير خرّه • ووصف المقدسى مدينة جرّه فقال انها « على رأس جبل ، كثيرة النخيل » • وقال ياقوت ان العامة تقول لها فى أيامه « گره » • وقد أيده فى ذلك صاحب فارس نامه والمستوفى • وقد أشارا أيضا الى قمحها ونخيلها والى شدة خصب رستاقها^(١١) • أما كورة أرتجان فهى أبعد كور فارس الخمس غربا • وقصبتها مدينة أرتجان فى أقصى حدها الغربى على نهر طاب • ونهر طاب يؤلف فى هذا الجانب الحد الفاصل بين اقليمى فارس وخوزستان • وأطلال أرتجان على بضعة أميال من شمال مدينة بهبهان الحالية التى انتقل اليها أهلها وصارت أهم مدن هذه الكورة منذ ختام المئة السادسة (الثانية عشرة) •

وكانت أرتجان فى المئة الرابعة (العاشرة) « مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثير وزيتون » • وكان عليها ستة أبواب تغلق كل ليلة ، وهى : باب

(١١) الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٧ و ١٥٢ ؛ المقدسى ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ ؛ فارس نامه ٧٥ ب ز ١٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٧ و ٢١٨ و ٢١٩ ؛ ياقوت ٢ : ٣٦ و ٦٧ •

الاهواز ، وباب ريشهر ، وباب شيراز ، ثم باب الرصافة ، وباب الميدان ، وأخيرا باب الكياليين . وبها جامع حسن وأسواق عامرة . وفي المدينة يعمل الصابون . وكان قرب أرتجان قنطرتان مشهورتان من حجر على نهر طاب تعبرهما الطرق الذاهبة الى خوزستان ، وما زالت بقاياهما شاخصة ، ويقال ان احدهما تنسب الى الدبلى طيب الحجاج ، عامل بنى أمية على العراق . قال الاصطخرى فى وصفها « هى طاق واحد سعة الطاق على الارض ما بين العمودين نحو ثمانين خطوة وارتفاعه مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بيده علم من أكبر ما يكون » . وكانت هذه القنطرة ، وتعرف بقنطرة ثكان ، على رمية سهم من مدينة أرتجان فى الطريق الى سنيل . أما القنطرة الثابتة فكان طولها أكثر من ٣٠٠٠ ذراع ، وهى من بناء الساسانيين . وتعرف بالقنطرة الكسروية ، وكانت فى الطريق الذاهب الى قرية دهلزان . وفى جبل قرب أرتجان كهف قال القزوينى فى وصفه « ينبع منه الموميا الجيد » ، وله خواص طبية وفى أرتجان أيضا بئر لا قرار لها يقال لها بئر صاهك « يفور الدهر كله منها ماء » يسقى تلك القرية حتى فى أجف أيام الصيف .

وفى مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفى ، ان أرتجان كان يسميها العامة أرخان أو أرغان . وأشار علي اليزدى فى نهاية هذه المثة الى نهر طاب باسم آب أرغون . وعلى ما جاء فى المستوفى ، قاست أرتجان كثيرا من الاهوال حين استولى عليها فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) الاسماعيليه (وهم الحشيشية أصحاب شيخ الجبل) . ولم بقيت لها ان تستعد ازدهارها الاول . وقد كان للاسماعيلية قلاع فى قم الجبل المجاور لها اسم احداها قلعة طيفور والآخرى دزكلات . وكثرا ما كان رجال هذه القلاع ينزلون الى المدينة فنهبون ما فيها وما فى رستاقها . ثم ان أرتجان فى النصف الاخير من المثة الثامنة (الرابعة عشرة) اسنحوذ عليها الخراب وقام مقامها بعد وقت قصير مدينة بهبهان وهى على نحو من سنة أميال أسفل منها على نهر طاب . ولم يذكر أحد من البلدانين العرب اسم بهبهان . وأول من ذكرها علي اليزدى فى وصفه مسير تيمور من الاهواز الى شيراز فى ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) . وصارت بهبهان منذ هذا

التاريخ أجل مدينة فى هذه الناحية التى كانت تعرف قبلا بكورة أرتجان^(١٢). والنهر الذى سماه البلدانون العرب نهر طاب ، يقال له اليوم جراحية وجراحى أو نهر كردستان . أما الاسم « طاب » فانه اليوم انتقل اعباطا الى أنهار خيراباد وهى روافد نهر هنديان أو نهر زهرة الذى يصب فى خليج فارس عند هنديان وهو غير نهر طاب . فقد كان مخرج طاب فى القرون الوسطى ، ان أخذنا بما ذكره الاصطخرى والمقدسى ، فى جبال جنوب غربى اصفهان بقرب البرج مقابل سميرم فى كورة اصطخر . ثم ينحدر الى ناحية يقال لها السردن فى خوزستان . وكان يلتقى بيسار طاب نهر مسين ، وقرية مسين تقع بالقرب من اجتماعه به ، ثم يجرى النهران المتحدان الى أرتجان . وأسفل هذه المدينة يسقى طاب رساق ريشهر ثم يتجه جنوبا ويقع فى البحر غرب مهروبان . وينبع نهر مسين المار الذكر فى جبال قرب سميرم أيضا ويمر بموضع يقال له سيسخت قبل التقائه بطاب على ما ذكر صاحب فارس نامه والمستوفى . ويقال ان طوله اربعون فرسخا وعرضه من السعة ما لا يسهل معها عبوره . وكان بالقرب من أعالي نهر طاب ، بلاد شاپور أو بلاسابور . وقصبتها تسمى جومة وهى على الحد بين فارس وخوزستان . وكان رستاق بلاسابور شديد الخصب ، غير ان الزراعة فيه أيام المستوفى قد اندمدت . وكان بامتداد مجرى طاب ، على ما فى فارس نامه ، كورة قباذ حره . غير ان جميع المصنفات القديمة تطلق هذا الاسم على الكورة التى حول كارزين على ما جاء وصفه فى الصفحة ٢٨٩^(١٣) .

(١٢) الاصطخرى ١٢٨ و ١٣٤ و ١٥٢ : ابن رسته ١٨٩ ابن خردادبه ٤٣ : المقدسى ٤٢٥ : الفزوى ٢ : ٩٤ و ١٦٠ : المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ : على اليزدى ١ : ٦٠٠ .

وقد ذكر صتيح الدولة فى كتابه « مرآة البلدان » (المطبوع بالحجر فى طهران سنة ١٢٩٤ هـ ، مجلد الاول ص ٣٠٦) ان اول من نزل يهبهان بأمر تيمور عشائر الكوهكلو البدويه وقد انتقلوا اليها من الكوفة . وعن اطلال أوجان والقنطريتين المروفتين اليوم باسم بل بكم وبل دختر « أى قنطرة السيدة وقنطرة البنت » راجع De Bode فى كتابه Luristan ١ : ٢٩٥ و ٢٩٧ . وغالبا ما ذكرت المخطوطات اسم القنطرة الاولى بصورة قنطرة ركان أو تكان . والى ذلك فقد ذكر ابن حوقل (ص ١٧٠) جسرا من خشب فوق نهر طاب « معلقا بين النساء والماء » وبينه وبين الماء نحو عشر اذرع .

(١٣) الاصطخرى ١١٩ : المقدسى ٢٤ و ٤٢٥ : فارس نامه ٧٧ ب ، ١٧٨ ، ١٧٩ : المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ٢١٨ .

والظاهر ان البلدانين العرب قد خلطوا بين أعالي نهر أوجان (طاب) ورافده (مسين) وبين

- ٣٠٧ -

وفى أسفل أَرَجَان ، بدور نهر طاب ، على ما قد بينّا ، حول رستاق ريشهر (فلا يلتبس اسم هذا الرستاق بريشهر بوشير المار الذكر فى صفحة ٢٩٧) وما عدا ريشهر ، فقد كان هنا فى نصف الطريق بين ارجان ومهروبان ، مدينة يقال لها دريان (وكذلك ديرجان أو درجان) وقد كان بها فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة ورستاقها خصب كثير الخبرات . ودام شأن ريشهر فى أيام السلاجقة . وتكلم صاحب فارس نامه على قلعته وقال ان السفن كانت تصنع فيها . وذكر المستوفى ان الفرس عرفوا الموضع باسم بربان وقال ان اسمها الأول كان ريشهر . وفيها تعمل ثياب الكتان ، ولأهلها تجارة واسعة مع موانئ الخليج . والحر فيها صيفا شديد مؤذ فيصعد أهلها الى دزكلات وهى على فرسخ منها ، وقد مرّ بنا انها كانت قبلا من قلاع الاسماعيليه . وبالقرب من ريشهر بلدة هنديجان وهى مدينة ورستاق على نهر أَرَجَان الاسفل وحكى المقدسى ان هنديجان ، أو هندوان ، كانت سوقا عظيمة للسبك ولها جامع حسن . وفى رستاق هنديجان بقايا بيوت نار وأرحاء من الزمن القديم . وبها الى ذلك ، على ما يقال ، « دفائن كما فى أرض مصر » وتكلم القزوينى على بشر « يملو منها دخان لا يتهأ لاحد أن يتربها ، واذا طار طائر فوقها سقط محترقا » . وأخيرا ، حبس ، وهى مدينة فى هذه الكورة فى الطريق الى شيراز ، كان فيها مآصر أيام بنى سلجوق (١٤) .

وكانت الجلاّدگان ، وتلفظ أيضا الجلاّدجان ، ناحية قريبة منها بين أسافل نهري طاب وشيرين . ويخرج نهر شيرين - الماء الحلو - فى جبل يسمى جبل دينار فى ناحية بازرنج أو بازرنك . ويشق ناحية فرزك وهى على أربعة فراسخ

الانهار التى هى على ما تعلم الفروع العليا لنهر كارون . وما يلاحظ ايضا ان نهر ارجان فى أسفله قرب خليج فارس قد تدير مجراه على ما يظهر من المدة الرابعة (العاشرة) وقد قال المقدسى انه يقع فى البحر قرب سينيز ، ولعل ذلك من وهم النساخ لا غير بدلا من « مرب [نهر] تستر » أى فيض دجيل .

(١٤) الاسطخرى ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢١؛ المقدسى ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٥٣؛ فارس نامه ١٧٨ - ب؛

المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ ؛ ياقوت ٤ ، ٩٦٣ و ٩٩٣ ؛ القزوينى ٢ : ١٨٦ .

الظاهر ان هنديجان وهندوان وهنديان يشير كلها الى موضع واحد . وقد اوردت المخطوطات صورا كثيرة لما يحتمل ان يكتب به اسم حبس . فجاء ، حبس ، جيس ، جنس . وقد كانت مرحلة بريد على ما ذكرت كتب المسالك .

- ٣٠٨ -

من جنوب شرقى أرتجان • وذكر علي اليزدى ان تيمورلنك ، فى مسيره من بهبهان الى شيراز ، عبر نهر شيرين بعد مغادرته بهبهان بيوم ، ثم وصل بعد أربعة أيام الى نهر خاودان (وقد مرّ ذكره فى الصفحة ٣٠١ باسم : الخوبدان) • ثم سار منه الى النوبنجان • وقد مرّ بنا ان الخوبدان رافد لنهر شيرين ، وهذا الاخير يطابق ، على ما يظهر ، النهر المعروف اليوم فى أعاليه باسم نهر خيراباد (مع روافده الكثيرة) وفى أسفله باسم نهر زهرة وهو ما تسميه الخوارط الحديثة بنهر طاب أو هنديان • وكان على أحد روافد نهر شيرين ، گنبد ملّقان ، وهى موضع ذو شأن فى الطريق من النوبنجان الى أرتجان ، ويقال لها اليوم دوگنبدان « أى القبتان » وترى فيها خرائب واسعة • وكان بجوارها جبل دینار وناحية بازرنك على ما مرّ بيانه • وكذلك صرام ، حيث يقسو الجو فى الشتاء • ولا يفارق الثلج قمم الجبل المجاور لها حتى فى الصيف • على ان مدينة گنبدملّقان كانت من بلاد الجروم ومشهورة بنخيلها • وبلغت اسمها أيضا بصورة گنبد ملّجان أو ملّقان • وتكلم المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) على القرية هنا وقال هى خربة • وذكر صاحب فارسنامه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) هذه المدينة الصغيرة وقال : كان بحميتها قلعة يخزن فيها ما يكفى من المؤونة لحاميتها مدة ثلاث أو أربع سنوات • وكانت تكلّل رؤوس الجبال المجاورة قلاع أخرى مثلها ، نذكر منها بوجه خاص قلعة ختّك • وقال المسونفى ان الناحية القريبة منها كانت تعرف باسم پولبولو (وجاءت فى بعض المخطوطات بصورة : پوللولو) وقد كانت ناحية عظيمة الخصب معروفة بمشمشها الجيد • وقال ان قلعة گنبدملّقان كانت من المنعة والقوة بحيث يتمكن رجل واحد فيها من ان يصدّ جيشاً^(١٥) •

وغير بعيد من قم نهر شيرين - وهو نهر طاب الحديث أو زهرة ، على ما

(١٥) الاسطخرى ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢٠ : المقدسى ٤٣٥ ؛ فارس نامه ٧٦ ب ، ١٧٧ ، ٧٨ ب ، ٧٩ أ ، ٨٣ ب ، ٨٥ ب ؛ المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ٢١٨ ؛ يافوت ٣ : ٤١٥ ؛ ٦٣٠ : ١ ؛ علي اليزدى ٦٠٠ : حافظ أبرو ٣١ ب ؛ De Bode لورسان ١ : ٢٥٨ • يقوم اليوم فى شمال دوگنبدان القلعة المرومة بقلعة آرو ، ولعلها هى التى جاءت من فارس نامه باسم ختّك •

قد بينّا - ميناء مهروبان ، على حدّ فارس الغربى • وكانت أول فرصة تصلها السفن الذاهبة الى الهند بعد خروجها من البصرة وفيض دجلة ، ومهروبان تعدّ فرصة أرجان • وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة أهلة لها جامع حسن وأسواق عامرة • قال المستوفى ان الفرس يسمونها ماهي رويان أو مهروبان • ويعمل فيها الكتان ويحمل منها التمر ، غير ان الملاحه وسير السفن أهم مورد لاهلها • وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) بلغ ناصر خسرو مهروبان ووصفها فقال : هى مدينة على ساحل البحر فى جانبه الشرقى ، أسواقها عامرة ، مسطور على مسجدها الجامع اسم يعقوب بن اللبث الصفار • ويحفظ أهلها الماء فى حياض وبنى بها ثلاثة ربط ينزل فيها من فصد أرجان من المسافرين • وتجارها عظيمة • ويلي مهروبان شرقا على ساحل الخليج من أسفلها ، سينز أو شينز ، وبقابها عند سيف يقال له البوم بندر ديلم • وقد وصف الاصطخرى فى المئة الرابعة (العاشرة) هذه البلدة فقال انها أكبر من مهروبان • وهى على خور صغير ، فتكون المدينة على نصف فرسخ من البحر • وهى « شديدة الحر ، وبها نخيل وما يكون فى الجروم من الفواكه » • وقال المقدسى لها جامع ، ودار الامارة • وأسواقها عامرة جيدة • وذكر يافوت ان القرامطة فى سنة ٣٢١ (٩٣٣) أغاروا على سينز فقتلوا أهلها وخرّبوها ولم يبق الا اليسير • أما فارس نامه فى المئة السادسة (الثانية عشرة) والمستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقالا انها ما زالت مدينة عامرة مزدهرة يزرع فيها الكتان وينسج • وكان يحمى هذه القرية قلعة (حصار) • وكان زيت المسارج يحمل من رستاقها الى الآفاق (١٦) •

وفى جنوب سينز كانت جنّابة (أو جنّابا) ، وما زالت خرائبها ترى • وهى بالقرب من فم النهر الذى سماه البلدانون العرب الشاذكان • وجنّابة على ما فى الاصطخرى ، شديدة الحر ، وخور جنّابة « مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر » • وهى أكبر من مهروبان ولها أسواق عامرة وفيها ولد أبو طاهر القرمطى • والفرس يعرفونها باسم گنّفه أو آب گنده لماثها القذر •

(١٦) الاصطخرى ٣٤ و ١٢٨ ، المقدسى ٤٢٦ ؛ ناصر خسرو ٩٠ = [١٠٠ من الترجمة العربية] ؛

يافوت ١ : ٥٠٢ ، ٣ ، ٢٢١ ؛ فارس نامه ٧٨ ب ، ٧٩ ؛ المستوفى ١٧٨ •

- ٣١٠ -

ومن أعمالها أربع قرى على سيف البحر مجاورة لها • أما نهر الشاذكان فإنه يخرج من ناحية بازرنك ويسقى سهل الدستقان ، ثم يقع فى البحر • وغير واضح أى نهر يطابقه فى الخارطة الحديثة • على أنه ولا شك أحد النهرين الصغيرين اللذين بقعان فى خليج فارس قرب جنابة • ويحسن بنا ان نذكر ان هذه الناحية خالية من أنهار كبيرة ، وان قال المسنوفى ان نهر الشاذكان « نهر كبير لا يهون عبوره ، طوله تسعة فراسخ » لأنه كان يتصوره نهرا على شىء من الكبير^(١٧) •

(١٧) الاصطلاحى ٣٢ و ٣٤ و ١١٩ و ١٢٨ ؛ المقدس ٤٢٦ ؛ فارس نامه ٧٨ ب ؛ المستوفى ١٧٨ و ٢١٨ •

الفصل التاسع عشر

فارس «تابع»

كورة اصطخر ومدينة اصطخر اى برسيوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة البختگان
وما حولها من مدن - سهل مرو دشت - البضاء وماين - كوشك زرد -
سرمق ويزدخواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان -
ابرلوه - يزد : ناحيتها ومدنها - ناحية
الروذان ومدنها - شمسهر بابك
وهراة .

تشمل كورة اصطخر جميع القسم الشمالى من اقليم فارس . وكانت هذه
الكورة فى القرون الوسطى ، على ما قد بئنا ، تشتمل على يزد والمدن والرساتيق
الفريية منها مما يكون فى حد المفازة الكبرى . ومدينة هذه الكورة كانت اصطخر
على ما قد سمى به العرب المدينة الساسانية التى كانت تعرف عند اليونان باسم
برسيوليس .

وتقوم مدينة اصطخر على نهر بلوار ، على بضعة أميال فوق اقترانه بنهر
الكر ، وعلى مسافة يسيرة غرب بقايا القصور الاخمينية العظيمة . وفى أيام الفتح
الاسلامى كانت اصطخر من أجل مدن فارس الساسانية ، ان لم تكن أجلها ، وكان
أخذها صلحا بمعاهدة . وصفها ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال :
« سعتها مقدار ميل . وكان فى قديم الايام على اصطخر ، سور قد تهدم ، ،

- ٣١٢ -

« وقنطرة خراسان خارج من المدينة ، على بابها » ، ولا يعرف لم سميت هذه القنطرة بذلك . وهي قنطرة فخمة حسنة ، وراها أبنية ومساكن تكتنفها البساتين ، وفيها كبر من الرز والرمال . ولم يزد اللدانون العرب الآخرون شيئا على ما قاله ابن حوقل ، كما ان المصنفين المسلمين لم يذكروا شيئا مقبدا عن القبور والابنية الاخمينية المشهورة التي ينسبونها عادة الى جمشيد والملك سليمان . وقال المستوفي ان حراب اصطخر (ويصعب أن يعثر اليوم على معالم المدينة الاسلامية) سبه الفن الهوجاء التي نشبت فيها ، فاضطر أخيرا صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهى الى أن يرسل اليها جيشا بقيادة الامير قطلمش ، فى النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، فكان مصيرها الدمار والخراب . ونضاعت اصطخر منذ ذلك الحين وأمسث قرية لا يسكنها أكثر من مئة انسان على ما ذكر صاحب فارس نامه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) .

وتكلك الجبال التي فى شمال غربى المدينة ، ثلاث قلاع ، هى : قلعة اصطخر يار (صديق اصطخر) ، وقلعة شكسته (القلعة المنكسرة) ، وقلعة شكوان . وكان يطلق عليها جملة سى كنبذان (أى القباب الثلاث) وكان يرفع الماء الى أولى هذه القلاع من غور عميق فى الجبل ، أنشئ فيه سد . وعمل عضد الدولة البويهى فى هذه القلعة حياضا عظيمة ترتفع على عشرين سارية ، يكفى ماؤها ألف رجل اذا ما ضرب الحصار عليها مدة سنة . وكان قرب هذه القلاع فوق الجبل ، ميدان لتدريب الجند ، أمر بعمله وانشائه عضد الدولة أيضا^(١) .

ونهر بلوار - وسماء البلدانيون العرب فرواب ، وكتبه الفرس بصورة يرواب - يخرج فى شمال أوجان أو أوزجان عند قرية قَرَوَاب فى الجوبرقان . فيجربى أولا الى الشرق ، ثم يدور الى الجنوب الغربى فوق بازاركد Pasargadae عند قبر كورش . وقد سمي المسلمون هذا القبر بمشهد أم سليمان (مشهد ادر سليمان) . ثم يخترق النهر غور اصطخر فيمر بهذه المدينة

(١) البلاذرى ٣٨٨ ؛ ابن حوقل ١٩٤ ؛ المقدسى ٤٣٥ ؛ فارس نامه ٦٧ ب ، ٨١ ب ، ٨٣ ؛ المستوفى ١٧٣ ر ١٧٤ و ١٧٨ و ١٧٩ ؛ حافظ ابرو ٨٥ ب .

ما رالت ترى اطلال القلاع الثلاث . وقد زار احداها J. Morier انظر : Second Journey Through Persia (لندن ١٨١٨) ؛ ص ٨٣ - ٨٦ ؛ دى بود : لرسان ١ : ١١٧ .

- ٣١٣ -

ويدخل سهل مرو دشت حيث يسقط في نهر الكر على مسافة قليلة فوق السد العظيم المسمى بند أمير • ومخرج نهر الكر في ناحية كروان على شىء بسير جنوب أوجان ، فهو لا يبعد عن مخرج نهر بلوار ، لكنه يتجه في أوله اتجاهها معاكسا له • ويجرى نهر الكر نحو الشمال الغربى ، ويدور دورة عظيمة ، جاريا تحت فطره شهريار وهى فى الطريق الصبفى من شيراز الى اصفهان فى ناحية الأرد • ثم يتجه الكر جنوبا فيمر قرب قرينى كورد وكلاّء ، ثم يميل الى الجنوب الشرقى فيستقبل رافدا من شعب بوان (أنظر صفحة ٣٠٠) وشق ناحيتى رامجرد وكام فيروز • ثم يخترق سهل مرو دشت حيث يستقبل فى يساره نهر بلوار ويسقى ناحيتى كربال العليا وكربال السفلى • ثم يمر قرب القرية الكبيرة المسماة خرمة ويقع فى بحيرة البختكان بين ناحية جفوز فى الجنوب وناحية كاسكان فى يساره •

وقال صاحب فارس نامه وغيره من المصنفين الفرس ، ان نهر الكر ، يعرف فى أعلاه باسم رود عاصى ، لأنه وان سكر مأؤه بسكر (بند) ، الا ان ماءه عصى عن سفى الارض فلم يتفع به • وأول هذه السدود النى على الكر ، يعرف ببند مجرّد • وقد كان هذا السد من الزمن القديم ، فلما انهار أعاد بناء الاتابك فخر الدولة جاولى ، فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) وسماه فخرستان نسبة اليه • وكان يعرف بذلك فى زمن حافظ أبرو أيضا • وسكر نهر الكر أسفل اقتران نهر بلوار به ، بند أمير المشهور أو البند العضدى ، ويعرف قسم من هذا السكر أيضا باسم سكر فناخسرو خرّة • وهذه الاسماء كلها منسوبة الى عضد الدولة البوبهى الذى أنشأ السكر ليسقى ناحية كربال العليا • وقد كان هذا البند من عجائب فارس على ما ذكر المقدسى ، وهو من أهل ذلك الزمن • قال : « قد سكر عضد الدولة النهر بجائط عظيم جعل أساسه بالرصاص ، فتبحر الماء حوله وارتفع فجعل عليه من الجانبين عشرة دواليب وتحت كل دولاب رحا وجرّ الماء فى قنى فأسقى ثلاثمئة قرية ، وبنى ثم مدينة ، قرب البند وكان يقال للسكر الاسفل على الكر » بند قصّار ، وقد أنشئ لرفع الماء وبسقى ناحية كربال السفلى • وكان هذا السد منذ قديم الزمن ، ولكنه انهار فى مطلع المئة السادسة (الثانية

عشرة) ، فأصلحه الاتابك چاولى المار الذكر الذى رم أيضا بند أمير^(٢) .
وبحيرة البختكان التى يقع فيها نهر الكر ، وان كان حولها اليوم مفاوز ، الا
انها كانت فى العصور الوسطى محاطة بقرى ومدن ذات رساتيق خصبة . ومياه
هذه البحيرة تؤلف بحيرتين متصلتين : الجنوبية منهما كانت تعرف فى العصور
الوسطى ببحيرة البختكان ، والشمالية تسمى بحيرة الباسفوية أو جوبانان . وماء
هذه البحيرة ملح ، وصيدها كثير ، وعامة سمك شيراز منها ، وفى أطرافها آجام
كثيرة ومنها قصب وبردى . وناحية جفوز فى الطرف الغربى من البحيرة ، وفيها
مدينة خرمة (وما زالت الآن قرية ذات شأن) وهى على ١٤ فرسخا من شيراز
فى طريق كرمان المحاذى لشاطئ بحيرة البختكان الجنوبي . وذكر المقدسى فى
المئة الرابعة (العاشرة) ان خرمة لها رستاق واسع وبها قلعة فوق رأس جبل ،
وكانت قلعة حصينة محكمة البناء ، على ما قال المستوفى وقد كتب فى العهد المغولى .
وأشار فارس نامه الى حياضها^(٣) .

وكان الطرف الجنوبى الشرقى من بحيرة البختكان ، فى كورة دار أبجرد ،
وعليه خيبر ونيريز ، وسنكلم عليهما فى الفصل القادم . وبالقرب من طرفها
الشرقى ، حيث اليوم مفازة معطشة ، كانت تقوم فى المئة الرابعة (العاشرة)
المدينتان الجيلندان : صاهك أو صاهيك ، الكبرى والصغرى . وكتب الفرس
هذا الاسم بصورة چاهك (ومعناه حفرة صغيرة أو بئر) . ويجتمع عند صاهك
الكبرى طريقان - أولهما يمتد فى الجانب الشمالى من بحيرة البختكان آتيا من
اصطخر ، والثانى يمتد بمحاذاة شاطئها الجنوبى آتيا من شيراز - ، ويخرج منها
طريق واحد نحو كرمان . ووصف المقدسى صاهك الكبرى فقال انها مدينة
صغيرة ولا أهلها . حذق فى كتابة المصاحف . وبالقرب منها ، على ما فى
المستوفى ، معدن الحديد . وتكلم فارس نامه على ما يعمل فيها من السيوف الصقبلة .
وفى الطريق من صاهك الكبرى الى اصطخر ، وعلى الساحل الشمالى من شطر

(٢) الاصطخرى ١٢١ ، المدسى ٤٤٤ : فارس نامه ٧٩ ب ؛ المستوفى ٢١٦ و ٢١٨ : حافظ ابرو
١٣٢ . ياقوت ٣ - ١٠٧ .
(٣) الاصطخرى ١٢٢ و ١٣٥ : المدسى ٤٣٧ : فارس نامه ٨٠ ، ٨٢ ب ، ٨٧ : المستوفى
١٧٤ و ١٧٩ و ٢٢٥ و ٢٢٦ .

بحيرة البختيار المعروف ببخيرة الباسفوية أو جوبانان ، مدينتان كانتا على شأن كبير في القرون الوسطى ، ولا أثر لهما في الخارطة الآن . أقصاهما شرقا على ستة أو ثمانية فراسخ من صاهك الكبرى ، هي مدينة البُدْجَان ، وتعرف بقرية الآس . وسماها المسنوفي بالفارسية « ديه مورد » . ويكثر في رستاقها القمح والآس ، فعرفت المدينة به . وفي غرب قرية الآس ، على ستة أو سبعة فراسخ فوقها في طريق اصطخر ، قرية عبد الرحمن ويقال لها أيضا أباده ، وهي مدينة في ناحية بَرْم . وفي هذه المدينة بيوت وقصور حسنة . وحكى القزويني أن آبارها : « عمقها قامات كثيرة ، جافة القعر عامة السنة . حتى إذا كان الوقت المعلوم عندهم في السنة ، نبع ماء يرتفع على وجه الأرض . ويجري ويتفج به في سقي الزروع ثم يغور » . وكان لأباده في أيام السلاجقة قلعة حصينة فيها آلات الحرب وبها حياض عظيمة للماء^(٤) .

أما سهل مرو دشت الرحب ، فتحترقه أسافل نهر الكر بعد أن يستقبل مياه بلوار . ونشرف على هذا السهل من الشمال اصطخر وقلاعها الثلاث ، وكان السهل ينقسم بين عدة نواح . فبالقرب من الطرف الغربي لبحيرة البختيار ، ناحيتا كربال السفلى وكربال العليا ، وأعلى من ذلك ، على نهر الكر ، ناحيتا خفرك وقالى . وعلى ضفاف نهر بلوار مراعى ناحية قالى . وكانت في ناحية حفرك (وجاء اسمها بصورة : حرك في مخطوطات أقدم) القلعة العظيمة خوار ، قرب قرية تعرف بهذا الاسم . وقد ذكر الاصطخرى هذا الموضع ، كما ذكره فارس نامه غير مرة وقال انه في نصف الطريق بين السكر المضدى على الكر وأباده على بحيرة البختيار ، فهو على عشرة فراسخ من كل منهما . وقد أشار ياقوت الى خوار أيضا مرتين ، ولكنه لم يعرف موضعها على ما يظهر . وماؤها من الآبار ، وكانت قلعتها محكمة حصينة ، أما سهل مرو دشت فقد كان مشهورا بكثرة قمحه ، وسقيه من السكور التي على الكر . وذكر فارس نامه انه اشتق اسمه من قرية

(٤) ابن خردادبه ٤٨ ر ٥٣ : مدامة ١٩٥ : الاصطخرى ١٠١ و ١٣١ : المقدسى ٤٣٧ : مارس نامه ١٦٦ ، ١٦٨ - ب ، ١٨٣ : المسنوفي ١٧٥ و ١٧٩ : القزويني ٢ : ١٦٠ .
 وقد كان ما خلا مدينة أباده (أو أباده) قرية بهذا الاسم أيضا في الطريق من اصطخر الى اصفهان ، سنأتى على وصفها .

- ٣١٦ -

مرو التي كانت بالأصل حيا من أحياء مدينة اصطخر حيث قامت بعدئذ بستان جمشيد أسفل من الاطلال الاخمينية^(٥) .

وفوق مرودشت تقع ناحية كام فيروز، ومعظمها على يمين نهر الكر، وكانت قصبتها وهي كذلك اليوم ، مدينة البيضاء . واسم البيضاء عربى النجار . وهذا الاسم من الاسماء العربية المادرة التي اتخذها الفرس (الا انهم لفظوا الاسم بـزا) وظلوا على الأخذ به الى وقتنا هذا ، وانما سميت هذه المدينة البيضاء لان لها قلعة بيضاء بص من بعد . وزاد ابن حوقل على قوله هذا ان « اسمها بالفارسية نسانك »^(٦) ومعناه على ما ذكر باقوت دار اسفند أى القصر الابيض ، « وكانت هذه المدينة معسكرا للمسلمين يقصدونها فى فتح اصطخر » . وكانت البيضاء نحوا من اصطخر كبرا على ما كانت عليه هذه الاخيرة فى المئة الرابعة (العاسره) . وأشار اليها المقدسى فقال « البيضاء ظريفة طبة ، بها جامع حسن ومشهد يقصد » . وحولها مراع مشهورة ، وكانت المدينة ، وهي فى وسط حقول القمح الخضر ، تبرز بياضها اللامع . وفى ناحية كام فيروز عدة قرى ، سرد الاصطخرى أسماءها ، وفى أباها كان فى غابات اللوط بالقرب منها ، أسود مقترسة تخشاها قطعان الماشية التى ترعى فى مراعيها .

وكان الى شمال كام فيروز وشرفها ، ناحية رامجرد ، وقصبتها مدينة ماين . وفى نصف الطريق بينها وبين شيراز ، مدينة يقال لها هزار ، أو أزار سابور ، وتسمى أيضا نيسابور . وكثيرا ما تردد ذكرها فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال المقدسى فيها : « صغيرة لها رستاق واسع ، شربهم من قنى » . وهي أول مرحلة يريد فى الطريق الذهاب من شيراز الى ماين ، وفى الطريق الصيفى أى الجبلى من شيراز الى اصفهان . وكانت ماين قصبة رامجرد ، وصفها المقدسى بقوله : « عامرة كثيرة الفواكه » . وقال المستوفى ان دخلها فى أيام الدولة المغولية ٥٢٥٠٠ دينار ايلخانى (نحو ١٧٥٠٠ باون) . وكان فى هذه المدينة مشهد

(٥) الاصطخرى ١٠٤ : فارس نامه ٦٦ ب ، ٦٧ ب ، ٨٣ ا ، ٨٤ ب ، ٨٦ ا - ب ، المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ : باقوت ١ : ١٩٩ : ٢ : ٤٨٠ .
(٦) جاء الاسم بصورة « نسانك » فى ابن حوقل (٢ : ٢٨١) وياقوت (١ : ٧٩٢) . وبصورة « نسانك » فى الاصطخرى (ص ١٢٦) . (م) .

مشهور للشيخ گل أندام • وعند حافة الدرب ، فى الطريق الذاهب شمالا ،
مشهد اسماعيل ابن الامام السابع موسى الكاظم • وكانت ناحية رامجرد كثيرة
الغلات وافرة الخيرات لوفرة أنهار السقى فيها الآخذة من فوق السكر الذى
على الكر عند بند مجرد • وهو الذى كان الاتابك جاولى قد أصلحه وعمّره ،
على ما بتنا ، وفى رامجرد أيضا قلعة يقال لها سعيد آباد ، « وهى على جبل شاهق
يرتقى اليها فرسخا • وكانت فى الشرك [أى فى زمن قبل الاسلام] تعرف بقلعة
اسفند باذ (أى الموضع الأبيض) » • وبها امتنع غير مرة رؤساء الفتن على
جيوش بنى أمية التى جردوها عليهم لتأديبهم • ثم استولى عليها فى خام المئة الثالثة
(التاسعة) يعقوب بن الليث الصفار ، وأعاد بناءها وأحكم حصونها « وجعلها
محبسا لمن سخط عليه » • ولعل فى قراءة اسفند باذ وهما ، فانه يكتب أحيانا
بصورة اسفنديار ، وهذا يطابق ، على ما يظهر ، اسم اسفندان فى فارس نامه
والمستوفى ، وقد كانت بقربه قرية قمسنان وكهف فى الجبل المجاور لها^(٧) •

وعلى مقربة من يسار نهر الكر ، غير بعيد عن ماين ، تقوم مدينة
وقلعة أبرج (وغالبا ما تكتب خطأ بصورة ابرج) • وقد ذكرها الاصطخرى
فى ضمن هذه الكورة • وما زال موضعها ظاهرا فى الخارطة • وفى فارس نامه
والمستوفى ان أبرج قرية كبيرة ، فى أسفل جبل قامت بعض بيوتها على منحدره •
اما قلعتها دز أبرج ، فبعضها ما أحكم تحصينه بالبناء وبعضها ما حصنته جروف
وأسنان قمة الجبل الذى تقوم عليه ، فكانت منيعة لا تقتحم • وكان لها بساتين ،
ومياها زاخرة وافرة • وذكر المستوفى مدينة أوجان أو أزجان ، وهى على
مرحلة شمال ماين ، الا انه لم يفدنا بأخبار عنها • ولعل أوجان توافق الموضع
الذى سماه قدامة حوسكان (أو حوسجان) حيث طبع الاسم خطأ بصورة خوسكان

(٧) قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ابن حوفل ١٩٧ : المقدسى ٤٣٢ ،
٤٣٧ ، ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ، ٨١ ب : المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ : ياقوت
٢ : ٥٦١ : ٣ : ٩٣ و ٨٣٨ •

لعل قلعة سعيد آباد هى منصور اناد الجالية ، وعد وصفها شندلر (H. Schindler)
فى PRGS لسنة ١٨٩١ من ٢٩٠ •

- ٣١٨ -

كما أنه صحّف أيضا في طبعة المقدسى فجاء فيها بصورة حرسكان^(٨) .

وأعدل الطرق الذهبية من شيراز الى أصفهان ، هو الطريق المنجه نحو ماين ومنها الى كوشك زرد مارا بدبه گردو ويزد خواست الى قومشه على حدّ اقليم فارس . ومن ماين يصعد الطريق في الدرب الى الشمال فيعبر نهر الكر عند قنطرة شهریار ، وبالقرب منها كانت مسلحة صلاح الدين في سهل يقال له دشت رون أو دشت روم . ويلها شمالا ، على ما في المستوفى ، درب الائم والينت (گريوه مادر ، ودختر) . ثم كوشك زرد (الجوسق الاصفر) ولله يوافق قصر أعين عد الاصطخرى والمقدسى . وكانت سهول دشت رون الكبرى والصغرى مشهورة بمراعيها . وأرضها الزراعية وافر الخصب ، وتؤتي أربع غلات في السنة ، وبسقيها نهر الكر وروافده . وأول ذكر لكوشك زرد جاء في فارس نامه ، حيث ورد في الغالب بصورة كوشك زر أي الجوسق الذهبي . والى الشمال أيضا ، بين كوشك زرد وديه گردو ، تمتد أرض أوفر خصبا وأعم مرتعا تعرف بناحية أرد أو أرد ، وأهم مدينتين فيها ، على ما في الاصطخرى ، بجه وتيسمرستان (وجاءت في فارس نامه بصورة طيمرجان) . وأشار المستوفى الى ديه گردو . وجاء في فارس نامه بصورة ديه گوز (بدل جوز) وهما يدلان على اسم قرية معناه قرية الجوز . ولم يذكر اللدانيون العرب القدماء هذا الاسم (وهو فارسي بحسب الصور التي أوردناها له أعلاه) ، ولكن يتبين من موضعه في المسالك ، ان ديه گردو الحالية تقابل اصطخران عند قدامة والاصطخرى .

وتقوم على حدود سهل دشت أرد الشرقية ، اقلید وسرمق وقرية أباده ، ثم شورستان وقرية سروسنان في منتصف الطريق بين ديه گردو ويزد خواست . وكان لاقلد قلعة حسنة ، على ما جاء في فارس نامه . وكانت مثل سرمق ،

(٨) قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٠٢ و ١٣٦ : المقدسى ٤٥٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ب ، ١٨٣ : المستوفى ١٧٤ و ١٧٩ .

لا شك في أن اسم أبرج ، على ما ورد في فارس نامه ، هو اللفظ الصحيح . أما أبرج (على ما طبع في كتابي الاصطخرى والمقدسى) فقد جاء من وهم نساخ المخطوطات ، لنقل ياقوت ذلك عنهم (١٩٠١) . والقلعة القديمة الفاتية فوى أبرج ، المعروفة اليوم باسم اشكنوان ، تذكرنا باسم شكنوان المار الذكر (في الصفحة ٣١٢) . وقد كان اسم قلعة من قلاع اصطخر الثلاث . انظر : Schindler في PRGS لسنة ١٨٩١ ص ٢٩٠ .

- ٣١٩ -

مشهورة بحقول القمح • وقد كتب المقدسى اسم سرقى بصورة جرمق • وقال فيها حسنة البناء « أخصب هذه المدن وأكثرها أشجارا » • ويكثر فيها الأتجاص الاصفر ، فبحفف ويحمل منها الى سائر البلدان • وقرية أبادة ، مرحلة فى طريق البريد الحالى من شيراز الى اصفهان ، وأول من ذكرها فارس نامه ، ثم المستوفى • وكذلك يقال عن شورستان وهى على نهر ملح يجرى شرقا الى المفازة • أما قرية سروسن فقدم قال فيها المقدسى ، فى المثة الرابعة (العاشرة) : « الجامع وسط البلد ، وفيهم ظاهرة » تحمل ماءها من الجبال المجاورة • أما يزد خواست ، المدينة التى فى شمال سروسن ، فأول من ذكرها فارس نامه ، ولكن لا ريب فى انها هى التى تحت المقدسى اسمها فجعله أذكاس • وأورد المستوفى يزد خواست مع ديه گردو ولكنه لم يصفها • وغالبا ما يكتب اسمها بصورة يزدخاس^(٩) •

أما قومته ، وقد سماها المقدسى قومسه ، فانها على ما بينا ، فى حد اقليم فارس الشمالى • وكانت فى الغالب تعد من أعمال اصفهان • وقد أشار المستوفى الى قلعة قولنجان المبنية بالطين التى كانت تحميها ، وذكر انه كان لهذه القلعة رستاق خصة • والى غرب يزدخواست ، تقوم مدينة سميرم قرب منابع نهر طاب • ويشقها الطريق الغربى من شيراز الى اصفهان • قال المقدسى فيها « بها جامع حسن محدث ناء عن الاسواق ، كثيرة الجوز والفواكه • وثم قلعة مذكورة ، فيها عين ماء • • وذكر ياقوت ان اسم هذه القلعة كان وهان زاد • والطريق الغربى الآتى من شيراز الى اصفهان ، يشق مدينة البيضاء فى سهل مرو دشت ، ثم يتابع سيره الى مهرجاناتاواذ (أو مهرجاناتاباد) • وقد وصفها المقدسى بقوله : « لها رستاق واسع ، شربهم من أنهار » • والظاهر انها كانت على ضفاف الكرّ ، أو على أحد روافده الغربية • وبين هذه المدينة وسميرم ، لم يكن من المدن المهمة غير كورد وكلاّر (على نهر الكر ، حسبما بينا) ، وهما مدينتان متجاورتان على ما قال المقدسى والمستوفى ، تشتهران بكثرة القمح وثمار بلاد الصرود • وأشار

(٩) ابن خردادبه ٥٨ : قدامة ١٩٦ ، الاصلطرى ١٠٣ و ١٣٢ : المقدسى ٤٣٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٥ ب ، ١٦٦ ، ٨٠ ب ، ١٨١ ، ١٨٣ ب - ١٨٤ ، ١ - ب : المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ : ياقوت ١ : ١٩٧ : ابن بطرطة ٢ : ٥٢ •

الاصطخرى الى حسن بنائها وقصورها . والظاهر انه لا أثر اليوم لهذين
الموضعين^(١٠).

وأقصر الطرق الثلاثة من شيراز الى اصفهان ، هو الطريق الذى وصفناه
آنفا ، المارّ بباين وسهل دشت رون ، وهو الذى سماه فارس نامه بالطريق
الشتوى . اما الطريق الصيفى ، فقد كان أطول الطرق الثلاثة وأقصاها شرقا .
وكان يمرّ باصطخر مخزقا كمين ومحاذيا قبر كورش الى ديهيد ، حيث يتفرع
من يمينه طريق الى يزد . ويواصل طريق اصفهان سيره الى الغرب ، مارا بسرمق
وقرية اباده الى يزد خواست وقومشه . وكَمَسِين وهى غير بعيدة عن ضفة نهر
بلوار الشرقية ، كانت ، على ما ذكر المستوفى ، مدينة كبيرة الشأن فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) تقوم فى رستاق خصب كثير المصح . ولها مراعى واسعة
بامتداد النهر . وفى أعلى ذلك ، عند منحى نهر بلوار ، بازاركد Pasargadae
وقبر كورش ، وقال المسلمون انه قبر أم سليمان على ما سبق بيانه ، وهذا الضريح
الملكى المربع الجوانب ، المبني بالحجر ، ما زال يرى هناك ، ويقال ان طلسمه
يحرسه . وكل من حاول السكنى داخل جدرانها باغته العمى على ما جاء فى
فارس نامه . وكان يقال لما حوله من مراعى ، مرغزار كالان . أما ديهيد « قرية
الصفصاف » فانها المرحلة التالية فى شماله ، حيث يتشعب الطريق . وهى التى
ذكرها المقدسى وغيره من البلدانين العرب باسم قرية البيذ . والى شمالها أيضا ،
فى نحو من نصف الطريق بين اصطخر ويزد ، تقوم مدينة أبرقوه .

وأبرقوه ، أو أبرقويه ، - وتختصر أحيانا الى برقوه - قد قال فيها ابن
حوقل ، انها مدينة محصنة^(١١) « تكون نحو الثلث من اصطخر » ، ولها أسواق
عامرة . وذكر المقدسى ان لها جامعا جيدا . وقال المستوفى ، ان أهلها من الصناع

(١٠) الاصطخرى ١٢٦ : فارس نامه ٦٦ ، ٨٤ - ب ، المقدسى ٣٨٩ ، ٤٣٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ :
المستوفى ١٧٥ : ياقوت ٣ . ١٥١ : ٩٤٢ .
ومما يحسن أن نشير اليه ، ان المقدسى ، فى وصفه المسالك (ص ٤٥٨) قد اشار الى
كورد وكلاز ، وكان الواحدة جنب الاخرى . اما فارس نامه ، فقد ذكر فى المسالك (الورقة ٨٤ ب)
ان كلاز على حصة فرامخ من شمال كورد .
(١١) القول للمقدسى (ص ٤٣٧) (م) .

- ٣٢١ -

وتنقل رسايتها كثيرا من القمح والقطن ، وزاد على ما تقدم ان لجوها مزبة خاصة هي ان اليهودى لا يبقى فيها حيا اذا جاوز مكته فيها أربعين يوما ؛ ومن ثم لا تجد فى أبرقوه يهوديا . ووصف المستوفى قبرا فى المدينة نفسها لولي مشهور يسمى طاووس الحرمين (مكة والمدينة) . ومن الامور الشائعة عن هذا القبر ، انه لشدة تواضع صاحبه ، يأبى الصر ان يرتفع فوفه سقف ومع ان كثيرين أقاموا سقفا فوق القبر مرارا الا انه تهدم بعدة خارقة على ما ذكر المستوفى ، حتى لا يكون من عظام الولي ما يعبد الناس له . وكان بالقرب من أبرقوه فرنة مراغة (أو فراغة) وفيها أشجار السرو العظيمة المشهورة فى سائر البلدان بأنها أكبر وأحسن حتى مما فى بلخ أو كشمير فى فهستان^(١٢) .

أما يزد ، فقد كانت تعرف فى قديم الزمان باسم كته . وقد انتقل هذا الاسم حين غلب اسم يزد على المدينة الى ناحيتها ، فقبل لها حومة يزد أو جومة يزد . ووصف ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) مدينة يزد بقوله « الغالب على أبنيتها آراج الطين ، وبها مدينة محصنة بحصن ، وللحصن بابان من حديد ، ويسمى أحدها باب ايزد والآخر باب المسجد لقربه من الجامع ، وجامعها فى الربض » ولها نهر يخرج من ناحية الجبل الذى عليه القلعة ، ورستاقها يشمل على رخص ، وهى على طرف المقارة ، وثمارها كثيرة تحمل الى أصبهان . وبالقرب منها « معدن الآتك »^(١٣) . وتكلم الفزوينى وغيره على حريرها بقوله : « بها صنّاع الحرير السندس فى غاية الحسن والصفافة ، يحمل منها الى سائر البلاد » . وزاد المستوفى على ذلك ان ببناء المدينة من اللبن ، وهو يدوم هنا دوام الآجر فى سائر البلاد ، اذ يندر أن يهطل المطر فيها ، غير ان مباحها وافرة ، من القني الآتية

(١٢) الاصطخرى ١٢٩ : اس حومل ١٩٦ : المفدى ٤٣٧ و ٤٥٧ : فارس نامه ٨١ ب ، ٨٤ ب : المسوفى ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ٢٠٠ : جهان نما ٣٦٦ -
وظاهره نبر لا بة عليه ، فد وصفها أيضا ابن بطوطة (١١٣ : ٢) فى كلامه على قبر ابن حبل بغداد . وللبروسور جولدسيهر ، ملاحظات نافعة على هذه الحرافة القريبة فى كتابه :
Muhammedanische Studien (١ : ٢٥٧) .
(١٣) جاء فى طعة ابن حومل لسنة ١٩٣٩ (٢ : ٢٨٠) والعاشية) : فى الاصل باب اندور وكتبه ناشر الطعة الاولى بصورة ايرد تبعا لياقوت .
أما معدن الآتك فهو الرصاص الابيض . واللفظة فارسية . (م) .

- ٣٣٣ -

من الجبل • وفي كل بيت حوض للماء •

وعلى مرحلة من شمال يزد ، أنجيرة « قرية التين » • ثم فى المرحلة الثانية خزانة (وقد طبعت وهما : خزانة) وهى قرية كبيرة • « بها زرع وضرع وبساتين وكروم » • وعليها قلعة فوق جبل قريب منها • وفى المرحلة الثالثة ، على حدّ المفازة ، ساغند • وساغند ، على ما ذكر ابن حوقل ، « قرية فيها نحو اربعمئة انسان ، وعليها حصن • لها عين ماء جار يزرع عليها ، وعليها قني وبساتين عامرة » • أما المدن الثلاث : ميبّله وعقدة ونايين ، فانها فى شمال غربى يزد ، تلي احداها الاخرى على حدّ المفازة • وهى تعد فى الغالب من أعمال يزد ، وان ألحق بعض المصنفين مدينة نايين باصفهان • وكان على ناين قلعة ، ومحيط أسوارها ٤٠٠٠ خطوة ، على ما ذكر المستوفى • على ان مراجعنا لم تصف هذه المواضع ، بل اقتصر على ذكر اسمائها^(١٤) •

وعلى نحو من ٧٥ ميلاً جنوب يزد ، فى نصف الطريق بين هذه المدينة وشهر بابك ، مدينة أنار • وتبعد عنها بهرام آباد ستين ميلاً باتجاه الجنوب الشرقى • وكلتا هاتين المدينتين معدودة اليوم من أعمال اقليم كرمان • غير ان هذه الناحية جميعها كانت فى القرون الوسطى تؤلف قسماً من اقليم فارس ، وكان يقال لها الرودان • والمدن الثلاث المهمة فى هذه الناحية هى : أبان (اليوم : أنار) وأذكان وأناس (بالقرب من بهرام آباد)^(١٥) •

(١٤) الاصطخرى ١٠٠ : ابن حوقل ١٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ : المقدسى ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ : المعزى ٢ : ١٨٧ : المستوفى ١٥٣ : ياقوت ٣ : ٦٩٤ ، ٤ : ٧١١ و ٧٣٤ •

(١٥) ذكرت مراجعنا ان أبان كانت على ٢٥ فرسخاً من الفهرج (وهى على خمسة فراسخ من جنوب شرقى يزد) ، ومدينة الرودان على ١٨ فرسخاً من أبان • وكانت أناس على مرحلة قصيرة أو يريدين من الرودان • والى ذلك ، فان أناس على مرحلة طويلة ومرسخين (أى يريد واحد) من يمسند • وبمسند على أربعة فراسخ غرب السيرخان • وكان من الرودان الى شهر بابك مسيرة ثلاثة أيام • فمسيرة اليوم الاول الى قرية الحال • وهذه المسافات ترىنا ان موضعى أنار وبهرام آباد الحديثتين يوافقان بالتعاقب ما كان يعرف فى القرون الوسطى بأبان وأناس • أما مدينة الرودان التى بطن بها الموطن المسمى أذكان ، فقد كانت اذا بين الاثنتين بالقرب من قرية كلناباد الحالية : الاصطخرى ١٣٥ و ١٦٨ : ابن خرداذبه ٤٨ ، المقدسى ٤٥٧ و ٤٧٣ •

وقد راد ياقوت الامر تمقيدا ذكره (٣ : ٩٢٥) ان مدينة أنار توافق أناس وذلك غير واقع بالنظر الى المسافات التى بينها ، ولعل أنار هنا ليست الا من وهم التساح فى كتابة اسم أناس التى عدّها فى مادة اخرى (١ : ٣٦٧) من أعمال اقليم كرمان •

أما أناس قصبة الناحية فهي على ما ذكر الاصطخرى نحو من أبرقوه في الكبر .
وتكلم المقدسى على جامعها ، فقال : « بها جامع لطيف حسن يصعد اليه بدرج » .
وقال ان بها حمامات وبساتين حسنة « وليس بها ربض ، وقد أحاطت بها الرمال » .
وحصن أناس منيع بشماية أبواب ، سرد المقدسى اسماءها ، فانه زار هذا الموضع .
و « هي معدن القصارين والحاقة » . ويقال ان ناحية الرودان كانت نيفا وستين
فرسخا مريعا وكانت في أول أمرها ، كما هي اليوم ، من أعمال كرمان . الا انها
في المئة الرابعة (العاشرة) أضيفت الى فارس . وقد دام هذا التنظيم على ما في
فارس نامه الى أيام ألب أرسلان السلجوقي الذي بعد أن تم له الاستيلاء على هذه
الديار في منتصف المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، أعاد الحاق الرودان نهائيا
بكرمان (١٦) .

وبين الرودان وشهربابك ، المدينة الصغيرة ديه أشتُران ، وهي بالعربية قرية
الجهال . وذكر المقدسى : « لها جامع به منارة طويلة ، والنهر تحت البلد ،
وحولها بساتين حسنة » . أما شهر بابك فمعناها مدينة بابك أو بابك ، وهو أبو
أردشير أول ملوك الساسانيين . وكانت تعد في إقليم كرمان . وما زال هذا الموضع
قائما ، وذكره الاصطخرى والمقدسى وغيرهما ، الا انهم لم يأتوا بوصف له .
وقد عدها المستوفى من كرمان ، وقال يكثر فيها القمح والقطن والتمر . وعلى
مرحلتين من غرب شهر بابك ، في الطريق الى اصطخر ، المدينة الصغيرة هراة
التي جمع صاحب فارس نامه بينها وبين صاهك (وقد مرّ ذكرها في صفحة
٣١٤) . قال الاصطخرى فيها ان هراة كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر
من أبرقوه . ويحمل منها ، على ما في المقدسى ، سائر الفواكه لاسيما التفاح
والزيتون . ولها أسواق عامرة ، وفيها جامع حوله طرق . ولها نهر كبير يتخلل
بساتينها . ولمدينة هراة باب واحد . وذكر المقدسى ان « قَرَعَا » مدينة صغيرة بقرب
هراة . وذكر الفزويني ، وقد كتب في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ان في

(١٦) الاصطخرى ١٠٠ ، ١٢٦ ؛ المقدسى ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٦٢ ؛ فارس نامه ٦٤ ب ؛ ياقوت

٨٣٠ : ٢

ما رالت أنار ذات خيرات كثيرة تزيد علتها من العمع عن حاجتها فيحمل منها الى سائر الجهات .

- ٣٢٤ -

هراة تكثر أشجار الغبراء ، وقال : « قالوا ان نساءها يقتلن اذا أزهرت أشجار الغبراء » • والى جنوب شرفى صاهك ، على حد كورة دار أبجرى ، مدينة قطر ، وهى ما زالت على شىء من المكانة • وفيها ، على ما ذكر فارس نامه والمستوفى (وقد كتب اسمها بصورة گدرو) ، معدن الحديد الجيد (١٧) •

(١٧) وجد ميجر سايكس (Major Sykes) بالقرب من شهر يابك ، بقايا بيت نار -
 انظر : Ten Thousand Miles in Persia ص ٧٨ -
 الاصطخرى ١٠٢ : ابن حوقل ١٨٢ : المقدسى ٥٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٥٥ :
 فارس نامه ٦٦ أ ، ٦٨ أ : ياقوت ١ : ٧٥ و ١٧٨ : المستوفى ١٧٥ و ١٨٢ : القزوينى ٢ : ١٨٦ -
 تنصابه تهجئة اسم قرية هراة مع هراة المدينة المشهورة لى خراسان •

الفصل العشرون

فارس «تتم»

كورة دار أبجد او كورة شبانكاره - مدينة دار أبجد - دركان وايك -
 نيريز واصطهبانات - فسا وروليز وخسو - لاد وفرج -
 طارم - سورو - تجارات فارس وصناعاتها -
 مسالك افليم فارس .

كانت كورة دار أبجد ، أبعد كور فارس الخمس الى الشرق . وهى تكاد
 تطابق ولاية شبانكاره التى سلخت من فارس أيام السيادة المغولية وتألف منها
 حكومة قائمة بنفسها . وقد كانت شبانكاره ، على ما ذكر صاحب فارس نامه ،
 (وهو على كل حال لم يطلق هذا الاسم على كورة دار أبجد) ، قبيلة انحدرت
 من فضلو به وهى أسرة ديلمبة الاصل ، كان أبناؤها على مذهب الاسماعيليه من
 فرق الشيعة . وفى أيام السلاجقة ، تغلبت قبيلة شبانكاره والاكراذ على الاتابك
 جاولى . وبعد انهيار الدولة السلجوقية ، اسنولت قبيلة شبانكاره على القسم الشرقى
 من اقليم فارس ، فنسب اليهم . وقد ذكر ماركوپولو ولاية شبانكاره تحت اسم
 سنكاره (Soncara) فقال انها سابعة الممالك الثمان حسب تقسيمه لبلاد فارس
 ومهما يكن من أمر ، فقد بطل هذا الاسم أيضا . وهى تعرف اليوم باسم
 دار أبجد^(١) .

(١) انظر سر يول Sir H. Yule : The Book of Ser Marco Polo
 (لندن ١٨٧٤ الطبعة الثانية) ١ . ٨٤ . (بقية الحاشية فى الصفحة الآتية) .

- ٣٢٦ -

وقد كانت قصبة هذه الكورة أيام الخلافة ، مدينة دار أبجرد ، أو دار أبسگرد . وصفها الاصطخرى بقوله « عليها سور عامر ، وعليها خندق ، ولها أربعة أبواب ، وفي وسط المدينة جبل حجارة » . وقال المقدسى « والمدينة دورها فرسخ مكسر ، ذات بساتين ونخيل ، حسنة الاسواق ، ولهم آبار وقنى » وكان بالقرب من دار أبجرد قبة المومياء المشهورة وعلى هذه القبة باب حديد يفتح مرة فى السنة ويدخله عامل السلطان فيجمع ما نزل فى تلك السنة من المومياء ، ثم يجعل فى صندوق ويختم عليه ويبعث به الى شيراز ل يستعمله الملوك^(٢) . وفى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) حل الخراب فى أكثر مدينة دار أبجرد ، على ما فى فارس نامه . وان بقى فى وسطها حصن منيع . وكانت حولها مراعى مشهورة تعرف بمر غزار دار ابجرد . وبناحية دار أبجرد جبال من الملح بسبعة ألوان يؤخذ منها الملح^(٣) . وذكر المستوفى انه كان قريبا من دار ابجرد درب منيع حصين عليه قلعة عظيمة يقال لها تنك زينه^(٤) .

وحين حكم الشبانكاره دار ابجرد ، نقلوا قصبة الولاية الى داركان (أو زركان) وفى شمالها كانت تقوم قلعة ايگ (أو أويگ) . أما البلدانون العرب فانهم ذكروا هذين الموضعين فى المثة الرابعة (العاشرة) وسموها الداركان أو الداراكان وايچ . وقال الاصطخرى كان فى كل منهما منبر . أما المستوفى

ورددت شبانكاره فى تاريخ ابن الاثير (١٠ : ٣٦٢) بصورة الشوانكاره . أما من حارب الاتابك حولى من رؤساء هذه القبيلة فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) فقد كان لظلمه وأشائه خسرو ، ولعل كتابه فارس نامه للاسم الاخير بصورة حسويه أصوب (بدلا من حسويه) .

(٢) أما ما قاله المقدسى (ص ٤٢٨) فهو : « على قبة المومياء باب حديد ، وقد وكل رجل بحفظه ، فإذا كان شهر مهرماه ، صعد العامل والقاضى وصاحب البريد والعدول ، وأحضرت المفاتيح وفتح الباب ، ثم دخل رجل عريان ، فيجمع ما نزل فى تلك السنة ، ولا يبلغ رطلا على ما سمعت من بعض العدول ، ثم يجعل فى شيء ويختم عليه . ويبعث مع عدة من المشايخ الى شيراز ، ثم يفصل الموضع . فكل ما ترى فى أيدي الناس ، فاسما هو معجون بذلك الماء ، ولا يوجد الخالص الا فى خزائن الملوك » . (م) .

(٣) قال الاصطخرى (ص ١٥٥) . « وبناحية دار ابجرد جبال من الملح الابيض والاصفر والاخضر والاسود والاحمر ، تحت من هذه الجبال موائد وغير ذلك وتدخل الى سائر المدن » . (م) .

(٤) الاصطخرى ١٢٣ و ١٥٥ : المقدسى ٤٢٨ ، فارس نامه ٦٨ ب ، ٨١ أ ، ٨٦ ب ؛ المستوفى ١٨١ .

وذكر ابن الفقيه (ص ١٩٩) ان قبة المومياء أو قبة تشبهها ترى بالقرب من أرجان (انظر ص ٣٠٥ أعلاه) .

- ٣٢٧ -

فقد كتب الاسم بصورة زر كان وسمى القلعة بقلعة أويك ، وقال ان هذه الناحية كانت وافر الخصب ، يكثر فيها القطن والقمح والتمر وغير ذلك من الفواكه . وذكر أيضا أن قبيلة خسويه كانت أول من أحكم تحصين قلعة أويك في أيام السلاجقة . وزاد ياقوت عليه ، ان فواكهها كانت تجلب منها الى جزيرة كيش . (أى قيس) .

والى شمال شرقى ايج ، مدينة وناحية نيريز (أو نيريز) ، وهى فى الطرف الشرقى من بحيرة البختكان ، وقد سرى اسم المدينة حينا على البحيرة . وقال المقدسى ان « نيريز كبيرة ، الجامع الى جانب السوق » وما زالت ترى أطلال هذا الجامع عليه مكتوب سنة ٣٤٠ (٩٥١) . وعند ساحل البحيرة مدينة خير (وجاءت أيضا بصورة خيار والخيره) ، وقد ورد ذكرها من المثة الرابعة (العاشرة) فما بعدها بأنها مرحلة فى الطريق المحاذى لجانب بحيرة البختكان الجنوبى ، الذهاب من شيراز الى كرمان . وأطلق المستوفى وفارس نامه على الناحية التى حول خيره اسم ميشكانات ، وكانت مشهورة بالكشمش ، وكان على كل من نيريز وخيره قلعة حصينة^(٥) .

وفى نصف الطريق بين خيره وايج ، مدينة اصطهبانات ، وقد كتب البلدانون العرب هذا الاسم أيضا بصورة الاصطهبانات وأحيانا الاصهبانات ، فاختصره الفرس الى اصطهبان . وصف المستوفى هذه المدينة بأن الاشجار تلف عليها ، وبجوارها قلعة حصينة خربها الاتابك چاولى ، ثم أمر بعد ذلك بتجديدها . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولت قبيلة خسويه على القلعة .

اما مدينة فسا ، ويلفظها الفرس فسا ، فقد كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) ثاية المدن فى كورة دار أبجرد وتقارب شيراز فى الكبر . كانت حسنة البناء ، وأكثر الخشب فى أبنيتهم السرو ، صحبة الهواء ، أسواقها عامرة عليها حصن وخندق ، ولها ربض واسع بمتد خارج أبواب المدينة وفيها الرطب والجوز والامرج

(٥) الاصطخرى ١٠٧ و ١٠٨ و ١٣٢ و ١٣٦ و ٢٠٠ ؛ المقدسى ٤٢٣ و ٤٢٩ و ٤٤٦ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٦٨ ب ، ٦٩ ب ؛ المستوفى ١٨١ ، ياقوت ١ ، ٤١٥ ؛ ٢ ؛ ٥٦٠ . وانظر كابن لوفيت Lovett فى JRGs لسنة ١٨٧٢ ص ٢٠٣ .

- ٣٢٨ -

وغير ذلك . وقال المقدسي : « الجامع فيها من آجر ، له صحنان ، على عمل جامع مدينة السلام » . وقال صاحب فارس نامه ان فسا تقارب اصفهان في الكبر . خربت بها قبيلة شانكاره ثم أعاد بناءها الاتابك چاولي . وزاد المستوفى على ذلك ، ان المدينة كانت تسمى قديما ساسان ، وكانت مبنية بهيئة مثلث . مياهها وافرة تحمل إليها بئني وليس فيها آبار . وكانت شق مسكاهان وشق رودبال (رودبار) من أعمالها . وبالقرب منها قلعة خوادان المنيعه ، فيها حياض عظيمة للماء^(٦) . ومدينة كُرم ، على بضعة أميال شمال فسا في الطريق الى سروسن ، على ما وصفت به في كتب المسالك . وكانت ناحيتها وناحية رونيز (أو روبنر) من أعمال فسا ، على ما جاء في فارس نامه . وتؤلف الاخبار قسما من ناحية خسو التي ذكر المقدسي انها على مرحلة جنوب غربي دار ابجرد في الطريق الى جويم أبي أحمد (أنظر الصفحة ٢٩٠ أعلاه) . وقد أورد البلدانون الاقدمون هذا الاسم بصورة رونيج (أو روبنج) . ولعل هذه المدينة تطابق خسو (أو كسو) الحالية . وقال المستوفى في كرم ورونيز انهما مدينتان هواؤهما حار كثيرا الماء . وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت ناحية خسو (أو خسو) توغل نحو الشرق لانيها كانت تشتمل ، الى رونيج ، على مدن رسنق الرستاق وفرج وطارم . وعد المستوفى خسو من أعمال دار ابجرد^(٧) .

والى الجنوب من رونيز ، المدينة الصغيرة يزد خواست ، وقد ذكر المقدسي وياقوت انها من كورة دار ابجرد . والى جنوب هذه المدينة ، مدينة لار . ولم يذكر أحد من البلدانين العرب القدماء لار ، كما لم ترد في فارس

(٦) الاصطخرى ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣٦ ، المقدسي ٤٢٣ و ٤٣١ و ٤٤٨ : فارس نامه ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ب ، ١٨٣ : المستوفى ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨١ ، جهان نما ٢٧٢ .
(٧) ابن حرداذبه ٥٢ : الاصطخرى ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٣٢ : المقدسي ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ : فارس نامه ٦٩ ب : المستوفى ١٨١ .

والظاهر أن تهجئة الاسم بصورة رونيج وهي ما أخذ به ناشر كتاب المقدسي ، مد استند فيها الى ياقوت (٢ : ٨٢٨) فانه ضبط تهجئة الاسم حرفا حرفا . وجاءت في مخطوطات فارس نامه والمستوفى بصورة رونيز (عوضا عن رونيج وهي تهجئة ترجع الى زمن اقدم) وكانت ما رالت اسم ناحية في تلك الجهات حينذاك . وعلى هذا ينبغي ان « رونيج » بحسب ورودها في المطبوع من الاصطخرى والمقدسي قد تكون من وهم النساخ وانه بتغيير طفيف في نقاط الحروف تقرأ رونيج او روبنر بدلا من رونيج هرونيز .

نامه ، الذى يرقى الى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) • وأول من تكلم على
الار من المصنفين ، المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
قال ان لار اسم ولاية على البحر ، أغلب أهلها من التجار الذين يجوبون البحر
كثيرا • وكان يسمو فيها القمح والقطن والتمر • وقد زار ابن بطوطة معاصره مدينة
لار فى نحو سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ووصفها بقوله : « مدينة كبيرة كثيرة العيون
والمياه المطردة والبساتين ، ولها أسواق حسان » • وصارت لار فى أيام شاه شجاع
المظفرى فى خام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ثم فى أيام الامراء التيموريين ،
مدينة لضرب النقود ، وهذا بدلنا على انها كانت حينذاك موضعا على شئ غير قليل
من الكبر والشأن •

أما فُرك ، وهى على ثلاث مراحل من جنوب شرقى دار ابجرد ، فانها ما
زالت من المدن الكبيرة • ذكر المقدسى ، وقد كتبها بصورة فُرج ، ان بجانبها مدينة
برك • ويظهر ان هذين الاسمين لم يأتيا الا من اختلاف قراءة اسميهما الفارسيين
الاولين • ومدينة بُرك « فى هودة على فرسخين من الجبل » والجامع على جانب
السوق ، حسن نظيف • أما جارتها فرج فقد كان لها قلعة على تل ، وكانت فى المئة
الرابعة (العاشرة) مدينة غير كبيرة « الا ان بها جامعا وحماما » ، والماء فيهما كثير •
ومن الطبيعى ان يقع اللبس فى اسمى هاتين المدينتين فيطلق اسم احدهما على
الآخرى • وكتب فارس نامه هذا الاسم بصورة پرك وقال انه كان للمدينة قلعة
مكنية لا تقنح مبنية بحجارة غاية فى الكبر • وزاد المستوفى على ذلك انه كان
يكثُر فى بُرك (على ما كتب الاسم) القمح والتمر • أما رستاق الرستاق ، فقد
وصفها المقدسى بقوله « صغيرة ليس لسوقها ذاك الكبر » الا ان رستاقها أربعة
فراسخ فى مثله « وهى على مرحلة شمال غربى فرج فى الطريق الى دار ابجرد^(٨) •
ومدينة تارم ، وتلفظ أيضا طارم ، على اسم ناحية فى إقليم الجبال (أنظر
الصفحة ٢٦٠ أعلاه) ، على مرحلتين شرق فرگ فى الطريق الى ساحل البحر •

(٨) المقدسى ٤٢٨ و ٤٥٤ الحاشية II : فارس نامه ١٦٩ ، ١٨٣ : المستوفى ١٨١ : ياقوت

٢ : ٥٦٠ : ابن بطوطة ٢ . ٢٤٠ •

والظاهر ان مدينة بُرك ، توافق القلعة المدينة بهمن وهى ذات ثلاثة أسوار وخندق ، وكانت
على نحو من ميل جنوب مدينة فرك الحالية • أنظر . سنالك Stack فى Persia ١٠٦٠ ٧٥٦ •

أشار المقدسى إليها فقال : « تارم : جامعهم ناء عن السوق ، وشربهم من شعبة نهر يدخل عليهم ، لهم بساتين ونخيل ، وبها غسل كثير » • وعلى ما فى فارس نامه ، كانت تارم تقارب فرج فى الكبر لها قلعة قوية فيها حياض للماء كثيرة • وكان طريق القوافل يخرج من طارم آخذا صوب الجنوب الى الساحل حيث ميناء سورو أو شهره مقابل جزيرة هرمز • وقد سمي المستوفى هذا الميناء بتوسر ، الا ان قراءته غير مضبوطة • وتكلم البلدانيون العرب على سورو ، فقالوا انها قرية « بها صيادون ، ولبس بها منبر » • وشرب أهلها من آبار حفرت فى جبل قريب منها^(٩) • وزاد المقدسى على ذلك ان سورو « قد بدت تعمّر لان حمولات عمان إليها » وقال هى مدينة « بحرية صغيرة على رأس حد كرمان »^(١٠) •

أما تجارات وصناعات إقليم فارس فقد عني بوصفها فى المثة الرابعة (العاشرة) الاصطخرى والمقدسى • ففى هذا الزمن كانت مدينة سيراف أجل فرضة فى فارس على ساحل الخليج ، على ما قد بينّا • فاليها كانت تقع أمتعة البحر وما يجلب من الهند من الاشياء النادرة والتمينة التى كان يقال لها بالعربية بر بهار • وسرد الاصطخرى ما يرد الى سيراف ، بقوله : « يقع اليها من أمتعة البحر من العود والعنبر والكافور والجواهر والخيزران والعاج والآبنوس والفلفل والصندل وسائر الطيب والادوية والتوابل » التى تحمل من الهند • ويرتفع من سيراف الفوط وأزر الكتان ، وكانت سوقا كبيرة للؤلؤ •

وقد ذاع صيت فارس فى كل زمان بما يعمل فيها من العطور وماء الورد يشتى صنوفه ، ولا سيما المعمول من الورد الاحمر وهو يكثر فى رساتيق جور أو فيروز اباد • وكان ماء الورد ، على ما ذكر ابن حوقل ، يحمل الى سائر البلدان لاسيما الى الهند والصين وخراسان والمغرب والشام ومصر • ويرتفع من جور أيضا ، الى ماء الورد ، ماء الطلع وماء القيصوم وماء الزعفران وماء السوسن وماء الخلاف • ويعمل بسابور ، على ما جاء فى المقدسى ، عشرة أدهان : « دهن بنفسج

(٩) قال المقدسى (ص ٤٢٧) • « شربهم من ماء يقبل من الجبل ، فليجتمع لى موضع ، لذاذا انقطع حفروا ذلك الموضع نحو خمسة أذرع فيخرج عليهم ماء حلو » • (م) •

(١٠) الاصطخرى ١٦٧ : ابن حوقل ٢٢٤ : فارس نامه ٦٩ : المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٩ : المسعودى

- ٣٣١ -

ونينوفر ونرجس وكارده وسوسن وزنبق ومرسين ومرزنجوس وبادرلك
ونارنج ، وتحمل هذه الادهان الى سائر آفاق المشرق .

وكانت لبسط فارس وثيابها الموشاة شهرة بعيدة في كل العصور . وفي
الشرق حيث كانت الثياب تدل على منزلة الشخص وعلو مقامه ، كان للسلطان في
كل بلد من فارس طراز يوشى فيه اسمه وطغراؤه . وكانت أشهر هذه الطرز
ترتفع من توتج ، وكان يرتفع كذلك من فسا أنواع من الثياب بها طراز الوشى
مذهبا ، منه ما كان أزرق كلون الطاووس وأخضر ، يعمل ذلك كله للسلطان .

أما تجارات فارس الأخرى ، فيحسن أن نصفها بحسب المدن التي تعمل
فيها . فمن شيراز يرتفع « الأكسبة البَر » كائنات والمَنِيرَات والأبراد الجياد ، ويعمل بها
خز وديباج وقصب وحلل . ويرتفع من جَهْرَم « البسط والتخاخ والستور
والمصليات »^(١١) هذا الى الادهان التي ترتفع منها على ما ذكرنا . ويرتفع من
سابور الادهان من كل جنس وقصب السكر والاترج والجوز والزيت والفاواكه
والصفصاف . ويرتفع من كازرون ودريز ثياب كتان وثياب القصب على عمل الديبقي
المصرى ، والمناديل المخملة . ومن الفندجان ، قصبة دشت بارين ، البسط والستور
والمقاعد ، وبها طراز للسلطان . ويرتفع من أرتجان الدوشاب يعمل من الزيب
ويقال له أيضا الدبس . ويرتفع منها أيضا « الصابون والقوط وثياب الكندكية » .
وكان يحمل الى أرتجان ما يقال له البريهار . ويحمل من فرضة مهربان « الاسماك
والتنمر والقرب الجباد » ومن سينيز « ثياب تشاكل القصب » . ويرتفع منها أيضا
الكتان وكذلك من جَنَابَة .

ويرتفع من اصطخرالْأُزُر^(١٢) . ومن الروذان ثياب جياذ والشمشكات
(نوع من الخفاف) والْقَـرَب . ويحمل منها التوابل . ومن يزد وأبرقوه ثياب
القطن .

(١١) جاء في تاج العروس (٢ : ٢٨٢) : « النخ . بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ،
وهو فارسي معرب ، وجهه نخاخ » . والمصليات . واحدها المصل وهو السجاد الصغير الذي يصل
عليه . (م) .

(١٢) ما في المقدسي (ص ٤٤٣) : الارز (م) .

ويرتفع من دار أبجرد « كل شيء نفيس من الثياب المرتفعة والوسط والدون وما يشاكل الطبرسناني والبسط الجبدة والحصر » • ويحمل منها دهن الرازقي والطيوب والبرز الكثير • ويحمل من أبرجان ودار أبجرد المومياء على ما قد بينا • وقال الاصطخرى « ویدار ابجرد سمك بالخندق الذى يجبط بالبلد ، لا شوك فيه ولا عظم ولا فقار ، وهو من ألد السموك » • ويرتفع من فُرَج « الثياب والبسط والستور والدبس الجيد والبرز والكتان » • ومن طارم « الدوشاب والقرب والدلاء الحسان » • ويرتفع من فساتيب الشعر والقز والبسط والزلالى والقوط والمناديل والستور المذهبة المعلمة وبرز الهان والعصفر والفروش والخركاهات^(١٣) • وأخيرا ، بفارس ، على ما ذكر ابن حوفل ، الفضة فى نائين والحديد والزئبق فى جبال اصطخر ، وكذلك فى نواح مختلفة من فارس معدن الاتك والصفرة والكبريت والنفط • ولبس بها ذهب^(١٤) • وبفارس أصباغ من مخلف الانواع ، فكثر فيها الصباغون وعملهم صيغ الثياب^(١٥) •

أما الطرق فى فارس ، فقد أسهبت فى وصفها جملة كبيرة من المراجع العربية والفارسية ، وذكرت مسافات هذه المسالك بالفراسخ بوجه عام • على ان ما يؤسف عليه ، ان يعقوبى ، وهو من أحل مراجعنا فى المسالك ، ينفرد كل الافتقار الى ما يتعلق بفارس منها • ولم يوفر لنا ابن رسته كثيرا فى هذا الباب • وأول الواسفين لهذه المسالك ، ابن خرداذبه وقدامة فى المئة الثالثة (التاسعة) ، ثم الاصطخرى والمقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) • وفى مطلع المئة السادسة عني مؤلف فارس نامه الفارسى بذكر مسالك فارس عناية فائقة ، فلم يترك منها شاردة ولا واردة • فلهذا الكتاب قيمة جليلة الشأن فى جغرافية اقليم فارس خلال تلك الحقبة ، ما أحوجنا الى مثلها لسائر بلاد ايران • وقد دون المستوفى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وهو مؤلف فارسى أيضا ، ما أحدثه الفتح المغولى من

(١٣) الخركاهات واحدها الخركاء وهى الخبجة الكبيرة - فارسية معربة • (م) •

(١٤) فى ابن حوفل (٢ : ٣٠٠) • « وبها معدن ذهب » - اما الاصطخرى (ص ١٥٥) فقد قال : ولا أعرف بها معدن ذهب • (م) •

(١٥) الاصطخرى ١٥٢ - ١٥٥ ، ابن حوفل ٢١٣ - ٢١٥ ؛ المقدسى ٤٤٢ - ٤٤٣ •

- ٣٣٣ -

التبدلات • ثمّ في ختام هذه المثة ، أسهب علي الزدى في وصف زحف تيمور من الاهواز الى شيراز ، وهي تقع على طريق من أهم الطرق •
تنشعب طرق هذا الاقليم كلها من شيراز • ومن الاوفق ان نبدأ بالطرق
الذاهبة الى ساحل البحر • فان سيراف وجزيرة قيس ثم جزيرة هرمز ، وقد
أضحت كل واحدة منها بالنعاقب أهم فرضة على خليج فارس ، كانت الطرق
تؤدي اليها ، على نحو ما هي عليه اليوم طرق القوافل والبريد المنحدرة الى بوشير
التي بلغت اليوم شأو هرمز في القديم • فأبعد هذه الطرق شرقا ، الذاهبة الى
الساحل ، كان الطريق المؤدى الى الفرضة المقابلة لجزيرة هرمز • ومنها يحاذي
الساحل ، فينتهي الى مدينة هرمز • وسنأتى في الفصل الثاني والعشرين على
وصف هذين الموضعين • فاذا بارح الطريق شيراز ، مرّ بسروستان وفسا الى دار
ابجرد وفرج وطارم • فاذا دار الى الجنوب فانه كان يصل قديما الى مدينة سورو
أو شهرو أو على ما سماها به المستوفى توسر • ونشأ في أيام الصفويين ، غير بعيد
منها ، بندر عباس ، وهي ما زالت قائمة ، على ما سيأتى بيانه ، وقد انتهت اليها
صفة هذا الطريق في خمسة من مراجعنا^(١٦) •

وثاني هذه الطرق ، الطريق الآخذ من شيراز جنوبا ، وكان ينتهي في
الآزمنة الاولى بسيراف • ولكن بعد خراب هذه الفرضة سلكت القوافل طريقا
يتفرع منه في منتصفه فيتجه الى الجنوب الشرقي نحو الساحل • وكان هذا
الطريق الجديد ، ينتهي الى الفرضة المقابلة لجزيرة قيس ، وهو الطريق الذي
وصفه المستوفى • وذكر المقدسى أيضا طريقا مهما آخر يخرج من دار أبجرد
على طريق هرمز ، يتجه نحو الجنوب الغربي الى سيراف ، وكان يقاطع الطريق
من شيراز الى جزيرة قيس الذي وصفه المستوفى بعد هذا الزمن • وكل هذه
الطرق البادئة من شيراز كانت تمر بكوار الى جور أو فيروز اباد وكان فيها يتفرع
الطريق القديم ذات اليمين منحدرًا الى سيراف • والطريق الذي جاء ذكره في
فارس نامه ، ينعطف في فيروز اباد الى اليسار فيمر بكارزين الى لاغر ، ومنها

(١٦) ابن خردادبه ٥٢ و ٥٣ ؛ الاصطخرى ١٣١ و ١٣٢ و ١٧٠ ؛ المقدسى ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛

فارس نامه ٨٥ ؛ المستوفى ٢٠٠ •

- ٣٣٤ -

يأتي الى كران وينتهي بسيراف • أما طريق المستوفى ، فانه اذا بارح فيروزاباد ، اتجه شرقا بضعة فراسخ ، ثم انحدر مثل طريق فارس نامه الى لاغر ، وفيها يتفرع نحو الجنوب الشرقي ونحو اليسار فيمرّ بفارياب ثم بالمفازة الى هزو وهي الفرضة المقابلة لجزيرة قيس • ولا يرى وصف هذا الطريق من لاغر الى هزو الا في المستوفى يا للأسف • وقراءة ما جاء في المخطوطات عن أسماء مراحل لا يركن اليها في الغالب • والظاهر أيضا انه لم يسلك هذا الطريق أحد من السياح المحدثين. ليتسنى لنا تصويب قراءة هذه الاسماء ، فبقيت خوارطنا خالية من ذكرها • ويمر الطريق من دار ابجرّد ، على ما وصفه المقدسي ، بجوّم أبي أحمد الى فارياب أو باراب ، وهي مرحلة في طريق المستوفى ، ثم الى كران في طريق فارس نامه ومنها ينتهي بسيراف (١٧) •

والطريق الغربي الذاهب الى الساحل ، كان يسلك في قسمة الاعلى ، الطريق الحالي من شيراز الى بوشير ، فكان يمرّ بكازرون ودريز الى توجّ ، المدينة التجارية الجليّة في المئة الرابعة (العاشرة) ، ومنها الى فرضة جتّابة • وجاء في فارس نامه وصف طريق آخر ذي شأن مغاير لهذا الطريق ، وهو المار بأرض ماصرم الى جرّه ومنها الى توج مارا بالفندجان ، وعند الفندجان كان يتفرع منه فرع يتحدّر جنوبا الى فرضة نجيرم ، وهي على مسافة قليلة من غرب سيراف • ولم يشر غير المستوفى الى الطريق الذاهب الى الغرب من شيراز حتى كازرون • وكانت توجّ في أيامه قد خربت • وأول فرضة على خليج فارس حينذاك كانت جزيرة قيس (١٨) •

وأوفي طرق فارس وصفا ، الطريق الذاهب من شيراز باتجاه الشمال الغربي الى أرتجان وخوزستان • فقد انتهى اليّنا عن هذا الطريق ما لا يقل عن الثمانية أوصاف • وان اختلفت في ذكر بعض المراحل • وآخر وصف منها ، لعلي اليزدي ، فقد وصف مسير تيمور في سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) من الاهواز الى

(١٧) الاصطخرى ١٢٨ و ١٢٩ ، المقدسي ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ١٨٦ - ب ، المستوفى ٢٠٠ وانظر صفحة ٢٩٣ الحاشية ١٨ من كتابنا هذا •

(١٨) الاصطخرى ١٣٠ ؛ المقدسي ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٦ ؛ فارس نامه ١٨٦ ؛ المستوفى ٢٠٠ -

- ٣٣٥ -

شيراز مارا ببهبهان ، حين هاجم فى طريقه قلعة سفيد • فجاء وصفه هذا الطريق متهايا بشيراز بخلاف من سبقه • وكان الطريق من شيراز الى خوزستان ، على ما جاء وصفه فى كتب المسالك ، يتجه نحو الشمال الغربى مارا بجويم الى النوبجان ، ومنها مارا بكنبذ ملقان الى أرتجان ، ثم يقطع نهر طاب على قنطريته العظيمة فينتهى الى بستانك على حد فارس • وقد ذكر المقدسى والبلدانيون الاولون المسافات من أرتجان الى فرسة مهربان ، ومنها نحو الجنوب الشرقى بمحاذاة الساحل الى فرسة سينز ، ثم الى جتابة^(١٩) •

وكان فى القرون الوسطى ، ثلاثة طرق منفصل بعضها عن بعض ، من شيراز الى اصفهان • وأبعد هذه الطرق غربا ، الطريق الآخذ يمينا من طريق أرتجان عند جويم • وقد كان هذا الطريق يذهب الى البيضاء فى سهل مرو دشت ، ثم يمر بكورد وكلاثر الى سميرم واصفهان • وقد وصف هذا الطريق ابن خرداذبه والمقدسى • أما الطريق الاوسط ، فهو الطريق الصيفى المار بالبلاد الجبلية • وقد كان يذهب من شيراز الى مائين ، ومنها يمرّ بكوشك زرد وديه گردو ، ويخترق يزدخواست الى اصفهان • وقد وصف هذا الطريق ، بشىء من الاختلاف فى أسماء المراحل ، البلدانيون العرب الاولون ، وكذلك المصنفون الفرس المتأخرون • أما أبعد هذه الطرق الثلاثة شرقا ، فهو الطريق الشتوى أو طريق القوافل الذى يقطع السهول • وكان يخرج من شيراز ميمماً ناحية الشمال الشرقى الى اصطخر ، ومنها الى ديه بيد • وفى هذا الموضع كان يخرج من يمينه طريق يمرّ بأبرقوه الى يزد • أما الطريق الى اصفهان ، فكان ينعطف الى اليسار • فيمر بسرمق وقرية اباده ، ثم يلتقى بالطريق الصيفى فى يزد خواست ، الى قومشه وينتهى بأصفهان • وقد وصف هذا الطريق الشتوى ، وهو طريق البريد الحالى من شيراز الى اصفهان ، المقدسى وفارس نامه • وسردت جميع المصادر تقريباً أسماء ما فيه من مراحل الى يزد^(٢٠) •

(١٩) ابن خرداذبه ٤٣ : ٤٤ ؛ قدامة ١٩٥ ؛ ابن رسته ١٨٩ و ١٩٠ ؛ الاصطخرى ١٣٣ و ١٣٤ ؛ المقدسى ٤٥٣ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٨٥ ب ، المستوفى ٣٠١ ؛ على اليزدى ١ : ٦٠٠ •
(٢٠) عن الطريق الغربى ، انظر : ابن خرداذبه ٥٨ ؛ المقدسى ٤٥٧ و ٤٥٨ - عن الطريق الصيفى

- ٣٣٦ -

والطرق من شيراز الى شهر بابك ومنها الى السيرحان احدى قصبات
كرمان ، كانت تسلك مسلكين . الاول : فى شمال بحيرة البختكان . والثانى .
بمحاذاة ساحل البحيرة الجنوبي . فالطريق الشمالى كان يخرج أولا من شيراز
الى اصطخر (پرسپولیس) ومن اصطخر الى شهر بابك طريقان : الاول كان يمر
بقريّة هراة ، والآخر بمدينة اباده الى صاهك حيث يلتقى بالطريق المحاذى
لساحل البحيرة الجنوبي . أما هذا الطريق الجنوبي ، فقد كان اذا بارح شيراز ،
ينجّه الى ناحية الشرق فى الجانب الشمالى لبحيرة ماهلو الى خرّمة . ثم يصل خيرة
من جنوب بحيرة البختكان . وقد ذكر فارس نامه مسافات طريق فرعى من خيرة
الى نيريز وقطره . أما الطريق الكبير فكان يذهب من خيرة الى صاهك الكبرى .
حيث يلتقى بالطريق الآتى من اصطخر بمحاذاة ساحل البحر الشمالى ، على ما قد
بيّنا . ومن صاهك الكبرى ، كان يقطع طريقا صحراويا باتجاه الشمال الشرقى
الى شهر بابك . وقد ذكرت المراجع العربية والفارسية وصفا كاملا لهذه المسالك .
التى فى شمال بحيرة البختكان وفى جنوبها . غير ان أسماء بعض المراحل التى
توسطها لا يركن الى صحة قراءتها ، نعني بذلك أسماء القرى التى لم يبق لها
أثر اليوم ، اذ ان جميع هذه البقاع قد أجذبت وأمحلت وخلت من سكانها منذ
نهاية القرون الوسطى (٢١) .

أو الجبل : قدامة ١٩٦ و ١٩٧ ؛ الاصطخرى ١٣٢ و ١٣٣ ؛ المقدسى ٤٥٨ ؛ فارس نامه ٨٣ ب ؛
المستولى ٢٠٠ . ومن الطريق الشتوى : المقدسى ٤٥٨ ؛ فارس نامه ٨٤ ب . وعن طريق يزد : ابن
خرّاذبه ٥١ ؛ الاصطخرى ١٢٩ ؛ المقدسى ٤٥٧ ؛ فارس نامه ٨٦ ب ؛ المستولى ٢٠١ .

(٢١) عن الطريق المار بهراة : المقدسى ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ . عن الطريق المار باباده وشمال
البحيرة : ابن خرداذبه ٥٣ ؛ قدامة ١٩٥ ؛ الاصطخرى ١٣٠ و ١٣١ ؛ فارس نامه ٨٤ ب . عن الطريق
المار بخيرة وجنوب البحيرة . ابن خرداذبه ٤٨ ؛ المقدسى ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٨٥ ا ؛ المستولى ٢٠١ .
عن الطرق الملتقية فى السيرجان والآتية من فارس ، انظر : الفصل القادم ، والفصل الثانى
والعشرين .

الفصل الحادي والعشرون

كرمان

كور كرممان الخمس - قصبتا الافليم - القصبة الاولى : السرجان ،
موضعها وتاريخها - القصبة الثانية : بردسير ، وهي مدينة
كرمان اليوم - ماهان ووليها - خيبي - زرنند
Cobinan وهي كوبان
لدى ماركو بولو .

اقليم كرممان ، على ما ذكر الاصطخرى ، أكثره من بلاد الجروم ، ونحو من
ربعه فقط جبلى يؤتى غلات بلاد الصرود . فان معظم الاقليم فى المفازة العظمى .
« وفى أضعاف مدنه مفاوز كثيرة ، وليس اتصال عماراتها مثل اتصال عمارات فارس » .
وقال ياقوت « قد كانت [أى بلاد كرممان] فى أيام السلجوقية من أعمر البلدان
وأطيبها » . ثم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت « قد تشعت بقاعها
واستوحشت معاملها وخربت أكثر بلادها » . وأخيرا استولى عليها الخراب وتمكن
منها الدمار من جراء غزو تيمور لها فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) .

وجعل المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) اقليم كرممان خمس كور ، كل
كورة باسم قصبتها ، وهى : (١) بردسير ، ولها ناحية خيبي فى شمالها . ثم
(٢) السرجان ، على حد فارس . ثم (٣) بيم . و (٤) نرماسير وهى على شفير المفازة
شرقا . وأخيرا (٥) جيرفت وهى تتاخم ساحل بحر هرمز . وكان الحد فى الشمال

والشرق : المفازة الكبرى • وفي الجنوب الغربى : البحر • ولها فى غرب كرمان « فى حد الشيرجان ، دخلة فى حد فارس ، مثل الكم » حسب وصف الاصطخرى لها • وكانت شهر بابك ، على ما روته بعض الاخبار القديمة ، تعد من اقليم كرمان^(١) .

وقصة الاقليم الحالية ، مدينة كرمان • وهذا الاقليم وقصته يعرفان باسم واحد على ما هو جار فى بلاد الشرق غالبا • ومع ذلك ، فقد كان لاقليم كرمان فى القرون الوسطى قصبتان ، هما : السيرجان وبردير • وتوافق المدينة الاخيرة مدينة كرمان الحالية القائمة قرب الناحية التى ما زالت تعرف بناحية بردير •

أما السيرجان قصة كرمان الاسلامية القديمة ، فانها كانت أجل مدينة فى أيام بنى ساسان • وكتب البلدانون العرب اسمها بصورة السيرجان والشيرجان (معرفة بأل) • ومع انه لم يبق اليوم مدينة بهذا الاسم ، الا ان ناحية السيرجان ما زالت تؤلف القسم الغربى من ولاية كرمان وأجل مدنها سعيد آباد • وما الخرائب التى اكتشفت حديثا فى قلعة سنك^(٢) الجائمة على سن جبل ، على خمسة فراسخ شرق سعيد اباد فى طريق بافت ، إلا موضع السيرجان القصة القديمة على ما يبين • اذ يستدل بحالها أنها أطلال مدينة عظيمة • وتدل مسافات المسالك فى القرون الوسطى ، على ان موضع هذه الخرائب هو حيث كانت مدينة السيرجان • ومع ان ناحية السيرجان الحالية لا تؤلف الا جزءا فقط من الكورة القديمة ، فانها قد احتفظت بالاسم القديم • ظلت السيرجان بعد الفتح العربى ، قصة الاقليم الاسلامى حتى أواسط المئة الرابعة (العاشرة) ، حين صارت ايران الجنوبية كلها تحت سلطان بنى بويه • فانهم عينوا على كرمان عاملا اسمه ابن الياس • فنقل هذا العامل ، لسبب غير معروف ، مقامه الى بردير (مدينة كرمان الحالية) ثم

(١) الاصطخرى ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٥ : المقدسى ٤٦٠ و ٤٦١ : ياقوت ٤ : ٣٦٣ •

(٢) تقوم قلعة سنك ، وتسمى أيضا القلعة البيضاء ، على جبل من حجارة الكلس ، يعلو نحو من ثلاثة أقدام من السهل ، يبنى الشكل ، طوله نحو من ٤٠٠ يارد • وما زال يحيط بالأطلال سور خفيض من اللبن • يقوم على أسس أقدم زمنا - راول من زارها مستكشف الميجر سايكس فى سنة ١٩٠٠ وأسهب فى وصف هذه الخرائب فى الصفحة ٤٣١ من كتابه Ten Thousand Miles in Persia المطبوع فى لندن سنة ١٩٠٢ •

- ٣٣٩ -

باتتقال دواوين الحكومة من السرجان اليها ، سقطت منزلة السرجان وقل شأنها . ومع ذلك ، فقد ظلت السرجان حين كتب الاصطخرى « أكبر مدينة بكرمان ، وأبنيتها آراج لقلة الخشب بها » على ما ذكر . اما المقدسى فقد قال ان السرجان كانت فى أيام بنى بويه « أبهى وأوسع من شيراز ، ولها سوقان : عتيق وجديد . والاموال كثيرة جمعة . وبها خصائص وصناعة ، وشوارع فرجة ، ودور حسنة ، بها بستائن . ولها ثمانية دروب » (وقد سرد المقدسى أسماءها ، ولكن قراءة بعضها فى المخطوطات لا يركن اليها) . وبنى عضد الدولة البويهى على باب حكيم ، دارا حسنة وكان مسجدها الجامع بين السوق العتيق والسوق الجديد ، أقام منارته عضد الدولة . ومياه البلد من قناتين شقهما عمرو وطاهر ابنا ليث الصفار فى المئة الثالثة (التاسعة) .

أما ياقوت ، وقد كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) فقد قال ان السرجان فى أيامه ثانية مدن كرمان « وهى خمسة وأربعون منبرا كبارا وصغارا » وقد نص على ان مدينة السرجان ، « كانت تسمى القصرين » ولم يوضح لم سميت بذلك . وورد فى تاريخ ابن الاثير وميرخواند اسم السرجان غير مرة فى الكلام على بنى بويه والسلاجقة . وقال المستوفى فيها بعد الفتح المغولى ، ان لها قلعة حصينة ، وارضها خصبة ، كثيرة القطن والقمح . ثم انتقلت السرجان الى أيدي الامراء المظفرين الذين قامت دولتهم فى شيراز وحكموا فارس ، وفى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قهروا دولة قراختاي ، فدانت لهم كرمان كلها . وفى سنة ٧٨٩ (١٣٨٧) زحف تيمور الى فارس وحشد قواته ازاء شيراز فانقاد له الامراء المظفريون طائعين . ثم انه لما غادر فارس لفتح العراق ، جعل منهم فيها حكاما تابعين له . فلما خلا لهم الجو وتمكنوا من الامر ، تمرتدوا وخلصوا طاعته ، فما كان من تيمور الا أن أعاد الكرة على فارس فى سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) وتغلب على القوات المظفرية بعد وقعة حامية ، وولى ابنه الامير عمر شيخ على فارس وكرمان .

على ان كثيرا من النواحي ، لا سيما نواحي كرمان ، أثبت ان تستكين لتيمور وثبت غودرز والي السرجان على الحكم فيها باسم آل مظفر . واضطر الامير عمر

شيخ أخبرنا الى ان بوجه جيشا لمحاصرة هذا الحصن المنيع . وكانت قلعة السيرجان قد جددت حصونها منذ عهد قريب ، على ما ذكر علي اليزدي ، فكانت مكيئة الجوانب يرتد عنها من هاجمها ، فمضت سنة على حصارها وهي ثابتة لا تززعها الشدائد . فما كان من عمر شيخ الا ان قصد السيرجان بنفسه ليحسم أمرها . على انه ، وهو يتأهب لذلك ، استدعاه أبوه . ولكن المنية ادركته حين كان يجتاز كردستان للتحاق بتمور في معسكره الذي ضربه أمام آمد في الجزيرة . وكان ذلك في سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) . وظلت السيرجان مقاومة ستين فاستسلم مقاتلتها بعد ذلك لما لحقهم من جوع لا من غلبة القوة عليهم . وأخيرا لما اضطر غودرز الى التسليم . أمر تيمور بقتله هو ومن بقي من رجاله القلائل ، غدرا ليكونوا عبرة لمن اعتبر في هذا الاقليم . وترك السيرجان قاعا صفصفا . وقد تكلم حافظ أيرو على السيرجان ، مع انه كتب في عهد من جاء بعد تيمور ، قال انها المدينة الثانية في كرمان (تلي بردسير) لها قلعة حصينة تتوج صخرة عالية . ثم خفى اسم السيرجان بعد هذا الزمن من التاريخ ولم يعرف موضعها الصحيح الا حديثا في أطلال قلعة سنك على ما قد بينا (٣) .

بينا آنفا ، ان قصبة الاقليم الحالية مدينة كرمان . وهذه المدينة ، وان لم

(٣) الاصطخرى ١٦٦ : المقدس ٤٦٤ و ٤٧٠ ؛ ياقوت ٤ : ١٠٦ و ٢٦٥ ؛ المستوفى ١٨٢ ؛ حافظ أيرو ١٤٠ ؛ علي اليزدي ١ : ٦١٨ و ٦٦٧ و ٧٨٤ ميرخواند القسم الرابع ص ١٧٠ ، القسم السادس ٤٨ و ٦٩ .

ذكر البلدايون العرب موضع السيرجان بالمراحل من أمكنة مختلفة معروفة . وهم غالبا ما ذكروا المراحل بما يساويها بالعراش . ولكن مما يؤسف عليه ان وصف المسالك في كرمان يعتقد الى ما في كل طريق من مراحل مع وصف المدن التي تمر بها (بخلاف ما ذكروه عن مسالك اقليم الجبال وقارس) . ومع ذلك فاننا نلخص فيما يأتي المسافات التي ذكروها ، وهي تجمع على ان موضع قلعة سنك هو مدينة السيرجان . في شهر بابك في الشمال الغربي حيث تجتمع الطرق الآتية من شيراز واصطخر الى السيرجان ٢٤ او ٣٢ فرسخا بحسب اختلاف الطرق . وكانت السيرجان على ٢٨ الى ٤٦ فرسخا أي ثلاث مراحل طويلة من صاهك الكبرى ، ومن رستاق الرستاق (وهي على مرحلة يوم قصيرة من شمال غربي هرج) كانت السيرجان على أربع مراحل ، وكانت تبعد عن بيريز خمس مراحل ونصف مرحلة . وكان الطريق الداهب الى الشرق والى الجنوب الشرقي من السيرجان الى جيرنت يقدر بست مراحل أي ٥٤ فرسخا ، وكان الى راين خمس مراحل والى سروستان (في الجنوب الشرقي من راين) ٤٥ أو ٤٧ فرسخا . وأخيرا كانت المسافة من السيرجان الى ماهان ثلاث مراحل، والى بردسير (مدينة كرمان) مرحلتين . اما المراجع عن هذه المسافات ، فهي : ابن خردادبه ٤٨ و ٤٩ و ٥٣ ؛ فداة ١٦٥ و ١٩٦ ؛ ابن الفقيه ٢٠٦ و ٢٠٨ ؛ الاصطخرى ١٣١ و ١٣٥ و ١٦٨ و ١٦٩ ؛ المقدس ٤٥٥ و ٤٦٤ و ٤٧٣ .

تكن القصة الاسلامية الاولى ، الا انها كانت على ما يظهر مدينة جلييلة منذ أيام الساسانيين . أما أصلها ، فقد قال فيه حمزة الاصفهاني ، وهو من مؤرخي المئة الرابعة (العاشرة) ، انها من بناء الملك اردشير مؤسس الدولة الساسانية ، فسمّاها به أردشير ومعناها الموضع الطيب لاردشير . فحرف العرب هذا الاسم حين تلفظهم به وقالوا بهـرسير (أو بهدسير) وبردسير (أو بردشير) . أما الفرس فانهم على ما ذكر المقدسي « يسمونها بلسانهم گواشير » من ويه ارتخشير وهو اللفظ الأعرق زمنا لاسم به أردشير . وزاد ياقوت على ذلك أنه في أيامه كانت تسمى جواسير وجواشير ويقال گواشير . وهذه الصور كلها تقابل الاسم العربي بردسير وتستعمل بدلا منه دون تقييد^(٤) .

ومدينة بردسير هذه ، التي أصبحت قصبة إقليم کرمان الجديدة في عهد بنى بويه ، لا ريب في انها تطابق كل المطابقة مدينة کرمان الحالية ، يثبت ذلك : ما ذكرته كتب المسالك عن موضعها ، ووصف البلدان العرب لكثير من الأئمة في بردسير ، والعوارض الطبيعية فيها ، وكل ذلك ما زال موجودا يرى في مدينة کرمان . كما دعمت النواربخ العربية والفارسية ، على ما سبأتى بنا ، هذه المطابقة وعززتها . فمدينة بردسير صارت تعرف بعد المئة الرابعة (العاشرة) باسم گواشير ، وجرى على ألسنة الناس عدّهم إياها قصبة کرمان . وبمرور الزمن حل محل هذه الاسماء اسم « مدينة کرمان » أو « کرمان » فقط اختصارا . فخلع الاقليم اسمه - على ما هو الحال غالبا - على القصبة .

والمقدسي ، وقد أطال في كلامه على بردسير ، قال في بردسير حين اتخذها ولاية بنى بويه قصبة الاقليم الجديدة ، انها : قصبة ليست بالكبيرة لكنها حصينة . على جانبها قلعة كبيرة عالية فيها بساتين ، وقد حفر فيها بئر عظيمة عجيبة ، وهذه القلعة

(٤) حمزة الاصفهاني ٤٦ : المقدسي ٤٦٠ و ٤٦١ ، ياقوت ١ : ٥٥٥ ؛ ٢ : ٩٢٧ ؛ ٤ : ٢٦٥ . وقد وردت تهجته الاسم احيانا بصيغة « يزديشير » وليس ذلك الا من وهم النسخ جاء من اعجام الحروف في الكتابة العربية . اما اليوم ، فان بردسير يطلق على ناحية صغيرة في جنوب غربي مدينة کرمان الحالية ، وفصينها مايجز . وليس اليوم مدينة باسم بردسير - وانظر ص ٢٩٨ الحاشية ، من هذا الكتاب ، ان أردت مثالا آخر على ورود « به » أو « وه » على أسماء الامكنة الفارسية .

من بناء أبي علي بن الياس ، كان يصعد اليها ابن الياس على الدواب الجليلة المعتادة لصعودها ، وينام فيها كل ليلة . وعلى الباب حصن ثان وخندق ذو قناطر . وفي وسط البلد قلعة ثالثة والجامع قربها وهو لطيف ويحرق بالبلد . وللمدينة أربعة أبواب الثلاثة الاولى منها سميت باسماء المدن التي تؤدي اليها الطرق الخارجة منها ، وهي : باب ماهان وباب خيصر وباب زرند . والرابع باب مبارك . ولعله سمي بذلك نسبة الى رجل اسمه مبارك . وزاد المقدسي على ذلك ان في المدينة بساتين كثيرة وأكثر شربهم من آبار ، والقني تسقى بساتينهم المحيطة بها^(٥) .

ومنذ أن نقل ابن الياس ، في أيام عضد الدولة ، دواوين الاقليم الى بردسير ، دامت هذه المدينة قصبة لكرمان ، على ما يتنا ، وارتبط مصيرها بمصير الاقليم كله . فقد كان كل من حكم بلاد فارس ألحقها به على جارى العادة . وفي النصف الاول من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، سقط بنو بويه بقيام السلاجقة فكانوا سادة اقليم كرمان من سنة ٤٣٣ الى ٥٨٣ (١٠٤١ الى ١١٨٧) . والسيرجان وان كانت في أيامهم من أجل مدنها ، الا ان بردسير ظلت دارا للملك . وفي تاريخ السلاجقة لابن ابراهيم جاء اسم القصبة احيانا بصورة بردسير وأحيانا بصورة گواشير ، بينما أشار ميرخواند في فصول كتاب روضة الصفا التي تناول هذا العصر ، الى القصبة السلجوقية باسم « مدينة كرمان » أو « كرمان » بوجه الاختصار . ولم يرد قط اسم « بردسير » عنده . وعليه فاسما بردسير وكرمان ، كانا يستعملان دون تقييد للإشارة الى موضع واحد دون غيره ، فابن الاثير مثلاً ذكر في أخبار سنة ٤٩٤ (١١٠١) اخراج ايرانشاه السلجوقي « عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان »^(٦) .

(٥) المقدسي ٤٦١ .

(٦) ابن الاثير ١٠ : ٢١٩ . ولقول ابن الاثير هذا مظهر خداع ، يستشف منه الجزم بان بردسير كانت مدينة كرمان الحديثة على ان الامر وان كان صحيحا لا شك فيه من الناحيتين التاريخية والخطية ، فان هذا القول لا يصح الاخذ به كبرهان عليها ، لان « مدينة كرمان » يراد بها قصبة (أى مدينة اقليم) كرمان . فهي عبارة مبهم . وقد روى ابن الاثير في جزء سابق من تاريخه (٣ : ١٠٠) كيف فتح العرب في أيام عمر السيرجان وزاد على ذلك هذه الكلمات « وهي مدينة (أى قصبة)

وفى سنة ٥٨٣ (١١٨٧) اكتسحت قبائل الفز التركمانية ، اقليم كرمان ، ونهبت بردسير وخربت معظمها ، واتخذت مدينة زرنند قصبة مؤقتة للاقليم . وكانت قوة السلاجقة حينذاك آخذة فى الضعف والاضمحلال . وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) خضعت كرمان كلها لنفوذ الدولة المعروفة بقراختاي « قراخطاي » القصيرة العمر . وقال ميرخواند ان قتل خان أول أمراء هذه الاسرة ، استولى على « مدينة كرمان » ، ويقال انه دفن فى المدرسة التى أنشأها فى حي يقال له ترك آباد فى ظاهر مدينة كرمان . ومن الجهة الثانية ذكر المستوفى فى تاريخ كزیده ، وابن ابراهيم فى تاريخ السلاجقة ، ان قتل خان اسنولى فى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) على « مدينة بردسير » (أو گواشير على ما فى كزیده) . فأضحى بذلك أميرا على مملكة كرمان كلها . وأخيرا ، فمعاصره ياقوت ، ذكر بردسير اسما لقصبة كرمان فى هذا الزمن (أى فى المئة الثالثة عشرة للميلاد)^(٧) .

أما الفتح المغولى لایران ، فلم يؤثر فى كرمان تأثيرا محسوسا . وفى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تزوجت ابنة آخر أمير من أمراء قراختاي أمير فارس المظفر الذى تولى الحكم فى اقليم كرمان تحت ظل المغول . والمستوفى ، فى كلامه على القصبة گواشير ، أى بردشير ، وصف جامعها القديم ، وقال ان زمنه یرقى الى ختام المئة الاولى للهجرة ، فى عهد الخليفة الاموى عمر الثانى المتوفى سنة ٧٢٠ للميلاد . ووصف أيضا البستان الذى أنشأه ابن الیاس عامل بنى بويه ، وكان يعرف بباغ سیرجانی أى « بستان الاتى من السیرجان » . وكان هذا البستان حين كتب ذلك فى سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) زاهرا زاهيا . وزاد المستوفى على ذلك ، ان ابن الیاس بنى أيضا القلعة التى فوق الجبل وهى التى وصفها المقدسى على ما بیئنا . وكان فى المدينة جامع يسمى جامع تبریزی ، بناء توران شاه السلجوقى ،

كرمان . مع ان السیرجان فى الواقع ليست كرمان الحالية على ما يعهم من هذه العارة فى اول نظرة .

لنا : وجدنا ان ابن الاثير (١٠ : ٢١٩) ذكر تیرانشاه لا ایرانشاه فى سیاقه هذا الخبر . (م) .

(٧) المستوفى : كزیده . الفصل الرابع ، القسم العاشر ، عهد براق حاجب : ابن ابراهيم ٤ : ٥٤ و ٢٠٠ و ٢٠١ ؛ ميرخواند : الجزء الرابع ١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٨ و ١٢٩ ؛ ياقوت ٤ : ٢٦٥ .

- ٣٤٤ -

والزار المشهور المنشأ على قبر الولي شاه شجاع الكرمانى • وذكر حافظ أبرو ، وقد نشأ بعبد سلفه ، ان ترخان خاتون ابنة قتلغ خان القراختائى ، ابنت فى سنة ٦٦٦ (١٢٦٨) جامعا فخما كبيرا فى كرمان الى غيره من الجوامع والمدارس ، وسنشر الى احداها عما قريب • وهذا المؤلف نفسه ، وقد كتب سنة ٨٢٠ (١٤١٧) ، أشار الى المدينة دون تفريق بين تسميتها بردسير (أو گواشير) وكرمان^(٨) .

وهذه الاوصاف الى انتهت الينا عن بردسير من مختلف مراجعنا ، من المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) حتى حافظ أبرو فى أوائل المئة التاسعة (الخامسة عشر) ، قد أشارت اشارة واضحة الى كثير من الابنية التى ما زالت قائمة ، وبعضها مسعت خرب فى مدينة كرمان الحالية • وذكر المقدسى ، على ما بئنا ، الفلاح الثلاث التى اشهرت بها المدينة • ورد ابن ابراهيم غير مرة فى تاريخ السلاحة الاشارة الى القلعة التى فوق الجبل (قلعة كوه) والقلعة العتيقة والقلعة الجديدة - وهى توافق ، على ما يتضح ، المواضع الثلاثة التى وصفها المقدسى • أما فى كرمان الحديثة فاننا نجد ألا قلعة عيفة تتوَّج جبلا قريبا منها من الشرق يقال لها اليوم قلعة دختر أى « قلعة البنت » وهى تنسب الى الملك أردشير على ما يزعمون ، ونجد ثانيا فى جنوب المدينة الشرفى ، جبلا آخر ، محكم التحصين فى الزمن القديم بأسوار وأبراج ، وقد نداعت الآن ، تعرف بقلعة أردشير • فينبغى ان تكون هى القلعة التى فى ظاهر باب المدينة • وأخيرا نجد القلعة العتيقة فى وسط البلد وكانت ولا شك حيث قصر الوالى الآن^(٩) .

أما جامع نوران شاه ، وهو الذى ذكره المستوفى ، فما زال قائما يعرف بمسجد ملك • وفى كرمان أيضا بناء آخر ، يصل مدينة كرمان بالزمن الذى كانت تسمى فيه بردسير ، وهو القبة الخضراء (أو الزرقاء) العظيمة ، المسماة قبة سبز ، وقد كانت حتى وقت قريب تقوم فوق قبر نرخان خاتون ابنة فللق خان أمير

(٨) المسومى ١٨٢ : حافظ أبرو ١٣٩ ب ، ١٤٠ ١ •

(٩) وصح المجر سانكس تخطيطا لمدينة كرمان (ص ١٨٨) وكتب لمحة عن هذين الحصين القدمين ص ١٩٠ من Ten Thousand Miles in Persia .

قراختاي ، على ما مرّ آنفا • وجاء في التاريخ عن هذه الاميرة ، انها بعد وفاة أبيها ، خلعت أخاها عن العرش واصبحت مدى خمس وعشرين سنة الحاكم الحقيقي لكرمان ، نحكم باسم زوجها - ابن عم قنلق خان - وباسم ابنها اللذين سمح لهما بتولى العرش اسمبا الواحد تلو الآخر • وروى ميرخواند انها توفيت في سنة ٦٨١ (١٢٨٢) ودفن تحت قبة مدرسة شهر ، أي مدرسة المدينة • وفي القبة الخضراء القائمة فوق قبرها ، كتابة على الحدران تنوه بأسماء البنائين وبسنة ٦٤٠ (١٢٤٢) وهي سنة الانتهاء من عمارتها أي في أيام الحكم الاسمي لابن قنلق خان الذي خلعه اخته ترخان خاتون فيما بعد (١٠) •

ولم يذكر البلدانيون العرب عن غيرها من المدن في ناحية بردسير الالمحات خفيفة • فلم تقم فيها مجاميع من القرى ، على ما كان الامر عليه في فارس ، وكان في أضعاف مدن كرمان مفاوز • فعلى عشرين ميلا من جنوب غربى كرمان مدينة بنين • ويلها ، على نحو المسافة نفسها ماشيز • وهاتان المدينتان في الطريق من كرمان الى السيرجان • ولبس في هذه البقعة اليوم غير هاتين المدينتين • وقد ردّد ابن ابراهيم ذكرهما في تاريخ السلاجقة في أخبار النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) • ومما يدعو الى العجب ، ان بنين وماشيز لم يذكرهما لا البلدانيون العرب الاولون ولا المستوفى ، بل ولا المصادر الفارسية التى وصفت حروب تيمور على ما يظهر • وعلى مرحلتين فصيرتين من جنوب شرقى مدينة كرمان ، مدينة ماهان ، وهى مشهورة اليوم بمزار نعمة الله الولى الصوفى ونسرادامس (Nostradamus) (١١) ايران الذى ما زالت تبوّاته تُروى في تلك

(١٠) انهارت قبة سبر اهانارا كاملا برلزال سنة ١٨٩٦ • وقد وصفها مجر سانكس الذى نشر صوره لها بمثلها حين رآها قبل الزلزال (Persia ص ٢٦٤) • وأورد ميحر سايكس ايضا وصفا لهذه القبة ص ١٩٤ ، وكذلك لجامع توران شاه ، وقد حكم من ٤٧٧ الى ٤٩٠ (١٠٨٤ - ١٠٩٧) • ابن ابراهيم ٢٨ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ميرخواند ٤ : ١٢٩ و ١٣٠ رانظر ايضا Stack في Persia ١ : ٢٠٢ و ٢٠٤ ؛ وشندلر : Reise in Persien : Zeitschrift der Gesellschaft fur Erdkunde (برلين) ١٨٨١ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ •

(١١) منجم مشهور ، عاش في سنة ١٥٠٣ - ١٥٦٦ م • ولد في الفلم برولفس بفرنسة • وكان طبيب الملك شارل التاسع • (م) •

الانحاء الاسلامية من آسية • وقد توفي سنة ٨٣٤ (١٤٣١) وله من العمر نيف ومئة سنة • ويقال انه كان من أصحاب الشاعر حافظ (الشيرازى) • وفى المثة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسى ماهان بقوله « مدينة العرب ، الجامع وسط البلد ، وفى وسطها قلعة بباب واحد يحيط بها خندق • وتسير منها مرحلة الى القصبه فى أشجار مشبكه ومياه جارية ، شربهم من نهر » •

اما عُبَيْرًا ، وكوغون ، وبينهما فرسخ ، ولم يبق لهما اليوم أثر على ما يظهر ، فقد كانتا جنوب ماهان على مرحلة غرب راين (وهى ما زالت قائمة) • وصف المقدسى غيرا فى المثة الرابعة (العاشرة) بقوله « صغيرة لها قرى فى وسطها قلعة ، وقد بنى ابن الياس (الوالى البويهى) خارج البلد سوقا • ولمدينة غيرا وكوغون جامع حسن ، وشرب أهلها من نهر وقنى • وعلى نحو من خمسين ميلا شرق كرمان ، فى شفير المفازة العظمى ، خييص ، وكانت على ثلاث مراحل من ماهان • وكان مستوى المفازة خفيضا ، اذ ان المفازة هنا أكثر اطمئنانا بكثير من هضبة ايران الوسطى التى تقوم عليها مدينة كرمان • فكانت خييص ، على ما أشار اليه الاصطخرى ، من جروم كرمان ، وبها نخل كثير • وزاد المقدسى على ذلك « عليها حصن بأربعة أبواب عامرة ، معدن الابرسم ، كثيرة التوت ، شربهم من نهر ، جيدة الثمر » (١٢) •

وعلى مرحلتين من شمال غربى كرمان ، مدينة زرند • وكان فى نصف الطريق بين المدينتين فى القرون الوسطى ، مدينة جنزروذ ، لم يبق لها أثر على ما يظهر • وقد وصف المقدسى جنزروذ بقوله « الجامع فى الاسواق ، كثيرة الفواكه ، ولهم نهر » يسمى نهر جنز • أما زرند فما زالت قائمة ، قال المقدسى « قد بنى ابن الياس على حافتها قلعة » وكانت زرند فى المثة الرابعة (العاشرة) كبيرة ،

(١٢) ابن ابراهيم ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ ؛ الاصطخرى ٢٣٤ ؛ المقدسى ٤٦٢ و ٤٦٣ ؛ كولونيل سى • اى • يت Khurasan and Sistan : G. E. Yate ص ١١ •
وجد ميجر سايكس (Persia ص ٤٩) فى خبيص شاهد قبر ، ليه تاريخ ١٧٣ (٧٨٩) وكذلك بقايا بناء يظهر منه انه كان كنيسة نصرانية أو معبدا لغير المسلمين • وذكر المقدسى (ص ٤٦٠) اربع مدن فى ناحية خبيص ، هى : نَشك ، كَشيد ، كوك ، وكفروا (يفتح اوله وثالثه ورابعه وسكون ثانيه) ، ولكنه لم يشر الى مواضعها • والظاهر انه لا اثر لها اليوم •

- ٣٤٧ -

« عليها حصن ستة أبواب ، والجامع فى الميدان عند السوق » . وكان يرتفع منها نسيج يقال له البطانة ، وكانت البطانة الزرندية تحمل الى فارس والعراق فى المثة الرابعة (العاشرة) لشهرتها هناك .

وعلى خمسين ميلا شمال زرنند ، مدينة راور ، على شفير المفازة الكبرى .
والى الغرب من راور : كوبنان ، وقد زارها ماركو پولو . وصف المقدسى هاتين المدينتين وقال ان راور فى المثة الرابعة (العاشرة) كانت « أكبر من كوه بيان (كوبنان) لها حصن على رأس الحد » . وقال فى كوبنان أو كوه بيان « صغيرة ، لها بابان ، وربض فيه حمامات وخانات . والجامع على الباب ، قد التفت بها البساتين ، والجبل منها قريب » . وبالقرب منها مدينة بهاباد ، وقد كتبه المقدسى بصورة بهاوذ ، وذكره مع مدينة قواق وقال هما عامرتان ، بينهما ثلاثة فراسخ وهما من المنطقة الباردة ، كلها بساتين . وما زالت بهاباد قائمة . اما قواق فليس لها أثر فى الخارطة . وذكر ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان « فيها وفى قرية أخرى يقال لها بهاباذ ، يعمل التوتيا الذى يحمل الى أقطار الدنيا » وأشار المستوفى فى المثة التالية للسابعة الى كوه بنان الى سماها معاصره ماركو پولو بمدينة « كوبنان Cobinan » وقد وصف هذا الرحالة البندقى ، التوتيا التى تصنع فيها بقوله « شىء فى غاية الصلاح للعيون » . وقد كانت التوتيا فى المثة الرابعة (العاشرة) من أهم تجارات إقليم كرمان . وقال المقدسى « النوتيا المرازبى ، وانما سعى مرازبا لانهم يتخذون شبه أصابع من الخزف كبارا ، ثم يصبونه عليه فيلتزق به فيبقى كالمرازيب . ورأيتهم يجمعونه من الجبال وقد بنوا أكوارا عجيبة طويلة يصفونه كما يصفى الحديد » (١٣) .

(١٣) الاصطخرى ٢٣٣ ؛ ابن حوقل ٢٢٤ و ٢٦٢ ؛ المقدسى ٤٦٢ و ٤٧٠ و ٤٦٣ ؛ ياقوت ٧٦٧ : ٤ ؛ ٣١٦ ؛ المسونى ١٨٣ . انظر Yule, The Book of Ser Marco Polo, I, 127-130 للاطلاع على وصف عمل التوتيا . وقد شاهد ميچر سانكس (Persia ص ٢٧٢) عملها فى كوه بنان فى رتينا فى الطريقة نفسها الموصوفة أعلاه .

ويطلب أن يصحف اسم راور الى زاور ، وهو من وهم النساخ ، وكذلك ظهر اسم كوه بنان بصورة كوهيان وكوه بيان بسبب الاعجام . وبنان الاسم الفارسى للفستق البرى ، فمعنى كوه بنان جبل الفستق .

- ٣٤٨ -

وعلى نحو من خمسين ميلا غرب كوه بنان ، على شفير المفازة فى نصف الطريق بين هذه المدينة ويزد ، تقوم بلدة باقق فى وقتنا هذا • وفى اقليم كرمان مدينتان اسمهما متشابه كثيرا وهو باقق المارة الذكر ، وبافت أو بافد • وهذه الاخيرة على ثمانين ميلا جنوب مدينة كرمان وتبعد مئى ميل عن باقق الشمالية • وهذا التشابه بين الاسمين قد ازداد لبسا بكون باقق (الشمالية) غالبا ما تلفظ اليوم بافد • ومن ثمة ، فانها تتفق اسما مع المدينة التى فى جنوب ماشيز ، اذ ان من الشائع فى اللغة الفارسية قلب القاف دالا أو تاء • وذكر ياقوت بلدة باسم بافد قال فيها « بلدة بكرمان ، على طريق شيراز ، من البلاد الحارة » • وذكر ابن ابراهيم فى تاريخ السلاجقة ، اسمى المدينتين بافد وباقق ، ولكن لم يورد ابن ابراهيم ولا ياقوت ، وصفا بفي بتعيين مواضعهما^(١٤) •

(١٤) ياقوت ١ : ٤٧٤ ؛ أبو الفداء ٣٣٦ ؛ ابن ابراهيم ٣١ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، Persia : Stack ٢ ، ١٣ •

الفصل الثماني والعشرون

كرمان «تتمه»

كورة السرجان - كورنا بم ونرماسر - ديكان - جيرفت ولعمادين : كمادي
Camadi لدى ماركوبولو - دلفريد - جبال البارز والقفص -
روذكان والنوچان - هرمز المتقة والجديدة وكمبرون -
تجارات ادليم كرماني - مسالكها .

تقوم كورة السرجان - وكانت مدينة السرجان أجل مدن هذا الاقليم ، وقد كانت
قصة اقليم كرماني القديمة التي مرّ وصفنا لها في الفصل السابق - في غرب ناحية
بردسير على حد فارس . وقد ذكر المقدسي جملة مدن في هذه الكورة لم يعد
لها أثر اليوم يا للأسف في الخارطة ، مع ان مواضعها بالنسبة الى موضع مدينة
السرجان معروفة .

فعلى أربعة فراسخ غرب السرجان ، عند حد اقليم فارس : مدينة يميند ،
قيل فيها في المئة الرابعة (العاشرة) « عليها حصن منيع وأبواب حديد » . وكانت
موضعا جليلا أيضا لكونه ملتقى ثلاث طرق - هي الطريق الآتي من شهر بابك
(في الشمال) والآتي من الروذان (في الشمال الشرقي) والآتي من صاهك
(في الغرب) - ومنها الى السرجان حيث تلتقي جميعا . وصف المقدسي يميند
بأن « الجامع وسط السوق ، شربهم من قني » . ثم انه على مرحلة يوم من شرق
السرجان ، في طريق راين ، موضع يقال له الشامات مدينة « كثيرة البساتين

والكروم ، فواكهها تحمل الى النواحي ، والجامع وسط البلد ، . ويقال لهذه البلدة أيضا قوهستان . وعلى مرحلة واحدة أيضا شرق الشامات ، بهار . وعلى مرحلة أخرى : خشاب . وفي الموضعين الآخرين نخل كثير . ويلي خناب ، غيرا وقد مرّ وصفها في كورة بردسير . وعلى مسيرة يومين من جنوب شرقي السرجان ، في طريق جيرفت ، تقوم مدينة باسم يكتب اما واجب أو ناجت (وللإسم قراءات أخرى) . وقال المقدسي في واجب انها « عامرة كثيرة البساتين لهم منازة ، شربهم من قني ، الجامع في الاسواق » (١) .

أما كورة بسم (ويكتبها البلديون العرب بتشديد الميم) ، فهي حول المدينة التي بهذا الاسم ، في الجنوب الشرقي من ماهان ، على شفير المفازة العظمى ، وعند الحد الشرقي لكرمان . وصف ابن حوقل مدينة بسم في المثة الرابعة (العاشرة) . بأنها أكبر وأصح هواء من جيرفت ، بها نخل ، ولها قلعة منيعة مشهورة . « وبمدينة بسم ثلاثة مساجد يجمعون فيها الجمعات ، فمنها مسجد للخوارج ، ومسجد جامع في البنازين ، ومسجد جامع في القلعة » . « ويعمل بسم ، ثياب من قطنهم فاخرة حسنة ، تحمل الى أباعد الديار ، ويحمل من بسم أيضا العمائم والمناديل والطبالسة » . وذكر المقدسي : « عليها حصن بأربعة أبواب : باب نرماسير ، باب كوسكان ، باب أسبيكان ، باب كورجين . فيها بعض الاسواق وبقيّة الاسواق خارج . وفي وسط البلد نهر يجري على حافة البلد ويدخل القلعة . ومن أسواقها سوق جسر جرجان . ومن حماماتهم المذكورة ، حمام زقاق اليند . وجبل كود منها على فرسخ ، بقرىها قرية عظيمة ، أكثر ما يعمل من الثياب بها » وأشار المستوفى في المثة الثامنة (الرابعة-عشرة) الى قلعة بسم المنيعة وتكلم على هوائها وقال انه حار (٢) .

(١) ابن خرداذبه ٤٦ و ٥٤ ؛ الاصطخرى ١٦٨ و ١٦٩ ؛ المقدسي ٤٦٤ و ٤٦٥ . وجاء اسم ناجت لى ابن حوقل بصورة ناحته ، وفي ابن خرداذبه : باخته وقاخته أو قاخته ، وكلها ولا شك تصحيف لبانت المدينة المارة الذكر في الفصل السابق (ص ٣٤٨) . وما زالت قائمة في نحو من الموضع الموصوف .

(٢) قد وصف قلعة بسم القديمة وهي ما زالت قائمة الى اليوم ، ميجر سايكس (انظر Persia ص ٢١٦ و ٢١٨) . واطلال المدينة التي كانت في القرون الوسطى ، ترى على ضفة النهر عند كزاران ، تبعد نحواً من ميل عن الحصن .

أما راين ، فهي الى جنوب ماهان ، على نحو من سبعين ميلا شمال غربى بم .
وصفها المقدسى بقوله : « صغيرة ، الجامع وسط الاسواق ، كثيرة البساتين » .
وفى ثلث الطريق من راين الى بم ، تقوم أوارك ومهر كرد (أو مهر جرد) وهما
ملتصقتان . أما الاولى فما زالت ، وهى تلفظ اليوم : أبارك . وكانت تقوم بين
الاثنتين فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة ، بناها ابن الياس عامل بنى بويه . وشرب
أهلها من نهر ، وبناؤهم طين . وتقوم بين أبارك وبم مدينة دهرزين وكتبها
المقدسى بصورة دارزين ، وغيره بصورة دارجين وديروزين « بها جامع حسن ،
ولهم منازة وبساتين ومزارع ، وشربهم من نهر » (٣) .

اما كورة نرماسير (وبالفارسية نرماشير) ، فإنها جنوب شرقى بم ، على
شفير المفازة . وتقوم قصبتها مدينة نرماسير فى نصف الطريق بين بم والفهرج ،
وما زالت الفهرج قائمة . وكانت نرماسير فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة
جليلة الشأن ، نوه المقدسى بقصورها الحسنة الانيقة وكثرة أهلها . وبها تجار من
خراسان ، لهم تجارة مع عمان « وعليها طريق حاج سجستان ، ومنها ينقل
البهر بهار » . وكانت نرماسير فى المئة الرابعة (العاشرة) أصغر من السرجان
« عليها حصن بأربعة أبواب : باب بم ، باب صوركون ، باب المصلى ، باب كوشك .
والجامع وسط الاسواق ، يصعد اليه بعشر درجات من الآجر ، به منارة ليس لها
فى الاقليم من نظير . وثم قلعة يقال لها كوش وران (ولم يفسر هذا الاسم) ،
وعلى باب بم ثلاثة حصون يعرفن بالاخوات . يحدهن بالبلد البساتين والنخيل » .
ولا أثر اليوم فى الخارطة لمدينة نرماسير . ولكن الاطلال المعروف موضعها باسم
جكك اباد « أى مدينة المصفور » القائمة على يمين النهر البطىء الذى يدور فى
سهل نرماسير ، ينبغى أن تكون هى بقايا مدينة القرون الوسطى العظيمة . وهذا
الموضع اليوم فى قفر بلقع وان كان المستوفى حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
قد أشار الى نرماسير بانها بلدة آهلة .

وعلى عشرين ميلا من جنوب الفهرج ، مدينة ريكان (وتكتب أيضا ريقان

(٣) ابن حوقل ٢٢٣ و ٢٢٤ : المقدسى ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٧٠ : المستوفى ١٨٢ : ياقوت ١ : ٧٠٠ .
وقد وصف ميجر ساينس ابارك ودارزين . انظر : Persia من ٢١٤ .

أو ريغان) • ذكر المقدسي ان لها حصنا • والجامع على بابها ، كثيرة النخيل والبساتين • • وأشار المستوفى اليها ، فقال هي بلد في غابة الحر ، يكثر فيها النخيل والقمح • وبين ريغان وبم ، مدينة كرك ، وقد جمع المقدسي بينها وبين جارتها باهر (ولا يلتبس هذا الاسم باسم بهار في السيرجان أنظر ص ٣٤٩) • وقد كانت هاتان المدينتان في المئة الرابعة (العاشرة) « عامرتين لهما بساتين ونخيل » • وكانت مدينة نسا من كورة نرماسير أيضا ، ولكن موضعها غير معروف كان (لها بساتين ، في سهلة ، والجامع في الاسواق ، شربهم من نهر »^(٤) •

وقد كان جميع النصف الجنوبي من اقليم كرمان حتى ساحل البحر ، تحتويه كورة جيرفت (أو حيرفت) • وكانت جيرفت في القرون الوسطى مدينة جليلة الشأن ، يتخللها نهر ، لم بسم البلديون العرب غيره في هذا الاقليم • وتعرف خرائب جيرفت اليوم (وقد بقي هذا الاسم اليوم على ناحية جيرفت فقط) يشهر دقيانوس (أى مدينة الملك Decius) الذي يضرب المثل بطغيانه في الشرق وفي أيامه دخل أهل الكهف السبعة كهفهم على ما في القرآن (السورة ١٨ الآية ٨ ؛ وأنظر صفحة ١٨٨ أعلاه) وقد أضحت قصة أهل الكهف من التفاصيل الشعبية • ويمر بالقرب من هذه الخرائب ، نهر يقال له خليل رود (أو خليل رود) وهو الذي سماه البلديون العرب والفرس بـ « ديو رود » (أى نهر ابليس) لشدة جريه • وهو أحد روافد بم بور ، ويصب شرق الهامون أى المناقع •

وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل جيرفت فقال « مدينة طولها نحو من ميلين ، وهى متجر خراسان وسجستان ، ويجتمع فيها ما يكون في الصرود والجروم » • « وترتفع من نواحي جيرفت النيل الكثير والكمون ولهم فايد ودوشاب »^(٥) • وبقرى جيرفت ناحية تعرف بالميزان (وفي الاصطخرى : الميجان) عامرة بالبساتين والقرى ، يكثر فيها الرطب والجوز والاترج • والثلوج

(٤) ابن حرداذنه ٤٩ ؛ المقدسي ٤٦٣ ، ٤٦٤ • في الطبعة الحجرية للمستوفى ، (ص ١٨٢) اقرأ « نرماسير » بدل « ماشير » وذلك استنادا الى أحسن المخطوطات المؤيدة بنص جهان ما التركية (ص ٢٥٧) • وأنظر عن جلك آباد سايتس : Persia ص ٢٢٠ •
(٥) الفانيد : السكر •

تحمل اليها من الجبال القريبة • وماؤها من نهر يعرف بـ « ديو روذ » له وجبة ،
 وجرى سريع يجرى على الصخور ، وفيه ماء بالتقدير يدير خمسين رحي •
 ومن شعب درفارد القريب من جيرفت ميرتها وفيه ، على ما جاء فى المقدسى ،
 البطبخ الحلو والرجس الذى يعمل منه الطيب المشهور • وعلى المدينة حصن
 بأربعة أبواب ، هى : باب شاپور (سابور) ، باب بم ، باب السرجان ، باب المصلى •
 « والجامع على طرف عند باب بم من آجر وجص ، بعيد عن الاسواق » • وزاد
 المقدسى على ذلك قوله « هى أكبر من اصطخر ، بناؤهم طين ، أساسه حجر » •
 وقال ياقوت ، ان ولاية جيرفت خصبة كثيرة الخيرات يقال لها جردوس •
 وأشار المستوفى الى الثابات المكتظة بالسباع ، التى كانت تحيط بالمدينة قبلا •
 أما فى أيامه ، فقد نشأت فى موضعها بساتين النخيل • وكثيرا ما أشار ابن ابراهيم
 فى تاريخ السلاجقة الى قمادين فى المئة السادسة (الثانية عشرة) بقوله انه موضع
 عند باب جيرفت ، وفيه يختزن تجار بلاد الروم والهند سلعهم وحيث يجتمع
 المسافرون بحرا وبرا • وذكر فى مكان آخر ان السلع الفاخرة النفيسة الآتية
 من الصين وبلاد ما وراء النهر وخطاي ومن هندستان وخراسان ومن الزنجبار والحبشة
 ومصر ومن الروم وأرمينية والعراق والجزيرة واذربيجان ، كان كلها يباع فى
 أسواق قمادين • وقمادين الفارسية هى الموضع الذى ذكره ماركو پولو باسم
 Camadi أو مدينة كمادى • وقد كانت قبلا موضعا عظيما جليلا • ولكن حين
 زارها ماركو پولو كانت حقيرة من جراء ما لحقها من غارات التتر المتعاقبة • وهذا
 يفسر لنا سبب اختفاء جيرفت وقمادين من التاريخ بعد ختام المئة السابعة (الثالثة
 عشرة) وخلو الخارطة من اسميهما • وكان حول جيرفت ناحية الروذبار التى
 ذكرها البلدانون العرب وجاءت عند ماركو پولو باسم Reobarles
 ريوبارلس (٦) •

(٦) عن الحلال شهرديانوس وهى على يمين نهر خليل روذ ، على مسافة قصيرة من عرب
 سرجاز ، انظر : Keith Abbott فى JRGs لسنة ١٨٥٥ ، ص ٤٧ وسايكس :
 Persia ص ٢٦٧ ، الاصطخرى ١٦٦ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدسى ٤٦٦ ، ٤٧٠ : ياقوت
 ٥٧ : المستوفى ١٨٢ : ابن ابراهيم ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٣ : شندلر : JRAS لسنة ١٨٩٨ ص ٤٣ • ر
 (Yule) The Book of Ser Marco Polo ١ : ٩٨ •

وعلى مرحلة من شمال شرقي جيرفت وفي نصف الطريق الى دارجين ، بلدة هرمز الملك (وقد سميت بذلك تمييزا لها عن فرسة هرمز) وكان يقال لها أيضا قرية الجوز . وهي على ما جاء في الادريسي - ولكن غير واضح من أين استقى روايته - مدينة قديمة أسسها الملك هرمز الساساني في المئة الثالثة للميلاد ، وكانت قسبة اقليم كرمان . وظلت على ذلك حتى خرابها ، فنقلت دواوين الدولة الى السيرجان ، فظلت هذه المدينة قسبة الاقليم في الدور الساساني الاخير . وقد أشار المقدسي وغيره من البلداتيين الاولين الى موضع هرمز الملك ، غير انهم لم يذكروا شيئا عنها . وزاد الادريسي ان هرمز هذه كانت في أيامه (أو على أكثر احتمال في أيام المؤلف المجهول الذي استقى منه روايته) مدينة أنيقة لطيفة على صفرها . أهلها أخلاط ، يكثر فيها الماء وأسواقها عامرة حسنة . وكانت تبعد ، على قوله ، مرحلة من بم^(٧) .

وعلى مرحلة يوم شمال خرائب جيرفت ، دلفريد ، وقد سماها المقدسي درفاني ، وابن حوقل درفارد . وهي في شعب خصب تجتمع فيه فواكه الصرود والجروم على ما بيناه ومنه ميرة جيرفت . وعلى مرحلة أخرى من شمال غربي دلفريد ، جبل المعادن حيث الفضة . وتكثر بوجه خاص في واد في جبل الفضة^(٨) .

والى شرق جيرفت ، جبل البارز ، وكان في المئة الرابعة (العاشرة) تكسوه غابات كثيفة . واليه التجأ المجوس المطاردون في أيام الفتح الاسلامي الاول تخلصا من الجيش الذي جرده عليهم خلفاء بني أمية ، ولم يخضع هذه البلاد للإسلام الا بنو الصفار . واشتهرت بعد ذلك بمعادن حديد . وأقرب منها الى ساحل البحر ، في جنوب شرقي جيرفت ، بلاد جبل القُفص . كان بها في المئة الرابعة

(٧) الاسطخري ١٦١ و ١٦٩ ؛ ابن حوقل ٢١٩ و ٢٢٥ ؛ المقدسي ٤٧٣ ؛ الادريسي (طبعة جوبرت) ١ : ٤٢٣ ومخطوطتا باريس : الرقم ٢٢٢١ عريبات ، الورقة ١٥٧ ب ، والرقم ٢٢٢٢ ، الورقة ١١٠٤ ؛ ياقوت ٢ : ١٥١ .

وقد طابق ميجر سايكس (Persia ص ٤٤٤) بين هرمز الملك (ولا وجود لها الآن بهذا الاسم) وبين Garmana omnium mater لدى اميانس مرشليينوس .

(٨) الاسطخري ١٦٥ . وقد كتب الاسم بصيغة درباي ، ولعل ذلك من وهم النساخ . ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ ؛ المقدسي ٤٦٧ و ٤٧١ ؛ أهر الفداء ٣٣٥ .

(العاشرة) قبائل جبلية ، وفي شرقيها البلوص (أو البلوج) وكانوا ينتقلون عند تخومها الشرقية أمام الحدود السفلى للمفازة الكبرى . وسيأتى الكلام على أجيال القفص من اللصوص عند وصفنا المفازة الكبرى . وكان يقال لقسم من هذه البلاد البعيدة : الخواش ، نسبة الى قبائل يعرفون بالاخواش . وهم أصحاب ابل ومراع وكانوا فى شعب شديد الحر يكثر فيه قصب السكر ويحمل الى سجستان وخراسان . وهذه الرقعة الجبلية هى التى تفصل بين الطرف الجنوبى للمفازة الكبرى ومكران . وقد كانت هذه المرتفعات سبعة أجبل ، ولكل جبل رئيس منهم ، وقد حمل عليهم عضد الدولة البويهى فى المئة الرابعة (العاشرة) لاخضاعهم . وهم « رجالة لا دواب لهم » . « وهم صنف من الاكراد كانوا أصحاب نعم ويوت شعر مثل البادية » ، لا مدن لهم . وفي الاقسام السفلى من بلادهم نخل كثير^(٩) .

وعلى خمسين ميلا جنوب غربى جيرفت ، مدينة «كلاشكيرد» وقد كتبها المقدسى بصورة ولاشجرد وقال فيها : « عليها حصن ولها قهندز يسمونه كوشه » شربهم من قنى ذات بساتين . « ومنون » كثيرة البساتين والنانج ، وهى من معادن النيل ، شربهم من قنى « وهى على مرحلة شمال ولاشجرد نحو جيرفت ، ولعل خرائبها هى ما يعرف اليوم باسم فرياب أو يرياب^(١٠) » . وعلى خمسين ميلا من جنوب ولاشجرد المدينة الجبلية منوقان ، ويقال لها اليوم منوجان . قال فيها المقدسى « هى بصرة كرمان » اشارة الى مكانتها التجارية . وهى جانبان ، بينهما واد يابس يقال له كلان ويعرف أحد جانبيها باسم كونيى والآخر زامان ، بينهما قلعة [ما زالت قائمة] وجامع يسمى جامع سيان . وعلى مرحلة منها ، فى رملة قريبة من البحر ، مدينة درهقان ، ولا أثر لها اليوم على ما يبدو . وكان الجامع وسط البلد ، ولها بساتين فيها نيل ، وشربهم من قنى .

(٩) الخواش اليوم ، قصبة سرحد ، وهى ناحية جبلية وصفها ميجر سايكس Persia ص ١٣٠ و ٢٥٣ . « وتقوم فى شرق نرماشير . الاصطخرى ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٨ : ابن حوقل ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ : المقدسى ٤٧١ : ياقوت ٤ : ١٤٨ . وينبغى ان يقرأ فيه : البارز بدلا من القارن .
(١٠) وقد اشار ميجر سايكس (Persia ص ٢٦٩) الى مرياب بقوله كانت حينما ما مدينة عظيمة ثم خربها طوفان عل ما ترويه الاساطير المحلية .

وبين ولاشجرد ومنوجان نهر كثير الروافد يقال له الآن رودخانه دزدی ، ذكره الاصطخری باسم نهر الزنکان ، ویاقوت باسم نهر راغان . وأشار المقدسی الى مدينة روذکان وقال انها عامرة ، بها بساتین ونخيل وتارنج كثير ، ولعلها كانت على هذا النهر . والى شمال شرقی منوقان ، فی طریق ریگان ، وهی على ثلاث مراحل من ميناء هرمز ، مدينتا باس وجکین ، متجاورتان ، لكل منهما جامع وسوق . ونهر سليمان أو جوي سليمان ، مدينة عامرة كثيرة الامل على مرحلة غرب ریگان ، وقد ذكرها المقدسی فی كورة جبرفت . « وفيها نهر يتخلل البلد ، والجامع وقهندز وسطها » . وأخيرا ذكر المقدسی فی القسم الشمالی من ناحية جبل القفص مدينة قوهستان ، ويقال لها قوهستان أبی غانم تميزا لها عن غيرها وهی « وسطه حارة كثيرة النخيل ، والجامع وسطها وبها قهندز » (١١) .

أما هرمز القديمة ، أى هرمز التي فی البر ، فهی تبعد نحو يريدين أو مرحلة نصف يوم من ساحل البحر . على خليج من بحر فارس يسمى الجبر على ما فی الاصطخری « يدخل فيه السفن من البحر » . وما زالت خرائب المدينة ترى فی موضع يقال له اليوم مناب واسمها الدارج مناو . وكانت هرمز القديمة فی المئة الرابعة (العاشرة) مجمع تجارة كرمان وسجستان وفي الأئمة الاخيرة ، لما بنيت هرمز الجديدة فی الجزيرة ، حلت محل قيس مثلما حلت قيس محل سیراف قبلا ، وأصبحت أجل فرضة تجارية فی خليج فارس . وتكلم الاصطخری على هرمز (القديمة) وقال « بها مسجد جامع ، ومساكن التجار فی رستاقها ، متفرقين فی القرى نحو فرسخين ، والبلد كثير النخل ، والغالب على زرعهم الذرة ، ويزرع فيها النيل والكمون وقصب السكر » . وأطرى المقدسی أسواق هرمز فقال « سوقهم جاد ، وشربهم من قنى ، وبنائهم من طين » . والعروة على ساحل البحر ، تبعد عن هرمز مرحلة نصف يوم ، ويظن انها كانت عند مدخل خليج هرمز .

وقد ذكر ابن خرداذبه فی أواسط المئة الثالثة (التاسعة) ، الجزيرة القريية

منها باسم أرموز (وكتبها المستوفى : أرموص) ولا ريب في انها هي الجزيرة التي تعرف بجزيرة جرون . ففي مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) - وذكر أحد مراجعنا السنة ٧١٥ (١٣١٥) - هجر ملك هرمز المدينة التي على ساحل البحر ، لاتصال غزوات اللصوص لها ، وبنى هرمز الجديدة في الجزيرة المارة الذكر المعروفة باسم جرون (أو زرون) وهي تبعد فرسخا عن الساحل . وفي هذا الزمن ، زار ابن بطوطة هرمز الجديدة . وقد وصفها معاصره المستوفى وأطرى كثرة نخلها وقصب سكرها . وحكى ابن بطوطة ان هرمز القديمة كانت تسمى في أيامه موغ أستان ، وأطلق على المدينة الجديدة اسم الجزيرة المعروفة بجزيرة جرون ، وهي مدينة حسنة لها أسواق حافلة ، وبها جامع ، وهي منجر سلع الهند والسند .

وفي ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جرد تيمور حملة على المدن الساحلية القريبة من هرمز القديمة ، فاستولى على سبع قلاع هناك أحرقتها كلها وفرن مقاتلتها الى جزيرة جرون . أما هذه القلاع السبع ، فان علي اليزدى سرد أسماءها ، وهي : قلعة الميناء في هرمز القديمة ، وتنگ زندان ، وكشكك ، وحصار شامل ، وقلعة منوجان (وقد مر ذكر المدينة) ، وترزك ، وتازيان . وفي سنة ٩٢٠ (١٥١٤) استولى البرتغاليون على هرمز ، واسمها الشائع أرمز ، بقيادة ألوكرك (Albuquerque) وعرفت البناء الساحلية التي نزلوا فيها باسم گمبرون (Gombroon) . وهو الموضع الذي اطلق عليه الشاه عباس بعد قرن اسم بندر عباس . وهو فرضة كرمان الحالية . ولعلها تقوم في موضع سورو أو شهر المارة الذكر في الفصل المعقود لفارس . ويقال ان الاسم گمبرون هو الذي حرق الى كمرک (من اليونانية Koumerki) ومن هذا الاسم شاعت كلمة الكمرک في أنحاء الشرق . وأشارت جهان نما التركية الى ان گمرو ميناء هرمز . ومنها الى مدينة لار (في فارس) مسيرة أربعة أو خمسة أيام (١٢) .

(١٢) ابن حرداذبه ٦٢ : الاصطخرى ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ : ابن حوقل ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣ : المقدسى ٤٦٦ و ٤٧٣ : المسنوفى ١٨٢ و ٢٢٢ : ابن بطوطة ٢ : ٢٣٠ : ابو العلاء ٣٣٩ : علي اليزدى ١ : ٧٨٩ و ٨٠٩ و ٨١٠ : جهان نما ٢٥٨ و ٢٦٠ .
وفد احلف في اسم الملك الذي نفل العصبة الى الجزيرة فعيل انه شمس الدين وقطب الدين

وتجارات كرمان تقصر كثيرا عن تجارة فارس ، ولم ينته اليها من البلدانين العرب شيء كثير عن تجارة هذا الاقليم . ذكر المقدسي ان في كرمان تمورا وذرة وهي طعامهم . وتحمل من كرمان التمور الى خراسان ، والنيل الى فارس ، وغلات ناحية ولا شجر الى هرمز ، ومنها تحمل في السفن الى اقاصى البلدان (١٣) .

وما ذكره بلدانيو المثة الثالثة والمثة الرابعة (التاسعة والعاشر) عن مسالك اقليم كرمان ، اقل كثيرا مما وصفوا به مسالك اقليم فارس . وهم الى ذلك اوردوا المسالك بالمراحل فقط ، وهو مقياس غير دقيق . ويفتقر وصفهم لمعظم الطرق الى ذكر مراحلها الواحدة تلو الاخرى بالفراسخ .

فالطرق الآتية من فارس الى كرمان ، تجتمع في بيمند ، وهي على ما بينا ، على أربعة فراسخ من غرب السيرجان . فمن الشمال الشرقي ينحدر طريق من أناس وناحية رودان الى بيمند (وقد ذكره الاصطخرى والمقدسي) . ومن صاهك الكبرى الى بيمند (والسيرجان) طريقان جاء وصفهما بالفراسخ ، الاول يمر بشهر بابك (ولم يذكره غير ابن خرداذبه) والآخر يقطع المقازة الى بيمند رأسا . وكان يبلغ اليها بطريقين : الاول (ذكره ابن خرداذبه) يمر بقريه الملح ، والآخر يمر برباط پشت خم (ذكره قدامة والاصطخرى) . والى ذلك ، ذكر المقدسي الطريق من نيريز (بالمراحل) الى بيمند والسيرجان . وقد وصف هو والاصطخرى ، الطريق من الجنوب الغربى الذاهب رأسا من رستاق الرستاق الى السيرجان ومسيرته نيف وأربعة أيام (١٤) .

وكان من السيرجان الى بردسير (مدينة كرمان) مسيرة يومين . وذكر المستوفي انها عشرون فرسخا . ولم ينته اليها اسماء ما بينهما من محطات . مع انه كان بالقرب من هذا الطريق : ماشيز وبفين على ما قد بينا . ذكرهما ابن ابراهيم ،

او فخر الدين . وقد استولى الانكليز على جزيرة هرمز في سنة ١٦٢٢ . وعن رستمها الحال انظر : Stiffe Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ، ١ : ١٢ ، و JRGs لسنة ١٨٩٤ ص ١٦٠ . وقد كتب الاسم بصورة هرمز وهو رموز .

(١٣) المقدسي ٤٧٠ .

(١٤) ابن خرداذبه ٤٨ و ٥٣ : لدامة ١٦٥ : الاصطخرى ١٣١ و ١٦٨ : المقدسي ٤٥٥ و ٤٧٣ :

المستوفى ٢٠١ .

وقد كتب فى المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، غير مرة ، وقال انها كانتا قائمتين فى المثة الرابعة (العاشرة) • ومن بردسير (كرمان) الى زرنند مرحلتان • وكانت جنزروذ تتوسطهما • ومن السيرجان الى ماهان مسيرة ثلاثة أيام • ومنها الى خيىص ثلاثة أيام أخرى • ولكن لا يعرف ما بينهما من محطات (١٥) •

وكان طريق القوافل العظيم ، من السيرجان فشرقاً الى مكران ، يمر بجملته مدن لم يبق لها أثر • فقد كان يأتى الى راين ، ومنها فى طريق يمر بدرزين وبم ونرماسير الى الفهرج على شفير المفازة • وقد ذكر ابن خرداذبه وقدامة المراحل فى هذا الطريق بالفراسخ ، هذا الى ما انتهى الينا فى مرجعين آخرين عن المحطات التى فى مرحلة كل يوم (١٦) •

اما الطريق من السيرجان ، نحو الجنوب الشرقى الى جيرفت ، فمع ان ابن خرداذبه قد وصفه بالفراسخ ، والاصطخرى بالمراحل ، لا يمكن ان نعين من المواضع التى جاء ذكرها فيه غير درفارد ، فربما لا يمكن العثور عليها فى الخارطة ما خلا مدينة بافت الجنوبية • كما ان القراءات المختلفة لهذه الاسماء فى المخطوطات لا يصح الركون اليها فى أى حال ، ومن جيرفت ينعطف الطريق جنوباً فيمر بولاشجرد ومنوقان ثم ينتهى بالساحل عند هرمز (القديمة) • وعلى ما جاء فى الاصطخرى ، كان يتفرع منه عند ولاشجرد طريق يضرب غرباً الى حد اقليم فارس ، يمرّ بسلسلة من المدن والقرى قد اختفت اليوم كلها ، بل لا يمكن ، يا للأسف ، تعيين منتهى هذا الطريق فى حد اقليم فارس (١٧) •

والطريق من هرمز القديمة الى ريگان ونرماسير ، قد ذكره المقدسى بالمراحل • وكان يمرّ بمديتى باس وجكين • أما الطريق نحو الجنوب من راين الى جيرفت ، فقد ذكر الاصطخرى المسافات فيه ما بين دارجين وهرمز الملك بالمراحل (١٨) •

(١٥) الاصطخرى ١٦٦ : المقدسى ٤٧٣ : المستولى ٢٠١ -

(١٦) ابن خرداذبه ٤٩ : تدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٦٨ : المقدسى ٤٧٣ •

(١٧) ابن خرداذبه ٥٤ : الاصطخرى ١٦٦ •

(١٨) الاصطخرى ١٦٩ : المقدسى ٤٧٣ •

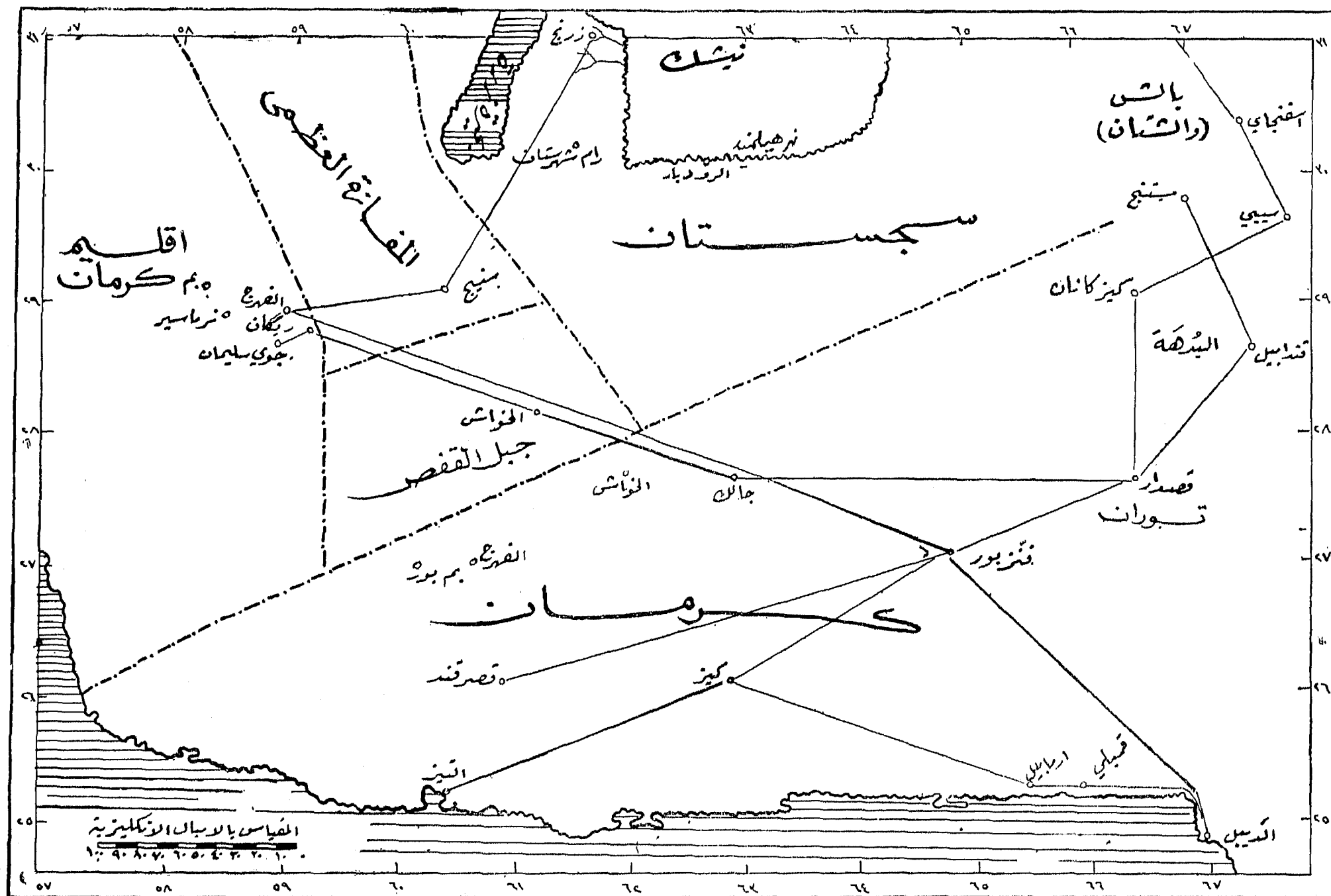
الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

امتداد المفازة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرمق ولابند وسنج -
 أهم مسالك المفازة - الليم مكران - فنزبور وميناء التيز -
 مدن أخرى - السند والهند - ميناء الديبل - المنصورة
 والملائن - نهر مهران (Indus) - كورة
 طوران ولصنار - كورة البدهة
 وفنديايل *

تمتد المفازة الكبرى في ايران فتقطع هضبة ايران العالية ، من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، فتفصل الاقاليم الخصبه في هذه البقاع الى مجموعتين . فان هذه المفازة تبدأ من جنوب جبال ألبرز التي يشرف شمالها على بحر قزوين ، وتمتد الى جبال مكران المجده ، الاقليم المتاخم لبحر فارس . ويقدر طول المفازة بنحو من ٨٠٠ ميل ، ولكن عرضها يختلف باختلاف بقاعها ، لان شكل هذه الرقعة الفسيحة من الفيافي القاحلة أشبه شئ بزجاجة الساعة الرملية الضيقة العنق ، لا يتجاوز عنقها الضيق مئة ميل وهو يفصل بين كرمان وسيستان ، بينما يتسع عرضها كثيرا في الشمال والجنوب حتى ليتجاوز في بعض المواضع مئتي ميل^(١) .

(١) بينا حدود المفازة الكبرى بوجه عام في الخارطة رقم ١ (امام الفصل الاول) ، وتفاسيل القسم الشمال منها في الخارطة رقم ٥ (امام الفصل ١٣) ، والقسم الاسفل منها في الخارطة رقم ٦ (امام الفصل ١٧) والخارطة رقم ٧ (امام الفصل ٢٣) والخارطة ٨ (امام الفصل ٢٤) .



اقليم مكران ، مع قسم من اقليم سجستان

وقد عرف البلدان يون العرب فى القرون الوسطى هذه الصحراء بالمفازة ، وعنوا كثيرا بتعين حدودها • فمن غربها وجنوبها الغربى يحدها اقليم الجبال وكورة يزد (وكانت تعد بالاصل جزءا من اقليم فارس) وكرمان ، وفى جنوبها تتداخل فى أضعاف جبال ساحل مكران • ومن شرقها وشمالها الشرقى خراسان والاقليم التابعة لها والمجاورة : وهى قومس فى شمال المفازة ، ثم زاوية من اقليم خراسان نفسه ، ثم قوهستان ، وفى أسفل ذلك سجستان وهى عند القسم الضيق من المفازة مقابل كرماني • وسجستان اليوم مفازة بلوجستان ، وكانت فى العصور الوسطى تعد جزءا من مكران •

وما كتبه ابن حوقل والمقدسى عن المفازة انما كان عن خبرة ومشاهدة ، اذ أن كليهما اجتاز قفارها غير مرة • أوجز ابن حوقل وصفها فقال : « ليست فى حيز اقليم بعينه ، وهى من أكثر المفاوز لصوصا وفسادا » قد جعلوا منها ملجأ يعتصمون به ويأوون اليه • وليس فيها قرية ولا مدينة سوى فى ثلاثة مواضع • أما المقدسى فقد نبسط فى الكلام عليها • ونحن نلخص شيئا مما ذكره قال : مثل المفازة كمثل البحر ، كيفما شئت فسر اذا عرفت السميت وسلكت حيث تلمح الحياض والقباب المعمولة فيها فوق حياض المياه التى كان يعنى بانشائها فى المئة الرابعة (العاشرة) بامتداد أهم طرقها بين مرحلة كل يوم وأخرى • وقد أمضى المقدسى فى هذه المفازة سبعين يوما ، مخترقا اياها من اقصاها الى اقصاها • وتكلم كلام خير على ما فيها من دروب ومعارج فى جبال فيها وكلها مخيف ، سباحها وسرودها وجرومها ، وقال ان فيها رمالا قليلة ونخيلا وزروعاً فى أضعاف كثير من وديانها الصغيرة •

وكانت المفازة فى ذلك الزمن مخيفة ، لان عصابات من البلوص (وهم

وتعرف هذه المفازة اليوم بـ « دشت لوط » أى مفازة لوط • ويعرف ما فيها من مستنقعات ملحة وسباح بـ « دشت كوير » [بوزن ، صمير] • ويطلق أحيانا اسم كوير على المفازة باجمعها أيضا • اما اشتقاق اسم لوط (وهو لوط التوراة بحسب التسمية العربية) وكوير ، فغير معروف • انظر : Major Sykes فى Persia ص ٣٢ •

قلنا : وانظر أيضا الطبعة الجديدة من كتاب :

Sir Percy Sykes, A History of Exploration (London, 1949; p. 341, 372..

مفاهيه أحدث وصف للرحلات فى ساحل مكران ومفازة لوط الجنوبية - (م) •

البلوج) كانوا يقتصمون في جبال القفص عند تخوم كرمان ، وهم « قوم لا خلاق لهم ، وجوه وحشة وقلوب قاسية ، وبأس وجلادة ، لا يقون على أحد حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات ، تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى ينصدع ، وسألهم المقدسي عن سبب ذلك ، فقالوا له لثلاث تفسد سيوفنا . وفي أيام المقدسي أبادهم عضد الدولة البويهى ، وحمل منهم أمة رهائن الى فارس . فسلم الطريق من شرهم ، اذ كان مع القوافل بذرقه من قبل السلطان . وكان هؤلاء البلوص ، على ما ذكر المقدسي ، « رجالة ، وربما ركبوا الجمّازات » (٢) . وهم وان كانوا يدعون الاسلام ، الا انهم « أشدّ على المسلمين من الروم والترك : اذا أسروا الرجل أمروه بالعدو معهم نحو عشرين فرسخا حافى القدم جائع الكبد . زادهم شيء مثل الجوز يتخذ من التبق . وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش » .

وبعد المقدسي بنحو من نصف قرن ، أى فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ، قطع ناصر خسرو الجزء الشمالى من المفازة فى عودته من حجه الى مكة . ولم يطلق ناصر خسرو على المفازة الكبرى اسما خاصا بها ، بل أشار اليها فقط بلفظ بيابان ، أى « أرض لا ماء فيها » . على انه ذكر أهم صفتين خطرتين فيها : الرمال المتحركة (ريك روان) والسباخ (شورستان) التى قد يبلغ طولها ستة فراسخ . غادر ناصر خسرو ناين فى إقليم الجبال الى الواحات الوسطى فى الجرمق ، ومنها الى طبرس فى قوهستان ، سالكا الطريق الذى سنصفه الآن . على ان وصفه هذا الطريق غامض لم يزد الا القليل على ما نعرفه عنه . فقد تكلم على گيلكى أمير طبرس وقال انه نشر الاثمن والسلام فى المفازة ، وهابه لصوص القفص الذين سماهم كوفج ، وزال خطرهم . وذكر ان بين كل فرسخين من الطريق الذى سلكه ، قبابا فوق حياض الماء ، شيدت حتى لا يضل المسافرين الطريق ولكى يأووا اليها فى الحر والقر . وذكر انه لو لا العناية بهذه الحياض لما استطاع أحد اجتياز المفازة وهم فى خوف من اللصوص . وقد عزّز قول ناصر خسرو هذا ، ما جاء

(٢) الجمّازات . واحدها الجمّازة . وهي ناقة تعدو الجمزى . والجمزى نوع من العدو السريع كالوثوب (م) .

- ٣٦٣ -

فى وصف كتابي المسالك لابن حوقل والمقدسى عن طرق القوافل العديدة فى هذه القفار الممتدة الى كثير من الجهات ، ففى جميعها ، حياض للماء بين مرحلة ومرحلة^(٣) .

وعلى مدى الخط الاوسط لهذه المفازة الكبرى ، ثلاث واحات تبعد احداها عن الاخرى بعدا كبيرا . واليها طبعا تتوجه طرق المفازة المختلفة التى تقطعها من الغرب الى الشرق . كانت هذه الواحات تعرف فى القرون الوسطى بالجرمق وتابند (وما زالت تسمى بذلك) وسنيج . ولم يكن فى المفازة ، على ما ذكر المقدسى ، من مدن غير هذه الاخيرة .

وتتوسط القسم الاعلى الواسع من المفازة ، عند منتصف الطريق بين اصفهان وطبس فى قوهستان ، واحة يقال لها اليوم جندك أو بيابانك وهى التى كان يعرفها العرب فى القرون الوسطى بالجرمق ، وكانت تكتب بالفارسية بصورة گرمه . وهى ثلاث قرى : الجرمق (أو گرمه) وبيادق (أو بياده بالفارسية) وأرابه . وأطلق ابن حوقل على هذه القرى اسم سهده وتفسيرها ثلاث قرى . وذكر ناصر خسرو انه كان فى هذا الموضع فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) من عشر الى اثنتى عشرة قرية . وكان فى بياده أيضا حصن صغير فيه بذرة الامير گيلكى لحماية مسالك المفازة . وكان فى هذه الواحة نخيل وزروع ومواش كثيرة . وقال ابن حوقل كانت هذه القرى الثلاث فى رأى العين قرية بعضها من بعضها . وكان فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) نحو ألف رجل . ولم يزد من جاء بعده من المصنفين شيئا على ما ذكر . وكل من كتب عنها حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) يطابق قول ابن حوقل ، وكلهم ناقل عنه .

أما تابند ، الواحة الثانية ، فما زالت تعرف بهذا الاسم . وهى فى الطرف الشمالى من جزء المفازة الضيق بين راور فى كرمان وخور فى قوهستان . قال ابن حوقل فى تابند انها رباط فيه مقدار عشرين مسكنا وفيه ماء يجرى ، عليه رعى صغيرة ، ولهم نخل ، ولهم زرع على ماء عين . وقبل تابند بفرسخين عين ماء

(٣) ابن حوقل ٢٨٧ و ٢٨٨ : المقدسى ٤٨٨ و ٤٨٩ : ناصر خسرو ٩٣ - ٩٤ = ١٠٣ - ١٠٤
من الترجمة العربية : ' ياقوت ٤ : ١٤٧ .

وعندها نخيلات وقاب ، وليس بها أحد ، وهى ملجأ لتلصوص •
 أما الواحة الثالثة فالى الجنوب أيضا ، فى أضيق قسم من المفازة وهى مرحلة
 فى نصف الطريق بين نرماسير فى كرمان وزرنج فصبة سجستان • وفى هذا
 الموضع واد صغير فيه عبون ، يسميه الفرس اليوم بنصرت أباد ، ولكن ما زال
 البلوج يعرفونه باسم اسبى أو اسفى وهذا الاسم يطابق قراءة الاسم « اسبىذ »
 لهذه الواحة فى المقدسى الذى سماها أيضا سنيج أو سنيك ، وعدّها من مدن
 سجستان • أما ابن حوقل فقد جعلها من أعمال كرمان • ولم يكن فى المفازة ،
 على ما بنا ، مدينة غيرها بحسب قول البلدانيين العرب • وقال فيها المقدسى :
 « عامرة أهلة ، بها مزارع كثيرة وقنى ، غير انها كانت فى حدود المفازة »^(٤) •
 وتوسط بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) فى صفة طرق المفازة • فمن غربها
 كان يخرج ، من اصفهان ومن ناين ، طريقان يجتمعان فى الجرمق : أولهما
 (وقد وصفه المقدسى) ثمانى مراحل • ومن ناين الى الجرمق خمس مراحل •
 وبين كل بضعة فراسخ منه حياض للماء وقاب •

والمقدسى مرجعا فى وصف الطريق من الجرمق المتجه شمالا الى الدامغان
 فى قومس رأسا وطوله تسعون فرسخا • خمسون فرسخا الى موضع يقال له وند ،
 ثم أربعون فرسخا الى الدامغان • ومن الجرمق يشرق ، وبعد مسيرة أربعة أيام
 يبلغ موضعا يقال له • نوخانى أو نوجاى • وبين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ منه
 قباب للماء • ويتفرع الطريق فى نوجاى الى فرعين : يتجه أحدهما نحو الشمال
 الشرقى الى ترشيز ، والآخر نحو الجنوب الشرقى الى طبس • وكلا الموضعين
 فى إقليم قوهستان • والمسافة من نوجاى الى ترشيز أربع مراحل • تتوسطها بن
 أفريدون (وتعرف اليوم باسم ده نابند ولا يلتبس هذا الموضع بواحة نابند ، وقد
 مرّ ذكرها الآن) • وذكر المقدسى أيضا طريقا يقطع المفازة من الجرمق الى

(٤) ابن حوقل ٢٨٦ و ٢٩٣ : المقدسى ٤٨٨ و ٤٩٤ و ٤٩٥ : ناصر خسرو ٦٣ و ٦٤
 (= ١٠٣ - ١٠٤ من الترجمة العربية) : المستوفى ١٨٣ : ياقوت ٣ : ١٧٠ •
 وواحة بيا بلك (ويقال لها جندك أو خور) قد ذكرها تافرنى فى المئة السابعة عشرة للميلاد •
 (الرحلات ١ : ٧٦٩ • لهاى ١٧١٨ م) • وزارها الكولونيل ماك كريكور (Macgregor)
 فى سنة ١٨٧٥ انظر : Khorasan ١ : ٩١ • ثم زار الميجر سايكس نابند واسفى الى
 نصرت اباد (انظر Persia ص ٣٦ و ٤١٦ •

بن أفريدون هذه في سبعة أيام ، في كل مرحلة منه حوض • ومن نوجاي يتجه الطريق نحو الجنوب الشرقي فبلغ طبس بعد مسيرة ثلاث مراحل • وذكر ابن خرداذبه المسافات بين طبس وترشيز عن طريق بن بالفراسخ • أما في غير هذا الطريق ، فإن طرق المفازة قد وردت بذكر مرحلة اليوم فقط^(٥) •

والطريق من يزد الى طبس رأسا ، كان بمرّ بأنجيرة وخزانة فيبلغ ساغند وهي في شفير المفازة • وقد مرّ ذكر هذه المواضع في اقليم فارس (أنظر ص ٣٢٢) • من ساغند الى طبس ذكر ابن خرداذبه المراحل الست التي فيه بالفراسخ • وقد نقل ابن حوقل والمقدسي وصفه لهذا الطريق ، ولكنهما ذكراه بالايام واتبعنا طريقا يخالفه بعض الشيء • وكان على مرحلتين من ساغند حصن يقال له رباط آب مُشْتَرَان (أى رباط نهر الجمل) • وكان الماء يأتي من قناة وبصب الى بركة • وقد وصف المقدسي هذا الرباط بقوله « ما رأيت أحسن منه » من الحجارة والجص ، عليه أبواب حديد ، وفيه قوم يحفظونه • بناء ناصر الدولة ابن سيمجور وهو من قادة بني بويه المشهورين • وكان والي هذه الجهات في أواسط المئة الرابعة (العاشرة) •

وبعد هذا الحصن بثلاث مراحل ، تنتهى المفازة • وعندها بجانب الطريق طبس ، على ما ذكر ابن حوقل (معيدا قول الاصطخرى) ، ويسير سيرا متصلا من المحطة التي في جنوب هذه المدينة بمرحلة ، الى المحطة التي في شمالها بمرحلة في الطريق الذاهب الى بن^(٦) •

والطريق الآخر الذى يقطع المفازة ، يبدأ من قرية بيرة في ناحية يقال لها شور ، أى الماء المالح ، وكانت عند حدّ كرمان قرب كوه بنان • والطريق من هذا الموضع الى كُري تسع أو ثمان مراحل - في كل مرحلة منها حوض ماء - وكري قرية عند حد المفازة في قوهستان ، تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي طبس • وذكر الاصطخرى عن هذا الطريق ، وقد كان يعرف بطريق شور ، ان

(٥) الاصطخرى ٢٣١ ' ابن حوقل ٢٩١ : ابن خرداذبه ٥٢ : المقدسي ٤٩١ •
(٦) ابن خرداذبه ٣١ : الاصطخرى ٢٣٦ ' ابن حوقل ٢٣٥ : المقدسي ٤٩١ و ٤٩٣ •

- ٣٦٦ -

على نحو فرسخين من شماله « حجارة في صور الفواكه (لا ريب في انها من المتحجرات) من اللوز والتفاح ونحوه ، وفيها صور تقارب الناس والاشجار وغير ذلك » . وذكر المقدسي انه الى الطريق المار الذكر ، طريق آخر يتجه رأسا من كوه بنان الى كري طوله ستون فرسخا ، وعند كل ثاني مرحلة حياض للماء . وراور^(٧) ، وقد جاء ذكرها في الفصل الحادي والعشرين ، على بضعة فراسخ من شرق كوه بنان في حد كرمان . وكان يتجه من هذا الموضع طريق فيه خمس مراحل الى نابند وهي الواحة المارة الذكر ، ومنها طريق فيه ثلاث مراحل الى خور في قوهستان . وكان بين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ من هذا الطريق ، حياض الماء المألوفة . أما مدينة خييص ، وهي على ثلاث مراحل من ماهان ، في حد كرمان ، فقد كانت ، على ما ذكرنا ضمن حدود المفازة تقريبا (راجع ص ٣٤٦) . وكان يخرج منها طريق ينتهي الى خوست (خوسف الحالية) في قوهستان ، ويقطع في عشر مراحل . وكان حد قوهستان يقع على مرحلتين قبل بلوغ خوست عند قرية كوكور وهي في منتهى المفازة . وهذا الطريق ، عند مكان يقال له قبر الخارجي ، « حصي صغار بعضه في لون الكافور بيضا ، وبعضه أخضر في لون الزجاج » . وفي موضع آخر يبعد عن الطريق نحو أربعة فراسخ « حجارة صغار سود » مظهرها يسترعى النظر^(٨) .

والطريق الاخير من نرماسير في كرمان الى زرنج قصبة سيستان ، يقطع الجزء الضيق من المفازة مارا بواحة سنج أو اسبي ، وقد مرت وصفها . وكانت المرحلة الاولى في هذا الطريق الى فهرج وهي في حد المفازة ، وبعد أربع مراحل ينتهي الى سنج . وقد ذكر ابن خردادبه المسافة بين مرحلة ومرحلة من هذا الطريق بالفراخ . أما الاصطخرى فقد ذكره بالايام . وذكر أيضا طريقا ثانيا ينتهي الى سنج سماء الطريق الجديد . الا انه أطول مسافة . ومن سنج الى زرنج سبعة أو ثمانية أيام . وكان هذا الطريق يجتاز حد سيستان في گاويشك .

(٧) وجاءت في الاصطخرى (ص ٢٣٣) وابن حوقل (ص ٤٠٦) من الطبعة الثانية والمقدسي (ص ٤٩٢ و ٤٩٣) بصورة زاور . (م) .
(٨) الاصطخرى ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ : ابن حوقل ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ : المقدسي ٤٩١ و ٤٩٢ .

- ٣٦٧ -

وهي لا تبعد عن كندر الموضع الذي ما زال يرى في الخارطة . وكان بين گاوينشك وكندر ، على ثلاث أو أربع مراحل جنوب زرنج ، رباط بناء عمرو الصفار في المئة الثالثة (التاسعة) كان يعرف ، على ما ذكر الاصطخرى ، بقنطرة كرمان ، فقد قال « ليس هناك قنطرة ولكن تسمى كذلك » . ولهذا الموضع شأن خاص ، اذ ان بحيرة زره كانت تمتد جنوبا في العصور الوسطى حتى هذا الموضع ، على ما سنبينه في الفصل القادم^(٩) .

اقلیم مکرانه

ليست جبال ساحل مكران القاحلة في مظهرها الطبيعي العام ، الا امتدادا للمفازة الكبرى . ومع ان بلاد مكران كانت في القرون الوسطى أوفر خصبا وأكثر أهلا عما هي عليه اليوم ، على ما يظهر ، فان هذا الاقليم لم يكن قط غنيا أو ذا شأن سياسى . وأهم ما في مكران قصب السكر وصنف من السكر الابيض عرفه العرب بالقانيد (من يانيد الفارسية) وكان يحمل منه الى البلدان المجاورة^(١٠) .

وسرد البلدانون الأوائل أسماء كثير من المدن في مكران ، ولكنهم لم يتسبطوا في وصفها . كان أجل مركز تجارى فيه ، فرضة التيز على ساحل خليج فارس . وكانت قسبة الاقليم فتزبور أو بنجور وهي في داخل البلاد في موضع يعرف اليوم باسم بنج گور . وكان لبنجور في المئة الرابعة (العاشرة) على ما ذكر المقدسى ، حصن من طين حوله خندق ، وهي بين النخيل ، لها بابان ، باب التيز في الجنوب التربى يفضى الى الطريق الذاهب الى فرضة الخليج - وباب طوران - في الشمال الشرقي كان يفضى الى الطريق الذاهب الى ناحية طوران ،

(٩) ابن خردادبه ٤٩ و ٥٠ : الاصطخرى ٢٣٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ : ابن حوقل ٢٩٦ و ٣٠٦ و ٣٠٧ : المقدسى ٤٩٢ - سرف . كولدسميد Sir F. Goldsmid في Eastern Persia ١ : ٢٥٦ -

(١٠) ابن حوقل ٢٦٦ و ٢٣٢ و ٢٣٣ : المقدسى ٤٧٥ و ٤٧٦ : ياقوت ٤ : ٦١٤ - وقد تولى على البحث في مواضع مدن العصور المتوسطة في مكران ، سرت . ه . هولديج Geographical Journal في Sir T. H. Holdich لسنة ١٨٩٦ ص ٣٨٧ - والمعلومات التي لدينا الآن ليست بأحسن مما توصل اليه .

- ٣٦٨ -

وكانت قصبتها قصدار (أو قزادار) ، وشربهم من نهر والجامع وسط الاسواق .
وعلى رأى المقدسى ، ان أهل الاقليم « قوم غنم » ليس معهم من الاسلام الا اسم ،
لسانهم بلوصي^(١١) .

وبقايا فرضة التيز العظيمة ، تقوم فى رأس ما كان فى العصور الوسطى ميناء
حسنا تدخله السفن الصغيرة . قال المقدسى فى التيز : « كثيرة النخيل ، بها رباطات
فاضلة وجامع حسن ، وهم قوم متوسطون ، غير انها فرضة مشهورة » . وفى
المئة السادسة (الثانية عشرة) استحوذت هذه الفرضة على تجارة هرمز التى آلت
الى الخراب وصارت أطلالا^(١٢) .

أما مدن مكران الاخرى ، فالمدانيون العرب ، لم يذكروا غير أسمائها دون
أى وصف لها . فاسما المدينتين المشهورتين بمبور وفهرج المجاورة لها ، جاء فى
المقدسى بصورة بربور (بدلا من بنبور) وفهل فهرة . وذكر ياقوت الاسم الاخير
بصورة بهر^(١٣) . أما مدينة قصرقد ، فى شمال التيز ، فما زالت موضعا
ذا شأن . وكج^{١٤} ، وهى على مسافة قليلة فى شرق قصرقد ، جاء اسمها بصورة
كيج وكيز ، وورد أيضا اسم جالك ودزك . أما خواش ، أو خواص ، ويحتمل
انها كوشت الحالية ، فانها الى شرق خواش فى ناحية السرهده (وقد مر ذكرها
فى صفحة ٣٥٥) . وكانت راسك فى العصور الوسطى مدينة ذات شأن لخصب
ناحيتها المعروفة بالخروج . على انه لا يمكننا من وصف المسالك مطابقتها بالبلدة
الحالية التى بهذا الاسم . وكانت أرمابيل وقملى ، مدينتين جليلتين على الساحل .

(١١) وما منزبور ، وفنجبور ، الواردة فى بعض المطبوعات ، الا من وهم السناخ جاء بوضع نقطتين.
لوق أول حرف من فنربور .

الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٣٢ ؛ المدسى ٤٧٨ . وقد اطلق على
هذه المدينة اسم بنج كور « أى القبور الخمسة » نسبة الى خمسة من المقاتلين العرب الذين استشهدوا
ليها اثناء الفتح العربى الاول . وهى على مرحلة واحدة من عرب قلعة باغة ، وتسمى الناحية المحيطة
بها باسم بنج كور أيضا . انظر Sykes فى Persia ص ٢٣٤ .

(١٢) المقدسى ٤٧٨ ؛ ياقوت ١ : ٩٠٧ . وللإطلاع على ما هى عليه الآن خراب تيز ، راجع :
Sykes فى Persia ص ١٠١ و ١١٠ . وكذلك Schindler فى JRAS
لسنة ١٨٩٨ ص ٤٥ . وانظر أيضا : تاريخ أفضل كرمانى ، طبعة هوتسما لى ZDMG لسنة ١٨٨١
ص ٣٩٤ و ٤٠٢ .

(١٣) تقوم فهرج على بضعة أميال من شرق بنبور فى مكران . ولا يلتبس اسمها بمدينة فهرج
التي على بضعة أميال من شرق نرماسير فى كرمان . وهناك فهرج ثالثة قرب يزه .

أو بالقرب منه في نحو نصف الطريق بين النبز والديل عند فم نهر مهران (الاندس) • وقال الاصطخرى في هاتين المدينتين « مدينتان كبيرتان ، وبينهما مقدار منزلتين • وبين أرمابيل والبحر مقدار نصف فرسخ » • وكان أهلها من أغنياء التجار ، أكثر تجارتهم مع الهند^(١٤) •

وكاننا هذا لم نرم فيه الى البحث عن الهند في العصور الوسطى • بل ان البلدان العرب أنفسهم لم يعنوا بوصف هذه البلاد وصفا كاملا شاملا • فهم لم يعرفوا من الموانئ الهندية ، فيما يلي الطرف الشرقي لخليج فارس ، أكثر من معرفتهم فرضة الدبل • فقد كانت حينذاك ميناء حسنا عند أكبر فم لنهر الاندس (Indus) ، والديل في اقليم السند ، وكانت قصبه المصورة ، واسمها بالهندية برهمناباذ ، وكانت مدينة عظيمة على فرع من فروع نهر الاندس الاسفل • وكان العرب يسمون نهر اندس نهر مهران • وذكروا كثيرا من المدن التي على ضفافه ، أهمها ألماتان وهي المدينة العظيمة التي في أعلى رافد من روافد السند وهو السند رود ، وكان فيها ببت صنم (بذ) مشهور • والاصطخرى الذي شبه نهر مهران بالبل في الكبر والنفع ، قال ان فيه تماسيح مثل تماسيح نيل مصر ، وقال « ان مخرجه من ظهر جبل (في الشمال يخرج منه بعض أنهار جيحون) • وعرف العرب أهل اقليم السند بالزط » واسمهم بالفارسية جت • والمقول اليوم انهم أسلاف النور أو النجر^(١٥) •

(١٤) الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٨ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٣٢ ؛ المقدسى ٤٧٥ و ٤٧٦ ؛ ياقوت ١ : ٧٦٩ ؛ ٤ : ٣٣٢ •
ويكثر وهم العساق في كتابة ارمابيل بدلا من ارمابيل • ولعل اطلال ارمابيل هي لس بلا (Lus Bela) • واطلال قبلى في خيروكوت (Khayrokot) اطر سر تي • هولنج في JRGS. لسنة ١٨٩٦ ص ٤٠٠ •

ومما ينبغي ذكره ، ان البلدانين العرب القدماء لم يعرفوا الا شيئا قليلا عن مكران ، ولم يزد عليهم من جاء بعدهم ما يسحق الذكر • فقد أعاد ياقوت قول من سبقه من بلدانيين المئة الرابعة (العاشر) لا غير • وغاية ما أفادنا به الفوزيني (٢ : ١٨١) عن هذا الاقليم ذكره العنطرة العجيبة منه • قال : « ان بأرض مكران نهرا عليه فطره من الحجر ، فطمة واحدة ، من عبر عليها بنفيا جميع ما في بطنه بحيث لا يبقى فيها شيء ولو كانوا ألوا ، هذا حالهم • فمن أراد من الناس العلم عبر على تلك الفطره » •

(١٥) الاصطخرى ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٠ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٥ ؛ المقدسى ٤٧٦ و ٤٧٩ و ٤٨٢ و ٤٨٣ •
تري اطلال ميناء الدبيل اليوم في داخل البلاد على نحو عشرين ميلا جنوب غربى ثاتا (Thatta)

وقد وصف البلدان يون العرب ، كورتين عند حدود مكران الشمالية الشرقية مصافيتين لحد الهند ، هما طوران وقصبتها قصدار ، والبُدَّة إلى الشمال منها وقصبتها قنديل . وجاء اسم قصدار بصورة القزدار أيضا ، فقد ورد ذكرها بهذه الصورة في فتوحات السلطان محمود الغزنوي الأولى . قال فيها ابن حوقل انها على واد ، وفي وسط الوادي حصن . « وهي ناحية خصبة ، وبها أعناب وفواكه الصرود ورمال حسن » . وزاد المقدسي عليه انها « ذات جانين ، بينهما واد يابس بلا جسور » في أحدهما دار السلطان فيه قلعة ، ويسمى الجانب الآخر بودين وفيه دور التجار والمطراح ، واليها يقصد نفر خراسان . « وزاد المقدسي على ذلك ان بنيانها من طين وشربها من قن ، « الا أن ماها ردى » . قليل .

أما طوران ، وهو اسم ناحية قصدار ، فغالبا ما كانت تضم اليها ما في شمالها من أرض الناحية المعروفة بالـ « بدعة » وقصبتها قنديل . والمتحقق انها قنوده الحالية وهي في جنوب سيبى وشرق كلات . قال ابن حوقل في قنديل « مدينة كبيرة ، وليس بها نخيل ، وهي في برية مفردة بذاتها » . ومن أعمالها مدينة كيزكانان أو كيكان . ويمكن القول استنادا الى وصف موضعها في المسالك انها كلات الحديثة . وهاتان المدينتان كثيرا ما تعدان من أعمال طوران . وجاء ذكر أسماء غيرهما أيضا بما لا يمكن التحقق منها الآن لضالة أخبارها ولشدة اختلاف المخطوطات في تهجتها^(١٦) . وإلى شمال هاتين الناحيتين : بالس أو والشتان ومدينتا سيبى ومستنج . الا ان البلدانين القدماء عدوها من أعمال سجستان . وعليه سنشير اليها في الفصل القادم .

وعلى ٤٥ ميلا شرق الجنوب الشرقي لكراتشى . اما المتصورة فهي على فرع قديم من فروع دلتا الاندس ، على نحر من أرسين ميلا شمال شرقي حيدر اباد . والسند ليس بطبيعة الحال الا التسمية الفارسية القديمة للهند ، ولكن استمال العرب لها كان مبها ، أرادوا به الدلالة على الاقليم العظيم الذى في شرق مكران وبغضه اليوم يقال له بلوچستان ، وبغضه الآخر بلاد السند الحالية اما السند بروز فهو نهر السند .

قلنا : لقد وثقت دائرة آثار الحكومة الباكستانية إلى الوقوف على بقايا الدليل . انظر مجلة «سور» (١٩٥١) ص (١١٤) . (م) .

(١٦) ابن خردادبه ٥٦ : الاصلخرى ١٧١ و ١٧٦ و ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ و ٢٢٣ : المقدسي ٤٧٦ و ٤٧٨ -

أما طرق مكران ، فأنها استمرار لطرق المفازة الكبرى التى سبق وصفها وهى تنتهى فى بلاد الهند • على ان مما يؤسف عليه ، ان هذه الطرق قد ذكرت بايجاز ولم يتعد وصفها ، على ما هو مألوف ، ذكر الايام التى بين بلدة وأخرى ، ولا يوثق بما قبل عن المسافات التى بينها • ومع ذلك ، فان ابن خرداذبه قد أفاض فى القول فى أحد هذه الطرق فذكره بالفراسخ ووصفه مرحلة مرحلة وان كان يستحيل علينا اليوم تعيين خطه الحقيقى فى المفازة • يبدأ هذا الطريق من القهرج عند شفير المفازة فى شرق بم ونرماسير فى كرمان • وذكر ابن خرداذبه مراحل الاربعة عشرة الى فنزبور قصبة مكران ، ومنها يتجه شرقا الى قصدار ، أشار فيه الى أسماء ثلاث محطات • وذكر المقدسى طريقا موازيا له تقريبا ، واصفا اياه بالاتجاه المعاكس وهو من قصدار الى جى أو نهر سليمان ، وهى على عشرين فرسخا شرق بم ، الا ان هذا الطريق يكون مسيره شمال فنزبور ويمر بجالك وخواص^(١٧) • ومن فرضة التيز الى كيز خمس مراحل ، ثم مرحلتان الى فنزبور وكان ينتهى الى هذه المدينة طريق آخر من قصر قند ولكنه لا يأتينا رأسا • ومن كيز ومن قصر قند الى أرمابيل ست مراحل على ما انتهى اليها ، ثم مرحلتان الى قمبلى ومنها أربع مراحل الى الديبل فى فم الاندس^(١٨) •

والمعروف انه كان من فنزبور الى الديبل أربع عشرة مرحلة • وجاءت المسافات من قصدار الى قندايل والى كيز كنان (كلات) بأرقام تقريبية ، وكذلك من هذين الموضعين الى سيبى ومستنج فى والستان • وتختتم كتب المسالك وصفها بسرد موجز لعدد الايام التى يتطلبها الوصول الى الملتان والمنصورة ، المديتين اللتين على نهر مهران من قصدار ومن قندايل ومن حدود والستان مما لى سيبى^(١٩) •

(١٧) ابن خرداذبه ٥٥ : المقدسى ٤٨٦ •

(١٨) الاسطخرى ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٣ : المقدسى ٤٨٥ •

(١٩) الاسطخرى ١٧٩ : ابن حوقل ٢٢٣ و ٢٢٤ : المقدسى ٤٨٦ •

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان اى ليمروز وزابلستان - ذرنج وهى القاعدة - بحيرة زره - نهر هيلمند
والانهار الاخلة منه - العاصمة المتينة للاقليم وهى رام شورشان - نه - فره
ونهر فره - نهر خاش ورستاق نيشك - فرنين ومدن اخرى -
روڈ بار وبست - رساتيق زمينداور - رخج وبالس
اى والشتان - قندهار - غزلة وكابل -
معدن الفضة - المسالك فى
سجستان •

سيستان - وسمتها المراجع العربية القديمة سجستان ، من الاسم الفارسى
سگستان (Sagistan) - هى البلاد السهلية حول بحيرة زره وفى شرقها ،
ويدخل فيها دلتا نهر هيلمند وغيره من الانهار التى تصب فى هذا البحر الداخلى
[اى بحيرة زره] ، وكانت مرتفعات رستاق قندهار ، وهى بامتداد اعالى هيلمند ،
تعرف بزابلستان • وسيستان يقال لها بالفارسية بيمروز ايسا ، ومعناه نصف يوم
أو الارض الجنوبية • ويقال ان هذا الاقليم انما سمي بذلك ، لوقوعه فى جنوب
خراسان • وقال الاصطخرى ، ان سجستان « خصبة كثيرة الطعام والتمور
والاعناب ... ويرتفع منها غلة عظيمة من الحلتيت^(١) ، حتى انه قد غلب على

(١) جاء فى تاج المروس (مادة : حلت : ١ : ٥٣٨) : « قال ابن سيده • الحلتيت عربى ار
مرب • قال : ولم يلىنى انه ينبت ببلاد العرب ولكن ينبت ببلاد القيقان • قال : وهو نبات

طعامهم ويجعلونه فى عامة أطعمتهم» (٢) .

ولا يغرب عن البال ، ان بحيرة زره كانت فى القرون الوسطى أوسع رقعة مما صارت اليه فى أيامنا . وكان يقع فى البحيرة غير نهر هيلمند ، وهو نهر عظيم ذو روافد كثيرة ، ثلاثة أنهار أخرى كبيرة ، هى نهر خواش ونهر فره والنهر الآتى من أنحاء أسفراز (وهى سبزوار هراة) ويقال له اليوم هارود . وفى الاساطير الفارسية ، ان سيستان وزابلستان اشتهرتا بكونهما موطن زاله أبى البطل القومى « رستم » الذى ما زال يتحدث الناس بأعماله ومآثره (٣) . وفى صدر أيام الدولة العباسية ، اشتهرت سيستان أيضا ، بأن فيها نشأ أمراء بنى الصفار الذين حكموا فى النصف الثانى من الملة الثالثة (التاسعة) معظم بلاد ايران الجنوبية والشرقية ، وقد كانوا أمراء مستقلين .

وكانت قاعدة الاقليم فى العصور الوسطى ، مدينة زرنج العظيمة ، وقد خربها تيمور وما زالت أطلالها تنتشر فى رقعة واسعة من الارض . على ان اسم زرنج قد خفي اليوم ، بل ان استعماله بطل منذ أواخر العصور الوسطى ، ولم يكن البلديون العرب المتأخرون يعرفونها الا بمدينة سجستان . ويقابلها بالفارسية شهر سيستان . وكان ذلك اسمها حين خربها تيمور أخيرا ولم يبق منها حجرا على حجر (٤) . وكانت زرنج فى أيام الملوك الساسانيين مدينة عظيمة ،

يسلطح ثم يخرج من وسطه قصبة تسمى فى رأسها كمره . قال : والحلتيت أيضا صنع يخرج فى اصول رؤى تلك القصبة . قال . وأهل تلك البلاد يطبخون بقله الحلتيت ويأكلونها ، وليست ما يبقى على الفناء » - (م) .

(٢) الاصطخرى ٢٤٠ : ابن حوقل ٣٠١ -

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٩٠٤) : زابلستان ، منسوبة الى جد رستم بن دستان -

(م) .

(٤) ترى خرائب زرنج حول القريتين الحديثتين : زاهدان وشهرستان ، بامتداد عقيق اكبر نهر آخذ من هيلمند . وقد جلب ماءه فى القرون الوسطى . وللإطلاع على حال هذه الخرائب اليوم وغيرها من المواصلات الخربة ، راجع السير هنرى رولنسن (Sir H. Rawlinson) فى JRGS لسنة ١٨٧٣ ص ٢٨٠ و ٢٨٣ و ٢٨٤ ، والسير ف . كولد سميث (Sir F. Goldsmid) كتاب Eastern Persia (١ : ٣٠١) ، وسايكس (Sykes) فى Persia (ص ٣٧٥ و ٣٨٢ و ٣٨٣) . ونشر سافج لندر (A.H. Savage Lander) مخططا لأهم اطلالها فى كتاب Across Coveted Lands . ٢٢٨ . ٢

وما زال يرى بالقرب من زاهدان ، بقايا برج علوه نحو من ثمانين قدما ، يسمى ميل زاهدان ،

وجاء ذكرها غير مرة فى أخبار الفتوحات الاسلامية الاولى ، سنة ٢٠ (٦٤١) • وكانت تقوم بالقرب من نهر سنارود وهو من الأنهار الكبيرة الآخذة من هيلمند نحو الغرب ، وتصل مياهه فى أيام الفيضان الى بحيرة زره •

وذكر اليعقوبى فى المثة الثالثة (التاسعة) ان محيط زرنج اربعة فراسخ • وانتهى اليها من ابن حوقل فى المثة التالية لها ، وصف مفصل لهذه المدينة ، قال : « هى مدينة عليها حصن ، ولها خمسة أبواب • ولها ربض واسع ، وعليه سور وحصن دائر بالربض ، وخندق على الربض حصين ، وفيه ماء ، وماؤه ينبع من مكانه ويقع فيه فضل من المياه الجارية اليها • وللربض ثلاثة عشر بابا • • والابواب الخمسة للمدينة الداخلة كلها حديد • اثنان متجاوران يفضيان الى الجنوب الشرقى يخرج منهما الى فارس ، يعرفان ببابى فارس ، ويسمى أحدهما الباب الجديد والاخر الباب العتيق وباب يفضى الى الشمال ، يخرج منه الى خراسان ، هو باب كركويه نسبة الى مدينة كركويه القريبة منها • وكان باب نيشك فى الطريق الشرقى يخرج منه الى بست • ويعرف الباب الخامس بباب الطعام ، وهو أعمر أبوابها ، يفضى الى الطريق الذاهب جنوبا الذى يخترق الاسواق والبساتين فى ظاهر زرنج •

والمسجد الجامع كان فى الربض قرب البابين اللذين فى الجنوب الغربى على طريق فارس • والحبس عند الجامع • وهناك أيضا دار الامارة • وبين باب نيشك وباب كركويه فى الشمال الشرقى من المدينة ، أبنية عظيمة تسمى أرك أى قلعة ، وفيها كانت الخزانة • بناها عمرو بن الليث الصفار ، ثانى أمراء الدولة الصفارية • وكان أخوه الأمير يعقوب ، مؤسس هذه الدولة ، قد بنى له قصرا صار دار الامارة الجديدة وهى فى هذا الجزء من المدينة الداخلة بين البابين اللذين فى الجنوب الغربى وباب الطعام • وبالقرب منها قصر عمرو أيضا • وكانت هذه الابنية ، كسائر أبنية المدينة ، « من طين ، أزاج معقودة ، لان الخشب بها يتسوس ولا

له درج لولبية ، وفيه كتابتان بالكوفية يمكن قراءة شيء منها • ويرى ان هذا البرج قد خربه تيسورلنك • انظر : تيت (G. P. Tate) فى JRAS, لسنة ١٩٠٤ ص ١٧١ •
وتقوم نصرت اباد ، قاعدة سيستان الحالية ، على بضعة أميال جنوب هذه الخرائب • وكانت تعرف أولا باسم تاسر اباد ، الا ان هذا الاسم قد بطل اليوم • وعلى ما ذكر المستر سافج لندر ، تعرف اليوم بشهر نصرية أيضا •

بُثت « لرطوبة جوها وانتشار الارضة فيها » وفى المدينة الداخلة وريضها ، كثير من الفنادق • وفى الرىض دور الامارة • وأسواق المدينة الداخلة حوالى المسجد الجامع • وأسواق الرىض أسواق عامرة أيضا ، منها سوق يسمى سوق عمرو ، بناء ثانى الامراء الصفاريين • « وغلة هذا السوق فى كل يوم نحو ألف درهم (٤٠ باونا) ووقفه على المسجد الجامع واليماستان والمسجد الحرام » •

والسوق فى الرىض متصل غير منقطع نحو نصف فرسخ ، ممتد من باب فارس فى السور الداخلى الى باب فارس فى سور الرىض • وكانت المياه وافرة فى اتجاه زرنج ، تجري اليها فى أنهار صغيرة وقنى متصلة تأخذ من نهر سنارود وتدخل الى المدينة الداخلة من ثلاثة مواضع : من الباب العتيق ، ومن الباب الجديد ، ومن باب الطعام • « ومقدار هذه الانهار ، اذا اجتمعت ، ما يدير الرحى • وعند المسجد الجامع حوضان عظيمان يدخلهما الماء الجارى ويخرج ويتفرق فى بيوت أهل البلد • • وبيوت الرىض تجري اليها المياه فى قنى أيضا ولا غنى عن هذه المياه لشدة حر المدينة • وفى كل بيت سرداب يعيش فيه الناس فى فصل القيظ لاشتداد الحرارة فى زرنج • وأرض المدينة سبخة ورمال ، بها نخيل « وتشتد رياحهم وتدمم ، وتقل رمالهم من مكان الى مكان • ولولا انهم يحتالون فيها بسياسات ، لطمت القرى والمدن بها ، وذلك ان جميع البلد رمل • • ولدوام رياحهم « نصبوا عليها أرحية لطحن قموحهم ، يديرونها بالريح • • وهو أمر اختصت به هذه البلاد • وكانت « الرمال المتحركة » مبعث خطر وضرر دائم لأهل المدينة • ولابن حوقل حديث طويل بلفه فى سنة ٣٦٠ (٩٧٠) ، ذكر فيه كيف ان الرياح قبل ذلك بسنة « أكبّت بالرمل على الجامع » •

هذا ما كان من حال زرنج فى المئة الرابعة (العاشرة) • وقد ردّد المقدسى هذا الوصف أيضا • فأشار الى غنى أهلها والى انهم ذوو عقل وعلم ، ونوه بقلعتها الحصينة وبمنازعتها المشهورتين فى مسجدها الجامع • بنى احدهما يعقوب بن الليث الصفار^(٥) • وبقيت هذه المدينة على ازدهارها قرونا كثيرة حتى انها

(٥) قال المقدسى (أحسن التقاسيم • ص ٣٠٥) : « • • • الجامع فيها ، له منارتان • القديمة راحرى من صغر بناها يعقوب من الليث » (م) •

- ٣٧٦ -

على ما يبدو قد نجت من الدمار في خلال الغزو المغولي سنة ٦١٩ (١٢٢٢) ، حين
بعث جنكيزخان بجموعه لتخريب سيستان . وبقيت زمنا بعد هذا التاريخ يحكمها
وال مغولي . وفي النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفى
على زرنج (ويلفظ الفرس اسمها زرنك) وقال انها مدينة على غاية من
الازدهار ، وكان يحمي زرنج من الرمال المتحركة التي تأتيها من المفازة المجاورة
لها ، « بند » عظيم يقال ان أول من بناء الملك گرشاسف في قديم الزمان .
وجده بعد ذلك الملك بهمن بن أسفندار . وأطرى المستوفى بساين زرنج التي
تكثر فيها الفواكه الطيبة . وكان يسقى هذه البساتين سياه رود (النهر الاسود)
وهو يأخذ من أحد فروع هيلمند . على انه في أواخر هذا القرن أى سنة ٧٨٥
(١٣٨٣) ، ظهر تيمور بجحافلهم أمام المدينة ، وكانت تعرف حين ذاك ، على
ما بيننا ، بشهرسيستان (أى مدينة سيستان) وما عتمت أن لاقت مصيرها المحتوم .
ذلك ان تيمورلك استولى على قلعتها وقوضتها ، وهى القلعة المعروفة بـ « حصار زره »
ولعلها كانت تقوم فى شمال زرنج بالقرب من حافة البحيرة . أما سيستان العاصمة
نفسها ، فقد سدت أبوابها بوجهه وامتنعت عن التسليم ، فحاصرها حصارا لم
يطل أمده ، فقد استولى عليها عنوة وأعمل السيف فى رقاب أهلها ، ودك
أسوارها وخرّب دورها . ومنذ ذلك الحين تحولت زرنج الى خرائب لا اسم
لها (٦) .

وبحيرة زرّ ، أو زرّ ، كانت فى القرون الوسطى على ما بيننا ، أوسع
بكثير مما هى عليه اليوم . الا ان هذه البحيرة ، كانت فى كل الازمان « يتسع
الماء فيها وينقص على قدر زيادة الماء [فى الانهار] وتقصانه » (٧) . وقال ابن
حوقل فى وصفها فى المئة الرابعة (العاشرة) : « طولها نحو ثلاثين فرسخا (مئة
ميل) من ناحية كيوين (أو كرين) على طريق قوهستان الى قطرة كرمان على

(٦) البلاذرى ٣٩٢ و ٣٩٤ : البقوى ٢٨١ : الاسطخرى ٢٣٩ - ٢٤٢ : ابن حوقل ٢٩٧ -
٢٩٩ و ٣٠١ : المقدسى ٣٠٥ : المستوفى ١٨٣ : على اليزدى ١ : ٣٦٢ .
(٧) وقد نشر ميجر سايكس فى كتابه Persia فى الصفحة ٣٦٤ و ٣٧٢ عددا من الخوارط
البيانية ، توضح حالة دلتا هيلمند والبحيرة فى يومنا . وفى أقصى الطرف الجنوبى من فمّ البحيرة
العظمى ، تتصل بمجرى كبير - طوله نحو من خمسين ميلا ومعدل عرضه ٣٥٠ ياردة وله جروف

- ٣٧٧ -

طريق فارس ، عند حد سجستان فى المرحلة الثالثة فى الطريق من زرنج الى نرماير (أنظر ص ٣٦٦ أعلاه) • وعرض هذه البحيرة مقدار مرحلة (أى مسيرة يوم وهو نحو ثلاثين ميلا) وهى عذبة الماء ، وافرة القصب ، ويرتفع منها سمك كثير • و « حواليتها كلها قرى سوى الوجه الذى يلى المفازة » وهى هذه القرى كان هذا السمك يحفف ويحمل الى سائر البلاد •

وأكبر الانهار التى تحمل الماء الى بحيرة زره ، هو نهر هيلند العظيم الذى أجاد ياقوت فى وصفه « انه ينصب اليه مياه ألف نهر » • وقد ضبط اسمه بصورة هند مند • أما همد مند فقلعه من خطأ النساخ • وكذلك هير مند (أو هيرميد) وبهذا الاسم الاخير ذكر المستوفى النهر ، كما سماه أيضا آب زره ، أى نهر زره • وما هيلند الا الصيغة الحديثة الاكثر شيوعا • ومخرج هذا النهر الكبير فى الجبال بين غزنة وباميان ، وتؤلف هذه الجبال اليوم قسما من أفغانستان ، وقد كانت فى القرون الوسطى تعرف بناحية (أو مملكة) الفور • ويجرى هيلند نحو الجنوب الغربى فينحدر فى الوادى العريض المعروف بزمينداور الى مدينة بست حيث يلتقى بصفته اليسرى نهر قندهار الذى يسقى بلاد رُخج • وكانت بست أولى مدن سجستان التى يلفها النهر • ومن هذه المدينة ينعطف هيلند انعطافه العظيم نصف الدائرى ، باتجاهه جنوبا فغربا فشمالا حتى يبلغ زرنج ومنها يدور نحو الغرب ثانية ثم يقع فى بحيرة زره •

وتقوم فى نهر هيلند ، على بعد مرحلة ، أى مسافة نحو ثلاثين ميلا من زرنج ، سدود أُنشئت لتقسيم مياهه على أنهار الرى • وفى هذا الموضع تفرغ أعظم كمية من مائه فى أنهار خمسة كبيرة تجرى نحو زرنج والبحيرة • فأول هذه الانهار المنشقة عنه : نهر الطعام وهو أبعدا جنوبا • وكان يسقى الرساتيق خارج باب الطعام من أبواب زرنج وقد مر ذكره • ومن هذه الرساتيق ما ينتهى

ارتفاعها خمسون قدما - يقال له شلا ، ويجرى هذا النهر نحو الجنوب الشرقى فيقع فى كود زره ، أى وحدة زره وهى عتيق لأن للبحيرة الى جنوب عدوة هيلند الاسفل • وتستقبل هذه الوحدة (كود) فى موسم الفيضان بضلة مياه البحيرة ، ومساحة كود زره نحو مئة ميل من الشرق الى الغرب وثلاثين ميلا عرضا • انظر : سايتس فى Persia ص ٣٦٥ •

الى حد نيشك ويليه نهر يقال له نهر باشتروذ • ثم نهر ثالث هو نهر سناروڏ • كان يأخذ من هيلمند على فرسخ من زرنج • وهو النهر الذى يحمل الماء الى قاعدة الاقليم • ولهذا فقد أشار ابن حوقل الى ان فى موسم الفيضان كانت تجري فيه السفن من بست الى زرنج • أما النهر الرابع • فكان يسقى مقدار ثلاثين قرية ويقال له نهر شعبة • والنهر الخامس كان نهر ميلى • وكانت فضلة ماء نهر هيلمند بعد ذلك تجري فى نهر يسمى نهر كرك • « وقد سكر هناك سكر يمنع الماء ان يجرى الى بحيرة زره حتى يجيء المد » فإذا جاءت أيام المد زال السكر ووقع فضل هذا النهر الى بحيرة زره • (٨) •

ويؤخذ من أقوال البلدانين العرب الأولين • أن زرنج لم تكن قاعدة سجستان فى أيام ملوك العجم القدماء • بل كانت مدينة اسمها رام شهرستان ويقال لها أيضا أبر شهر يار • وهذه المدينة كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قد دفتها رمال المفازة • وأبنتها وبعض بيوتها بقيت قائمة الى ذلك الزمن • ويقال ان موضع هذه العاصمة القديمة كان على ثلاث مراحل من زرنج • عن يسار الذهاب من زرنج الى كرمان « اذا جرت » (مدينة) دارك بحذاء (مدينة) راسك • وهما موضعان مجهولان • ويقال ان الفرع الكبير المنشق من هيلمند • كان يجرى عليها فى الايام الخالية فيسقى رساتيقها • ثم انقلع السكر فى هذا النهر وانبت الماء منه و مال الى نهر آخر فانقطع عنها • ومن ثم تحول ما كان يكتنف المدينة العتيقة من رساتيق الى مفازة • فهجرها الناس وبنوا زرنج •

وعلى مسافة سيرة غرب بحيرة زره • على حد قوهستان • عند شفير المفازة العظمى • مدينة نه أو نيه • وقد ذكرها البلدانون العرب الاولون بكونها من أعمال سيستان • قال فيها المقدسى « عليها حصن • بناؤهم طين • وشربهم أكثره من قى » يجرى اليها الماء من الجبال • وأشار الى نه أيضا ياقوت والمستوفى • ولم يزد الاخير شيئاً الا قوله : بناها الملك أردشير بابكان • وما يشاهد اليوم من بقايا

(٨) الاسطخرى ٢٤٢ - ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٠ - ٣٠١ : المقدسى ٣٢٦ : ياقوت ١ . ٥١٤ : ٤ : ٢٧٢ و ٩٩٣ و ٩٩٣ : المستوفى ٢١٦ و ٢٢٦ • وأشار المقدسى الى البحيرة باسم بحيرة الصنط ولعل ذلك من وهم السناخ •

الحصون والخرائب الهائلة لا يدل الا على انها كانت فى القرون الوسطى موضعا جليل الشأن^(٩) .

أما ما يقع من أنهار فى بحيرة زره من الشمال ، وهى الانهار المتحدرة من أسفـزار (سبزوار هراة) ويقال لها اليوم هارود ، فلم يذكرها البلدانون العرب على ما يبدو ، الا انهم أشاروا الى نهر فره • ومخرجه فى جبال ناحية الفور • ووادى فره ، هذا ، بعد ان يجتاز الجبال ، يدخل إقليم سجستان ويصل الى مدينة فره • وقد وصفها ابن حوقل بقوله هى أرض سهلة ومدينة كبيرة ، أبنيتها طين ولها رسناق يشتمل على نحو من ستين قرية ، وبها نخيل وفواكه وزروع • وزاد المقدسى على ذلك قوله « فره : ذات جائين ، جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة » • وعلى مرحلة من جنوب المدينة ، قنطرة على نهر فره يقال لها قنطرة فره (وبالفارسية بل فره) • وعندها يعبر الطريق الآتى الى زرنج من ضفة النهر اليمنى الى اليسرى • وكانت هذه القنطرة ، وعندها مدينة أيضا ، على أربع مراحل فوق جوين • وكان فى نحو نصف الطريق بين المدينين (على ما ذكر ابن رسته) موضع يقال له كهن • وقرب كهن ، على بعد فرسخ من غربها ، كئيب رمل كبير ، ذو خاصية اسماع الاصوات • فان القيت على رمل هذا التل الماء أو أى شىء حتى الصغير « سمعت منه صوتا شديدا ودويا هائلا مسمعا » • وذكر البيرونى أيضا هذا الجبل العجيب ، وقد كتب فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) • ومثل هذه الخاصيات التى فى الرمال المتنقلة تلاحظ اليوم فى كنان المفازة بين سجستان وقوهستان • والمدينة المزدوجة الحديثة لاش - جوين ، وهى فى يومنا موضع جليل الشأن قد ذكرها المقدسى باسم كوين (عوضا عن جوين) ، وقال فيها « كوين ، عليها حصن منيع كبير ، وليس بها منبر من أجل انهم خوارج » •

(٩) الاصطخرى ٢٤٢ : ابن حوقل ٣٠٠ : المقدسى ٣٠٦ : ياقوت ٤ : ٨٧١ : المستوفى ١٨٣ - لا يعلم موضع رام شهرستان بالضبط • وقد جعل سر ه • رولنسن (JRGS لسنة ١٨٧٣ م ٢٧٤) موضعها لى رامرود بالقرب من مخرج شلا ، حيث ترى هناك اطلال واسعة كبيرة • وقد وصف هذه الخرائب التى تسمى اليوم شهر رستم أى مدينة رستم ، ووضع لها مخططا : سفج لاندر ، فى كتابه Across coveted Lands ٢٧٠ : ٢ • ووصف ميحر سايكس خرائب نه Persia (م ٤١٣) •

أما غير المقدسي من بلداني القرون الوسطى ، فلم يذكروا هذا الموضع الا بكونه
مرحلة في الطريق . ولم يذكروا الاسم « لاش » .

وفى نحو نصف المسافة بين جوبن وزرنج ، يعبر الطريق أكبر فروع
هيلمند على قنطرة . وعلى بضعة فراسخ جنوبها ، المدينة الجبلية كركوويه
كانت هذه المدينة على مرحلة شمال زرنج ، وباسمها على ما يتنا ، سمي باب
زرنج الشمالى . وكان أهل كركويه من الخوارج على ما ذكر ياقوت . وفى
كركويه بيت نار معظم عند المجوس . وأسهب القزوينى ، وقد كتب فى ختام
المئة السابعة (الثالثة عشرة) فى صفة هذه الناية . قال « بها قبتان عظيمتان ،
زعموا انهما من عهد رستم الشديد . وعلى رأس القبتين قرنان قد جعل ميل كل
واحد منهما الى الآخر تشبيها بقرنى الثور ، بقاؤهما من عهد رستم الى زماننا . . .
وتحت القبتين بيت نار للمجوس . . . ونار هذا البيت لا تطفأ أبدا ، ولها خدم
يتناولون فى اشعال النار ، يقعد الموسم بالخدمة على بعد من النار عشرين
ذراعا ، ويغطى فمه وأنفاسه ويأخذ بكلبتين من فضة عودا من الطرفاء نحو الشبر
يقلبه فى النار . وكلما هم النار بالخو يلقى خشبة خشبة . وهذا البيت من أعظم
بيوت النار عند المجوس » . وعلى شىء يسير من كركويه ، على ثلاثة فراسخ
من زرنج ، كانت مدينة كركوئه . وقال ياقوت ان بعضهم يسميها كركوون وهى ما
زالت الى يومنا تعرف بهذا الاسم . وزاد ياقوت على ذلك انها « بليدة نزهة كثيرة
الخيرات ، وأهلها كلهم خوارج ، حاكه » (١٠) .

(١٠) ابن رسته ١٧٤ . ويصدد الكتبان الرملية المسماة أصواتا ، راجع البيرونى : الآثار الباقية من
العرون الحالية وقد نقله الى الانكليزية سنجو (C. E. Sachau) ص ٢٣٥ من الترجمة (ص ٢٤٦ من المتن
العربى) . وللإطلاع على مثال فى يومنا هذا لتل رمل يسمح أصواتا كأصوات « الفيتارة الايولية »
(Aeolian Harp) انظر . سر ف . كولد سمد (Eastern Persia ١ : ٢٢٧)
فقد زار هذا التل العجيب فى مشهد الامام زيد على خمسة أميال غرب فلما كاه .
الاصطخرى ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٣ و ٣٠٤ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٢٩ : المستوفى ٢١٥ : القزوينى
٢ : ١٦٣ : ياقوت ٣ : ٤٢ و ٨٨٨ : ٤ : ٢٦٣ و ٢٦٩ .
أما موضع كركويه ، فيمكن البحث عنه بين الخرائب الراسعة لى جنوب بيشاوران ، وعندها قنطرة
قديمة ذات عقدتين ، يقال لها تخت بول . انظر ايضا : سر كولد سمد فى Eastern Persia
(١ : ٣١٥) ويت Yale فى كتابه خراسان وسيستان (ص ١١٨) .
كان الزردشتيون يسمون بيت النار المذكور أعلاه ، ميثو كركو . (انتهت حاشية المؤلف) .

- ٣٨١ -

أما نهر خاش ، أو خنواش ، أو خنواش ^(١١) ، فإنه يقع في بحيرة زره بين نهر فره وهلمند . وقد سماه ابن حوقل نهر نيشك . ونيشك اسم الناحية العامرة في شرق زرنج ، وبها سمي ، على ما ذكرنا ، الباب الشرقي في العاصمة زرنج . ومخرج هذا النهر في جبال الغور أيضا . ومدينة خواش راكبة عليه ، وهي على نحو مرحلة من زرنج . وذكر ابن حوقل ان مدينة خواش أكبر مدن هذه الناحية ، بها نخيل وأشجار . وحين كتب ياقوت ، صار اسمها يلفظ بصورة خاش ، على ما هو اليوم . وأجل مدينة في هذه الناحية ، وان كانت

قلنا : الفيثارة الايولية آلة موسيقية تآلف من صندوق مستطيل فارغ ، مربوط على وجهه أوتار ، تعزف من تلقاء نفسها بفعل الريح . وانتهى اليها من أحبار رؤساء اليهود (الربيين) ان الملك داود كان يعلق فيثارته فوق منامه ليلا ، فاذا انتصف الليل سمع منها صوت ناعم . والمعروف ان الصينيين الى يومنا يطرون طيارات من الورق يعلقون على خيطها آلة تمطى أصواتا موسيقية اذا لامستها الريح . ونجد مثل ذلك في العراق لدى الصبيان الذين يطرون طيارات ورقية ، فانهم يعلقون في خيط الطيارة آلة خفيفة تسمى « الدبركة أو السنطور » تمطى أصواتا موسيقية وهي في الجو . وتنسب الفيثارة الايولية الى ايولس (Aeolus) وهو في الاساطير اليونانية ، على ما ذكر هوميروس ، ابن هيبوتس (Hippotus) ضابط الريح وحاكم جزيرة ايولية العائمة . وايولية Aeolia مقاطعة يونانية قديمة في آسية الصغرى (راجع دائرة المعارف البريطانية . مادة Aeolian Harp من الطبعة الرابعة عشرة) .

ان الظاهر العجيبة التي تسمى « موسيقى الرمال » ، قد سمعها الكثير من علماء الجيولوجية ورواد الصحارى والقفار . روى بعضهم ، ان نوعا من الموسيقى الصاخبة التي تشبه الى حد ما « الجاز » العنيف ، تسمع في بعض الاحيان في صحراء كلهاري (في جنوب افريقية) ، حيث يوجد « لسان » من الرمل الابيض مستقر على « ظهر » من الرمل الاحمر . وقد ترتفع هذه الموسيقى حتى تشبه صوت محرك الطائرة . ويرون في تفسير ذلك ، ان هذا « اللسان » من الرمل الابيض ، يزحف كله على الرمل الاحمر المستقر فيحدث الصوت .

وذكر غيرهم ، انهم سمعوا غير مرة في صحراء بيرو ، أصواتا موسيقية واضحة تشبه طنطنة الاجراس النحاسية ، وقال آخرون انهم سمعوا موسيقى الرمال جلية في بلاد الانفان ، على اربعين ميلا من مدينة كابل الى الشرق .

وفي مصر عرفت ظاهرة موسيقى الرمال أيضا . فان البدو ، في أقصى الجنوب الغربي من صحارى مصر ، يزعمون ان هذه الموسيقى اما ان تكون أصوات الاجراس في الكنائس والاديرة التي طرحتها الرمال ، أو انها صفير الحن وعويل الشياطين . ولو زرت « جبل الناقوس » في وادي العربة شمال مدينة الطور يشبه جزيرة سينا ، لسمعت عجبا عجبا : ولئن يبدا خافتا ثم يعلو رويدا رويدا حتى يزعج السامع ويخيفه ، وقد فسر بعضهم سبب ذلك ان الطبقة العليا من الرمل تكون شديدة الحرارة ، فتأني الريح لتحركها فتحث الموسيقى . (م) .

(١١) في هذه الاجزاء ، ثلاثة مواضع بهذا الاسم أو بما يشابهه ، هي نهر ومدينة خاش الحاليين . ثم مدينة بهذا الاسم في جبل القفص (انظر ص ٣٥٥) وأخيرا خواص مكران (انظر ص ٣٦٨) .

أصغر من خواش ، مدينة قيرين أو القرنين . وهى موطن آل الصفار يعقوب وعمر بن ابني الليث الصفار المشهور . وكانت قرنين فى المفازة فى شمال غربى خواش ، على مرحلة منها فى الطريق الذاهب الى فره . وفيها ، على ما ذكر ابن خرداذبه ، « أثر مربوط فرس رستم » . وتكلم المقدسى على قرنين فقال : هى صغيرة وعليها حصن ولها نهر وبها جامع ولها ربح . وأشار المستوفى اليها أيضا وقال : يكثر فى رساتيقها الخصب القمح والفواكه .

وفى نصف الطريق بين قرنين وفره ، مدينة جزءة الصغيرة وهى نحو قرنين سعة . ذكر ابن حوقل انها تشتمل « على قرى ورساتيق ، وهى خصب ، وماؤهم من قى لهم ، وأبنيتهم أيضا من طين » . وذكر ياقوت ان أهلها فى أيامه كانوا يقولون لها كزه . ويقال للناحية التى تحف بنهر خواش : نيشك ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) كثيرة السكان ، على ما بينا . وحرورى ، « قرية عامرة سلطانية » وهى ما زالت قائمة على ضفة النهر أسفل خواش حيث يعبر الطريق الآتى من بست نهر خواش على قنطرة آجر . وكانت قرية سرورن المرحلة التالية لها فى طريق زرنج . وبين هاتين القريتين زانبوق ، وهى قرية عليها حصن منيع قال المقدسى انها نحو جوين سعة .

وعلى مسيرة يوم شمال زرنج ، مدينة الطاق الجبلية ، ولم تعين كتب المسالك موضعها الصحيح . قال المقدسى : « الطاق صغيرة كثيرة الاعناب واسعة الرستاق » . وذكر ابو الفداء فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، نقلا عن ابن سعيد ، وقد سماها حصن الطاق : « هو على جبل مرتفع عند التواء النهر » (أى نهر هيلمند) ، وعنده ينعطف النهر غربا بعد أن تتفرع منه الانهار الجارية الى زرنج فيقع فى بحيرة زره . وقد جاء ذكر هذا الحصن مع قلعة زره (أو حصار زره) فى جملة المدن التى استولى عليها تيمورلنك قبيل هجومه على زرنج . وفى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، جاء ذكر قلعة أخرى فى هذه الانحاء ، هى زالق ، قيل انها على خمسة فراسخ من كركويه ومن زرنج . ولا يعرف عنها شيء غير ذلك . ولم يرد لها ذكر فيما بعد (١٢) .

(١٢) البلاذرى ٣٩٣ و ٣٩٥ ؛ ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ ؛ ابن خرداذبه ٥٠ ؛

- ٣٨٣ -

أما بست ، فأنها على نحو خط عرض زرنج . والطريق من زرنج يأخذ شرقاً ماراً بحرورى ، على ما بيننا ، ويقطع المفازة . أما مجرى هيلمند ، فإنه يضاعف المسافة إذ يلتوى التواء نصف دائرى باتجاه الجنوب ، وفى منتصف امتداد مجراه تقوم مدينة رودبار . وقد ذكر البلاذرى هذا الموضع على ما يظهر فى أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، فتكلم على مدينة يقال لها الروذبار فى سجستان ، فى طريق قندهار وبالقرب من الروذبار هذه ، كانت كتش (أو كس) . ويبدو أنها هى الموضع المعروف اليوم باسم كاج أو كهيج . ولم يذكر البلديون العرب الروذبار الا عرضاً ، ولعلها تطابق روذبار التى وصفها الاصطخرى وقال انها من أعمال فيروز قند قرب بست . « وأكثر غلاتها الملح ، ولهم مع ذلك زروع وفواكه ومياه جارية » . وفى هذه الانحاء موضع آخر هو الزالقان ، وتكتب أيضاً الصالقان أو الجهالكان . وصفها ابن حوقل بكونها من بست على مرحلة واحدة ، ولكنه لم يذكر فى أى اتجاه هى منها . ولم يرد هذا الاسم فى كتب المسالك . وكانت مدينة « أكثر أهلها حاكّة ، وبها فواكه ونخيل وزروع ، وماؤهم أنهار جارية » وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من القرنين فى الكبر .

وبست (أو بست) على نهر هيلمند ، عند ملتقى النهر الآتى من ناحية قندهار معه . وقد كانت دائماً موضعاً جليلاً . قال الاصطخرى « على باب بست ، جسر من السفن كما يكون على أنهار العراق » وعليه يعبر الطريق الآتى من زرنج . وكانت بست فى المئة الرابعة (العاشرة) ثانية المدن الجبلية فى سجستان . « وزيّ أهلها زي أهل العراق ، وبها متاجر الى بلد الهند ، وبها نخيل وأعناب ، وهى خصبة جداً » . وكانت بست تعد أجمل مدن البلاد الجبلية فى شرق سجستان التى تشتمل على الناحيتين الكبيرتين : زمين داور ورخج . قال المقدسى ان حول بست وقلعتها أرباضاً كبيرة على فرسخ فوق ملتقى نهر خردروى (نهر أرگنداب الحالى) بهيرمند (هيلمند) . ولها جامع حسن

وأسواق عامرة • « وعلى نصف فرسخ من نحو غزنين (غزنة) ، مدينة صغيرة تسمى السكر ، ينزلها السلطان » وقال ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، ان الخراب فى بست ظاهر ، ونوّه بانها « من البلاد الحارة المزاج ، وهى كثيرة الانهار والبساتين » • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) أوقع تيمور بها وبما جاورها ، الدمار حين زحفه اليها من زرنج ، وخرّب فى طريقه أحد السكور العظيمة فى هيلمند المسمى بند رستم ، وكان هذا السكر يسكر المياه التى تسقى الرساتيق فى غرب سيستان^(١٣) •

وما زال الوادى العريض الذى يجرى فيه نهر هيلمند منحدرًا من جبال هندوكش الى بست ، يعرف باسم زمين داور ، وهو الاسم الذى أطلقه البلديون العرب على ناحيته • وهذه هى التسمية الفارسية ، ويقابلها بالعربية أرض الداور أو بلد الداور • ومعنى هاتين التسميتين واحد ، هو أرض الأبواب أى دروب الجبال • وكانت هذه البلاد فى القرون الوسطى خصبة عامرة كثيرة السكان ، بها أربع مدن جليلة ، هى درتل ودرغش وبغنين وشروان • ولها قرى ورساتيق عديدة • وأكبر مدن هذه الناحية درتل أو تل ، على ما كتب الاصطخرى اسمها • والظاهر انه يطابق المدينة التى وصفها المقدسى باسم الداور وقال « الداور : كبيرة طيبة وهى ثغر جليل عليها حراس مرتبون » اذ كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) على حد جبال الثور وهى عند ضفة نهر هيلمند على ثلاث مراحل فوق بست • وورد فى أخبار الفتوحات الاسلامية الاولى ، ان بالقرب منها جبل الزور حيث الصنم العظيم المسمى زور أو زون • وقد غنمه العرب • وكان هذا الصنم كله من ذهب وعيناه مرصعتان بياقوت •

ومدينة درغش ، على هيلمند فى الضفة التى عليها درتل ، وهى أعلى منها بمرحلة • أما بغنين ، فكانت على مرحلة من غرب درتل فى البلاد التى تسكنها القبائل التركية المعروفة بالبشلك • وتقيم بنهم قبيلة الخنكج • وقد هاجرت

(١٣) البلادى ٣٩٤ و ٤٣٤ ، الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ ؛ ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ ؛ المقدسى ٢٩٧ و ٣٠٤ ؛ ياقوت ٢ : ١٠ و ٦١٢ ؛ ٤ : ١٨٤ . على اليزدى ١ : ٣٧٠ •

قبائل الخليج هذه بعد ذلك نحو الغرب ، الا ان ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) ، وصفهم بقوله انهم من بلد الداور « على خلق الاتراك وزيهم ولباسهم » . وفى زمين داور مدينة خامسة هى خواش (واسمها كاسم الموضع الذى على نهر خواش ، وقد مر ذكره) . قال الاصطخرى انها بلد لا سور عليه ، وبها قلعة . ومما يؤسف عليه ان موضعها لم تذكره المراجع ، غير ان بعضهم عدتها من أعمال كابل .

وبين بست ودرتل ، على مرحلة جنوب المدينة الاخيرة ، سروان أو شروان ولم تكن على نهر هيلمند على ما يظهر ، قال فيها ابن حوقل : مدينة صغيرة نحو القرنين ، الا انها أعمار وأكثر أهلا ، وبها فواكه واسعة تحمل ، ونخيل وكروم تجلب منها وتنقل من رسايقها ومن فيروز قند . وهذه الاخيرة جنوب ناحية سروان . وعلى مرحلة من شرق بست^(١٤) .

ورسناق رخج ، يتألف مما حول قندهار من بلاد ، وهو فى شرق بست بامتداد ضفاف النهرين المعروفين اليوم بـ « ترنك » و « أرگنداب » . وكانت قاعدة رخج فى المصور الوسطى : پنجواى . وهى الصيغة العربية لـ « پنج واى » (أى الانهار الخمسة) . وما زال هذا الاسم يطلق على الناحية غرب قندهار قرب التقاء نهري ترنك وارگنداب . وقد كانت بلاد رخج على غاية الرفاعة والخصب والسعة فى القرون الوسطى . « وعامتها صَوَافٍ يرتفع لبيت المال منها مال عظيم جسيم » . ومن الصعب تعيين موضع پنجواى ، فقد كانت على طريق بست على اربع مراحل منها ، وعندها كانت تتشعب الطرق : طريق يتجه شمالا فيصل غزنة فى اثنى عشرة مرحلة . وطريق آخر الى الشرق يبلغ سيبى فى ست مراحل . ولعلها لم تكن بعيدة عن قندهار . غير ان المسافة بين المدينتين لم تذكرها المراجع . وعلى مرحلة من غرب پنجواى ، قلعة كوهك (أى الجليل) . وحول القلعة المدينة . وكانت پنجواى نفسها متينة ، وبها جامع حسن . وشرب

(١٤) البلاذرى ٣٩٤ ، الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ ؛ ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ ؛ المقدسى

٣٠٥ ؛ يافوت ٢ : ٥٤١ ؛ ٤ : ٢٢٠ .

لم يبق اليوم مدينة من مدن رامين دار - الا ان درتل قاعدة هذه البلاد يلبقى انها كانت حيث موضع كيرشك الحديثة .

أهلها من نهر •

وعلى مرحلة من هذا الموضع فى طريق سيبى ، مدينة بكرأواذ (عوضا عن بكر اباد ، وقد أشار اليها الاصطخرى وابن حوقل باسم تكي ناباذ ، ولعل ذلك من وهم النساخ) • وهى « مدينة كبيرة ، الجامع فى السوق » • وكانت على نهر يلتقى بنهر قندهار •

أما مدينة قندهار (أو القندهار) فقد ذكرت غير مرة فى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، فى جملة المواضع القريبة من حدود الهند • وأشار البلاذرى الى ان المسلمين وصلوها من سجستان بعد أن اجتازوا المفازة ، ثم اتوا المدينة فى السفن من ناحية النهر ففتحوها وكسروا البد العظيم ، وقد كان ولا شك تمثالا لبوذا • وبعد الفتوحات ، لم يرد اسم قندهار الا عرضا فى المقدسى وابن رسته واليعقوبى ، وذكروها انها فى الهند أو على حدود الهند • ولم يوصلنا أحد من أصحاب المسالك الى قندهار يا للأسف • ولا ذكر لهذا الاسم فى الاصطخرى وابن حوقل فى سياق كلامهما على هذا الاقليم • وربما تكون پنجواى قد حلت محلها فى صدر القرون الوسطى • اذ ان ياقوت الحموى ، لم يأتنا بوصف لها ، وبرز اسمها ثانية فى التاريخ عند الكلام على تخريب المغول لها فى النصف الاول من المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم تدمير تيمور لها فى ختام المئة التى تليها^(١٥) •

وكانت ناحية سيبى ، تعرف لدى البلدانين العرب باسم بالس ، ويقال لها أيضا بالس أو والشتان • وقاعدتها ، على ما فى الاصطخرى : سيبى ، وكتبت أيضا سيوي أو سيوى • ولكن الوالى كان يقيم عادة فى القصر ، (أى القلعة) • والقصر بلدة صغيرة على فرسخ من أسفنجاي أو سفنجاي ، وهى ثانية مدن هذه الناحية ، ولم يمين موضعها الصحيح ولكنها كانت على مرحلتين شمال سيبى فى طريق پنجواى رنج • أما مدينة مستك أو مستنج فقد ذكرها أيضا الاصطخرى

(١٥) البلاذرى ٤٣٤ ر ٤٤٥ : الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٥٠ : ابن حوقل ٣٠١ ر ٣٠٢ و ٣٠٥ : المقدسى ٣٠٥ : ياقوت ٤ : ٣٣١ : عل الزيدى ١ : ٣٧٦ : الدكتور هـ • • • • • بلو H. W. Belleu فى كتاب From the Indus to the Tigris ص ١٦٠ •

والمقدسى وقال الاخير ان فى هذه الناحية الفين ومشى قرية • ولكن لم ينته اليها وصف لأى موضع من هذه المواضع^(١٦) •

وغزنة أو غزنين ، اشتهرت فى التاريخ فى ختام المئة الرابعة (مطلع المئة الحادية عشرة) اذ كانت عاصمة السلطان محمود الغزنوى العظيم وقد ساد فى وقت واحد على الهند فى الشرق وبنداد فى الغرب • ولكنه لم ينته اليها يا للأسف وصف واف لغزنة حين جدد محمود بناءها وزينها بما غنمه من غزواته فى الهند • وقد وصف الاصطخرى هذه المدينة قبل هذا الزمن بجبل ، فقال انها كالباميان ، ولا بساتين لها • ولها نهر « ولبس فى هذه المدن التى فى نواحى بلخ أكثر مالا وتجارة من غزنة ، فانها فرضة الهند » • وسرد المقدسى أسماء كثير من رساتيقها وقراها ومدنها ومعظمها لا يعرف موضعه اليوم • وكتب اسمها بصورة غزنين ، بصيغة المتنى ، ولكنه لم يشر الى ما يقصده بغزنين وان استعمل اسم غزنين فى الأزمنة أكثر من غزنة • وزاد المقدسى على ذلك ان البلاد التى ما بين غزنة وكابل كانت تعرف بكابلستان •

جدد السلطان محمود بناء غزنة فى نحو سنة ٤١٥ (١٠٢٤) حين رجوعه الى بلاده محملا بالتنايم من الهند • وبلغت المدينة أوج ازدهارها فى أيامه واستمرت على ذلك نحو نصف قرن • وقد لقب السلطان علاء الدين الغورى هذه المدينة بجهان سوز ، (أى مفسدة العالم) ، انتقاما لموت أخيه على يد بهرام شاه الغزنوى ، واستولى على غزنة عنوة سنة ٥٤٤ (١١٤٩) ثم أمر بنهب المدينة وحرقتها ، فلم يبق لها قائمة بعد هذه الكارثة • ولكن الظاهر ان قبر محمود العظيم فى الجامع قد نجا من هذا الدمار أو قد جدد بناؤه ، فقد رآه ابن بطوطة حين كان فى هذا الموضع فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وقال ان غزنة فى أيامه معظمها خراب ولم يبق منها الا يسير • وكانت قبل ذلك مدينة كبيرة • وتكلم عليها معاصره المستوفى فقال انها بلدة صغيرة ، البرد فيها شديد جدا لعظم ارتفاع موضعها • ولم يزدنا بوصف ذى وزن لها^(١٧) •

(١٦) الاصطخرى ١٧٩ و ٢٤٤ ؛ ابن حوقل ٣٠١ ، المقدسى ٢٩٧ •

(١٧) الاصطخرى ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٣٢٨ ؛ المقدسى ٢٩٦ و ٢٩٧ ؛ ابن بطوطة ٣ ؛ ٨٨ ؛ المستوفى

وكان البلدان يون العرب ، على ما قد رأينا ، يسمون الاقليم الجبلى فى أعلى نهر هيلمند ونهر قندهار ، بزابلستان . وهو اسم مبهم الاستعمال ، ولكنه فى الغالب يعين البلاد التى حول غزنة . ومن جهة ثانية ، كانت كابليستان اقليم كابل ، وهى أبعد شمالا من غزنة ، على حدود البامبان . وهذا هو التقسيم الموجود فى أخبار فنوحات تيمور . وقد وصف اليعقوبى فى المثة الثالثة (التاسعة) مدينة كابل بقوله : « النجار يدخلون إليها ويحملون منها الاهليلج الكابلى الكبار » (١٨) . وقال أيضا : « مدينة كابل العظمى ، يقال لها جرو وس » . اما الاصطخرى فى المثة التالية ، فقد قال ان اسمها طابان . ولكن الظاهر ان اسمها الشائع كان كابل ، وأكثر ما كان يطلق ، على ناحيتها .

وكان فى كابل قهندز - أى قلعة - مشهور . وعلى المدينة سور منيع ، ولا يؤدى إليها الا طريق واحد ، وكانت فرضة لتجارة الهند . « يباع بها من النيل فى كل حول ، ما يعمل بقصبتها على ما يذكره تحارهم بألفى ألف دينار » (١٩) وزائد . « وفيها تجارات الهند والصين الثمينة . وللمسلمين فى كابل ربض ، ومثله لليهود والوثنيين . وفيها أسواق عامرة كثيرة السلع . وذكر المقدسى أيضا ان فى قلعتها يثرا عجيبة وان كابل فى نظره « بلد الهليلج الرفيع » . وعدد كابليستان فى آخر اقليم سجستان . وقال القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) : « يجلب منها

ولم نأتنا الصبى فى كتابه « سيرة محمود صاحب غزنة » بوصف مسهب عن عاصمة هذا السلطان . وانظر مادة (غزنة) التى كتبها سر ه . يول (H. Yule) فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة) المجلد العاشر . ص ٦٠ . وفيها تخطيط للمدينة .

(١٨) الاهليلج أطلق فى القرون الوسطى ، على لمر جاف وحب قابض الخاصة . يجلب من الهند . اشتهر كثيرا فى طبخ المقامير فى تلك الابام . وهذا الاسم يونانى الاصل . وثمره الهندى المستعمل فى تركيب التوابل مخلف الانواع . وأجودها يقال له الكابلى أى المنتج فى كابل . وسمى العرب هذا القار (على ما انتهى إلينا) اهليلج أو هليلج . ولان السيطار فى كتابه « الحامع لمردات الادوية والاغذية » (وقد نقله الدكتور جى . سونثيمر Dr. J. Sontheimer راجع ١ : ١٦٣ ، ٢ : ٥٧٢) نبذتان فيه . انظر أيضا دورى فى كلمة المجمات العربية (مادة : اهليلج) فى Glossary of Anglo-Indian Terms تأليف يول وبرنل Yule and Burnell فى مادة : Myrobalan .

(١٩) هذا ما ذكره الاصطخرى ، اما المؤلف فقد جعل المبلغ الف الف دينار ، أى ما يساوى نصف جيون باون استرلينى (م) .

(أى من كابل) النوق البخاتى ، وهى أحسن أنواع الابل ، فى أنحاء آسية الوسطى . وذكر ابن بطوطة مدينة كابل وقد زارها فى المئة الثالثة ، فقال : « كانت فيما سلف مدينة عظيمة ، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الافغان » .

ونهر كابل ، رافد من روافد نهر الاندس (نهر مهران) ، ويتكون من التقاء جدولين بنحدران من جبال هندوكش وهى الجبال التى فى شمال كابل (٢٠) . وعند منبعه الشرقى جبل الفضة ، وقد سماه العرب بنجهير (من بنج - هير أى خمسة جبال ، فى لغة تلك البلاد) . ومنه كان يستخرج مقدار كبير من هذا المعدن الثمين . وصارت بنجهير دارا للضرب (٢١) فى أيام بنى الصغار فى المئة الثالثة (التاسعة) . وكان على دراهمها اسم الخليفة العباسى ولا شك . وصف ابن حوقل مدينة بنجهير بقوله « مدينة على جبل ، وتشتمل على نحو عشرة آلاف رجل ، ويغلب على أهلها الثبث واللغب والفساد » . وجارباية ، تجاورها على نهر بنجهير أيضا ، أى نهر كابل ، وكان هذا النهر حين ذاك ينحدر منها الى سهول الهند مارا بقرّوان وهى مدينة كبيرة لها جامع . وذكر المقدسى أيضا مدينة شيان ، وقال انها من رستاق اسكيمشت « وبها عين عجيبة ، وعلى حافتها مسجد قتيبة بن مسلم » وهو القائد المشهور فى الفوح الاسلامية الأولى . وأسهب ياقوت فى حديثه عن جبل الفضة وعن المعدنين من أهله ، وفيهم شرّ ، قال : ان الجبل كان كالغربال من كثرة الحفر . وكان الرجال يتبعون عروق الفضة فى أعماق الارض ، مستعينين بالمصابيح ، وهم يتسابقون ويتنافسون فى البلوغ اليها . « والرجل منهم يصبح غنيا ويمسى فقيرا ، أو يصبح فقيرا ويمسى غنيا » .

(٢٠) هندوكش معناها بالفارسية (الجبل) « قاتل الهندو » . وابن بطوطة (٢ : ٨٤) أول من ذكر هذا الاسم ، فلم ينوه به قبله اللدانيون العرب ، وقال النجاشى بذلك « لان العبيد والجوارى يؤتى بهم من بلاد الهند (الى فارس) بموت هنالك الكثير منهم » .

(٢١) بنجهير ، فى أفغانستان اليوم . وكانت من دور الضرب أيام بنى الصغار والسامانيين والداوديين . وجاء اسمها فى بعض النقود بصورة « بنجير » . راجع :

O. Codrington, A Manual of Musulman Numismatics, (London, 1904, p. 145).

- ٣٩٠ -

ويتفق أن ينفق الرجل منهم على الحفر ثلاثمائة ألف درهم (١٢ ألف ياون) (٢٢).
وقد خرب جنكيزخان هذا الموضع • وحين زارها ابن بطوطة فى المثة الثامنة
(الرابعة عشرة) وتكلم على نهر بنجهير العظيم الأزرق ، لم يشاهد هناك من
مناجم الفضة الا بقايا الحفر القديمة •

أما تجارات سجستان ، فقليلة • وما ذكره المقدسى منها : « التمور والزنايل
والجبال من الليف والحصر » (٢٣) •

اما المسالك فى سجستان ، فكلها تجتمع فى زرنج ، فاليها ينتهى طريق المفازة
من نرماسير مارا بسنجج وقد جاء وصفه فى الفصل السابق • ومن زرنج يتجه
طريق نحو الشمال قاصدا هراة مارا بكر كويه ومنها يعبر جسرا على نهر هيلمند
الى جوين وهى على نهر فره • ومن جوين يصل طريق الى فره يصعد مع النهر
ويعبر النهر على قطرة فره (وقد ذكرها فى الصفحة ٣٧٩) • وما وراءها
مدينة فره نفسها • وعلى ثلاث مراحل شمال فره مدينة أسفزار (أو سبزوار
هراة) أولى مدن خراسان • ولم تنته الينا يا للأسف مسافات هذا الطريق
بالفراسخ ، بل وصلنا ما فيه من مراحل الايام • وأوثق مراجعنا فيها : الاصطخرى

(٢٢) ولطرافه وصف ياموت للطريقة التى كان أهل بنجهير يتبعونها فى استخراج الفضة ، نقل
وصفه بحروفه (معجم البلدان ١ : ٧٤٣ - ٧٤٤) لما فيه من مائدة عمرانية • قال : « بنجهير ٠٠٠
فيها جبل الفضة • وأهلها اخلاط ، رئيسهم عصبية وشر وقل ٠٠٠ والفضة فى أعلى جبل مشرف
على البلدة والسوق • والجبل كالفرنال من كثرة الحفر ، وانما يتبعون عروقها يجدونها تدلهم على
انها تفضى الى الجوهر • وهم اذا وجدوا عرفا حفروا ابدا الى ان يصيروا الى الفضة ، فيتفق ان
للرجل منهم فى الحفر ثلاثمائة ألف درهم أو زائدا أو ناقصا ، وربما صادف ما يستغنى به هو
وعقبه ، وربما حصل له مقدار بقلته ، وربما أكلدى وافتقر لقلبة الماء وغير ذلك ، وربما يتبع رجل
عرفا ويتبع آخر شمعة أخرى منه بعينه ، فيأخذان جميعا فى الحفر • والمادة عندهم ، ان من سبق
فاعترض على صاحبه فقد استحق ذلك العرق وما يفضى اليه • فهم يعملون عنده هذه المسابقة عملا
لا تعمله الشياطين • فاذا سبق أحد الرجلين ، ذهبت لعبة الآخر هدرًا ، وإن استويا اشتراكا •
وهم يحفرون ابدا ما حبيت السروح واتفدت المصابيح • فاذا صاروا فى البعد الى موضع لا يحى
السراج لم يتقدموا ، ومن تقدم مات فى أسرع وقت ٠٠٠ » •

وهذا يشبه ما يتبعه المعدنون اليوم فى المناجم البعيدة الفور ، باتخاذ مصابيح خاصة يقال
لها مصابيح الايمان • (م) -

(٢٣) اليعقوبى ٢٩٠ و ٢٩١ : الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٢٨ : المقدسى
٢٩٧ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٢٤ : ياقوت ١ : ٧٤٣ : ٢ : ٩٠٤ و ٩٠٥ : ٣ : ٤٥٤ : القزوينى ٢ : ١٦٢ •
على اليزدى ١ : ٥٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٥ و ٨٦ : المستولى ١٨٨ •

وابن حوقل^(٢٤) . والى ذلك ، فيشك في تهجئة أسماء كثير من المحطات .
ومن زرنج توجه الطريق شرقا الى حرورى على نهر خواش ، ومنها يقطع
المفازة بخط مستقيم فيبلغ مدينة بست في خمس مراحل . وعند بست تنقسم
الطرق : طريق يذهب الى بلاد زمين داور في أعالي هيلمند ، وطريق الى پنجواى
رخج في انحاء قندهار . وعند پنجواى تنقسم الطرق ثانية : طريق يأخذ الى
الشمال الشرقي الى غزنة ، وطريق ثان الى سيبى مارا ببلدة يقال لها أسفنجاي .
ومما يلاحظ ، ان المسافات في هذه الطرق قد جاءت أيضا بالمراحل فقط . وان
كثيرا من أسماء المراحل يشك جدا في قراءته^(٢٥) .

(٢٤) ابن رسته ١٧٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٠٥ ؛ المدنى ٣٥٠ .
(٢٥) الاصطخرى ٢٤٩ - ٢٥٢ ؛ ابن حوقل ٣٠٥ - ٣٠٧ ، المدنى ٣٤٩ و ٣٥٠ .

الفصل الخامس والعشرون

قوهستان

أقليم قوهستان ، هو تونوكاين (Tunocain) لدى ماركو بولو - قاين ونون - ترشيز ورستاق
 بشت : سروة زرادشت العظيمة - زاوة - بوزجان وأقليم زم - رستاق باخرو
 ومالن - خوف - زيركوه - دشت پياض - كئاباد وبجستان -
 طيس التهر - خوست او خوسف برجند وموفناباد -
 طبس مسينان ، ودره .

عدّ البلدانون العرب اقليم قوهستان ، من أعمال خراسان كسجستان .
 وقوهستان معناه بلاد الجبل . وانما سمي هذا الاقليم بذلك ، لطبيعة أرضه .
 فالجبال فيه تناظر السهول في اقليم سجستان ، الذي في شرق قوهستان على
 دلتا هيلمند . وأشار ابن حوقل الى ان أكثر مدن قوهستان صرودية وان النخيل
 لا ينمو الا في طبس گيلكى عند حافة المفازة الكبرى . وكان « يسكنها في المئة
 الرابعة (العاشرة) الأكراد وأصحاب السوائم من الابل والغنم » . ولا ريب
 في ان هذا الاقليم يطابق « مملكة تونوكاين » التي ذكرها ماركو بولو . وقد
 ركب اسمها من اسمي مدينتيها الكبيرتين : « تون » و « قاين » ، ويريد به
 البلاد كلها^(١) .

(١) الاصلخرى ٢٧٣ و ٢٧٤ : ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : المقدسى ٣٠١ : ماركو بولو (طبعة يول)
 ١ : ٨٧ و ١٣١ .

كتب العرب الاسم قوهستان (بالالف) وهو كوهستان بالفارسية . ومعنى « كوه » فيها الجبل .

وأجلّ مدن قوهستان : قاين • قال فيها ابن حوقل : « لها قهندز ، وعليه خندق ، ومسجد جامع ودار الامارة فى القهندز • وماؤهم من القنى ، وبساتينهم قليلة ، وقراها متفرقة ، وهى ناحية من الصرود » • ولقاين ثلاثة أبواب ، وهى فرضة خراسان • وذكر ابن حوقل « فى حد قاين منها ، على مسيرة يومين مما يلى نيسابور ، الطين النجاحى الذى يحمل الى الآفاق للأكل » وزار ناصر خسرو مدينة قاين سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ووصف المدينة الداخلة وقال هى قلعة حصينة ، وبها مسجد جامع به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فى خراسان • وعلى جميع بيوت المدينة قباب • وأهم ما نوه به المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) موقع قاين المركزى بين المدن • فهى حسب قوله على عشرين فرسخا من كل مدينة جلييلة من مدن قوهستان • وكانت مدينة حسنة ، وشرب أهلها فى البيوت من قنى ، ولها سراديب تنخذ فى أيام القسظ • وتكثر أثمارها فى النضج وتجنّى محاصيلها قبل غبرها • وكثر فيها القمح والفواكه ولاسيما الزعفران • وتوجد المواشى فى مراعيها لكثرة عشبها • وزاد المستوفى على ذلك ان أهلها شديدي السمرة •

أما مدينة تون ، فهى على نيف وخمسين ميلا من غربى قاين الى شمالها قليلا • قال المقدسى فيها ، انها عامرة أهلة ، أصغر من قاين ، عليها حصن ولها جامع حسن ، وأكثر أهلها حاكة • وأطرى ناصر خسرو سجادها ، وكان بها اربعمئة نول لعمل السجاد حينذاك ولما رآها كان الحراب غالبا عليها ، أما حصنها فكان ما زال باقيا • وفى أرباضها الشرقية بساتين كثيرة حسنة ، وافرة الفستق • وقال المستوفى ، ان تون أول ما بنيت ، بنيت على غرار مدينة صينبة ، ولكنه لم يوضح أمر ذلك • وتكلم على قلعتها العظيمة وخندقها الجاف العميق • وكان يحف بالقلعة شوارع وأسواق المدينة الخارحة • ورسايقها وافرة الخيرات لأن أهلها ، على ما ذكر ، يحذفون بناء السدود (البند) فيجمعون عندها مباء الأمطار ويحبسونها ، وكانوا ينتجون من أراضبهم البطيخ وهو مشهور بحلاوة

- ٣٩٤ -

طعمه • ويكثر عندهم القمح والفواكه • وتغلّ كثيرا من الحرير لأن هواء تون معتدل ، وقنيّتها عديدة^(٢) •

وفي شمال غربي قوهستان ، رستاق بشت أو پوشت ، أو بشت العرب • وأجل مدنه : ترشيز وكُنْدُر^(٣) • وقد ذكر البلدانون العرب اسمها القديم بصورة طريث وطرثيث ثم كتبت ترشيش وترشيس • وعرفت أحيانا بحومة نيساپور • وقال ابن حوقل ان ترشيز كثيرة الأهل والخبر • وكان في رستاق بشت سبع مدن أخرى فيها مساجد جامعة. ووصف المقدسي جامع ترشيز بقوله : بها جامع ليس بعد جامع دمشق أغنى منه ، وعند بابه حوض للماء مدوّر ، وبها أسواق عامرة فكانت خزانة خراسان ، ومنها تحمل التجارات إلى فارس واصفهان ومنهما إليها . وكانت مدينة كندر القريبة منها ، في نحو ترشيز خيرات وغنى ، وفي رستاقها ٢٢٦ قرية كبيرة .

وذكر ابن الاثير انه في سنة ٥٢٠ (١١٢٦) ، حاصر وزير السلطان سنجر السلجوقي مدينة ترشيز ونهبها ، وهي التي أصبحت بعدئذ من مدن الاسماعيلية أي الحشيشية • فان « شيخ الجبل » اسولى على أكثر الاماكن الحصينة في جوارها وبنى كثيرا من القلاع لارهاب هذه الانحاء من قوهستان • وقد جعل ياقوت قدوم الاسماعيلية الى هذه المواضع في سنة ٥٣٠ (١١٣٦) وروى ان رئيس هذه الناحية ، استمد الاتراك لنصرته ، لردّ الملاحة ، وهم الاسماعيلية ، فرأى ثقل وطأة الاتراك وفلة غنائهم ، ولم تكن همتهم صادقة في دفع العدو ، وانما كان قصدهم تحصيل ما يحصلونه مما ألحق الدمار بترشيز • وفي منتصف المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، تمكن هولاءكو خال المغولى من القضاء على قوة الاسماعيلية

(٢) ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ ؛ المقدسي ٣٢١ ؛ ناصر خسرو ٩٥ ؛ المستوفي ١٨٤ • روى جامع فاين ، كتابة فيها سنة ٧٦٦ (١٣٩٤) ، راجع سر كولد سمد في Eastern Persia ١ : ٣٤١ •
(٣) ما زال في يومنا باقية باسم ترشيز ، ولكن لا مدنة فيها بهذا الاسم • ومدنة كندر الصغيرة مؤشرة في الخارطة واستنادا الى الاصطلاحى فان مدنته ترشيز ، على مرحلة من غرب كندر ، وعليه ان موسع ترشيز تعينه خرائب فيروز اباد قرب قرية عبد الابداه الحالية • وعلى كل حال ، فمدينة ترشيز التي كانت في القرون الوسطى لا تطابق سلطانا باد القاعدة الحديثة لباحة ترشيز ، لان هذه المدينة في شرق كندر •

واستولت جيوشه فيما يقال على سبعين قلعة من قلاعهم فى اقليم قوهستان • ثم سرعان ما استعادت ترشيز مكانها حتى ان المستوفى بعد ذلك بقرن ، قال انها من أجل مدن قوهستان وان كان بعضها ما زال خرابا • وذكر القلاع الاربع المشهورة القريبة منها وهى قلعة بردارود ، وقلعة مېكال (أو هيكال) ، ومجاهد اباد ، وآتشگاه (بيت النار) - وقد كانت كلها ولا ريب من قلاع الاسماعيليه • ونوه بوفرة قمح ترشيز ، وقال انه كان يحمل الى الاتجاه الشماليه حول نيسابور • وفى ختام المئه الثامنة (الرابعة عشرة) ، كانت ترشيز من القلاع المنيعة التى لا تقتحم لعلو أسوارها ، ولكنها ما عثمت ان انهارت أمام تيمور ولم يبق من ترشيز قائما بعد نهبها غير أنقاض • وكان ذلك فى سنة ٧٨٣ (١٣٨١) • ومنذ ذلك الحين ، اختفى اسم ترشيز من الخارطة^(٤) •

وذكر المستوفى ، انه ما زالت فى قرية كشمير قرب ترشيز ، شجرة السرو المشهورة التى غرسها زرادشت تخليدا لاعتناق الملك كشتاسب المجوسية • وقد نمت هذه الشجرة نموا عظيما ، حتى أضحت شجرة لم ير مثلها فى عظمتها • وهى ، على ما جاء فى الشاهنامه ، قد نشأت من غصن أتى به زرادشت من الجنة • وقد كان لهذه السروة من المقدرة شىء عظيم حتى انها حالت دون وصول ضرر الزلازل الى كشمير • وذكر القزوينى ان الخليفة المتوكل ، أمر بقطع هذه السروة العظيمة فى سنة ٢٤٧ (٨٦١) وحملها قطعا على الجمال عبر فارس لاستعمالها فى بناء قصره الجديد فى سامراء ، فقطعت ولم تنفع شفاعة الشافعين وتضرعهم • ولما وصلت السروة الى ضفاف دجلة كان المتوكل قد لقي حتفه غيلة على يد ابنه^(٥) •

(٤) ابن حوقل ٢٩٥ و ٢٩٦ ؛ المقدسى ٣١٧ ر ٣١٨ ، باقوت ١ : ٦٢٨ ؛ ٣ : ٥٣٤ ، ٤ : ٣٠٩ ؛ المستوفى ١٨٣ ؛ على اليزدى ١ : ٣٤٤ ؛ ابن الاثير ١٠ : ٤٤٥ •
ويمثل شيخ الجبل فى رمزنا (على ما افترته المحاكم الانكليزية) ، اعا حان ، رئيس طائفة الوجبة لى بومى • وما يدعو الى العجب ان نجد جماعة من الاسماعيليه ما زالوا يابى فى موهستان ، وهم يؤدون الاعشار الى اغاخان ، على نحو ما كان يفعل اسلافهم لشيخ الموت • وقد رأى ميجر سايكس (Persia ص ٤٠٩) فى قرية سهده (بكسر اوله رثاله) فى جنوب باين ، نحو الف عائلة من هؤلاء الاسماعيليه يمتثلون فى كل سنة مبلغا كبيرا من المال الى رئيس طائفتهم الدينى فى الهند • ماركو بولو (طبعة يول ١ : ١٤٥) •
(٥) المستوفى ١٨٣ ، الشاهنامه (طبعة ترنرمان ٤ : ١٠٦٧ الاسطر الثمانية من الاسفل) ؛

والى شرق رستاق ترشيز ، رستاق زاوة • وكان رستاق زاوة ، أو بعضه ، يعرف أيضا باسم رُخ وقصبتها يشك أو مدينة زاوة • وكان اسم رخ حين كتب ياقوت ، يلفظ رخ عادة • وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) اشتهرت زاوة : بكونها مقام الولي المعروف بحيدر كان يلبس اللّاد وفى الصبف يدخل النار وفى الشتاء يدخل فى وسط الثلج • واليه تنتسب طائفة الحيدرية من الفقراء (الدراويش) • وكان هذا الشيخ باقيا الى مجيء التتر سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • ثم عرف باسم الشيخ قطب الدين • ولما زار ابن بطوطة زاوة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف مريدى الشيخ فقال « يجعلون حَلَق الحديد فى أيديهم وأعناقهم وآذانهم » ويجعلونها فى أعضاء أخرى من أجسامهم فكان ذلك اظهارة لقواهم وزهدهم • ووصف المستوفى زاوة بانها مدينة حسنة تقوم فى ناحية كثيرة الخيرات ومن أعمالها خمسون قرية ، ولها قلعة حصينة من اللبن ، وسقياها وافر يكثر فيها القمح والقطن والاعناب والفواكه وكذلك الحرير • وتكلم أيضا على تربة الشيخ الذى كان مكرما فى زمنه • وزاوة اليوم ، هو الاسم الشائع للناحية ، أما المدينة فتعرف عادة بتربة الحيدرى • وما زالت هذه التربة تزار^(٦) •

والى شرق رستاق زاوة ، فى شمال شرقى قوهستان ، قرب نهر هراة : ناحية زام ، أو جام وكانت قصبتها فى المئة الرابعة (العاشرة) بوزجان • وكانت مدينة كبيرة ، من أعمالها : مئة وثمانون قرية • وكان الفرس يلفظون بوزجان بصورة بوزكان ، وفى الازمنة الحديثة كسوه بوجكان • ووصفها المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد سحاها جام ، فقال تقوم فى ناحية عظيمة الخيرات وافرة المياه والحرير بها كثير. لكثرة شجر التوت • واشتهرت المدينة بكثرة مزاراتها ،

الفرزبنى ٢ • ٢٩٩ وفيه جاء الاسم بصورة كشم وهو من خطأ الطبع • وما ذكره القزوينى (المئة الثالثة عشرة للسلاط) بصدها لا يتعدى ما تناقله الروايات ، ولم يرد فى الطبرى ولا فى غيره من التواريخ العربية العديدة ذكر لسروة كشم على ما يظهر • وأطال كتاب ديسنان ، وهو من مؤلفات المئة السادسة عشرة للميلاد (وقد ترجمه شيئا Shea وتروير Troyer ١ : ٣٠٦ - ٣٠٩) ، فى حكاية قصة السروة • وينبغى ان يكون عمر سروة زرادشت نحو ١٤٥٠ سنة • ولعلها هى التى ارادها ماركو بولو فى عبارته Arbre sol (رحلة ماركو بولو ، طبعة يول ١ : ١٣١) •
(٦) المعدى ٣١٩ : ياقوت ٢ : ٧٧٠ و ٩١٠ : القزوينى ٢ : ٢٥٦ : ابن بطوطة ٣ : ٧٩ : المستوفى ١٨٨ : سر كولد سمد فى Eastern Persia ١ : ٣٥٣ •

فقد دفن فيها كثير من الرجال الصالحين . وذكر ابن بطوطة أشهرهم وهو الولي الزاهد شهاب الدين أحمد الجامي ، وأولاده وأحفاده « ولهم بها نعمة وثروة » . وكان هذا الولي مشهورا حتى ان تيمور ، في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) زار قبره بنفسه . وتعرف المدينة اليوم ، وما زالت موضعا زاهرا ، بشيخ جام ، وهي اليوم عامرة^(٧) .

أما ناحية باخرز ، أو گواخرز ، ففي جنوب جام الى غرب نهر هراة ، وعندها يتجه مجراه نحو الشمال . وكانت قصبة باخرز مدينة مالين . ويظهر من المسافات الواردة في كتب المسالك ان موضعها يطابق مدينة شهرناو (المدينة الحديثة) الحالية . وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة « ويرتفع منها الجبوب والزبيب وثياب كثيرة » . وفسر ياقوت اسم باخرز فقال « اصلها باد هرزه لانها مهب الرياح ، وهي باللغة البهلوية ، تشتمل على مئة وثمان وستين قرية » منها جَوْدَقَان . أما المستوفي فقد ذكر اسم قصبتها بصورة مالان . وأفاض في ذكر خيراتها ولاسيما بطبخها الطويل وقد كان مشهورا في انحاء خراسان^(٨) .

والى جنوب غربى باخرز ، ناحية خَوَاف (وهي خواب قديما) وتكتنف قصبتها المسماة باسمها . واشتهرت خواف في المئة الرابعة (العاشرة) بكثرة ما فيها من الزبيب والرمال . وكانت سَلَوَمَك ، ثم كتبت سلام ، أكبر مدن هذه الناحية في الازمنة الاولى ، ومن مدنها المهمة أيضا سنجان (أو سنكان) وخرجرد . وقد ذكر ابن حوقل هذه المدينة بصورة خرگرد ، وكذلك مدينة فرگرد (وقد كتبها ياقوت فرحرد أو فلجرد) على مرحلة من شرقها . أما كُوسُوي أو كوسويه ، فكانت أقرب الى نهر هراة شمال فرگرد . وكانت كوسويه أكبر هذه المدن الثلاث ، ونحو ثلث مدينة بوشنج المجاورة لها في خراسان ، وسنأني على

(٧) ابن خرداذبه ٤٤ ؛ ابن رسته ١٧١ ؛ اليعقوبى ٢٧٨ ؛ ابن حوقل ٣١٣ ؛ المقدسى ٣١٩ و ٣٢١ ؛ ياقوت ١ : ٧٥٦ ؛ ٢ : ٩٠٩ ؛ ٣ : ٨٩٠ ؛ المسولى ١٨٨ و ١٩٧ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٧٥ .
على اليزدى ٢ : ٢١١ و ٢٢٩ . وانظر . سى . اى . يات . فى . خراسان وسيستان .
ص ٣٧ .

(٨) المقدسى ٣١٩ ؛ ياقوت ١ : ٤٥٨ ؛ ٢ : ١٤٥ ؛ ٤ : ٣٩٨ ؛ المستوفى ١٨٧ .

وصفها • وبعد كثير من المراجع هذه المدن الثلاث من أعمال إقليم خراسان • وبناء أهل كوسوى من طين • ومع صفر المدينتين الآخريين ، فإن فيهما بساتين حسنة ومياه كثيرة • وذكر ياقوت أيضا مدينتي سِـرَآوند ولاز ، وقال انهما في زمنه من المدن المهمة في ناحية خواف ، ولا يعرف موضعهما • وأطرى المستوفى الاعتاب والبطح والرمان والتين في خواف ، وقال ان الحرير يكثر في ناحيتها • وذكر أن سلام وسنجان وزوزن (أو زوزن) أهم مدنها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وكانت زوزن لما كتب المقدسى ، « عامرة كثيرة الحاكة وصناع اللبود » • وكانت نقطة مهمة في نظام الطرق ، فهي تتصل بقاين وسلام (سلومك) وفرجرد • وسمى ياقوت زوزن « البصرة الصغرى » لكثرة تجارتها ، وأشار الى ان فيها ببت نار للمجوس ، ومن أعمالها مئة وأربع وعشرون قرية^(٩) •

وذكر المستوفى ، وقد كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جملة مواضع في أواسط قوهستان ما زالت ترى في الخارطة الا ان البلدانيين العرب الاولين لم يذكروها • فقد أشار الى ناحية زيركوه (أى أسفل الجبل) وقال انها كثيرة الخيرات يكثر فيها القمح والقطن والحرير ويحمل الى سائر البلاد • وما زالت البلاد الجبلية جنوب زوزن وشرق قاين تعرف بهذا الاسم • وذكر المستوفى المدن الثلاث المهمة فيها ، وهي : شارخس ، وإسفند ، وإستند ومازالت الى يومنا • وفي شمال غربى قاين ، ناحية كتب اسمها بصورة دشت بياض ومعناه السهل الابيض ، وينطق بها الفرس اليوم دشت يياز ، وكانت قصبتها مدينة فارس ، وقد أطرى المستوفى جوزها ولوزها وقال انها كانت يتـيـلاق ، أى مصايف لأهل تون وجناباد •

وتعرف المدينة الاخيرة اليوم باسم گناباد ، وهى مدينة كبيرة فى شمال شرقى تون ، سماها ابن حوقل يئابذ ، والمقدسى جناد ، وفيها غير ذلك من

(٩) الاصطخري ٢٦٧ : ابن حوقل ٣١٣ و ٣١٩ : ابن رسته ١٧١ : اليعقوبى ٢٧٨ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣١٩ و ٣٢١ : ياقوت ٢ : ٤٨٦ و ٩٥٨ : ٣ : ٩١٠ : ٤ : ٣٤١ المستوفى ١٨٨ • وانظر سى ٠ اى ٠ يات G. E. Yale : خراسان وسيستان (ص ١٢٨ و ١٢٩) للاطلاع على حال هذه المواضع اليوم •

القرى • كان بناؤها في المئة الرابعة (العاشرة) من طين ، ومن أعمالها سبعون قرية ، وماؤها من القنى • وقال ياقوت انها تسمى گنابذ عوضا عن جنابذ • وقال المستوفى : لها قلعتان كل قلعة على جبل في طرف من المدينة ، يقال لاحدهما قلعة خواشر وللأخرى قلعة درحان ، وكان يرى منهما القرى المجاورة وما ورائها من المفازة • ونوّه بان الرمل لم بغز بستين گناباد على نحو ما حدث في بعض انحاء قوهستان • وماؤها من قنى ، طول تلك القنى في الغالب أربعة فراسخ ، ماؤها من عيون في سفح الجبل وذكران مباحها عند رأس العين تجتمع في آبار يبلغ عمقها أحيانا سبعمئة ذراع • وكان يرتفع منها حرير كبير وقمح ويحمل الى المدن الأخرى • وعلى ثلاثين ميلا شمال غربى گناباد ، ومنها من شمال تون ، المدينة الصغيرة بجستان ، ويبدو ان ياقوت الحموى أول من ذكرها وقال انها قرية في زمنه • وذكر المستوفى انها تشبه تون ، ولم يزد على ذلك^(١٠) •

وقد كانت وما زالت في قوهستان ، مدينتان يقال لهما « طبس » ، ولذلك كثيرا ما ذكرهما البلدانون العرب بصيغة المثنى ، فقالوا طبسين • وإلى ذلك ، فقد كان أحيانا يطلق خطأ الاسم طبسين (المثنى) على هذه المدينة أو تلك ويراد واحدة منهما ، على ان البلدانين العرب ، كان يميزون بين المدينتين ، فسموا الواحدة طبس التمر ، والأخرى طبس العنّاب •

وكانت طبس التمر ، على شفير المفازة العظمى ، وينتهى إليها كثير مما كان يجتاز المفازة من طرق • ولذلك سماها البلاذرى باب خراسان • وكانت هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من قانين ، وعليها حصن ، ونخيلها كثير • وهى ناحية جرومية • لانها على حافة المفازة •

(١٠) دشت بياض ، أو دشت بيار ، اسم مركب من الفارسية والعربية ، ومثل ذلك نادر جدا في تسميات بلاد ايران • فان كانت الكلمة الأخيرة عربية حقا ، لا يبعد ان الفرس نسوا معناها الاول (أى البياض) وعدوها علما •

ابن حوقل ٣٢٥ : المقدسى ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٢ : المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ : ياقوت ١ : ٤٩٧ ؛ ٢ : ١٢٠ : ٤ : ٢٠٦ -
تعرف مدينة فارس اليوم باسم قلعة كهنة (أى القلعة المتبقية) انظر Bellew إلى From Indus to Tigris ص ٣٢٩ •

- ٤٠٠ -

وماؤها من القنى ، كثير . وتكلم المقدسى على جامعها اللطيف وقال « شربهم من حياض تجرى إليها قنى ظاهرة ، ورأيت بها حمامات طيبة ، ولم أر بقوهستان نهراً جارياً ولا موضعاً ذا مشاجر الا طبس ، فاني سرت نحو مرحلة كلها قرى ونخيل وقنى » .

وقال ناصر خسرو ، وقد مرّ بطبس سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) انها مدينة حسنة عامرة لا سور عليها ، وتحفّ بها البساتين والنخيل . وكان يقبض على زمامها بيد من حديد أبو الحسن گيلكى بن محمد - وهو من گيلان - مما أشاع الامن والسلام في أنحائها ، فعرفت بطبس گيلكى نسبة الى هذا الامير المشهور ، وكان على ما ذكر ناصر خسرو معروفا بحزمه وعدله . وفي النصف الثاني من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، انتقلت طبس الى ايدى الاسماعيليه . وفي سنة ٤٩٤ (١١٠٢ هـ) حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتلة الحشيشية وخرّب بعض أنبيتها . وسمى ياقوت والمستوفى طبس التمر هذه بطبس گيلكى . وذكرها المسونى فى موضعين ، وذلك فى كلامه على المفازة العظمى وفى وصفه قوهستان . ويرتفع من طبس ، ما سوى التمور ، الليمون والنانج أكثر من سائر مدن خراسان . وماؤها كثير من عين ، وهو يكفى لادارة رحين . وكان على طبس حصن منيع ، وحولها كثير من القرى (١١) .

وعلى حافة المفازة شمال طبس ، فى نصف طريق ترشيز ، قرية بن . وكانت ، على ما ذكر ابن حوقل ، عامرة وفيها نحو من خمسمئة رجل . والظاهر ان هذا الموضع يطابق أفريدون ، المرحلة التى ذكرها ابن خرداذبه . ويبدو ان ابن حوقل ذكر فى مسالكة قرية أخرى وقال انها « بن » أخرى . ويؤخذ مما أورده من مسافات ان هاتين المرحلتين ان لم تكونا موضعاً واحداً ، فهما قريتان متجاورتان باسم واحد . وبن اليوم ، تمثلها ده تابد (فلا تلتبس بالمدينة التى فى المفازة ذات الاسم نفسه ، وقد مرّ وصفها فى الصفحة ٣٩٣) . وكانت قرية مهمة ، لان عندها يدخل قوهستان أحد طرق المفازة الآتية من

(١١) البلاذرى ٤٠٣ : ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : المقدسى ٣٢١ و ٣٢٢ : ناصر خسرو ٩٤ : ياقوت ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ : ٤ : ٣٣٣ : المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ : ابن الاثير ١٠ : ٢٢١ .

جَمْرَمَق (١٢) •

وعلى نحو من ثلاثة فراسخ جنوب شرقى طبس ، على حافة المفازة ، حيث يدخل المفازة طريق شور الآتى من كوه بنان ، كانت كُري أو كرين • قال البلاذرى انها احدى قلعتى طبس • وهذا قد يسوغ تسمية طبس التمر وحدها بطبسين • وقد وصف ابن حوقل كرى بأن عندها تتجمع طرق كثيرة ، • وهى قرية فيها نحو ألف رجل ولها رستاق كبير • • وذكرها المقدسى باسم كرين وقال انها أصغر من طبس • ومن أعمالها قرية الرقة • - وقد كانت على ١٢ فرسخا من طبس و ٢٠ من تون - • وكانت الرقة حين زارها ناصر خسرو فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) قد صارت مدينة حسنة لها مسجد جامع وحولها بساتين ومياها وافر • وعلى نحو ثلاث مراحل جنوب شرقى طبس مدينتا خور وخوست ، وكانتا مرحلتين ينهى اليهما الطريقان اللذان يقطعان المفازة من راور وخييص فى كرمان (أنظر الصفحة ٣٦٦) • وكانت خور ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من طبس ، ولها جامع وماؤها شحيح ولها بساتين قليلة ولم يكن لها حصن على قول المقدسى •

أما خوست ، فهى وان لم يكن فيها مسجد جامع فى المئة الرابعة (العاشرة) ، الا انها كانت موضعا ذا شأن • فهى حصينة ولها قلعة ، وأبنتها من طين ولها بساتين قليلة • وشربهم من القنى ، وبماثهم ضيق • • وقال المقدسى • • هى أكبر وأقل أهلا من تون ، قليلة الاشجار • • ووداءها ، تقوم جبال قوهستان الجرد • وكتب ياقوت اسمها خطأ بصورة جوسف وهو وهم من الناسخ فى كتابة خوسف ، أو خوسب ، الحديثة لاسمها • وأول من ذكره المستوفى • • وياقوت ، وان اعترف بانه لم يتحقق ضبط الاسم وقال • • ووجدتها فى بعض الكتب هذا ، وبعضهم يسميها جوزف ، بالراء • ، الا انه ذكرها فى مادة أخرى باسمها الصحيح خوست ، حين نقل عن المقدسى • وقد أشرنا الآن ، ان المستوفى أول من ذكر اسمها بتهجته الحديثة ، ووصف خوسف بانها بلدة صغيرة ولها قرى • • يسقيها نهر ، فيكثر فيها

القمح (١٣) .

وعلى نحو من عشرين ميلا شرق خوسف، مدينة برجند، وقد صارت اليوم قصبة قوهستان عوضا عن قايين . ولم يذكر برجند قبل ياقوت ، على ما يظهر أحد من البلدانين العرب . قال ياقوت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) انها من أحسن قرى الاقليم . وأشار المستوفى إليها في المثة التالية لها ، فقال انها قصبة اقليم جليية ، تحف بها الرساتيق والقرى العامرة ، وكان يكثر فيها الاعناب والفواكه الاخرى والزعفران . ولا وجود فيها القمح . وعلى مسيرة يوم شرقي برجند ، الناحية الجبلية التي ما زالت تعرف بموناباد - أى بلد المؤمن - قال فيها المستوفى : عليها حصن منيع وكانت قبلا من قلاع الحشيشية . ولها قرى عامرة كثيرة ، أشار المستوفى بوجه خاص الى شاخن وكانت على نهر يقال له فشارود ، وهى ما زالت قائمة على مسيرة ثلاثة أيام من جنوب شرقي قايين (١٤) .

وعلى نحو خمسين ميلا من شرق برجند ، مدينة طبس الثانية التي عرفها البلدانون العرب بطبس العناب ، وسماها الفرس طبس مسينان . وقد وصف ابن حوقل هذه المدينة في المثة الرابعة (العاشرة) وقال هى « أكبر من ياباذ (گناباد فى شمال غربى قايين) ، ولها حصن خراب ولا قهندز لها ، وأبنيتها من طين » . وذكر المقدسى انها كثيرة العناب . وقال القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) : على قلة جبل ، بقرب طبس ، قرية ابراة ، ولها قلعة حصينة ، كثيرة البساتين والأشجار والمياه . وأشار المستوفى الى أن مياه طبس مسينان تكفى المدينة أيام الجذب سبعين يوما . أما رساتيقها فلا يكفيها ماؤها أكثر من سبعة أيام . وروى انه كانت فيها بئر ، فى قاعها مادة سامة ، كل من شرب منها صدفة مقدارا ضيلا ، حتى وان كان بقدر حبة الدخن مات لساعته ، ولهذا كان الناس يحكمون مد

(١٣) البلاذرى ٤٠٣ ، الاصطخرى ٢٣٢ و ٢٧٤ ، ابن حوقل ٢٩١ و ٣٢٥ : المقدسى ٣٢٢ و ٣٢٣ ؛ ياقوت ٢ : ١٥٢ ؛ ٤ : ٢٣ و ٢٧٠ : المستوفى ١٨٤ ؛ ناصر خسرو ٩٤ .

(١٤) ياقوت ١ ، ٧٨٣ : المستوفى ١٨٤ ؛ سايكس فى Persia ٣٠٥ و ٣٠٦ .
وتكلم ميجر سايكس ، وقد كتب اسمها بصورة شاخن ، على قلعة قديمة بالقرب منها ولعلها كانت قبلا من قلاع الحشيشية التي مر ذكرها .

- ٤٠٣ -

قوهتها • وكان فيها بئر أخرى تبتلع في الشتاء كل ما اجتمع فيها من ماء • وفي الصيف تسقى رساتيق المدينة كلها دون ان ينضب ماؤها • وفيها بئر ثالثة كل من حديق باطنها رأى صورة سمكة • وما زالت هذه المدينة الى اليوم تعرف بطيس مسينان • وهى مدينة جلييلة يقال لها أيضا سنى خانة (أى بيت أو منزل السنة) لان أكثر أهلها اليوم من الافغان السنة • وعلى نحو ستين ميلا جنوب طيس العناب • قرية دُرُء • وفيها قلعة قديمة تقوم على جبل قريب منها • والظاهر ان البلدانين العرب لم يذكروا درء • وأول من نوّه بها المستوفى فقد ذكر ان قلعة درء من الامكنة المنيعة • فيها عين ماء قد انبسطت فى داخل القلعة • ويكثر فيها شجر العناب والقمح • وأقل من ذلك الاعناب والفواكه الأخرى •

أما تجارات قوهستان • فقليلة • أوجز المقدسى ذكرها بقوله : « يرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابورية • بيض • وبسط ومصليات حسنة » (١٥) •

أما ما يعرف من المسالك فى قوهستان • فالأفضل ان نتكلم عليها فى فصل آت لاتصالها بطرق خراسان • وقد ذكر المقدسى وغيره المسافات بين مدن قوهستان بالمراحل • ولكنه لم يذكر ما بينها من فراسخ • ويظهر ان الطرق المستقيمة فى هذا الاقليم الجبلى قليلة •

(١٥) ابن حوقل ٣٢٥ : المقدسى ٣٢١ ر ٣٢٤ : ياقوت ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ : القزوينى ٢ : ٢٠٢ : المستوفى ١٨٤ : سايكس فى Persia ٣٩٦ ر ٣٩٧ •

الفصل السادس والعشرون

قوميس وطبرستان وجرجان

القليم قوميس - الدامغان - بسطام - ييار - سمنان وخواار - طريق خراسان المار بقوميس -
القليم طبرستان او مازندران - آمل - سارية - جبل دماوند ورساتين فادوسبان
ولارن وروبنج - ليروز كوه وغيوها من القلاع - نال وسالوس وناحية
رويان - حصن الطاق وناحية رستمدار - مطير وطميسه -
كبود جامه وخليج نيم مردان - القليم كركان او جرجان -
نهر جرجان ونهر اترك - مدينة جرجان
واستراياد - ميناء ايسكون - ناحية
دهستان وآخر - مسالك
طبرستان وجرجان •

يمتد اقليم قوميس الصغير في محاذات جبل البرز الذي سيأتي وصفه أدناه
وتجده من الشمال هذه المرتفعات ، وتؤلف أراضيها رقعة ضيقة بين حافة هذه
الجبال وبين المفازة الكبرى في جنوبه • ويقطع طريق خراسان هذا الاقليم من
أقصاء الى أقصاء ، آتيا من الري ، في اقليم الجبال ، الى نيسابور في خراسان •
وتقوم أهم مدن اقليم قوميس ، على امتداد هذا الطريق • وقد بطل اليوم استعمال
اسم قوميس ، وصار معظم الاقليم ضمن حدود خراسان الحديثة • أما طرفه في
أقصى الغرب ، فقد صار ناحية من نواحي الري أي طهران الحديثة^(١) •

(١) راجع الخارطة ٥ في الصفحة ٢٢٠ حول هذه الاقاليم • المقدس ٣٥٣ : ياتوت ٤ : ٢٠٣ :
المستزلى ١٩١ •

وكانت قاعدة الاقليم : دامغان ، وكسبها العرب الدامغان . وكثيرا ما أشاروا اليها ، على عاداتهم ، باسم قومس (أى مدينة قومس) ، فاقبست العاصمة اسم اقليمها . والدامغان ، على ما ذكر ابن حوقل ، « قليلة الماء » وهى متوسطة العمارة ، ويرتفع منها أكسية معروفة تحل الى الامصار ، وهى فاشية فى جميع الارض » . وقال المقدسى ان الدامغان قد خربت أطرافها فى المئة الرابعة (العاشرة) ولكن كان « عليها حصن بثلاثة أبواب : باب الرى وباب خراسان » ولم يذكر اسم الباب الثالث . وقال لهم سوقان : أعلى وأسفل « والجامع فى الازقة بهيّ نظيف ولهم حياض مثل مرو » . وذكرت جميع المراجع المتأخرة ، كثرة رياحها ، وقال ياقوت وغيره ان الرياح تهب عليها من واد مجاور لها . فكانت أشجار الدامغان لا تنقطع عن الاهتزاز . وفى المدينة ، بناء عظيم من زمن الاكاسرة ، يقسم المياه الجارية الى الدامغان على مئة وعشرين نهرا للسقى^(٢) . وتكثر فى بساتينها الكمثرى الفاخرة . وقال المستوفى ان محيط أسوار دامغان عشرة آلاف خطوة . وقال ياقوت ان على مسيرة يوم من الدامغان (ثلاثة فراسخ ، على ما ذكر المستوفى) ، فى وسط الجبل ، قلعة گرد كوه ، والواقف بالدامغان يراها ، وهى من قلاع الحشيشية المشهورة . وقال المسوفى ان هذه القلعة كان يقال لها دزگُـنـبـدـان (أى القلعة المقببة) ، ويعرف رستاقها الخصب ، بمنصور اباد . وأشار المستوفى أيضا الى معدن الذهب فى جبل كوه زر (جبل الذهب) قرب الدامغان ، ولكنه لم يعين موطن الذهب^(٣) .

والمدينة الثانية في الكير بقومس : بسطام (أو بسطام) وتلفظ اليوم

وقوس ، الصيغة العربية للاسم ، أما الصيغة الفارسية فهي كوس • وسماه المستوفى
 ديار قوس •

(٢) هذا ما قاله ياقوت بصدد مقسم الماء في الدماغان ، نقلا عن الرحالة مسمر بن مهلهل (معجم البلدان ٢ : ٥٣٩) - « وبها (أى بالدماغان) مقسم للماء ، كسروى عحيب ، يخرج مأؤه من مفاوة في الجبل ، ثم ينقسم اذا احدر عنه على مئة وعشرينقسا لثة وعشرين رستانا ، لا يزيد (بتشديد الياء الثانية) مئسا على صاحبه ، ولا يكن ثاليه على غير هذه القسمة ، وهو مستطرف جدا ، ما رأيت في سائر البلدان مثله ولا شاهدت أحسن منه » أ . ه . وأنظر ذلك أيضا في آثار البلاد للزويني (ص ٢٤٥) - (م) .

(٣) ابن خرداذبه ٢٣ : عمادة ٢٠١ ، ابن حوقل ٢٧١ : المقدس ٣٥٥ ، ٣٥٦ : ياقوت
٢ : ٥٣٩ : العربي ٢ : ٢٤٥ : المسعودي ١٩١ ، ٢٠٤ .

بسطام . قال ابن حوقل ان رستاقها أخصب رساتيق الاقليم . وتكثر الفواكه فى بساتينها . وأشار المقدسى الى جامعها فقال « ظريفة » الجامع كأنه حصن ، فى وسط الاسواق . ويظهر ان ناصر خسرو ، وقد زارها فى سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) ، عدّها قصبّة الاقليم ، اذ سماها مدينة قومس . وأشار الى قبر مشهور فيها للصوفى العظيم الشيخ ابي يزيد المعروف بابي زيد البسطامى وقد توفى ودفن فيها سنة ٣٦٠^(٤) (٨٧٤) . وما زال قبره مكرما فى يومنا . وأطرى ياقوت تفاح بسطام اطراء عارف به . وقال « وعلى تل بازائها قصر مفرط السعة ، عليه سور ، ويقال انه من بناء سابور ذى الاكتاف (سابور الثانى) » . وأشار ياقوت أيضا الى أسواق المدينة وكثرة نعمها . وذكر ابن بطوطة عنها ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، مثل ذلك وأشار الى القبة التى فوق قبر الشيخ الصوفى^(٥) .

وعلى أربعة فراسخ من بسطام ، فى الطريق الذاهب الى استراباد : مدينة خرقان ، وقد كانت موضعا ذا شأن فى المئين السابعة والثامنة (الثالثة عشرة والرابعة عشرة) . قال المستوفى انها كالقرية ، هواؤها طيب ، وماؤها كثير ، وفيها قبر الولي ابي الحسن الخرقانى المشهور . وعلى نحو من خمسين ميلا جنوب شرقى بسطام ، عند شفير المقارة الكبرى ، المدينة الصغيرة بيّار ، ويقال لها اليوم بيار جمنند . وصفها المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) فقال انها مدينة صغيرة ليس بها مسجد جامع ، وفيها حصن ، وأسواق عامرة ، ومزارعها خصبة . وتكثر فى بساتينها الكروم والثمار . « وهى معدن الابل والأشمان والأغنام » . وفى حصنها الداخل مسجد ، وعلى المدينة حصن له ثلاثة أبواب حديد ، وفيه باب

(٤) فى شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٢ : ١٤٣) انه توفى سنة ٣٦١ هـ (م) .

(٥) ابن حوقل ٢٧١ : المقدسى ٣٥٦ : ناصر خسرو ٣ : ياقوت ١ . ٦٢٣ : ابن بطوطة ٣ : ٨٢ . أما مدينة شاهروود التى على ميلين جنوب بسطام ، وهى اليوم مركز النجارة فى هذه الانحاء ، فلم يذكرها احد من البلدانين العرب أو الفرس ، وقد اعترف صانع الدولة انه لم يتسكن من معرلة زمن بنائها . راجع : مرآة البلدان ١ : ٢١٠ .

واحد الى الحصن الداخل^(٦) .

وقال المستوفى ان هواءها طيب معتدل ، وفيها قمح جيد . وفي أقل من نصف الطريق بين الدامغان والرى ، مدينة سمنان أو سمنان ، على طريق خراسان . قال المقدسى بها جامع لطيف فى السوق ، وحياض للماء عظيمة . وقال المستوفى ان فستق سمنان مشهور ، وتكثر فيها صنوف الفواكه . وذكر أيضا أهوان ، وقال انها مدينة صغيرة بين سمنان والدامغان ، فيها قبور للصالحين ، ويكثر فيها القمح والفواكه^(٧) .

وخوار ، أبعد مدن قومس غربا ، على طريق خراسان ، وأهم مدينة فى شرق الرى ، وقد كتبها العرب : الخوار . قال ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) ان مدينة خوار « مدينة لطيفة صغيرة ، نحو ربع ميل ، وهى عامرة ٠٠٠ وفيها ماء جار يخرج من ناحية دَنْبَاوَنْد (جبل دماوند) » ، وزاد على ذلك قوله « وخوار ، أشد تلك النواحي (أى قومس) بردا ٠٠٠ ولها ضياع ورساتيق » . وقال القزوينى فى خوار « بها قطن كثير ، يحمل منها الى سائر البلاد » . وذكر المستوفى انها مشهورة بالقمح والثلثوك ، وهو الرز الشلب . وسميت هذه المدينة خوار الرى ، تميزا لها عن خوار التى فى فارس (أنظر ص ٣١٥) ، وبهذه التسمية جاءت فى أخبار حروب تيمور . وذكر المستوفى ، ان خوار هذه كان يقال لها أيضا بالفارسية محلة باغ ، أى محلة البستان .

وذكر المقدسى تجارات قومس ، فقال : « لهم المناديل البيض من القطن المعلقة ، صفار وكبار ، وسواذج ومحشاة ، ربما يبلغ المنديل منها ألفى درهم

(٦) أطال المقدسى فى صفة مدينة بيار ، لان منها أخواله ، قال : « والما استقصيا رصفها كالقصباء ، لان اصل أخوال منها ، وكل قومسى تراه ببيت المقدس ، فاعلم انه منها . وقد كانوا عرفوا جدنا أبا الطيب الفسوا ، وذكروا انه رحل الى الشام مع ثمانية عشر رجلا » (احسن التفاسيم ص ٣٥٧) - (م) .

(٧) المقدسى ٣٥٦ ر ٣٥٧ : القزوينى ٢ : ٢٤٣ : ياقوت ٢ : ٤٢٤ : المستوفى ١٨٦ و ١٩٦ . خرقان (يضم اوله وسكون ثاليه) هى تهجئة القزوينى لهذا الاسم . وهى تشبه خرقان (نفتح اوله وتشديد ثاليه مع الفتح) فى اقليم الجبال ، فأحدهما غير الاخرى .

(نحو ثمانين باونا) • ولهم أيضا أكسية (من الصوف) وطيلاسة (للرأس) •^(٨) •
 واقليم قومس • كان يخترق طوله كله طريق خراسان العظيم • على ما بيننا •
 وقد أجمعت على ذلك كتب المسالك من ابن خردادبه الى المستوفى • فاذا غادر
 هذا الطريق مدينة الري • وصل خوار في ثلاث مراحل • يليها بمرحلة • قصر
 أو قرية الملح • ويقال لها بالفارسية دهنمك على ما فى المستوفى • وهو اسمها اليوم •
 والمرحلة التالية • على ما فى كتب المسالك كلها • كانت رأس الكلب • ولا يرى
 هذا الاسم الآن فى الخارطة • ولكن موضعه حيث قلعة لاسگرد العجبية (ولا أثر
 لهذا الاسم فيما كنبه بلدانيو القرون الوسطى) • وهذه القلعة اليوم تتوّج جرفا
 جبليا يشرف على المفازة • وتلبها • بعد مرحلة طويلة : سمنان • والى شرقها •
 على مرحلة طويلة أيضا : الدامغان (وهى التى ذكرتها كتب المسالك القديمة
 باسم قومس) • وعلى مرحلة مما يلى الدامغان • كانت الحدادة وقد جاءت
 فى المستوفى باسم مهمان دوست (أى الضيف الصديق) • ومنها الى بسطام
 مسيرة يوم • أما اذا سلك الطريق الأُسفل • فالمرحلة عند محطة البريد التى
 على فرسخين من المدينة • وقد كانت وما زالت تعرف بقرية بَدَش • ومنها تدخل
 اقليم خراسان فتسلك طريق البريد الى نيسابور • وجاء فى المقدسى • ان
 الطريق من بسطام الى بيار يقطع فى ثلاثة أيام • ومن بيار كان يقطع المفازة مسافة
 ٢٥ فرسخا ويرجع غربا الى الدامغان^(٩) •

(٨) ابن حوقل ٢٧٠ : المقدسى ٣٦٧ : الفزوينى ٢ : ٢٤٣ : المستوفى ١٩١ و ١٩٦ : على
 اليزدى ٢ : ٢١٢ •

تقوم اليوم فى موضع خوار • مدينة اردون • الا ان ناحيتها ما زالت تحتفظ باسم مدينتها
 القديمة خوار •

(٩) ابن خردادبه ٢٢ و ٢٣ : قدامة ٢٠٠ و ٢٠١ : ابن رسته ١٦٩ و ١٧٠ (وفد أسهب
 فى مسالك هذا الاقليم) : الاصطخرى ٢١٥ و ٢١٦ : ابن حوقل ٢٧٤ و ٢٧٥ : المقدسى ٣٧١
 و ٣٧٢ : المستوفى ١٩٦ •

وللاطلاع على صورة تمثال لاسگرد الحديثة • انظر : H.W. Bellew فى From the
 Indus to the Tigris ص ٤٠٤ •

• اما بلش • فمن القريب ان يائوت الحموى • ذكر الاسم فى معجمه مرة بتهجئته الصحيحة •
 ومرة (بصورة مغلطة) باسم « نلش » اى بالنون • ياقوت ١ : ٥٣٠ : ٤ : ٧٧٣ •

طبرستان اى مازندران

كانت منطقة الجبال العالية - ويتألف معظمها مما يعرف اليوم بجبال البرز^(١٠) الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين ، مما فى شرق قومس وشمالها - تعرف لدى البلدانين العرب الاولين بطبرستان • و « طبر » فى لغة تلك البلاد معناها « الجبل » • قطبرستان ، تعنى « بلاد الجبل » •

وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، أى فى نحو من زمن الفتوحات المغولية ، بطل استعمال اسم طبرستان ، على ما يظهر ، وحلّ محله مازندران • ومنذ ذلك الحين أصبح مازندران الاسم الشائع لهذا الاقليم • وربما شمل اسم مازندران أيضا اقليم جرجان المجاور له • ونوّه باقوت ، وهو أول من ذكر اسم مازندران ، بانه لا يدري متى أخذ بهذه التسمية • ومع انه لم يعثر عليه فى الكتب السالفة ، فانه كان شائع الاستعمال فى جميع أنحاء البلاد • وقد كان الاسمان : طبرستان ومازندران فى تلك الايام مرادفين فى واقع الامر • ولكن بينما كان الاسم الاول يطلق على الجبال العالية بوجه خاص ، ويشمل بصورة ثانوية الرقعة الضيقة من الارض الخفيضة المجاورة للبحر ، الممتدة من دلتا سفيد رود الى جنوب شرقى بحر قزوين ، ظهر اسم مازندران أول مرة دالا فى بادىء أمره على هذه الاراضى الخفيضة فقط • ثم شمل المنطقة الجبلية أيضا • ولا يستعمل اليوم اسم طبرستان •

(١٠) البرز (يفتح الهمزة وضم الباء) ، وبلغت اليوم البرز (بكسر الهمزة وضم الباء) ، هو الاسم الحالى لسلسلة الجبال العظيمة الفاصلة بين هضبة بلاد فارس والاراضى الخفيضة على ساحل بحر قزوين • على ان هذا الاسم لم يرد لدى البلدانين العرب الاولين الذين لم يعطوا أى اسم لهذه الجبال • اما لفظة البرز فمارسبة • جاء فى معجم فارس (Vallers) الفارسى اللاتينى انها مشتقة من كلمتين رنديتين ، معناها « الجبل العالى » أما المستوفى ص ٢٠٢ ، ولعله أول من ذكر الاسم ، فقد استعمله ببدلول غير واضح الحدود • قال فى الفصل الذى عقده عن جبال بلاد فارس ، ان البرز سلسلة جبلية عالية ، تمتد حتى تنصل بجبال باب الابواب (أى جبال الفعساس) ، وانها : « لى الجمعية ، الجبال العظيمة الاتحد بعضها برقاب بعض ، التى تؤلف سلسلة تمتد الى ما يلىف على الف مرسخ من تركستان (فى آسيا الوسطى) الى الحجار (فى بلاد العرب) ولهذا ، لان كثيرين حسبوا انها جبال الفاف (الاسطورة) ، التى تحيط بالارض (وتنصل من الغرب بجبال كرجستان (جورجيا) • • راجع بصدد قمة البرز فى القفقاس ، الصفحة ٢١٦ اعلام •

وفى صدر أيام الخلافة ، لم يكن لهذا الاقليم من الوجهة السياسية الا بعض الشأن . فقد كان فى الواقع ، آخر جزء من أجزاء الدولة الساسانية قبل بالاسلام دينا . وظل ملوكه من أهل البلاد - ويعرفون باصفهذ أو اصفهذ طبرستان نيمقا وقرنا من الزمان بعد فتح العرب بقية بلاد فارس مستقلين فى بلادهم الجبلية ، يضربون نقودهم وعليها الرموز الفهلوية حتى منتصف المئة الثانية (الثامنة) . كما ظل الدين المجوسى يهيم على غابات الجبال العظيمة وغياضها . وكانت غلات هذا الاقليم فى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر المقدسى : الثوم والرز والقنب وطير الماء والاسماك . فان هذا الاقليم غزير الامطار ، بخلاف بقية بلاد ايران . وبعد ذلك الزمن ، ذكر القزوينى ان أهلها « يتعاونون تربية دود القز ، فيرتفع منها الابرسم الكثير ، ويحمل الى سائر البلاد » . وتعمل فيها أكسية الصوف والسجاد والميازير والمناديل الرفيعة والثياب . « وبها الخشب الخلنج ، يتخذ منه الظروف والآلات والاطباق والقصاع » . « وأكثر أبنيتها الخشب والقصب » . على ما ذكر ابن حوقل . وقال أيضا هواقليم كثير الامطار ، وربما اتصل المطر فى الصيف والشتاء ، فجعلوا سطوح بيوتهم مسنمة بالقراميد ، (١١) .

وكانت قصبة طبرستان فى العصر العباسى الأخير : آمل . وان أقسام الطاهريون ، فى المئة الثالثة (التاسعة) فى مدينة سارية . وكانت آمل ، على ما ذكر ابن حوقل ، أكبر من قزوین وليس فى نواحيها أعمر منها . وقال المقدسى بها بيمارستان وجامعان ، العتيق فى طرف الاسواق ، بين الاشجار . والآخرة بقره ، قرب سور المدينة . وفى كل جامع رواق عظيم . وتجارات آمل كثيرة ، يكثر فيها الرز ، ولها نهر كبير يشق المدينة ويسقى المزارع . ولم يزد ياقوت . على وصف المقدسى شيئا . الا ان المستوفى أشار الى حرها ووخامة هوائها ، وقال تكثر فيها التمر والاعناب والجوز والتارنج والانرنج والليمون ، ولطيوبها وعطورها شهرة واسعة فى سائر البلاد . وكانت فرصة آمل تقوم حيث يقع نهرها فى بحر قزوین ، وهى بلدة صغيرة يقال لها عين الهُم ، وقد كتب ياقوت اسمها

(١١) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٧١ : المقدسى ٣٥٤ : القزوينى ٢ : ٢٧٠ : ياقوت ٣ : ٥٠٢ : وانظر لفظة طبر : ص ٢٥٢ أعلاه .

بصورة أهلهم وقال انها ليست بالكبيرة . وقد خربَ تيمور مدينة آمل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وأمر بنقض قلاع ماهاته سر الثلاث ، وكانت هذه القلاع على أربعة فراسخ من المدينة بازاء ساحل البحر .

وكانت قصبة طبرستان الثانية ، وهي القديمة ، مدينة سارية ، ويقال لها اليوم سارى ، في شرق آمل . قال المقدسى ان سارية عامرة فيها ثياب فاخرة وأسواق ، وهي حصينة ، حولها خندق ، ولها جامع فيه نارنجة ، وفي قنطرة الجسر تينة ظاهرة وجسورها مشهورة . ولم ينته اليها الا شيء قليل عن سارية في أواخر أيامها ، فقد عانت كثيرا من الأذى في المئة السابعة (الثالثة عشرة) خلال القنح المغولي . وكانت حين كتب المستوفى خرابا يابا . غير ان رسائيقها كانت كثيرة الاعناب والقمح ، وبها الحرير لكثرة ما يربى فيها من دود القز^(١٢) .

ويهمن جبل دماوند العظيم على أنحاء طبرستان كلها ، وترى قممه التى لا يفارقها الثلج من سهول بلاد ايران التى تبعد مئة ميل أو أكثر عن جنوب طهران . بل قال المستوفى انها ترى من مسافة مئة فرسخ ، وأشار الى أن قممه لا تفارقها الثلوج . وجبل دناوند على ما كتب اسمه البلدانون القدماء ، تعدّه الاساطير الفارسية موطن سيّمُرُغ ، الطير الخرافى الذى ربّى زال أبا رستم وحاماه . وحكى المستوفى كثيرا من القصص الخيالية عن هذا البطل القومى . وقال ابن حوقل ، ان هذا الجبل العظيم يرى من قرب سطره « وهو فى وسط جبال يعلو فوقها كالكبة ، ولم أسمع ان أحدا ارتقاء الى أعلاه » . وزاد على ذلك « ويرتفع من قلته دخان دائم ، الدهر كله » . « ويتحدث فى خرافات الفرس ، ان السحرة من جميع أقطار الارض ، تأوى اليه وان الضحاك (زهاك ، طاغية بلاد ايران القديم) حيّ فى هذا الجبل » .

وسميت باسم دماوند ، بلدة صغيرة تقوم على قلله الجنوبية ، قال المستوفى انها تعرف بشيان أيضا ؛ كما سميت به الناحية الخصبة العريضة الشقة الممتدة حول سفوحه . وكان فى هذه الناحية ، فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة وبّسمه

(١٢) ابن حوقل ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٥ ؛ المقدسى ٣٥٤ و ٣٥٩ ؛ ياقوت ١ : ٣٥٤ و ٤٠٩ ؛

المستوفى ١٠٩ ؛ على اليزدى ١ : ٣٩١ و ٥٧١ ؛ ابن العديم ٤٣٧ .

- ٤١٢ -

وتجاورها شلنبه . وقد وصفهما ابن حوقل ، بقوله : « لهما زروع ومياه وبساتين وأغاب كثيرة » . وقال ياقوت ، وقد رأى ويمه (أو ويمه) ، قد استولى عليها الخراب وذكر ان قلعة (فيروزكوه ترى منها) وقد زار ياقوت هذه القلعة أيضا . وذكر المستوفى ان ماءها من ينباع النهر الذى ينساب الى السهل ويشق خوار الرى فى قومس . وكانت فيروزكوه ، من قلاع مازندران التى ذكرت فى جملة ما حاصره تيمور من قلاع واستولى عليه . وفى سفوح دماوند ، قلعة أخرى ، لا تقل شأنا عن الاولى ، هى قلعة أستوناوند ، أو أستاباد . قال القزوينى « عمرت منذ ثلاثة آلاف سنة » لم يعرف انها أخذت قهرا » ، الى ان ورد التتر سنة ١٣٦١ (١٢١٦) فاستولوا عليها عنوة . وذكر ياقوت ان هذه القلعة يقال لها حرهد أيضا . وتبعد عشرة فراسخ عن الرى . وقال كانت حصنا للاصبهد ، الملك المجوسى القديم لتلك البلاد ، وقد حاصره يحيى البرمكى حتى غلبه وأخذ بناته الى بغداد ، احداهن ، واسمها البحرية ، تزوجها الخليفة المنصور وصارت أم المهدي أبى هرون الرشيد (١٤) . ثم ان فخر الدولة البويهى قد جدد بناء هذه القلعة سنة ٣٥٠ (٩٦١) ثم استولى عليها الحشيشية (١٥) .

وذكر بلدانيو العصور الوسطى ، أسماء كثيرة من القلاع والمدن فى طبرستان ، لم يعد لها ذكر فى الخارطة . وهى اما ان الخراب لحقها من الغزو المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) أو ان تيمور لك دمرها ، فقد اكتسح مازندران غير مرة فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . والى ذلك ، فان أسماء معظم هذه المدن والقلاع الضائعة ، لم تذكرها كتب المسالك ، فحال كل

(١٣) ما فى القزوينى (٢ : ١٩٥) : سنة ٦١٨ ، (م) .

(١٤) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٢٤٤) : « استوناوند ١٠٠٠ كان فى أيام العرس معقلا للمصممان ملك تلك الناحية ، بمنبع تكليته عليه . ومعنى المصممان مس مفان ، والمس . الكبير ، ومفان : المجوس . فمصناه كبير المجوس . وحاصره خالد ابن برمك حتى غلب على ملكه وبلغ دولته . وأخذ بنتين له ، وقدم بهما ببغداد ، فشرهما المهدي وأولدهما ، فاحداهما أم المنصور بن المهدي ، واسمها البحرية . وأولد الأخرى ولدا آخر » . (م) .

(١٥) الاصبخري ٢٠٢ : ابن حوقل ٢٦٥ و ٢٧٠ : المقدسى ٣٩٢ : القزوينى ٢ : ١٩٥ : ياقوت ١ : ٢٤٣ و ٢٤٤ : ٣ : ٩٣٠ : ٤ : ٩٤٤ : المستوفى ١٩١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ : على اليزدى ٢٠٥٧٧ . مازالت فيروزكوه قائمة ، الا ان موضع اسموناوند غير معروف على ما يظهر .

- ٤١٣ -

ذلك دون تعيين مواضعها فى الخارطة ، ولو بصورة تقريبية . وفى الملة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل ثلاث نواح جبلية بقوله : « فيها أشجار عالية ، والفياض والمياه ، وهى خصبة جدا » ، كانت فى جنوب سارية ، بينها وبين هذه النواحي مرحلة ، وتمتد غربا الى حدود الديلم فى إقليم گيلان . وأولى تلك النواحي : جبل فاذوسبان وهو جبل بادوسبان (الصيغة الفارسية للاسم) . وبادوسبان اسم الاسرة الحاكمة شبه المستقلة التى ساد رؤساؤها هذه النواحي نحو من ثمانئة سنة ، أى من أيام الفتح الاسلامى حتى زمن الغزو المغولى ، وكانت القرى تنتشر فى هذه الناحية الجبلية ، وأكبرها ، قرية يقال لها قرية منصور . ويلها أرم خاست ، أو أرم خاسته ، وهى قرىتان : عليا وسفلى ، وتبعد هذه القرية نحو أرم خاست ، أو أرم خاسته ، وهى قرىتان : عليا وسفلى ، وتبعد هذه القرية نحو مرحلة عن سارية ، ولم يكن فى هذه الجبال مدينة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان يجاور فاذوسبان ، الناحية الجبلية المسماة جبل قارن ، وهى مستقر آل قارن . ويقال انهم من الفرثيين . ومهما يكن من أمر ، فقد جاءت اسماء آل قارن فى أخبار الساسانيين وفى الزمن الاسلامى ، وكانوا ما زالوا رؤساء تلك الناحية ، وكان أمنع معاقل آل قارن التى توارثوها منذ أيام أكاسرة الساسانيين : **فِرْم** (فریم) وأعمار مدنها ، مدينة **سهمار** (أو **شهمار**) . وفيها المسجد الجامع ولا ثانى له فى سائر تلك الانحاء . ولم تذكر كتب المسالك ، يا للأسف ، موضع فریم ، بوجه التحقيق . ذكرها ياقوت ، وكذلك المسنوفى فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال انها عند حد قومس . وكانت الناحية الجبلية الثالثة ، جبل الرونج ، وهى شمال اليرى ، ومن ثمة ، فهى أقرب من غيرها الى حدود الديلم . ولم ينته اليها اسم مدينة أو قرية فى هذه الناحية ، الا انها على ما يقال كانت فى غاية الخصب وماؤها كثير ، وفى جبالها الاشجار والتابان^(١٦) .

(١٦) الاسطخري ٢٠٥ و ٢٠٦ ، ابن حوقل ٢٦٨ ر ٢٦٩ ؛ ياقوت ١ : ٢١٢ ؛ ٣ : ٣٢٤ و ٨٩٠ ؛ المستوفى ١٩١ . وجاء اسم فاذوسبان بصورة قادوسيان فى الاسطخري وغيره من البلدانين ، وهو من تصحيف الطبع . ومن ثمة ، كثيرا ما ظن بعضهم ان هذه الاقوام تمثل شعب « كدوسى » (Cadusii) القديم الذى ذكره اسطرابون (انظر نللكه فى Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden ص ١٥١ حاشية ٢) وقد أوضح

- ٤١٤ -

وعلى مسيرة يوم ، أى خمسة فراسخ ، من غرب آمل ، فى السهلة التى قرب البحر ، مدينة ناتل أو ناتلة • وعلى مثل تلك المسافة من غرب ناتل ، مدينة سالوس أو شالوس ، قال المقدسى « بها قلعة من حجارة ، الجامع على جانب » • وجاء اسمها أيضا بصورة سالوش • وبالقرب منها مدينتان أخريان هما الكبيرة وكچه • وورد اسم شالوس فى أخبار حروب تيمور بصورة جالوس • والظاهر ان تيمور لك قد خرب فى خلال حروبه جميع هذه البلاد وكذلك البلاد الجبلية التى فى جنوبها ، أى رويان ورستمدار^(١٧) •

ومدينة كلار ، وقد ظنها ياقوت انها مدينة كچه المذكورة أعلاه ، كانت على مرحلة من شالوس ، ولكن فى الجبال • ومن كلار الى حدود الديلم مرحلة • وفى هذه الاسماء شىء من اللبس • ولكن يظهر ان كلار وكچه ورويان مدن متجاورة ان لم تكن تشير الى مدينة واحدة بذاتها • وكانت رويان ، الى ذلك ، اسم رستاق كبير من رستاق البلاد الجبلية عند الحد الغربى لطبرستان • وذكر ابو الفداء ان مدينة رويان ، كان يقال لها شارستان أيضا ، وانها كانت تتوّج قمة درب جلى يبعد ١٦ فرسخا عن مدينة فزوين • وذكر ياقوت ان رويان قصبة الناحية الجبلية فى طبرستان ، مثلما كانت آمل قصبة السهول الخفيضة فيه • كان بها أبنية حسنة وبساتين كثيرة الثمار • وكان بالقرب من رويان (أو كلار) مدينة سعيد اباد الصغيرة •

أما حصن الطاق العظيم عند حدود الديلم ، وهو آخر معقل لجأ اليه اصهبند طبرستان بعد ان غلبته جيوش الخليفة المنصور ، فينبغى ان يكون فى ناحية

ان البادوسبان كانوا فى أيام الساسانيين ولاية هذه الناحية مقابل الاصهبند الدين كانوا القادة العسكريين لهذا الادليم الواقع فى تخوم المملكة • راجع أيضا : Justi, Iranisches Namenbuch ص ١٥٦ مادة : (Karen) (قارن) • وص ٢٤٥ مادة : (Patkospan) (مادوسبان) • وللإطلاع على أسماء رؤساء البادوسبان فى العصر الاسلامى ، انظر : G. Melgunof فى : Das Südliche Ufer des Kaspischen Meeres ص ٥٠ •

وعلى أسماء رؤساء قارن ، انظر المرجع نفسه ص ٥٢ •
(١٧) ابن حوقل ٢٧٥ : المقدسى ٣٥٦ : ابن المقية ٣٠٥ : ياقوت ٣ : ١٣ و ٢٣٧ و ٥٠٤ : ٤ : ٧٢٦ : على اليزدى ١ : ٣٩١ •
وقيل ان شالوس ، لا تبعد الا ثمانية فراسخ عن الرى ، وهذا وهم ولا شك ، فان هذه المسافة تبجلها على بحر قزوين أو فى القرب منه •

رويان هذه ، وقد أسهب ياقوت والقزويني في وصف هذا الموضع ناقلين عن سبقهما من المصنفين • كان الطاق حصنا منيعا ، « وكان في قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وهو نقب في موضع عال في جبل صعب المسلك • وهذا النقب شبيه بالباب الصغير ، فاذا دخل فيه الانسان مشى فيه نحواً من ميل في ظلمة شديدة • ثم يخرج الى موضع واسع شبيه بالمدينة قد احاطت به الجبال من جميع الجوانب ، وفي هذه الرحلة مغارات وكهوف ، وفي وسطها عين غزيرة الماء ينبع من صخرة وينور ماؤها في صخرة أخرى ، على مقربة من الاولى • وأفاض ياقوت بعد هذا الكلام في ذكر عجائب هذا الموضع •

وعند منابع شاهرود - وهو الفرع الشرقي لسفيد رود (أنظر ص ٢٠٤ أعلاه) - ناحية رستمدر • قال المستوفى ان فيها نحواً من ثلاثمئة قرية • وهذه الناحية التي كانت تسقيها أنهار كثيرة تأخذ من شاهرود ، كانت بين مدينة قزوین وآمل ، وفي شرق ناحية رويان • وكان على شاهرود ، على ما بيّنا في الفصل الخامس عشر (في الصفحة ٢٥٥) أعظم قلاع الاسماعيلية أي الحشيشية • وربما كان في ناحية رستمدر هذه ، قلعة كلام ، وقد وصفها ياقوت بقوله انها « قلعة قديمة في جبال طبرستان ، ملكها الملاحدة ، فأنفذ السلطان محمد بن ملكشاه (السلاجوقي) من حاصرها وملكها وخرّبها » (١٨) •

وعلى فرسخين من شرق آمل ، في طريق الساحل ، مدينة ميله • وعلى ثلاثة فراسخ مما يليها : أبرجى ، وهي على مرحلة من سارية • وكانت مدينة ممطير ، أو مامطير ، على مرحلة من كل من آمل وسارية ، على ستة فراسخ من البحر ، وهي تطابق بارفروش الحديثة • قال ياقوت : « بها مسجد ومنبر ، ولها رستاق وقرى وعمارات كثيرة » • وبالقرب من سارية ، وربما الى شرقها ، كانت نامية (أو نامشة) ولها رستاق حسن ، وهي على عشرين فرسخاً من سارية • ومهروان ، على عشرة فراسخ من سارية ، بها مدينة ذات منبر وحامية من

(١٨) ابن حوقل ٢٧٥ : ياقوت ٢ : ٨٧٣ : ٣ : ٩٣ و ٤٩٠ و ٥٠٤ : ٤ : ٢٤٠ و ٣٦٦ و ٢٩٧ : القزويني ٢ : ٢٣٨ أير القداء ٤٣٥ : المستوفى ١٩٠ •

- ٤١٦ -

ألف رجل • ولا يعرف ، وآأسفا ، الموضع الصحيح لهاتين المدينتين • وفي آخر الحدود الشرقية لطبرستان ، على ثلاث مراحل من سارية ، في طريق استراباد على مرحلة من الاخيرة : مدينة طميس ، أو طميسة • وتقوم على درب عظيم ممدود من الجبل الى جوف البحر ، وسط المناقع • قال ياقوت ان كسرى أنوشروان (العادل) بناء ليكون دربا يسلكه من يخرج من طبرستان^(١٩) •

وفي جنوب شرقي بحر قزوين ، خليج^١ شراده ، على ما يسمى اليوم ، وعنده لسان رملي طويل يمتد شرقا حتى يكاد يصل ساحل جرجان • وقد وصف المستوفى هذا الخليج وجزيرته ، أو شبه جزيرته ، باسم نيم مردان ، فيها موضع أهل في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وكان فرضة تقصدها السفن من سائر أنحاء بحر قزوين • وكانت الفرضة تبعد ثلاثة فراسخ عن استراباد • ويقال للمدينة التي وراءها : شهرأباد وهي ذات تجارات رائجة . ويجوارها ناحية يكثر فيها الحرير والقمح والكروم ، يقال لها كبود جامه ، وقد كانت بلادا كثيرة الغنى والخير ، الا ان الخراب استولى عليها في حروب تيمور ، في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ومدينة روعد ، أو روعد ، وقد جاء ذكرها في خبر مرور تيمور بها في زحفه على مازندران ، ربما كانت في ناحية كبود جامه • قال المستوفى كانت مدينة وسطة محببها ٤٠٠٠ خطوة ، تقوم في وسط رسانيق خصبه يكثر فيها القمح والقطن وصنوف الفواكه •

أما تجارات طبرستان ، فالى ما نوّهنّا به في الصفحة ٤١٠ ، ذكر المقدسى الأكسية الحسنة والطياصة وثياب الخبش المحمولة الى الاتفاق • وكان يرتفع منها أيضا خشب الخلنج ، وقد مرّ ذكره ، وكان يقطع قطعاً ويحمل منها فتصنع منه في الرى القصاع والاطباق والاوانى • والخلنج خشب متنوع الالوان طيب

(١٩) ابن حوقل ٢٧٥ ؛ ياموت ٣ : ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٤٧ ؛ ٤ : ٣٩٨ و ٦٤٢ و ٦٩٩ و ٧٣٣ • وأقدم من ذكر يارغروش ، باسم باره فروش ده (أى الغربة التى تباع منها الاحمال) : أحمد الرازى في « همت اقلسم » وهو مؤلف من المئة العاشرة (السادسة عشرة) • أنظر : دورن (Dorn) في Muhammedanische Quellen الجزء الرابع ، ص ٩٩ من المتى الفارسى •

الرائحة تصنع منه أحيانا خرز السبجات • وأحسن أنواعه ما ينمو فى جبال طبرستان^(٢٠) •

جرجان

يمتد إقليم جرجان ، أو گرگان ، على ما ينطق به الفرس ، فى جنوب شرقى بحر قزوين • ويضم فى الاغلب السهول العريضة والاودية التى يسقيها نهرا جرجان وأترك • وقد كان هذا الاقليم فى الاثمنة الاولى ، قائما بنفسه ، وان كان مضافا الى خراسان • ولكن ما أحدثه الفتح المغولى من تغيير أدى الى الحاقه سياسيا بما زندران • وهذا الاقليم ، كغيره من نواحى جنوبى بحر قزوين ، قد أغارت عليه جمافل المغول وخربته فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم دمرته حروب تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) •

وجرجان ، على ما ذكر المقدسى ، وافر الانهار ، وفى سهوله وجباله النخل ، ويكثر فيها النارج والاعناب • وأهم نهر فى هذا الاقليم كان يعرف باسمه ، أى نهر جرجان • وهو النهر الذى قال المقدسى ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، انه يعرف بـ « طيفورى » • كما انه لم يذكر نهر أترك • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جاء اسم النهر فى المستوفى بصورة آب جرجان ، وقال ان نهر جرجان ينبع فى وادى شهر ناو (المدينة الجديدة) ومنها يشق سهل سلطان درين يصل الى مدينة جرجان فاذا جاوزها وقع فى بحر قزوين قرب جزيرة آبسكؤون فى خليج نيم مردان • ومجرى هذا النهر برمته كان عميقا لا يكاد يعر • وكثيرا ما غرق فيه من حاول عبوره من المسافرين • وكانت مياهه فى موسم الفيضان تجري فى أنهار للسقى ، وان كانت تذهب هدرا فى الغالب •

أما نهر أترك ، فهو أطول من جرجان ، ومخرجه فى سهول خراسان بين

(٢٠) المقدسى ٣٦٧ : المستوفى ١٩٠ و ١٩١ ، جهان سا ٣٣٩ و ٣٤١ ، على البردى ١ ٣٤٩ •

لقد تغيرت طبعا هيئة خليج أشراذه وشبه جزيرته تغيرا كبيرا منذ المئة الرابعة عشرة للميلاد حين كتب المستوفى ، ولا يعلم الموضع الصحيح للمدة والفرضة •

نسا وخبوشان قرب منابع نهر المشهد • ويجرى نهر المشهد نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه معاكس للاول • ونهر أترك عميق الغور ومعظمه صعب العبور ، كنهر جرجان ، على ما ذكر المستوفى • وبعد ان يجرى محاذيا حدود دهستان فى الجانب الشمالى من اقلم جرجان ، يقع فى بحر قزوين • وطول مجراه نحو من ١٢٠ فرسخا • ويقال ان اسم أترك ان هو الا صيغة جمع ترك • فنهر أترك انما سمي بذلك لان الاترك كانوا يعيشون فى زمن ما على ضفافه • ولم نثر على اسم لهذا النهر فى كتب البلدانين العرب الاولين • والمستوفى ، فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، من أقدم من سماه بنهر أترك ، وهى التسمية التى ما زال يعرف بها (٢١) •

أما قصة جرجان ، فهى مدينة بالاسم نفسه ، ويقال لها اليوم « من گرگان » • وصفها ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) بقوله انها مدينة حسنة • بناؤها من طين ، وهى أبس من أمل نربة ، والمطر فى جرجان أقل منه فى طبرستان • وجرجان جانبان ، بينهما يجرى نهر جرجان ، « عليه قنطرة معقودة بين الجانبين » • فجرجان الجانب الشرقى ، وبكر أباذ الجانب الغربى • والجانبان ، على وصف ابن حوقل وقد رأهما ، فى نحو مدينة الرى كبرا • ونكثر فى بساينها الفواكه ، ويعمل بها الابريسم • وسمى المقدسى الجانب الشرقى من جرجان : شهرستان • وقال انها حسنة المساجد والاسواق ، وفى بساينها رمان وزيتون وبطيخ وباذنجان ونارنج وليمون وأغاب ، وهى جيدة فاخرة رخيصة • وفيها أنهار عليها جسور وطيقان ، وبها ميدان بازاء دار الامير • ولها تسعة أبواب • وحر جرجان شديد ، وذبابها كثير ، وحشرات مؤذية ، لا سيما براغيثها فانها ضارية تعرف بگرگان ، أى الذئاب • وكانت بكر أباذ ، حسب تهجئة المقدسى لها « شبه مدينة عامرة بها مساجد » وتبعد أبنتها مسافة كبيرة عن النهر وتعد قليلا بمحاذاة ضفته الغربية •

(٢١) المقدسى ٣٥٤ ر ٣١٧ : المستوفى ٢١٢ ر ٢١٣ : جهان نما ٣٤١ : ساطع ابرو ٣٢ ا • يكتب الاسم اترك بدون الة ، قبل آخره • بينما جمع ترك : اترك • ومن ثمة قد يكون التفسير الشائع له لا يقوم على أساس صحيح •

- ٤١٩ -

ولما كتب القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، كانت جرجان مشهورة لدى العلويين ، لان فيها مشهدا يقال له گور سُرَخ (أى القبر الاحمر) ويقال انه لبعض أولاد علي الذي سماه المستوفى محمد بن جعفر الصادق الامام السادس . وذكر المستوفى ان حفيد ملكشاه السلجوقي قد جدّد بناء المدينة ، وكان محيط أسوارها سبعة آلاف خطوة . ولما كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كان الخراب قد ذبّ فيها ، ولم تقم لها قائمة بعد اكتساح المغول لها . وأطرى فواكهها الفاخرة وقد ذكر ، عدا الفواكه المنوّه بها قبلا : شجر الصنّاب وهو ينبت من نفسه وتثمر اشجاره ، وعمرها لا يزيد على الستين أو الثلاث ، مرتين في السنة . وكان أهل جرجان في أيامه من الشيعة ولكنهم غير كثيرين . وفي سنة ٩٧٥ (١٣٩٣) كان تيمور ، الذي خرب مازندران والبلاد المجاورة لها ، قد وقف في جرجان وابنى له على ضفاف نهرها قصره العظيم شاسمن . وقد نوّه حافظ أبرو بذكره (٢٢) .

وثانية مدن اقليم جرجان : استراباد ، قرب حدود مازندران ، وصفها المقدسى في المئة الرابعة (العاشرة) بقوله انها مدينة أطيب هواء وأصح ماء من جرجان كلها . ويكثر فيها القز . وقد خرب حصنها في أيامه لان البويهيين خربوا كل هذه البلاد في أثناء قتالهم بنى زيار . وزاد المقدسى على ذلك انه كان لها مسجد جامع بنى في أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، وما زال قائما في السوق قرب باب المدينة . وكل ما أوردته ياقوت والمستوفى عنها ان هو الا تأييد لما مرّ ذكره ، وأطريا هواء استراباد ووفرة طعامها ، ولم يزيدا على ذلك شيئا . وكانت فرضة جرجان واستراباد على بحر قزوين ، مدينة آبسكّون ، وتبعد عن كل منهما مسيرة يوم . والظاهر ان موضعها قد غمره البحر في غضون المئة السابعة

(٢٢) ابن حوقل ٢٧٢ و ٢٧٣ ؛ المقدسى ٣٥٧ و ٣٥٨ ؛ القزويني ٢ ؛ ٢٣٥ ؛ المستوفى ١٦٠ ؛ عل اليزدى ١ ؛ ٥٧٨ ؛ حافظ أبرو ٣٢ .

وكان يملك جرجان في المئة الرابعة (العاشرة) ، بنو ريار ، وهم منها . وكان سلطانهم قد امتد الى طبرستان والنواحي المجاورة لها . وأشهر رجال بني زيار ، قابوس ، المتوفى سنة ٤٠٣ (١٠١٢) وقبره ما زال قائما قرب خرائب مدينة جرجان ، يقال له كنبد قابوس . انظر : س . س . اى . يات C.E. Yate في كتاب خراسان وسيستان : ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

(الثالثة عشرة) بعد الغزو المغولي . وقد جاء في الاصطخرى وابن حوقل ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، ان أبسكون سوق كبير لتجارة الحرير وكانت في ذلك الزمن ثغرا تصدّ الاتراك والغزّ ، وهي فرضة تجارة بحر قزوين التي تحمل الى كيلان . وكان عليها حصن منيع من الآجر ، ومسجدها الجامع في السوق . وقال المقدسي « هي فرضة جرجان » . وزاد ياقوت على ذلك ان بحر قزوين كان يسمى غالبا بحر أبسكون . واشتهرت أبسكون في التاريخ بكونها آخر مدينة التجّ لها محمد ، آخر من حكم من شاهات خوارزم ، وقد فرّ أمام جحافل المغول ومات فيها ذليلاً في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) (٢٣) .

وعلى مسيرة ستة أيام (أو خمسين فرسخا) من شمال أبسكون ، وعلى أربع مراحل من مدينة جرجان ، موضع يعرف بدهستان في ناحية بالاسم نفسه . وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) ثغرا في حد الترك . قال ابن حوقل : دهستان بالقرب من بحر قزوين . ولم يكن فيها غير القرى وبعض البساتين ، وأهلها مبشرون فيها . وبالقرب منها ، خليج ضحل في بحر قزوين كانت السفن ترسو فيه ، ويصيد أهل الساحل سمكا كثيرا منه . وأهم تلك القرى : آخر ، وقد أشار المقدسي الى انها مدينة ، حولها أربع وعشرون قرية وهذه القرى « من أجل أعمال جرجان » . وفي آخر : « منارة ترى من البعد في وسط القرى » .

والى شرق آخر ، مدينة الرباط وهي « على قم المفازة » حيث يدخل هذه الناحية الطريق الذاهب الى خوارزم . قال المقدسي : « قد خرّب السلطان حصنه ، وكان بثلاثة أبواب ، وهو عامر ظريف . وأسواق بهية ومنازل لطيفة ومساجد حسنة . والمسجد العتيق فيه سوارى خشب » وكان النصف الاسفل منه ، في أيام المقدسي ، تحت الأرض . وللمدينة جامع آخر ، فيه منارة جميلة (٢٤) . وذكر

(٢٣) الاصطخرى ٢١٣ و ٢١٤ ؛ ابن حوقل ٢٧٣ و ٢٧٤ ؛ المقدسي ٣٥٨ ؛ ياقوت ١ : ٥٥ و ٢٤٢ ؛ المستوفى ١٩٠ و ٢٢٥ .

وذكر ابن سرايوت (الورقة ٤٦ ب) ان مدينة أبسكون تقوم على نهر جرجان قرب مصبه في بحر قزوين . المسعودي : التنبيه ٦٠ و ١٧٩ .

(٢٤) قال المقدسي : (ص ٣٥٩) في الرباط « مسجد بمنارة لاصحاب الحديث » (م) .

- ٤٢١ -

ياقوت هذه المواضع مع مواضع أخرى في ناحية دهستان ، هي : خرتير وفرغول وهبرائان ، ولم يصفها . وذكر المستوفى ، وقد وصف الطريق من جرجان الى خوارزم ، مخترقا دهستان ، ان هذه الناحية ، كانت الحد بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد . وهوأها حار ، ولها نهر بسقيها ، ولكن فواكهها قليلة (٢٥) .

وعلى أربع مراحل من دهستان ، عند حد المفازة ، حيث يبدأ الطريق باجتيازها الى خوارزم ، تقوم مدينة فراوة . ذكر الاصطخرى انها ثغر في بادية الفز . وكان « يقيم بها المرابطون » في المئة الرابعة (العاشرة) . وكان بها رباط يحمى البلاد التي وراءها لئلا يتنابها الاتراك . وليست لهم بساتين ولا زروع الا مابل ، وأهلها دون ألف رجل . وقد كتب المقدسى اسمها بصورة أفراوة . وقال ياقوت انها كانت رباطا بناء عبدالله الطاهري في خلافة المأمون . أما موضعها ، فأكبر الظن ان فراوة تطابق قزل أرواات الحديثه ، وهذا الاسم تحريف قزل رباط (أى الرباط الاحمر) . ولم يذكر ياقوت غير أسماء بعض المواضع الاخرى في اقليم جرجان وقد كانت قرى من أعمال مدينة جرجان أو استراباد . ولم ينته اليها شيء عنها ولم تحدد مواضعها . ويغلب ان تكون قراءة الاسم غير مضبوطة (٢٦) .

وذكر المقدسى مما اشتهر من تجارات جرجان ، صنفا من « المقانع الفزئية » كان يحمل في أيامه الى اليمن في جنوبى بلاد العرب . وكان بها ديباج دون . وكان يكثر في جرجان الاعاب والين والزيتون (٢٧) .

(٢٥) ترى خرائب هذه المواضع عند حد مفازة خوارزم ، في مسريان قرب الجبال المعروفة بـ « كورن داغ » ، وقد انقطعت الزراعة في هذه الناحية منذ آمد طوبل ، وهي اليوم صحراء لا ماء فيها .

ابن حوقل ٢٧٧ و ٢٨٦ ، المقدسى ٣٥٨ و ٣٥٩ ؛ ياقوت ١ : ٥٩ و ٥٠١ : ٢ ؛ ٤١٨ و ٦٣٣ : ٣ ؛ ٨٨٠ : ٤ ؛ ٩٤٩ ؛ المستوفى ١٩٠ و ١٩٧ .

(٢٦) الاصطخرى ٢٧٣ ؛ ابن حوقل ٣٢٤ ؛ المقدسى ٣٣٣ ؛ ياقوت ٣ : ٨٦٦ ؛ المستوفى

١٩٧ .

وقد ذكر ياقوت من هذه القرى ستة عشر اسما . ياقوت ٢ : ١٣٧ و ٤٨٩ و ٧٨٢ ؛ ٣ : ٢٢٣ و ٩٢٣ ؛ ٩٣٠ ؛ ٤ . ٢٧٧ و ٣٧٦ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٥٥٥ و ٦٩٩ و ٧٢٨ و ٩٢٦ و ٩٢٧ .

(٢٧) المقدسى ٣٦٧ .

- ٤٢٢ -

وليست المسالك في طبرستان وجرجان كثيرة • لان الجبال في الاقليم الاول تكاد لا تخترقها الطرق • وذكر الاصطخرى (ومنه اقتبس ابن حوقل) والمقدسى ، الطريق الاتخذ شمالا من الرى الى آمل ، قاطعا الجبال ، مازا بآسك وبلور (بلور) • ويصعب اليوم بل يستحيل تعيين كثير من مراحل • والطريق الذهاب غربا من آمل فى محاذاة الساحل ، ذكر فيه ابن حوقل والاصطخرى المراحل الى نائل وسالوس فالى حد كيلان (الديلم) ، وكذلك ذكرا مراحل الطريق الذهاب شرقا من آمل الى استراباد ومدينة جرجان • والطريق من مدينة جرجان الذهاب شمالا الى دهستان ، ذكر المقدسى مراحل • وكذلك ذكر المستوفى المراحل فى كلامه على الطريق من بسطام فى قومس الى عاصمة خوارزم • وجاء فى المقدسى أيضا وصف الطريق من بسطام الى مدينة جرجان قاطعا الدرب الجبلى مارا بجهينة ، وهى ، على ما ذكر ابن حوقل « واد لقربة حسنة » • وأخيرا وصف المقدسى الطريق من جرجان الذهاب شرقا الى خراسان وهو يقطع فى خمسة أيام الى اسفرايين فى سهل جوين فيجتاز أجغ ويقال لها اليوم أشك • وسأتى على وصف هذه الناحية فى الفصل القادم (٢٨) •

(٢٨) الاصطخرى ٢١٤ - ٢١٧ : ابن حوقل ٢٧٤ - ٢٧٦ : المقدسى ٣٧٢ و ٣٧٣ •

الفصل السابع والعشرون

خراسان

أرباع خراسان الأربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وشاذيخ -
كورة نيسابور - طوس والمشهد - بيهق وسبزوار - جوين
وجاجرم واسفراين - استوا وكوجان - رادكان
ونسأ وابيورد - كلات - خابران
وسرخس -

خراسان في الفارسية القديمة ، معناها « البلاد الشرقية » . وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى ، يطلق بوجه عام ، على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند . فخراسان في مدلولها الواسع هذا ، كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ، ما خلا سبستان ومعها قوهستان في الجنوب . وكانت حدودها الخارجية ، صحراء الصين والپامير من ناحية آسية الوسطى ، وجبال هندكوش من ناحية الهند . إلا أن حدودها هذه صارت بعد ذلك ، أكثر حصراً وأدق تعييناً . حتى يمكن القول أن خراسان ، وقد كان أحد أقاليم بلاد إيران في القرون الوسطى ، لم يكن يمتد إلى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي ، ولكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات في ما وراء هرات ، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان . وإلى ذلك ، فإن البلاد في أعلى نهر جيحون ، من ناحية الپامير ، كانت على ما عرفها العرب

- ٤٢٤ -

فى القرون الوسطى ، تعد ناحية من نواحي خراسان البعيدة • وكان اقليم خراسان فى أيام العرب ، أى فى القرون الوسطى ، ينقسم الى أربعة أرباع ، نسب كل ربع الى احدى المدن الاربع الكبرى التى كانت فى أوقات مختلفة ، عواصم للاقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هى : نيسابور ، و مرو ، وهراة ، وبلخ • وبعد الفتح الاسلامى الاول ، كانت عاصمتا خراسان فى مرو وفى بلخ • الا ان الامراء الطاهريين ، نقلوا دار الامارة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور فى أيامهم عاصمة الاقليم ، وهى أيضا أكبر مدينة فى أقصى الارباع غربا^(١) •

وفى الفارسية الحديثة يلفظ اسمها : نيشابور • وهى فى العربية : نيسابور • وهو مشتق من نيشابور فى الفارسية القديمة ، ومعناه : « (شئ أو عمل أو موضع) سابور الطيب » • وانما سميت المدينة بذلك ، نسبة الى الملك سابور الثانى الساسانى الذى جدّد بناءها فى المئة الرابعة للميلاد ، اذ ان مؤسس نيسابور كان سابور الاول بن أردشير بابكان • وقد سرد البلدانون العرب فى المئة الثالثة (التاسعة) ثبنا طويلا بأسماء أكبر المدن فى كورة نيسابور التى كانت تضم معظم اقليم قوهستان ، وقد مرّ وصفه • وأهم ما قد يفيدنا به هذا الثبت ، التهجئة القديمة لبعض الاسماء ، وكثير من هذه المواضع لا يمكن تعيينه اليوم^(٢) •

وفى صدر العهد الاسلامى ، كان يقال أيضا لنيسابور : أبرشهر ، ومعناه : مدينة النيم فى الفارسية • وبهذه التسمية ظهرت فى الدراهم القديمة التى ضربها فيها الخلفاء الامويون والعباسيون • وسماها المقدسى وغيره باسم ايرانشهر - أى مدينة ايران - أيضا • ولكن هذا الاسم ربما لم يكن غير اسم رسمى ولقب شرف

(١) الاسطخرى ٢٥٣ ر ٢٥٤ ؛ ابن حوقل ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ ؛ المقدسى ٢٩٥ ؛ المستوفى ١٨٥ •

(٢) الاسطخرى ٢٥٨ ؛ ابن حوقل ٣١٣ ؛ ابن خرداذبه ٢٤ ؛ اليعقوبى ٢٧٨ ؛ ابن رسته ١٧١ •

المطلع الاول من اسم نيشابور ، فى الفارسية القديمة : « نيو » أو « نيك » • وهو موجود فى الفارسية الحديثة بصورة « نيكو » أى ، الطيب • وقد تحول « نى (سابور) » العربى فى الفارسية الحديثة ، الى نيشابور ، لان « ب » تلمع « ب » (مثلثة) بالفارسية • انظر : تلده فى Sassaniden ص ٥٩ •

- ٤٢٥ -

لها • كانت نيسابور فى المئة الرابعة (الفاشرة) مدينة عامرة جليلة مقترشة البناء ، نحو فرسخ فى مثله ، ولها مدينة وقهندز وربض • ومسجدها الجامع فى الربض ، وهو من بناء عمرو الصفار ، مقابل ميدان يعرف بالمسكر • وبقربه دار الامارة ، وتفضى الى ميدان آخر يقال له ميدان الحسينيين والحبس لا يبعد كثيرا عن دار الامارة ، وبين بناء وبناء من هذه الابنية الثلاثة نحو من ربع فرسخ •

وللقهندز بابان • وللمدينة أربعة أبواب • أحدها يعرف بباب القنطرة ، والثانى بباب سكة معقل ، والثالث بباب القهندز (أى باب القلعة) والرابع بباب قنطرة تكين • وأرباضها فى خارج قهندزها ومدينها ، وتحفّ بهما • وأسواقها فى أرباضها ، ولها أبواب كثيرة • منها باب يعرف بباب القباب • ويخرج منه الى الغرب • ويقابله باب جنك (أى باب الحرب) أمام ناحية بشتفروش^(٣) • وباب فى الجنوب يعرف بباب أحوص أباذ وهناك أسماء أبواب أخرى • وأعظم أسواقها : سوقان أحدهما يعرف بالمربعة الكبيرة ، والاخر بالمربعة الصغيرة • وكان سوق المربعة الكبيرة ، قرب المسجد الجامع ، وقد تقدم ذكره • وسوق المربعة الصغيرة على بعد قليل من السوق الآخر ، فى الارباض الغربية قرب ميدان الحسينيين ودار الامارة • وهى أسواق طويلة مكتظة بالدكاكين ، تمتد من مربعة الى المربعة الاخرى ، وتقطعها متعامدة معها أسواق أخرى ، بقرب المربعة الكبيرة وهى تمتد جنوبا الى مقابر الحسينيين ، وتنتهى شمالا برأس القنطرة على النهر • وفى هذه الاسواق ، خانات وفنادق يسكنها التجار ، وفيها التجارات كل صنف منها على حدة • وللاساكفة والبزازين والخرّازين وغيرهم من أصحاب الحرف خاناتهم • ولكل دار فى المدينة قناة تأخذ ماءها من نهر يقال له وادى سخاور ، ينحدر الى نيسابور من قرية بشتنقان المجاورة لها • وعلى هذا الوادى والقنى قوآم وحفظة ، وعمق بعض القنى تحت الارض ربما بلغ مئة درجة • وهذه القنى ، اذا ما جاوزت المدينة ظهرت على وجه الارض فتسقى المزارع والبساتين •

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ١ : ٦٣٠) • « بشتفروش ، ويقال - بشتفروش ، بغير نون : كورة من أعمال نيسابور ، أحدثها بشتاسف الملك ، بها مئة وست وعشرون قرية » (م) •

وليس فى كل خراسان ، على ما ذكر ابن حوقل ، مدينة « أصح هوا » وأفسح فضاء وأشد عمارة من نيسابور . • وتجارها أهل ثراء ، وتؤتمها السائلة والقوافل فى كل يوم . • ويرتفع منها من أصناف ثياب القطن والابريسم ، ما ينقل الى سائر البلدان . • وأيد المقدسى ما سبق ذكره ، وزاد عليه اشياء أخرى قال : ^(٤) فى نيسابور اثنتان وأربعون محلة ، منها ما يكون مثل نصف شيراز . • ودروبها المؤدية الى الابواب زهاء الخمسين . • ومسجدها الجامع أربع رحبات ، بناء عمرو الصفار ، على ما قد بينا ، ويقوم سقفه على أساطين الآجر ، يدور على صحنه ثلاثة أروقة . • وأهم بناء فيه قد زوقت حيطانه بالقرميد المذهب . • وللجامع أحد عشر بابا بها أعمدة رخام . • وحيطانه وسفحه مجتملة مزوقة . • ونهر نيسابور ، على ما سبق ذكره ، يأتى من قرية بشتقان ، كان يدير سبعين رحى . • ومنه تحمل قني كثيرة تجرى تحت الارض ، ويجرى النهر فيها مسافة فرسخ . • وكان فى داخل المدينة وفى دورها آبار كثيرة عذبة الماء ^(٥) . • وقال ياقوت ، ان فى أيامه ، أى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانوا يلفظون اسم هذه المدينة : نشاور . • وأبان عن ان نيسابور بالرغم مما أصابها من الخراب فى زلزال سنة ٥٤٠ (١١٤٥) ، فقد أعقب ذلك نهب عشائر الفز لها سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، ولم ير ياقوت فى خراسان مدينة أحسن منها ، واشتهرت بساتينها بالرياس ^(٥) وغيره من الفواكه . • وبعد فتك الفز بها وأسرههم السلطان سنجر السلجوقى وتخريبهم المدينة انتقل الناس الى محلة منها يقال لها شاذياخ ، عمرها وسورها المؤيد عاملها من قبل الملك الأسير سنجر . • ومحلة شاذياخ ، ويقال لها الشاذياخ ، كانت قديما بستانا لعبدالله بن طاهر فى أوائل المئة الثالثة (التاسعة) حين نزل نيسابور واتخذها دارا للإمامة . • وقامت حول قصره ، حيث نزل جنده ، وصارت أكبر أرباض نيسابور ، ثم أضحت بعد غزو

(٤) الاصطخرى ٢٥٤ و ٢٥٥ ؛ ابن حوقل ٣١٠ - ٣١٢ ، المقدسى ٣١٤ - ٣١٦ و ٣٢٩ .

(٥) الرياس ، على ما فى تاج العروس (٤ : ١٥٩) : « نبت له عسالىح غضة الى الخضرة » . عراض الورق ، طعمها حامض مع قبض ، ينبت فى الجبال ذوات الثلوج والبلاد الباردة من غير زرع . • وفى جبال السليمانية فى العراق نبت يقال له هناك « ريواس » يشبه الريباس فى صلته واسمه رلعل هذه من تلك . (م) .

- ٤٢٧ -

الفرز عاصمة • ونزل ياقوت ، حين مقامه وقتا قصيرا بنيسابور سنة ٦١٣ (١٢١٦) ،
 في الشاذياخ ، وقد وصفها • وبعد ذلك بزمان يسير ، أى فى سنة ٦١٨ (١٢٢١)
 استولى المغول عليها بقيادة جنكيز خان ونهبوها ، على ما انتهى خبره الى ياقوت •
 وقد كان حينذاك استأمن فى الموصل • وقال ياقوت ان المغول « لم يتركوا بها
 جدارا قائما » •

على ان نيسابور ، صلح أمرها بعد غزو المغول ، فان ابن بطوطة حين زارها
 فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وجدها مدينة عامرة • وقال ان مسجدها بديع
 ويليها أربع مدارس ، ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها • وتسقيها
 أربعة أنهار تنحدر اليها من الجبال المجاورة • وزاد ابن بطوطة على ذلك انه
 يصنع بنيسابور « ثياب الحرير من النخ والكمخاء » ويحمل الى أسواقها كثير من
 التجارات • أما المستوفى ، معاصره ، فقد روى حديثا طويلا عن مدينة نيسابور
 وكورتها • قال ان مدينة نيسابور القديمة أسست فى أيام الاكاسرة على تخطيط
 كرقعة الشطرنج ، فى كل ضلع ثمانية مربعات على ما يقال • ثم اتسعت رقعتها
 وعظمت ثروتها فى أيام بنى الصفار وصارت أجل مدن خراسان ، حتى حلت سنة ١٠٥٥
 (١٢٠٨) فخربتها الزلازل • وقد كان بعد هذا التاريخ ، على قول المستوفى ،
 انتقال السكنى منها لأول مرة الى الشاذياخ • وكان حول هذه البلدة ، سور دوره
 ٦٧٠٠ خطوة • على ان نيسابور ، قد جدت بناؤها فى الوقت نفسه ، ولكن
 الزلازل خربتها ثانية فى سنة ٦٧٩٠ (١٢٨٠) ، فابتنيت مدينة نيسابور الثالثة فى
 موضع آخر ، وهذه هى المدينة التى وصفها المستوفى • وكان دور أسوارها
 حينذاك ١٥٠٠٠ خطوة ، وهى تقوم عند حافة الجبل مقابلة للجنوب • وكانت
 مياهها كثيرة ، لان نهر نيسابور ، وهو ينبع فى الجبال على فرسخين أو أزيد
 فى شرقها ، وافر الماء يدير أربعين رحى قبل وصوله الى المدينة • وقال أيضا ان
 لاكثر دور نيسابور صهاريج يخزن الماء فيها لأجل موسم الجفاف •

وتقوم مدينة نيسابور الحالية ، فى الجانب الشرقى من سهل نصف دائرى ،
 تكتنفه الجبال ويواجه المغارة وهى فى جنوبه • ويسقى هذا السهل أنهار كثيرة

- ٤٢٨ -

تنحدر اليه من المرتفعات التي في شماله وشرقه • وسرد المستوفى أسماء عدد كبير من هذه الانهار ، وهى بعد أن تسقى رساتيق نيسابور ، تفتى في المفازة • وعلى خمسة فراسخ من شمال المدينة ، عند منابع نهر نيشابور ، كانت بحيرة صغيرة في الجبال في أعلى المضيق يقال لها چشمه سبز ، أى « العين الخضراء » • ومنها كان يخرج ، على ما ذكر المستوفى ، نهران يجرى أحدهما الى الغرب والآخر الى الشرق • وينحدر النهر الشرقى الى وادى المشهد • والظاهر ان هذه البحيرة ، كانت في جبل يقال له كوه گلشان ، وفيه كانت مغارة الرياح العجيبة ، التي يهب من أعماقها ريح ويندفع منها في الوقت نفسه ماء تكفى قوته لادارة رحى • وذكر ان محيط بحيرة چشمه سبز نحو فرسخ ، وحكى عنها عجائب كثيرة ، وقيل انها لا قرار لها ، وان رمي سهم من جانب ، لا يقطعها الى الجانب الآخر •

واشتهرت في سهل نيسابور ، أربعة رساتيق بوفرة خصبها ، وذكر المقدسى في المئة الرابعة (العاشرة) هذه النواحي ، وهى : الشامات (أى شامات الحسن) ، ريوند ، وما زالت قائمة في غرب نيشابور ، ومازل ، وبشتقرُوش • وكان رستاق ما زل في الشمال وأكبر قراء بشتقان (أو بشتقان) وهى على فرسخ من نيسابور وفيها أنشأ عمرو الصفار بستانا له مشهورا • ويرتفع منها ريباس فائق • ويعرف رستاق بشتقروش اليوم باسم بشت فروش ، يمد مسيرة يوم الى الشرق من باب جنك في نيسابور ، على ما ذكر المقدسى ، وكانت بساتين قراء المئة والست والعشرين ، على ما ذكر ياقوت ، ذات غلة كبيرة من الشمس الذي يحمل الى سائر الانحاء • وكان رستاق الشامات ، يسميه الفرس على ما ذكر المقدسى تك آب ، أى « اليه يجرى الماء » وهذا الرستاق في غاية الخصب • أما ريوند ، فمدينة صغيرة في رستاق على اسمها وهى على مرحلة غرب نيسابور • وكان للمدينة في المئة الرابعة (العاشرة) جامع بالآجر ، ويشقها نهر ، وهى كثيرة الاعناب ، وبها سفرجل جيد لا نظير له •

ومن أكبر انهار كورة نيسابور ، على قول المستوفى ، شورة رود

- ٤٢٩ -

« النهر الملح » • وكانت تلتقى فيه مياه النهر الآتى من دزباد ، وبعد ان يسقى رساتيق كثيرة ، يفضى فى المفازة • وقد ذكر المستوفى أيضا انهارا أخرى ، غير ان كثيرا من أسماؤها مغلوطة التهجئة ويصعب اليوم معرفتها ، على ان بعضها لا صعوبة فى معرفته • من ذلك نهر بشتقان ، ومخرجه من جهة چشمه سبز ، على ما قد يتنا • ونهر بشتفروش ، وكلاهما يفيض فى الربيع ، على قول المستوفى ، ويلتقى مع شوره رود • ثم هنالك نهر يقال له عطشاباد • أى نهر المطش • وهذا النهر ، وان كان مأؤه فى الربيع كافيا لادارة عشرين رحى فى مدى عشرين فرسخا من مجراه ، فانه فى الفصول الاخرى لا يبقى فيه من الماء ما يروى عطش انسان ، ومن ذلك جاء اسمه المشؤوم (٦) •

والى جنوب شرقى نيسابور ، ينقسم طريق خراسان العظيم ، عند مرحلة عرفها العرب باسم قصر الريح ، والفرس باسم دزباد أو ده باد • وقد مر بنا آنفا ذكر نهرها بين الانهار التى تصب فى نهر شوره • ومنها كان طريق مرو يتجه شرقا ، وطريق هراء يدور الى الجنوب الشرقى • وعند هذه الاخيرة ، وعلى مرحلتين من ده باد ، كانت قرية فرهادان ، وهى التى سماها ياقوت فرهاد جرد • وأطلق المقدسى على ناحيتها التى كانت تعد من أعمال نيسابور ، اسم أسفند ، وكتب ابن رسته اسمها بصورة أشبند ، وكتبه ياقوت : أشفند ، وزاد على ذلك ان بها ثلاثا وثمانين قرية • والظاهر ، ان اسم الناحية القديم قد ضاع اليوم ، ولكن القرية التى يقال لها فراجرد (عوضا عن فرهاد جرد القديم) ما زالت يؤشر عنها فى الخوارط فى الموضع الذى ذكرته كتب المسالك (٧) •

ومدينة المشهد - أو مشهد الامام - فى الجهة الشرقية من نيسابور ، وتفصلها عنها سلسلة الجبال التى فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور • وهى اليوم

(٦) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٦ و ٣١٧ : ياقوت ١ : ٦٣٠ : ٣ : ٢٢٨ : ٢٣١ : ٤ : ٣٩١ و ٨٥٧ و ٨٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٠ و ٨١ : المسنوى ١٨٥ و ٢٠٦ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٦ : جهان نما ٣٢٨ • راجع C.E. Yate فى كتابه خراسان وسيستان ص ٣٥١ و ٣٥٣ عن بحيرة چشمه سبز ومفارة الرياح • وهما ما زالتا مشهورتين فى خراسان •

(٧) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٩ : ياقوت ١ : ٢٨٠ : ٣ : ٨٨٧ : المستوفى ١٩٦

قاعدة القسم الايرانى من خراسان • وعلى بضعة أميال من شمال المشهد ، أطلال طوس المدينة القديمة^(٨) • وكانت طوس فى المئة الرابعة (العاشرة) المدينة الثانية فى ربع نيسابور من أرباع خراسان • وتتألف من المدينتين التوأمين الطاببران و'نوقان • وعلى مرحلتى يريد عنها : البستان العظيم فى قرية سنا باز ، حيث قبر الخليفة هرون الرشيد وقد توفى فيها سنة ١٩٣ (٨٠٩) وقبر الامام الثامن علي الرضا وقد مات من سم دسه له المأمون^(٩) سنة ٢٠٢ (٨١٧) ، وكان يقال لقرية سنا باز هذه : برذعة أيضا ، وتسمى كذلك المثقب^(١٠) • ويظن ان هذه التسمية جاءت من الكوى التى فى الضريح أو من سبب وهمى آخر •

وكانت نوقان فى المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر اليعقوبى ، أكبر نصفى طوس ، الا ان الطاببران قد جاوزتها كبرا فى المئة التالية لها ، وبقيت المدينة الكبرى حتى أيام ياقوت ، حين أخربت جحافل المغول طوس • وكانت نوقان مشهورة بصنع البرام التى تحمل منها الى سائر البلدان ، ويستخرج من جبالها معدن الذهب والفضة والنحاس والحديد • وبالقرب من طوس أيضا : الفيروزج ، وحجر يقال له الخماهن والدهنج ، وكانت هذه المعادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع • وهذا القسم من طوس مأؤه قليل • وكان الحصن المجاور للطاببران بناء فخما عظيما يرى من بعيد ، على قول المقدسى • وأسواق هذا النصف من المدينة عامرة وجامعها حسن البناء بديع التزييق • وكان على القبرين فى سنا باز ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، حصن حصين منيع ، وفيه قوم معتكفون ، على ما ذكر ابن حوقل • وقال المقدسى : ان الامير عميد الدولة فائقا ، بنى على قبر الامام علي الرضا ، مسجدا

(٨) نشر السيد محمد مهدى العلوى رسالة فى « تاريخ طوس » طبعت فى بغداد • (م) •

(٩) راجع هذا الموضوع فى كتاب « الامام على الرضا » لعبد القادر احمد اليوسف : (بغداد ١٩٤٧ : ص ١٠٠ - ١١٠) • (م) •

(١٠) أطلق اسم المثقب على حصون مختلفة ، احدها قرب المصيصة (Mopsuestia) وقد مر ذكرها فى الفصل التاسع صفحة ١٦٢ • ولم يفسر أصل تسميتها ببرذعة • اما نوقان ويلفظ بركان ، فهو ما زال اسم المحلة الشمالية الشرفية وبابها فى « المشهد » الحديثة وبابها المؤدى الى نوقان فى طوس وما زال ماء سنا باز اليوم يسقى القسم الشمالى الغربى من المشهد •

ابن رسته ١٧٢ : ابن خرداذبه ٢٤ : ياقوت ٤ : ٤١٤ : C. E. Yate فى كتاب خراسان وسيستان • ص ٣١٦ و ٣١٧ •

- ٤٣١ -

« ما بخراسان أحسن منه » وبُني قبر هرون الرشيد بجانب ضريح الامام • وقامت
فى أرض البستان الكبيرة دور كثيرة وسوق •

ولم يزد ياقوت فى وصفه مدينة طوس شيئا على ما مرّ ذكره ، غير انه ذكر
ان من أشهر القبور فى الطابران : قبر الفقيه السني العظيم الامام الغزالي^(١١)
المتوفى سنة ٥٠٥ (١١١١) وقد عاش فى بغداد بضع سنين مدرسا فى المدرسة
النظامية • وكان اسم طوس حين كتب ياقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة)
يدل فى الغالب على ناحيتها ، وكان بها أكثر من ألف قرية • على ان هذه البلاد ،
وبضمنها مدينتا طوس والقبران فى سنا باز (المشهد) ، قد خربت وانهتها جحافل
المغول فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • والظاهر ان طوس لم تقم لها قائمة بعد نهب
المغول لها ، ولكن القبرين المحاورين لها ، نالا عناية الاثرياء من الشيعة فاستعادا
بهاءهما السابق ، فكان المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من أوائل من أشار
الى قرية سنا باز مسميا اياها « المشهد » ، وهو الاسم الذى عرفت به منذ ذلك الحين •

وقال القزوينى فى قبرى الخليفة والامام « أن الرشيد فى القبر الذى يعرفه
الناس للرضا ، والرضا فى القبر الذى يعرفه الناس للرشيد ، وذلك من تدبير
المأمون (وهو ابن هرون الرشيد الذى دس السم لعلي الرضا) • والقبران
متقاربان فى قبة واحدة • وأهل تلك القرية شعة ، بالقوا فى تزيين القبر الذى
اعتقدوا انه للرضا وهو للرشيد “ • ولما كتب المستوفى ، صارت المشهد مدينة عظيمة
حولها قبور عديدة مع قباب مشهورة كثيرة منها قبر الغزالي وقد مرّ ذكره الآن
وهو فى شرق قبة الضريحين ، وهناك أيضا قبر الفردوسى الشاعر المشهور •
وحول المدينة أرض سهلة خصبة يقال لها مرغزار تكان ، طولها اثنا عشر
فرسخا وعرضها خمسة • بكثرت فيها العنب والتين • وأهل ناحية طوس ، على ما
ذكر المستوفى ، من أحسن الناس أخلاقا وأطفهم مع الغرباء •

وانتهى اليانا من ابن بطوطة ، وقد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك بضع

(١١) وفى بغداد اليوم لى الجانب الشرقى قرب محلة باب الشيخ قبر منسوب الى الغزالي المذكور
ولا يصح ذلك أبدا • (الدكتور مصطفى جواد)

سني ، وصف حسن للضريح ، قال : مدينة كبيرة ضخمة عامرة الاسواق وحولها جبال ، وعلى المشهد قبة عظيمة ، وتجاوره مدرسة • وهذه الابنية قد زوقت جدرانها بالقاشاني « وعلى قبر الامام ، دكانة خشب ، ملبسة بصفاتح الفضة ، وعليه فناديل فضة معلقة • وعنة باب القبة فضة • وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي مبسوطة بأنواع البسط " • وازاء هذا القبر ، قبر الخليفة « وعليه دكانة خشب ، يضعون عليها الشمعدانات « واذا دخل الشيعي للزيارة ركل قبر هرون الرشيد برجله وسلم على قبر الامام الرضا • وقد تنبه الى فخامة ضريح الامام وجلاله ، السفير الاسباني كلافيجو Clavijo الذي زار بلاط تيمور في سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) فقد مرّ في طريقه بالمشهد • ومما يذكر ان النصاري في تلك الايام كان يسوغ لهم دخول المشهد ، فلم يكن الشبهة الفرس على ما هم عليه اليوم من تعصب في هذا الامر (١٢) •

وعلى مسيرة أربعة أيام من غرب نيشابور في رستاق بيهق ، مدينتا سبزوار وخسروجرد ، وبينهما فرسخ • وسبزوار أكبرهما ، وكانت تسمى هي نفسها في المصور الوسطى بيهق • ورستاق بيهق يمتد الى آخر حدود ريوند ، وقطره خمسة وعشرون فرسخا من كل جهة • وبه ، على ما قال ياقوت ٣٣١ قرية ، وزاد على ذلك ان أصل بيهق بالفارسية بيه أي بهائين ومعناه الأجود • وأشار ياقوت أيضا الى أن سبزوار أصح نسمية للمدينة ، وان قالت العامة سبزوار • وقد كانت خسروجرد في الاصل قصبة الرستاق ، ولكن سبزوار قد حجبته في أيامه وصارت في مكانها • وقال المستوفي ان أسواق هذه المدينة كانت

(١٢) يلفظ الفرس اليوم ، اسم الامام الرضا ، بصورة وزا •

اليقوتى ٢٧٧ : الاصطخرى ٢٥٧ و ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٣ : المقدسى ٣١٩ و ٣٣٣ و ٣٥٢ • ياقوت ٣ : ١٥٤ و ٤٨٦ و ٥٦٠ و ٥٦١ : ٤ : ٨٢٤ : القزوينى ٢ : ٢٦٢ : المسنوى ١٨٦ : ابن بطوطة ٣ : ٧٧ - ٧٩ Narrative of the Embassy of Ruy Gonzalez de Clavijo ص ١٢٠ (Hakluyt Society) جاء فيها : « ذهب السفراء لمشاهدة الجامع ، ثم لما سمعهم الناس في بلدان أخرى يتحدثون عن زيارتهم هذا الضريح ، قبلوا ثيابهم قائلين انهم كانوا قرب مشهد خراسان المقدس » •

ذات سقوف من الخشب تقوم على طيقان متينة البناء • وتكثر في هذا الرستاق الاعناب والفاواكه الاخرى • وكان جلّ أهله من الشيعة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة)^(١٣) •

وقد كان يصل بين بسطام (في اقليم قومس) ونيسابور : طريقان ، أقصرهما طريق البريد ، وكان في محاذاة شفير المفازة ويشق سزوار • وأطولهما طريق القوافل وهو في الشمال ، وبدور في هضبة جوين التي يفصلها عن المفازة الكبرى سلسلة من الجبال • وكان رستاق جوين هذا ، وهو ما قد سماه المقدسي گويان ، رستاقا واسعا كثير الخير ، واسم مدينته : أزاوار أو أزاوار • وكان رستاق اسفرايين في شماليه • وفي الطرف الغربي على حد قومس كان رستاق أرغيان ، حول جاجرم • وكان من أعمال أزاوار نحو من مئتي قرية ، على قول ياقوت • وأزاوار ، على وصفه ، كانت مدينة عامرة بها مساجد حسنة ، وبظاهرها عند الباب خان كبير للتجار • وأسواقها زاخرة بالتجارات • وكانت بسايتين قراها متصلة حتى الوادي • وسقيها من قني تأخذ ماءها من عيون في الجبال الجنوبية • وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) انتقلت قصبة رستاق جوين ، على ما ذكر المستوفي ، الى فريومد ، وهي على بضعة أميال جنوب ازاد وار • وكانت خداشة ، وهي على مرحلة شرق ازاد وار في طريق القوافل ، موضعا ذا شأن حتّ قتل في خنام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حاجي برلاس عم تيمور ، حسبما ذكر علي اليزدي في تاريخه^(١٤) •

أما مدينة جاجرم ، ويقال لها أيضا أرغيان ، وهو اسم ناحيتها بوجه خاص ، فإن المقدسي قال فيها جامع حسن وكانت محصنة ومن أعمالها سبعون قرية • ووصف ياقوت مدن سملقان أو سمنقان الثلاث وقال انها شرق جاجرم ، وهي

(١٣) المقدسي ٣١٧ و ٣١٨ ؛ ياقوت ١ : ٨٠٤ ، ٢ : ٤٤١ ؛ المستوفي ١٨٦ • وللإطلاع على اطلال بيهق ، انظر G.E. Yate في كتاب حراسان وسيستان • ص ٣٩٨ •
(١٤) المقدسي ٣١٨ ؛ ياقوت ١ : ٢٣٠ ، ٢ : ١٦٥ ؛ المستوفي ١٨٦ و ١٩٦ ؛ علي اليزدي ٥٨ : ١

وقد يلبس بن اسم خداشه ، وهي على أربعة فراسخ من شرق ازادوار ، وخراشه ، وهي على نحو المسافة نفسها شمال ازاد وار ، لأن هذين الاسمين تكادان يتشابهان في كتابتهما بالعربية •

- ٤٣٤ -

راونير (أو راونسر) وبان وهما فى رستاق أرغيان أو جاجرم ، ولم يعين موضعيهما . وذكر أيضا : سبنج أو اسفنج ، وهى ما زالت قائمة فى جنوب غربى جاجرم على طريق بسطام . وقد سمي المستوفى هذا الموضع رباط سونج . ووصف المستوفى جاجرم بانها مدينة لا بالكبرة ولا بالصغيرة ولا يمكن لأى جيش أن بهاجمها . لكونها وسط برية تحيط بها مسيرة يوم من كل جهة يكسوها عشب سام يفتك بالماشية . ولكن قد كان عند قاعدة قلعتها ، شجرتان من الجوار من مضغ شيئا من لحائها فى صباح الاربعاء شفى من وجع الاسنان . وزاد المستوفى على ذلك ان هذا اللحاء كان يحمل الى سائر البلدان . وكان رستاقها كثير الخير ، فيه الفواكه والقمح . ونهر جاجرم ، وكان يجرى نحو الجنوب وينتهى بالمفازة ، قد سماه المستوفى جفان رود ، ومخرجه من ثلاثة ينابيع كل منها يدير رحى . وبعد ان يجتمع ماؤها ، يجرى مسافة اثني عشر فرسخا أو أكثر . وهذا الماء كان يستعمل أكثر للسقى^(١٥) .

وسهل أسفرايين العظيم ، قد قال المقدسى فيه ان به مزارع الارزاز الكثيرة والاعناب . ومدينته على اسمه ، عامرة ذات أسواق حسنة . وذكر ياقوت ان مدينة اسفرايين كان يقال لها قديما مهرجان ، وقد كان هذا الاسم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ما زال اسما لقرية قرب المدينة الخربة . ومن أعمالها احدى وخمسون قرية . واسم اسفرايين على ما قال ياقوت ، أصله من اسبراين ، وأسبر بالفارسية هو الترس ، واين هو العادة . فكأنهم عرفوا قديما بحمل التراس ، فسميت مدينتهم بذلك " . وروى المستوفى انه كان فى جامع اسفرايين وعاء عظيم من النحاس لم ير أعظم منه ، فان محيط حافته الخارجة كان اثنتى عشرة ذراعا . وكان فى شمال المدينة قلعة زر ، أى قلعة الذهب . وماء البلدة من نهر يمر من أسفل التل الذى عليه القلعة . وكانت تكثر فى

(١٥) المقدسى ٣١٨ : ياقوت ١ : ٢٠٩ و ٢٤٩ و ٤٨٥ : ٤٠٧ و ٧٤٢ : ٣ : ٣٥ و ١٤٥ : المستوفى ١٨٦ و ١٩٦ و ٢٢٠ .

رستاقها أشجار الجوز • وهوؤها رطب ويكثر فيها الاغاب والقمح^(١٦) •
وفى المستنقعات التى يخرج منها نهر أترك فيجرى الى الغرب ، ثم ينعطف
باتجاه معاكس لمجرى الاول، أى الى الشرق، ويخرج أيضا نهر المشهد : تقوم مدينة
كوجان • وكان يقال لها فى العصور الوسطى خبوشان أو خوجان • وقد سمي
البلدانيون العرب رستاقها أستوا وأطروا خصوبة أرضه ، ويقال ان معنى اسمها
« الارض المشرفة »^(١٧) • وكان يلى أستوا من الشرق ، رستاق نسا • قال ياقوت
ان اسم قصبه كان يلفظ فى أيامه خوشان ويشتمل على ثلاث وتسمين قرية •
وجاء اسمها فى جهان نما بصورة خوجان • وذكر المستوفى انه وان كان اسم استوا
ما زال يشار به الى الرستاق فى السجلات المالبة ، فانه لم يكن شائعا فى أيامه •
وأطرى خصوبة أرضه وزاد على ذلك ان هولاءكو خان المغولى قد أعاد بناء خبوشان
فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم وسّع حفيده أرغون ، من ايلخانيى فارس ،
هذه المدينة كثيرا • وفى نحو من نصف الطريق بين خبوشان وطوس ، مدينة
راذگان ، ذكرها ابن حوقل ووصفها ياقوت بقوله : بليدة ، يقال ان منها نظام الملك
وزير ملكشاه السلجوقى^(١٨) •

ورستاق نسا أو نسا المشهور ، هو الوادى العريض المعروف اليوم بـ
« درّه گز » أى وادى المن وقد وصف ابن حوقل مدينة نسا بانها فى الكبر
نحو سرخس ، ومياها جارئة ، مخرجها فى الجبال المجاورة • وامتدح المقدسى
جامعها الظريف وسوقها العامرة وقال « أقل دار ، الا وبها بستان وماء جار » •
وبها قرى كبار تنتشر حولها فى الوادى • أما ياقوت فقد قال فى نسا « هى

(١٦) المقدسى ٣١٨ ، ياقوت ١ : ٢٤٦ : المستوفى ١٨٦ •
ولعل مدينة اسفرايين القديمة (وما زال السهل هناك يعرف باسمها) تطابق الخرائب المعروفة
بشهر بلفيس • انظر C.E. Yate فى كتاب خراسان وسيستان - ص ٣٧٨ و ٣٧٩ •

(١٧) جاء فى معجم البلدان (١ : ٢٤٣) : « استوا ٠٠٠ معناه بلسانهم المضجعة والمشرقة » (م) •
(١٨) ابن حوقل ٣١٣ : المقدسى ٣١٨ و ٣١٩ : ياقوت ١ : ٢٤٣ : ٢ : ٤١٠ و ٤٨٧ و ٧٣٠ :
المستوفى ١٨٦ : جهان نما ٣٢٣ •

لقد بنيت مدينة بخرود (بضم الباء والنون ، وسكون الجيم والراء) الحالية ، وهى فى شمال
اسفرايين ، على ستين ميلا شمال غربى كوجان ، منذ قرنين • ولعن بالقرب منها مدينة قديمة يقال
لها بزهان وهى ما زالت قائمة • ويقال لقلعتها الغربية . القلعة • انظر C.E. Yate فى كتاب
خراسان وسيستان ص ١٩٥ و ١٩٦ : وسايكس فى Persia ص ٢٢ •

- ٤٣٦ -

مدينة وبثة جدا يكثر بها خروج العرق المديني^(١٩) حتى ان في الصيف قل من ينجو منه من أهلها ، وذكر القزويني ، ان نسا كان يقال لها شهر فيروز ، لان فيروز الملك الفارسي القديم قد بناها على ما يقال^(٢٠) .

والى شرق نسا ، في ما وراء الجبل ، وعلى حافة مقابة مرو : كانت أبيورد ويلفظ هذا الاسم أحيانا باورد . قال المقدسي « ابورد أعجب اليّ من نسا وأحر سوقا وأرخى وأخصب ، والجامع بالسوق » . وأطرى المستوفى فواكهها . وقال ان الرباط في كوفن تابع لأبيورد ، وهو في قرية على ستة فراسخ منها . بنى هذا الرباط عبدالله بن طاهر في المئة الثالثة (التاسعة) ، وكان له اربعة أبواب ، وفي وسطه جامع . وكان يقال لرستاق أبيورد : خايران ، أو خاوران . وقصته مهنته أو ميهنته . وذكر ياقوت مواضع أخرى مهمة في هذا الرستاق ، منها أزجاء وباذن وخر و الجبل وشوكان ، الا ان ميهنته كانت خرابا حين كتب . وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفى على بساين رستاق خاوران الكثيرة الحسنة - وجاء فيه الاسم بصورة خوردان أيضا - وقال ان في قصبتها كان يعيش الشاعر أنوري ، من أهل المئة السادسة (الثانية عشرة) مادح السلطان سنجر السلجوقي^(٢١) .

وفي الجبال ، في نحو من نصف الطريق بين أبيورد ومهنته ، تقوم القلعة الطبيعية الهائلة المعروفة اليوم بـ « كلات نادر » ، نسبة الى نادرشاه ملك بلاد

(١٩) العرق المديني واسمه بالانكليزية Guinea-worm واسمه العلمي *Filaria Medinensis* دودة بالغة ، الالتي منها طفيلية تحت جلد الانسان في الهند وغرب آسيا الجنوبي والريفية الحارة وبعض جهات من اميركة ، وقد يبلغ طول الدودة ست اقدام . وينضجها يتكون خراج في جلد الثوي المصاب بها . وتخرج منه لولادة آلاف من الاجنة الصغيرة . وقد تكلم عليه ابن سينا . (راجع : معجم شرف . الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٣٤٨) . (م) .

(٢٠) الاسطخري ٢٧٣ : ابن حوقل ٣٢٤ : المقدسي ٣٢٠ : ياقوت ٤ : ٧٧٦ : القزويني ٢ : ٣١١ . ولعل مدينة نسا تطابق محمد اباد الحديثة ، اكبر مدن دره كز .

(٢١) المقدسي ٣٣١ و ٣٣٣ : ياقوت ١ : ١١١ و ٢٣٢ و ٤٦٢ : ٧ : ٣٨٣ و ٣٩٥ و ٤٢٨ : ٣ : ٣٣٧ : ٤ : ٣٢١ و ٧٢٣ : المستوفى ١٨٩ : علي اليزدي ١ : ٣٨٢ : جهان نسا ٣١٨ . واسم خاوران جاء من خوروان - بفتح اوله وسكون ثاليه - القديم ومعناه البلاد الغربية (مقابل : خراسان اي البلاد الشرقية) . الذي كان يطلق قديما على بلاد نارس الغربية ما لم يكن يعد حينذاك من خراسان (اي من البلاد الشرقية) .

- ٤٣٧ -

فارس المشهور فى المثة الثامنة عشرة للميلاد الذى أخفى كنوزه فيها . والظاهر ان هذا المعقل الحصين لم تذكره كتب المسالك ولم ينوه به البلدانون العرب فى المئين الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشره) ولم يتنبّه اليه ياقوت وأقدم ذكر انتهى الينا عن كلات ، جاء به العتبى فى كتابه تاريخ محمود الغزنوى . فقد ذكر عرضاً ، ان أميراً من الامراء ذهب من نيشابور الى كلات ، وتكتب بالعربية بصورة قلعة . وقد أوجز المستوفى وأفاد فى صفة هذا الموضع وقال ان أهم مدنه يقال لها جرم ومريتان ، وان كلات بها ماء وافر وأرضها زراعية وفى نواحيها كثير من القرى . وأول اشتهاها فى التاريخ جاء من حصار تيمور لقلعتها فى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وبعد ان سقطت بيده ، أمر بإعادة بناء حصونها وتمكين بنائها (٢٢) .

وتقوم مدينة سرخس فى أفصر طريق من طوس الى مرو الكبرى ، على ضفة نهر المشهد اليمنى أى الشرقية ، ويقال له اليوم تجند . والظاهر ، ان هذا النهر لم يذكره بلدانيو القرون الوسطى . ومخرجه ، على ما قد مرّ بيانه ، فى المنافع القريبة من كوجان . وهو يجرى أولاً نحو الجنوب الشرقى ماراً بالمشهد . فاذا ما جاوزها مسافة تقرب من مئة ميل ، استقبل من الجنوب رافداً كبيراً هو نهر هراة . ثم يتجه نحو الشمال فيجرى الى سرخس . وعلى مسافة قليلة من شمال ذلك ، عند خط طول ابورد ، توزع مياهه ثم تفتى فى رمال المفازة عند موضع يقال له الاجمة حيث تكثر أشجار الطرفاء . ولم ينوّه الاصطخرى وابن حوقل بنهر تجند هذا الا بقولهما انه نهر « من فضل مياه هراة » . وقال ابن رسته ، وقد كان رأيّه فى هذا النهر رأى من ذكرنا ، اذا صار نهر هراة (أى القسم الاسفل من تجند) على فرسخين من سرخس ، اشعب منه نهر

(٢٢) العتبى : كتاب البينى . المئى العربى (القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ) ، ١ : ٢١٥ : المتن العربى (طهران ١٢٧٢ هـ) ص ١٥١ : المستوفى ١٨٧ ، على اليزدى ١ : ٣٣٤ و ٣٣٧ : جهان نما ٣٢٣ .

كلات بالفارسية ترادف كلك بالارمنية ، ويراد بها « مدبة » وهى بالعربية « قلعة » . فد زار كلات لادر ، كولونيل ماك كريكتر Mac Gregor فى سنة ١٨٧٥ ووصفها بدقة فى كتابه (Journey Through Khurasan) (الجزء الثانى ص ٥١) .

الى هذه المدينة ، واشعبت أيضا انهار كثيرة تسقى رستاق سرخس ، أهمها نهر يعرف بـ « خَشَكْ رُود » (أى النهر الجاف) وعليه قنطرة حجارة عظيمة . ولكن فى أكثر أيام السنة ، لا يدوم الماء فى النهر ، حتى عند سرخس .

وكانت سرخس فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة عظيمة نحو من نصف مرو ، صحيحة التربة والهواء ، وتكثر فى مراعيها الجمال والأغنام ، ولو ان ما يزرع من أراضيها محدود المساحة لقلة مائها . وقال المقدسى ان فيها جامعا وأسواقا حسنة ولها بساتين كثيرة فى أرباضها . وقال القزوينى ان سرخس مدينة كبيرة أهلة « ولاهلها يد باسطة فى عمل العصاب والمقانع المنقوشة بالذهب ، منها تحمل الى سائر الآفاق » . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف المستوفى أسوار سرخس وقال ان دورها خمسة آلاف خطوة ، وعليها قلعة حصينة ، وشربهم من نهر يأتى من طوس وهرارة (ولم يذكر اسم تجند) . وهو نهر حسن ، ماؤه يساعد على الهضم ، وكان يسقى مزارع سرخس التى يكثر فيها البطيخ والعنب (٢٣) .

(٢٣) ابن رسته ١٧٣ ؛ الاصلخرى ٢٧٢ ؛ ابن حوقل ٣٢٣ و ٣٢٤ ؛ المقدسى ٣١٢ و ٣١٣ ؛ القزوينى ٢ : ٢٦١ ؛ المستوفى ١٨٦ .
تقوم سرخس الحديثة على الضفة الغربية لنهر تجند .

الفصل الثامن والعشرون

خراسان «تابع»

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها -
آمل وزم على جيحون - مرو الروذ او
مرو الصغرى وقصر احتف •

يمتد ثاني أرباع خراسان ، وهو ربع مرو ، على نهر مرغاب أى نهر مرو •
وينحدر هذا النهر من جبال الفور فى شمال شرقى هراة ، ثم يصبّ بمرو الصغرى
ويدور منها شمالا الى مرو الكبرى ، حيث تتشعب منه جملة أنهار ، ثم يفتى ماؤه
فى رمال مفازة الفز ، وهى فى نحو من خط طول سباح نهر تجند أى نهر هراة ،
ولكنها تبعد نحوا من ميلا عن شرق هذا النهر •

وما خلا المدن المختلفة المنتشرة على نهر مرغاب ، فان ربع مرو ، يشتمل أيضا
على المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم ، مما يلى مرو الى الشمال الشرقى
من نهر جيحون عند آمل ، حيث معبر الطريق الى بخارا •

واسم «مرغاب» ، أو «مرغاب» ، أصله على ما ذكر ابن حوقل ، مرو آب (أى
ماء مرو) الا ان الاصطخرى قال ان مرغاب اسم موضع ينبع فيه هذا النهر •
وسمى المقدسى نهر مرغاب نهر المروين ، وقال هو « يمد الى مرو العليا (أى
الصغرى) ثم يعطف الى السفلى (أى مرو الكبرى) » فاذا صار من مرو الكبرى
على نحو من مرحلة مسدّ قاعه من الجانبين بالحطب فتحبس بذلك الماء وامتنع

مجرأ عن أن يتحول • وكان على هذا السد فى المثة الرابعة (العاشرة) أمير
لحمائته تحت يده عشرة آلاف رجل ، وعليه حراس يحفظونه لئلا ينبثق • ولا
ترى أحسن ولا أتقن من قسمته • وقد أقيم لوح على السد لقياس علو الماء
وقت الفيضان • « وربما علا الماء فبلغ طوله فى اللوح ستين شعيرة ، ويستبشر
الناس بذلك ، وإذا كانت ست شعيرات ، كانت سنة قحط » •

وعلى فرسخ من جنوب مدينة مرو الكبرى ، أقيم فى النهر سد شبه حوض
عظيم مستدير ، منه تخرج أربعة أنهار الى محلات وارباض المدينة المختلفة • وقد
أقيم فى الحوض أبواب ومقاسم تضبط علو الماء فى الحوض • ويتهيج الناس حين
يصل الفيضان حداً عالياً ، فتفتح السدود المختلفة ويوزع الماء على الأنهار • قدر
الحاجة • • وأسماء هذه الأنهار الاربعة ، المادة الى المدينة ، على ولاء ، هى :
نهر هرمز فرّ • ويجرى غربا • وفى شرقه نهر الماجان ، ثم نهر الزرق أو
الرزيق ، وآخرها نهر أسعدى • ويبدو ان عمود نهر مرغاب هو نهر الماجان أحد
هذه الأنهار الاربعة • وهو بعد أن يشق البلد ويتخلل أرباضها ، وعليه هناك
جسور ، يخرج الى المقازة فيوالى جريه حتى تضع مياها فى السبخة • وذكر
ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان نهر مرغاب كان يعرف فى أيامه بنهر
رزيق (ولعله يطابق النهر المذكور أعلاه) وقال ان هذا الاسم كثيرا ما أخطأوا فيه
فقالوا : رزيق • وهناك صورة ثلاثة سماها بها كتاب جهان نما وهى رزيق • وجاءت
هذه الاسماء فى المستوفى أيضاً ، وقد ذكر ان مرغاب هى التسمية الشائعة فى أيامه •
وما زال هذا النهر الكبير معروفا بهذا الاسم حتى اليوم^(١) •

وكانت مرو الكبرى تعرف فى العصور الوسطى بمرو الشاهجان تميزا لها
عن مرو الروذ وهى مرو الصغرى • ولعل الشاهجان ليس الا الصيغة العربية لـ
« شاهگان » الفارسية القديمة ، ومعناها « السلطاني » أو « يخص السلطان » •

(١) الاصطخرى ٢٦١ و ٢٦١ : ابن حوقل ٣١٥ و المقدسى ٣٣٠ و ٣٣١ : ياقوت ٢ ٧٧٧ ؛
المستوفى ٢١٤ ، جهان نما ٣٢٨ •
والطلق حافظ أبرو على الموضع الذى تلقى فيه مياه مرغاب بين الرمال اسم مايباب • راجع سالك
١٠ إبرر ٣٢ ب • وانظر الخارطة ١٠ أمام الفصل الثانى والثلاثين للاطلاع على ما حول مرو من مدن •
ويخمن ان ستين شعيرة تعادل ذراعا •

- ٤٤١ -

أما ياقوت الحموى وغيره فقالوا ان الشاهجان مضاء « نفس السلطان » • ومرو ، على ما وصفها الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، تتألف من قلعة داخلية (قهندز) ، والقهندز مرتفع « ومقداره مقدار مدينة » حوله المدينة الداخلية ، ولها أربعة أبواب ، ويلها أرباض واسعة تمتد على ضفاف الانهار الكبيرة • والابواب الاربعة للمدينة الداخلية : باب المدينة (فى الجنوب الغربى) ، واليه ينتهى طريق سرخس • وباب سنجان (فى الجنوب الشرقى) ، ويقضى الى ربض بنى ماهان ونهر أسعدى • وباب درمسكان (فى الشمال الشرقى) ، ومنه يخرج الى ما وراء النهر • والباب الرابع يعرف باب بالين (فى الشمال الغربى) • وكان فى مرو فى المئة الرابعة (العاشرة) ثلاثة مساجد جامعة : أولها مسجد القلعة ، ويقال له مسجد بنى ماهان • ثم المسجد العتيق ، وكان على باب المدينة المفضى الى سرخس • والمسجد الثالث هو المسجد الجديد فى ربض ماجان فى خارج باب ماجان ، جنب الاسواق الكبرى فى مرو •

ونهر رزىق يدخل المدينة من باب يقال له باب المدينة ثم يدخل المسجد العتيق ، فتتفرق مياهه فى حياض لشرب أهل المحلة • ويجرى نهر ماجان فى غربه وهو يسقى ربض ماجان الكبير ، وكان حول الميدان ، وفى الميدان المسجد الجديد ودار الامارة والجس ، وهى من بناء أبى مسلم (الخراسانى) أكبر دعاة العباسيين ، وكان له الفضل الأول فى نيلهم الخلافة ، على ما فى التاريخ • وفى دار الامارة ، قبة من الآجر سعتها خمسة وخمسون ذراعاً على ما ذكر الاصطخرى ، وعندها « صبغ أول سواد ولبسته المسودة » واتخذ السواد شعاراً للدولة الجديدة •

وفى غرب نهر ماجان ، على ما بيننا ، نهر هرمز فرّه ، وكان فى نهاية أرباض مرو • وعلى ضفافه أبنية وبيوت كثيرة وعليه بنايات حسين الطاهرى ، وكان قد نقل كثيرا من الاسواق الى هذا الربع • وتكلم ياقوت بعد ذلك بزمان على ربض ماجان الغربى العظيم وذكر دربين من دروبه هما الدرب المعروف بـ « برارجان » (عوضاً عن برادران) أى « نفس الاخ » فى ماجان الاعلى • ودرب تخاران به • ثم

يصل نهر هرمز فره الى بلدة بهذا الاسم قرب سباح نهر مرغاب، فيها جامع . وكان على فرسخ من هرمز فره بلدة باشان ، فيها أيضا مسجد جامع . وفي هذا الجانب من مرو بلدة خرق (أو خره) وبلدة السوسنقان^(٢) ، وبينهما فرسخ . وكان في كل واحدة منهما مسجد جامع .

وعلى مرحلة من غرب مرو ، مدينة يقال لها سَنَج^(٣) (وكتبها المقدسي : سنك) . وفيها مسجد جامع حسن على نهر وبها بساتين كثيرة . ويلها على مرحلتين من جنوب غربي مرو ، في الطريق الى سرخس ، مدينة الدمدانقان . وكانت مدينة صغيرة محصنة لها باب واحد وحمامات في ظاهر سورها . ورأى ياقوت خرائبها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) فان الانراك الغزية خربوها في سنة ٥٥٣ (١١٥٨) . وعندها تنتهي مزارع مرو في الجنوب الغربي . أما كَشَمَيْهَن ، وهي على مرحلة من مرو في طريق بخارا آخر حد الزراعة من الشمال الشرقي . وكانت كشميهن أو كشماهن مشهورة ، على ما ذكر اليعقوبي ، بالزيب الكشماهني . وفيها مسجد جامع حسن وأسواق عامرة ويسقيها نهر عظيم وفيها كثير من الخانات والحمامات . وتكثر في بساتينها الفاكهة . وفي ظاهر باب درمسكان من أبواب مرو ، وكان يفضى الى بلدة كشميهن ، قصر المأمون وفيه عاش أيام مقامه بمرو ، حتى أفضت اليه الخلافة بعد أخيه الامين ، فانتقل الى بغداد . وكان باب مرو الجنوبي الشرقي ، وهو باب سنجان ، يفضى الى نهر أسعدى ، وعليه كانت دور بنى ماهان (أو ميرماهان) وقصر مرزبان مرو وهو حامى السباح الفارسي . ومن هذا الباب ، كان الطريق يذهب الى نهر مرغاب بالقرنين الى مرو الروذ . وعلى ستة فراسخ من المدينة في اتجاهه هذا ، كانت مدينة جبرنج (وهي كيرنك في المقدسي) على ضفة النهر . وعلى فرسخ مما يليها زرق . وبجنبها الطاحونة التي اختفى فيها يزجرجد الثالث آخر ملوك الساسانيين وقتله الطحان طمعا بكنوزه . وكان في قرية زرق هذه ، على

(٢) ذكرتها المراجع البلدانية بصورة « سوسقان » و « السوسقان » بحذف النون الاولى . (م) .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦١) : سنج قريتان بمرو ، احدهما يقال لها سنج عباد

(بفتح العين وتشديد الباء) ، والثانية من أعظم قرى مرو الشاهجان . ولم يذكر المؤلف في كلامه اعلاه اسمي الاولى أم الثانية (م) .

- ٤٤٣ -

ما ذكر ابن حوقل ، مقسم ماء نهر مرغاب ، فتخرج منه أنهار تسقى البساتين حول مرو^(٤) . وكانت هذه البساتين مشهورة بجودة بطيخها . وفي مغازتها يكون الاشتراغ^(٥) الذي يحمل الى نواح أخرى من خراسان . ويرتفع من مرو : الأبريسم والفرز الكثير والنياب المروية المشهورة^(٦) .

وفي النصف الثاني من المئة الرابعة (العاشرة) ، زار المقدسي مدينة مرو ، فرأى ثلث ربضها مهدما ، وقهندزها لبس بأحسن حالا . على ان في المئة التالية اتسعت المدينة وعظم شأنها في أيام السلاجقة . وفيها دفن السلطان سنجر آخر السلاجقة العظام سنة ٥٥٢ (١١٥٧) وما زالت بقايا قبره فيها حتى اليوم . ووصف ياقوت ، وفد كان في مرو سنة ٦١٦ (١٢١٩) قبر السلطان سنجر ، قائلا « قبره بها ، في بة عظيمة زرقاء تظهر من مسير يوم ، لها شبك الى الجامع . بلغنى ان بعض خدمه بناها له بعد موته » . وفي قرية أندرابة ، على فرسخين من مرو ، وهى من أملاك السلطان سنجر كانت ترى بقايا قصره في المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وكانت أسواره باقية الا ان سائر قد استولى عليه الخراب وكذلك كان حال القرية المجاورة له ، على ما ذكر ياقوت .

وقال ياقوت ان بمرو في أيامه كان « جامعان للحنفية والشافعية » يجمعهما

(٤) قال ابن حوقل (٢ : ٤٣٦ طبعة كريمز) : « ويقاسم الماء من رزق ، مرة بها مقسم ماء مرو ، وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها ألواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص . ويأتى كل قوم من شربهم بمقدار ، ان زاد الماء دخلت عليهم الزبادة ، وان نقص نقصوا بأجمعهم ، لا يثار لقوم على قوم » - (م) .

(٥) الاشتراغ : نعت طويل الشوك ترعاه الأبل - مركب من اشتر أى حمل ومن غاز أى شوك (الالفاظ الفارسية المعربة - ص ١٠) (م) .

(٦) اليعقوبى ٢٨٠ : الاصطخرى ٢٥٨ - ٢٦٣ : ابن حوقل ٣١٤ - ٣١٦ : المقدسى ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣١٠ - ٣١٢ و ٣٣١ : ياقوت ١ : ٥٣٤ و ٨٢٧ : ٢ : ٦١٠ : ٤ : ٥٠٧ .

كانت مربة زرق وطاحونة زرق على سبعة فراسخ من مرو . وكان الحوض الذى به تقسم مياه مرغاب على أنهار المدينة الارسة ، واحدها نهر رزق ، على مسافة فرسخ واحد من مرو . وعليه فنهر رزق وطاحونة رزق لم يكونا مجاورين . وكان للصحيح أثر فى حصول الالتباس بين : زرق أو رزق ، ورزق أو رزق . فقد جاء اسم الطاحونة أحيانا بصورة رزق (بضم الاول وسكون الثانى) أو زرق (بضم الاول وتشديد الثانى مع الفتح) ، وجاء نهر رزق بصورة رزق ، وعلى صناعه ، حسب قول بعضهم ، لى الملك يزدجرد حشفه - أنظر : ياقوت ٢ : ٧٧٧ و ٩٢٥ : ٤ : ٥٠٨ . وذكر المقدسى (ص ٣٣٣) ان على فرسخين من مرو ، دون ان يعين الجهة ، رباطا « فيه قبر سنجر نالوا هو قبر رأس الحسين بن علي » حفيد الرسول . الا انهم ذكروا مواضع أخرى دفن فيها رأس الحسين والثابت ان رأس الحسين بعد وفاته لم يرسل الى مرو .

السور » • وأقام ياقوت في مرو ثلاثة أعوام يجمع مادة لكتابه « معجم البلدان » لان مرو كانت قبل ورود التتر اليها مشهورة بخزائن كتبها فنوه بذلك قائلاً لو لا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد وخرابها ، لما فارقتها الى المساء ، وذكر من بين خزائنها ، خزائنين في الجامع ، « احدهما يقال لها العزيرية ، وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها • والاخرى يقال لها الكمالية ، وبها خزانة شرف الملك في مدرسته • وخزانة نظام الملك (الحسن ابن اسحق) في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية » ، وفيها أيضا خزانة المدرسة الخاتونية وخزانة لمجد الملك ، وبها خزانة الضميرية في خانقاه أى زاوية الدراویش وليس فيها الا ٢٠٠ مجلد ، ولكن كل مجلد قيمته على ما ذكر ياقوت مائتا دينار ذها ، لان كل كتبها فريد لا يقدر بشئ^(٧) •

وبورود التتر الى مرو في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) ، هرب ياقوت الى الموصل في اقليم الجزيرة ، أما ما في خزائن مرو من نفائس الكتب فقد أضحت طعمة للتيران عقب نهب المغول لهذه المدينة العظيمة • وبقي من جراء ذلك تسعة ملايين جثة بين أنقاضها لم تدفن^(٨) • وقال ابن الاثير « ثم انهم أحرقوا تربة السلطان سنجر » • وأحرقوا أيضا الجوامع والخزائن وغيرها • وزاد حافظ أبرو على ذلك ، ان التتر كسروا السدود وخربوا المستنبات ومقاسم الماء في نهر مرغاب التي كثرت في أيام السلاجقة • فان السلاجقة قد عنوا ببناء هذا النهر عناية فائقة ورتبوا أمر توزيعها على هذه الواحة التي تحولت الآن سبخة مقفرة وحين اجتاز ابن بطوطة بمرو في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) رآها فاذا هي جميعا خربة عظيمة •

وتكلم معاصره المستوفى على ماضى مرو الزاهر ومجدها الغابر في المئة الثانية (الثامنة) حين كان يتولاها أبو مسلم الذي مكن العباسيين من الوصول الى

(٧) اما ياقوت فقد قال في هذا الصدد ما هذا نصه (٤ : ٥٠٦ - ٥١٠) : « ... والضميرية في خانكاه هناك ، وكانت سهلة التناول ، لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثر بخير رهن ، تكون قيمتها مائتى دينار • فكنت ارتج ليها راقبتس من فوائدنا ٠٠٠ وأكثر موائد هذا الكتاب وغيره مما جمعت به من تلك الخزائن » • (م) •

(٨) قلنا • لا يعقل ان يكون القتل في مدينة واحدة بهذا العدد الجسيم • وقد رجعنا الى ابن الاثير (الكامل ١٢ : ٢٥٦) قال فيناه يقول : « وأمر [جنكيزخان] باحصاء القتل فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل » • (م) •

الخلافة ، وحين كان يقيم بها المأمون قبل شخوصه الى بغداد . ثم نقل بنو الصفار عاصمة خراسان الى نيسابور ، الا ان السلاجقة جعلوا مرو أولى المدن مرة أخرى . وبنى السلطان ملكشاه سورا عظيما حول المدينة دوره ١٢٣٠٠ خطوة ، وكانت غلات واحة مرو مفرطة المحصول . فقد روى المستوفى ان قمحها كان يعطى الواحد فى السنة الاولى مئة ضعف وما تخلف من حب يعطى الواحد فى السنة الثانية ثلاثين . ويعطى الواحد فى السنة الثالثة عشرة حتى وان لم تزرع ، على ان هواءها كان وخما وبثا . وكان « الرشنة » فيها أى « العرق المدينى » من الاتقات الخبيثة التى تعترى أهلها . وكانت الرمال المتحركة من المفاوز المجاورة لها قد طمرت فى أيامه كثيرا من رسائيقها الخصبة ، ولكن بطيخها الجيد بقى يزرع فيها ويحفظ وبحمل الى سائر البلدان وكذلك كان فيها غن وكمثرى . وقال المستوفى فى سياق وصفه مرو ، ان الخراب ما زال مستوليا على أكثرها ، وان استعادت فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) شيئا من بهائها الاول . فان تيمور لك كان كثيرا ما ينزل عندها حين يخفت دوى الحرب . وكان غالبا ما يقيم فى موضع سماه علي اليزدى ماخان ، ولعله تصحيف النسخ لاسم ماجان ، وهو على ما يتنا ، كان يطلق قديما على الربض الغربى العظيم فى مرو . وذكر ياقوت موضعا سماه أيضا ماخان وقال انه قرية قرب المدينة . واستعادت مرو عظمتها الاولى فى أيام شاه رخ ، حفيد تيمور . فقد جدد قسما كبيرا من المدينة فى سنة ٨١٢ (١٤٠٩) ، حتى ان حافظ أبرو ، حين كتب فى سنة ٨٢١ (١٤١٨) ، قال انها قد عادت ثانية الى ما كانت عليه من عمران وازدهار^(٩) .

ومدينة آمل كانت فى يسار نهر جيحون ، على نحو من ١٢٠ ميلا شمال شرقي مرو ، حيث يعبره طريق خراسان الذاهب الى بخارا وما وراء النهر . وعلى نحو من مئة ميل من شرق آمل فى أعلى هذه الضفة نفسها ، كانت مدينة رَمَ وهى عند معبر النهر أيضا . أما آمل ، وقد كانت تعرف فى العصور الوسطى بأمويه ، ثم عرفت بجهار جوى (أى الاربعة أنهار ، وما زال موضعها يعرف

(٩) ابن الاثير ١٢ : ٢٥٦ ؛ ياقوت ١ : ٣٧٣ . ٤ : ٣٧٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٦٣ ؛ المستوفى ١٨٩ ؛ على اليردى ١ : ١٤٧ و ١٥٠ ؛ حافظ أبرو ٣٢ ب .

- ٤٢٦ -

بهذا الاسم) . فقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة صغيرة طيبة عظيمة الشأن ، لان بها مجمع طرق خراسان الى ما وراء النهر . وفي طريق مرو الماد نحو الجنوب الغربى ، آبار فى كل مرحلة . وما سوى ذلك ، فقد كانت المفازة تحيط بها من كل جانب حتى ضفة النهر . وامتدح المقدسى أسواق آمل العامرة . وقال ان جامعها على نشزة ، وهى على فرسخ من نهر جيحون ، كثيرة الضياع ، وفيها أعناب نفيسة . وكان بازاء آمل ، على ضفة النهر اليمنى فى رستاق بخارا ، مدينة فرّبر .

ولكى يميز بين آمل هذه ومدينة آمل الاخرى التى كانت قاعدة طبرستان ، (أنظر صفحة ٤١٠ أعلاه) فقد ذكرتها المراجع ، على ما جاء فى ياقوت ، باسم آمل زم (نسبة الى مدينة زم ، وهى فى أعلاها على نهر جيحون) وآمل جيحون ، وآمل الشط ، وآمل المفازة . على ان آمل ، فى زمنه كان يقال لها أمو وأمويه ، وبهذه التسمية وردت فى أخبار حروب المغول وأخبار حروب تيمور . وكانت تعرف أيضا بقلعة أمويه . وفى المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أطلق أبو الغازى عليها اسم أمويه حين وصف زحف جنكيزخان . ولكنه حين تكلم على حوادث زمنه ، ذكر اسم جهار جوى وهو يقصد هذا الموضع على نهر جيحون ، وانما أراد بهما موضعا واحدا . أما مدينة زم ، وقد بيّنا انها على جانب خراسان من النهر ، فهى كرخي الحديثة . وفى المصور الوسطى ، كان بازاها من جانب بخارا ، مدينة أخسيسك . وتكلم ابن حوقل على زم وقال انها نحو من آمل فى الكبر . ولا يمكن الوصول اليها من آمل ، الا من جانب خراسان ، فى الطريق الصاعد بمحاذاة جيحون بعد مسيرة أربع مراحل . فالطريق من زم الى مرو كان يخترق المفازة المجذبة . ومن زم ، يصل باتجاه الشرق الى بلخ وبعد عبوره نهر جيحون يبلغ ترمذ . وقد أشار المقدسى الى زم أيضا بـايجاز فقال ان الجامع وسط الاسواق . وهذا يدل على انه كان لمدينة زم ، فى المثة الرابعة (العاشرة) ، بعض الشأن (١٠) .

(١٠) الاصطخرى ٢٨١ و ٣١٤ : ابن حوقل ٣٢٩ و ٣٦٣ : المقدسى ٢٩١ و ٢٩٢ : ياقوت ١ : ٦٩ : ٢ : ٩٤٦ : على اليزدى ١ : ١٤٨ و ٣٢٤ و ٥٦٨ : أبو الفارى ١٢٤ و ٣٢٩ .

- ٤٤٧ -

ولنعد الى الكلام ثانية على نهر مرغاب . فعلى نحو من ١٦٠ ميلا فوق مرو العظمى ، تقوم مرو العليا أو الصغرى ، فى موضع من النهر حيث ينعطف شمالا بعد خروجه من جبال النور فيقطع البرية الى مرو الكبرى . ومرو الصغرى أى مرو العليا على ما سماها المقدسى وغيره ، هى الموضع المعروف لدى الفرس باسم بالا مرغاب أى « مرغاب الاعلى » . وهى اليوم خراب وقد ظلت على خرابها منذ غزو تيمور لها . الا ان مرو الروذ ، أى مرو الشط ، على ما كانت تسمى به فى المئة الرابعة (العاشرة) ، كانت حينذاك أكبر مدينة فى هذا الرستاق العالم الآهل . وهنالك ما عداها ، أربع مدن أخرى بها منابر . ومن مرو الروذ الى نهر مرغاب ، غلوة . ولها عليه بساتين وكروم ، وتبعد ثلاثة فراسخ عن الجبال التى فى غربها ، وفرسخين عن الجبال التى فى شرقها . وجامعها فى السوق ، وهو على ما ذكر المقدسى ، على سوارى خشب . وزاد قدامة على ذلك ان على فرسخ من « مرو الاعلى » (حسب تسميته لها) موضعا يقال له قصر عمرو ، فى الجبل على قم الشعب . وذكر ياقوت ان اسم مرو الروذ فى أيامه كان يلفظه الناس مروّذ . والظاهر انها لم يصبها من التدمير ما أصاب مرو الكبرى على أيدي المغول . ومهما يكن من أمر فان المستوفى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، قال انها موضع ، عامر ، عليه سور دوره خمسة آلاف خطوة ، بناء السلطان ملكشاه السلجوقى . وكانت رساتيقها فى غاية الخصب ، يكثر فيها العنب والبطيخ . والمعيشة فيها رخيصة^(١١) .

وعلى مسيرة يوم من مرو الروذ ، على الضفة نفسها من ناحية مرو الكبرى ، كان القصر المعروف بقصر أخنف ، نسبة الى أخنف بن قيس القائد العربى فى أيام الخليفة عثمان ، وقد أخضع هذه البلاد للإسلام فى سنة ٣١ (٦٥٢) . وكانت بلدة قصر أخنف كبيرة على ما ذكر ابن حوقل ، لها بساتين وكروم حسنة . وهى طيبة الهواء والتربة . وقال المقدسى ان جامعها فى السوق . وتؤثر موضع

(١١) قدامة ٢١٠ ؛ الاصطخرى ٢٦٩ ؛ ابن حوقل ٣٢٠ ؛ المقدسى ٣١٤ ؛ ياقوت ٤٠٦ .
المستوفى ١٦٠ ؛ وعن خرائب بالامرغاب ، انظر Northern Afghanistan C.E.Yate ص ٢٠٨ .

قصر أحنف اليوم قرية مروچك أى مروكوجك (مرو الصفري) على ما يسميه
الفرس . وكان فى العصور الوسطى ، على أربعة فراسخ فوق مرو الروذ ، بلدة
دزه ، ويشقها نهر مرغاب الى نصفين ، بينهما قنطرة • ولها جامع حسن • وزاد
ياقوت على ذلك انها كانت تسمى فى الاصل سنّوان^(١٢) •

وقرى پنج ديه (أى الخمس قرى) ، أسفل من مروچك ، على نهر
مرغاب • وقد زارها ناصر خسرو • فى سنة ٤٣٧ (١٠٤٥) فى طريقه الى مكة •
ورآها ياقوت فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وذكر انها مدينة حسنة • وجاء ذكر هذا
الموضع أيضاً فى زمن تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد
قال علي اليزدى انها تعرف باسم بندى (ولكن قراءتها غير مضبوطة
على ما يظهر ، وقد جاءت فى بعض المخطوطات بصورة بندى) • وفى أوائل
العصور الوسطى ، كانت البلاد من مرو الصفري الى مرو الكبرى ، على جانبى
مرغاب ، مزروعة تبتت فيها القرى والمدن ، وكانت القرينين ، وقد نوهنا بها ،
على أربعة فراسخ فوق مرو الكبرى وفرسخين أسفل من مرو الروذ • وفى نصف
الطريق بين القرينين والمدينة الاخيرة : لوكر أو لوكرآ ، وكانت على ما ذكر
المقدسى عامرة ، فى كبر قصر أحنف • وفوق مرو الروذ فى أعلى مرغاب فى
جبال غرجستان ، نواح ورساتيق عامرة كثيرة ستكون موضوع بحثنا فى
الفصل القادم فى كلامنا على الفور فى ربيع هراة^(١٣) •

(١٢) بفهم ما ذكره ياقوت (٤ ١٠٨) ان قصر أحنف كان فى الاصل حصناً يقال له سنّوان
فلما افتتحه الاحنف فى سنة ٣٢ أيام عثمان نسب اليه • (م) •

(١٣) اليعقوبى ٢٩١ : الاصطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ : المقدسى ٢٩٩ و ٣١٤ : ناصر خسرو
٢ : ياقوت ١ : ٧٤٣ : ٤ : ١٠٨ : على اليزدى ١ : ٣٥٣ • وعن خرائط مروچك انظر : G.E. Yale
فى كتاب العاصمستان ص ١١٠ و ١٢٠ و ١٩٤ •

الفصل التاسع والعشرون

خراسان «تابع»

ربع هراة - نهر هراة او هري رود - مدينة هراة - مالن والمدن التي
في اعل نهر هري رود - بوشنج - كورة اسفزار - كورة
بادغيس ومدنها - كنج رستاق - رساتيق
غرجستان والقور - الباميان -

يقع ربع هراة برمته ، في البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان . ويسقى معظمه
نهر هراة أو هري رود . ومخرج هذا النهر في جبال القور . ويجرى في أوله
مسافة نحو الغرب . ولسقى وادي هراة شقت منه أنهار كثيرة ، بعضها في أعلى
مدينة هراة وبعضها في أسفلها . وقد سمي المقدسى سبعة من هذه الانهار بوجه
خاص وقال انها تسقى ما حول القصبة من رساتيق خصبة .

ويجى نهر هراة في أوله من الشرق الى الغرب ويمر بمدينة هراة على
سبعة أميال من بابها الجنوبي بالقرب من مدينة مالن . وعليه هناك جسر قال
المقدسى فيه « ليس بجميع خراسان أعجب عملا منه . بناء رجل مجوسى وكتب عليه
اسمه - ويقال ان سلطانا أراد ان يكتب عليه اسمه - منهم من قال أسلم ، ومنهم
من قال طرح نفسه في النهر » . وذكر المستوفى أسماء تسعة من أنهار السقى
الكيرة التي كانت تأخذ من هري رود من حوار هراة . وفي ما يلي هراة ،
كان هري رود يمر بمدينة فوشنج قرب ضفته الجنوبية ، ثم يطف شمالا فيجى

الى سرخس ، وقبل ان يصلها ، يستقبل مياه نهر المشهد ، على ما بنا فى الفصل السابق . ثم فى ما يلى ذلك تفنى مياهه فى المفازة شمال سرخس . وقال حافظ ابرو ان نهر هراة يعرف أيضا باسم خجاجران (وتهجئة هذا الاسم تتعدد بتغير نقاط الاعمجام ، أما التهجئة الصحيحة فغير معروفة) . وهو يؤكد ان مخرجه كان فى عين لا تبعد كثيرا عن موضع مخرج نهر هبلمند^(١) .

وفى المثة الرابعة (العاشرة) كانت هراة ، على ما وصفها به ابن حوقل والمقدسى ، مدينة جبلية عليها حصن وسور له أربعة أبواب : باب سراى مما يلى الشمال فى الطريق الى بلخ . والباب الثانى الى الغرب يقضى الى نيسابور ، وهو باب زياد . وباب فيروز اباد ، وقد سماه المقدسى باب فيروز ، كان فى الجنوب ، يخرج منه الى سجستان . وكان فى الشرق باب خشتك ، ويؤدى الى جبال النور . وكانت أبوابها هذه خشبا الا باب سراى فقد كان حديدا ، على قول ابن حوقل . وكان لحصن هراة (ويقال له القهندز) أربعة أبواب أيضا « بحذاء كل باب من أبواب المدينة باب لهذا الحصن ويسمى باسم ذلك الباب » . والمدينة مقدار نصف فرسخ فى مثله . ودار الامارة بمكان يعرف بخراسان أباذ فى ظاهر البلد بينهما ميل ، على طريق فوشنج الذهاب غربا . وعند كل باب من أبواب المدينة الاربعة ، سوق وفى ظاهر الباب ربض واسع . وكان المسجد الجامع فى وسط أسواق المدينة . « وليس بخراسان وسجستان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراة » . « والسحن على ظهر قبلة مسجد الجامع » أى فى غربه .

وفى شمال هراة : الجبال ، وهى من المدينة على فرسخين . والاراضى هنا بادية لا تسقى . ويرتفق الناس من هذه الجبال « بالحجارة للأرجية والفرش » . وعلى رأس هذا الجبل بيت نار (قديم) يسمى سرشك ، كان يقصده المجوس فى المثة الرابعة (العاشرة) . وفى نصف المسافة بين بيت النار والمدينة بيعة للنصارى . والى جنوب هراة ، فى طريق مالن ، قطرة على هرى رود . وبينها

(١) الاصطخرى ٢٦٦ ؛ ابن حوقل ٣١٨ ؛ المقدسى ٣٢٩ و ٣٣٠ ؛ المستوفى ٢١٦ ؛ حافظ ابرو

وبين المدينة بساتين كثيرة ورساتيق عامرة تسقيها أنهار عديدة • وقراها متصلة
مقدار مرحلة على طريق سجستان •

واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول لها • وحين-
كان ياقوت فيها سنة ٦١٤^(٢) (١٢١٧) أى قبل أن تكب بهذه الكارثة بأربع
سنوات ، وصفها بقوله « لم أر (بخراسان) مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم
ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها ، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة » • وأيد معاصره
القزوينى كلامه هذا وأشار الى أرحيتها التى « تديرها الريح بنفسها كما يديرها
الماء » وهو منظر لم يألغه القزوينى • على ان هراة قد انتعشت بعد ما أصابها من
كوارث على يد التتر ، فان المستوفى فى المثة التالية لها ، أيد قول ابن بطوطة
فى انها كانت أكبر المدن العامرة فى خراسان ، بعد نيسابور • ودور أسوارها حينذاك
تسعة آلاف خطوة ، ولها ١٨ قرية يسبقها نهر (نهريچه) يأخذ من هرى رود •
وكان وجود فيها صنف من الاعناب يقال له « الفخرى » وكذلك التين • وكان أهل
هراة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) من السنة • وقد كان أقصى ما بلغت هراة من
ازدهار ، على قول المستوفى ، فى المثة السادسة (الثانية عشرة) أيام حكم الدولة
الغورية فيها • فقد كان فيها حينذاك ١٢٠٠٠ دكان ، و ٦٠٠٠ حمام ، و ٦٥٩
مدرسة ، وعدد سكانها ٤٤٤ •

وكان فى شمال هراة ، حين كتب المستوفى ، حصن مكين يقال له
شميران ، بنى فى موضع بيت النار المسمى سِيرَشَك وقد ذكره ابن حوقل ، وهو
على رأس جبل يبعد فرسخين عن المدينة • وعرف هذا الحصن أيضا بقلعة
امكليچه • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بعد ان تملك تيمور هراة ،
تقضى أسوارها وأرسل معظم الحذاق من صناعها الى مدينته الجديدة شهر سبز
فى ما وراء النهر تكثيرا لسكانها • وجاء فى كتاب جهان نما بالتركية ، انه كان
لهراة فى زمن كتابته ، أى سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) خمسة أبواب : باب يقال له
دروازه مُملك فى الشمال ، وباب عراق فى الغرب ، وباب فيروز آباد فى الجنوب ،

(٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٣ . ٩٥٨) انه كان فى هراة سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • (م) •

- ٤٥٢ -

وباب مُخس في الشرق ، وباب كِبْجاق في الشمال الشرقي ، والاخير أحدثها .
وذكر جهان نما أيضا البلوكات العشر أي الرساتيق التي حول هراة ، ولكنه لم
يذكر موضع كل بلوك من الآخر (٣) .

وعلى فرسخين ، أي مسيرة نصف يوم ، من جنوب هراة ، مدينة مالين أو
مالن ، ويخمن أنها في ما يلي القنطرة العظيمة التي كانت على هري رود وبها
عرفت القنطرة . وحول المدينة رستاق على اسمها مداء مسيرة يوم . وكان يقال
لمالين هذه السفَلَقَات ومالين هراة ، تميزا لها عن مدينة بالاسم نفسه في رستاق
باخرز بقوهستان (وقد مر ذكرها في الفصل الخامس والعشرين ، ص ٣٩٧) .
كانت مالين بلدة صغيرة مشتبكة البساتين كثيرة الكروم . زارها ياقوت
وكتب اسمها مالين ولكنه قال ان الناس في أيامه يسمونها مالان . وفي رستاقها
خمس وعشرون قرية خص بالذكر منها أربعة : مُرغاب وباشبنان وزَنَمَان
وَعَبَسَقَان .

وعلى مرحلة من شمال هراة ، بلدة كروخ أو كاروخ . قال ابن حوقل
أنها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدن كورة هراة بعد قصبته . ويرتفع
من كروخ المشمش والزيب ويحمل الى سائر البلدان « ومسجدها الجامع بمحلة
منها تعرف بسيدان ، وبنائوها من طين ، وهي في شعب بين جبال مقدار عشرين
فرسخا وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والفياض والقرى العامرة » .
ويصب أكبر أنهارها في هري رود ، ويظهر انه هو النهر الذي سماه ياقوت
نهر كراغ .

(٣) الاصطخرى ٣٦٤ - ٣٦٦ : ابن حوقل ٣١٦ - ٣١٨ : المقدسي ٣٠٦ و ٣٠٧ : ياقوت
٤ : ٩٥٨ : القزويني ٢ : ٣٢٢ : ابن بطوطة ٣ : ٦٣ : المستوفي ١٨٧ : جهان نما ٣١٠ - ٣١٢ .
على اليزدي ١ : ٣٢٢ و ٣٢٣ .

ومما أورده الحاج خليفة من اخبار في جهان نما ، قد اقتبس بعضه من مقالة عن هراة كتبها
معين الدين الاسفزاری سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) وهي المقالة التي أدخلها بحذفها ميرخواند في خاتمة
كتابه « روضة الصفا » الجزء السابع ص ٤٥ - ٥١ ، وقد ترجمها باربسه دي مينار في
Journal Asiatique لسنة ١٨٦٠ (٢ : ٤٦١) وللسنة ١٨٦١ (١ : ٤٣٨ و ٤٧٣)

ص ٢٥ - ٢٨ (انتهت ساضية المؤلف) .
قلنا : نشر محمد زبير الصديقي كتاب « تاريخ نامه هراة » (بالفارسية) ، تأليف سيف بن محمد
بن يعقوب الهروي (ولد سنة ٦٧١ هـ - ١٢٨٢ م) وقد طبع في كلكتة سنة ١٩٤٣ . (م) .

والى شرق هراة ، فى وادى هرى رود العريض ، تقوم مدن تلى احداها
الاخرى ذكرها بلدانيو المثة الرابعة (العاشرة) ، وهى بشأن على يوم من هراة ،
م آخيسار فاستتر بتيان فماراباذ فأوقفه . تبعد الواحدة عن الاخرى شرقا مسيرة يوم .
ثم على يومين مما يلى أوفه ، مدينة خشت وكانت تعد من ناحية النور . ومن
بين هذه المدن التى ذكرناها كانت أوفه نحو كروخ فى الكبر وتليها فى الشأن .
أما المدن الاربع الاخرى ، فقد تشابهت فى الوصف ، فلكلها مياه وبساتين
وزروع . وكلها أصغر من مالن وكانت استريان لا كروم فيها ، وهى فى جبال .
وماراباذ « يرفع منها أرز كثير يجلب الى النواحي »^(٤) .

وعلى مسيرة يوم من غرب هراة مدينة بوشنج أو فوشنج الجبلية . والظاهر
انها حيث تقوم غريان الحالية على شىء يسير من ضفة هرى رود اليسرى فى
جنوبها . وقد وصف ابن حوقل بوشنج بانها كانت فى المثة الرابعة (العاشرة) ،
نحوا من نصف هراة ، « وهى وهراة فى مستواة ومن بوشنج الى الجبل نحو
فرسخين » . وبنائها حسن تحف بها الاشجار . وبها من أشجار الرعر ما ليس
فى غيرها ويحمل خشبه الى سائر النواحي . ولبوشنج سور وخذق وثلاثة
أبواب . باب يسمى باب علي يفضى الى نيسابور ، وباب هراة الى الشرق ، وباب
قوهستان الى الجنوب الغربى . وكان ياقوت ، قد رآها وهو مار فى طريقه ،
فى واد كثير الشجر ، وسماها بوشنج وفوشنج وذكر ان « العجم يقولون
بوشنك بالكاف » . ووصف المستوفى مدينة فوشنج ، فى المثة الثامنة (الرابعة
عشرة) وقال انها مشهورة بالبطيخ والاعناب ، وبها من الاعناب مئة وخمسة
أصناف . ومما خصت به ، الارحية التى تديرها الريح . وأصلها يعزى الى فرعون
مصر من أيام موسى ، فقد بلغ هذه المدينة فى احدى حملاته نحو الشرق . وفى
سنة ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينة فوشنج ونهبها ، وقد استولى عليها بالرغم
من علو أسوارها وعمق ماء خندقها ، على ما نوه به علي اليزدى . وبعد ذلك
اختفى اسم فوشنج من التاريخ لغير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينة غريان ،

(٤) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٨٥ ؛ ابن حوقل ٣١٨ و ٣٣٤ ؛ المقدسى ٥٠ و ٢٩٨ و ٣٠٧ و ٣٤٩ ؛

ياقوت ١ : ٤٧٠ ، ٢ : ٦٥٠ ، ٣ : ٦٠٥ ، ٤ : ٢٤٧ و ٣٩٧ و ٤٩٩ .

- ٤٥٢ -

وباب خُشن في الشرق ، وباب رَكيچاق في الشمال الشرقي ، والاخير أحدثها •
وذكر جهان نما أيضا البلوكات العشر أى الرساتيق التي حول هراة ، ولكنه لم
يذكر موضع كل بلوك من الآخر (٣) •

وعلى فرسخين ، أى مسيرة نصف يوم ، من جنوب هراة ، مدينة مالين أو
مالن ، ويخمن أنها في ما يلي القنطرة العظيمة التي كانت على هرى رود وبها
عرفت القنطرة • وحول المدينة رستاق على اسمها مداء مسيرة يوم • وكان يقال
لمالن هذه السفَلَقَات ومالن هراة ، تميزا لها عن مدينة بالاسم نفسه في رستاق
باخرز بقوهستان (وقد مرّ ذكرها في الفصل الخامس والعشرين ، ص ٣٩٧) •
كانت مالن بلدة صغيرة مشتبكة البساتين كثيرة الكروم • زارها ياقوت
وكتب اسمها مالين ولكنه قال ان الناس في أيامه يسمونها مالان • وفي رستاقها
خمس وعشرون قرية خص بالذكر منها أربعا : مُرغاب وباشيتان وزَتمان
وعَبَسَقان •

وعلى مرحلة من شمال هراة ، بلدة كروخ أو كاروخ • قال ابن حوقل
انها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدن كورة هراة بعد قصبته • ويرتفع
من كروخ المشمش والزيب ويحمل الى سائر البلدان « ومسجدها الجامع بمحلة
منها تعرف بسيدان ، وبنائها من طين ، وهى في شعب بين جبال مقدار عشرين
فرسخا وجميعها مشتبكة البساتين والمياه والاشجار والفياض والقرى العامرة » •
ويصب أكبر أنهارها في هرى رود ، ويظهر انه هو النهر الذى سماه ياقوت
نهر كراغ •

(٣) الاصطحرى ٢٦٤ - ٢٦٦ : ابن حوقل ٣١٦ - ٣١٨ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٠٧ : ياقوت
٤ : ٩٥٨ : القزوينى ٢ : ٣٢٢ : ابن بطوطة ٣ . ٦٣ : المسوقى ١٨٧ : جهان نما ٣١٠ - ٣١٢ •
على اليزدى ١ : ٣٢٢ و ٣٢٣ •

ومما أورده الحاج خليفة من أخبار في جهان نما ، ند اقتبس بعضه من مقالة عن هراة كتبها
مير الدين الاسفزاری سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) وهى المقالة التى أدخلها يحدافيرها ميرخواند في خاتمة
كتابه « روضة الصفا » الجزء السابع ص ٤٥ - ٥١ ، وقد ترجمها بابويه دى مينسار في
Journal Asiatique لسنة ١٨٦٠ (٢ : ٤٦١) ولسنة ١٨٦١ (١ : ٤٣٨ و ٤٧٣)

ص ٢٥ - ٢٨ • انتهت حاشية المؤلف •

قلنا : نشر محمد زبير الصديقى كتاب « تاريخ نامة هراة » (بالفارسية) ، تاليف سيف بن محمد
بن يعقوب الهروى (ولد سنة ٦٧١ هـ - ١٢٨٢ م) وقد طبع في كلكتة سنة ١٩٤٣ • (م) •

والى شرق هراة ، فى وادى هرى رود العريض ، تقوم مدن تلى احداها
الآخرى ذكرها بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) ، وهى بشأن على يوم من هراة ،
مـ خيسار فاستـر بيان فماراباذ فأوفته . تبعد الواحدة عن الاخرى شرقا مسيرة يوم .
ثم على يومين مما على أوفه ، مدينة خنت وكانت تعد من ناحية النور . ومن
بين هذه المدن التى ذكرناها كانت أوفه نحو كروخ فى الكبر وتليها فى الشأن .
أما المدن الاربع الاخرى ، فقد تشابهت فى الوصف ، فلكلها مياه وبساتين
وزروع . وكلها أصغر من مالن وكانت استريان لا كروم فيها ، وهى فى جال .
وماراباذ « يرفع منها أرز كثير يجلب الى النواحي » (٤) .

وعلى مسيرة يوم من غرب هراة مدينة بوشنج أو فوشنج الجبلية . والظاهر
انها حيث تقوم غريان الحالية على شىء يسير من ضفة هرى رود اليسرى فى
جنوبها . وقد وصف ابن حوقل بوشنج بانها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ،
نحوا من نصف هراة ، « وهى وهراة فى مستواة ومن بوشنج الى الجبل نحو
فرسخين » . وبنائها حسن تحف بها الاشجار . وبها من أشجار العرعر ما لبس
فى غيرها ويحمل خشبه الى سائر النواحي . ولبوشنج سور وخذق وثلاثة
أبواب . باب يسمى باب علي يفضى الى نيسابور ، وباب هراة الى الشرق ، وباب
قوهستان الى الجنوب الغربى . وكان ياقوت ، قد رآها وهو مار فى طريقه ،
فى واد كثير الشجر ، وسماها بوشنج وفوشنج وذكر ان « العجم يقولون
بوشنك بالكاف » . ووصف المستوفى مدينة فوشنج ، فى المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) وقال انها مشهورة بالبطيخ والاعناب ، وبها من الاعناب مئة وخمسة
أصناف . ومما خصت به ، الارحية التى تديرها الريح . وأصلها يعزى الى فرعون
مصر من أيام موسى ، فقد بلغ هذه المدينة فى احدى حملاته نحو الشرق . وفى
سنة ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينة فوشنج ونهبها ، وقد استولى عليها بالرغم
من علو أسوارها وعمق ماء خندقها ، على ما نوه به علي اليزدى . وبعد ذلك
اختفى اسم فوشنج من التاريخ لير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينة غريان ،

(٤) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٨٥ : ابن حوقل ٣١٨ و ٣٣٤ ، المقدسى ٥٠ و ٢٩٨ و ٣٠٧ و ٣٤٩ :
ياقوت ١ : ٤٧٠ : ٢ : ٩٥٠ : ٣ : ٦٠٥ : ٤ : ٢٤٧ و ٣٩٧ و ٤٩٩ .

المدينة العامرة اليوم ، على خرائب المدينة التي نهبها تيمور وخرّبها • ومما تحسن الإشارة إليه ، ان المدن الثلاث : فرجرد وخرجرد وكوسوى ، وقد سبق وصفها بين مدن إقليم قوهستان (أنظر ص ٣٩٧ - ٣٩٨) ، غالبا ما عدت من أعمال فوشنج^(٥) •

وكورة أسفزار ، فى جنوب هراة فى طريق زرنج • كان فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) أربع مدن مهمة ، ما خلا القصة أسفزار ، وهى آدرسكر وُكوران وكوشك وكواشان • وأسفزار اليوم أكبر المدن ، ويقال لها فى وقتنا سبزوار (وتسمى أيضا سبزوار هراة ، تميزا لها عن سبزوار التى فى غرب نيسابور • أنظر ص ٤٣٢) • الا ان أكبر مدن هذه الكورة قديما كانت كواشان • ومقدار الكورة مسيرة ثلاثة أيام من الشمال الى الجنوب ، وعرضها مرحلة يوم • قال الاصطخرى كان عندها شعب يسمى كاشكان ، وفيه قرى عامرة • ونهرها ومنابعه بالقرب من اسفزار (سبزوار) هو النهر المعروف اليوم بهارود سستان ويقع فى رأس بحيرة زره غرب جوين • ومدن أسفزار هذه تحيط بها كلها الاراضى الخصبة والبساتين • وذكرت كتب المسالك اسما ثانيا لاسفزار ، هو خاشتان (أو جاشان فان قراءته غير محققة) ولا يستبعد ان تكون خواشان صورة أخرى لهذا الاسم • فتكون هذه المدينة فى الواقع اذاً ، مطابقة لاسفزار (سبزوار) • ومدينة أدرسكر أو أدرسكر ، على ما تلفظ به أيضا ، ما زالت قائمة فى شرق أسفزار ، ويكتب اسمها اليوم بصورة أدرسكن • وذكر ياقوت ان اسفزار من أعمال سجستان ، وتكلم عليها المستوفى بانها مدينة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، لها قرى كثيرة وبساتين وافرة الاعتاب والرمان • وكان جل أهلها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من السنة على المذهب الشافعى • ومما يؤسف عليه ان كتب المسالك لم تبين مواضع المدن الاخرى فى هذه الكورة ، بالنسبة الى بعضها^(٦) •

(٥) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٦٨ : ابن حوقل ٣١٩ : المقدسى ٢٩٨ : ياقوت ١ : ٧٥٨ : ٣ : ٩٢٣ • المستوفى ١٨٧ : على اليزدى ١ : ٣١٢ •
وذكر صنيح الدولة (مرآة البلدان ١ : ٢٩٨) انه مر قرب خرائب بوشنج وراها حين قدومه من نيسابور الى هراة ، وقال انها قرب عريان وليست فيها •
(٦) الاصطخرى ٢٤٩ و ٢٦٤ و ٢٦٧ : ابن حوقل ٣٠٥ و ٣١٨ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣٥٠ : ياقوت ١ : ٢٤٨ : المستوفى ١٨٧ •

والطريق من هراة الضارب شمالا الى مرو الروذ ، يجتاز كورة باذغيس العظيمة ، وكانت تمتد بين نهر هراة من الغرب (فى شمال فوشنج) ومياه نهر مرغاب الاعلى من الشرق وهى الآتية من جبال غرجستان • وكان يسقى باذغيس نفسها كثير من روافد نهر مرغاب اليسرى • وكان القسم الشرقى من باذغيس ، وهو يبدأ على نحو من ١٣ فرسخا من شمال هراة ، يعرف بكنج رستاق ، وله ثلاث مدن كبيرة هى : بَبَن ، وكَيْف ، وبَشُور • وقد عينت كتب المسالك مواضعها على وجه التقريب أما فى بقية باذغيس ، فقد ذكر المقدسى تسع مدن كبيرة ولكن مما يؤسف عليه انه لا يمكن تعيين موضع واحدة من هذه المدن ، لان كتب المسالك لم تذكرها • وهذه اللاد البوم ، غامرة لا سكان فيها ، فقد خربت الفزوات المغولية فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • وتشهد الخرائب الكثيرة المنتشرة فى تلك البقعة على ما كانت عليه هذه البلاد قبلا من وفرة فى المياه وازدهار فى العمران • الا ان اسماءها الحديثة هى غير تلك التى ذكرها بلدانيو القرون الوسطى •

أما أطلال مدينة بغشور ، وهى من مدن كنج رستاق الكبيرة ، فالظاهر انها هى المعروفة بقلعة آمور • وصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة بغشور بقوله انها من أحسن مدن خراسان وأكثرها ثروة ، وهى نحو بوشنج • وكان سلطان هذه الناحية يقيم فى بَبَن أو بَبَنَة وهى أكبر هذه المدن ، بل أكبر من بوشنج • أما « كيف » فكانت نحوا من نصف بغشور • وهذه المدن حسنة ، بناؤها من طين • وحولها البساتين والزرع ، وفيها مياه كثيرة جارية وآبار • وقد رأى ياقوت هذه البلاد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، وأيد ما كانت عليه بغشور السابقة والمدن المجاورة لها من ثروة ، ولكنه قال « الخراب فيها ظاهر » مع ان ذلك كان قبل الغزو المغولى • وزار ياقوت بَبَنَة وسماها : بَوْن و تَوْن • وزار أيضا بلدة أخرى يقال لها الباميان ، أو بامنج ، وهى على شىء يسير من بَبَن • وقال انها ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق » (٧) •

(٧) ابن رسته ١٧٣ : الاصلخرى ٢٦٦ : ابن حوقل ٣٢٠ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ : ياقوت ١ : ٤٦١ ر ٤٨١ و ٤٨٧ و ٦٩٤ : ٢ : ٧٦٤ : ٤ : ٣٣٣ • وللإطلاع على حال كورة باذغيس

أما القسم الجنوبي من كورة باذغيس ، فإن ما يقال عن سابق عمران كنج رستاق وازدهارها ، يقال عن هذا القسم أيضا . الا ان مدنه قد زالت اليوم جميعا من الخارطة ، ويصعب تعيين مواضع أسمائها التي عرفت في القرون الوسطى أو مطابقتها مع أسماء الخرائب الحالية . وقد اتفقت الاخبار على ان قصبة هذا القسم كانت دهستان ، وموضعها قد يتفق هو ومرقد خواجه دهستان الحالى فى شمال شرقى هراة . وذكر المقدسى أسماء سبع مدن أخرى ، هى : كوغاناباذ و كوفابُشت وجاذاوا وكابرون وكالوون وجبل الفضة . ولا يمكن معرفة مواضعها الا بوجه تقرىبى . كانت دهستان فى المثة الرابعة (العاشرة) ثانى المدن الكبرى فى باذغيس ، مثل نصف بوشنج ، وهى على جبل ، وبناء أهلها طين ولهم أسراب تحت الأرض لايام الحر ، وبساتينها قليلة ومزارعها مباحس . وكان سلطان الناحية يقيم فى كوغاناباذ ، وهى أصغر من دهستان . ومدينة جبل الفضة كانت على ما يدل عليه اسمها ، عند جبل فيه معدن الفضة فى الطريق الماد رأسا من هراة الى سرخس . والظاهر انها فى شمال كوغاناباذ . ويكثر فى ناحيتها الحطب . وكانت كوفاكبر من جبل الفضة ، فى برية ، لها بساتين حسنة . ولكن المقدسى لم ينوه بشيء عن المدن الاربع الاخرى ، الا قوله ان هذه المدن كانت تقوم قرب الطريق الذاهب شمالا من هراة الى سرخس .

وذكر ياقوت ، وقد قال ان دهستان « ناحية باذغيس » ، ان « أصلها بالفارسية باذ - خيز ، معنى قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الريح فيها » . أما كلام المستوفى على باذغيس فيصعب فهمه لان أسماء الامكنة كثيرة التصحيف فى المخطوطات . قال ان دهستان كانت القصبة وأشار الى جبل معدن الفضة بالتسمية الفارسية كوه نكرة « جبل الفضة » . وفيها موضع ثالث ذو شأن هو كوه غناباد (عوضا عن كوغاناباذ) ، وفيها كان يقيم الامير . وجاء ذكر مدينة رابعة يقال لها بزرگترین . ولكن قراءة الاسم غير معتمد عليها . وذكر المستوفى أيضا مدينة

اليوم زخرائبها ، انظر : G.E. Yate فى كتاب افغانستان ص ٦٧ و ٦٨ . وترى بقايا قلاع واطلال من كلران وسكردان وقزباغ (ص ١٠١) وايضا فى قلعة مور (ص ٩٦ و ١٠٣) وفى قرته . ولا شك ان بعض هذه الاطلال هى بقايا المدن التى ذكرها البلدياتيون العرب .

- ٤٥٧ -

باسم كاريز (أو كاريزه) أى « الكهريز » وقال انها كانت مقام حكيم برقى
- « الحكيم المبرقع » - المعروف لدى الناس بصانع القمر بنخشب ، وهو نبي
خراسان المبرقع الذى ثار فى المثة الثانية (الثامنة) على الخليفة المهدي واقتضى
لقمع ثورته جهد كبير^(٨) .

وقد انتهت لنا أسماء مواضع أخرى أيضا ذكرها المقدسي والبلدانيون العرب
الاولون (ويعتور اسماءها كثير من التصحيف فى متون كتبهم) دون ان يذكروا
شيئا عنها . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كانت باذغيس على قول المستوفى ،
مشهورة بغابات الفستق . وفى موسم جمعه كان يخرج كثير من الناس فيحملون
منه ما قدروا على حمله ، وكان يحمل الى سائر البلدان المجاورة . وكانت
أشجار الفستق من الكثرة فيها حتى ان المستوفى قال ان كثيرا من الناس يعتاشون
السنة كلها على ما يربحون مما جمعوه فى موسم جنيه . وما أعجب مرأى أشجاره .
وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى الخراب على باذغيس نهائيا على
ما يظهر برور جيوش تيمور بها فى اثناء زحفها الملاحق من هراة الى
مرو الروذ^(٩) .

(٨) هذا ما قاله المستوفى نصه الفارسي (روضة القلوب . ص ١٥٣ طبعة لسترنج) : (كاريزكه
مقام حكيم بروقى كه سازنده ماء بنخشب » - وحكى القزويني (ص ٣١٢) فى كلامه على بنخشب فى
شان هذا الحكيم ما يأتى : « بنخشب : مدينة مشهورة بأرض خراسان ؛ منها الاولياء والحكباء ، ينسب
اليها الحكيم ابن المصم (ابن القنح ؟) الذى أنشأ بنخشب بئرا يصعد منها قمر يراه الناس مثل
القمر ، واشتهر ذلك فى الآفاق » والناس يقصدون بنخشب لرؤيته ويتمجبون منه . وعوام الناس
يحسبونونه سحرا ، وما كان الا بطريق الهندسة وانكاس شعاع القمر ، لانهم وجدوا فى حجر البئر
طاسا كبيرا ملوئا زئبقا ، ولما الجملة فد اعتدى الى أمر عجيب سار فى الآفاق واشتهر حتى ذكره
الناس فى الاشعار والامثال ، وبقي ذكره بين الناس » .
اما القنح الذى ثار فى أيام الخليفة المهدي فهو المقص الخارجى . (م) -

(٩) الاصل ٢٦٨ و ٢٦٩ : ابن حوقل ٣١٩ و ٣٢٠ : المقدسي ٢٩٨ و ٣٠٨ : ياقوت
١ : ٤٦١ ؛ ٢ : ٦٣٣ : المستوفى ١٨٧ و ١٨٨ : جهان تما ٣١٤ و ٣١٥ : على اليزدى ١ : ٣٠٨ .
C.E. Yate فى كتاب الفانستان ص ٦ .

كان الطريق من هراة الى مرو الروذ ، على ما وصفه البلدانيون العرب الاولون فى مسائلهم ،
يسير من مدينة الى مدينة مستقرا كنج رستاق . واقصى المراحل فيه جنوبا مرحلة « بينة » ، على يومين
من هراة . اما المستوفى (ص ١٩٨) فقد وصف طريقا آخر فيه سبع مراحل وهو من هراة الى هتكاماباد
فى خمس مراحل ، ومنها الى باذغيس فى خمس مراحل (وهى ولا شك دهستان ، القصبة) .
ومنها الى بون (بفتح أوله وثانيه ، أو بينة) فى خمس مراحل - ثم الى مرغزار دره « أى وادى
المرعى » فى خمس مراحل . ثم الى بجنى شور (يشهور) فى ثماني مراحل . ثم الى أسرود أو
لوسرود فى خمس مراحل . وأخيرا الى مرو الروذ فى أربع مراحل .

والى شرق باذغيس عند منابع نهر مرغاب ، البلاد الجبلية المعروفة لدى بلدانى العرب الاولين بـ « غرج الشار » . ويلقب ملك هذه الجبال بـ « الشار » . والفرح على ما ذكر المقدسى ، هى الجبال فى لغتهم ، فتفسير غرج الشار جبال الملك . وصاروا يسمون هذه البلاد فى أواخر العصور الوسطى : غرجستان . وبهذا الاسم جاءت فى أخبار الحروب المغولية . ثم ان ياقوت الحموى أشار الى ان غرجستان تكتب غالباً : غرشنان أو غرستان وكثيراً ما كان يلتبس اسمها بغورستان أى بلد الغور الذى فى شرقها وهى مدار بحثنا الآن . والشار ، أى ملك غرجستان ، كان يعرف لدى العرب بملك النرجة . وفى المئة الرابعة (العاشرة) كان فى هذه الناحية الواسعة ، عشرة جوامع فى مختلف بلدانها . وأكبر مدينتين فى غرجستان ، هما : أبشين وشورمين ، ولا يعرف موضعهما الصحيحان . كانت أبشين (أفشين أو بشين) على غلوة من الضفة الشرقية لآعلى نهر مرغاب ، وعلى أربع مراحل فوق مرو الروذ ، حولها بساتين حسنة ، ويرتفع منها أرز كثير يحمل الى بلخ . وكان لها حصن مكين ومسجد جامع . وشورمين (او سورمين) فى الجبال على اربع مراحل جنوب ابشين ، وعلى مثل ذلك من كروخ ، فى شمال شرقى هراة . ويرتفع منها زيب كثير يحمل الى النواحي . وليس مقام ملك هذه الناحية ، وهو الشار ، بهما بل بقرية كبيرة فى جبل ، تعرف بـ « بليكان » (أو بلكيان) . وذكر ياقوت اسم مدينتين أخريين فى غرجستان ، هما سنجة وبيوار . وغاية ما ذكره عنهما انهما فى الجبال ، نقلا عن رجل من هذه البلاد . ولم يشر الى موضعيهما^(١٠) .

والبقعة الجبلية العظيمة التى فى شرق غرجستان وجنوبها ، كانت تعرف بالغور أو غورستان ، تمتد من هراة الى الباميان وتخوم كابل وغزنة . وهى جنوب

ومن الخانات الخرة الى ما زالت تميز هذا الطريق ، انظر : G.E. Yate افغانستان سى ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٢٢ .

(١٠) الاصطخرى ٢٧١ و ٢٧٢ ، ابن حوقل ٣٢٣ : المقدسى ٣٠٩ و ٣٤٨ ، ياقوت ١ . ٨٠٣ : ٣ : ٧٢ و ١٦٣ و ١٨٦ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٨٢٣ .

وليس لغرجستان فى خراسان ، علاقة بكرجستان فى جنوبى القفقاس (راجع الفصل الثانى عشر ، ص ٢١٦) وهى المعروفة اليوم بـ جورجيا . ومن الخطأ ان يطلق اسم جورجيا على غرجستان ، على نحو ما فعل بعض الكتبة فى وصفهم حروب المغول فى بلدان اعلى مرغاب ، فلا جورجيا فى افغانستان .

نهر هراة • وأشار بلدانبو العصور الوسطى الى انها البلاد التى فيها مخارج كثير من الانهار الكبيرة ، أى منابع نهر هرى رود ، وهيلمند ، ونهر خواش ، ونهر فره (ويقع فى بحيرة زره) ، وكان يخرج من حدود غرجستان نهر مرغاب • أما صفة هذه البلاد الجبلية الواسعة فلم ينته البناشيء عنها بالأسف • فلا يعرف مواضع مدنها وقلاعها المذكورة فى تاريخها • وفى المثة الرابعة (العاشرة) كانت الغور دار كفر على ما ذكر ابن حوقل ، وان كان بها مسلمون • وفيها شعاب عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار • وقد اشتهرت بمعادن الفضة والذهب ، وأكثرها عند البامبان وپنجهير (أنظر ص ٣٨٩ - ٣٩٠) • وأغزر هذه المعادن ، فى موضع يقال له خرخيز • وبعد سقوط دولة محمود الغزنوى ، استقل رؤساء الغور وقد كانوا قبلا من أعوانه • وأنشأوا لهم عاصمة فى فيروز كوه ، وهى قلعة عظيمة فى الجبال لا يعرف موضعها •

وقد استقل الغوريون فى حكمهم منذ منتصف المثة السادسة (الثانية عشرة) حتى سنة ٦١٢ (١٢١٥) حين غلبهم خوارزمشاه • وبعد بضع سنين ، زالت دولتهم لما غزاهم المغول • الا ان الغوريين قبل ذلك ، تمكنوا فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) من فتح معظم شمالى الهند وبسط سلطانهم على جميع البلدان من دهلى الى هراة • وبعد أن قضى المغول على دولتهم قضاء مبرما ، استمر ممالكهم على حكم دهلى فى سلسلة طويلة من السلاطين ، حتى سنة ٩٦٢ (١٥٥٤) •

وبلغت الغور ، أو غورستان ، أوج عزها وأعظم ثرائها ، ما بين سنة ٥٤٣ و ٦١٢ (١١٤٨ و ١٢١٥) فى أيام السلاطين الغوريين من سلالة سام • وقد تكلم ياقوت على عاصمتهم العظيمة فى فيروز كوه أو بيروز كوه (أى جبل الفيروز) ولكنه لم يفصل القول فيها • ولجح المسنوفى أيضا الى هذه القلعة ، وذكر ، ان من مدنها الكبيرة أيضا : هنگران ، غر انه يشك فى هذه القراءة • وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) اكتسح جنكيزخان هذه البلاد جميعا ، واستولى على فيروز كوه عنوة وأنزل فيها الخراب والدمار • وجاء ذكر فلعين أخريين أتعبتا الجيش المغولى ، وهما : كليون وفبوار ، وبينهما عشرة فراسخ • ولكن لا يعرف موضع

كليهما . ويقال ان جنكيزخان قد خربهما تخريباً تاماً . وذكر القزويني في المثة السابعة (الثالثة عشرة) مدينة أخرى من مدن النور الكبيرة ، وهي «خوست» ، ولعلها تطابق مدينة خشت وقد مر ذكرها في صفحة ٤٥٣ ، بأنها قرب منابع هري رود . ولم يذكر من مواضع النور في أيام تيمور ، على ما يبدو ، غير قلعة خستار ، وهذه أيضا لا يعرف شيء عن موضعها^(١١) .

أما مدينة الباميان ، فقد كانت قصبة كورة عظيمة على اسمها . وتؤلف القسم الشرقي من النور . ويسندل ببقاياها السحيقة في القدم انها كانت مركزا بوذيا عظيما قبل الاسلام بزمان طويل . وقد وصف الاصطخرى الباميان في المثة الرابعة (العاشرة) فقال « تكون نحو من نصف بلخ ، وهي على جبل وليس لها سور » وناحتها في غاية الخصب يسحبها نهر كبير . وأشار المقدسي الى مدينة اللحوم^(١٢) وقراءة اسمها مشكوك فيه ، وقد أشاد بذكر هذه المدينة وقال « هي احدى فرض خراسان وخزائن السند . البرد فيها شديد والثلوج كثيرة . ومن اختلف اليها أفاد انها حيدة لا براغب ولا عقارب بها » . وفي المدينة جامع وأسواق عامرة في أرباضها . ولها أربعة أبواب تفضي الى خارج المدينة . وفي المثة الرابعة (العاشرة) كان في ناحية الباميان مدن كبيرة كثيرة ولكن مواضعها قد ضاعت علينا اليوم . ومن أكبر مدنها ، ثلاث ، هي : بسفورفند وسكيوند ولخراب .

وفي أوائل المثة السابعة (الثالثة عشرة) أفاض ياقوت في وصف أصنام البد العظيمة التي كانت حينذاك في الباميان . قال : « وبها بيت ذاهب في الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على وجه الارض . وفيه صنمان عظيمان تقرا في الجبل من أسفله الى أعلاه ، يسمى أحدهما «رُخْبُمد» والآخر

(١١) الاصطخرى ٢٧٢ : ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٢٣ : ياقوت ٣ : ٨٢٣ : ٤ : ٩٣٠ : القزويني ٢ : ٢٤٤ : المستوفى ١٨٤ و ١٨٨ : علي اليزدي ١ : ١٥٠ وعن بلاد النور راحس ما كتبه Sir H. Yule في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة ١٠ : ٥٦٩) .

(١٢) لم نثر على ذكر مدينة باسم « اللحوم » لا في المقدسي ولا في غيره من كتب البلدان . الا اننا لاحظنا ، من مراجعة الصمحتين ٣٠٣ و ٣٠٤ في المقدسي ، اللتين ذكرهما المؤلف في حاشيته ، ان ما ذكره من وصف لمدينة زعم ان اسمها « اللحوم » جاء في سياق كلام المقدسي على مدينة غزني في الصمحتين المذكورتين . فقد قال المقدسي في غزني « رخيصة الاسعار كثيرة اللحوم طيبة الفراكه ... » الى آخر النص الذي نقله المؤلف أعلاه وعزاه الى مدينة اللحوم . وهو وهم ولا شك . (م) .

- ٤٦١ -

خَنَكَبُد (أى بوذا الاحمر وبوذا الاشهب) وقيل ليس لهما فى الدنيا نظير *
وتكلم القزوينى على * بيت ذهب *^(١٣) فى الباميان كما تكلم على الصنمين العظيمين
للبد * وذكر أيضا ان بها معادن زئبق وعين كبريت * وخراب الباميان ومدن
كورتها كلها حتى پنجهير ، على ما قد بينا ، انما كان من غضب جنكيزخان
وسخطه لمقتل حفيده العزيز موتوكن بن جغتای فى حصاره الباميان ، فأمر جنكيز
جيشه بتخريب أسوار المدينة وبيوتها ودكها الى الارض * ومنع الناس من العودة
الى بنائها أو العيش فيها * وغیر اسم الباميان الى موبلق ومعناه بلغته التركية :
المدينة الملعونة * وأصبحت الباميان منذ ذلك الحين قفرا بلقعا^(١٤) .

(١٣) ما لى القزوينى « بها بيت ذاهب فى الهواء » (آثار البلاد . ص ١٠٣) (م) *
(١٤) الاسطخرى ٢٧٧ و ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٢٨ ؛ المقدسى ٢٩٦ و ٣٠٣ و ٣٠٤ ؛
ياقوت ١ : ٤٨١ ؛ القزوينى ٢ : ١٠٣ ؛ المستوفى ١٨٨ ؛ أبو الفاضل ١١٤ و ١٤٩ - وللقوف على
وسوم لصنى البد العظيمين فى الباميان ، انظر : Talbot and Maitland فى JRAS
لسنة ٨٨٦ ص ٣٢٣ .

الفصل الثامن

خراسان «تمة»

ربع بلخ في إقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - ناحية الجوزجان - الطالقان
والجوزوان - ميمنة او اليهودية - المارباب ، شبرقان ، انبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - خلم ، سمنجان واندراية - ورواليز
والطايقان - تجارات خراسان وغلالة - السالك في
خراسان وقوهستان .

بلخ ، - « أم البلاد » - قد سمي بها رابع اربع خراسان وما كان من
هذا الربع خارج حد قصبة ، انقسم الى قسمين : الغربي منهما في الجوزجان ،
والشرقي في طخارستان ، ناحيته العظمتين .
وفي المئة الثالثة (التاسعة) تكلم اليعقوبي على بلخ ، وقال انها مدينة خراسان
العظمى ، وكان عليها في متقدم الايام ثلاثة أسوار وثلاثة عشر باباً^(١) . وزاد
المقدسي عليه : « يقال ان اسمها في كتب الاعاجم بلخ البهية » . وفي ظاهر المدينة
ربض النوبهار . وكانت مساحة المدينة ثلاثة أميال في مثلها . وبلخ ، على
ما ذكر اليعقوبي نيف وأربعون منبراً^(٢) . وأشار الاصطخرى الى ان مدينة بلخ
« في مستو وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو أربعة فراسخ ، ويسمى جبل كو » .
وقال ان بناءها من الطين وكذلك سور المدينة . ويحف بالسور خندق عميق .
وكان المسجد الجامع في المدينة في وسطها ، وأسواقها حوالى المسجد الجامع ،

(١) ما في اليعقوبي (البلدان - ص ٢٨٧) : اثنا عشر باباً (م) .

(٢) ذكر اليعقوبي (البلدان ٢٨٨) : ان لبلخ سبعة وأربعين منبراً (م) .

- ٤٦٣ -

ولها نهر يسمى دهاش ومعناه (بالفارسية) على قول ابن حوقل « عشر أرحية » . وهو بعد ان يديرها يمر على باب النوبهار ويسقى رسايقها الى سياه جرد فى طريق ترمذ . ويحف بلخ البساتين وفيها التارنج والتيلوفر وقصب السكر والاعناب ، وتحمل منها الى سائر الجهات . وأسواقها عامرة كثيرة التجار .

وللمدينة سبعة أبواب ، هى : باب النوبهار ، وباب رجة ، وباب الحديد ، وباب الهندوان (أى باب الهندوس) وباب اليهود ، وباب شست بسند (أى باب الستين سداً) وباب يحيى . ووصف المقدسى حسن موقعها وبهاها ويسارها وكثرة أنهارها ورخص أسعارها ووفرة غلاتها وسعة طرقها . وذكر سورها ومسجد جامعها واشراق قصورها . وبقيت بلخ على ما كانت عليه من بهائها هذا وحسنها ، حتى منتصف المئة السادسة (الثانية عشرة) حين استحوذ عليها الخراب أول مرة باستيلاء الفزّ الاتراك عليها فى سنة ٥٥٠ (١١٥٥) . الا انهم بعد أن تخلّوا عنها عاد إليها أهلها وجدّدوا بناء مدينتهم فى موضع آخر مجاور لموضعها الاول ، وما عتمت بلخ ان اسنعات بعض سابق عزّها ، فوصفها ياقوت فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وهى فى حالها هذا ، قيل خرابها الثانى على يد المغول .

أما ربيض بلخ الكبير ، المسمى النوبهار ، وقد كان فيه أيام الساسانيين على ما ذكر المسعودى ، بيت نار من أكبر بيوت المجوس ، فقد جاءنا عن ياقوت وصف طويل له ، نقله عن عمر بن الأثرق الكرمانى . وللقزوبنى وصف مشابه له . كان السادن الاكبر لبيت النار هذا ، يسمى برمك ، وهو جد البرامكة . وكانت هذه الاسرة فى أيام الساسانيين توارث رئاسة الدين الزردشتى فى هذه المدينة . وجاء عن النوبهار انهم اتخذوا بيت النار فيها « مضاهة لست الله الحرام » فى مكة . فزينوا جدرانها بالجواهر النفيسة وعلقوا عليها سنائر الديباج والحرير وكانوا يكتلون بالريحان لا سيما فى وقت الربيع . فمعنى نوبهار أول الربيع وبواكيره . وفيه يكون الحج الى هذا البيت . وكان على البناء قبة عظيمة يسمونها الاستن ، وارتفاعها فوق مئة ذراع بأروقة مستديرة حولها ، وكان حول البيت ثلاثمائة

وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدنته . وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا . وكانت الاعلام تنصب على أعلى قبة . ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذى فوق القبة مسافة لا تصدق . وكان فى هذا البيت كثير من الاصنام ؛ بينها الصنم الاكبر ، يحج الناس اليه من كابل ومن الهند والصين ، فيسجدون له ثم يقبلون يد يرمك السادن الاكبر . وكان ما حول النوبهار من الارضين سبعة فراسخ فى مثلها وقفا على هذا البيت تفلّ مالا عظيما . ولما افتتح الاخنف بن قيس بلاد خراسان فى أيام عثمان بن عفان ، نقض بيت النوبهار العظيم وأدخل أهلها فى الاسلام^(٣) .

وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) دمر المغول مدينة بلخ . وذكر ابن بطوطة ان جنكيزخان « هدم من مسجدها نحو الثلث بسبب كنز ذكر له انه تحت سارية من سواريه » . ولما زار ابن بطوطة هذه الناحية فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت بلخ « خاوية على عروشها غير عامرة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم » . يزورها أهل التقي والورع . وكثيرا ما تردد ذكر بلخ فى أخبار حروب تيمور ، فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وهذا يدل على انها استعادت حينذاك شيئا من سالف مجدها . وكان تيمور قد جدّد القلعة التى فى ظاهر أسوارها المعروفة بقلعة الهندوان أى قلعة الهندوس ، وأخذت مقاما لعامله عليها . ثم انه جدد بناء قسم كبير من المدينة القديمة .

أما اليوم ، فان بلخ تعد من أجل مدن أفغانستان الحديثة . وفيها المزار العظيم المشهور المعروف بـ « مزار شريف » حيث دفن على ما يقال ، الخليفة علي

(٣) اليعربى ٢٨٧ و ٢٨٨ : الاسطخرى ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٩ : المقدسى ٣٠١ و ٣٠٢ : المسعودى ٤٨٠ : ياقوت ١ : ٧١٣ : ٤ : ٨١٧ و ٨١٨ . القزوينى ٢ : ٢٢١ -

ترجم هذه النبذة الفريفة عن النوبهار بحدافيرها ، باربييه دى مينار Barbier de Meynard فى مجله Dictionnaire Géographique de la Perse من ٥٦٩ . واستنتج السر هارى رولنسن (H. Rawlinson) من وجود الاصنام الكبيرة والصغيرة والاعلام (المقدسة) ان النوبهار ، كان فى الاصل ، معبدا بوذيا - فسر اسمه بـ « نونهاره » « أى فهار الجديد » - او هيرا بوذيا . انظر JRGS لسنة ١٨٧٢ من ٥١٠ .

- ٤٦٥ -

- ويسمى شاه مردان « أى ملك الرجال » - • وعلى قول خواندميز ، ان هذا القبر الوهمى لعلي الشهيد قد اكتشف فى سنة ٨٨٥ (١٤٨٠) يوم كان ميرزا بيقرا حفيد تيمور واليا على بلخ • ففى السنة المذكورة أطلع ميرزا بيقرا على كتاب تاريخ كتب فى أيام السلطان سنجر السلجوقى ، جاء فيه ان عليا مدفون فى قرية خواجا خيران وهى تبعد ثلاثة فراسخ عن بلخ • وبناء على ذلك ، ذهب الوالى الى تلك القرية ، ليتحرى الامر فاكتشف لوحا فيه ما نصه بالعربية : « هذا قبر أسد الله ووليّه علي أخى (عوضا عن ابن عم) رسول الله » • فأقيم على هذا القبر مزار عظيم ، وصار منذ ذلك الحين مكرما عظيم التكريم لدى أهل آسية الوسطى ، وهو ما زال من المواضع الشريفة التى تزار^(٤) •

وكانت الجوزجان (الجوزجان أو جزجانان) الناحية الغربية من ربع بلخ ، وبها يمرّ الطريق من مرو الروذ الى مدينة بلخ • وكانت فى الصور الوسطى من أعمر النواحي وأكثرها أهلا ، فيها مدن كثيرة لم يبق منها اليوم غير ثلاث تعرف بأسائها القديمة • أما مواضع المدن الاخرى فقد ذكرها بلدانيو العرب ، ومن الممكن تعيينها بالاستناد الى كتب المسالك • ومع ان اسماءها قد تبدلت ، غير ان الخرائب ما زالت تعين مواضعها القديمة • وكانت هذه الناحية عظيمة الخصب كثيرة التجارات ، وأكثر ما كان يرتفع منها الجلود المدبوغة التى تحمل الى سائر خراسان^(٥) •

وعلى ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ ، مدينة الطالقان • ولم يبق لهذا الاسم ذكر فى الخارطة • غير ان المرتفعات وبقايا الآثار بالقرب من چاچكتو ، قد تعين موضعها • وكانت الطالقان فى المئة الثالثة (التاسعة) مدينة جليّة الشأن • قال اليعقوبى « بها تعمل اللبود الطالقانية » • وهى بين جبلين عظيمين ، بها مسجد جامع واسع • وفى المئة التالية لها ، قال الاصطخرى « الطالقان مدينة نحو من

(٤) ابن بطرطة ٣ : ٥٨ و ٥٩ ؛ على اليردى ١ : ١٧٦ ؛ خواندميز ٣ (الجزء الثالث) ص ٢٣٨ ؛ C.E. Yate فى كتاب الفانستان ص ٢٥٦ و ٢٨٠ • (انتهى) •

قلنا : وراجع مادة « بلخ » فى دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية ٤ : ٧٨ - ٨١) • (م) •

(٥) الاصطخرى ٢٧١ : ابن حوقل ٣٢٢ : المقدسى ٢٩٨ : ياقوت ٢ : ١٤٩ •

- ٤٦٦ -

مرو الروذ فى الكبر • وهى أصحّ هواءً وبنائها من طين • وكان بالقرب منها قرية جندوينة وفيها على ما قال ياقوت وقعت فى المثة الثانية (الثامنة) • أول وقعة بين أصحاب أبى مسلم الخراسانى (داعى العباسيين) وبين أصحاب بنى أمية ، وهى وقعة مشهورة لها ذكر • وبعد مضى زمن يسير على ما كتبه ياقوت ، استولى جنكيزخان على الطالقان فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) بعد أن حاصرها سبعة أشهر ، وقتل جميع أهلها وسوى قلعتها بالارض •

وكانت الجرزوان بين الجبال - وهى أشبه شىء بمكة ، لانها بين جبلين - وفيها كان أمير الجوزجان يقضى أيام الحر • واسم المدينة بهذه الصورة ، انما هو بحسب تسمية العرب لها • أما الفرس فيقولون كرزوان • وكانت تكتب أيضا جرزبان أو كرزبان • وهى بين الطالقان ومرو الروذ فى ما كان من نحو تخوم الغور • قال ياقوت « هى مدينة آهلة ، وأهلها كلهم مياسير » • ولا يرى اليوم فى الخارطة موضع بهذا الاسم • الا ان الخرائب المعروفة بقلعة والى ، تشير فى أكثر الاحتمال اليها (٦) •

أما مدينة ميمنة ، وهى على مرحلتين مما بلى الطالقان فى طريق بلخ ، فما زالت مدينة عامرة • وكان يقال لها فى العصور الوسطى اليهودان أو اليهودية • وكانت تعد فى الغالب قصبة الجوزجان • قال ابن حوقل ان لمسجدها الجامع متارتين • ذكر ياقوت ، وقد أورد أسماها بصورة يهودان الكبرى أيضا ، ان اليهود لما أخرجوا من البيت المقدس فى أيام بختنصر كانوا أول من نزل موضعها • ثم بدل اسمها الى ميمنة « أى المدينة الميمونة أو الموقفة » تيمناً بذلك ، لأن اسم اليهودية يأباه المسلمون • وما زالت تعرف باسم ميمنة الى هذا اليوم • والظاهر

(٦) البقوى ٢٨٧ : الاصطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ياقوت ٢ : ٥٩ و ١٢٩ : ٣ : ٤٩١ : ٤ : ٢٥٨ : أبو المازى ١١٤ : G.E. Yâle : افغانستان ١٥٧ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ٢١١ -

تبعد خرائب جاجكتو (الطالقان) ٤٥ ميلا فى العصر الحطوط عن بالامرغاب (مرو الروذ) وهى تعادل مسيرة ثلاثة أيام فى أرض جبلية من الموضع الاخير الى الطالقان - وقد ذكر على اليزدى اسم جاجكتو (وكبها : جيجكتو) فى أحبار حروب تيمور (١ : ٨٠٦ : ٢ : ٥٩٣) ولكنه لم يذكر الطالقان • وترى خرائب قلعة والى (لعلها الجرزوان) على ٢٧ ميلا من بالامرغاب وهناك موضع آخر قد يشير الى نقايها العظيمة بالقرب من تحت خاتون • فلعل أحد هذين الموصفين هو كرزوان ، وما يحسن ذكره انها كانت دار صرب للنقود فى أيام ملوك خوارزمشاه •

ان المستوفى ذكر ميمنة أيضا في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي بلدة وسطية من البلاد الحارة ، ينمو فيها القمح والفواكه والتمور ، وماؤها من نهر قريب منها . ولعل هناك بعض الالتباس بين ميمنة الجوزجان هذه وميمند ، عوضا عن ميوند في زابلستان ، في نصف الطريق بين كَرَشَك وقندهار . وظهر مثل هذا الالتباس في صفحات معجم ياقوت وقد كتب عن ميمند غزنة قال هي « بين باميان والغور » ويريد بذلك على ما يبدو ميمنة أي اليهودية ، وعلى مرحلة من اليهودية أي ميمنة ، كانت مدينة كندرم ، وتكتب أيضا كندردم . وهي على ما ذكر اليعقوبي « يسكنها ملك الجوزجان » . وقال الاصطخرى « كندردم في الجبل ، وهي مدينة كثيرة الكروم والجوز ولها مياه كثيرة » (٧) .

ومن أجلّ مدن الجوزجان في العصور الوسطى : الفارياب . ولم يبق لاسمها ذكر في الخارطة . الا انه يؤخذ من وصف كتب المسالك لموضعها ، ان خرائبها قد تطابق ما يعرف اليوم بـ « خراباد » حيث توجد قلعة قديمة تحيط بها تلّول من الآجر . كانت الفارياب ، على ما ذكر ابن حوقل ، في المئة الرابعة (العاشر) ، مدينة أصغر من الطالقان ، الا انها أكثر بساتين ومياها ، وأصح هواءً منها ، « جامعة للصنائع والتجارة » وليس لمسجد جامعها منارة . « أما ياقوت ، وقد كتب اسمها فارياب ، فانه ذكر موضعها بالنسبة الى الطالقان وشبورقان ، ولم يزد شيئا على ذلك . وفي سنة ٦١٧ (١٢٢٠) أي بعد مقامه فيها شيء يسير ، خرب المفلول مدينة الفارياب عن آخرها . ولم يذكرها المستوفى الا لملأ . وكان بين اليهودية والفارياب ، على قول ابن حوقل ، مدينة مرسان^(٨) . وكانت « تقارب اليهودية في الكبر » في المئة الرابعة (العاشر) . ولعلها تطابق قرية نريان التي ذكرها ياقوت في ما يشبه هذا الموضع . وفي هذه البلاد الجبلية كانت بلدة سان الصغيرة ، قال فيها ابن حوقل لها بساتين كثيرة مثمرة بها الأعناب والجوز ،

(٧) اليعقوبي ٢٨٧ ؛ الاصطخرى ٢٧٠ و ٢٧١ ؛ ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ ؛ ياقوت ٢ : ١٦٨

٤ : ٧١٩ و ١٠٤٥ ، المستوفى ١٨٥ . C.E. Yate ، افغانستان ٣٣٩ .

(٨) رجعتنا الى ابن حوقل في طبعته الثانية (ص ٤٤٢ و ٤٤٣ ، المقابلة لصفحة ٣٢٢ من طبعته الاول) فلم نعثرفيه على مدينة باسم مرسان . بل انه تكلم على مدينة « سان » فقط في ثلاثة مواضع . كما ذكر مدينة باسم « نريان » مما يدل على انها مدينتان لا مدينة واحدة . (م) .

• ومياها وافرة^(٦) •

وشبرقان ، وجاء اسمها بصورة أشبورقان ، أو أشبرقان ، وكذلك شبورقان أو سبورغان ، ما زالت قائمة ، صارت في المئة الثالثة (التاسعة) مرة قاعدة الملك في ناحية الجوزجان ، ثم انتقلت منها الى اليهودية (ميمنة) وكانت حينذاك تقاربها كبرا • وبساتينها ومزارعها في غاية الخصب ، كثيرة الفواكه ، تحمل منها الى سائر الانحاء • وقال ياقوت ، وقد كتبها بصورة شبرقان وشفرقان وشبورقان ، انها كانت في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) في أيام الغزو المغولي « عامرة آهلة يقصدها التجار ويبيعون فيها الامتعة الكثيرة » • وتكلم عليها المستوفى بعده بقرن بما يشبه ذلك ، جامعا بين شبورقان وفارياب ، وقال ان القمح فيها كثير رخيص •

وعلى يوم جنوب شبورقان ، في نحو من المسافة نفسها شرق اليهودية ، مدينة أنبار ، وكُتبت أيضا أنبير • قال فيها ابن حوقل : هي أكبر من مرو الروذ وبها مقام سلطان تلك الناحية في الشتاء • ولم يبق مدينة باسمها اليوم ، غير انه يؤخذ من موضعها ان أنبار قد تطابق سرپول في أعلى نهر شبورقان ، وهذه ما زالت ذات شأن • وكانت الكروم تحف بأنبار ، وبنائها من طين • وتعد في الغالب أكبر مدن الجوزجان ، ولعلها هي البلدة التي زارها ناصر خسرو في طريقه الى شبورغان وجعلها قسبة الجوزجانان ، وتكلم على مسجدتها الجامع العظيم ، وأشار الى ادمان أهلها شرب الخمر • وفي البرية ، شمال غربي شبورقان ، مدينة أندخوى ، وقد كتب البلدانون الاولون اسمها بصور مختلفة : أندخذ ، أدخود ، أنخذ ، وقال ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) انها « مدينة صغيرة في مقالة لها سبع قرى وبيوت للأكراد من أرباب الاغنام ، ولهم ابل » • وذكرها ياقوت دون أن يزيد شيئا على ما تقدم • وكثيرا ما ورد اسمها أيضا في أخبار حروب

(٦) الاسطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ ، ناصر خسرو ٣ : ياقوت ٣ : ٨٤٠ و ٨٨٨ : ٤ : ٧٧٥ : المستوفى ١٨٨ : الغانستان ٢٣٣ •

وقد سمي ناصر خسرو فارياب الجوزجان بـ « ده يارياب » وكان مر بها حين ذهابه من شابرغان الى الطالقان • وذكرها جهان نسا بصورة باراب (ص ٣٢٤) • ويحيى ان لا يلتبس اسمها بفارياب التي يقال لها أيضا باراب ، وهي اترار على نهر مسيخون على ما سنبينه في الفصل الرابع والثلاثين •

تيسور (١٠) .

وناحية طخارستان العظيمة ، فى شرق بلخ ، ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان . وتحدها من الجنوب الجبال التى فى شمال الباميان وبنجهير . وكانت تنقسم الى قسمين : طخارستان العليا وهى فى شرق بلخ فى محاذة نهر جيحون ، وطخارستان السفلى وهى فى جنوبها الشرقى على حدود بدخشان . وقد ذكر بلدانيو القرون الوسطى عددا من مدن طخارستان ، ولكنهم لم يأتوا بشيء كثير عنها ، ولهذا اذا استئينا المدن التى ذكرتها كتب المسالك ، وما زالت قائمة ، تعذر علينا معرفة مواضع معظم المدن الاخرى .

وعلى يمين من شرق بلخ ، مدينة خلم . وصفها المقدسى بقوله « صغيرة » الا ان قراها ورستاقها ومزارعها كثيرة ، وهواءها صحيح . وعلى يمين أيضا من خلم ، سمنجان ورؤب وهما متصاقتان . ولعل مدينة هيبك الحالية تمثل كليهما وهى جنوب مدينة خلم القائمة فى أعلى نهر خلم . قال المقدسى : « سمنجان أكبر من خلم ، بها منبر واحد وبها ثمار » . وقال ياقوت فيها انها بين شعاب ، وقد نزلها عرب من بنى تميم . وذكر المستوفى سمنجان بقوله : انها مدينة كبيرة وكانت خرابا فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكن القمح يزرع فيها بكثرة وكذلك القطن والعنب . وذكرها علي اليزدى بصورة سمنكان فى سياق وصفه لزحف تيسور من خلم الى حدود الهند .

وفيما يلى سمنجان ، فى جنوبها الشرقى كانت بقلان : العليا والسفلى والاخيرة كانت القصبة ، على ما ذكر المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) وبها جامع . ويظهر ان بقلان ، أو بقلان ، بحسب تهجئة علي اليزدى لاسمها ، كانت تتاخم طريق اندراب وهى اندراب ، وقد وصفها المقدسى بقوله « لها أودية مشجرة وبها أسواق حارة » . وكانت هذه الاودية فى سفوح جبل بنجهير الشمالية ، وفيها معدن الفضة على ما ذكر ابن حوقل ، وقال أيضا ان نهر أندراب

(١٠) البقوى ٢٨٧ : الاصطخرى ٢٧٠ و ٢٧١ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ناصر خسرو ٢ : ياقوت ١ : ٣٦٧ و ٣٧٢ : ٣ : ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٨٤٠ : المستوفى ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ : علي اليزدى ١ : ٨٠٥ : ٢ : ٥٩٣ : C.E. Yate : افغانستان ٣٤٦ .

ونهر كاسان ، ينحدران من هذه الناحية • ولم يزد ياقوت شيئا على ما مر ذكره ، وقد كتب اسمها بصورة أندراب أو أندرابة^(١١) •

ونهر خلم ، لا يصب في جيحون • بل تنفى مياهه في المنافع على بضعة أميال شمال خرائب المدينة القديمة • وفي عدوة جيحون القرية من خلم ، كان رباط حصين منيع في المئة الرابعة (العاشرة) يقال له رباط ميلا ، حيث يعبر الطريق الاتى من بلخ ، النهر العظيم الى ما وراء النهر وبلاد الختل في ثلاث مراحل • وعلى مرحلتين من شرق خلم ، كانت ورواليز أو ورواليج ، وقد وصفها ابن حوقل وغيره بأنها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة ، وليس هناك اليوم مدينة قائمة بهذا الاسم ، الا ان موضعها ، بناء على وصف كتب المسالك ، ينبغي ان يكون قريبا جدا من موضع قندز • ولم يصف ياقوت الى ذلك شيئا الا انه وهم ، على ما يظهر ، في كتابة اسمها فجعله وزوالين ، كما ان قندز لم يذكرها ياقوت ولا غيره من البلدانين الاولين ، ولا ريب ان اسمها مختصر من قهندز اللفظة الفارسية الدارجة للقلعة • وعلى ذلك فان قندز قد تكون القلعة القديمة لورواليز^(١٢) •

وعلى يومين من شرق ورواليز ، مدينة الطايقان أو طالقان طخارستان وهى ما زالت قائمة (وينبغى ان لا يلتبس اسمها مع طالقان الجوزجان وقد مر وصفها في صفحة ٤٦٦) كانت في المئة الرابعة (العاشرة) من أعمر مدن هذه الناحية وأكثرها سكانا • وذكرها المقدسى بصورة الطالقان ، وان كانت الطايقان الصينة المفضلة لاسمها • وقال « لها سوق كبير » وكانت « في مستواة » وبينها وبين الجبل غلوة ، وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) نحو من ثلث بلخ • يسقيها نهر يأخذ من جيحون يقال له مُختَلَاب (وقد كتب أحيانا خيلا ب) ونهر و تراب (أو تراب ، فانه يشك في قراءة هذين الاسمين) • والظاهر ان هذا النهر كان من فروع

(١٢) الاصطخرى ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٣٢ : المقدسى ٢٩٦ : ياقوت ٣ : ٥١٨ ، ٨٢٧ : ٣ : ١٤٢ و ٥١٨ : المستوفى ١٨٨ : على اليزدى ٢ : ١٩ G. E. Yate : ٣١٧ • وأنظر الغارطة رقم ١ مقابل الفصل الاول ، لمعرفة مواضع هذه الامكنة •
(١١) الاصطخرى ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ : المقدسى ٢٩٦ و ٣٠٣ : ياقوت ١ : ٣٧٢
٩٢٦ : ٤

- ٤٧١ -

نهر ختلاب ويلتقى به فوق قنذر • وكانت هذه البقعة فى غاية الخصب والنزهة
يكثر فيها ، على ما ذكر المستوفى ، القمح والفواكه • وكان جل سكانها فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) من الحاكة • وكان لها حينذاك قلعة منيعة ، حولها رساتيق
كثيرة الزرع ، يكثر فيها العنب والتين والخوخ والفسق • وقد ذكر علي البيزدي
الطايقان غير مرة فى حديثه عن حروب تيمور • وعلى سبعة أيام من شرقها ، على
ما ذكر البلدانون الاولون : بذخشان ، وستنوه بها فى الفصل القادم^(١٣) •

وأشهر تجارات خراسان ، على ما نوه ابن حوقل ، ما يرتفع من نيسابور
ومرو من ثياب القطن والابرسم • وتكثر فيها الابل والغنم وهى رخيصة ،
« وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك » - فقد بيع الرقيق ، غلاما كان أو جارية ،
على قوله ، بخمسة آلاف دينار (نحو ٢٥٠٠ باون) - والاطعمة فيها وافرة وسرد
المقدسى غير ذلك من التجارات فذكر ان نيسابور كانت مجمع الصناعات • فمنها
« ترتفع الثياب البيض والعمائم الشهبانية الحفية والراخنج والتاخنج والمقانع وبين
الثوبين والملاحم بالقز والمصمت والعابى والسعيدى والظرائفى والحلل وثياب
الشعر والقز » • ويرتفع من نيسابور أيضا الحديد وغير ذلك كالابر والسكاكين •
وبساتين نيسابور مشهورة بالتين والكمأة والراوند • ومن جبال رستاق ريوند
فى نيسابور يرتفع معدن الفيروزج •

ويرتفع من نسا وأبيورد : القز وثيابه وما تتسجه النساء فى رساتيقهما •
ويرتفع منهما أيضا فراء الثعالب • وفى نسا نوع من البزاة ، وفيها سمسم كثير •
ويرتفع من طوس البرام الفائقة والحصر والجوب والتكك الحسنة والابراد
الجيدة • ومن هراة البز الكثير والديباج • ويرتفع منها « الزبيب ودوشاب » وناطفه
والبولاذ والفسق • • ويرتفع أيضا من هراة الحديد • ومن غرج الشار البلاد
الجبلية : اللبود والبسط الحسان والحقائب والسروج والذهب والخيل الجيدة
والبغال وتحمل منها الى سائر الانحاء •

(١٣) ابن رسته ٩٣ : الاصلحى ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ ؛ ابن حوقل ٣٢٦ ؛ المقدسى
٢٩٦ و ٣٠٣ ؛ ابو الفداء ٤٧٢ ؛ يافوت ٣ : ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ؛ المستوفى ١٨٨ و ١٨٩ ؛ علي البيزدي ١ : ٨٢
و ١٧٩ - وجاءت تهجئة هذا الاسم (بال وبدونها) بصورة طايقان وطايقان مثل اسم
المدينة التى فى الجوزجان •

- ٤٧٢ -

ويرتفع من مرو القز والابريسم والقطن ومنها تعمل المقانع وأنواع الثياب • ويرتفع من رساتيقها الشيرج والتوابل والطور والمن • وتصنع فيها أواني النحاس • « وليس في الدنيا مثل خبز مرو ولا نظير له في أقاليم الاعاجم » • ويرتفع من بلخ السمس والارز واللوز والجوز والزبيب وصابونها مشهور • ويعمل العسل فيها من العنب والتين ولب الرمان ، ويحمل منها الدوشاب والسمن • وفي أطرافها معادن الرصاص والزاج والكبريت والزرنينخ وطيوب بلخ مشهورة وكذلك الكركم والادهان • ويحمل منها الجلود المدبوغة والحلل • ويرتفع من ترمذ في ما وراء النهر الصابون والحلث • ويحمل من ورواليج الى بدخشان ، على ما ذكر المقدسي ، من أنواع الفواكه الجوز واللوز والفسق والكشمري وكذلك كثير من الارز والسمسم • ويحمل منها أيضا الجبن والسمن والقرون والفراء ولا سيما جلود الثعالب^(١٤) •

أما المسالك التي كانت تخترق خراسان وقوهستان فهي : طريق خراسان العظيم ، وكان يدخل خراسان مما يلي بسطام (في قومس • أنظر ص ٤٠٥ - ٤٠٦) وكان من هذا الموضع الى نيسابور طريقان : الشمالي وهو طريق القوافل من بسطام الى جاجرم ثم منها مارا بأزادوار مخترقا بركة جوين الى نيسابور ، وهو الطريق الذي وصفه المستوفي ، ووصف بمضه الاصطخرى وابن حوقل • والطريق الجنوبي ، وهو أقصرهما ، هو طريق البريد الى نيسابور • وكان يبدأ من بدش ، وقد مر ذكرها (ص ٤٠٨) ، وكانت على فرسخين من بسطام • وهذا الطريق يتأخم الجبال ، والمفازة على يمينه ، ويصل الى اسداباد ثم يجتاز بهمن اباد أو مزيان ، وعندها يتفرع منه طريق نحو الشمال الى ازادوار • ويتابع طريق البريد سيره شرقا فيجتاز سزوار حتى يصل نيسابور وهذا هو الطريق الذي وصفه ابن خرداذبه وجميع كتب المسالك القديمة • وكان من اسداباد الى الجنوب الشرقي ، على ما ذكر المقدسي ، طريق يقطع هذا الطرف من المفازة العظمى ، طوله ثلاثون فرسخا الى ترشيز في قوهستان • أما الطريق من نيسابور الى ترشيز ، فقد

(١٤) الاصطخرى ٢٨١ : ابن حوقل ٣٣٠ : المقدسي ٣٢٣ - ٣٢٦ •

- ٤٧٣ -

ذكره ابن خرداذبه والمقدسى ، كما ذكر المقدسى مراحل الطريق من نيسابور شمالا الى نسا^(١٥) .

وعلى مرحلة مما يلي نيسابور ، عند قصر الريح ، أى دزباد ، ينشطر طريق خراسان شطرين • الايمن وهو الجنوبى الشرقى ، ينزل الى هراة وسنأتى على وصفه فى الفقرة الآتية • ومن قصر الريح ينطف الطريق الى اليسار فالى الشمال الشرقى الى المشهد وطوس • ومنها عن طريق مزدران الى سرخس عند معبر نهر تَجَنَسَد • ومن سرخس يقطع المفازة الى مرو الكرى ومنها يخترق المفازة ثانية حتى يصل ضفة جيحون عند آمل (أى چهار حوى) • ثم انه اذا غادر خراسان ، وقع منتهاه فى بخارا • وقد جاء وصف هذا القسم من طريق خراسان من نيسابور الى آمل عند معبر جيحون فى جميع كتب المسالك تقريبا مع اختلاف طفيف • وما زال أكثر مراحل قائما الى اليوم معروفا بأسمائه القديمة^(١٦) .

مر بنا القول ان طريق خراسان ينشطر من يمينه طريق على مرحلة مما يلي نيسابور ، ومنها يبلغ هراة • وكان ينشطر من يمينه أيضا طريقان عند سرخس ومرو ، يذهب كلاهما الى مرو الروذ ، وكان ينتهى الى هذه المدينة أيضا طريق من هراة ضارب الى الشمال • ومن مرو الروذ ، كان طريق خراسان الكبير يتجه الى الشمال الشرقى نحو بلخ ، فاذا تجاوزها عبر نهر جيحون الى ترمذ • فاذا أخذنا أولا طريق هراة من موضع انشطاره عند قصر الريح ، نجد انه يصل الى بوزجان فى أربع مراحل ، وفى مثل هذه المسافة الى بوشنج • ثم الى هراة فى مرحلة يوم • وقد وصف هذا الطريق ابن رسته وبلدانيو المثة الرابعة (العاشرة) وكذلك المستوفى • ويخرج من بوزجان ومن بوشنج طريقان نحو الجنوب الغربى والغرب ، يجتمعان فى قايين • وقد أورد الاصطخرى وغيره

(١٥) ابن خرداذبه ٢٣ و ٥٢ ؛ قدامة ٢٠١ ؛ ابن رسته ١٧٠ (ولية تفاصيل هذا الطريق) ؛ الاصطخرى ٢١٦ و ٢٨٤ ؛ ابن حوقل ٢٧٥ و ٣٣٣ ؛ المقدسى ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٤٩١ ؛ المستوفى ١٩٦ .
(١٦) ابن خرداذبه ٢٤ و ٢٥ ؛ قدامة ٢٠١ و ٢٠٢ ؛ ابن رسته ١٧١ ؛ البقوى ٢٧٩ ؛ المقدسى ٣٤٨ و ٣٥١ ؛ المستوفى ١٩٦ (وقد وصف الطريق حتى سرخس) .

- ٤٧٤ -

المسافات بين مدن قوهستان المختلفة • وتجتمع في قايين أيضا الطرق الآتية من طبس وخور على حدود المفازة الكبرى^(١٧) •

ومن هراة ينزل الطريق جنوبا الى زرنج مارا باسفرار قاطعا حد سجستان بين تلك المدينة وفره (أنظر ص ٣٧٩ أعلاه) ، وقد جاء وصف هذا الطريق في ابن رسته والبلدانيين الثلاثة من أهل المئة الرابعة (العاشرة) • والطريق من هراة شرقا يصعد في وادي هري رود الى حد النور ، وقد ذكر هؤلاء البلدانيون أنفسهم أسماء ما فيه من مدن ، بين المدينة والمدينة يوم • وذكر بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) أيضا ، مسافات الطريق من هراة فكروخ الى شرمين واشين في غرجستان بالايام • ثم ينحدر الطريق الى نهر مرغاب فيصل الى مرو الروذ • وجاء ذكر الطرق الى مرو الروذ أو قصر الأخنف (مروچك) التي تجتاز باذغيس مارة ببغشور ، قصبتها) في الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، وكذلك في المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة)^(١٨) •

وكان يجتمع في مرو الروذ طريقان : من سرخس ومن مرو الكبرى . يقطع أولهما المفازة بين النهرين الكبيرين • والثاني يصعد مع نهر مرغاب مارا بالاراضى الخصبة وبما على ضفافه من مدن • اما طريق المفازة الذى يمر بجملة رباطان ، فلم يذكره غير المقدسى ، وقد نقل عنه المستوفى وجهان نما الكتاب التركى • وذكر ابن خرداذبه وقدامة الطريق من مرو الكبرى الى نهر مرغاب وكذلك المقدسى ولكن وصفه كان لغير هذا الطريق^(١٩) •

ومن مرو الروذ الى بلخ ، ذكر ابن خرداذبه وكتب المسالك القديمة طريقا يخرق ناحية الجوزجان ويمر بالطالقان ، ومنها الى بلخ مارا اما بفارياب وشبورقان ، واما باليهودية (ميمنة) وأنبار • وذكره الاصطخرى والمقدسى مع

(١٧) ابن رسته ١٧٢ (وفيه تفاصيل الطريق بدون ذكر المسافات) ؛ الاصطخرى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٥ ؛ المقدسى ٣٥١ و ٣٥٢ ؛ المستوفى ١٩٧ •
(١٨) ابن رسته ١٧٣ و ١٧٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٨٥ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٣٤ ؛ المقدسى ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ ؛ المستوفى ١٩٨ •
(١٩) ابن خرداذبه ٣٢ ؛ قدامة ٢٠٦ ؛ المقدسى ٣٤٧ و ٣٤٩ ؛ المستوفى ١٩٦ ؛
جهان لما ٣٢٩ -

بيان المسافات بالمراحل • وذكر المستوفى طريقا من مرو الروذ الى بلخ شىء من الاختلاف ، كان يمر فى غرب كل من الطالقان ، وتبعد عن يمين الطريق ستة فراسخ ، والفارياب وتبعد فرسخين عن يمينه أيضا ، فيصل الى شبورقان ، ثم يعبر قنطرة جموخبان الى بلخ • وقد نقل جهان نما هذا الوصف للطريق • ومن بلخ كان الطريق يصل الى نهر جيحون عند موضع منه بازاء ترمذ فى مرحلتين مارا بسياء جرد^(٢٠) •

ومن شرق بلخ ، يضرب الطريق الى حدود بدخشان مارا بخلم والطايقان • ويتفرع منه طريق من خلم يتجه نحو الجنوب الشرقى الى اندرابة ومعادن پنجهر شمال كابل • وقد أجمل الاصطخرى والمقدسى أيضا ذكر طرق من بلخ مجتازة الجبال الى الباميان ، ثم منها نحو الجنوب الى قصدار مارة بغزنة • ويفرع من غزنة طريق نحو الشرق الى حدود الهند • الا انه يشك فى مراحل هذه الطرق ، لان الامكنة المسماة بها غير معروفة^(٢١) •

(٢٠) ابن خردادبه ٣٢ ؛ مداة ٢١٠ ؛ الاصطخرى ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ٣٢٢ ، المقدسى ٣٤٦ و ٣٤٧ ؛ المسنوى ١٩٧ ؛ جهان نما ٣٢٩ •
(٢١) الاصطخرى ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ٣٣٤ و ٣٣٥ ، المقدسى ٣٤٦ و ٣٤٩ و ٤٨٦ •

الفصل الحادي والتسعون

ما وراء النهر

(نهر جيحون)

- بلاد ما وراء النهر إجمالاً - اسماً جيحون (Oxus) وسيحون (Jaxartes)
- روافد نهر جيحون العليا - بدخشان ووخان - الغنل والوخش - القباذيان
- والصغانيان ومدنهما - فنطرة الحجرة - ترمذ - الأبواب الحديد -
- كالف واخسيسك وفربر - بحر آرال أى بحيرة
- خوارزم - الجهاد ماء جيحون شتاء .

كان نهر جيحون القديم يعدّ الحدّ الفاصل بين الاقوام الناطقة بالفارسية والتركية ، أى إيران وتوران . فما كان فى شماله ، أى ورائه ، من أقاليم ، قد سماها العرب ما وراء النهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سموها الهيتل . وقد كان الهياطة فى المئة الخامسة للميلاد أعدى أعداء الدولة الساسانية . وهم الافثلاطيون (Ephthalites) لدى المؤلفين البزنطيين ، ويعرفون بالهون البيض . على ان مصنفى القرون الوسطى من العرب ، كانوا لا يتقيدون فى استعمال اسم الهيتل فقد أطلقوه اعتباطاً على جميع الشعوب والبلاد التورانية فى ما وراء جيحون وعلى ذلك جرى المقدسى فى استعماله اياه .

وقد يكون من الملائم تقسيم هذه البلاد بين خمسة أقاليم . أجملها شأنًا كان الصغد ، وهو صفديانا (Sogdiana) القديمة مع قصبته بخارا وسمرقند . وفى غرب الصغد : خوارزم ، وهو الاقليم المعروف اليوم بـ « خيوه » . ويشتمل على دلتا نهر جيحون . وفى الجنوب الشرقى : الصغانيان ومعه الحنل وغيرهما

- ٤٧٧ -

من الكور الكبيرة التي في أعلى نهر جيحون . وإليه أيضا تعود بذخشان ، وإن وقعت في ضفته اليسرى أي الجنوبية ، فإن المنعطف الكبير للنهر فيما وراء طخارستان يكاد يطوقها . ثم أقليما نهر سيحون ، وهما فرغانة في أعلى النهر وأقليم الشاش (وهو اليوم تاشكند أو طشقند) مع النواحي التي في الشمال الغربي الممتدة حتى مصب سيحون في منافع بحر آرال .

وأطلق العرب في القرون الوسطى على نهر أوكسس Oxus ونهر جكرترس Jaxartes اسمي : جيحون وسيحون على ولاء . وهما كدجلة والفرات يعدان من أنهار الجنة حسب ما يروى . ويعتور القموض أصل هذين الاسمين ، انما يبدو ان العرب قد اقتبسوهما من اليهود . فيجيحون وسيحون ليس الا صورتين مصحقتين لاسمي النهرين المذكورين في سفر التكوين (٢ : ١١ و ١٣) : جيحون (جيحون Gihon) وفيشون (يسنون Pison)^(١) .

وفي أواخر العصور الوسطى ، في نحو من زمن الغارة المغولية ، كاد يبطل استعمال اسمي جيحون وسيحون . فعرف نهر اكسس في الغالب بـ « أمويه » أو « أمودريا » أما جكرترس فعرف بـ « سيرديا » ، على ما سنبينه في فصل قادم . وأصل لفظة أمويه أو أمو غير واضح كل الوضوح فحافظ أبرو فسره بأنه ليس الا اسم مدينة وكورة على ضفة جيحون من جانب خراسان كتبت في الاصل بصورة آمل (وهي چهار جوى . أنظر ص ٤٤٥-٤٤٦ أعلاه) . ولعل أمر ذلك بالعكس ، فيكون التفسير الصحيح ان مدينة آمل ربما سميت أمويه أو أمو نسبة الى اسم محلي (فارسي) للنهر العظيم ، شاع استعماله وحل محل اسم

(١) الاصطلاحى ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٥ : ابن حوقل ٣٣٥ و ٣٤٧ و ٣٤٨ : المقدسى ٢٦١ - ٢٦٨ .
وقد حرف هذان الاسمان تحريفا طعيفا الى سيحان وجيحان ، وأطلقا على ما قد بينا (ص ١٦٣) ، على يرامس وسارس . وهما النهران اللذان يحدان فليقية أمام بلاد الروم . وقد اشتق هذان الاسمان ، على ما يظهر ، من لغة غريبة ، ولا تعرف معنيهما . وقد صيغ اسم سيحون وجيحون على وزن ذى سجع ونغم واحد ، كما جرى الامر على أسماء دخيلة كثيرة غيرها ، مثال ذلك الاسماء الواردة في القرآن والحديث وهي : قابيل وهابيل (Able , Cain) وطالوت وحالوت (شاول وجلياد) وياجوج وما جوج (Magog , Gog) . انظر ما كتبه Sir H. Yule في كتاب ورد Captain J. Wood بسنوا The Oxus (١٨٧٢) ص ٢٢ من المقدمة .

- ٤٧٨ -

جيحون (العربى) الأبعد زمنا • على انه يلاحظ ان العرب قد سمو الانهار بأسماء ما عليها من مدن كبيرة • ومن ثمة فان اكسس أى أمودريا هو نهر أمو • وكان يعرف فى الغالب أيضا بنهر بلخ • وان قامت هذه المدينة على بضعة أميال من ضفته الجنوبية • أما اسم اكسس • وبه عرف اليونان هذا النهر العظيم فقد حافظ عليه وخش - آب • أى نهر الوحش وهو من روافده العليا • الا ان العرب • لم يطلقوا أبدا على ما يظهر اسم الوحش على عمود النهر نفسه •

ومنابع نهر جيحون • على ما ذكره ابن رسته وغيره من البلدانين الاولين • وما قالوه صحيح • من بحيرة فى التبت الصغرى وفى الفامر (پامير Pamir) وذكر الاصطخرى • وقد نقل عنه من جاء بعده من المصنفين • أسماء أربعة أنهار من روافد نهر جيحون العليا الكثيرة • وليس من السير التحقق منها ولكنه قد تسنى تعيين الاسماء الآتية منها : فعمود نهر جيحون الاعلى كان نهر جرياب • وهو اليوم نهر ينج • وكان يصل الى بدخشان من الشرق • ويخرج من بلاد يقال لها وخان • وكان يقال لنهر جرياب أيضا نهر وخاب وكان عمود جيحون هذا ينحدر من الهضاب الشرقية ويدور دورة كبيرة حول بدخشان ويضرب نحو الشمال • ثم يتجه غربا فجنوبا قبل أن يبلغ أطراف خلم • وينصب فى يمين مجراه هذا الذى يؤلف ثلاثة أرباع الدائرة • كثير من الروافد الكبيرة أولها نهر أنديجاراغ • وقرب ملتقاء بجيحون مدينة باسمه • والظاهر انه هو نفسه نهر برتنك اليوم • ثم يلتقى معه نهر فارغر (وكتب أيضا بصورة فرغار • فرغان • فرغى) وهو ينحدر من بلاد الختل ويطلق نهر ونج اليوم • وفى أسفله يستقبل نهر أخشوا (أخش) وهو يقابل عمود نهر جيحون • وعليه مدينة هلباك قسبة بلاد الختل • ومن منابعه : نهر بلبان أو بربان • وهذه الانهار المتحدة تعرف اليوم باسمها التركى آق صو • أى النهر الابيض • فهذه روافد نهر جيحون العليا الاربعة على ما جاءت فى الاصطخرى • وقد قال ان هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر فى آرهن •

وفوق هذا المعبر أيضا • ولكن فى يسار النهر • يصب فى جيحون نهر

- ٤٧٩ -

بدخشان ، المعروف اليوم بـ « گکچه » ويقال له نهر الضرغام . وتحت معبر آرهن ، يستقبل نهر جيحون رافده الايمن الكبير وخشاب وهو نهر الوخش ، ومنه اشتق اليونان ، على ما قلنا ، تسميتهم له بـ « اكسس » (Oxus) ، وهذا النهر يفصل بلاد الختل وبلاد الوخش اللتين في شرقه عن ناحيتي القباذيان والصنانيان اللتين في غربه . ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب أى النهر الاحمر . وفي الموضع الذى يتجه فيه نهر جيحون الى الغرب ، بعد انعطافه حول بدخشان من ثلاثة جوانب ، يستقبل في يساره ، أى في صفته الجنوبية ، نهري الطايقان وقندز الآتين من طخارستان . وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب ونهر وتراب على الولاء ، على ما قد بينا في الفصل السابق (ص ٤٧٠) ويلتقى نهرا القباذيان والصنانيان - والاخر ، وهو يمر بترمد ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل - بجيحون في صفته الشمالية أى اليمنى . ومخرجهما في جبال البُسْتَم . وتفصل هذه الجبال في الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التى في الصفد . فهذه هى آخر روافد النهر العظيم ، لان نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الانهار اذا ما جاوز غرب بلخ . فيجربى في المفازة باتجاه غربى وشمالى غربى حتى دلتاه في جنوب بحر آرال^(٢) .

وبلاد بدخشان في شرق طخارستان ، يحدها من ثلاثة جوانب المنعطف العظيم في نهر جيحون الاعلى ، على ما مر بنا . وقد وصف الاصطخرى هذه البلاد بقوله : « لها رستاق كبير عامر جدا خصب وبها كروم وأنهار » وقصبتها باسمها ، الا ان نهر بدخشان (أى گکچه) كان معروفًا عند العرب بنهر الضرغام على ما قد بينا . أما موضع مدينة بدخشان ، فلم تفصح عنه كتب المسالك التى انتهت إلينا . الا انه نظرا الى مناعة أكثر هذه البلاد ، فمن المحتمل على ما يبدو ، انها كانت في الوادى حيث تقوم اليوم مدينة فيض أباد (فيزاباد) ، قصبة البلاد الحالية .

(٢) ابن رسته ٩٢ و ٩٣ ؛ ابن خرداذبه ٣٣ ؛ ابن الفقيه ٣٢٤ ؛ الاصطخرى ٢٧٧ و ٢٩٦ ؛ ابن حوقل ٣٤٨ ؛ المقدسى ٣٠٣ ؛ ابن سراييون ٢٥ ، ٤٤ ب ؛ ياقوت ٢ ؛ ١٧١ ؛ ٣ ؛ ٤٦٩ . وقد جاء لى القزوينى (١ : ١٧٧) اسم جرياب عوضا عن جرياب . ولى (٢ : ٣٥٣) جريان .
وحما من وهم السناخ .

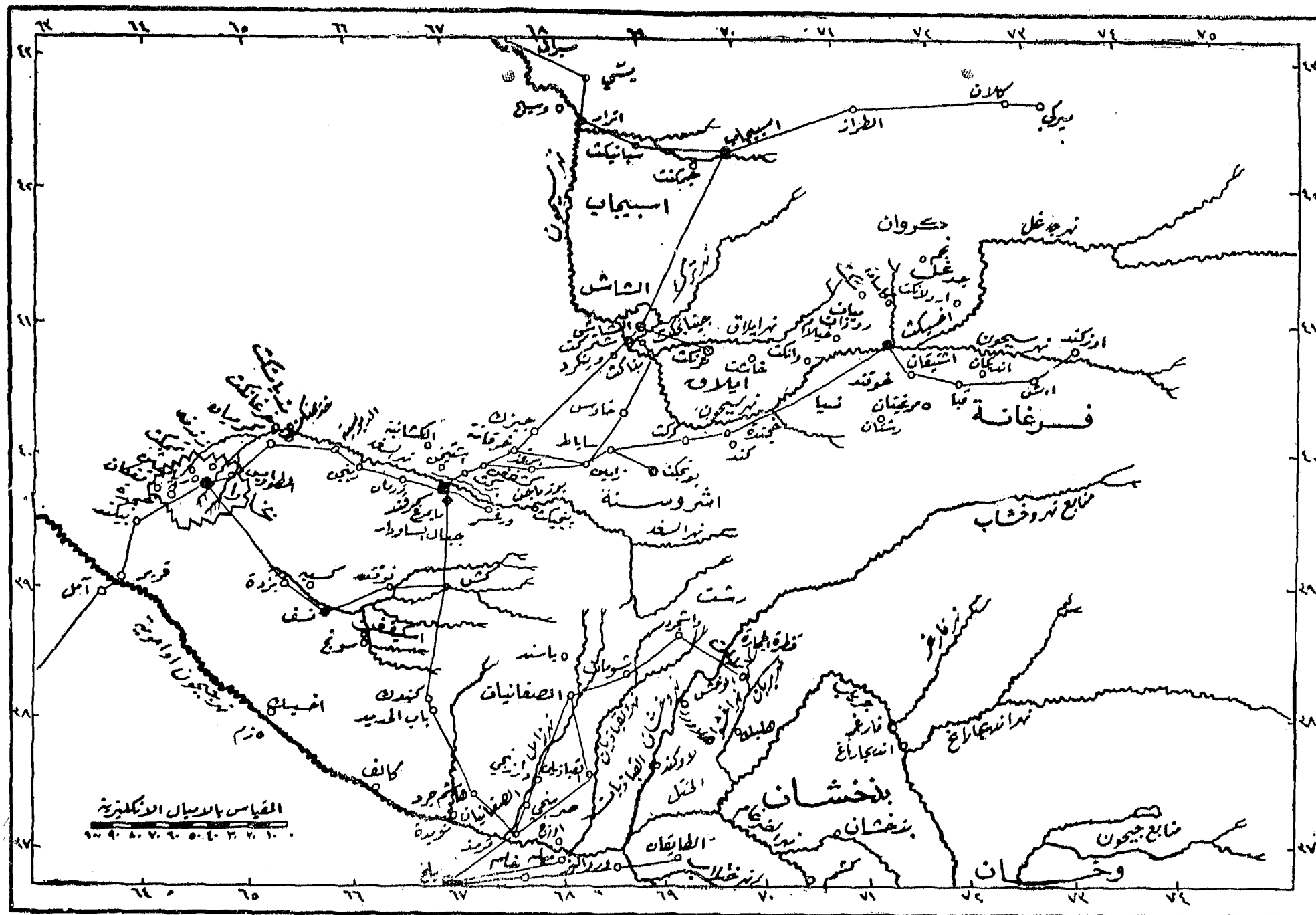
وكانت بذخشان تشتهر منذ القديم بأحجارها الكريمة ، لا سيما « معدن البلخش المقاوم للياقوت وبها معدن اللازورد »^(٣) . وقال المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) انه كان فيها عند معادن الجواهر حصن لريذة زوجة هرون الرشيد ونسب اليها . وفيها غير الياقوت والبلخش واللازورد : البلور وحجر البازهر . وبها أيضا « الاسست » وقد سماه العرب حجر الفتيلة وهو لا تحرقه النار . قال المقدسي « وينسج منه الخوان ، فاذا اتسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التور فتعود نظيفة » . وهكذا كانوا يصنعون بحجارة الفتيلة اذا اتسخت فانهم يطرحونها في النار المتأججة ساعة فتعود الى ما كانت عليه ، وزاد المقدسي على ذلك انه كان بها « حجر يجعل في البيت المظلم فيضيء أدنى شيء » . ولعل هذا الحجر ضرب من الحجر الفسفوري المضيء (نوع من حجر الفلور) .

وقد أعاد القزويني نقل أكثر هذا القول ، وذكر ان في بذخشان ، غير هذه الاحجار الكريمة ، حجر الجاذي « وهو حجر كالياقوت » . وقال ان حجر الفتيلة كان يحسبه العامة في أيامه « ريش الطائر لا تحرقه النار »^(٤) . وكان معدن البلخش يكثر بالقرب من مدينة يمكان في جوار معدن الفضة . وذكر أبو الفداء مدينة حرم وهو الاسم الذي أطلقه علي اليزدي على نهر بذخشان . ولما غزا تيمور بذخشان في النصف الثاني من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قصبتها كتم ، وفيها مقام ملك بذخشان . ومن أكبر مدنها كلاوقان ، الا انه لم يته اليها وصف لهما . ولا تعرف مواضعهما .

وفي شرق بذخشان في أعلى جيحون ، مدينة وخان . قال ابن حوقل انها في الطريق الى التبت (الصغرى) . ويرتفع منها المسك . وكانت من دور الكفر تاخم بلادا يقال لها السقينة وكران (أو كرام) . وبلى هذه البلاد من جهة كشمير ناحية بلأور « بها موضع في كل سنة ثلاثة أشهر يدوم فيه الثلج والمطر بحيث لا يرى فيها قرص الشمس » . وكانت معادن الفضة في وخان مشهورة في المئة الرابعة (العاشرة) ، وفي أودية أنهارها معدن الذهب . وكانت فوافل

(٣) اشغفت كلمة Azure من اللازورد .

(٤) سموه « السسد » . (الدكتور مصطفى جواد) .



- ٤٨١ -

الريق من أواسط آسية تجتاز هذه البلاد الى خراسان ومنها الى أسواق المدن الإسلامية في الغرب^(٥) .

وكان أكبر روافد جيحون ، نهر وخشاب ، على ما مر بيانه • يصب في يمينه آتيا من الشمال • وكانت البقاع الجبلية العظيمة الواقعة في الزاوية التي يؤلفها نهر وخشاب مع جيحون ، تعرف بالختل • وكان هذا الاسم يطلق دون تقييد على جميع بلاد الكفر مما يلي شرق خراسان وشمالها^(٦) • وكانت الختل تشتمل على بلاد الوختن في قسمها الشمالي حيث مخرج نهر وخشاب وهي على ما ذكر الاصطخرى في غاية الخصب ، وبها الخبول ودواب الحمل ، وبها جملة مدن كبيرة على ضفاف أنهارها الكثيرة • وبكثر فيها القمح والفواكه •

وكانت قصبة الختل في المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة هلبك • وبها يقيم السلطان (ولعلها كانت بالقرب من موضع خلّاب الحالية) • الا ان مدينة مُنك وهلاورد ، كانتا أكبر من هلبك • ومن مدنها الكبيرة أيضا انديجاراغ (أو انداجاراغ) وفرغان (أو فارغر) وهما على نهرين باسميهما • وفيها كذلك مدينة تمليات ولاوكند ، وهذه الأخيرة كانت على نهر وخشاب أسفل من قطرة الحجارة (بالقرب من كركان تبه الحديثة) • وصف المقدسى هلبك فقال : « هي قصبة الختل ، الجامع وسط البلد ، شربهم من نهر » يسمى نهر أخشوا • وكانت مدينة انديجاراغ قريبة من ضفة جيحون حيث يصب رافد باسمها فيه • وربما كانت في موضع قلعة وَاَمْر الحالية • أما منك فهي أكبر مدينة في هذه البلاد ، وهي في شمال هلبك وشرق تمليات • وكانت هلاورد على نهر وخشاب • قال المقدسى : « هي أجل من هلبك ، كبيرة » • وكانت تمليات بين منك وقطرة

(٥) الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٩٧ : ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٤٩ : المقدسى ٣٠٣ : الفريسي ٢ : ٢٠٣ و ٢٢٥ و ٣٢٨ : أبو العلاء ٤٧٢ : علي البزدي ١ : ١٧٩ .
(٦) بختور تسمية هذه البلاد كثير من اللباس • فعندنا اسم الختل وختلان وختلان (الأولى بسكون الباء والثانية بشد يدها) • على ان الفريسي (٢ : ٣٥٢) قال ان ختلان بضم أوله وتشديد ثانيه مع الفتح (مدينة بأرض الترك في شعب بين جبلين ، ولم يشر الى موضعها • وعلى البزدي (١ : ٤٦٤) ولي غير هذه الصيغة (لي وصفه حروب تيور) كنيه بصورة ختلان (بضم أوله وسكون ثانيه) واسم الختل (بفتاواته المختلفة) ان هو الا لفظة الهيطل نفسها على ما يظهر • وهو الاسم الذي أطلقه العرب على الانثلاطين (Ephthalites) أي الهون البيض في أيام الساسانيين والبيزنطيين •

- ٤٨٢ -

الحجارة على وخشاب ولعلها في موضع بلجوان الحالية • وقد ذكر على اليزدي بلجوان في سياق حديثه عن حروب تيمور^(٧) •

وقنطرة الحجارة المشهورة التي على نهر وخشاب ، ما زالت قائمة • ذكرها ابن رسته والاصطخري وكثيرون من المصنفين المحدثين بأنها تقوم على وخشاب حيث يعبره الطريق من تمليات الى مدينة واشجرد في قباذيان • والى الشمال بلاد الكمبذ ، بحسب تسمية ابن رسته لها ، ويليهما أيضا بلاد الراشت عند منابع وخشاب • وكانت قنطرة الحجارة هذه على ما ذكر الاصطخري ، حيث يضيق مجرى النهر في جبل هناك • وقال « لا يعلم ماء في كثرته يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع » • ومثل ذلك ما قاله القزويني وغيره من المصنفين • وأشار على اليزدي الى القنطرة أيضا ، وسماها باسمها الفارسي يول سنگين ، وباسمها التركي تاش كوپرك • وقد وصف الرحالون المحدثون هذا الموضع غير مرة^(٨) •

والى غرب نهر الوخش ، ناحية يحدها من جنوبها نهر جيحون ، سماها العرب الصفانيان ، وكتب اسمها بالفارسية چغانيان • وكان القسم الشرقي من هذه الناحية يعرف بالقباذيان نسبة الى مدينة بهذا الاسم كانت على أول نهر يلتقى بجيحون غرب وخشاب • وصف ابن حوقل قباذيان ، أو قواذيان ، بقوله « هي أصغر من الترمذ بكثير ، وتسمى فز • ويرتفع منها الفوة^(٩) » ويحمل منها

(٧) الاصطخري ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٩٦ و ٢٩٧ ؛ ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ ؛ المقدسي ٢٩٠ و ٢٩١ ؛ ياقوت ٢ : ٤٠٢ ؛ على اليزدي ١ : ٨٣ •

(٨) ابن رسته ٩٢ ، الاصطخري ٢٩٧ ؛ ابن حوقل ٣٤٨ ؛ القزويني ٢ : ٣٥٣ ؛ على اليزدي ١ : ٨٣ و ٤٥٢ ، H. Yule في كتاب وود Wood عن جيحون The Oxus ص ٨٢ من المقدمة • مايف Mayef في المجلة الجغرافية Geographical Magazine لسنة ١٨٧٥ ص ٣٣٧ • ولستة ١٨٧٦ ص ٣٢٨ •

جاء في وصف قنطرة الحجارة على ما هي اليوم ، ان طولها لا يزيد على عشر خطوات وهي معلقة على صخرتين نائحتين • ويجري نهر سرخاب تحتها وقد انحصر بين جبلين عاليين فالى الانحدار لا تتجاوز الفجوة التي يمر فيها النهر بينهما ، ثلاثين خطوة • وينحدر ماؤه الى هذا الضيق بهدير هائل •

(٩) الفوة ، حذور النبات المسمى لوة أو روبيا • تستخرج منها مادة للصبغ بالاحمر • انظر معجم شرف • ص ٤٦٥ (م) •

الى بلد الهند » • ونهر القباذيان الذى تقوم عليه المدينة فى غاية الطول • وكان فى هذه الناحية ، على ما ذكر المقدسى ، كثير من المدن الجبلية ، منها أوزج ، ولعلها أيوج الحالية • وهى على ضفة جيحون الشمالية فوق الترمذ وتحت رباط ميمته الذى فى الضفة اليسرى • وذكر ياقوت ان هذه الناحية مشهورة بفواكهها •

وفى أعالي نهر القباذيان وغرب قنطرة الحجرة ، واشجرد ، وهى على ما ذكر الاصطخرى « نحو الترمذ فى الكبر » • وعلى شىء يسير من جنوبها ، قلعة شومان أو الشومان العظيمة • وكان بكتر فى هذه الناحية حول شومان : الزعفران ومنها يحمل الى سائر الآفاق • وأشار المقدسى الى شومان فقال « شومان من الامهات ، عامرة طيبة » • وزاد ياقوت على ذلك قوله فى أهلها « قوة وامتناع عن السلطان » • وكانت فى أيامه من الثغور الاسلامية أمام الترك • وكثيرا ما أشار على اليزدى إليها فى وصفه لحروب تيمور ، باسم حصار شادمان وغالبا ما اختصره بلفظة حصار أو حصارك فقط • وتعرف اليوم بحصار آبضا^(١٠) •

ومدينة الصغانيان ، هى مدينة سرآسيا الحديثة على ما يحتمل ، فى أعالي نهر الصغانيان ، ويقال له أيضا نهر زامل • كانت الصغانيان فى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر الاصطخرى ، « مدينة أكبر من ترمذ الا ان الترمذ أكثر أهلا ومالا • وللصغانيان قلعة » وكانت تقوم على جانبى النهر • أما المقدسى فقال : الصغانيان تكون مثل الرملة فى فلسطين وجامعها وسط السوق ، وهى من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد • ومن أعمالها ٦٠٠٠ قرية^(١١) ، وبها خبز رخيص • وكانت مدينة باسند الصغيرة « رجة كثيرة البساتين » ، تبعد مرحلتين عن مدينة الصغانيان تقوم فى الجبال المشرفة على النهر • وعلى نهر زامل أسفل منها فى نحو من نصف الطريق بين الصغانيان وترمذ ، كانت دارزنجي • وفيها ، على ما ذكر ابن حوقل ، رباط جليل « وعامة أهلها صوافون يعملون الاكسية » والجامع وسط الاسواق • وفى جنوبها أيضا ، بالقرب من نهر زامل ، مدينة صرمنجى أو

(١٠) الاصطخرى ٢٩٨ : ابن حوقل ٣٥٠ : المقدسى ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٠ : ياقوت ٢ ، ٨٨ :

٣ : ٣٣٧ : ٤ : ١٩٦ : على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٢ و ٤٥٢ و ٤٦٤ -

(١١) قال المقدسى (ص ٢٨٣) « بها (أى الصغانيان) سنة عشر ألف مربة » (م) •

- ٤٨٤ -

حرم منجان • وكان بها في المئة الرابعة (العاشرة) رباط جليل أيضا « لأبي الحسن بن حسن ماء (وهو أميرها) ، يصدق فيه بدينار (١٠ شلنات) خبزاً في كل يوم » •

على ان أجل مدن ناحية الصفانيان ، مدينة ترمذ (أو الترمذ) في شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به . وكان لترمز في المئة الرابعة (العاشرة) قلعة فيها دار الامارة ، والربض حول المدينة التي كان عليها سور داخل ، وعلى الربض سور ثان ، ومسجدها الجامع من اللبن في أسواق المدينة • وكانت أسواقها بالآجر ومعظم سككها مفروش بالآجر • كانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال الى خراسان • وللمدينة ثلاثة أبواب ، كانت على قول المقدسي حصينة منيعة • وفي سنة ٦١٧ (١٢٢٠) غزتها جحافل المغول وهي في طريقها جنوبا الى خراسان • وقامت بعد هذه الغزوة مدينة جديدة في نحو من القديمة كبرا على ما ذكر ابن بطوطة ، وقد زارها في المئة التالية لها فقال بنيت هذه الحديثة على ميلين من القديمة المهجورة • وقد أحاطت بها البساتين الكثيرة وبها العنب والسفرجل كثير متناهي الطيب •

وفي يمين نهر جيحون ، على شىء يسير اسفل الترمذ ، كانت نويده • وفيها يعبر النهر من أراد سمرقند من بلخ • وفي نويده مسجد جامع في وسط البلد ، وكانت آخر ما على نهر جيحون من مدن الصفانيان • وعلى مرحلة شمال غربي ترمذ ، في طريق كش ونخشب في الصفد ، مدينة هاشم جرد ، وقد كان لهذه المدينة بعض الشأن في المئة الرابعة (العاشرة) • وعلى مرحلتين من شمالها كان الطريق يجتاز باب الحديد المشهور •

وهذا المضيق الذي في الجبال ، قد وصفه الرحالة الصيني هوين تسانك (Hwen Thsang) وكان قد زار الهند في سنة ٦٢٩ للميلاد بصفته حاجا بوذيا^(١٢) • وتكلم البلدانون العرب على مدينة في هذا الموضع ، قد سماها اليعقوبي

(١٢) وللإطلاع على ترجمة لصفة هوين تسانك له ، انظر : سراج يول في مقدمته لكتاب وود The Oxus ص ٦٩ • روى هذا الحاج الصيني ان هذا المضيق كان في أيامه يسد بأبواب مائلة للانطلاق وتشد بالحديد ، قد علق بهذه الابواب أجراس حديد • واعدلت الاخبار بعده ذكر الابواب • والظاهر انها قد رقت قبل زمن الاصطخرى •

- ٤٨٥ -

بمدينة باب الحديد • وذكر أيضا انه يقال لها بالفارسية دراهنين • ونوه كل من الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، باسم باب الحديد فى مسالكهم ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عنها • واشتهرت باب الحديد باسمها الفارسى دربند آهين منذ أيام تيمور • وذكرها على اليزدى أيضا بتسميتها التركية قهنة على انه لم يأتنا بوصف لهذا الموضع • وقد قطع هذا المضيق كلافيجو (Clavijo) السفير الاسباني الى بلاط تيمور فى شهر آب سنة ١٤٠٥ للميلاد ، قال : ان هذا المضيق يبدو كأنه قدس يد الانسان • وتسمق الجبال على جانبيه الى علو شاهق والدرب فيه مهمد عميق جدا • وفى وسط الدرب قرية يرتفع الجبل وراها الى علو عظيم • ويقال لهذا الدرب أبواب الحديد • ولا ترى فى كل هذه الجبال دربا آخر غيره ، فهو يحمى بلاد سمرقند من ناحية الهند • وتدر أبواب الحديد هذه دخلا لتيمور لان كل التجار القادمين من الهند يمرّون بهذا الدرب (١٣) •

وفى أسفل ناحية الصغانيان ، يشق جيحون طريقه فى المفازة فلا يستقبل نهرا مهما فى كلا جانبيه • ثم يصل دلتاه فى جنوب بحر آرال حيث اقليم خوارزم الذى سنأتى على وصفه فى الفصل القادم • وعلى امتداد المفازة تقوم عدة مدن على يمين النهر ويساره - عامتها ذات جانين - فى المواضع التى تعبر النهر العظيم الطرق الآتية من خراسان الى بلاد الترك • وقد مرّ بنا فى الفصل السابق وصف أكثر ما فى جانب خراسان من مدن • فمدينة كالف أو كيلف فى ضفته الشمالية (وهى ما زالت قائمة) قد كانت فى العصور الوسطى تقابل ربضا لها فى جانب خراسان يقوم حول رباط يقال له رباط ذى الكفل • وكانت كالف فى ذلك الزمن على جانبى جيحون « على عمل بغداد وواسط » على قول المقدسى • وكان فى جانبها الشمالى رباط نسب الى الاسكندر الكبير فسمى برباط ذى القرنين • وقال ياقوت كان لكالف قلعة حسنة على ثمانية عشر فرسخا من بلخ فى الطريق الذهاب منها الى نخشب فى الصفد • وتكلم المستوفى على جبل عظيم

(١٣) اليعقوبى ٢٩٠ ، الاصطخرى ٢٩٨ و ٣٣٧ ، ابن حوقل ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٠ و ٤٠١ ؛ المقدسى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٤٢ ، ابن بطوطة ٣ ، ٥٦ ؛ على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٩ ؛ ٢ : ٥٩٣ ؛ كلافيجو فى كتاب سفارته ص ١٢٢ ؛ Geogr. Mag. لسنة ١٨٧٥ ص ٣٣٦ • وانظر هذه المجلة لسنة ١٨٧٦ ص ٣٢٨ للاطلاع على صفة باب الحديد بقلم Mayef .

بالقرب من كالف دوره ثمانية فراسخ كله من تراب أسود وفى أعلاه ماء ومرعى حسن . وزاد على ذلك ان كالف فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت مدينة كبيرة فى غاية المناعة .

وكان أسفل هذه المدينة ، بازاء زم ، وقد مر وصفها (أنظر ص ٤٤٦) مدينة أخسيسك كان يخرج منها طريق الى نخشب . وصفها ابن حوقل بقوله مدينة صغيرة أهلها يعبرون الى زم للصلاة فى جامعها فلم يكن فى مدينتهم جامع^(١٤) . وكانت المفازة تحف بأرضها من كل جانب ، ولكنها كانت خصبة والغالب على أطرافها السوائم من الابل والغنم . وفى أسفل هذه المدينة ، بالقرب من ضفة جيحون اليمنى ، مدينة فرّ بازاء آمل أى أمويه . وهى فى طريق بخارا ، حولها رساق خصب ، وقرى أهلة كثيرة . قال المقدسى ان فربر تبعد نحو فرسخ من ضفة جيحون الشمالية « لها قهندز عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلى خارج الباب . وثم رباط (لنصر بن أحمد) فيه ضيافة لأبناء السيل . وكانت فربر موصوفة بأعنائها . ويقال لهذه المدينة أيضا قرية علي أو رباط طاهر بن علي^(١٥) .

وبعد أن يمر جيحون بن يدى فربر وأمويه ، يبقى جاريا فى وسط المفازة مسافة مئة واربعين ميلا حتى الطاهرية ، وعندها تبدأ أراضي الدلتا المزروعة . ومن هذه المدينة يجرى النهر العظيم فى طريقه الى بحر آرال وفى نحو من ثلاثمئة ميل من مجراه كانت تمد منه كثير من أنهار الري فتسقى الاقليم الخصب المعروف فى العصور الوسطى بخوارزم . ومنذ الفتح العربى الأول غير نهر جيحون مجراه فى أراضي الدلتا هذه مرارا ، وكان انبثاق سدوده فى أيام الغزو المغولى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) سببا فى تحول مجراه الاسفل ، على ما سنصفه فيما بعد . على انه ما زال فى وسعنا ، بالاستناد الى وصف البلدانين العرب الاولين ، ان نرسم خارطة تقريبية لخوارزم فى المثة الرابعة (العاشرة) . وواضح ان نهر جيحون فى تلك الايام كان يجرى فى مجرى واحد صالح للسفن حتى مناطق

(١٤) هذا القول للاصطخرى ص ٢٩٨ لا لابن حوقل (م) .

(١٥) الاصطخرى ٢٩٨ و ٣١٤ ؛ ابن حوقل ٣٤٦ و ٣٥٠ و ٣٦٣ ؛ قدامة ٢٠٣ ؛ المقدسى ٢٩١ ؛

ياموت ٣ ؛ ٨٦٢ ؛ ٤ ؛ ٢٢٩ ؛ المستولى ١٨٩ .

الساحل الجنوبي لآرال وهو البحر الذي سماه العرب ببخيرة خوارزم •

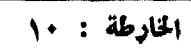
وبحر آرال قد كان ضحلا يغطيه القصب ، ولم يكن يصلح لسير السفن على ما يظهر • وكان يستقبل من شماله الشرقي مياه نهر سيحون • ولكن السفن الآتية من جيحون لم تكن تدخل شقيقه النهر الثاني • وكانت البلاد المتاخمة لساحل آرال الشرقي ، بين فمى جيحون وسيحون ، فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها تعرف بمفازة التركمان الغز • وهذا الاسم يطلق فى الغالب على مفازة مرو فى شرقى بلاد ايران • وقد كان البدانيون العرب الاولون يعدّون انجماد مياه نهري جيحون وسيحون فى الشتاء من العجائب ، فقد كانت القوافل الموقّرة تعبرهما ماشية فوق السطح المنجمد • وهما يقيان على هذه الحال من شهرين الى خمسة أشهر فى الشتاء • وقد يبلغ ثخن الجليد خمسة أشرار أو أكثر • ولقد ذكر القزوينى ان أهل خوارزم « كانوا يحفرون فيه آبارا بالمعاول حتى يخرقوه الى الماء ثم يسقون منها كما يسقون من البئر لشربهم ويحملونه فى الجرار » • وأشار الاصطخرى الى جبل يقال له جبل جفراغز على ساحل بحر آرال ، كان الماء أسفل منه يبقى جامدا طوال أشهر السنة •

وكان بحر آرال ، ولاسيما قسمه الجنوبي قرب سيف « الخليجان » حيث يصب جيحون ، مشهورا بمصائد السمك ، الا انه لم تقم عند حافة البحر قرية بل ولا بيت • وقد بيّنا انه كانت تمتد من نهر جيحون ، فى مجراه الاسفل الذى يخترق الدلتا ، أنهار للرّى كبيرة وصغيرة من يمينه ويساره ، كان كثير منها صالحا لسير السفن وكانت مياهها أخيرا تسقى أراضي الدلتا • وكان أكثر المدن الكبرى فى خوارزم الكبرى على هذه الانهار ، لا على جيحون للخطر الناجم من دوام تغير مجراه • وقد كان نهر جيحون صالحا لسير السفن فى جميع مجراه الاسفل • قال ابن بطوطة : « ويسافر فى أيام الصيف بالمراكب الى ترمذ ، ويجلبون منه القمح والشعير ، وهى مسيرة عشر للمنحدر » الى أسواق خوارزم لتباع فيها • وكان انجماد جيحون فى الشتاء يجعل الملاحة فيه خطرة أو مستحيلة • فقد حكى ياقوت انه فى شوال من سنة ٦١٦ (كانون الاول ١٢١٩) حين ذهابه من مرو

- ٤٨٨ -

الى الجرجانية وكان بعض طريقه نهر جيحون بالسفن ، أشرف هو ومن معه على الهلاك « من ألم البرد وجمود نهر جيحون على السفينة » ولم ينزلوا الى البر الا بعد عشاء وكانت الثلوج أيضا تغطي البر وقد أضلّ ياقوت دابته التي كان يركبها ولم ينج الا بنفسه^(١٦) .

(١٦) الاصطخرى ٣٠٣ و ٣٠٤ ، ابن حوقل ٣٥٣ و ٣٥٤ ؛ القزويني ٢ : ٣٥٣ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٥ ؛ ياقوت ١ : ١٩١ .



الفصل الثاني والتلاتون

خوارزم

الليم خوارزم - لصبتاه : كاث والجرجانية - اركنج القديمة والجديدة -
خيوه وهزاراسب - انهار خوارزم والمدن التي على يمين
جيحون ويساره - المجرى الاسفل لجيحون
الى فزوين - تجارات
خوارزم وغلاته .

كان لاقليم خوارزم في صدر العصور الوسطى ، قصبتان : أولاهما في
الجانب الغربي ، أي الفارسي من نهر جيحون ، تسمى الجرجانية ، أو أركنج .
والاخرى في الجانب الشرقي ، أي التركي من النهر . ويقال لها كاث . وقد
كانت في المئة الرابعة (العاشرة) ، في منزلة تفوق صاحبها .

ومدينة كاث ، ما زالت قائمة . الا ان مدينة العصور الوسطى العظيمة ربما
كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي البلدة الحديثة . وفي أوائل المئة
الرابعة (العاشرة) خرب بعضها طفيان نهر جيحون ، فقد كان عرض
هذا النهر عندها نحو من فرسخين . وكانت المدينة تبعد قليلا عن يمين النهر ،
تقوم على نهر يقال له جردور يشق البلد . وكان السوق ، وطوله نحو من
ميل ، على جانبي هذا النهر . وكان لكاث في تلك الازمان الاولى ، قهندز
(أي قلعة) فخرتها النهر وأتى عليها . وكان الجامع والحبس على ظهر
القهندز وكذلك قصر لسلطانهم الملقب بخوارزم شاه . وقد أتى فيضان النهر على

هذه الاجزاء جميعها ، فلم يبق منها رسما ولا طللا حين كتب ابن حوقل . فابتنى الناس مدينة جديدة الى الشرق من الاولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طفيلانه .

وكان الفرس يسمون المدينة الجديدة ، على قول المقدسي ، شهرستان - أى القصبة - . وكانت فى ما قال « نحو نيسابور » فى خراسان . « لها جامع فى وسط الاسواق على أساطين حجارة سود الى قامة ، ثم فوقها سوارى الخشب . ودار الامارة ، وسط البلد . ولهم قهندز قد خربته النهر » فلم يجددوه . وللبلد أنهار كثيرة تشق شوارعها . وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت البلدة أوسع من أردبيل (فى أذربيجان) لان أهلها ، « عامة تفوتهم فى الشوارع وهم يدوسونها بأرجلهم الى الجماعات (أى الى الجامع) » . الا ان أهلها مع ذلك كانوا مياسير وأسواقها حافلة بالخيرات والتجارات ، وبنائوها حذاق ، فكانت كاث من أفخم المدن مظهرا . على انها ما عتمت فى ختام المئة الرابعة (العاشرة) أن بدأ نجمها بالانقراض ومكاتها بالخفوت وفقدت مركزها كأهم قصبة فى خوارزم ، ولعل مرد ذلك ما كان ينابها بين آن وآخر من طفيلان جيحون عليها ، فكان يخرب منها أحياء مختلفة كل مرة ، حتى آل أمرها الى بلدة ليس لها شأن كبير .

فاذا انتهينا الى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وجدنا ان مدينة كاث لم تعان كثيرا من مصائب الفتح المغولى على ما يبدو . وحين مر بها ابن بطوطة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فى طريقه من أركنج الى بخارا ، وقد كتب اسمها ألكات قال انها « بلدة صغيرة حسنة » . فيها بركة ماء كانت وقت زيارته لها « قد جمدت من البرد ، فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها » . وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كاد تيمور أن يقضى على كاث ، ولكنه بعد ذلك أمر بتجديد أسوارها ، فذكرها علي اليزدى غير مرة بقوله انها مدينة ذات شأن فى أيامه^(١) .

(١) الاصطخرى ٣٠٠ و ٣٠١ ؛ ابن حوقل ٣٥٦ و ٣٥٣ ؛ المقدسي ٢٨٧ و ٢٨٨ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٢٠ ؛ على اليزدى ١ : ٢٣٧ و ٢٦٣ و ٤٤٩ .

- ٤٩١ -

أما قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الاقليم ، فكانت كركانج وقد سماها العرب الجرجانية ، ثم عرفت بعد هذا الزمن بـ كركنج ، تروى أخبار الفتوح الاسلامية ، ان العرب فى سنة ٩٣ (٧١٢) ، لما غزوا خوارزم بقيادة قتيبة ، كان يقال لقصبة الاقليم التي استولوا عليها : الفيل . ثم صار اسمها المنصورة . ويقال ان هذه المدينة كانت تقوم على الجانب الأيمن من نهر جيحون فى موضع يقابل الجرجانية المحدثه . غير ان فيضان جيحان ما عثم ان طغى على المنصورة وخرّبها فأخذت الجرجانية مكانها^(٢) .

والجرجانية فى المثة الرابعة (العاشرة) - وان كانت حينذاك مدينة الاقليم الثانية ليس الا ، لكن كاث كانت ما زالت قصبتها متجر البلاد وفيها مجتمع القوافل الآتية من بلاد الغز . ومنها تخرج الى بلاد خراسان . والجرجانية على غلوة من غرب نهر كبير تجرى فيه السفن ، يأخذ من جيحون ، ويجرى محاذيا له . وقد احتالوا فى رد خطر الماء باقامة السدود من الخشب والحطب . قال المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ان للبلد أربعة أبواب « وهى كل يوم فى زيادة . وعلى باب الحجاج قصر بناء المأمون ، عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه . وقد بنى ابنه علي آخر قصداً له ، على بابه سهلة تشاكل سهلة بخارا ، فيها تباع الاغنام . » وبانهطاط كاث أصبحت الجرجانية أولى مدن اقليم خوارزم ، ومن ثم قصبتها الوحيدة . وفى الاثمنة الاخيرة ، كانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم .

وفى سنة ٦١٦ (١٢١٩) زار ياقوت الجرجانية ، أو كركانج على ما سماها به ، قيل ان يكتسحها المغول بقيادة جنكيزخان ، فقال فيها « لا أعلم انى رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالا وأحسن أحوالا » فاستحال ذلك كله بتخريب التراباياها فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) . وقد حدثت فى سدود النهر العظيم فتوق عظيمة وتحولت مياه جيحون الى مجرى جديد ، على ما سنبينه فيما بعد ، وغمرت المياه المدينة كلها . ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها « لم يبق فى ما بلفنى ، الا معالمها ، وقتلوا جميع من كان بها » . على ان قصبة خوارزم ما عثمت ان نهضت

(٢) ان موضع الفيل مشكوك فيه جدا . وقد جاء اسمها فى نقود الخلفاء الامويين كدار للغرب . وعلى واحد من هذه النقود تاريخ سنة ٧٩ (٦٩٨) .

- ٤٩٢ -

من كبوتها بعد بضع سنين ، فابتنى الناس بلدا قريبا منها ، وكان ذلك فى سنة ٦٢٨ (١٢٣١) على ما جاء فى تاريخ ابن الاثير المعاصر لتلك الايام ، قال : « وعمرؤا مدينة تقارب مدينة خوارزم ، عظيمة » . وكان قبل الغزو المغولى لهذه الارزاء ، على ما ذكر ياقوت وغيره ، مدينة تعرف بكركانج الصغرى . وسماها الفرس كركانجك على نحو من ثلاثة فراسخ من القصبه كركانج الكبرى . ومن المحتمل ، على ما يظهر ، ان خوارزم الجديدة ، قد اخير لها موضع كركانج الصغيرة .

وسرعان ما صارت خوارزم الجديدة قصبه الاقليم . وصفها المستوفى وابن بطوطة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وذكر القزوينى ، وهو ممن كتب فى النصف الاخير من المئة السابقة ، ان اهل كركانج (الجديدة) ، « اهل الصناعات الدقيقة كالحداد والنجار وغيرهما . فانهم يبالغون فى التدقيق فى صناعاتهم ، والسكاكون يعملون الآلات من العاج والآبنوس ، لا يعمل فى غير خوارزم الا بقرية يقال لها طررق من أعمال أصفهان . وسأوها يعملن بالابرة صناعات مليحة كالخياطة والنطريز والأعمال الدقيقة » . وقال القزوينى أيضا : « ومن عجائبها زراعة البطيخ الذى لا يوجد مثله فى شىء من البلاد حلاوة وطيبا » . وقد أيد هذا الامر أيضا ابن بطوطة .

وقال المستوفى ، وقد سعى هذه المدينة باسمها الشائع أركنج ، وكذلك خوارزم الجديدة ، انها على عشرة فراسخ (ولعله وهم فى ذلك ، ويريد عشرة أميال) من اركنج العتيقة . ورأى ابن بطوطة ، معاصره ، خوارزم (على ما سعى البلدة) مدينة من أعظم المدن وأجملها ، لها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة « وهى ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر » . ولها سوق يقال له الشور ، وهو بناء عظيم بالقرب منه الجامع والمدرسة . وقبها مارستان كان له حين زيارة ابن بطوطة « طبيب شامى يعرف بالصهيونى ، نسبة الى صهيون من بلاد الشام » . وما كادت المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تأذن بالختام ، الا واجتاح تيمور مدينة خوارزم هذه وتركها قاعا صفصفا بعد حصار دام ثلاثة أشهر . الا ان تيمورلنك أمر بتجديد بنائها فكمل ذلك فى سنة ٧٩٠ (١٣٨٨) . وكان أبو

- ٤٩٣ -

الغازي أمير خوارزم ، وسنأتي قريبا على ما قاله في مجرى جيحون الاسفل ،
يعقد مجلسه في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في هذه البلدة ، وهي
التي يسميها أركنج . قال فيها انها بلد حسن كثير البساتين . الا انه بعد هذا
الزمن تربعت مدينة خيوة في مكانها ثم صارت قصبة الاقليم الجديدة . أما خرائب
اركنج هذه ، أي المدينة التي ابتليت بعد الغزو المغولي ، فهي المعروفة اليوم
باركنج العتيقة (كهنة اركنج)^(٣) .

أما خيوة - وهي التي أخذت في عهد الرؤساء الازبك بعد زمن تيمور
نحجب بالتدريج مدينة اركنج وصارت قصبة خوارزم وشمل اسمها مع الايام
الاقليم كله - فقد ذكرها غير مرة بلدانبو المئة الرابعة (العاشرة) بأنها بلدة صغيرة .
كانت تهجئة اسمها القديمة خيوق ، وكان هذا الاسم هو الشائع حتى زمن
ياقوت . قال فيها المقدسي « خيوة ، على فم المفازة ، رجة ، على شعبة من النهر
(تأخذ من يسار جيحون) ، بها جامع عامر » فكانت في المئة الرابعة (العاشرة)
موضعا ذا شأن . وتكلم ياقوت ، وقد قال ان اسمها يلفظ أيضا خيوق ، على حصنها
وقال ان أهلها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) شافعية « دون جميع بلاد خوارزم
فانهم حنفية » .

وفي هذا الزمن اشتهرت خيوة بانها بلد الشيخ نجم الدين الكبرى ، وكان
قد أبلى بلا عظيما في الدفاع عن أركنج بازاء المغول حتى قتلوه [سنة ٦١٨ هـ]
فصارت تربته موضعا يزوره الناس للتبرك وهي بالقرب من اركنج على ما ذكر ابن
بطوطة في القرن الذي تلا استشهاده . وذكر على البزدي مدينة خيوة ووصف
مغامرة وقعت لتيمور فيها أيام شبابه . وقد أمر بعد زمن بتجديد أسوار خيوق

(٣) زار انطوني جكنسن Anthony Jenkinson مدينة اركنج (Urgence)
(بحسب تهجئته) في سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) أي قبل زمن ابي الغازي بنصب فرن - ونال فيها انها
مدينة حسنة لها أسوار يقدر دورها بأربعة أميال . انظر Hakuylt: Principal Navigations
(كلاسكو سنة ١٩٠٣) ٢ : ٤٦٣ ؛ البلاذري ٤٢١ ؛ الاصطخري ٢٩٩ و ٣٠٠ ؛ ابن حوقل ٣٥٠
و ٣٥١ ؛ المقدسي ٢٨٨ ؛ ياقوت ٢ : ٥٤ . ٣ : ٩٣٣ . ٤ : ٢٦١ . أبو الفداء ٤٧٩ . ابن الاثير
١٢ : ٢٥٧ و ٣٢٣ . الغزويني ٢ : ٣٤٩ . المسوقى ١٩٧ و ٢٣٤ . ابن بطوطة ٣ : ٣ - ٦ .
على البزدي ١ . ٢٩٨ و ٤٤٨ . جهان نما ٣٤٥ . ابو الغازي ١١١ . وراجع أيضا
Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ص ٧٨ .

(على ما كانت تسمى حينذاك) • وفي المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ذكر أبو الغازي هذه المدينة مرارا ، وقد عاش فيها أحيانا كما عاش أيضا في كات (أو كاث) عند عدم مقامه في اركنج • واستمرت خيوه بالتعاظم منذ أيامه حتى اليوم ، فأصبحت الآن قصبة الاقليم المعروف باسمها^(٤) •

أما هزازاسب (ومعناها بالفارسية « الف فرس »^(٥)) فهي في سمت خيوه ، الا انها أقرب منها الى ضفة جيحون اليسرى • وهي موضع ذو شأن قد حافظ على اسمه دون ما تغير منذ الفتح الاسلامي حتى هذا اليوم • ذكر المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) انها في نحو من خيوه كبرا ، لها أبواب خشب وخذق • وتكلم ياقوت عليها وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) قائلا هي قلعة حصينة ومدينة جيدة ، فيها أسواق كثيرة وبزازون وأهل ثروة ، وكان الماء محيطا بها كالجزيرة • وليس اليها الا طريق واحد على مرقد صنع • يقبل اليها من نواحي اركنج قاطعا السهلة الممتدة من ضفاف جيحون •

وفي نحو من نصف الطريق بين الطاهرية - حيث تبدأ أراضي الدلتا الزراعية - وهزازاسب ، يخترق نهر جيحون مضيقا جبليا يقال له اليوم ديوه بويون (أى رقة الجمل) وهو في جروف جبلية عالية يضيق النهر عندها • حتى يعود عرض الماء الى نحو من الثلث • • وقد سمي الاصطخرى هذا الموضع أبو قشه أو بوقشه ، وزاد على ذلك قوله « هو موضع يخاف على السفن منه من شدة جريه والهور الذى عند مخرجه » • اما المستوفى ، وقد سمي هذا الموضع تنك دهان سير (مضيق فم الاسد) ، فقال ان جرفى المضيق المتقابلين لا يتعدان عن بعضهما أكثر من مئة « گز » (أى : ذراع) • وعلى جانبه الايسر رباط • وفي أسفل هذا الموضع يجرى جيحون ، حسب قوله ، تحت الارض مسافة فرسخين فلا يرى منه شيء •

وبين الطاهرية وهزازاسب ثلاث مدن على ضفة جيحون اليسرى ، كانت على

(٤) المقدسي ٢٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ٥١٢ ؛ القزويني ٢ : ٣٥٥ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٦ ؛ على البيزدي

١ : ٦٢ و ٤٤٩ ؛ أبو الغازي ١١٢ و ٢٩٤ •

(٥) قال المؤلف وهما اسمها مئة فرس (م) •

- ٤٩٥ -

بعض الشأن فى العصور الوسطى : فعلى الجادة ، أسفل الطاهرية بمرحلة ، جى كـ ريند ، تحفـ بانهارها الاشجار والبساتين . وفيها ، على ما ذكر المقدسى ، جامع حسن فى وسط سوقها . وعلى مرحلة أخرى شمالها قرب مضيق نهر جيحون ، مدينة درغان . قال فيها المقدسى انها تقارب الجرجانية كبرا « لها جامع حسن ليس بالناحية مثله ، فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة ، والمدينة تمتد فرسخين على الشط ، حولها الكروم نحو من خمسمئة . وكانت درغان أول مدينة عظيمة فى خوارزم تقوم على الطريق الآتى من مرو . وذكر ياقوت ، وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، « هى مدينة على جرف عال وذلك الجرف على سن جبل . . . وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها ، وبينها وبين نهر جيحون نحو ميلين . بناحية البر منها رمال » . وبين درغان وهزاراسپ تقوم سدور على ضفة النهر وهى حصينة وبها جامع وسط البلد ، وحولها أرباض^(٦) .

وأول الانهار العظيمة فى خوارزم كان يأخذ من ضفة جيحون اليمنى أى الشرقية فى موضع بازاء درغان وكان يقال له گلوخواره وتفسيره « أكل البقر » وكان يحمل السفن وعمقه نحو من قمتين وعرضه خمس ، ويجرى شمالا فيسقى كثيرا من المزارع حتى كاث . ومما يلى مخرجه بخمسة فراسخ ، كان يحمل منه نهر صغير يسمى نهر كرية « يعمر به بعض الرساتيق » . وذكر المقدسى أربع مدن قليلة الشأن تقوم على الجانب الشرقى هذا من جيحون بين الواحدة والاخرى نحو من مرحلة يوم فى الرساتيق جنوب كاث . وكانت أبعدا . عن كاث : مدينة نوکفاغ وكانت فى وسط الانهار ، وهى مدينة حسنة قرب شفير المفازة . وأقرب منها الى كاث كانت ارذخيوة ولعلها تطابق الموضع الذى سماه ياقوت حصن خيوة وقال انه بعد خمسة عشر فرسخا عن خيوة الجانب الغربى . وكانت ارذخيوة « على قم البرية عليها حصن بباب واحد تحت جبل » . وكانت وايخان حصنا أيضا حولها خندق « وعلى الابواب عرّادات » . وهى على مرحلة أيضا نحو الشمال . ثم تليها غردمان وكانت على مرحلة من كاث « عليها حصن

(٦) الاسطخرى ٣٠٤ : ابن حوقل ٣٥٤ : المقدسى ٢٨٨ ر ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥٦٧ : ٤ : ٩٧١ . المستوفى ١٩٨ و ٢١٣ .

- ٤٩٦ -

ولها بابان وخندق ملاّان من الماء سعتة رمية سهم • .
 وكان يأخذ أيضا من غرب جيحون ، أى يساره ، جملة أنهار ، أولها نهر
 يمر بهزاراسپ ويسقى رسايقها • وهو نهر تجرى فيه السفن وان كان نحو
 من نصف سعة كاوخواره • وكان يعود مرتدا في انعطاف دائرى لو تابع اتجاهه
 لوصل مدينة آمل • وعلى فرسخين من شمال هزاراسپ ، يأخذ من جيحون نهر
 كردران خواش ويمر بمدينة باسمه ، وكانت في نصف الطريق بين هزاراسپ
 وخيوة وهو أكبر من نهر هزاراسپ • ومدينة كردرانخاس (على ما سماها
 المقدسى) حولها خندق ولها أبواب خشب • ومن شمال ذلك كان يحمل منه أيضا
 نهر خيوة ، وهو نهر أكبر من سابقه تجرى فيه السفن الآتية من جيحون الى هذه
 المدينة • ويحمل منه أيضا نهر رابع من موضع يبعد عن شمال نهر خيوة ، وهو
 نهر مدرا ، وهو ضعف نهر كاوخواره الآخذ من ضفته الشرقية ،
 وكان يسقى مدينة مدرا وما جاورها •

وكاث ، قصبة الاقليم الشرقية ، على ما بيّنا ، بعيدة عن جيحون ، على
 نهر يقال له جردور كان يأخذ من جيحون على شيء يسير من جنوب المدينة •
 وعلى فرسخين شمال كاث كان يأخذ من ضفة جيحون اليسرى ، أى الضفة
 الغربية ، نهر وذاك الكبير (وجاء اسمه أيضا وذاك أو ودان) وكان يحمل السفن
 الى نحو الجرجانية قصبة خوارزم الغربية • ومخرج نهر وذاك على نحو من
 ميل شمال مخرج نهر مدرا • وكان يأخذ من يسار جيحون في شماله أيضا ،
 نهر آخر يسمى نهر بوّه (أو بوّه وبويه) ويجتمع ماؤه وماء وذاك في الشمال
 الغربى على غلوة من قرية تعرف بأندريستان على نحو من مرحلة يوم من جنوب
 الجرجانية • وكان وذاك أكبر من بوّه وتجرى فيهما السفن الى الجرجانية • ثم
 يكون هناك سكر يمنع السفن ، من مواصلة سيرها شمالا • وكانت على ضفافه
 سدود عظيمة قد انشئت لتقى المدينة من طفيان مياهه ، على ما بيّنا^(٧) •

وكان الطريق الذاهب شمالا من خيوة الى الجرجانية في العصور الوسطى ، يتخلل

(٧) الاصطخرى ٣٠١ و ٣٠٢ ؛ ابن حوقل ٣٥٢ و ٣٥٣ ؛ المقدسى ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٢٩٣ ؛

ياقوت ٢ ؛ ٥١٢ ؛ ٤ ؛ ٢٣٠ •

- ٤٩٧ -

كثيرا من المدن الكبيرة التي لم يبق منها أثر اليوم . فعلى مرحلة من خيوه كانت أرثخشميشن أو راخشميشن وهى التى ذكر ياقوت ، وقد أقام فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، انها مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة وافرة « وهى فى قدر نصيبين (من أعمال الجزيرة) الا انها أعمر وأهل منها » . والظاهر ان المغول قد خربوها فى غزوهم لها . وإلى شمال هذه المدينة : روزوند كانت على ما ذكر المقدسى « متوسطة فى الرقعة ، محصنة بخندق ٠٠٠ ، وشربهم من عين لهم ٠٠٠ ، والجامع على طرف السوق » . فاذا جاوزنا قرية أندرسنان ، بلغنا مدينة نوزوار وهى عند ملتقى نهر وداك بنهر بوه على مرحلة جنوب الجرجانية . قال المقدسى « نوزوار صغيرة ، عليها حصن وخندق ٠٠٠ ، لها بابان (حديد) وجسر يرفع كل ليلة . والجامع فى الاسواق ٠٠٠ ، وعلى باب المدينة الغربى حمام ليس بالاقليم مثله » ولعلها هى المدينة التى سماها ياقوت نوزكات ، ومعناه على قوله « كاث الجديدة » أو « الحائط الجديد » . وقد أزال المغول هذه المدينة عن آخرها بعد أن غادرها ياقوت بمدة قصيرة .

وزمخشر ، بين نوزوار والجرجانية ، وقد كان فى هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشرة) جسور عند أبوابها ترفع « وعليها حصن وخندق ومجس وأبواب محددة والجامع ظريف » . وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) قال ياقوت فيها انها قرية جامعة اشتهرت لأن الزمخشري صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنة ٤٦٧ (١٠٧٥) ومات سنة ٥٣٨ (١١٤٤) . وقد زار ابن بطوطة قبره فيها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وذكر ان زمخشر على مسافة أربعة أميال من أرگنج الجديدة . وإلى شمال أرگنج كانت تربة نجم الدين الكبرى ، وقد مر ذكرها . وإلى هذه البلدة أيضا ، وعلى خمسة فراسخ من الجرجانية ، عند شفير المفازة ، تحت الجروف العالية فى الجانب الغربى لنهر جيحون ، مدينة جيث أو جيث وقد ذكرها البلدانون الاولون غير مرة . وهى كبيرة واسعة الرساتيق لا تبعد كثيرا عن ضفة النهر اليسرى بازاء مذيبة وهى على أربعة فراسخ من يمين النهر . ويبدو ان جيث كانت فى الموضع الذى قامت فيه مدينة محدثة يقال لها وزير (أو شهر وزير) . وربما قد حلت محلها بعد فترة من الاضطراب الذى انتابها فى اثناء الفتوحات المغولية وحروب تيمور . وكثيرا ما ذكر أبو

الغازى مدينة وزير ، كما ذكرها جهان نما . والى ذلك فمن المحتمل ان شهر وزير هذه هى المدينة التى زارها انطونى جنكنسن (Anthony Jenkinson) ووصفها باسم محرف بعض التحريف وهو سليزور (Sellizure) أو شيزور (Shaysure) حين كان يجوب بلاد خوارزم فى المئة العاشرة (السادسة عشرة)^(٨) .

وفى ضفة جيحون اليمنى ، على نحو من أربعة فراسخ شمال كاث ، كان يأخذ أول الانهار الاربعة المادّة شمالا ، وبعد أن يجرى مسافة قليلة ، يلتقى به الانهار الثلاثة الصغيرة الاخرى ، فتؤلف مياهها المجتمع نهر مُكر دَر ويقال أن هذا النهر ، وقد كان بكبر نهر وداك وبوه ، فى الجانب الغربى ، كان من سواعد نهر جيحون فى الاصل يجرى نحو الشمال الشرقى الى بحر آرال . وكان يقال للرساق الذى فيما بين مجرى نهر جيحون نفسه ونهر كردر رساق مزداخگان (أو مزداخقان) وكانت تسقيه أنهار صغيرة كثيرة تأخذ من يمين جيحون . ويقال انه كان فى هذا الرساق اثنا عشر ألف قرية ، وقصبة كردر . وقد وصف المقدسى هذه البلدة بقوله انها بلدة كبيرة حصينة جدا ، حولها قرى كثيرة وبرارى واسعة ترعى فيها الماشية . وعلى مرحلة يمين منها ، عند حد خوارزم الشمال الشرقى ، قرية كبيرة يقال لها قرية براتكين (أو فراتكين) وبالقرب منها مقالع الحجارة التى تحمل الى أنحاء خوارزم للبناء . وقد كان فى براتكين فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة وجامع حسن . وفى غرب هذه المدينة كانت مذبينية ، وتبعد أربعة فراسخ من يمين جيحون بازاء جيث . ومن هذه المدينة حتى ساحل بحر آرال ، لا يرى بناء ولا قرية ولا أرض مزروعة ، الا منافع يكثر فيها القصب تقع عند فم نهر جيحون العظيم^(٩) .

وفى المئة الرابعة قبل الميلاد ، فى زمن فتوحات الاسكندر الكبير فى آسية الغربية ، كان جيحون ، على ما وصف به آنذاك ، يصب فى بحر قزوين ، ولم

(٨) الاصطخرى ٣٠١ : ابن حوقل ٣٥٢ : المقدسى ٢٨٦ : ياقوت ١ : ١٩١ : ٢ : ٩٤٠ .
٨٢٢ : ابن بطوطة ٣ : ٦ : ابو الغازى ١٩٥ : جهان نما ٣٤٦ : مكلوبت .
Hakluyt, Principal Navigations 2,461.

(٩) الاصطخرى ٢٩٩ و ٣٠٣ : ابن حوقل ٣٥٠ و ٣٥٣ : المقدسى ٢٨٨ : ياقوت ٤ : ٢٥٧ .

- ٤٩٩ -

يكن البلدان يون اليونان يعرفون شيئا عن بحر آرال على ما يظهر • أما متى جرى تبدل مجراه من بحر قزوين الى بحر آرال فغير معروف • ومع ان نهر جيحون اليوم مثل سيحون يصب في بحر آرال ، فان عقيقه القديم الذى كان يتجه الى بحر قزوين ما زالت معالمة موجودة وتعينها خوارطنا الحديثة • وقد ارتاده جماعة في أيامنا • كان مجرى جيحون في صدر العصور الوسطى ، على ما وصفه البلدان يون العرب في المئة الرابعة (العاشرة) هو مجراه الحالى في جملته • الا ان عقيقه القديم الماد الى بحر قزوين قد ذكره المقدسى ، فقال : في القديم كان العمود ينتهى الى مدينة خلف نسا في خراسان يقال لها بلخان (أو أبو الخان) • ثم انه بعد المقدسى بقرنين ونصف عاد جيحون ثانية الى مجراه الاقدم على ما يظهر • وهذا ما أفادنا به المصنفون الفرس المعاصرون لذلك الزمن • ومن ثمة ، فالحقيقة التى لا يشك فيها هى ان نهر جيحون - فيما عدا فضلة من مائه تحملها بضعة انهار صغيرة الى بحر آرال - كان منذ أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى نحو من ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، يصل الى بحر قزوين ، جاربا في عقيقه القديم الذى كان أيام الاسكندر الكبير • وان كان هذا المجرى اليوم بل منذ نهاية المئة العاشرة (السادسة عشرة) قد تعطل ثانية وصار جافا في الغالب •

وجاء في تاريخ ابن الاثير ، على ما قد بينا ، ان جحافل المغول بثقت السدود في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) للاستيلاء على أرگنج بعد ان حاصرتها خمسة أشهر ففمرت مياه جيحون وفروعه هذه المدينة ومنذ ذلك الحين أخذت مياهها تجري من شرق هذه المدينة في غير مجاريها الاولى • لقد عمت المياه سطح البلاد كلها وبعد مضي زمن أخذت المياه الفائضة تنصرف باتجاه الجنوب الغربى مائلة عقيق جيحون القديم وجارية في خطه المنخفض الى بحر قزوين عند منقشلاخ • وكان باقوت ، وهو ممن عاصر تلك الاحداث ، قد تكلم على هذه المدينة قائلا انها قلعة حصينة تقوم على ساحل بحر طبرستان (أى قزوين) « الذى يصب فيه جيحون » حسب قوله • وهذا الدليل المستخلص من اشارات عابرة قد عززه وأيده المستوفى في المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) • فانه فى سياق وصفه مجرى جيحون ، ذكر انه وان كان جزء قليل من مياهه ما زالت تحملها الى بحر آرال أنهار تأخذ من يمينه ، فان عموده بعد أن يمرّ بأركنج القديمة ينحدر مارا بقبة عالية يقال لها حَلَمَ يسمع هدير انصباب الماء عندها من مسافة فرسخين ، ومن هذا الموضع يجرى مسيرة ستة أيام حتى يصب فى قزوين (بحر الخزر) عند خلخال وفيها يصاد السمك •

وموضع عقبة حلم التى يطلق عليها الترك ، على قول المستوفى ، اسم كرلاوه (أو كرلادى) قد ذكرها المستوفى فى مسالكة ، لان بلدة حلم الجديدة تقوم فى نحو من نصف الطريق بين أركنج القديمة التى خربها المغول قبل قرن من زمنه وأركنج الحديثة التى ابنتت فى مكانها • وإلى ذلك ، فان المستوفى فى كلامه على بحر قزوين ووصفه للمبنا الذى فى جزيرة أبسكون (أنظر الصفحة ٤١٩ - ٤٢٠) ، قال ان هذه الجزيرة قد اختفت فى أيامه فى البحر لأن جيحون الذى كان يصب قبلا فى البحيرة الشرقية (أى آرال) مما يلى بلاد باجوج وماجوج ، قد غيّر مجراه منذ الفتح المغولى فصار يصب اليوم فى بحر الخزر (أى قزوين) • وبما ان هذا البحر الاخير لا منفذ له ، فان سطح الماء فيه قد ارتفع وغمر الارض اليابسة (أى جزيرة أبسكون) •

وما ذكرناه أعلاه قد أيدته الاخبار التى كتبها عن جيحون فى سنة ٨٢٠ (١٤١٧) حافظ ابرو ، فقد كان من رجال حكومة شاه رخ ابن تيمور وخلفه وهو ولا شك كان حسن الوقوف على جغرافية هذه البلاد بما اطلع عليه بنفسه • فقد كتب فى السنة المذكورة فى كلامه على موضعين متباينين ، ان جيحون الذى كان قديما يصب فى بحيرة خوارزم (أى آرال) قد اتخذ له مجرى جديدا ، فصار الآن ينحدر مارا بكرلاوه ، وتسمى أيضا أقرنجه ، الى بحر الخزر (أى قزوين) • وزاد على ذلك ان بحر آرال فى أيامه كاد أن يختفى • ثم ان روى كنز اليز دى كلافيجو (Ruy Gonzalez de Clavijo) السفير الاسباني الذى زار هذه البلاد سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) أى قبل ان كتب حافظ ابرو أخباره ببضع سنين ، قد عزز ذلك بما بيته عن ان جيحون « يصب فى بحر باكو » وهذا لا يعنى الا

قزوين . على ان مما ينبغي الاشارة اليه ، ان كلا فيجو لم يكن في ما كتبه في هذا الشأن الا راويا ما نقل اليه .

اما سبب عودة جيحون الى ان يصب في بحر آرال ثانية فغير معروف . ولكن هذا التحول العظيم لا بد ان حدث قبل ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، لان أبا الغازي ، وهو من أهل أرگنج ، قد أشار الى ذلك وكان الامر قد كان حقيقة راهنة في سنة ٩٤٨ (١٥٧٦) أي قبل مولد أبي الغازي نفسه بنحو من ثلاثين سنة . فقد ذكر ان جيحون في التاريخ المذكور قد اتخذ له مجرى جديدا ، وبعد ان ينطفئ أسفل من خست منارهسي (أي برج خست) ، يتجه رأسا الى بحر آرال وبهذا التحول قد جعل الاراضي التي بين أرگنج وبحر قزوين صحراء ماحلة . وفي موضع آخر من كتابه ، في سياق كلامه على الأزمئة الاولى ، ذكر في جملة حوادث سنة ٩٢٨ الى ٩٣٧ (١٥٢٢ - ١٥٣١) ان الطريق من أرگنج الى أبو الخان على قزوين كان كله حقولا مزروعة وكروما تحفّ بما كان حينذاك مجرى جيحون الاسفل . على ان الظاهر ، ان أبا الغازي ، يعتن حصول التغير في مجرى النهر في زمن متأخر كثيرا . ذلك ان أنطوني جنكنسن حين طوافه في روسيا الى خيوة في سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) تكلم على نهر جيحون فقال انه يصب « لا في بحر قزوين ، على ما كان حاله في الأزمئة السالفة » . فانه حين رآه كان هذا النهر العظيم قد اتخذ مجراه رأسا الى بحر آرال « بحيرة كي (Kithay) أي الخطا » (١٠) .

(١٠) المقدسي ٢٨٥ : يافوت ٤ : ٦٧٠ ؛ المسنولي ١٩٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، جهان نا ٣٦٠ ؛ حافظ ابرو ٢٧ ب ، ٣٢ ب ، أبو الماري ٢٠٧ و ٢٩١ ؛ كلافيجو ، Embassy ص ١١٨ Hakluyt, Principle Navigations ٢ : ٤٦١ و ٤٦٢ في « رحلة أنطوني جنكنسن » .
Das Alte Bett des Oxus (Leiden 1876)

بحث البروفسور دي غويه في
في تفنيد أمثال البلديين العرس ، وانتهى الى ان جيحون كان في غضون المصور الوسطى جميعها ، يصب في بحر آرال على نحو ما هو اليوم . ومهما يكن من أمر ، فان السببات الدالة على ان تقسا من مياه جيحون كان يجري في العميق القديم الى مزوين خلال مدة تزيد على ثلاثة فرون ، لا يمكن ادخالها . ولنا ان مزيد على ذلك ان السر هنري رولسن ، الذي درس هذه القضية وهو جغرافي يتتبع الحقائق بنفسه ومطلع اطلاعا تاما على ما كتبه المصنفون العرب والفرس ، يصير على الرأي العائل ان جيحون كان في خلال تلك القرون المديدة يصب في مزوين دون أي ريب . ومما ينبغي قوله ، ان شيئا من الالتباس قد حدث من الاسماء المتباعدة التي أطلقها البلدانون المسلمون على قزوين وآرال . فانهم أشاروا الى قزوين بوجه عام باسم بحر الخزر نسبة الى قبائل الخزر التي حلت في سواحله البعيدة ،

وأهم تجارات خوارزم ، الطعام والحبوب والفواكه . وهى بلاد خصبة . ويرتفع منها قطن كثير ، ومن أغنامها الصوف . وترعى فى منافعها قرب آزال قطعان الماشية . وكان يحمل منها اصناف كثيرة من الجبن واللبن . وفى أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأعلاها . وتجلب اليها من بلاد البلغار على الفولجا . وذكر المقدسى وغيره اصنافا كثيرة منها . ومما اشتملت عليه : فراء الدلق (أو الدله) والسمور والثعالب ونوعين من القندس . وكذلك فراء السنجاب وقاقوم (قاقم ، قاقون) والفشك وابن عرس ، وتعمل منها الحلل الطويلة والقصيرة . ويحمل منها جلود الارانب والمعزى المدبوغة . وكذلك جلود الحمر الوحشية .

ومن غلات خوارزم وصناعاتها : الشمع ولحاء شجر والحوار الأبيض المسمى التوز وهو يتخذ غلافا للدروع ، وغراء السمك وأسنان السمك والعنبر والخلنج والعسل والبندق والسيوف والدروع والقصي . وعرفت خوارزم أيضا بالبزاة . ويرتفع منها أيضا عنب وعتاب وسمسم كثير . ويعمل فيها البسط وثياب اللحف والدياج المنسوج من القطن والحريز . وتحمل منها الأزر والمقانع من القطن والحريز وغيرها من الثياب الملونة . والحدادون يعملون الاقفال . وتنتج فيها السفن من جذوع الاشجار وتتخذ للملاحة فى الانهار الصغيرة الكثيرة . على ان أهم تجارات خوارزم فى المثة الرابعة (العاشرة) كانت جلب الرقيق ، فقد كانوا يشترون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من يدو تلك البرارى ، وبعد أن يعلموهم ويؤدبوهم بالأدب الاسلامية ، يجلبون منها الى سائر بلاد الاسلام فكانوا يتولون ، على ما يروى التاريخ ، أجل مناصب الدولة ووظائفها^(١١) .

ولكنهم سموا أيضا بحر طبرستان أو مازندران أو بحر أبسكون أو جرجان ، نسبة الى اسماء الاقاليم المختلفة المعروفة التى تكتنف سواحله . وسى قزوين أحيانا ، خطأ ، باسم دريا قلزم . ولكن قلزم كان الاسم الذى أطلق على البحر الأحمر . أما آزال فكانوا يسمونه بوجه عام باسم بحيرة خوارزم وكذلك بحيرة الجرجانية (قصبه خوارزم) وما أسهل ما يقرأ هذا الاسم الاخير خطأ بصورة جرجان ، مما ولد التباسا كبيرا بين قزوين (بحر جرجان) وآزال (بحيرة الجرجانية) . وكان آزال يعرف أيضا لدى البلدانين الفرس باسم دريا شرق (أى البحر الشرقى) . على ان هذا كله لا ينقض الحقائق التى دولها تدويننا واضحا المستثنى وحافظ أبرو وأبو الغازي .
(١١) الاسطخرى ٣٠٤ و ٣٠٥ : ابن حوقل ٣٥٤ : المقدسى ٣٢٥ .

الفصل الثالث والتسعون

الصفد

بخارا والمدن الخمس داخل أسوارها - بيكند - سمرقند - جبل البتم ونهر
زرفشان أي نهر الصفد - كرمينية - دبوسية وربنجن - كش
ونسف والمدن المجاورة لهما - غلات الصفد وتجاراته -
مسالك ما وراء جيحون حتى
سمرقند .

يمكن القول ان اقليم الصفد ، وهو صفديانا Sogdiana القديمة ، كان
يشمل الاراضي الخصبة في ما بين نهري جيحون وسيحون ، التي كانت تسقيها
مياه نهريين ، هما زرفشان أي نهر الصفد ، وعليه كانت تقوم سمرقند وبخارا ،
والنهر المنساب حيال مدينتي كش ونسف . وكان هذان النهران ينتهيان الى مناطق
أو بحيرات ضحلة في المقافة الغربية من جهة خوارزم . مع ذلك ، فانه لمن الأوجه
أن يعد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان بخارا وكش ونسف كانت
كل واحدة منها تعد كورة بذاتها .

وكان الصفد ، يحسب احدى جنان الدنيا الرابع ، وقد بلغ أوج ازدهاره
في النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) في أيام الامراء السامانيين . ومع ذلك
فقد ظل هذا الاقليم في المئة التالية لها ، في خصب ويسار لا نظير لهما . وكانت
أجل مدنه : سمرقند وبخارا ، ويمكن القول ان الأولى كانت مركزه السياسي ،

- ٥٠٤ -

بينما كانت بخارا عاصمته الدينية • الا ان كلا من المدينتين كانتا فى مرتبة واحدة وتمدان قصبتى الصفد^(١) •

وكان يقال لبخارا أيضا : نومجكت^(٢) • كان عليها فى المئة الرابعة (العاشر) سور سفته « نحو فرسخ فى مثله » • وهى مدينة فى مستواة من الارض ، على مسافة قصيرة من جنوب عمود نهر السغد • ولا جبال بالقرب منها ، وحولها كثير من المدن والقصور والبساتين والمحال ، يجمعها حائط سفته اثنا عشر فرسخا فى مثله ، ويزيد دوره على مئة ميل • ويشق ما يضمه هذا السور العظيم نهر السغد والانهار الكثيرة الآخذة منه •

اما مدينة بخارا نفسها ، فلها فى خارج السور الى شماله الغربى ، قهندز متصل بها ، « وهو فى مقدار مدينة صغيرة • وفيه مساكن الولاة والحبس والخزائن » • وفى خارج المدينة وحولها ، أرباض واسعة تمتد حتى عمود النهر وتحف بضفته الجنوبية • ومن أجلها الارباط التى فى شرقها ، وهى : درب النوبهار ودرب سمرقند ودرب الراميشة وغيرها من الدروب التى لا مجال لذكرها لكثيرها ، ولا يمكن اليوم تعيين مواضعها الصحيحة • ولسور المدينة سبعة أبواب : باب المدينة ، وباب نور (أو نوز) ، وباب حفره ، وباب الحديد ، وباب القهندز ، وباب مهر ، وباب بنى أسد وآخرها باب يعرف ببنى سعد^(٣) • أما مواضع هذه الابواب فغير معروفة ، الا ان باب قهندز ينبغى ان يكون فى الشمال الغربى وهو المفضى الى الريگستان ، السهلة العظيمة أى رجة بخارا وقد اشتهرت فى كل زمان •

وبابا القلعة هما : باب الريگستان أى باب السهل ، وباب الجامع وهذا

(١) الاصطخرى ٣١٦ : ابن حوقل ٣٦٥ : المقدسى ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ياموت ٣ . ٣٩٤ •
(٢) هذه التهجة للاسم ، وكذلك نومجكت ، هى الصحيحة • وكثيرا ما يكتب خطأ بصورة نومجكت (وذلك من تصحيف الساخ) • انظر : المقدسى ٢٦٧ الحاشية ب • اما التهجة الصحيحة فقد ضبطها الحجاج الصبيون الذين ذكروا بخارا باسم نى Numi •

(٣) عدد ابواب بخارا حسبما ذكر المؤلف ثمانية لا سبعة • والظاهر انه اعتمد فى عددها على الاصطخرى وابن حوقل فانهما أشارا الى ان للمدينة سبعة أبواب ولكنها سبعا لها ثمانية ، الا المقدسى فقد ذكر ان للمدينة سبعة أبواب وسرد لها سبعة اسماء وليس باب مهر بينها • (م) •

لاخير كان يفضى الى المسجد الجامع القائم فى الريگستان على باب القهندز المار
لذكر . وكان يشق الارباض عشرة دروب ، ينتهى كل درب ببابه ، وقد عنى
كل من الاصطخرى والمقدسى بسرد أسمائها . والى ذلك فقد كان للمدينة أبواب
أخرى عديدة تقوم فى سككها وشوارعها تفصل بين الاحياء المختلفة . وكثير من
هذه الابواب حديد . وكان المسجد الجامع بالقرب من القلعة . وللمدينة أيضا مساجد
صغيرة متعددة وأسواق وحمامات ورحاب لا تحصى . وفى ختام المثة الرابعة
(العاشرة) كانت دار الامارة فى ظاهر القلعة فى رجة كبيرة يقال لها الريگستان .
وقد أسهب ابن حوقل فى ذكر أنهار المدينة الآخذة من يسار نهر السغد ، التى
تسقى بخارا وبساتينها ورسايقها ، ثم تفنى أخيرا فى المقازة التى فى الجنوب
الغربى قرب بيكند فى طريق آمل ، فلا يصل نهر منها الى جيحون . وكان المجرى
الاسفل للنهر فى هذا الموضع يقال له سامخاس أو خواش^(٤) .

وترى خرائب بخارا القديمة التى كانت فيما قبل الاسلام ، على بضعة أميال من
شمال غربى المدينة الاسلامية قرب ضفة النهر . ويقال لهذه الخرائب ريامين ،
قال فيها المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) : « هى بخارا القديمة ، كبيرة خربة
الاطراف » . وكان فى داخل السور الكبير (أى حائط بخارا) الذى يجمع سهلة
بخارا خمس مدن زاهرة ، منها : خجندة أو خجادة وهى على فرسخ غرب الدرب
المنحدر من بخارا الى بيكند ، على ثلاثة فراسخ من القصبة . وصفها المقدسى بقوله
« كبيرة ، عليها حصن فيه الجامع ، حسنة ظريفة » . وتبلغها بلدة مفكان ، وكانت
على خمسة فراسخ من بخارا وثلاثة من الدرب لصق الجانب الغربى من السور
الكبير . وكان لمفكان « حصن وربض حسن وجامع ظريف به ماء جار ، كثيرة
القرى » .

وكانت تمججكت أو تمشكت (وغالبا ما كتبت وهما بصورة بمجكت
وبومجكت) مدينة صغيرة فى شمال غربى بخارا على أربعة فراسخ منها ونصف
فرسخ عن الدرب الذى الى يسار الطريق الذهاب الى طواويس . والطواويس

(٤) الاصطخرى ٣٠٥ - ٣٠٩ ؛ ابن حوقل ٣٥٥ - ٣٥٨ ؛ المقدسى ٢٨٠ و ٢٨١ ؛ ياقوت

(وتكتب معرفة في الغالب) أعظم المدن الخمس التي في داخل السور الكبير • وكانت مدينة جليلة « لها سوق ، ومجمع عظيم يتنابه الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من السنة • ويرتفع منها من ثياب القطن ما يحمل منه لكثرتة الى العراق • وفيها قهندز ، والمدينة عليها حصار ، ومسجد جامعها في المدينة • • وآخر المدن الخمس الداخلة ، كانت زندنة ، وما زالت قائمة الى يومنا ، قيل انها تبعد عن شمال بخارا أربعة فراسخ • « لها حصن به الجامع وربضها عامر • • وزاد ياقوت على ذلك ان اليها تنسب الثياب الزندنجي وهي ثياب مشهورة في الآفاق •

وعلى فرسخين من خارج السور الكبير وخمسة من بخارا ، في الطريق المنحدر الى جيحون عند فربر ، مدينة بيكند وما زالت قائمة • كان على بيكند في المئة الرابعة (العاشرة) « حصن بباب واحد وجامع في محرابه جواهر ، ولها ربض فيه سوق ولم يكن لها قرى ، انما فيها عدد كبير من الربط قيل انه يبلغ الألف • وبلى المدينة مفازة رملية الى حد جيحون •

وحافظت بخارا على مكانتها الرفيعة في أوائل العصور الوسطى ، ولكن في سنة ٦١٦ (١٢١٩) ادركها الغزو المغولي فنهب المدينة ودمرت عن آخرها • ولم تنهض مما أحاق بها من دمار وخراب مدى قرن ويزيد • وفي أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زار ابن بطوطة الموضع ، نزل في ربض يقال له فتح آباد • وكان معظم الجوامع والمدارس والاسواق ، على الحال المشبعة التي كانت عليها حين غادرها جنكيز خان • وفي الواقع ان بخارا لم تستعد شيئا من ازدهارها السابق الا في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) في عهد تيمور فقد اتخذ سمرقند عاصمة له واستعادت بخارا أختها شيئا من سابق بهائها^(٥) •

أما سمرقند ، فكانت في أعلى النهر ، على نحو من ١٥٠ ميلا من شرق بخارا ، تقوم على مسافة قصيرة من ضفة نهر السفد الجنوبية على نشز من الارض • وعلى

(٥) الاصطخري ٣١٣ - ٣١٥ ؛ ابن حوقل ٣٦٢ - ٣٦٤ ؛ المقدسي ٢٨١ و ٢٨٢ ؛ ياقوت ٧٣٧ و ٧٨٤ ؛ ٢ ؛ ٩٥٢ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٢٧ ؛ E. Schuyler ، Turkistan ٢ : ٨٩ -

- ٥٠٧ -

المدينة سور حوله خندق عميق ولها قلعة مرتفعة عن الارض ، وفي أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة ، تحف بها البساتين والاشجار ، « وقلّ دار تخلو من بساتين ولا دار الا وفيها ماء جار الا القليل » • وتكثر فيها أشجار السرو • وفي القلعة دار الامارة والحبس ، ولكن حين كتب ابن حوقل كان الخراب قد استحوذ على أكثر هذه القلعة • وقد كان عليها « باب حديد من داخله باب آخر حديد » على ما ذكر ياقوت • أما المدينة نفسها فلها أربعة أبواب ، هي : باب الصين في جهة المشرق ، « ينزل عنه بدرج كثيرة العدد ، مطل على نفس وادي السفند » • وباب بخارا في جهة الشمال ، وباب التوبهار في جهة المغرب ، وهو على النشز أيضا • والباب الكبير ويعرف أيضا بباب كش في جهة الجنوب •

ومساحة المدينة ، على ما ذكر ياقوت ، ٢٥٠٠ جريب (أى ٧٥٠ اكرا) ، فيها الاسواق والحمامات • ولهذه المدينة مساكن كثيرة • وماء جار يدخل اليها في نهر من رصاص ، وهو نهر قد بنيت له مسناة عالية من حجارة يجرى عليها الماء من الصغارين حتى يدخل من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله • • وسوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق كان سوقا رحبا وفي أسفل القلعة المسجد الجامع ودار الامارة • ودورها قد بنى كلها بالخشب والطين • وكانت المدينة مكتظة بالسكان •

وأرباض سمرقند تمتد بامتداد ضفة النهر ، في بسيط من الارض ، وعليها سور نصف دائرى طوله^(٦) فرسخان ، يحيط بها من ناحية البر ، والنهر من ناحية الشمال ، احاطة القوس بالوتر ، فيتم بذلك خط دفاعها • وللربض ثمانية أبواب تفضي منها دروب مختلفة ، هذه أسماؤها : أولا باب شداود ، ثم باب أشبسك ، ثم باب سوخشين ، وباب أفشينه ، يليه باب كوهك (أى باب الجبل) ويفضي الى النشز حيث المدينة والقلعة • يليه باب ورسنين ، فباب ريودد • وأخيرا باب قرّخشيد • ومجمع أسواق الربض رأس الطاق في المدينة « والبلد كله : طرفه

(٦) جاء في الاصطخرى عن هذا السور قوله (ص ٣١٧) : « ويكون قطر السور المحيط بربض سمرقند فرسخين » • ونال ابن حوقل فيه أيضا (ص ٤٩٣ من الطبعة الثانية) : « وقطر هذا السور المحيط بالربض نحو فرسخين في فرسخين » • (م) •

وسككه وأسواقه ، الا القليل ، مفروش بالحجارة » • وكانت أسواق ربضها مجمع التجارات ، زاخرة بالسلع الواردة اليها من جميع الانحاء ، فقد كانت سمرقند فرصة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر • ومن جملة ما اشتهرت به الكاغد السمرقندى ، فهو يحمل منها الى سائر بلاد الشرق ، وكانت صناعته قد دخلت اليها من الصين • وهواء سمرقند رطب ، ولكل دار فى المدينة وربضها بستان « حتى انك اذا صعدت أعلى القلعة لم تبد المدينة للنظر لاستتارها بالبساتين والاشجار » • وفى جنوبها جبل صغير يقال له كوهك يمتد طرفه الى مرحلة يوم عن المدينة •

ويرجع سبب الخراب الوقفى الذى حلّ بسمرقند الى المغول ، على ما أوقعوه فى سائر أنحاء ما وراء النهر • فقد خربوا معظم البلد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) حتى ان ابن بطوطة لما زارها فى المئة التالية لذلك الزمن ، قال فيها « لا سور لها ولا أبواب عليها » ، وأكثر دورها خراب والقليل منها آهل • وقد سمي نهرها (أو لعله أراد نهرا كان يأخذ من نهر السغد) نهر القصارين « عليه النواير » • ومع ذلك فقد استعادت سمرقند مجدها السابق بعد ذلك بقليل ، وذلك فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين اتخذها تيمور عاصمة له فجدّد البلد وشيّد المساجد وأقام الربط ، وقد شاهد ذلك كله السفير الاسبانى كلافيجو Clavijo فى سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) وما زال بعض ذلك قائما الى يومنا • وذكر على اليزدى ان مسجدها الجامع قد أنشأ تيمور عند عودته من فتح الهند فكان مردّ بهائه وجماله الى ما وضعه فيه من غنائم تلك الحملة • ووصف كلافيجو سمرقند فى هذا الزمن بقوله انها يحيط بها سور طين وان كبر البلد فى نحو مدينة اشيلية ، موطنه (٧) •

أما رساتيق سمرقند فكان جلها فى شرقها وجنوبها ، وبعضها فى شمال نهر السغد ، وكلها خصة وافرة الخيرات • فطلى تسعة فراسخ من شرق سمرقند

(٧) الاصطخرى ٣١٦ - ٣١٨ ، ابن حوقل ٣٦٥ - ٣٦٨ : المقدسى ٢٧٨ - ٢٧٩ : القزوينى ٣ : ٣٥٩ : ياقوت ٣ : ١٣٤ : ابن بطوطة ٣ : ٥٢ : على اليزدى ٢ : ١٩٥ : كلافيجو فى كتابه Embassy من ١٦٩ •

- ٥٠٩ -

هو مثل ذلك من جنوب النهر ، مدينة بنجيكت ، (ما زالت قائمة حتى اليوم باسم
 ينجكند) حولها رستاق كثير الثمار خصب ، مشجّر باللوز والجوز . وتمتد حقول
 القمح على الانهار . وبين هذه المدينة وسمرقند ، القرية الكبيرة ورغسر ورستاقها
 خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر السفد . وفي الناحية الجنوبية من القصبه كان
 رستاق مائة رَغ فيه قرية رِيو دَد على فرسخ من سمرقند ، ويجاوره رستاق
 سنجرغن . « وليس في جميع الرستاق أكثر قرى وأشجارا وخيرات منه
 (أي مايمرغ) » . والى جنوبه ، الرستاق الجبل المعروف بجبال السوادار وهو
 أصح رستاق الاقليم هواء . وفي هذا الرستاق ، على ما ذكر ابن حوقل ، « صمّر
 للنصارى - ربما كانوا من النساطرة - يعرف بوزكرد » . وكان يزار كثيرا ،
 ودخله عظيم . وكانت الادبة التي في هذه الجبال ، في غاية الخصب ، وعلى
 أنهارها تنبت القرى ، وخيراتها وافرة . ورستاق الدرغم « أزكى الرستاق
 وأكثرهن مراعى ومياها . ويفضل من أعنابه ما يحمل الى غيرها من الرستاق » .
 وعلى حده كان رستاق أوفر أو أبغر ، وهو « رستاق ، عامته مباحس ، كثير
 القرى ، أهلها أصحاب مواش » ، قطره نحو من فرسخين وهذا الرستاق هو
 آخر الرستاق في جنوب سمرقند والنهر .

وفي شمال ضفة نهر السفد ، في تخوم أشروسنة ، رستاق بوزماجن أو
 بوزماجز ، ومدينته باركت أو أباركت ، وهي على أربعة فراسخ أو مرحلة يوم
 من سمرقند الى شمالها الشرقي . وعلى أربعة فراسخ أخرى شمالا ، كَشَفَقَن
 وهي قرية ذات شأن عرفت في الازمنة الاخيرة برأس القنطرة . ويليه رستاق
 بُرَنَمَذ ، أو فورنمذ ، وهو يتاخم أشروسنة ، ويليه رستاق ياركت وهو أعلى
 الرستاق الشمالية . وتكثر في هذين الرستاقين المراعى .

وعلى سبعة فراسخ من شمال سمرقند ، مدينة اشتيخن ، لها قهندز وربض
 وأنهار تأخذ من نهر السفد ، وهي مشهورة بكثرة زروعها . ونعتها الاصطخرى
 يقلب السفد لخصبها . وعلى سبعة فراسخ أخرى شمالا كانت الكُشَانِيَة أو كُشَانِي
 ، وهي أعمر مدن السفد ، وأهلها من ذوى اليسار والراء . والى شمالها أيضا ،

رستاق كبوذنجكت ، وهو على ما ذكر ياقوت يعد فرسخين عن سمرقند ، ومدينته يقال لها لنجوغكت . وعلى ظهر هذا الرستاق ، رستاق وذار وأرضه جبلية ومدينته على اسمه ، وفيها يعمل الثياب الوذارية القطنية . وأخيرا رستاق المرزبان ، وهو المرزبان بن تركسفى « من دهاقين الصغد ، أى نبلاته . ويتصل هذا الرستاق برستاق وذار^(٨) .

أما نهر السفد ، أو زرفشان (ناشر الذهب) على ما يسمى به اليوم ، فإن منابعه فى جبال يقال لها البُتْمُ ، وهو يفصل بين أنهار إقليم الصغد من جهة وأنهار الصفغان ووخشاب من جهة أخرى وقد مر ذكرهما فى الفصل الثانى والثلاثين ، وهما من روافد يمين نهر جيحون . وسفوح جبل البتْم وان كانت عالية شديدة الانحدار ، فإن القرى كانت تنبث فوقها ، وفيها معادن الذهب والفضة وكذلك يستخرج منها الحديد والزئبق والنحاس والآتْك والنفط والقيز ، وبحمل من هذا الرستاق الزيت والقيز وزج « وحجارة تحرق عوضا عن الفحم » والنوشاذر . والنوشاذر يجمع من غار يرتفع فيه بخار ، ذكر الاصطخرى ان فى الجبل « مثل الغار ، يبنى عليه بيت ، ويستوثق من أبوابه وكواه ، فيرتفع من الغار بخار يشبه بالنهار الدخان وبالليل النار ، فاذا تلبد هذا البخار ، قلع منه وهو النوشاذر . ولا يتهاى لاحد أن يدخله من شدة حره الا ان يلبس لبودا ويدخل بها كالمختلس . وهذا البخار يتنقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر ، فاذا انقطع من مكان حفر عليه من مكان آخر فظهر منه^(٩) .

ومبدأ نهر السفد فى موضع يقال له جَن أو جى ، وهو « مثل بحيرة حوالها قرية ، وتعرف الناحية برغر » أو ورغر ، فينصب النهر من البحيرة بين جبال حتى ينتهى الى بنجيكت ثم ينتهى الى مكان يعرف بورغسر « وتفسيره رأس السُكْر » فى لغتهم . لان عنده تنسحب من النهر أنهار تسقى سمرقند ورستاقها التى فى شمال نهر السفد . ومن الانهار الآتية الى سمرقند اثنان يحملان السفن ، وقد

(٨) الاسطخرى ٣٢١ - ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٧١ - ٣٧٥ : المقدسى ٢٧٩ : ياقوت ١ : ٢٧٧ ؛ ٢ : ٤٤٧ و ٨٩٠ : ٤ : ٢٣٤ و ٢٧٦ و ٩٤٤ .
(٩) الاسطخرى ٣١٢ و ٣٢٧ : ابن حوقل ٣٦٢ و ٣٨٢ .

سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار المختلفة والرساتيق التى تسقيها وما فيها من قرى •

وكان على النهر فى سمرقند قنطرة حجارة يقال لها قنطرة حرّء ، كانت مياه الفيضان أحيانا تضرها كلها • ويأخذ من النهر أسفل سمرقند أنهار أخرى تسقى الرساتيق التى حول الدبوسية وكرمينية • وسنصفهما الآن • ثم يصل نهر السغد الى قرب بخارا ، فيسمى النهر فى هذا الموضع بنهر بخارا ، وكان يأخذ منه فى ظاهر سور بخارا الكبير أنهار تسقى المدينة وما يليها من أرضين • وقد سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار أيضا وما عليها من قرى وبعض هذه الانهار يؤلف شبكة للسقى تعود مياهها الى عمود النهر ، بينما كان غيرها يفنى بعد السقى ، وهو ما كان فى الجنوب الغربى • والمعروف ان الانهار الكبيرة التى كانت تصل مدينة بخارا يصلح كلها لسير السفن^(١٠) •

وكان بين بخارا وسمرقند فى ضفة السغد الجنوبية ثلاث مدن كبيرة فى المئة الرابعة (العاشرة) ، هى كرمينية (وما زالت قائمة) والدبوسية وربنجن • أما كرمينية فهى على مرحلة بريد شرق الطواويس فى ظاهر السور الكبير ، وهى أكبر من الطواويس وأعمر وأكثر عددا ، ولها قرى كثيرة ، وأراضيها خصبة وانهارها وافرة تأخذ ماءها من نهر السغد • وقد ذكر ياقوت كثرة أشجارها • وعلى مرحلة بريد من شرقها ، مدينة الدبوسية وهى كذلك على نهر يأخذ من ضفة السغد الجنوبية ولكنها لا قرى كبيرة فيها ولا أعمال لها •

وبلدة خديمىمكن ، كانت تبعد فرسخا عن كرمينية وغلوة عن شمال الطريق العام • وعلى ضفة السغد الشمالية ، على فرسخ فوق خديمكن ، بلدة مديامشكت • وكانت أسفل منها بفرسخ قرية خرغانكت وهى على ضفة النهر الشمالية بازاء كرمينية ولا تبعد عنها غير فرسخ • وهذه القرى الثلاث ، كانت من الكبر فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيث ان لكل منها مسجدا جامعا • وذكر ياقوت ان خديمكن « تختص بأصحاب الحديث » • اما اربنجن ، أو ربنجن ،

(١٠) الاسطرخى ٣١٠ - ٣١٢ و ٣١٩ - ٣٢١ ؛ ابن حوقل ٣٥٩ - ٣٦١ و ٣٦٨ - ٣٧١ •

- ٥١٢ -

فعلى مرحلة بريد من شرق الدبوسية وأكبر منها • وإلى شرقها أيضا ، فى نصف الطريق بين ربنجن وسمرقند ، على سبعة فراسخ من هذه القصبه ، كانت زرمان • هذا ، وقد سرد المقدسى أسماء عدد كبير من المدن الصغيرة الاخرى حول بخارا ، ووصفها • ولكن مما يؤسف عليه انه لم يذكر المسافات بينها ليتسنى تأشير مواضعها^(١١) .

وفى الناحية الجنوبية من نهر السغد ، يجرى نهر مواز له ، وينتهى مثله فى مناقع بيد أنه أقصر منه ، يقال له اليوم كُشْكَه دريا ، وعليه تقوم شهر سبز وقرشى ، كانت شهر سبز (أى المدينة الخضراء) فى العصور الوسطى ، تعرف باسم كَشْ • قال فيها ابن حوقل : « مدينة لها قهندز وحصن وربض • ومدينة أخرى متصلة بالربض » لعلها هى المعروفة اليوم بكتاب • وكان يقال لها قديما المصلى ، فيها الخانات ودار الامارة • وفى ربضها الاسواق • « والحبس والمسجد الجامع فى المدينة الداخلة ، ومقدارها نحو ثلث فرسخ فى مثله (أى ربع ميل مربع) ، وبنائها من طين وخشب ، وهى مدينة خصبة جدا ، جرومية ، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ما وراء النهر ، وتأتى بواكيرها الى بخارا » • ولمدينة كَشْ الداخلة أربعة أبواب هى : باب الحديد ، وباب عبد الله ، وباب القصابين ، والرابع باب المدينة الداخلة • وللمدينة الخارجة بابان ، أحدهما باب بركتان « وبركتان قرية ينسب اليها الباب » ، وباب المدينة الخارجة^(١٢) •

والنهر المعروف اليوم بنهر كَشْكَه كان يقال له فى المئة الرابعة (العاشرة) نهر الفصارين « ويخرج من جبل سَيَّام ويجرى فى جنوبى المدينة » أى مدينة كَشْ • ويجرى فى شمالها نهر أسرود • وفى ما بلى طريق سمرقند ، على فرسخ ، كان يقطع هذا الطريق نهر يقال له جاي رود ، وإلى جنوبه ، على فرسخ من كَشْ فى طريق بلخ ، نهر خَشْك رود (أى النهر الجاف) • وفى ما بلى

(١١) الاسطخري ٣١٤ و ٣١٦ و ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٦٣ و ٣٦٥ و ٣٧٥ : المقدسى ٢٨٢ : ياقوت ٢ : ٤٠٦ و ٩٢٥ : ٤ : ٣٦٨ .

(١٢) ذكر المؤلف الباب الثانى بهذا الاسم مستندا الى المقدسى (ص ٢٨٢) • ولكن ابن حوقل (ص ٥٦١) سماء باب المدينة الداخلة (ص) •

- ٥١٣ -

هذا النهر ، على ثمانية فراسخ منه ، نهر خُزار رود . وهذه الانهار ، بعد أن تسقى رساتيق كش ، تجتمع فضلاتها فتصير نهرا واحدا يمر بمدينة نسف . وكان « طول عمل كش نحو أربعة أيام في مثلها » . وهو معروف بوفرة خصبه . وفي الجبال المجاورة لكش : الملح « وبها يسقط المن المسمى الترنجيين والعقاير الكثيرة » وكانت تحمل الى كثير من آفاق خراسان . واشتهرت كش في الازمنة الاخيرة بان فيها ولد تيمور الذي جدد في أواخر المئة الثامنة (الرابعة عشرة) المدينة وبنى فيها القصر الابيض - آق سراي - وكان يؤثر الإقامة فيه . وفي هذا الزمن عرفت كش باسم شهر سبز (المدينة الخضراء) وما زالت تعرف به حتى اليوم (١٣) .

وعلى مئة ميل ونيف في منحدر النهر أسفل كش من ناحيتها الغربية ، المدينة المعروفة اليوم باسم قَرَشِي وكان يسميها عرب القرون الوسطى نسف والفرس نخشب . كان لنسف في المئة الرابعة (العاشرة) قهندز ، وريض عامر في ظاهر المدينة ، له سور وأربعة أبواب هي : باب التجارية وباب سمرقند وباب كش وباب غوبذين . وتقوم نسف على النهر الذي يتألف ، على ما بيننا ، من مجتمع فضلات أنهار عديدة تأتي من رساتيق كش . وعلى ضفته : دار الامارة ، عند الموضع المعروف برأس القنطرة . وجبها عند دار الامارة ، والمسجد الجامع قرب باب غوبذين . « وأسواقها في الريض مجتمعة ما بين دار الامارة ومسجد الجامع والمصلى بناحية باب التجارية داخل الباب » . وقد أطرى المقدسي كثرة أعناب نخشب الجيدة وتكلم على أسواقها الحسنة . وكانت مزارعها خصبة وبساتينها كثيرة . الا انها « ليست لها قرى كثيرة ولا نواح » مثلما كان لكش .

وعرفت نسف أو نخشب في التاريخ بأنها موطن المقنع - نبي خراسان - الذي نهض في النصف الاخير من المئة الثانية (الثامنة) وصنع العجايب . فقد كان يصعد من بئر في نخشب ليلة بعد ليلة القمر أو ما هو مثل القمر ، فكان الناس يتعجبون من ذلك . وكان الفرس يلقبون المقنع بـ « ماه سازنده » أي صانع

(١٣) الاصطخرى ٣٢٤ ؛ ابن حوقل ٣٧٥ - ٣٧٧ ؛ المقدسي ٢٨٢ ؛ على اليزدي ١ ؛ ٣٠٠ و ٣٠١ .

القمر • وتروى الاخبار التاريخية ان فتنة اتباع المقنع قد عانى منها كثيرا قادة جيش الخليفة المهدي مدى سنين • أما مدينة نخشب ، فقد ابنتى فيها كيك خان بعد الغزو المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، قصر له فى موضع على فرسخين من المدينة القديمة ، و « القصر » فى اللغة المغولية يسمى « قرشى » فسرى هذا الاسم على الربض الذى قام حوله وحل محل نفس القديمة أى نخشب • نزل ابن بطوطة هنا فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، ووصف قرشى بانها بلدة صغيرة تحفّ بها البساتين • وفى ختام هذا القرن ، كان تيمور كثيرا ما يشتى فى قرشى ، ثم بنى قربها حصارا أى قلعة^(١٤) •

وكان قرب نفس ، فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها ، مدينتان لكل منهما جامع ، صغراهما بزده أو يزده • لها قلعة قوية وهى على ستة فراسخ غرب نفس فى طريق بخارا • والاخرى ، وهى الكبيرة كسّبه ، كانت على أربعة فراسخ من نفس فى طريق بخارا • ولها أسواق عامرة على ما ذكر ياقوت • وكان الى ذلك ، بين نفس وكش ، على مرحلة بريد غرب المدينة الاخيرة ، المدينة أو القرية الكبيرة المسماة توكمديش • وعلى مرحلة أخرى جنوب شرقي نفس ، فى الطريق الى باب الحديد (أنظر صفحة ٤٨٥) ، كانت سوتنج ، وهى قرية كبيرة • وفى جوارها على فرسخ منها : اسكيفن ، ويسقى هاتين القريتين نهر خزار وقد سبق ذكره^(١٥) •

اما حاصلات اقليم الصفد وصناعاته ، فعديدة • فكان يرتفع من بخارا بطيخ فائق يحمل الى الآفاق ، ويرتفع منها أيضا البسط والمصليات والثياب الرخوة وثياب الفرش التى كانت تفرش فى حجرات الضيوف ، وكانت تنسج فى محابسها حزم الخيل ، وتدبغ فيها جلود الضأن ، ويرتفع منها الشحم ودهن الرأس وتحمل الى الآفاق • وأكثر ما اشتهرت به سمرقند : الكاغد • يعمل فيها ثياب

(١٤) الاسطخرى ٣٢٥ : ابن حوقل ٣٧٧ و ٣٧٨ : المقدسى ٢٨٢ : القزوينى ٢ : ٣١٢ :
ابن بطوطة ٣ : ٢٨ : عل اليزدى ١ : ١١١ •

(١٥) ابن حوقل ٣٧٦ - ٣٧٨ : المقدسى ٢٨٣ : ياقوت ١ : ٦٠٤ : ٣ : ١٩٧ : ٤ : ٢٧٣

حمر وديباج وقز • وكان الصفارون يصنعون القدور العظيمة من النحاس ، وغيرهم يعملون الركب والسيور وأحزمة السرج وكذلك أصناف القماقم والقناني • ويحمل من رساتيقها البندق والجوز • وكان يرتفع من كرمينية بين بخارا وسمرقند : المناديل • ومن الدبوسية : ثياب وديباج • ومن ربنجن : اللبود الحمر ومصليات وطاسات والجلود وحبال القنب والكبريت ويرتفع منها أيضا أزر النساء^(١٦) •

ولقد بيّنا في الفصل الثلاثين (ص ٤٧٣) ، ان طريق خراسان كان يقطع جيحون مما يلي أموية الى فريز ، ومنها يتابع الى بيكند فيدخل باب السور الكبير الى بخارا • ومن هذه القصة يصعد الطريق في محاذاة ضفة نهر السفد اليسرى الى سمرقند مارا بمدن هذه الناحية الكبيرة • وقد وصف هذا الجزء من الطريق جميع المصنفين القدماء باختلاف طفيف فيما بينهم • غير ان ابن حوقل والمقدسي ذكرا أيضا المسافات بين المدن الخارجة في رساتيق بخارا وسمرقند^(١٧) •

والطريق الذي يخترق خراسان الى بلخ (أنظر صفحة ٤٧٤) يعبر جيحون الى ترمذ ، وعندها يتشعب الى طرق مختلفة : ففي الشمال طريق يتخلل الصفانيان وقباذيان الى واشجرد • ومنها يعبر قنطرة الحجارة فيصل الى ناحيتي الوخش والختل • وفي الشمال الغربي ، يصعد طريق آخر من ترمذ الى باب الحديد • وفي ما يلي كَنَدَك بمرحلة ، يتشعب : فالى الشمال يذهب الطريق الايمن الى كش ومنها يبلغ سمرقند والى الشمال الغربي ينتهي الطريق الايسر الى نخشب • وهناك ينعطف فرع منه يتجه شرقا فيعود الى كش • أما الطريق الكبير نفسه ، فانه يقطع المفازة الى بخارا • وقد وصف هذه الطرق ، مع ذكر المسافات القصيرة في الغالب ، الاصطخرى وبعضها المقدسي^(١٨) •

(١٦) ابن حوقل ٣٦٤ ؛ المقدسي ٣٢٤ و ٣٢٥ •

قلنا : في المقدسي (ص ٣٢٤) : « ومن ربنجن أزر الشتاء » وفي الحاشية « النساء » • وقد وهم المؤلف بقراءة لفظة « أزر » فجعلها في المتن الانكليزي « أزر الشتاء » • (م) •

(١٧) ابن خرداذبه ٢٥ و ٢٦ ؛ قدامة ٢٠٣ ؛ الاصطخرى ٣٣٤ و ٣٤٢ ؛ ابن حوقل ٣٩٨ و ٤٠٢ ؛

المقدسي ٣٤٢ و ٣٤٣ •

(١٨) الاصطخرى ٣٣٧ - ٣٤١ ؛ ابن حوقل ٣٩٩ - ٤٠٣ ؛ المقدسي ٣٤٢ - ٣٤٤ •

وكانت دلتا جيحون فى اقليم خوارزم ، يصلها من آمل فى جانب خراسان طريق يصعد فى محاذاة ضفته اليسرى الى الطاهرية حيث يبدأ حد الزراعة ومنها يتابع الى هزاراسب . وهنا طريق يذهب يسارا مارا بخيوه الى الجرجانية (اركنج) . وطريق آخر ينعطف الى كاث والمدن التى على يمين جيحون . وقد وصف الاصطخرى والمقدسى هذه الطرق . وكذلك الطريق الذى يقطع المفازة نحو الجنوب الشرقى من كاث الى بخارا رأسا . والى ذلك ، فقد ذكر المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) طريقين يأتیان من الجنوب ويجتمعان فى اركنج ، فيذهب أحدهما شمالا من فراوة (هى الآن قزل اروات . أنظر صفحة ٤٢١) الى اركنج قاطعا المفازة . والآخر يذهب من مرو ويقطع المفازة أيضا ويجتاز فى مواضع كثيرة الرمال المتحركة حتى يصل الى الطاهرية على جيحون . وقد ذكر هذا الطريق الاخير أيضا جهان نما . ومن هزاراسب يكاد هذا الطريق يتابع الطريق نفسه ، الذى وصفه البلدانون العرب المنتهى بقصبة خوارزم فى الجرجانية^(١٩) .

(١٩) الاصطخرى ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ ؛ ابن حوقل ٤٠٠ و ٤٠٢ ؛ المقدسى ٣٤٣ و ٣٤٤ ؛ المستوفى ١٩٧ و ١٩٨ ؛ جهان نما ٤٥٧ .

الفصل الرابع والثلاثون

اقليم نهر سيحون

الليم اشروسنة - بونجكت وهى لمبته - زامين والمدن الاخرى - الليم فرغانة - نهر جكسارتس
Jaxartes اى سيحون - الحسيكت وانديجان - اوش واوذكند والمدن الاخرى - الليم
الشاش اى بنكت - بناكت اى شاء رحية والمدن الاخرى - ناحية ايلاق ومدينة
تونكت ، ومعادن الفضة فى خشت - ناحية اسيجاب - مدينة اسيجاب
اى سيرام - جمكند وفاراب اى اتراد - يسى وصبران - جند
وينفكتت - طراز وميركى ومدن الترك النائية -
حاصلات اقليم سيحون - المسالك
التي فى شمال
سمرقند .

اقليم اشروسنة - وكتب أيضا : أسروسنة وسروسنة وستروسنة - يقع فى
شرق سمرقند ، بين الرساتيق الممتدة فى محاذاة يمين نهر السند والرساتيق التى
فى يسار نهر سيحون ، ولا يدخل هذان النهران ضمن اقليم اشروسنة ، وأرض
الاقليم سهول وجبال ، ولا تتخللها أنهار كبيرة . أما حده الشرقى على ما ذكر
البلدانيون العرب ، فكان يامير (الفامر) .

وكانت قصبته مدينة اشروسنة ، ويقال لها أيضا بونجكت وبنجكت

وبونجكت ، وموضعها يطابق مدينة أراتيه^(١) الحالية . كانت بونجكت فى المثة الرابعة (العاشرة) ، مدينة يحزر رجالها نحو عشرة آلاف رجل ، وبنائها طين وخشب ، ولها مدينة داخلية منها ، عليها سور بذاتها ، وسور على ربضها ، ولها سور آخر من وراء ذلك . وللمدينة الداخلية بابان : أحدهما يدعى باب الاعلى ، والآخر باب المدينة . وداخل المدينة القهندز والسجن ومسجد الجامع والاسواق . ويجرى بالمدينة الداخلية نهر كبير عليه رحى ، ويشتمل سورها المحيط بالربض ، أى المدينة الخارجة ، على الدور والبساتين ، ويبلغ دوره نحواً من ثلاثة فراسخ . وكان لهذا السور أربعة أبواب ، هى : باب زامين ، وباب مرسمنده ، وباب نوجكت ، وباب كهلباذ . وكان لهذه المدينة ستة أنهار صغيرة تسقى اراضيها سرد ابن حوقل اسماءها . وجميع هذه الانهار ، من منبع واحد وعين واحدة ، ويكون مقدار ما يدير عشر أرحية ، ومن المدينة الى منبع الماء أقل من نصف فرسخ ، . وكانت المدينة مشهورة بكثرة النزء والبساتين .

وزامين ، وهى ما زالت قائمة ، الى الشرق من بونجكت . وهى على طريق خراسان الآتى من بخارا وسمرقند ، حيث يتشعب أخيراً الى طريقين : أحدهما يذهب شمالاً الى الشاش (تاشكند) والآخر نحو الشمال الشرقى الى فرغانة وما وراءها . كانت زامين فى المثة الرابعة (العاشرة) تقارب القصبه بونجكت فى الكبر ، وهى مدينة قديمة جداً كانت تعرف باسم سوسنده أو سرسند ، لها مسجد جامع وأسواق حسنة ، تحف بها البساتين والمزارع ، وليس عليها سور . وللمدينة نهر عليه جسر صغار . ومدينة ساباط ، ما زالت قائمة أيضاً وهى بين زامين وبونجكت فى طريق فرغانة . قال فيها المقدسى « عامرة ، وبها عين ماؤها جار ، يحدق بها بساتين »^(٢) .

(١) ينبغي ان لا يلتبس عل القارىء اسم بونجكت ، قصبه اشروسنه ببنجكت (بنجكت) التى لى شرق سمرقند . وقد عينت المسالك موضع قصبه اشروسنه (انظر : ابن خردادبه ٢٩ ؛ قدامة ٢٠٧ والاصطخرى ٣٤٣) هذا فيما عدا الروايات المحلية اليوم التى تؤيد ذلك (انظر : Schuyler فى كتابه Turkistan ١ : ٣١٢) . الاصطخرى ٣٢٥ ؛ ابن حوقل ٣٧٩ ؛ المقدسى ٢٦٥ ؛ ياقوت ١ : ٢٤٥ و ٢٧٨ و ٧٤٤ .

(٢) الاصطخرى ٣٢٦ و ٣٢٧ ؛ ابن حوقل ٣٧٩ و ٣٨٠ ؛ المقدسى ٢٧٧ .

أما مدن اسروشنة الاخرى ، فقد انتهت بنا اسماؤها ، ولكن دون ما وصف ، ومواقع أغلبها غير معروفة . فما زال منها قائما ، أو ما يمكن تعيين مواضعه من وصف المسالك ، هو ما يأتي : ديزك ، ويقال لها أيضا چيزك في شمال غرب زامين . وإلى جنوبها ، في الطريق من سمرقند ، مدينة خرقانة . وخواوس ، أو خواوس ، في الطريق الداهب شمالا من زامين إلى الشاش . وكركت على حدود فرغانة في نصف الطريق بين ساباط وخجندة . ولا يمكن تعيين موضعي المدينتين الصغيرتين منك ومرسمندة تعيينا صحيحا لان كتب المسالك لم تذكر ولا واحدة منهما . ولكن ينبغي ان تكون مرسمندة مجاورة للقنصة ان استدلتنا باب مرسمندة في بونجكت على ذلك . كانت مرسمندة في الجبال ، شديدة البرد ، لها ماء جار ، قليلة البساتين لارتفاع سطحها . ذكرها المقدسي فقال « بها أسواق عامرة ، الجامع على ناحية من السوق » ، وهي مدينة جليظة . والظاهر ان مدينة منك كانت في جوارها . واشتهرت بانها الموضع الذي قاتل فيه قتيبة [بن مسلم] وهو القائد العربي في الفتح الاسلامي الاول لما وراء نهر سيحون . « وهناك حصن يعرف بالافشين الاكبر وهو صاحب المعتصم ، وكان قد اتخذ له لنزهته » . وفي ناحية منك ومرسمندة « تتخذ آلات الحديد التي تعم خراسان ويجهز الى العراق ، وذلك لان الحديد بفرغانة لين ممكن لما يراد قنيت في أي صنعة قصد منه » (٣) .

كان نهر جكسارتس العظيم يسميه العرب ، على ما قد بينا (ص ٤٧٧) ، سيحون . على ان اسمه الاكثر شيوعا كان نهر الشاش (والشاش القديمة هي تاشكند) . وانما سمي بذلك لوقوع المدينة المهمة التي بهذا الاسم في القرب من ضفافه . وذكر المستوفي انه في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان المغول القاطنون في هذه الارزاء يعرفونه باسم گل زريان . ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا ، أطلق عليه الترك اسم سيردريا أو سيرسو (نهر سير) . وقد ذكره ابو الغازي بهذا الاسم .

(٣) الاصطخرى ٣٣٦ و ٣٤٣ ؛ ابن حوقل ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ ؛ المقدسي ٢٧٨ ؛ ياقوت ٢ : ٣٩٥

و ٤٢٥ و ٧١٠ -

وذكر ابن حوقل ان نهر سيحون ، يخرج من بلد الترك ، وهو « يعظم من أنهار تجتمع اليه » تأتي من الجبال ويدخل وادي فرغانة العظيم من طرفه الشرقي في حدود اوزكند . ويمتد اقليم فرغانة نحواً من مئتي ميل ونيف الى شمال وجنوب مجراه الاعلى^(٤) . فاذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلل فرغانة ، هي : نهر خرشان ونهرا اُورست وقبا وكذلك نهر جدغيل ولعله هو نهر نرين الحالي ، وأنهاراً أخرى غيرها . فاذا جاوز أسوار اخسيكث القصبه وصل سيحون الى خجندة وعندها يارح نهائياً اقليم فرغانة . ثم ينعطف شمالاً فيستقبل في يمينه نهرين يقال لهما نهر ايلاق ونهر ترك ، ويمرّ بغرب رستاق ايلاق والشاش . وفي ما يلي ذلك ، ينتهي سيحون الى رستاق اسيحباب ثم اذا اجتاز مفاوز الغز والرك ، توزعت مياهه على أنهار عديدة حتى يقع في بحر آرال في القسم الشمالي الشرقي منه . وقد ذكر اللدانيون العرب ان نهر سيحون صالح لسير السفن كنهر جيحون وان سيحون يجمد شتاء مدة أطول من جيحون فكانت القوافل تعبره . وكان يعد « نحو ثلثي جيحون »^(٥) .

أما اقليم فرغانة الذي كان الى وقت قريب يعرف بِخانيّة خوقند ، وقد أعادت اليه الحكومة الروسية رسمياً اسمه القديم ، فكانت قصبته في أوائل العصور الوسطى مدينة أخسيكث ، وسماها ابن خرداذبه وغيره مدينة فرغانة . وهي تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية . وخرائب هذه المدينة شاخصة . وفي المثة العاشرة (السادسة عشرة) لما كان بابر حاكماً على فرغانة ، كانت مدينة الاقليم الثانية ، تعرف باسمها المختصر « اخسى » . وانديجان كانت هي القصبه حينذاك . قال ابن حوقل في مدينة اخسيكث ، انها مدينة واسعة لها قهندز وفيها الجامع ودار الامارة والحبس ولها روض واسع . والمدينة الداخلة ميل في مثله ، فيها مياه جارية وحياض كثيرة . وفيها وفي روضها أسواق ، وعلى روضها سور . وللمدينة الداخلة خمسة أبواب ، هي : باب كاسان ، وباب الجامع ، وباب

(٤) ومن ثمة ، فان نرين هو أطول منابع نهر سبّر . ولم يكن العرب يعدونه عمود النهر .

(٥) ابن حوقل ٣٩٢ و ٣٩٣ : المقدس ٢٢ : ياقوت : ٣ : ٧١٠ : المستوفى ٢١٥ : سائح

لبرو ١٣ : جهان سا ٣٦٠ : ابر الغازي ١٣ و ١٨١ و ٢٩٠ .

رهانة ، وباب لم يضبط اسمه ، ويمكن أن يقرأ بختر . وأخيرا باب المردقشة .
 وكان يحف بالمدينة البساتين الملتفة مقدار فرسخين مما يلي أبواب ربضها .
 وإذا عبرت جيحون وجدت في جانبها الجنوبي المروج والمراعى الكثيرة . والظاهر
 ان اخسيكت قد استولى عليها الخراب كما استولى على مدن كثيرة في اقليم فرغانة
 اثناء حروب محمد خوارزمشاه في مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وما لم
 تنله هذه الحروب بسوء قد دمرته غزوات المغول ، فانتقلت بعدها قسبة الاقليم
 الى انديجان . وفي زمن تيمور ، ذكر على اليزدى اسمها بصورة اخسيكت أو
 اخسيكت ، فاختصر هذا الاسم على ما بينا الى أخسى في أيام بابر^(٦) .

أما انديجان (انديجان الحالية) ، فقد اتخذها ، على ما ذكر المستوفى ،
 كيدوخان حفيد اغتاي بن جنكيز قسبة لفرغانة في النصف الاخير من المئة السابعة
 (الثالثة عشرة) . وقد جاء الاسم انديجان أو اندكان بين اسماء المدن التي سردها
 ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ، وكذلك ذكره ياقوت ، ولكن دون أن
 نجد وصفا لهذه المدينة في مرجع ما ، وان أشار إليها علي اليزدى غير مرة في
 كلامه على حروب تيمور . ويستبان من وصف المسالك ان مدينة قبا كانت في المئة
 الرابعة (العاشرة) ، على ما يظهر ، موضعا ذا شأن ، ينبغي ان يكون قريبا من
 انديجان . وقبا ، على ما في الاصطخرى ، تقارب اخسيكت في الكبر ، وهى من
 أنزه تلك المدن . ولها قلعة مكيئة فيها الجامع في وسط ميدانها ، ولها ربض
 فيه دار الامارة والحبس . وكان على الربض سور محيط به . وفيها أسواق

(٦) ابن خردادبه ٣٠ : الاسطخرى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٩٣ و ٣٩٤ : المقدسى ٢٧١ : القزوينى
 ٣ : ١٥٦ : على اليزدى ١ : ٤٤١ : ٢ : ٦٣٣ .
 أشارت الى اخسى ، الخارطة الروسية الى طبعها Schuyler في كتابه « تركستان »
 ١ : ٣٣٦ ، وصيغتها على مسالة قصيرة من جنوب غربى نمنكن الحديثة - اما « كت » أو « كات »
 التي تنتهى بها بعض الاسماء ، فتترادف « قند » أو « كلت » . وكتلتها تريان في كثير من اسماء
 الامكنة في آسية الوسطى ومعناها في اللغات التركية « مدينة » - وقد اصاب ياقوت (١ : ٤٠٤)
 في التنويه بذلك - انظر مثلا نوزكات (أى الحائط الجديد) في خوارزم المذكورة في صفحة ٤٩٧ .
 قلنا : بسر ياقوت معنى مدينة اوزكند بقوله « ان كند بلفة اهل تلك البلاد معناه القرية » ،
 كما يقول اهل الشام الكفر « وقال في نوزكات « ونوز معناه بلفة الخوارزمية الجديد ، وكان معناه
 الحائط الجديد . وهناك مدينة اسمها كات ، فكانهم قالوا كات الجديدة « ٤ : ٨٢٢ (م) .

كثيرة عامرة (٧) .

وفى نصف الطريق بين اخسيكث وقبا : مدينة اشتيقان ، لها جامع فى الاسواق . والى شرق قبا مدينة أوش ، وقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) موضعا عظيم الشأن . وفى قلعة اوش دار الامارة والحبس ، حسب المعتاد . وحول المدينة ربض وعلى الربض سور ، وهى ملاصقة للجبل . ولها ثلاثة أبواب ، هى : باب الجبل ، وباب الماء وباب مفكدة . وكان جامعها فى رجة واسعة وسط الاسواق . والمدينة كثيرة الانهار التى تسقى أراضيها . وبالقرب منها جبل عليه « مرقب الاحراس على الترك » . وكان فى ما يلى أوش ، مدينة اوزكند ، وهى آخر مدن فرغانة شرقا . « وهى نحو ثلثى أوش ، ولها قهندز وبساتين ومياه جارية » . ولها ربض والاسواق فيه « وهى متجر على باب الاتراك » . و « على بابها نهر . . . يحيط بربضها حائط له أربعة أبواب ، وجامعها فى الاسواق » .

وما هو فى جنوب نهر سيحون من اقليم فرغانة ، يقال له كورة نسيا أو نسائية . وهى اثنان : عليا وسفلى بالنظر الى اختلاف مستوى سطحيهما . فالعليا فى الجبل . وكان فى نسائية السفلى مدينة مرغينان (مرغيلان الحديثة) وقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) « صغيرة وجامعها ناء عن الاسواق » . وفى الغرب منها رشتان وكانت فى ذلك الزمن كبيرة ولها جامع حسن . أما خوقند التى صارت فى الازمنة الحديثة قصبة فرغانة ونسبت اليها خانيّتها ، فلم يرد ذكرها الا عرضا بين مدن نسائية العليا باسم خواكند أو خواقند .

أما خجندة ، فانها أول مدن فرغانة من الغرب ، اذا جئت من سمرقند تقوم على ضفة سيحون اليسرى . وعلى فرسخ من جنوبها : كند وهى ربضها . وخجندة مدينة « طولها أكثر من عرضها » ولها قلعة قوية فيها السجن ، وجامعها فى المدينة . ودار الامارة فى الميدان بالربض . قال فيها ابن حوقل « هى مدينة نزهة » . وأهلها لهم سفن يسافرون فيها فى سيحون . وكان ربض كند الخارج

(٧) الاصطخرى ٣٣٣ ؛ ابن حوقل ٣٩٤ و ٣٩٥ ؛ المقدسى ٢٧٢ ؛ المستوفى ٢٢٨ ؛ ياقوت

١ : ٣٧٥ ؛ ٤ : ٢٤ ؛ على اليزدى ٢ : ٦٣٣ .

- ٥٢٣ -

يقال له كند باذام (أى كند اللوز) على ما ذكر القزوينى لان بها لوزا كثيرا
 * وهو لوز عجيب ينقشر اذا فرك باليد ،^(٨) .

أما مدن شمالى فرغانة ، أى ما كان منها فى يمين سيحون ، فلا يعرف من
 أمرها فى الازمنة الاولى الا الشئ القليل . فقد ذكر المقدسى مدينة وانكث
 فقال : لها جامع وأسواق حسنة . ويتبين من وصف المسالك ، ان وانكث كانت على
 سبعة فراسخ من غرب اخسيكث وعلى فرسخ من ضفة سيحون ، لا تبعد كثيرا عن
 حد ايلاق . والى شمال وانكث ، فى وسط الجبال ، كانت خثيرم أو خيلام ، وهى
 مدينة فى رستاق ميان روزان (أى ما بين الانهار) لها جامع حسن فى وسط
 الاسواق . والى شمال هذه أيضا كانت شكيت أو سيكت ، وهى على قول المقدسى
 * كثيرة الجوز حتى ربما وجدت ألف جوزة بدرهم ، والجامع فى السوق ، .
 اما مدينة قاسان فما زالت قائمة . وصفها البلدانون الاولون بانها تقوم فى ناحية
 مسماة باسمها ، وزاد ياقوت على ذلك ان لها قلعة حصينة ، وعلى بابها نهر يلتقى
 هو وسيحون عند اخسيكث . وأبعد منها شمالا ، ناحية جدغل وكانت مدينتها
 أردلانكث . والى شرق هذه ، ناحية كروان ، واسم مدينتها نجم . ونوه المقدسى
 أيضا بجملة مدن أخرى ولكن مما يؤسف عليه انه لا يعلم شئ عن مواضعها^(٩) .
 والى غرب فرغانة ناحية الشاش . وهى على ما بيننا ، على ضفة نهر سيحون
 اليمنى أى الشمالية الشرقية . والخرائب المعروفة اليوم بتاشكند القديمة هى موضع
 المدينة التى سماها العرب الشاش ، والفرس جاج . كانت فى العصور الوسطى
 أعظم المدن العربية فى ما وراء سيحون . وكان يقال لمدينة الشاش أيضا بنكث^(١٠)
 وذلك على غرار كثير من أسماء المدن فى بلاد ما وراء النهر ، فان لها تسميتين
 ايرانية وتورانية .

وكان على مدينة الشاش فى المئة الرابعة (العاشرة) أسوار كثيرة ، فقد كان

(٨) الاصطخرى ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٤٧ ؛ ابن حوقل ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ ؛ المقدسى ٢٦٢
 و ٢٧٢ و ٣٤٥ ؛ ياقوت ١ - ٤٠٤ ، ابو الفداء ٤٩٨ ؛ القزوينى ٢ - ٣٧٢ .
 (٩) الاصطخرى ٣٣٤ و ٣٤٧ ؛ ابن حوقل ٣٩٦ ؛ المقدسى ٢٧١ و ٢٧٢ ؛ ياقوت ٤ : ٢٢٧ -
 (١٠) لعل ذلك من تصحيف اسم بيكث وقد ذكر ياقوت هذا الاسم (١ : ٧٤٦) .

- ٥٢٤ -

لها مدينة داخلية ، لها قهندز أى قلعة تلاصقها • عليهما سور ، وفى خارج المدينة الداخلية ، الربض الداخل ، وعلى هذا الربض سور • ويليه أيضا الربض الخارج وفيه بساتين وحقول كثيرة ، حوله سور ثالث • وأخيرا السور الكبير على غرار ما كان لبخارا ، يحمى الناحية كلها فيكون حول الشاش من ناحية الشمال بهيئة نصف دائرة يصل ما بين ضفة نهر الترك فى الشرق وسيحون فى الغرب •

فإذا عدنا الى المدينة الداخلية والقلعة ، وجدنا ان فى القلعة دار الامارة والحبس ، ولها بابان أحدهما يفضى الى المدينة الداخلية والآخر الى الربض • وكان المسجد الجامع على سور القلعة • والمدينة الداخلية فرسخ فى مثله ، وفيها بعض الاسواق ، ولها ثلاثة أبواب : باب أبى العباس ، وباب كش ، ولا شك انه كان يفضى الى الجنوب حيث يصل الطريق الآتى من سمرقند • وأخيرا باب الجنيد • وكان لسور الربض الداخل عشرة أبواب (ذكر المقدسى ثمانية فقط) • وللربض الخارج سبعة أبواب سرد ابن حوقل اسماءها • وكان فى الربض الداخل أسواق مدينة الشاش • ويشق البلد أنهار وفى كثيرة تسقى البساتين والاشجار التى فى داخل الاسوار •

أما السور الكبير ، فانه فى أقرب نقطة منه الى البلد ، كان يبعد فرسخا واحدا عن باب الربض الخارج • وهذا السور يبدأ فى الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل سابلنغ • كان يكتنف السهل الواسع المعروف بالقيلاص • وقد بنى هذا السور عبدالله بن حميد لحماية الشاش من غارات الترك فى الشمال • وكان هناك على فرسخ مما يليه ، خندق عميق يمتد من الجبل على نهر الترك الى حافة سيحون فى الغرب • وكان الطريق من شمال الشاش الى اسبيجاب يخترق هذا السور عند باب الحديد •

وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لحق الدمار بعض الشاش فى غضون فتوحات محمد خوارزمشاه ، ثم كان للفرزى المغولى الذى أعقبها ما أضاف الى بؤس أهلها بؤسا على نحو ما حل بشيرها من البلدان • والظاهر ، ان المدينة سرعان ما صلح حالها مما ألم بها من بلايا ، فأصبحت موضعا ذا شأن فى المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) حين وقف عندها تيمور بساكره • وعلى اليزدى الذى ذكرها غير مرة فى وصفه حروب تيمور ، تطرق الى ذكرها بأسماء مختلفة مثل الشاش والچاج وتاشكنت ، ويظهر ان الاسم الاخير قد حرفه السكان الناطقون بالتركية من الشاش الى تاش • وتاشكنت معناه مدينة الحجر • وباسمها هذا قد اصبحت اليوم عاصمة تركستان الروسية^(١) •

ونهر الترك المعروف اليوم بنهر چرچك المار بجنوب شرقى الشاش ، يخرج ، على ما ذكر ابن حوقل ، من جبال جدغل فى شمال نهر نرين ومن بلد الترك الخزرطية الذى يقال له بسكام • وفى جنوبى هذا النهر كان يجرى نهر آخر بهذا الاسم يسمى نهر ايلاق ، ويعرف اليوم بنهر انكرن • وأسفل من التقائه بنهر سيحون مباشرة ، تقوم مدينة بناكت ، ثانى مدن ناحية الشاش • ويقال لبناكت أيضا بناكت ، ويسمىها الفرس فناكنت • ولم يكن لهذه البلدة فى المئة الرابعة (العاشرة) حصن • والجامع فى سوقها • وكانت تقوم على ضفة سيحون اليمنى حيث كان طريق خراسان الآتى من سمرقند يعبر النهر الى الشاش • وقد بقيت موضعا كبير الشأن حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) لما خربها جنكيزخان • وبعد مضى قرن ونيف ، أى فى سنة ٨١٨ (١٤١٥) ، جدد شاه رخ حفيد تيمور مدينة فناكنت ، فنسب اليه وعرفت بـ «شاه رخية» ، وبهذا الاسم ذكرها علي اليزدى غير مرة •

وكان الطريق من بناكت شمالا الى الشاش ، يخترق مدينة جينانچك ، وهى على ضفة نهر الترك الجنوبية أى اليسرى على فرسخين فوق ملتقاء هو وسيحون • كانت هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشرة) كبيرة ليس عليها حصن ، بانيهم خشب ولبن • وكان فى الجانب الاخر من نهر سيحون الى غربه ، على مرحلة من جينا نجك فى طريق جيزك ، بلدة وينكرد • قال فيها ابن حوقل «وينكرد قرية للنصارى» (من التساسطرية) وفى الجانب الآخر من نهر الترك على شىء قليل من غربه ، فى الزاوية التى أسفل من التقائه هو وسيحون ، مدينة أشتورك أو

(١١) تدامة ٢٧ ؛ ابن حوقل ٣٨٤ و ٣٨٦ - ٣٨٨ ؛ المقدسى ٢٧٦ ؛ القزوينى ٢ : ٣٦٢ ؛

علي اليزدى ١ : ٩٤ و ١٠١ و ١٦٦ •

شُتركت (أى مدينة الجمل) • وكان عليها حصن • وينبغى ان يكون المغول قد خربوا هذه البلدة ، اذ نجد فى النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد نشأ فى مكانها بلدة جيناس (وما زالت قائمة) وقد ذكرها علي اليردى كثيرا بهذا الاسم • وذكر ابن حوقل والمقدسى أكثر من عشرين مدينة أخرى فى ناحية الشاش ، ولكنهما لم يصفاهما • ولهذا لا تعرف مواضع هذه الامكنة اليوم • وان كان من الواضح ان هذه الناحية ، وكذلك ناحية ايلاق فى جنوبها واسيجاب فى شمالها ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مكتظة بالسكان وافرة القرى التى تقارب المدن كبرا (١٢) •

اما ناحية ايلاق ، فكانت فى جنوب نهر ايلاق وشمال المنطف الكبير لنهر سيحون أسفل خجندة ، وقصبتها تونكت • كانت هذه الناحية منصلة بالشاش ، وتشتمل على ما يقرب من عشرين مدينة مهمة ذكرها ابن حوقل وغيره • ومواقع هذه المدن ما زالت غير معينة حتى انه لا يمكن ، ويا للأسف ، معرفة موضع تونكت قصبتها • وكانت تونكت ، على ما ذكر ابن حوقل ، تقوم على نهر ايلاق ، على نحو من ثمانية فراسخ من الشاش وهى نحو نصف الشاش (١٣) • كان لها قهندز ومدينة داخله حولها ربض يحيط به سور • وفى القهندز دار الامارة والجبس. والمسجد الجامع ، والاخيران عند باب القهندز • وأسواقها داخل المدينة وفى الربض • وفيهما ماء جار • وكانت البلاد من الشاش الى ايلاق متصلة العمارة مختلطة العمل • وقد سرد ابن حوقل اسماء هذه المدن • ولكن مما يؤسف عليه قد ضاعت علينا جميع مواضعها • ومن أهم المدن التى انتهى إلينا أمرها ، مدينة خاشت الآهله (ويكتب اسمها أيضا بصورة خاش وخاس أو خاص) قرب معادن الفضة فى جبال ايلاق على حد فرغانة • وفى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، « بايلاق دار ضرب للعين والورق » • وتحف المدينة قرى

(١٢) الاصطخرى ٣٢٨ - ٣٣٠ و ٣٣٦ و ٣٤٥ : ابن حوقل ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٨ و ٤٠٥ : المقدسى ٢٦٤ و ٢٧٦ و ٢٧٧ : علي اليردى ١ : ١٠١ : ٢ : ٦٣٦ •

(١٣) جاء اسم تونكت احيانا بصورة توكث ، وذلك من وهم النساخ • انظر : الاصطخرى ٣٣١ العاشية س • لمعرفة المسافة بين الشاش وتونكت ، انظر - الاصطخرى ٣٤٤ : ابن حوقل ٤٠٤ •

عديدة (١٤) .

وفي شمال الشاش من يمين سيحون فشرقا ناحية أو اقليم إسييجاب أو إسييجاب ، وقصته باسمه . ذكر المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) ، نحو من خمسين مدينة مشهورة فى هذا الاقليم لا يمكننا الآن ان نعين غير عدد قليل منها .

فمدينة اسبيجاب تتفق هى وموضع سيرام التى على نحو من ثمانية أميال شرق چمكنت على نهر اريس أو بدم ، وهو رافدن روافد سيحون اليمنى (١٥) . كانت على ما ذكر ابن حوقل « نحو الثلث من بنكث » أى الشاش « تشتمل على مدينة وقهندز وربض . وعلى المدينة الداخلة سور ، وعلى الربض أيضا سور يحيط به مقداره فرسخ . وهى فى مستواة وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو ثلاثة فراسخ » . وفى خارجها مياه وبساتين . وكان للمدينة أربعة أبواب ، على كل باب رباط . وفى المدينة وربضها أسواق . وفى المدينة الداخلة دار الامارة والحبس والجامع . وأشار المقدسى الى سوق الكرايس (أى سوق القطنين) . وغلة دكاكين السوق فى كل شهر سبعة آلاف درهم (نحو من ٣٠٠ پاون) « يجرى على الضعفاء الخبز والادام » . والظاهر ان مدينة اسبيجاب قد تغير اسمها بعد الغزو المغولى الى سيرام ، وبهذا الاسم ذكرها على اليزدى كثيرا فى أخبار فتوحات تيمور .

وكذلك فان علي الزدى كثيرا ما ذكر چمكنت وكبت چميكنت ، ويبدو انها توافق المدينة التى كتبها المقدسى بصورة جموكت وقال فيها « كبيرة عليها حصن ، والجامع فيه ، والاسواق بالربض » (١٦) .

(١٤) الاصطخرى ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٤٥ : ابن حوقل ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٤٠٤ : المقدسى ٢٦٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(١٥) المقدسى ٢٦٢ - ٢٦٤ . لقد ذهب شويلر Schuyler (فى كتابه Turkistan ١ : ٧٥) الى ان مدينة اسبيجاب هى چمكنت ، الا ان ذلك ليس الا وهما ، لان « تاريخ رشيدى » (ترجمة ن - الياس ، و ١ . د - روس ، ص ١٧١) ذكر : « سيرام هى التى سميتها الكتب القديمة اسبيجاب » . ويرى النص الفارسى لهذه المباشرة فى الورقة ١٠٥ ب من مخطوطة المتحف البريطانى رقم Add. 24090 .

(١٦) الاصطخرى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٨٩ : المقدسى ٢٦٣ و ٢٧٢ و ٢٧٥ : على اليزدى ١ : ١٦٦ : ٢ : ٦٣٣ و ٦٣٦ .

- ٥٢٨ -

وعلى ضفة سيحون الشرقية ، أسفل انصباب نهر جمكنت فيه مباشرة ،
المدينة التي عند معبر سيحون ، المعروفة قديما بباراب أو فاراب وفي الازمنة
الحديثة باسم أترار ، وفيها لقي تيمور حثفه في سنة ٨٠٧ (١٤٠٥) وهو على أهبة
السير لفتح الصين . وكان الاسم فاراب أو باراب يطلق على الناحية والمدينة .
وقد حسبت فاراب أحيانا قصبة ناحية اسميحاب . وكان يقال أيضا لارباض المدينة
في المثة الرابعة (العاشرة) كدر . قال المقدسي في باراب « هي كبيرة ، تخرج
نحو سبعين ألف رجل ، عليها حصن فيه الجامع ، وأسواق وقهندز » . وكان
لكدر أيضا جامعها وكانت هي المدينة الجديدة . وعلى ما في القزويني ، ان
فاراب في أرض سبخة ذات غياض . وينسب إليها أبو نصر الفارابي المتوفى
سنة ٣٣٩ (٩٥٠) وهو أشهر فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا . على ان ابن حوقل
قد نسب مولد الفارابي الى وسيج لا الى فاراب^(١٧) . ووسيج بلدة صغيرة محصنة
على فرسخين من فاراب ، وفي سوقها المسجد الجامع . ثم بعد هذا الزمن ، عرفت
فاراب باسم أترار أو أطرار وقد نهبا المغول في أوائل المثة السابعة (الثالثة
عشرة) ولكنها سرعان ما جدد بناؤها ، ففي سرائ المدينة توفي تيمور على
ما بيننا^(١٨) .

وفي نحو من نصف الطريق بين سيرام وأطرار ، مدينة ارسبايكث أو
سبايكث . قال فيها المقدسي « نبيلة ، نظيفة ، محصنة . الجامع بها ، والعمارات
في الرض » . وكان يقال لرساقها كنجيدة . وعلى مرحلة يوم شمال أطرار ،
على ضفة سيحون اليمنى ، مدينة شاوغر . قال فيها المقدسي « كبيرة ، واسعة
الرساق ، عليها حصن ، والجامع على طرف السوق ، وهي من الجادة بمنزل » .
ولم يرد اسم شاوغر لدى البلدانين المحدثين ، ولكن يبدو من موضعها انها تتوافق

(١٧) قلنا ما في ابن حوقل (ص ٥١٠ من الطبعة الجديدة) : « . . . وأما كدر ، فانها قصبة
باراب ، ووسيج أيضا من مدن باراب . ومنها أبو نصر الباري ، صاحب كتب المنطق ، المفسر لكتب
القدماء ، والمتقدم في ذلك على كل من كان في زماننا وعصرنا وأيامنا » . (م) .
(١٨) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسي ٢٦٢ و ٢٧٣ : القزويني ٢ : ٤٠٥ ، ابو الفداء ٤٩٢ :
ابن بطوطة ٣ : ٢٣ : علي اليزدي ١ : ١٦٦ و ٢٧٥ : ٢ : ٦٤٦ : ابن خلكان : الرقم ٧١٦ ص ٦٣ .
وكثيرا ما يقع الالتباس بين فاراب أو باراب (أطرار) التي على سيحون ، وفارياب (أنظر ص ٤٦٧
أعلاه) التي في الجوزجان ، وكان يقال لها باراب أيضا .

هى ويسى ، الموضع الذى غالبا ما ذكره علي اليزدى ، وما زالت قائمة الى هذا اليوم باسم حضرة تركستان ، وهو الولي الحامى لبلاد القرغيز المدفون فيها . وعلى ما ذكر علي اليزدى ، انه هو الشيخ احمد اليسى من أحفاد محمد بن الحنفية ابن الخليفة علي ، وقد توفي هذا الشيخ هنا فى أوائل المئة السادسة (الثانية عشرة) . وابتنى تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الجامع على قبره ، وما زالت بقاءه العظيمة شاخصة . ويزوره الناس من سائر الجهات .

وعلى مرحلة يوم من شمال يسى أو شاوغر ، كانت سوران أو صبران . وهى ما زالت قائمة الى هذا اليوم ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نغرا أمام الفز ، و « يجتمع بها الغزية للصلح والهدنة والتجارات اذا كان صلح » . قال فيها المقدسى « كبيرة » عليها حصون سبعة بعضها خلف بعض ، والربض فيها ، والجامع فى المدينة الداخلة ، وكثيرا ما ذكر علي اليزدى صبران حين كلامه على حروب تيمور . ووصف ياقوت قلعتها العالية المشرفة على حد البلد^(١٩) .

ومن جملة المواضع الاخرى على سيحون ، التى أكثر من ذكرها علي اليزدى ولم يشر اليها البلدانون العرب الاولون : سفناق . قال فيها انها قصبة قبجاق وهى على ٢٤ فرسخا من شمال اترار . وأبعد منها شمالا كانت جند ، وقد ذكرها البلدانون الاولون وياقوت ، وقالوا فيها انها من مدن الاسلام الكبرى فى تركستان فى ما وراء سيحون . وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، دمرها المغول . وكان آزال كثيرا ما يسمى ببجر جند ، وعنده على نحو من مرحلتين من فم سيحون ، قصبة الفز التى سماها العرب : القرية الجديدة (أو الحديثة) وعرفت فى الازمنة الاخيرة باسم ينفكت ، أو ينگى شهر ، أى المدينة الجديدة بالتركية^(٢٠) .

(١٩) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ ؛ المقدسى ٢٦٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ ؛ ياقوت ٣ : ٣٦٦ ؛ علي اليزدى ١ : ٤٦٦ و ٥٥٧ : ٢ : ٩ و ٦٣٦ و ٦٤٢ ؛ Schuyler فى Turkistan ١ : ٧٠ . والاسم الذى ينبغي ان يكتب سوران أو صبران ، كثيرا ما طبع خطأ بصورة صبران فى كتاب طفرانه لعل اليزدى .

(٢٠) ابن حوقل ٣٩٣ ؛ ابو الفداء ٤٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ١٢٧ ؛ علي اليزدى ١ : ٢٧٥ و ٢٧٦ . وعن خرائب جند انظر Schuyler فى تركستان ١ : ٦٢ .

وعلى نحو من ثمانين ميلا من شمال شرقي سیرام (أى اسيجاب) خرائب طراز بالقرب من المدينة الحالية أوليه - اتا . وكانت طراز أو الطراز ، مدينة ذات شأن فى المثة الرابعة (العاشرة) . قال فيها ابن حوقل « والطراز متجر للمسلمين من الاتراك الخرلخية » . وزاد المقدسى على ذلك انها « مدينة جليلة حصينة كثيرة البساتين مشتبكة العمارة ، لها خندق وأربعة أبواب ، ولها ربض عامر ، على باب المدينة نهر كبير . والجامع فى الاسواق » . وعلى ما فى القزوينى ان أهل طراز « فى غاية حسن الصورة ، ليس فى تلك النواحي أحسن منهم صورة رجالهم ونساؤهم الى حد يضرب بحسن صورتهم المثل » . وهى مدينة طيبة التربة لطيفة الهواء » . ومن مدن بلاد الترك أيضا ، على نحو من مئة ميل من شرق طراز ، مدينة بركى أو ميركى (وهى مركه) الحديثة . قال فيها المقدسى : « متوسطة الرقعة ، محصنة ، ولها قهندز وكان الجامع فى القديم كنيسة (للنصارى النساطرة) ، وقد بنى الأمير عميد الدولة فاتق (من البويهيين) خارج الحصن رباطا » فى المثة الرابعة (العاشرة) . وذكر المقدسى أيضا كولان ، وهى على مرحلة واحدة غرب ميركى باتجاه طراز . وكانت قرية كبيرة محصنة ولها جامع ، تعد موضعا ذا شأن كبير (٢١) .

وفى الختام ، يحسن بنا ان نلاحظ ، ان ابا الفداء ذكر جملة قصبات للترك يصعب اليوم تعيين مواضعها الصحيحة . منها بلاساغن وكانت قصبة خانات تركستان فى غضون المئين الرابعة والخامسة (العاشرة والحادية عشرة) . وذكرها أيضا ابن الاثير فى تاريخه ، ولا يعرف موضعها الصحيح . ولمح ابو الفداء الى انها كانت قرب كاشغار ولكن فى ما وراء سيحون . وقد عثر على خرائب أمانغ التى اتخذها المغول عاصمة لهم فى عهد جغتاي بن جنكيزخان بالقرب من موضع كلكجه القديمة على نهر ايله ، وقد أشار الى موضعها علي اليزدى الذى ذكر أيضا نهر إرتيش وتلاس . ولكن لم ينته البناء عن جميع هذه المدن . وكلها مثل كاشغار وخقن وباركند وغيرها من المدن التى على حدود الصين ، لم تذكرها

(٢١) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسى ٢٦٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٥ : ابو الفداء ٤٩٧ : Schuyler فى تركستان ٢ : ١٢٠ .

مراجعتنا الا لما ودون ان تنطوى على فائدة جغرافية ذات بال (٢٢) .

ليس فى اقاليم سيحون صناعات متنوعة كبيرة ، وكان جلب الرقيق أهم عمل لمن يقصدها من التجار . ذكر المقدسى انه كان يرتفع من ديزك (جيسك) فى اشروسنة اللبود الجياد والاقية . ويرتفع من فرغانة الذهب والفضة والفيروزج والزئبق والحديد والنحاس وكذلك النوشادر والنفط والزفت . واشتهرت فرغانة بحجر الارحاء والفحم الحجري للوقود . وكان يرتفع من بساتينها ويحمل الى الآفاق : الاعناب والتفاح والجوز . ومن الرياحين : الورد والبنفسج . ويرتفع من الشاش ثياب بيض رقيقة ، وسيوف وغيرها من السلاح ، وآلات النحاس والحديد كالابر والمقاريض والقصور . ويرتفع منها أيضا : سروج الكيمخت (جلود الحمر الوحشية) الرفيعة والجعاب والقسي الجيدة وجلود تجلب من الترك وتدبغ والمصليات والاخية ، . ويرتفع من رستاقها الرز والكتان والقطن . ويرتفع من طراز فى بلاد الترك جلود المعز واشتهرت فى كل وقت بالخيل والبغال التركستانية (٢٣) .

أما مسالك هذه الاقاليم ، فان طريق خراسان كان يواصل اتجاهه شمالا من سمرقند فيعبر نهر السغد ، ومنه يصل الى زامين فى اشروسنة حيث يتشعب ، فكان الطريق الايسر يذهب الى الشاش وسيحون الاسفل . والايمن الى أعلى سيحون وفرغانة . وكان الطريق من زامين الى الشاش رأسا ، يعبر سيحون عند بناكت . وهناك طريق آخر من سمرقند يمر بديزك ويقطع المفازة الى وينكرد ، فاذا تجاوزها كان يعبر سيحون الى مُشْتُورَكْتْ افيلتقى عندها هو والطريق من بناكت الى الشاش . وكان يشرق من الشاش طريق الى تونكت قصبة اقليم ايلاق . وطريق آخر يتجه شمالا الى اسيجاب ، وعندها يتشعب . فكان يذهب من اسيجاب غربا طريق الى فاراب (اترار) لعبور سيحون ، ومنها نحو الشمال أيضا يحذاء ضفته اليمنى الى صبران . والى اليمين من اسيجاب شرقا كان يذهب طريق آخر الى طراز ، ومنها الى بركى أو ميركى آخر مدينة اسلامية فى بلاد الترك فى المثة

(٢٢) ابر الفداء ٥٥٥ : عل اليزدى ١ : ٤٨٥ و ٤٩٤ : ٢ : ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢٣) ابن حوقل ٣٩٧ و ٣٩٨ : المقدسى ٣٢٥ : القزوينى ٢ : ٤٠٥ .

الرابعة (العاشرة) • ومن هذه المدينة أورد ابن خرداذبه وقدامة المراحل التي في المغازة الى نوشنجان العليا على حدود الصين ، وربما كان هذا الموضع يتفق هو وختن^(٢٤) .

وكان الطريق الى فرغانة الذي ينشطر من طريق خراسان عند زامين على ما بيننا ، يمر بساباط (حيث ينعطف الطريق الى بونجكت قصبة اشروسنة) الى خجندة على سيحون • ومنها يبقى محاذيا ضفة النهر الجنوبية صاعدا معها حتى يصل الى اخسيكت قصبة فرغانة عند معبر نهر سيحون • وقد أورد الاصطخرى وابن حوقل المسافات من اخسيكت الى المدن المختلفة التي في شمال أعالي سيحون ، كما ذكر ابن خرداذبه وقدامة الطريق من قصبة فرغانة فشرقها مارا بأوش الى اوزكند • والى ذلك فقد لمتح المقدسى الى الطريق من اوزكند الى داخل بلاد الترك ثم الى حدود الصين • ويصعب تتبع ما ذكره بهذا الصدد ، ولكنه ، كابن خرداذبه وقدامة ، جعل المرحلة الاخيرة فيه نوشنجان أو برسخان العليا ، التي يحزر انها ختن^(٢٥) .

(٢٤) ابن خرداذبه ٢٦ - ٢٩ ؛ قدامة ٢٠٣ - ٢٠٦ ؛ الاصطخرى ٣٣٥ - ٣٣٧ ر ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٥ ؛ المقدسى ٣٤١ - ٣٤٣ • وما يؤسف عليه ان المستوفى لم يذكر المسالك في ما وراء جيحون • وعن الطريق الى ختن والصين انظر مادة سد ياجوج وماجوج للبروقسور دي غويه في: Mededeeling der Koninklijke Academie Amsterdam لسنة ١٨٨٨ ص ١٢٣ • وعن الطريق الذي سلكه عبد الرزاق سفير شاموخ ، وقد رحل الى الصين وعاد منها بين سنتي ٨٢٢ و ٨٢٥ (١٤١٩ و ١٤٢٢) ، انظر النص الفارسي وترجمته بقلم كترمر في Notices et Extraits المجلد ١٤ الجزء ١ ص ٣٨٧ وكذلك تعليقات سر هـ • يول Sir H. Yule في كتاب Cathay and the Way thither ص ١٩٩ - ٢٠٩ •
قلنا : راجع البحث النفيس لمولانا ابو الكلام آزاد ، وزير معارف الهند ، في مجلة « ثقافة الهند » وعنوانه : سد ياجوج وماجوج (المجلد ١ العدد ٣ سبتمبر ١٩٥٠ ص ٢٥ - ٤٠) وهو قسم من بحث واسع عنوانه : « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » (م) •
(٢٥) ابن خرداذبه ٢٩ و ٣٠ ؛ قدامة ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ الاصطخرى ٣٣٥ ر ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٦ ؛ المقدسى ٣٤١ و ٣٤٢ •

فهارس الكتاب

١ - الفهرست البلدانى

ويشتمل على أسماء الأقاليم والمدن والقرى والجبال والأنهار
والوديان والمفاوز والبحار والبحيرات وغير ذلك

٢ - فهرست الاشخاص والالوام

٣ - الفهرست العمرانى

ويشتمل على مصطلحات الحضارة والعمران ، وعلى
الألفاظ الدخيلة والمعربة

الفهرست البلدانى

٤٥٤	اردسگر	١٩٣	اتروپاتى
٥٢٣	اردلانك	٤٢٢	أجغ
٢٠٢	اردوباد	١٥٤	الاحيدب (جبل)
٤٠٨	اردون	٥٢١	أخسى
٤٩٥	ارذخوة	٤٨٦	أحسپسك
١٤٩	ارژ روم	٥٢١	٢٢ احسپك
١٤٤	ارژن	٣٠٤	أخشن (نهر)
١٤٩	١٤٤ ارژن الروم	٤٨١	٤٧٨ أخشور (أخش)
١٥٠	ارژنجان (ارژنكان)	٢١٨	٢١٧ اخلاط
٢١٦	٢١٣ ٢٠٩ ٢٠٢ ارس	٣٥١	الاخوات (حصون)
٥٢٨	ارسياتيك	٤٦٨	أدخود
١٥٠	١٤٩ ارشروم	٤٥٤	أدرسگر
٤٣٣	ارغيان	٤٥٤	أدرسكن
٤٩١	٤٨٩ ٢٢ اركنج	١٣٤	ادسا
٤٦٣	٤٩٢	١٩٣	١٨ اذربيجان
٣٨٥	٣٨٣ ارگنداب (بهر)	٢٥٩	أدرشنس
٣٦٩	٣٦٨ ارمايل	١٣١	أذرمه
٤١٣	ارم خاست (خاسته)	٣٢٢	أذكان
١٨٠	ارمناك	١٦٣	١٦٢ أذنة
٣٥٧	ارموز (ارموس)	٣٦٣	ارابه
٢٣٦	ارميان	٥١٧	اراتية
٣٠٨	ارو (قلعة)		اراكليّة (اطر : هرفلة)
٢١٦	٢١١ ارمينية	٢١٧	اراراط (جبل)
١٩٤	٣٨ ارمية (بحيرة)	٢١١	اران
٢٠٠	١٩٤ ارمية (مدينة)	١٢١	اربخا (ارافا)
٥٢٧	اريس (نهر)	١٢٢	١٢١ اربل (اربيل)
٢١٦	اريفان (اريوان)	٥١١	اربنجن
٤٣٣	ازاذ وار	٥٣٠	ارتش (نهر)
٣١٦	ازار سابور	٤٩٧	ارثشميشن
٣١٧	ازحان	١٨٣	١٧٨ ارجاست (جبل)
٤٣٦	ازجاء	٣٣١	٣٠٧ ٣٠٤ ٢٨٤ ارجان
٣١٩	ازگاس	٣٣٢	
٢٣٠	ازمدين	٢١٧	ارجيش (بحيرة)
١٩٠	أزميد	٢١٧	١٨٠ ٣٨ ارجيش (مدينة)
١٨٨	أزمير	٢١٨	
١٩٠	ازنكيد	٣١٨	أرد
١٩٠	ازنيق	٢٠٣ - ٢٠٢	١٩٤ اردبيل
٢٤٣	ازواره	٢٢٩	اردش (اروش)
١٨٧	اسارلك	١٠٨	اردشير بابكان (استان)
١٨٥	اسبارطة	٢٩١	٢٨٤ ٢٨٣ اردشير خره
٥٢	اسياتير	٢٤٣	اردستان

الفهرست البلدان

٤٢٢	اشك	٣٦٤	اسبي (اسفي)
٣١٨	اشكنوان	٥٢٧	اسبيجاب
٢٤٢	اشكهران	٣٦٤	اسبيذ
٢٠٠ - ١٩٩	اشنه	١٧٠	استانبول
	اصبهان (انظر : اصفهان)	١٠٨	استان العال
٢٠٩	اصبهيدان	١٨٤	استانوس
٣١١	اصطخر	٤١٩	استراياد
٣٣١	٣١٢	٤٥٣	استرييان
٣١٨	اصطخران	٤١٢	استناباد
٣١٢	اصطخريار (قلعة)	٣٩٨	استند
٣٢٧	اصطهيات (اصطهيات)	٤٣٥	استوا
٣٢٧	اصطهياتان	٤١٢	استونارند
٢٣٨	اصفهان	٢٨٠	اسد اباد
٢٦٢	٢٤١	٥١٢	اسرود
٢٠٩	اصفهد	٥١٧	اسرونة
	اطرايزنده (انظر : طرايزون)		اسمرت (انظر : سمرت)
٥٢٨	اطرار	٣٩٨	اسفد
٥١	الاعظيمة	٤٣٥	اسفراين
٢٣١	اعلم	٤٥٤	اسفزار (مدينة)
٤٢١	افراوه	٣٧٣	اسفزار (نهر)
٤٠٠	افريدون	٤٣٤	اسفنج
١٨٨	افسس (السوس)	٣٨٦	اسفنجاي
٤٥٨	افشين	٤٢٩	اسفند (اسفند)
٣٧٧	٢٢	٣١٧	اسفنديار
٤٦٤	٤٤٩	٣١٧	اسفندان
١٨٥	افيون قره حصار	٣١٧	اسفندباذ (قلعة)
١٦٥	الاقرع (جبل)	٣٠٢	اسفيد دز
٥٠٠	اقرلجه	٢٣٣	اسفندان
٣١٨	اقليد	١٠٧	اسكاف بني الجنيذ
١٩٣	اقور	١٨٦	اسكي حصار
٢٥٩	اكتانا	١٥٣	اسكي شهر
١٨٤	اكريدور	٥١٤	اسكيفن
٢١٨	الاطاق	٣٨٩	اسكيشست
٢٢٨	الاني	١٢٩	اسكي موصل
٢١٦	البرز	٤٢٩	اشبند
٤٠٩	٤٠٤	٤٦٨	اشبورقان
٢٦١	المرت	٥٢٥	اشتوركت
٢٠١	النيجق (قلعة)	٥٠٩	اشتبخن
١٨٤	الويرلو	٥٢٢	اشتيفان
٢٣١	الوند	٤١٦	اشراة
٢٢٩	اليشتر	٥١٧	اشروسمة

الفهرست البلدانى

۳۱۸	اورد	۱۲۲	امات
۱۳۵	اورله	۱۷۹ ۱۷۴	اماسيه (اماسيه)
۱۸۳	اوزج	۵۳۰	امالغ
۵۲۲	اوزگند	۴۵۹	امكلجة
۵۲۲	اوش	۴۷۸ ۴۷۷	امو (نهر)
۵۰۹	اوفر	۴۷۷	امودريا
۴۵۳	اوقه	۴۴۶ ۴۴۵	امويه (امو)
۲۷۸ ۴۷۷	اركسس	۴۷۷	امويه (نهر جيحون)
۵۳۰	اوليه - اتا	۳۲۳ ۳۲۲ ۲۸۴	انار
۱۵۰	اونيك	۳۲۳ ۳۲۲	اناس
	اوهر (انظر : ابهر)	۱۰۸ ۹۱ ۴۱	الانباز ۱۷
۱۸۸	اياسلوق	۴۶۸	اتياز (خراسان)
۸۲	الايتاخيه	۳۰۹ ۳۰۰	انيوران
	ايچ (انظر : ايك)	۴۶۸	البيز
۱۸۱	ايچ ايلي	۲۵۹ ۲۵۸	انجروود
۲۵۸	ابجروود	۳۲۲	انجيره
۲۸۰	اينج	۴۶۸	الخد
۴۷۶ ۲۸۳	ايران	۲۷۳	اندامش (قنطرة)
۴۲۴ ۴۰	ايرانشهر	۴۶۸	اندخذ (اندسوي)
۲۹۳ ۲۹۰	ايراهستان	۲۶۱	اندر
۴۲	ايراهه	۲۱۱ ۲۰۲	اندراب
۳۱۸	ايرج	۴۶۹ ۴۴۳	اندرابه
۱۷۶	ايزوريه	۳۸۹ ۳۶۹	الاندس (نهر)
۳۲۷ ۳۲۶	ايك (اويك)	۱۵	الاندلس
۵۲۶ ۵۲۰	ايلاق	۴۸۱	انديجاراغ (مدينة)
۵۳۰	ايله	۴۷۸	انديجاراغ (نهر)
۱۳۴	ايلياء	۵۲۱ ۵۲۰	الديجان (انديكان)
۵۳	ايوان كسرى	۱۶۷	انشا قلعهس
۴۸۳	ايوح	۱۶۸ ۱۴۰ ۵۲	انطاكية
		۱۸۶ ۱۸۴	
		۱۸۴ - ۱۸۳ ۱۷۴	انطالية
		۱۸۲ ۱۶۸	انقرة
		۲۵۸	انكوران
		۱۷۴	انكورية
		۴۱۱	اهلم
		۲۸۱ ۳۶۸ ۳۶۷	الاهواز
		۴۰۷	اهوان
		۳۵۱	اوارك
		۲۹۷	اوال (جزيرة)
		۷۲	اورانا
		۳۱۷ ۱۹۸	اوجان (اجان)

الفهرست البلدانى

٥٠٤	باب الحديد (بخارا)	٢٨٦	باب اصطخر (شيراز)
٤٦٣	باب الحديد (بلخ)	٥١٨	باب الاعلى (بونجكت)
٥١٢	باب الحديد (كسر)	٥٠٧	باب افشينه (سمرقند)
٢٨٦	باب حسن (شيراز)	٢١٢	باب الاكراد (برذعة)
٥٠٤	باب حفره (بخارا)	٣٢١	باب اندور (يزد)
٣٣٩	باب حكيم (السرجان)	٣٠٥	باب الاهوار (ارجان)
٥٠	باب الحلية (بغداد)	٣٢١	باب ايزد (يزد)
٣٤٢	باب خبيص (بردسير)	٦٥	باب البادية (البصرة)
١١٣	باب خراسان (بغداد) ٢٣ ٤٨	١٠٣	باب البادية (الكوفة)
٤٠٥	باب خراسان (الدامغان)	٢٥٠	باب بالاق (الرى)
٤٥٢	باب خش (هراة)	٤٤١	باب بالين (مرو)
٤٥٠	باب خشك (هراة)	٥٠٧	باب بخارا (سمرقند)
٢٣٨	باب خور (جى)	٥١٣	باب البخارية (نسف)
٢٨٦	باب دارك (شيراز)	٥٢١	باب بحت (اخسيكت)
١٤١	باب دحلة (آمد)	٥٠	باب البردان (بغداد)
٤٤٢	باب درقسكار (مرو) ٤٤١	٥١٢	باب بركنان (كسر)
٤٥١	باب دروازه ملك (هراة)	٤٨	باب البصرة (بغداد)
٢٧٠	باب دسبول (تستر)	٥٠	باب البصلية (بغداد)
٢٨٦	باب الدولة (شيراز)	١٦٧	باب بغداد (تيريز)
٤٦٣	باب رحبة (بلخ)	١٠٣	باب بغداد (الكوفة)
٣٠٥	باب الرصافة (ارجان)	٢٥٠	باب بليسان (الرى)
٥٢١	باب رهانة (اخسيكت)	٣٥٣	باب يم (جيرفت)
١٤١	باب الروم (آمد) ١٤٠	٣٥١	باب م (نرماشير)
٣٠٥	باب ريشهر (ارجان)	٢٨٥	باب هنداستانه (شيراز)
٥٠٤	باب الريكستان (بخارا)	٥٠٤	باب بنى اسد (بخارا)
٤٠٥	باب الرى (الدامغان)	٥٠٤	باب بنى سعد (بخارا)
٥٠٧	باب ريودد (سمرقند)	٢٩١	باب بهرام (جور)
٥١٨	باب زامين (بونجكت)	٢٩٦	باب بهرام (ساندور)
٣٤٢	باب زوند (بردسير)	٢٨٦	باب البهيشاء (شيراز)
٢٣٨	باب زرين رود (جى)	٢٨٥	باب تستر (شيراز)
٤٥٠	باب زياد (هراة)	١٤١	باب التل (آمد) ١٤٠
١٤٠	باب السر (آمد)	٣٦٧	باب النير (بنجپور)
٤٥٠	باب سراى (هراة)	٥٢٠	باب الجامع (اخسيكت)
٢٨٦	باب السعادة (شيراز)	٥٠٤	باب الجامع (بخارا)
٤٢٥	باب سكة مقل (نيسابور)	١٤٠	باب الجبل (آمد)
٥٠	باب السلطان (بغداد)	٥٢٢	باب الحيل (اوش)
٢٨٦	باب سلم (شيراز) ٢٨٥	٤٢٥	باب جبل (نيسابور)
٥١٣	باب سمرقند (نسف)	٥٢٤	باب الجليل (الفاش)
٤٤٢	باب سنجان (مرو) ٤٤١	١٦٥	باب الجهاد (طرسوس)
٥٠٧	باب سوخشين (سمرقند)	٤٩١	باب الحجاج (كاث)
٣٥٣	باب السرجان (جيرفت)	٤٨٥	باب الحديد

الفهرست البلدان

۲۸۵	باب کوار (شیراز)	۳۵۰	باب سین (الری)
۳۵۰	باب کورجین (بم)	۳۵۳	باب شاپور (ساپور : جیرفت)
۳۵۰	باب کوسکان (بم)	۴۸	باب الشام (بغداد)
۳۵۱	باب کوشک (نرماشیر)	۵۰۷	باب شداود (سمرقند)
۴۸	باب الکوفه (بغداد)	۱۴۱	الباب الشرقي (آمد)
۲۵۰	باب کوهک (الری)	۵۱	الباب الشرقي (بغداد)
۵۰۷	باب کوهک (سمرقند)	۴۶۳	باب شست بند (بلخ)
۳۰۵	باب الکیالین (ارجان)	۲۹۹	باب شهر (ساپور)
۱۴۰	باب الماء (آمد)	۳۰۵	باب شیراز (ارجان)
۵۲۲	باب الماء (آوش)	۳۵۱	باب صورگون (نرماشیر)
۴۴۱	باب حاجان (مرو)	۵۰۷	باب الصين (سمرقند)
۳۴۲	باب ماهان (بردسیر)	۳۷۴	باب الطعام (زرنج)
۳۴۲	باب مبارک (بردسیر)	۵۰	باب الطلسم (بغداد)
۴۹	باب المحول (بغداد)	۳۶۷	باب طوران (پنجبور)
۵۰۴	باب المدينة (بخارا)	۲۳۸	باب طبره (جی)
۵۱۸	باب المدينة (بونجکت)	۵۱	باب الظفرية (بغداد)
۴۴۱	باب المدينة (مرو)	۵۱۲	باب عبيدالله (کش)
۵۱۲	باب المدينة الخارجة (کش)	۴۵۱	باب عراق (هراة)
۵۱۲	باب المدينة الداخلة (کش)	۴۵۳	باب علی (بوشنج)
۵۲۱	باب المردفسة (اخسیکت)	۲۸۵	باب غسان (شیراز)
۵۱۸	باب مرسنده (بونجکت)	۵۱۳	باب غولذین (نسف)
۳۴۱	باب المسجد (یرد)	۳۷۵	باب لارس (رنج)
۳۵۳	باب المصلی (جیرفت)	۵۰۷	باب نروخشید (سمرقند)
۳۵۱	باب المصلی (نرماشیر)	۲۸۶	باب لقا (شیراز)
۵۱	باب المعظم (بغداد)	۴۵۱	باب فیروز آباد (هراة)
۵۲۲	باب مفکدة (اخسیکت)	۴۲۵	باب القناب (نیسابور)
۲۸۵	باب مندر (شیراز)	۵۱۲	باب المصابین (کش)
۵۰۴	باب مهر (بخارا)	۴۲۵	باب الفترة (نیسابور)
۲۹۱	باب مهر (جور)	۴۲۵	باب قنطرة تکین (نیسابور)
۲۹۹	باب مهر (ساپور)	۵۰۴	باب القهندز (بخارا)
۲۸۵	باب مهند (شیراز)	۴۲۵	باب القهندز (نیسابور)
۳۰۵	باب المندان (ارجان)	۴۵۳	باب قوهستان (بوشنج)
۳۵۰	باب نرماشیر (بم)	۲۸۶	باب گازرون (شیراز)
۲۸۶	باب نو (شیراز)	۵۴۰	باب کاسان (اخسیکت)
۴۶۳	باب التوبهار (بلخ)	۴۵۲	باب کبجای (هراة)
۵۰۷	باب التوبهار (سمرقند)	۳۷۴	باب کرکویه (زرنج)
۵۱۸	باب نوحکت (بونجکت)	۵۰۷	باب کش (سمرقند)
۵۰۴	باب نور : نوز (بخارا)	۵۴۱	باب کش (الشاش)
۳۷۴	باب نیشک (رنج)	۵۱۳	باب کش (نسف)
۴۵۳	باب هراة (بوشنج)	۵۰	باب کلوادی (بغداد)
۲۹۱	باب هرمز (جور)	۵۱۸	باب کهلباذ (بونجکت)

الفهرست البلدانى

١١٧	باشطابيه (الموصل)	٢٩٩	باب هرمز (سابور)
٤٥٢	باشينان	٢٥٠	باب هشام (الرى)
٨٣	باصلو	٤٦٣	باب الهندوان (بلخ)
١١٩ - ١١٨	باعشيقا	٥٠٧	باب ورستين (سمرقند)
٨٦ - ٨٣	باعقوبا	٥١	الباب الوسطانى (بغداد)
١٣٠ - ١٢٤	باعينانا	٤٦٣	باب يحيى (بلخ)
٣٤٣	باغ سيجانى	٤٦٣	باب اليهود (بلخ)
٣٤٨	بافت (باله)	٢٣٨	باب اليهودية (جى)
٣٤٨	بالق	١٥٠	بايرت
١٢٣	باتردا	١٠٨	٩٨ ٩٧ ٤١
١٠٧ - ٨٨	باكسايا	١١٩	بابيش
٢١٥	باكوه (باكو ، باكويه)	٢٥٨	باتوخان
٤٤٧	بالامرعاب	١٦	باتى امليل
١٣٩	بالس	١٣٦	باجدا
٣٨٦ - ٣٧٠	بالس (سجستان)	٢٠٩	١٣٦
٣٨٦	بالش	٨٣	٣٤
١٤٩	بالو	٤٥٢	٣٩٧
١٢٤	بالوسا	١٠٧	٨٨
١٤٩	بالويه	١٠٨	
٤٥٥	باملج	١١٠	
٤٦١ - ٤٦٠ - ٤٥٥	الباميان	٤٥٦	٤٤٥
٥١٧ - ٤٧٨ - ٤٢٣	البامير	٤٣٦	
٤٣٤	بان	٥٢٨	٤٦٨
٣٥٢	باهر	٤١٦	٤١٥
٤٣٦	باورد	٥٠٩	
٤٥٥	بين (بينه)	٢١٨	
١٢٠	البث	١٢٠	
٥١٠ - ٤٧٩	البتم (جبال)	١٠٨	٩٦
٦٩	بفق شيرين	١٢٣	
٣٩٩	بجستان	٣٢٠	٣١٢
٤٣٥	بجند	١٠٧	
٣١٨	بجه	٣٠٨	٣٠٧
٥٠٢ - ٤٢٠	بحر آزال (انظر : آزال)	٣٥٦	
٣٨	بحر ابسكون	٣١٣	
١٦٨	بحر باكو	١٨٥	١٦٧
٥٠٢	بحر بنطس (بنطس)	٤٨٣	
٢١٥ - ٣٨	بحر جرجان	٢٧٧	
١٥٩	بحر الخزر	١٥٠	
٤٩٩	بحر الروم	٤٤٢	
١٦٨	بحر طبرستان	٣٠١	
	بحر طرابزنده	٣٠١	
			باشمت قوطا

الفهرست البلدانى

۱۸۵	۱۸۴	بر دور	۳۸	بحر فارس
۴۳۰	۲۱۹	بر دعة (بر دعة)	۴۲۰	بحر قزوين
۲۱۲		بر زنج	۵۰۲	۴۹۹
۲۱۰		بر زله	۵۰۲	بحر مازندران
۱۹۹		بر زه	۱۰۳	بحر النجف
۳۱۱	۲۸۴	بر سيوليس	۱۶۹	بحر نيطس (نيطس)
۲۸۳		بر سس	۲۹۷	البحرين
۱۸۹		بر صى	۳۱۴	بحيرة البختكان
۱۱۹	۱۱۸	بر طلى	۵۰۲	بحيرة الجرجانية
۵۱۰		بر غر	۵۰۲	بحيرة خوارزم
۱۸۴	۱۷۴	بر غلو	۱۹۴	بحيرة الشراة
۱۸۹		بر عة	۳۰۳	بحيرة كازرون
۱۳۰		بر قعيد	۳۰۳	بحيرة موز
۳۲۰		بر فوية	۵۰۴	۵۰۳
۳۲۹		بر ك	۵۱۴	۵۰۶
۵۱۲		بر كنان	۷۱	بدران
۷۴		بر كوار (بلكوار ، بركوار)	۲۱۸	بدليس (بتلس)
۵۳۰	۱۸۷	بر كى	۵۲۷	بدم
۲۱۳		بر لاسى (نهر)	۳۱۵	البدنجان
۳۱۵		بر م	۳۷۰	البدهة
۵۰۹		بر لند	۴۸۰	بذخشان
۲۳۰		بر هند رود	۴۰۸	بذش
		بر واب (انظر : بلواد)	۱۶۶	۱۶۵
۲۰۸	۲۰۷	بر واب	۲۴۱	بر آن
۲۳۵		بر وجر د	۴۶۸	بر اتكين
۱۸۹		بر وسه	۵۰	بر انا
۳۵۵		بر ياب	۸۶	براز الروز (بلدروز)
۱۴۸		برى جاى	۴۷۸	بريان
۵۱۴		بر زه (بزده)	۳۶۸	بريود
۴۵۶		بر زكترين	۳۰۷	بريان
۱۶۶		بر زطى	۱۰۸	۹۶
۴۳۵		بر زهان	۴۷۸	بريسما
۷۱		بر زوى	۲۳۴	بر تنك
۳۸۴	۳۸۳	بر ست	۲۷۲	البرج
۱۷۱	۱۷۸	البرستان	۴۰۲	برج شاپور
۳۱۶		برستان جمشيد	۴۱۵	برجند
۲۸۶		برستان سعدى	۱۸۷	برجى
۴۶۰		بر سفورند	۲۴۱	برجى
۵۲۵		بر سكام	۹۱	برخوار
۱۹۹		بر سوى	۳۳۸	البردان
			۳۳۷	بروسيد
			۳۸	
			۳۴۵ - ۳۴۱	

الفهرست البلدانى

٢٠٢	بل خدا آفرين	١٧٦	بسيدي
٢٠٦	بل دختر	٢٩٨	بشاپور
٢٧٩	بل فره	٤٥٢	بشان
٤٦٢	٢١ ٤٢٤	٢٥١	بشاويه
٤٧٢	٤٦٣ ٤٦٤	٤٥٦	بشمت
٧٤	بلد	٣٩٣	بشمت خم
	بلد روز (انظر : براز الرور)	٣٥٨	بشمتفروش
١٣٠	١٢٩	٤٢٨	بشمتفروان (بشمتقان)
٥٠٢	بلط (بلد)	٤٢٨	بشمتفروان (بشمتقان)
٣١٢	٣١١	٢٦٠	بشمتفروان (بشمتقان)
٢٧٠	٢٠	٤١١	بشمتفروان (بشمتقان)
٤٨٠	٤٢٢	٤٥٨	بشمتفروان (بشمتقان)
١٣٤	١٣٢	٤٣	بشمتفروان (بشمتقان)
٤٥٨	١١٥	٤٢	بشمتفروان (بشمتقان)
١٨٩	٣٦	٢٩٤	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٥٠	٣٧٧	٧٢	بشمتفروان (بشمتقان)
١٠٠	٣٧٧	٢٨١	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٦٨	٣٥٢	١٤٣	بشمتفروان (بشمتقان)
٥٠٥	٣٦	٦٢	بشمتفروان (بشمتقان)
١٧٦	٣٦	٤٢	بشمتفروان (بشمتقان)
٤٠٠	٣٦	٢٩	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٦٤	٣٦	٥١	بشمتفروان (بشمتقان)
٥٢٥	٣٦	٤٥٥	بشمتفروان (بشمتقان)
٢٠٤	٣٦	٤٦٩	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٦٧	٣٦	٣٨٤	بشمتفروان (بشمتقان)
٤٤٨	٣٦	٥٦	بشمتفروان (بشمتقان)
٥١٧	٣٦	٣٤٥	بشمتفروان (بشمتقان)
٥٠٩	٣٦	١٧٦	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٦٧	٣٦	١٨٤	بشمتفروان (بشمتقان)
٤٦٩	٣٦	٤٦٩	بشمتفروان (بشمتقان)
٢٨٥	٣٦	٤١٨	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٨٩	٣٦	٣٨٦	بشمتفروان (بشمتقان)
٥٠٩	٣٦	٢٢٦	بشمتفروان (بشمتقان)
٢٨٤	٣٦	٤٧٠	بشمتفروان (بشمتقان)
٣٧٦	٣٦	٣٤	بشمتفروان (بشمتقان)
٣١٥	٣٦	٥٢	بشمتفروان (بشمتقان)
١٢١	٣٦	٣٠٦	بشمتفروان (بشمتقان)
٢١٣	٣٦	٥٣٠	بشمتفروان (بشمتقان)
٢٧٢	٣٦	٤٧٨	بشمتفروان (بشمتقان)
٢١٨	٣٦	٣٠٦	بشمتفروان (بشمتقان)
٣١٧	٣٦	٤٨٢	بشمتفروان (بشمتقان)
	٣٦	٢١٠	بشمتفروان (بشمتقان)
	٣٦	٢٥٣	بشمتفروان (بشمتقان)
	٣٦	٤٩٩	بشمتفروان (بشمتقان)

- ٥٤٣ -

الفهرست البلدانى

٤٠٦	بيار	٣٠٩	بندر ديلم
٤٠٦	بيار چند	٣٥٧ ٣٣٣	بندر عباس
٦٩	بيان	٨٨	البندليجين
١٤٤	بيت المقدس	٤٤٨	بندى
١٧٧	بيثية	٥٢٣	بنكت
٤٧٧	برامس	٣٤٧	بها باد
٣٠٥	بغر صاهك	٣٥٠ ٢٢٨	بهار
٣٦٥	بهره	٣٤٧	بهاوذ
٢٧٥	بهرت (بيروز)	٣٠٥ ٣٠٤	بهيهان
٤٥٩	بيروز كوه	٣٢٢ ٢٨٤	بهرام اباد
٢٨٠	پيشاوران	٣٤١ ١٠٨ ٥٤ ٥٢	بهرسير
٢٠٤	بيش برماق	٢١٨	بهرگرى
٣٩٦	بيشك	٣٦٩	بهرمتا باد
٢٠٣	بيشكين	٣٦٨	بهره
٣١٦ ٣٥	البيضاء (بيزا)	٢٢٣ ٢٢٢	بهستان (جبل)
١٤٤	بيعة القيامة	٢٢٣ ٢٢٢	بهستون (بهستون)
٥٢٣	بيكت	١٠٨	بهقباد الاسفل
٥٠٦	بيكند	١٠٨	بهقباد الاعلى
٢١٠	بيلسوار	١٠٨ ٩٦	بهقباد الاوسط
٢١٢	البيلقان	١٢٠	البوازيح (بوازيح الملك)
٢٠٨	بيلمان	٣٩٦	بورچكان
٢٨٦	بیمارستان عضد الدولة (شيراز)	١١٥	بوذ اردشير
٣٤٩	بيمند	٣٩٦	بوزجان
٤٣٢	بيهيق	٥٠٩	بوزماجن
٤٥٨	بيوار	١٦٩ ١٦٧	البوسفور
		٣٩٣	بوش
	ت	٢٩٦ ٢٩١	بوشكانان
٥٣	التاج (بغداد)	٤٥٤ ٤٥٣	بوشنج (بوشنك)
	تارم (انظر طارم)	٢٩٧	بوشهر (بوشير)
٣٥٧	تازيان	٤٩٤	برقفة
٤٨٢	تاش كوبريك	٣٠٨	بول بولو
٥١٩ ٥١٨ ٤٧٧	تاشكند	٤٨٢	بول سنكين
٥٢٥ ٥٢٣		١٩٠	بولى
٨٤ ٨٣	تامرا	٤٥٥	بون
٤٨٠ ٤٧٨	التبت	٥١٨ ٥١٧	بونجكت
١٩٧ - ١٩٤	تبريز	٢٥٥	بوه رود
٤٣٧	تجند	١٢٤	البويار (نهر)
٣٨٠	تخت بول	٣٦٢	بيا بان
٢٥٩	تخت سليجان	٣٦٤ ٣٦٣	بيا بانك
٢٨٧	تخت قراجة	٨٩ ٨٨	بيان
		٣٦٣	بياوق (بياوه)

الفهرست البلدانى

١٧٩	١٧٤	توقات	٣٩٦	تربة الحيدرى
٢٠٩		تولم	٤٩٧	٤٩٣ تربة نجم الدين الكبرى
٣٩٣	٣٩٢	تون	٣٥٧	ترزك
٥٢٦		تونكت	٣٩٥	٣٩٤ ٣٦ ترشيز
٣٩٢		تونوكاين	٣٩٤	ترشيس
٢٣٢		توى	٣٤٣	ترك اباد
٢١٦		توين	٢٥٥	تركان رود
٢٨٩		تيرخدا	٥٣٠	٥٢٥ تركستان
٣٠١	٣٠٠	تير مردان	٤٨٤	٤٧٢ ترمد
٨٧		تيره	٢٨٥	ترنك
٣٦٨	٢٦٧	التيز	٢٨١	٢٦٦ ٢٦٨ تستر
٣١٨		تيمرستان	٢٤٦	تفرش
			١٥١	تفريك
			٢١٦	تفليس
			٤٢٨	تك آب
			٨١	٤١ تكريت
			١٧٦	تكه
			٢٨٦	تكي فاماذا
			٩٤	تل (انظر : درتل)
			١٣٠	تل ابراهيم
			١١٨	تل اعفر
			٥٧	تل التوبة
			١٤٥	تل سابس
			١١٦	تل فاماذا
			١١٦	تل قوينجق
			٥٦	تل النوى يونس
			١٩٥	١٩٥ تل نسان
			٥٣٠	١٩٥ تلا (بحيرة)
			١٦	تلاس
			٥٠٥	تلو
			٤٨١	تمجكت (تمجكت)
			٤٩٤	تطيات
			٢٥٧	تنك دهان شير
			٣٢٦	تنك زندان
			٢٣٤	تنك زينه
			٢٣١	٢٩٥ ٢٨ تهران (انظر : طهران)
			٤٧٦	تواله (بحيرة)
			٢٩٥	توج
			٣٣٠	٢٩٥ توران
				توز
				توسر

ث

ج

الفهرست البلدانى

٤٦٦	الجزرؤان	١٠٢	١٠١	جامع الكوفة
٣٠٤	جرشيق	١١٧		جامع المصنفى (الموصل)
٣٠١	جركن	١١٧		الجامع النورى (الموصل)
٤٨٠	جرم	٩٧		الجامعين
٤٠١	الجرمق	٣١٤	٣٦	جاهك
١٧٦	جرميان	٢٥٣		جايچ
٣٠٤	جره	٢٥٣		جايچرود
٤١٢	جرهد	٥١٢		جاي رود
٢٥٨	جرود	٢٧٨		جبا
٢٨٨	جرور	٢٤٩	٢٣٥	الجببال (اقليم)
٣٥٧	جرون (جزيرة)		٢٦٢	
٤٧٨	جرباب	٤٠٩		جبال باب الابواب
٢٤١	جز (كز)	٤٠٩		جبال القاف
٢٨٢	جزه	٥٧	٥٦	جبل (بتشديد الباء)
٤١	الجزيرة (اقليم)	١٤٩		جبل اقردخس
	١١٤	٤١٣		جبل بادوسبان
١٥٧	حزيرة ابن عمر	٣٥٤		جبل البارز
٢٩٧	حزيرة بنى (ابن) كوان	١٢٨	١٢٠	جبل بارما
٢٩٧	حزيرة الشيخ شعيب	٤٨٧		جبل بغراغز
٢٩٧	الجزيرة الطويلة	٢١٧		جبل الحارث
١٩	جزيرة قيس	٤١٣		جبل الروبى
٣٠٢	جسر ابي طالب	٣٨٤		جبل الزود
٨٤	جسر بوران	١٢٨		جبل سنجار
٩٦	حسر سورا	٤١٣		جبل فاذوسبان
١٢٩	جسر ملنج	٤٥٦	٣٨٩	٣٥٤
٨٥	جسر النهروان (مدينة) ٥٠	٤١٣		جبل الفضة
١٦٣	جسر الوليد	٤٦٢		جبل قارن
١٤٩	جسر يثرا	١٤٨		جبل كوه
٤٢٩	جشمه سبز	١٢١	١٢٠	٣٤
٧٨	الجعفرى (سامراء)	٥٢٣		جبلت
٤٣٤	جفان رود	٥٢٠		جندغل (مدينة)
٢٣٤	جفان ناوور	٣٧		جندغل (نهر)
٤٨٢	جفانيان	٣٠٦		جدة
١٢٨	جشج (نهر)	٢٤٥		جراحية (جراحى)
٣١٤	جفور	٤١٨	٤١٧	٤٠٤
٤٩٥	جكر بند			٤١٩
٤٧٧	جكزرتس (جكسارتس)	٤٩١	٤٨٩	الجرجانية
٣٥١	جكك اباد	٥٦		جرجايا
٣٥٦	جكن	١٦٦		جردقوب
٣٠٧	الجلادجان (الجلادكان)	٤٦٦	٤٨٩	جردور
٢٤٠	جلبار	٣٥٣		جردوس

الفهرست البلدانى

٢٣٠	جوهسته	٢٤١	٢٠٩	جلغا
٢٤٢	جوى سرد	٨٧		جلولا
٣٥٦	جوى سليمان	٢٩٤		جم (جبل)
٢٨٨	جوى	٢٨٧		الجبكان
٣٢٨	جوى ابى احمد	٥٢٧		جمكيت (جمركت)
٤٣٣	جوين	٥١٠		جن (جى)
٢٣٨	جى	٣٩٨		جنا باد
٤٩٧	جيث	٥٢٩	٣٣١ ٢٠٩ ٢٩٥	جنا به
١٩٤	جيچست	١٩٩		جندلق
٤٧٧	جيحان	٥٢٩		جند
٤٧٧	جبحون	٣٦٤	٣٦٣	جندك
٤٨٧		٤٦٦		جندوية
٤٩٨		٢٧٣		جنديسابور
		٣٤٦		جنز رود
٣٥٦	الجير (خليج)	٢١٣		جنزه
٣٥٢	جيرفت	٢٨٧		الجبكان
٤٤٢	جيرنج	٤٧٧	٤٤٦ ٤٤٥	جهار جوى
٥١٩	جيزك	٢٧١		جهار دانكه
٥٢٩	جيس	٣٨٣		الجهالكان
٢٠٦	الجيل	٣٨٧		جهان سوز
٢٠٧	جيلان	٣٣١	٢٩٠	حرم
٢٠٧	جملانات	٢٣٢		جهوق
٢٥٠	الجيلانى (نهر)	٤٢٢		جھينة (جرجان)
٣٠٢	جيلويه (جبل)	٦١		الجوامد
٢٩٧	حين	٢٤٠		جوباره
٥٢٦	جيناس	٣١٣		جوبانان
٥٢٥	جينا لچكت	٦٣	٤٥	جوخى
		٢١٧	١٢٣	الجودى
		٣٩٧		جودقان
		٣٣٠	٢٩١	حور
		٤٥٨	٢١٦ ٢١١	حورجيا
٥١	الحارثية	١٥٥		جوريت
٦٣	الحالة	١٦٦		الجوزات
١٤٢	حانى	٤٦٥	٤٦٢	الجورجان
١٠٦	الحائر (كربلاء)	٤٦٥		الجورجانان
٣١٥	حبرك	٤٠١		جوسف
٣٠٧	حبس	٢٥١		الجوسق (الرى)
٩٥	حبلى ابراهيم	٧٨		الجوسق (سامراء)
٤٠٨	الحدادة	٢٠٩		جولها
٤١	حداقل	٣٠٦		جومه
١١٨	الحدهاء (الموصل)	٣٢١		حومة بزد
١٦٦	الحدث (قلعة)			

الفهرست البلدانی

٢٢٦	١٠٧	٨٨	٢٣	حلوان	١٢٢				حدباب
		٢٢٧			١١٩				الحديثة (دجلة)
٣٥٠				حمام زقاني البید (نم)	١١٩	٨٩			الحدثة (الفرات)
١٠٠				حمام عمر	٨٩				حدیفة النورة
١٢٨	١٢٠			حميرين	١٦٧				الحراب (مری)
١٧٦				حمید	١٥٧	١٣٤			حوران
٦١				الحوانيت	٧٣				حربی
١٥٥				حوربت	٤٩				الحربية (بغداد)
٣١٧				حوسكان (حوسجان)	٣٨٢				حروری
٢٧٩				الحومة	١٢٣				حسن اعا (مریة)
٣٩٤				حومة نيسابور	١٣٣				حسنه (مریة)
٣٢١				حومة یزد	١٥٧	١٥٦	١٢٣	١٢٢	الحسنية
٢١٧				الحورث (جبل)	٤٨٣				حصار
٢٧٦	٢٦٨			الحوزة	٣٧٦				حصار زره
٧٩				الحوصلات	٤٨٣				حصار شادمان
٤٣				الحی	٣٥٧				حصار شامل
٣٧٠				حيدر اباد	٢٩٢				حصن ابن عمارة
٢٥٧				العيدرية (ملعة)	٥١٩				حصن الاثينين
١٠٢	١٠٠			الحيره	١٥٢				حصن الببالقة
١٤٦				حيزان	٤٩٥				حصن خيبره
					١٤٩				حصن زباد
					١٦٧				حصن سناوه
					١٧١	١٦٧	١٦٦		حصن الصغالبه
					٣٨٢				حصن الطاق
					١٥٣				حصن طرندة (درنده)
					١٦٧				حصن الفبراه
					١٦٧				حصن غرذيل
					١٤٥	١٤٤			حصن كيفا
					١٦١				حصن المرواني
					١٣٦				حصن مسله
					١٣٩				حصن مبيج
					١٥٥				حصن منصور
					٢٧٨	٢٧٢			حصن مهدي
					١٦٧				حصن اليهود
					١٢٩	١٢٨			الضفر
					٥٢٩				حفرة تركستان
					٧٤				الغفارية
					٣١٥				سفرک
					٢٢٦				حلبجة
					٥٠٠				حلم
					١١١	٩٨ - ٩٧			الحلة

الفهرست البلدانى

٤٤٤	خزانة الضميرية (مرو)	٤٣٦	خاوران
٤٤٤	الخزانة العزيرية (مرو)	٥١٦	خاوس (خارس)
٤٤٤	الخزانة الكسالية (مرو)	٢٨٩	خير
٤٤٤	خزانة مجد الملك (مرو)	٤٣٥	خبرشان
٤٤٤	خزانة المدرسة الخاتونية (مرو)	٣٤٦ ٣٣٧	خبيص
٤٤٤	خزانة نظام الملك (مرو)	٤٨١ ٤٧٨ ٤٧٦	الختل
٤٦٠	خستار	٤٧٦ ٤٧٠	ختلاب
٥٠١	خست مناره سى	٤٨١	حلان (بضم اوله وسكون ثانيه)
٤٣٢	خسرو جرد	٤٨١	حتلان (بضم اوله وتشديد ثانيه مع الفتح)
٣٢٨	خسو	٥٣٢ ٥٣٠	ختر
٤٦٠ ٤٥٣ ٣٠٣	خشم	٤٥٠	خجارجان
٥١٢ ٤٣٨	خشكروذ	٥٠٥	حجده (خجاده)
٢٠٨	خشم	٥٢٢	خجند
١٦٣	الخصوص	٤٣٣	خداشة
٢٢٩ ٢٢٨	خفتيان	٥١١	خديمتكن
٤٨١	خلاب	٤٢٤ ٤٢٣ ٢١	خراسان (اقليم)
٢٨٨	خلاز	٤٦٢ ٤٤٩ ٤٣٩	
٢١٨	خلائط	٤٥٠	حراسان اناز
٥٠٠ ٢٠٥	خلخال	١٤٩	خربوط
٤٦٩	خلم	١٤٩	خربيرت
١٦١	خليج اسكندرونة	٤٢١	خربير
١٦٤	خليج اياص	٤٥٤ ٣٩٧	خربرد
٢٨	خليج فارس	٤٥٩	خربيل
٣٥٢	خليل رود	٢٨٣	خردوى (نهر)
٣٠٠	خمايجان (خمايكان)	٢٩٠	خرشد (خرشر ، خرشه)
٣٥٠	خفاب	٥١١	خرغانكك
٢٩٢	خفانكان	٤٤٢	خرق (خرء)
١٩١	خفجرة	٤٠٧ ٤٠٦	خرقان (بسكون الراء)
٩٠	خندن سابور	٢٣١ ٣٩	حرقان (بتشديد الراء)
١٨٠	خنس (خنوس)	٥١٩	خرقانه
٣٠٨	خنك	٢٣١	خرقاني
٢٩٢	خنيقان (خنيقان)	٣٩٧	خركرد
٤٦٥	خوجا خيران (قرية)	٢٣٦ ٢٣٥	خوماياذ
٣٢٨	خوادان (قلعة)	٣١٤ ٣١٣	خرمه
٤٠٨ ٤٠٧ ٣١٥ ٢٨	الخوار	٣٦٨	الخروج (ناحية)
٤٨٩ ٤٧٦ ٢٢	خوارزم (اقليم)	٤٣٦	خرو الجبل
٥٠٢ ٤٩١		٢٥٥	خروود
٤٩٢ ٤٩١	خوارزم (مدينة)	٢٩٠	خروشه
٣٨١ ٣٦٨ ٣٥٥	الخواش	٥١٣	خزار
٣٨١ ٣٧٣	خواش (نهر)	٣٢٢	حزانة
٤٥٤	خواشان	٤٤٤	خزانة شرف الملك (مرو)

الفهرست البلدانى

١٢٦	دارا	٣٩٩	خواشر
٣٢٦	دار ابجره	٣٩٧	خواف
	٣٢٢	٥٢٢	خواكند (خواقند)
٢٦٨	دارجان سياه	٣٠٨ ٣٠١	الخوبدان
٣٥١	دارجين	٤٣٥	خواحان
٤٨٣	دارزنجى	٤٠١ ٣٦٤	خور
٣٥١	دارزين	٣٠١	خور اراذان
١٨٠	دار السيادة (سيواس)	٣٠٩	حور جنبه
١٠٤	دار السيادة (النجف)	٢٨٧	حورستان
٣٧٨	دارك	٢٦٠	خورشه (قلعه)
٣٢٦	داركان	٢٣٠	خورشد
١٣٧	الدالية	٢٦٤	خورنابند
٤٠٨	الدامقان	١٠٢	الخورنق
٧١	الداوابة	٢٦٧ ١٩	خوزستان
٢٨٤	الداور	٤٠١	خوست
١٦٨	دباسة	٤٦٠	خوست (القور)
٥١٥	الدبوسية	١١٦	الخوسر
٢١٦	ديبل	٤٠١	خوسف (خوسب)
٤١	دجلة	٤٣٥ ٢٢٧	خوشان
٤٧٧	١٤٢ ٤٤ ٤٢	٥٢٢ ٥٢٠	خوتند
٦٤	دجلة الموراء	١١٦	خولان
٦٩	دجلة المفتح		خولجان (انظر خان لتجان)
٩١	دجيل (أعلى بغداد)	٢٦٠	خونا
٢٦٨	دجيل الاهواز		خوناس (انظر خلوس)
٢٧٥	دجيل بسنا	٢٥٦	خونج
٢٦٨	دجيل تستر	٢٠١ - ٢٠٠	خوى
٤٣	الدجيله	٣٢٧	خير (خيار ، الخيرة)
٤٨٥	دراحين	٤٦٧ ٣٠٨	خيراباد
١٦٦	درب الابواب القليقية	٥٢٣	خيرلم
٤٤١	درب برارجان	٣١٤	خيرم
٤٤١	درب تخاران به	٣٦٩	خيرودود
١٦٥	درب الحدث	٤٥٣	خيسار
٢٢٧	درب حلوان	٥٢٣	خيلام
٥٠٤	درب الراميتنة (بخارا)	٢٩٧	خين
١٦٦	درب السلامة	٤٩٣	خيوق
٥٠٤	درب سمرقند (بخارا)	٥٠١ ٤٩٣ ٤٧٦	خيويه
٥٠٤	دوب التوبهار (بخارا)		
٣٥٤	درباي		د
٣٠٣	دريست		
٢١٤	دريند	١٩٨	داخرقان
٤٨٥	دريند اهنين	٣٠٤	دازين

الفهرست البلدانی

۱۰۸	۶۳	دستیسان	۲۲۸	دریغ تاج خاتون
۲۵۵		دستوا	۱۲۰	دریغ خلیفه
۶۹		الدسکرة	۲۲۸	دریغ زنگی
۸۶		دسکرة الملك	۲۲۹	دریغ
۳۱۸		دشت ارد	۲۲۸	درتل
۲۸۸		دشت ارزن	۳۸۴	درج (واد)
۲۹۶		دشت بارین	۲۵۵	درجان
۳۹۸		دشت بیاض (بیاز)	۳۹۹	دوحید
۳۶۱		دشت کویر	۳۰۱	دودشت
۳۶۱		دشت لوط	۲۴۰	دوغش
۲۷۱		دشناداد (نهر)	۲۸۴	الدرغم
۳۱۸		دشتروم (دشترن)	۵۰۹	درفارد
۱۲۰	۸۳	دقوقا (داقوق ، دقوق)	۲۵۴	درفارد
۳۵۴		دلفرید	۳۵۴	درفانی
۲۴۶		دلیجان (دلیکان)	۲۳۱	دروکزی
۴۱۱	۴۰۷	دماوند	۴۹۵	درتمان
۴۴۲		الدمدانغان	۴۰۳	دره
۲۹۶		دمدران	۳۵۵	درهقان
۳۷		دمشق	۴۳۶	دره کز
۹۲		دما	۴۳۵	دروازه اسب بارار (قونیة)
۴۱۱	۴۰۷	دبباند	۱۸۱	دروازه بول احمد (قونیة)
۲۹۹		دنبلا	۱۸۱	دروازه جاشنی کبر (قونیة)
۱۸۶		دنزلو	۱۶۷	درولیة
۱۲۶	۱۲۵	دنسر	۳۰۳	دریاجه شور
۳۵		ده اشترا	۵۰۲	دریا شرق
۴۲۹		ده باد	۱۹۵	دریا شور
۴۶۸		ده باریاب	۵۰۲	دریا فلزم
۳۵		ده مرد	۳۰۷	دریان
۴۰۰		ده نابند	۳۳۱	دریز
۴۰۸	۳۵	ده نمک	۳۱۷	در ابرج
۴۶۳		دهاس (نهر)	۴۲۹	دزیاد
۳۵۱		دهریز	۲۳۶	دزبن
۴۵۶	۴۲۰	دهستان	۲۷۴	درفول (دزبل)
۳۰۵		دهلزان	۳۶۸	دزک
۴۵۹		دهلی	۳۰۷	دزکلات
۱۸۳	۱۷۸	درالو	۴۰۵	دزکبهان
۸۲	۷۴	الدور	۳۰۱	دزک نشاک
۸۲		دور الحارث	۲۰۲	دزمار
۲۷۶		دور الراسمی	۴۴۸	دزه
۸۲		دور عربایا	۲۵۵	دستی
۲۷۷	۲۷۶	الدورق	۸۶	دستجرد
			۲۹۵	دستقان

الفهرست البلدانى

٤٩٤	ديوه بويون	٢٧٧	دورستان
		١٥١	دوريك
	ذ	١٣٣	دوسر
		١٢٤	دوشا (نهر)
١١٢	ذات عرق		دوقاط (انظر : قوفاط)
١٧١	ذو الكلاع (القلاع)	٣٠٨	دوكليدان
	و	٢٠٨	دولاب
		٢٣٤	دولة اباد
		١٨٧	دوناس
٤٩٧	راحشيشن	٢٧١	دولداككه
١٠٧	الراذان (الاعلى والاسفل) ٥٤	٢١٦	دوين
٤٣٥	راذكان	١٤٠	ديار بكر
١٢٥	راس العين	١١٤	ديار ريبة
٥٠٩	راسى العطرة	١٣٢	ديار مصر
٤٠٨	راس الكلب ٣٦	٨٥	ديالى
٣٧٨	راسك ٣٦٨	٣٧٠	الديبل
٢٢٤	راسسد ٢٣٣	٨٢	دير ابي صفرة
٤٨٢	الراشت	١٥٣	دير رصوما
٧١	الراشدبة	٢٤٤	دير الجص
٣٥٦	راعان	٥٥ - ٥٤	دير الماقول
١٣٣	الرافقة ١٣٢	٦١	دير الصال
٣١٦	رامجرد	٥٥	دير في
٣٧٩	رامرود	٥٥	دير مرمارى (السليج)
٢٧٩	رامز	٥٦	دير مزمل
٣٧٩	رام شهرستان ٣٧٨	٣٠٧	ديرجان
٢٣٤	رامن	٥٣١	ديزك ٥١٩
٢٣٤	رامين	٢٥١	ديزه
٢٧٩	رامهرمز ٢٧٨	٢٥١	ديزه العصريين
٢١١	الران	٢٥١	ديزه ورامين
٣٠٣	راعتشان	٢٩٢	الديكباية
٣٦٦	رازر ٣٤٧	٢٠٧	الديلم (بلاد)
٤٣٤	راوتسر	٢٠٧	الديلمان
٤٣٤	راونير	٣٠٨	دينار (جبل) ٣٠٧
٣٠١	راين	٢٩٩	دين دار
٩١	الرب	٢٦٢	الدينور ٢٢٦ ٢٢٤
٤٢٠	الرباط (جريجان)	٢٢٣	ديه اشتراي
٤٨٥	رباط ذى القرنين	٣٢٠	ديه بيد
٤٨٥	رباط دى الكفل	٣٠٠	ديه على
٤٣٤	رباط سونج	٣١٨	ديه كردو
٤٨٦	رباط طاهر بن على	٣١٥	ديه مورد
٤٧٠	رباط ميله	٣٥٣	ديوزود ٣٥٢

الفهرست البلدان

٥٢	رومية المداين	٤٩	ريض باب المحول (بغداد)
٣٢٨	رونيچ (روبنج)	٤٤١	ريض بني ماهان
٣٢٨	رونييز	٤٤١	ريض حاجان
٤١٤	رويان	٥١٥	رينجن
٢٨٨	الرويحان	١٥٧	الرحبة
١٩٩	روين دز	٣٩٦	رغ
٢٥٠	٢٤٩ ٢٢١ ٣٧	٣٨٥	٣٨٣ ٣٧٧
	٢٦٢		ريج
٢٥٢	ري شهريار	٢١٣	٢١١
٥٠٥	ريامينش	٣٢٩	٣٢٨
٣٠٧	٣٠٦	٥١٠	
٢٩٧	ريشهر	٢٧٢	
٣٠٧	ريشهر توح	٤١٥	٤١٤
٣٥٢	ريشهر	٢٧٢	
٣٥١	ريمان	٢٠٩	
٣٥١	ريقان	٥٢٢	
٣٥١	ريكان	٥١	٤٩
٥٠٤	الريكستان	١٥٨	١٣٧
٣٥٣	ريو بارلس	٦١	
٥٠٦	ريودد	١٥٧	١٣٢ ١١٤
٤٧١	٤٢٨	٤٠١	
		١٣٣	
		٢٩٦	
		١٥٥	
		٤٨٣	
		١٣٥ - ١٣٤	
		١٦٦	
		٤٦٩	
		٢٠٧	
		٣٥٦	
		١٦٠	
		٢٤١	
		٣١٣	
		٣٣١	٣٢٣ ٣٢٢ ٢٨٤
		٢٨٣	٣٥٣ ٢٠٧
		٢٣٢	
		٣٥٦	
		٢٥١	٢٥٠
		٤٩٧	
		١٠٥	
		٤١٦	
		١٠٨	٥٤

الفهرست البلدانى

۴۳۲	سایزوار	۱۵۳	زبطرة (حسن)
۵۲۴	سابلج (جبل)	۲۵۰ ۲۲۷	الزبدية
۳۳۱ ۲۹۹ ۲۹۸	سایور	۶۶	الزیر
۲۹۸ ۲۸۴	سایور خره	۲۴۲	زردہ کوه
۲۳۶ ۲۳۵	سایور خواست	۵۱۰ ۵۰۳ ۴۷۹	زرقشان
۲۵۰	ساربانان	۴۴۳ ۴۴۲	زرق
۴۷۷	سارس		زرکان (انظر : دارکان)
۲۳۸	ساروی (جی)	۵۱۲	زومان
۲۳۴	ساروق (هندان)	۳۷۳ ۳۷ ۲۰	زرلج (زونك)
۲۳۰	ساروقا	۳۷۸ ۳۷۶ ۳۷۴	
۴۱۱	ساری	۳۴۶ ۳۴۳	زوند
۴۱۵ ۴۱۱ ۴۱۰	ساربه	۳۶۷ ۳۸ ۲۰	زره (بحيرة)
۳۲۲	ساسانیان	۳۷۶ ۳۷۳ ۳۷۲	
۳۲۲	ساغند	۹۳ ۵۴	زیران
۴۱۴	سالوس (سالوش)	۲۷۹	الزط
۲۴۷	سامان	۲۸۸	زکان
۵۰۵	سامغان (نهر)	۲۲۶	الزلم (جبل)
۸۱ - ۷۶ ۷۴ ۵۰	سامراء	۴۸۶ ۴۴۶ ۴۴۵	زم
۴۶۷	سان	۴۹۷	زمخشر
۲۵۳	ساوج بلاغ	۳۸۳ ۳۷۷	زمن داور
۵۰۹	الساودار	۲۳۰	زمن ديه
۲۴۷ ۲۴۶	ساره	۲۵۷ ۲۵۶	زنجان (زنكان)
۲۹۳	ساربه	۲۹۴	زنجبار (زنجبار)
۴۱	سبار (أبو حبة)	۴۵۲	زندان
۵۲۸	سانیکت	۲۶۸ ۲۴۲ ۲۳۸	زندود
۱۸۵	سیرتا	۵۰۶	زندة
۵۳۲	سزوار (نيسابور)	۳۵۶	الزنكان (نهر)
۴۵۴	سبروار هرات	۴۰۲	زنگیان
۲۰۹ ۲۰۲ ۱۹۷	بسلان کوه	۳۰۸	وهره (نهر)
۴۳۴	سبنج	۱۰۸	الزداپی
۴۶۸	سبورغان	۲۴۳	زواره
۴۵۲	سبیدان (کرونخ)	۱۲۴ ۱۲۲	الزوزان
۲۸۸	ستجان	۳۹۸	زوزن
۲۵۹	ستوریق	۲۰۱	زولو
۲۵۸	سجاس	۵۱	الروية (بغداد)
۳۷۳ ۳۷۲ ۲۰	سجستان (الاقليم)	۳۹۸	زیرکوه
۳۹۲ ۳۷۶		۱۷۹	زيله
۳۷۳	سجستان (المدينة)	۴۵۰	الزیندی
۲۲۵ ۲۲۳	سحله		
۵۷	سدة الکوت		
۴۹۵	سدور		
		۵۳۲ ۵۱۸ ۵۲	سبابط

الفهرست البلدانى

٢٨٩	٢٨٨	سكان (نهر)	٥٣٢	سد ياجوج وماجرچ
٥٢٣		سكت	١٠٢	السدير
٤٥٦		سكردان	٤٨٣	سر آسيا
٣١٣		سكركناخسرو خره	٢٠٣	سرهند
٢٥٥		سكراياد	٢٠٢	١٩٧ سرار
٣٧٢		سكستان	١٩٧	سرار رود
١٢٧	١١٥	سكير العباس	٣٩٨	سراوند
٤٦٠		سكيوند	١٤٤	سربط
٢٦١		سلاروند	٢٢٧	سربل
٣٩٨	٣٩٧	سلام	٤٦٨	سربول
		سلمكة (انظر : سلوقية)	٢٥٨	سرجهان
١٤٨		السلفط	٤٧٩	سرخاب
٣٩٤		سلطاناباد	١٩٧	سرخان (نهر)
٢٣٤	٢٢٨	سلطان اباد حبيجال	٤٣٨	٤٣٧ سرخس
٤١٧		سلطان دوين	٨٠	سرداب القبية (سامراء)
١٥٣		سلطان صو	٢٨١	سردان (السردن)
٢٦٣	٢٥٨	٢٤ السلطانية	٢٣٠	١٩٧ سردود
٢٠٠		سللاس	٥١٨	سرسنده
٥٣		سلمان باك	٤٥١	٤٥٠ سرك (بيت نار)
١٨١	١٦٥	٢٤ سلوقيه (الروم)	٢٧٦	سرك
٥٢		سلوقية (العراق)	٢٣٢	سركان
٢٩٧		سلومك	٢٢٤	سرماح (قلعة)
٢٧٨	٧١	٧٠ سلمانان	٣١٨	سرمق
٤٢٦		السليمانية	٣٥٥	سرهد
٥٠٣	٤٨٥	٢٢ سمرند	٣٨٥	سروان
	٥٠٨	٥٠٧ ٥٠٦	١٥٨	١٤٠ سروچ
١٧٦		سمسون	٣٨٢	سروژن
٤٣٣		سملقان (سملقان)	٣١٨	٢٨٨ سروسنان
٤٠٨	٤٠٧	٣٦ سستان	٥١٧	سروشنة
٤٦٩		سممجان (سملقان)	٨٧	السعدية
٢٩٤	٢٩٠	سميران	١٤٥	سمرت (سمرق)
٣١٩	٢٦١	سميرم (سميرم)	٤١٤	٣٢٨ ٣١٧ سميد اباد
١٤٩	١٤٠	١٢٩ سميساط	٥٢٩	سمنانق
١٢٠	١١٩	السن	٤٥٢	السلفقات
٢٦٣	٢٢٣	سن سيرة	٣٨٦	سفنجاوى
٤٣١	٤٣٠	سناياد	٨٥	سفوة
٣٧٨	٣٧٥	٣٧٤ سنارود	٣٠٠	سفيد (قلعة)
٢٧٩		سنجبل	٢٠٦	٢٠٣ سفيد رود (سميد رود)
٤٤٢		سنج	١٩٠	سقرى
١٥٧	١٢٩	١٢٨ سنجار	٤٨٠	السقينة
٣٩٨	٣٩٧	سنگان (سنگان)	٢٨٨	سك

الفهرست البلدانى

١٧٩	سونسى	٥٠١	سنجر، لغن
٥١٢	سيام (جبل)	٤٥٨ ١٥٦	سنجة
٤٦٣	سياء جرد	٢٠٥ ٢٠٤	سنجيه
٢٧٦	سياء رود	١٦٧	السند (الروم)
٢٤٣ ٢٠٢	سياء كوه	٣٧٠ ٣٦٩	السند (نهر)
٥٥	سيب بى هوما	١٦٧	سندابرى
٢٨٦ ٣٧٠	سيبي	٣٧٠ ٣٦٩	السندروذ
٤٧٧ ١٦٤ ١٦٣	سمحان	٢٥٣	سنقرا باد
٤٨٧ ٤٧٧ ١٦٤ ٢٢	سبحون	٣٤٢ ٣٤٠ ٣٣٨	سك
٥٣١ ٥٢٠ ٥١٩ ٥١٧	سبراف	٣٢٥	سنگاره
٢٩٥ ٢٩٤ ٢٩٣ ٢٥	سبراف	٤٤٨	سوان
٣٣٠			ستوب (انظر سينوب)
٥٢٧	سبرام	٣٦٤ ٣٦٣	سنيح (سنيك)
٣٣٨ ٣٣٧ ٣٨ ٣٧	السيرحان	٤٠٣	سنى حانة
٣٤٩ ٣٤٠ ٣٣٩		٢٩٢	سهاده (قلعة)
٥١٩ ٤٧٧	سوردريا	٣٩٥	سهد
٥١٩	سورسو	٢٥٨	سهرورد
٢٣٧	السيروان	٤١٣	سهمار (شهمار)
١٧٣	سيسى (سيسية)	١٩٦	سهله (جبل)
٢٢٥	سيهر	٨٩ ٤١	السواد
	سيهسان (انظر سيجستان)	١٢٠	السودقانية
٢٩٥ ٢٩٣	سيه بى الصفار	٥١	سور بغداد (الشرقية)
٤٨٧	سيف الخليجان	١١٨ ١١٧	سور الموصل
٢٩٣ ٢٩٢	سيف رهير	١١١ ١٠٨	سورا
٢٩٢	سيف عمارة	٥٢٩	سوران
٢٩٥ ٢٩٢	سيف المظفر	٢٥٠	سور قلى
٢٨٨	سيكان	٤٥٨	سورمين
٣١٢	سى كنبان	٣٥٧ ٣٣٠	سورو
٢٨٩	سيماكون	٢٨١ ٢٧٤	السوس
٣٣١ ٢٠٩	سينيز	٤٤٢	السوسعان (السوسنقان)
١٩١ ١٧٥	سينوب	٢٨٠	سوسن
١٨٠ ١٧٩ ١٧٤	سيواس	٥١٨	سوسندة
١٨٦	سيورى حصار	٢٧٧	سوق الاربعاء (مدينة)
	سيوى (انظر : سيبى)	١١٦	سوق الاربعاء (الموصل)
	ش	٢٨٥	سوق الامير
		٢٦٧	سوق الاهواز
		٢٧٧	سوق بحر
٢١٤	شابران	٣٥٠	سوق جسر جرجان (يم)
٢٩٩ ٢٩٨ ٢٨٤	شاپور	٥١	سوق المطش
	شاپور خواست (انظر : شاپور خواست)	٢٦٤	سومغان
٤٠٢	شاخن	٥١٤	سونج

الفهرست البلدانی

۲۷۱	الشطیط	۲۵۴	شاذشاپور
۷۲	الشطیطة	۱۰۸	شاذبهمن
۳۱۳	۳۰۰ ۶۷ شمس بوان	۱۰۷	شاذ سابور
۲۲۶	شمران (جبل)	۱۰۷	شاذ فیروز
۶۰	شفاتا	۱۰۷	شاذ میاد
۲۰۶	شفقت (شفقت)	۱۰۷	شاذ هرمز
۳۲۸	شق رودبال (رودبار)	۸۴	الشاذروان (الاعلی والاسفل)
۶۸	شق عثمان	۲۷۰	شاذروان تستر
۳۲۸	شق مسکاهان	۳۱۰ ۳۰۹	الشاذکان
۵۲۳	شکت	۴۲۷ ۴۲۶	شاذیاخ
۳۱۲	شکسته (قلعة)	۳۹۸	شارحسن
۴۱۲	شلنبه	۴۱۴	شارستان
۳۷۹	۳۷۷ شله	۷۷	الشارع الاعظم (سامراء)
۲۱۴	الشاحیة (شاخی)	۴۱۹	شاسمن
۵۱	۴۹ الشاسیة	۵۱۹ ۵۱۸ ۴۷۷	الشاش
۱۴۹	۱۴۸ شمشال	۵۳۱ ۵۲۴ ۵۲۳	
۲۱۳	شمکور	۲۰۵	شال (جبل)
۴۵۱	۲۹۰ ۲۶۱ شمیران	۲۰۵	شال (مدینه)
۳۱۲	شنکوان (قلعة)	۲۰۵ ۲۰۴	شال (نهر)
۱۲۶	الشهباء (قلعة ماردين)	۴۱۴	شالوس
۴۱۶	۱۳۰ شهر آباد	۴۲۸ ۳۴۹	الشامات
۱۶۸	شهر اسلام	۱۶۵	شاهان (جزیره)
۳۲۸	۳۲۲ شهر بابک	۲۷۳	شاه اناد
۸۷	شهربان	۴۴۱ ۴۴۰	الشاهجان
۴۳۵	شهر بلقیس	۲۴۰	شاه دز
۳۵۲	شهر دیانوس	۵۲۵	شاه رخیه
۳۷۹	شهر رستم	۴۱۵ ۲۰۶ ۲۰۴	شاهرود
۲۵۸	۲۲۶ ۲۲۵ شهرزور	۲۵۷	شاهین
۵۱۳	۵۱۲ ۴۵۱ شهر سبز	۵۲۸	شاورغر
۲۳۰	شهر ستان (قلعة)	۳۲۸ ۳۲۶ ۳۳۵	شبانکاره
۲۲۸	شهرستان	۴۶۸	شبرمان (شبورقان)
۳۷۶	۳۷۳ شهرسیستان	۵۲۶	شترکت
۴۱۷	۳۹۷ ۲۳۴ شهرناو	۶۱	الشدیدیة
۳۵۷	۳۳۰ شهررو	۲۳۰	شرامین
۴۶۸	۴۹۷ شهروزیر	۲۸۵ ۲۱۴ ۲۱۱	شروان
۲۵۲	شهریار	۴۳	شط الحلة
۲۹۹	شهریار رود	۴۳	شط الحی
۳۲۶	شوانکاره	۶۴ ۴۴ ۴۲	شط العرب
۳۶۵	شور	۴۳	شط الکوفة
۳۱۹	۳۱۸ شروستان	۹۸	شط النیل
۴۵۸	شورمین	۶۱	الشنطرة

الفهرست البلدانى

١٣٣	صليخ	٤٢٨	شوره رود
٨٣	صلوى	٢٦٩	شوستر (شوشتر)
٥١	الصليخ (بنداد)	٢٨٠	شوشن القصر
٦١	الصليق	٤٣٦	شوكان
٣٧٨	الصلط	٣٠٣ ٢٧٩	شولستان
	صوب (انظر : سينوب)	٤٨٣	الشومان (قلعة)
٨٣	سولى	٣٨٩	شيان
٢٣٨ ٢٣٧	الصيعة	٣٩٧	شيخ جام
٢٨٩	الصيكان	٢٨٤ ٢٨٣ ٣٦ ٢٥	شيرار
٥٢٢ ٥٢٨ ٥٠٨	الصين	٢٣١ ٢٨٦ ٢٨٥	الشيرجان
	ض	٣٣٨	شيز
		٢٥٩ ٢٢٦	شيلو
٤٧٩	الضغام (نهر)	٢٩٤	شمينز (انظر : سينيز)
١١١	ضرية		ص
	ط		
٣٠٤ ٢٩٠ ٢٧٨	طاب (نهر)	١٧٦	صاروخان
٣٠٨ ٣٠٦		١٧٥	صارى بولى
٢٨٨	طابان	١٥٢	صارى جيجك (نهر)
٤٣٠	الطابران	١٦٧	صاعرى (نهر)
٣٢٨ ٢٦٠	طارم	١٩٩ ١٩٨	صافى (نهر)
٢٦٠ ٢٠٤	طارم (نهر)	٥٥	الصانية
٢٦٠	الطارمين	٣٨٣	الصالقان
٧١	الطارمية		صامسون (النظر : سمسون)
٤١٤ ٣٨٢	الطاق	٣٢٣ ٢١٤ ٣٦	صاهك
٢٢٢	طاق بستان	٢٥٨	صاين قلعة
٢٤٧ ٥٢	طاق كسرى	٥٢٩	صبران
٢٠٧	طالش	٢٧٤	صحراء اللر
٢٠٧	طالشان (طلشان)	٢٢٣	صحنة
٤٧٠ ٤٦٥ ٢٦٠	الطالقان	٢٢٥	صدخانية
٥١٦ ٤٩٤	الطاهرية	٣٠٨	صرام
	طاروق (انظر : دقوقا)	٩٣ ٥٤ ٥٠	صرمصر
٤٧٠	الطالقان	٤٨٤	صرمجان
٤٠٩ ٤٠٤	طبرستان	٤٨٣	صرمجى
٢٥٢ ٢٤٠	طيرك	٤٨٢ ٤٧٦ ٣٦	الصفايان (بلدة)
٤٠٠ ٣٩٩ ٣٦٢ ٣٦٢ ٤٠١	طيس	٤٨٣	الصفايان (نهر)
٤٠١ ٤٠٠ ٣٩٩	طيس التمر	٥١٤ ٥٠٣ ٤٧٦ ٢٢	الصفند
٤٠٢ ٣٩٩	طيس العناب	٢٩٥	صفارة
		١٧١ ١٦٦	الصفايان (حصن)

الفهرست البلدانى

٨٩		الطيب	٤٠٠		طيس كيلكى
٧٧		الطيرخان	٤٠٣	٤٠٢	طيس مسينان
٥٢	٤٢	طيسفون	٤٠١	٣٩٩	طيسين
٣٠٥		طيفور (قلعة)	٤٦٩	٤٦٢	طخارستان
٤١٧		طيفورى (نهر)	١٦٨		طرابزون (طرايزنده)
٣١٨		طيمرجان	٥٣٠		طراز
			٣٩١		الطربال
			٣٩٤		طريث
			٢٣٨		الطرحان
			١٦٩	١٦٤	طرسوس
١١٣		الماشق (سامراء)	٤٩٢	٢٤٤	طرق
١٣٨		عانة	١٩٥		طروح (بحيرة)
٧٠		عبادان	٢٠٠		طروح (مدينة)
٣٩٤		عبد الياض	١٤٨		طرون
٦٣	٤٥	عبدسى	٣٩٤	٣٦	طريث
٨٤	٣٤	عمرتا	٤٩	٢٧	طرين حراسان
٤٥٢		عيسقات	٤٠٨	٢٦٢	١١٣
١٠٩		المنابة (بغداد)	٥١٥	٤٧٣	٤٧٢
٧٦	٥٩	١٦	١٦٦		طريق القسطنطينية
		٢٢١	٢٧٧		طزر
٢٢١	٢٢٠	عراق الميم			طسوج (انظر : طروح)
٢٢٠		عراق العرب	٥١	٤٩	طسوج بادوريا
١٢٧		عربان (عربان)	٩٦		طسوج سورا
٢٦٧		عريستان	٨٦		طسوج طريق خراسان
١٥٢		عرب كير	١٠١		طسوج الفلوجة (العليا والسفلى)
١٥٥		المرحان (نهر)	٥١	٤٩	طسوج قطربل
٣٥٦		المرصة	٥١	٤٩	طسوج كلواذى
٢٨٠		عروج	٤٩		طسوج نهر بوق
٦٤	٦٣	العزير	٩٤		طسوج نهر جوبر
٢٨٤		العسكر			طشقند (انظر : تشكند)
٢٨١	٦٨	عسكر ابى جعفر	٨٣		طفر
٨٠		عسكر المتصم	٤١٦		طميس (طميسه)
٢٨١	٢٧٢	عسكر مكرم	٤٠٤	٢٥٢	٢٥١
٤٨		عسكر المهدي	١٨٧		طواس (حصن)
٦٨		المشار	١٨٣	١٧١	١٦٨
٤٢٩		عطشباباد	٥١١	٥٠٦	٥٠٥
١٢١		العزيز (نهر)	١٥٢		طورايس
٥٠٠		عقبة حلم	٣٧٠	٣٦٧	طوخمه صو
٢٢٢		عقدة	١٢٤		طوران
٦١		المقر (البطيحة)	١٦٠	٢٨	طور عبدين
٩٢		عقروق	٤٧١	٤٣١	٤٣٠
٧٢		عكبرا			طوس

ع

الفهرست البلدان

ف					١٨٣	١٧٥	السلايا
				ماراب	٧٢		السلط
٥٢٨				مارس	١٦٧		الملح
٣١١	٢٩٨	٢٨٣	١٩		١٦٧		العلمين (الروم)
		٣٣٢	٣٢٥		١٦٦		العليق
٢٥٥				فارسيين	١٢٢		العمادية
٤٨١	٤٧٨			فارعر (نرغار)	١٨٦	١٧٥	عمورية
٢٤١				فارفان	٣٠١	٣٠٠	عيان
٦١				الفاروث	١٢١		الميث
٤٦٨	٤٦٧			الفارياب	١٦٦		عين برعوث
١٥٨				فاش	١٠٨	٩٠	عين التمر
٥١٧	٤٧٨			القامر	١٣٤		عين الذهبانية
٥٠٦				فتح اباد	١٦٦		عين رقة
٢٥١				نخر اباد	١٢٥		عين الراهرية
٣١٣				فحرسان	١٦١		عين زرنى
٤٢	٤١	٣٧	١٥	الفرات	١٥٥		عين رنيثا
٤٧٧	١٤٩	١٤٧	٩٦		١١٧		عين كمرت (الموصل)
٤٥٨				فراكتين	٢٣٣		عين الملك كيخسرو
٤٢٩				فراجرد	٤١٠		عين الهم
٩٥				فراشا	١١٨		عين يونس
٢٣٤				مراحان			
٤٢١				فراوه			
٤٨٦	٤٤٦			مدير			
٣٣٢	٣٢٩	٣٢٨		فرج			
٤٥٤	٣٦٧			مرجرد (فرکرد)	٤٣	١٦	الغراف
٢٥١				الفرخان	١٦٧		الغبراء
٣٠٧				فرزك	٣٤٦		غبيرا
٢٣٣				فرزين	٤٥٨	٤٥٥	غرجستان
٣٢٣				مرعا	٤٧١	٤٥٨	غرج الشار
٤٨١				فرغان	٤٩٥		غردمان
٥٢٠	٥١٨	٤٧٧	٢٢	فرغانة	٤٥٨		غرجستان (غرستان)
			٥٣١		١٢١		الغرفة
٤٢١				برغول	٣٥	٢٩	غرناطة
٣٢٩				مرك	٤٥٤	٤٥٣	غربان
٤١٣				فرم (فريم)	٣٨٨	٣٨٧	عزلة
٣٧٩				فره	٣٨٧		غزلين
٤٢٩				فرهادان	١٩١		غنجرة
٤٢٩				فرهاذجرد	٣٣١	٢٩٦	الغندجان
٣١٢				فرواب	٣٧٩	٣٧٧	الفور
٣٨٩				فروان	٤٥٩	٤٥٨	غورستان
٣٥٥				مرياب	٦٧		عولة دمشق

غ

الفهرست البلدانى

١٠٣	١٠٢	القادسية (الكوفة)	١٧٦	فريجية
٥٢٣		قاسان	١٧٧	فريجية ابيكتتس
٢٦٢	٢٤٤	٣٦ قاشان	٢٣٠	فريوار
٨٢		عاطول ابو الجند	٤٣٣	فريومد
٨١	٧٤	٤٧ العاطول الكسروى	٤٨٢	فز
٨٢		العاطول المامونى	٣٣٢	فسا (بسا)
٨٢		العاطول اليهودى	٤٠٢	فشارود
٣١٥		قالى		فشوايه (انظر : بشوايه)
١٤٩	١٤٨	فاليفلا	١٦٧	فلامى الغابة
٣٩٣	٣٩٢	فاين	٩٤	٩٣ ٩١ الفلوجة
٥٢١		قبا	١٠٠	فم البداة
٣٠٦	٢٨٩	قباد حره	٢٨٠	فم البواب
١٧١		المبادق	٥٨ - ٥٧	٤٥ فم الصلح
٤٨٢		المبادبان (مدينة)	٥٢٥	فناكنت
٤٨٣		المباديان (نهر)	٣٦٧	فنز نور
٥٢٩		قيجاق	٣٥١	٣٢٢ الفهرج
٢١٦		القبنى (القفقاس)	٣٦٨	لهرج (مكران)
٢١٥		قبلة (قلعة)	٣٦٨	فهل مهره
٥٩		القلة الخضراء (واسط)	١٨٨	فوجه
٣٤٥	٣٤٤	قبة سيز (بردسير)	٥٠٩	فور لمث
٢٨٨		قرا اغاج	٤٥٣	٤٤٩ موشنج
٤٥٦	٢١٣	قرا باغ	٥٠٢	المولجا (نهر)
٢٤٨		قراصو	٢٠٨	مومن
١٨٩	١٧٦	قراصى	٩١	الفياض
١٨٠	١٧٦	قرا مان (فرمان)	٢٩٢	٢٩١ ٢٦١ ٢٠٥ ٣٣٠ ميروز اباد
٢١٣		قردفاس	٢٤٢	٢٤١ ليروزان
٢١٦		لرعى	١٠٨	٩١ فيروز ساپور
١٥		قرصة	٣٨٥	٣٨٣ فيروز قند
٥١٤	٥١٣	٥١٢ قرشى	٤٥٩	٤١٢ فيروز كوه
٢٦٨		قرعة (فوعة)	٤٦٧	قرياب
٥٢٩		القرغز	١٢٢	قيساپور (فيشخابور)
١٥٣		قرق كز (جسر)	٤٧٩	فيض اباد (فيز اباد)
٢٨١	٢٧٥	قرطوب	٦٤	٦٣ فيص البصرة
١٣٦	١٢٧	٢٥ قرقيسيا	٢٧٧	٢٧٢ ٦٤ فيض دجيل
١٩١		القرم	٤٩١	الفيل
٢٢٢	٢٢١	٢٦ فرماسين (فرميسين)	٤٥٩	فيوار
٦٣	٤٦	٤٣ ٤٢ القرنة		
٣٨٢		القرين		
١٨٥	١٨١	قره حصار		
١٨٠		قره حصار دولة		
١١٧		قره سراى (الموصل)		
			١٠٣	٧٣ ٧١ (سامراء)

ق

الفهرست البلدانى

٢٦١	قلاط	١٤٩	لره صو
١٨٧	مل حصار	٤٤٨	المقربين
١٢٢	قلعة اربيل	٣١٥	٣٥ مربة الاس
٣٤٤	قلعة اردشير	٣٢٠	قرية البند
٣٥	قلعة ايوب	٥٢٩	القرية الجديدة
١٢٥	قلعة البار	٣٢٣	٣٥ قرية الجبال
٣٩٥	قلعة بردارود	٣٥٤	٣١٨ قرية الحور
١٥٦	١٥٥ قلعة بهسنا	٣١٥	مربة عبدالرحمن
١٢٠	قلعة تل اعفر	٤٨٦	فربة على
٢٨٧	قلعة تيز	٤٠٨	٣٥ قرية الملح
١٢٣	قلعة جمبر	٤١٣	قرية مصور
٣٤٤	قلعة دخير	٢١٦	مربة يونس
٦١	قلعة سكر	٣٦٨	فردار
٢٩٢	قلعة الدنكان	١٧٦	مزل احمدل
٤٢٤	قلعة رر	٥١٦	٤٢١ فزل اروات
٢٩٠	قلعة كارين	٢٠٣	مزل اوزن
٣٨٠	قلعة كاه	١٧٩	فزل ارمات
٢٣٠	قلعة كريت	٨٧	فزلرباط
١٥٠	قلعة كح	٢٦٢	٢٥٤ ٢٥٢ ٣٨ فزون
٣٨٥	قلعة كوهك	١٧٠	١٦٩ القسطنطينية
٢٣٠	قلعة ماكين	٢٧٠	٣٦٨ قصدار
٤٥٦	٤٥٥ قلعة مور	١١١	٩٦ قصر ابن هيرة
٣٩٥	قلعة ميكال (هيكال)	٥٣	العصر الابيض (المدائن)
٤٦٤	قلعة الهندوان	٤٤٧	قصر الاحنف
٤٦٦	قلعة والى	٣١٨	نصر اعين
٢٨٦	القلعة	٧٩	قصر الجص
١٨١	قلعية	٢٧٣	نصر روناخ
٢٦٢	٢٤٥ ٣٦ قسم	٤٢٩	قصر الريح
٣٥٣	قمادين	٨٨	٨٥ قصر شيرين
٣٦٩	٣٦٨ قمل	٢٤٤	قصر فين
٣١٧	قمستان	٣٦٨	قصر قند
٨٢	القناطر (قرية)	٢٢٣	٣٦ قصر اللصوص
١٠٠	القناطر	٣٣٩	القصران
٣٧٠	قندابيل	١٩١	قسطنطينية (قسطنطينى)
٤٧٠	قندز	٤٣	القطر
٢٨٦	٢٨٥ ٣٧٢ ٢٠ قندهار	١٠٨	قطربل
٢٧٠	قندوه	٣٢٤	قطره
١٣٠	قنطرة اسكى موصل	١٨٦	١٦٨ قطية
٢٧٣	قنطرة انديشك	٣٦٢	٣٥٤ القفص (جبل)
٢٠٥	قنطرة تكان	٤٠٩	٢١٥ القفلاس
٥١١	قنطرة جرد	٥٢٤	القلاص

الفهرست البلدانى

ك	٤٨٢	٤٨١	قنطرة الحجارة
	٧٣		قنطرة حربى
٤٥٦	٣١٢		قنطرة خراسان
٣٨٦ ٣٨٨ ٣٨٧	٢٨٠		قنطرة خرزاد
٣٨٨ ٣٨٧	٩٢		قنطرة دما
٥٢١ ٤٩١ ٤٩٠ ٤٨٩	٨٢		قنطرة الرصاص
٣٨٣	٣٠٦		قنطرة ركان (تكان)
٢٩٠ ٢٨٩	٢٧٣		قنطرة الرود
٢٦٨ ٢٦٧ ٢٣٥ ٦٤ ٣٠٧	٢٧٣		قنطرة الروم
٢٩٠	٢٧٣		قنطرة الزاب
٤٥٧	٣٠٤		قنطرة سوك
١٧٦	١٥٦		قنطرة سنجة
٣٣١ ٣٠٢	٣١٣		قنطرة شهریار
٣١٣	١٠٠		قنطرة القامسان
٣٦	٣٦٧		قنطرة کرمان (رباط)
٥٣٠	١٠٠		قنطرة الکوفة (بلدة)
٤٥٤	٩٩		قنطرة الماسى
٥١ ٤٩	٨٢		قنطرة وصيف
٢٦٠	٢٥٧		قنفرلان
٤٨٦ ٤٨٥	٢٤١		قهاب
٤٥٦	٢٤٥		قهرود
٣١٦	٤٨٥		قهلفة
١٩١	٢٥٨		قهرود
٢٠٩	٣٤٧		قواق
٢٤٣ ٢٤٢	١٢٦		قوج حصار
٤٩٥	٢٥١		قوسين
٢٤٧ ٢٤٦ ٢٣١	١٩١ ١٨٢		قوشحصار
٣٦٧ ٣٦٦	٣١٩		قولنجان (قلعة)
٤١٦	٤٠٤ ٣٩ ٢١		قوس
١٩٤	٤٠٨ ٤٠٥		قوس بسطام
٥١٠	٣١٩		قوسه (قوشة)
٤١٤	١٨١ ١٧٤ ١٧٣ ١٦٧		قونية
٥١٢	٤٠٢ ٣٩٢ ٢٢١ ٢٠		قوهستان
٣٠٣	١١٩		القيارة
٣٠٣	٢٨١		قير
٣٤٦	١٦٠		قيرس
٣٢١	١٧٩		قيرشهر
٣٦٨	٢٩٣ ٢٩٠		قيس (جزيرة)
٤١٤	١٧٨ ١٧٤ ١٦٨		قيسارية (قيسرية)
٥٢٨			قندر

الفهرست البلدانى

٣٤٢	٣٤١	٣٤٠	٣٣٨	كرمان (مدينة)	٣٣٤	كدر
٢٢١	٣٦			كرمانشاه (كرمانشاهان)	٢٠٥	كديو
	٢٢٢				٣١٣	الكبر (نهر)
٢٥٣	٢٠٤			كرمرو	٣٧٠	كراجى
١١٩	١١٨			كرملىس	٥١	كرادق مريم (بغداد)
٣٦٣				كرمه	٢٤١	كرادج
١٧٦				كرميا	٤٥٢	كراخ (نهر)
٥١٥	٥١١			كرمينة	٢٩٣	كران
٢٢٧				كرند	٤٨٠	كران (كرام ، بتشديد الراء)
٣٨٠				كرنك	٣١٣	كربال
				كره (انظر : جرة)	١٠٦ - ١٠٥	كربلاء
٢٢٣				كره رود	٢٢٣	كرج ابن دلف
٥٢٣	٣١٣			كروان	٤٥٨	كرجستان
٤٥٢				كروخ (كاروخ)	٣٠١	كرجن
٣٨٠				كروم	٥١	الكرخ (بغداد)
٤٠١	٣٦٥			كرى	٧٩	كرخ فيروز (سامراء)
٤٠١				كرين	٢٧٥	كرخا (كرخه)
٤٩٥				كربه (نهر)	٢٤٦	كرشى
٢٦٨				كزكى	٢٥٥	كردان رود
١٨٧				كزل حصار	٤٩٨	كردر
٢٥٩				كزن	٤٦٩	كردر انخاس
٣٨٢				كره	٤٩٦	كردان خواش
٥١٤				كسبه	٢٢٨	كردستان
٥٢				كسييا (كسييانام)	٢٢٧	٢٢١
٥٢				كسغيا	٢٨٥	كردفنا خسرو
٢٠٨				كسكر (دولاب)	٤٠٥	كردكوه
١٠٧	٦٣	٥٩		كسكر (راسط)	٢٣٠	كردلاخ
٥١٢	٥٠٣	٣٨٣		كشى	١٩٠	كردى بولى
٥٠٩				الكشانية (كشاني)	٤٦٦	كردزان
٢١٥	٢١٣			كشناسف	٣٥٢	كرك
٥٠٩				كشعن	٤٨١	كركان تبه
٣٥٧				كشكك	٤٩١	كركانج
٤٨٠	٢٩٧			كنسم	٤٩٢	كركانجك
٤٤٢				كشاهن (كشميهن)	٥١٩	كركت
٥١٢				كشكه دريا	٢٠١	كركر
٣٩٥				كشسر	٢٤٤	كركس كوه
٤٨٠				كشمير	١٢١	كركوك
٣٤٦				كشميد	٣٨٠	كركويه
١٥٠				الكعية	٢١٢	الكركى (سوق)
١٦٣				كلربيا	٥٠٠	كرلادى (كرلاره كرلار)
١٢٦				كلرتوتا	٣٢٨	كرم
					٢٤٩	٣٣٧
					٣٧	١٩
						كرمان (اقليم)

الفهرست البلدانى

٢٩٩	كهف سابور	٤٧٩	كججه
١٤٢	كهف الظلمات	٣٧٠	كلات
٣٧٩	كهن	٤٣٧	كلات نادر
٤٩٣	كهنة اركنج	٤١٥	كلدر
٣٨٣	كهيج	٣٥٥	كلاشكرد
٣٩٧	كواخوز	٣٥٥	كلان
٢٨٩	كوار	٤٨٠	كلوفان
٤٥٤	كوانشان		كلبايكان (انظر : جريادفان)
	كواشير (انظر : بردسير)	٥٣٠	كلجه
٦٣	الكوانين	٤٥٦	كلراي
٣٤٧	كوبنان	٣٢٢	كلناپاذ
٢٨٨	كوبنجان	٢٠٢	كلنتر
١٨٦	كوتاهية	٨٣	كلواذى
٥٧	كوت العمارة	٢١٥	كلور
٢٠٨	كوتم	٤٥٩	كلون
١٠٨	كوئي	٣٥٣	كادى
٩٤	كوئي ربا	٣٠٣	كارچ
٩٤	كوئي الطريق	٣٥٧	كبرون
٤٣٥	كوجان	١٥١	كج
	كوج حصار (انظر : قوشحصار)	٢٤٤	كمرت
٣٥٠	كود (جيل)	٣٥٧	كمرر
٣٧٧	كود زره	٢٤٥	كسندان
٤٥٤	كوران	٤٨٢	الكمينه
٣١٩	كودد	٣٢٠	كسي
٤١٩	كور سرخ (المشهد)	٣٩٨	كناباد
٢٣٠	كورشست	٣٩٩	كاند
٤٢١	كوردناغ	١٠٢	الكناسة
٣٩٧	كوسوى (كوسويه)	١٦٧	كنائس الملك
٣٦٨	كوشك	٤١٩	كسند مابوس
٤٥٤	كوشك	٣٠٨	كيد ملخان
٣١٨	كوشك زر (زرد)	٤٥٥	كنج رستاق
٣٥٥	كوشه	٢١٣	كججه
٣٥١	كوش ويران	٥٢٨	كنججه
٤٥٦	كوعاناباذ	٥٢٢	كند
٣٤٦	كوغون	٥٢٣	كندباذام
٤٥٦	كولا	٣٩٤	كندر
٤٣٦	كوفن	٤٦٧	كندرم (كندورم)
١٠١	الكوفة	٣٠٩	كنفه
		٢٢٤	كنكوار
٣٤٦	كوك	١٦٢	الكنيسة
٢١٧	كوكجه (بحيرة)	٢٨٧	الكهرجان

الفهرست البلدانى

١٩٥		اللامس (نهر)	١٢٢		كوكمىلا
٢١٣		اللان	٣٦٦		كوكور
٢٠٨		لامجان	٥٣٥		كولان
٢٩٧		لاوان	٢٦٨		كولكو (نهر)
٤٦٠		لخراب	١٤٨		كونك صو
٢٣٥		اللى الصفرى	٣٥٥		كونين
٢٦٨	٢٣٥	اللى الكبرى	٣٤٧		كوه بنان (كوه بيان)
٢٨١		لرجان (لركان)	٢٦٨		كوه رنك
٣٦٩		لس بلا	٢٦٨	٢٠٥	كوه زرد
٢٧٢		لشكر	٢٠٢		كوه سراهند
١٦٢	٣٨	اللكام (حل)	٢١٨		كوه سيبان
٢٥٦		لنيسر	٢٨٧		كوه قلعة سرخ
٥١٠		لنوجىكت	٤٢٨		كوه كلشان
٢٣٥		لورستان (لرستان)	٤٥٦		كوه نفرة
٤٤٨		لوكر (لوكره)	٢٤٦		كوه سك
١٧١	١٦٧ ١٦٦ ١٨٣	لؤلؤة (لولون)	٤٣٣		كويان
١٧٧		ليدة	٣٧٩	٢٨٩	كويى
١٧٦		لقونية	٤٩٧		كيث
١٧٦		ليقية	٣٦٨		كيح
١٩١		ليلان	٤٢٢		كيرنك
			٣٦٨		كينز
			٣٧٠		كينز كانان
			١٥٦		كيسوم
			٢٩٣	١٦	كيش (جزيرة)
١٥		ما بين النهرين	٤٥٥		كيف
٤٧٦		ما وراء النهر	٣٧٠		كيكان
٧٨		المحوزة	٢٠٦		كيلان
١١٢		ماحوزى			
٤٢٥		ماحان			
٨٤	٥٧ ٤٤	ماذرايا			
٢٢٦		ماذرستان	١٨٢		لاديق سوخته
٢٢٠		ماذى	١٨٦	١٧٩ ١٦٨	لاذق
٤٥٣		ماراباذ	١٨٧	١٨٢	لاذقة قرمان
١٢٦	١٢٥	ماردين	٣٢٩	٣٢٨ ٢٩٧	لار
٤٢٨		مازل	١٨٠		لارنده
٤٠٩	٢١	مازىدران	٣٩٨		لاز
٢٣٧		ماسيندان	٤٠٨		لاسكرد
٢٠١		ماست كوه	٣٧٩		لاش - جوين
٣٤٥		ماشيز	٢٢٩		لاشتر (ليشتر)
٣٠٤	٢٨٨	ماحرم	٢٩٠		لاغر
١٢٧		ماكسين	٢٩٧		لافت

الفهرست البلدانى

٤٤٤	مدرسة شرف الملك (مرو)	٣٠٣	مالان (درب)
٤٤٤	مدرسه نظام الملك (مرو)	٢٨٠	مال الامير (مال أمير)
٤٣١	المدرسة النظامية (بغداد)	٣٩٧	مالى (مالان)
١٩٠	مدرو	٤٥٢	مالى هرا (مالان)
٣٥	المدينة	٨٢	الأمونية (سامراء)
٥٢	المدينة العتيقة (طيسلفون)	٢٩٩	ماندستان
١٦٦	مدينة اللبن	٣٨	ماهالو (بحيرة)
٤٨	المدينة المدورة	٣٤٦	ماهان
٢٥٤	مدينة موسى	٤١١	ماهالة سر (فلاح)
٦٣	المدار	٢٢٢	ماه البصرة
٤٩٨	مذمبية	٢٢٥	ماه الكوفة
٥١١	مدنيامشكت	٢٨٧	ماهلوبة (ماهلو)
١٤٨	مراد صو	٣٠٩	ماهى رويان
١٩٩ - ١٩٨	المراعه	٤٤٠	ماياب
٣٢١	مراغة (قرية)	٢٢٧	مايدشت (ماهدشت)
٦٥	المربد	٥٠٩	مايمرغ
٢٤١	مربين	٣١٦	ماين
١١٦	المربعة (المرسل)	٥٧	المبارك
١٧١	مرج الاسقف	٢٥٤	مبارك اناد
٢٢٧	مرج القلعة	٢٥٤	المباركية
١١٩	مرجهية (مرج جهينة)	٥١	متحف الاسلحة (بغداد)
٣٠٢	مردان لعب	٢٧٥	متوت (متوت)
٤٦٧	مرسان	٢١٣	الموكلية (اران)
٥١٩	مرسدة	٨٢	الموكلية (سامراء)
١٦١	مرعش	٤٣٠	المثقب (سنناذ)
٤٥٢	مرغاب	١٦٢	المثقب (المصيص)
٤٣١	مرغزار تكان	٣٩٥	مجاهد اباد
٣٢٠	مرغزار كالان	١٤٣	المحدثة
٢٣٣	مرغزار كيتو	١٣٠	المحلية
٣٠٣	مرغزار مركس	٤٣٦	محمد اباد
٥٢٢	مرغينان (مرغيلان)	٢٤٩	المحمدية (الرى)
٥٣٠	مركه	٨٢	المحمدية (سامراء)
٢٠١	مركه	٦٩	المحمرة
٤٣٩	مرو (الكبرى)	٢٦٥	محمود اناد
٤٤٤	٤٤٣ ٤٤٠	٦٢	المحول
	٤٧٢ ٤٧١	٦٩	المختارة
٤٣٩	مرو آب	٥١	المخرم (بغداد)
٣١٥	مرو دشت	٥٤ - ٥١	المذائن
	مرو الروذ (مروچك ، مرو الصفري)	٩٩	المذنية
٤٤٨	٤٤٧ ٤٤٠	٤٩٦	مدرا
٤٤٧	مروذ	٢٤٠	مدرسة السلطان محمد السلجوقي

الفهرست البلدانى

٤٩	مقبرة نريش	٤٤٠	مرور الشاهجان
١٩١	القلوب (نهر)	٤٣٧	مربنان
٣٦٠	٢- مكران	٣٥	المرية
٢٩٠	مكران	٤٩٨	مزدانيكان (مرداخقان)
٢٥	مكة	٢٤٧	مزدغان
١٦٧	ملاجة	٧١	المزقة
١٨٠	ملاسكرد (ملازگرد، ملسجرد) ١٤٨	٣٨٦	٣٧٠ مستنج (مستنك)
٢٣٢	ملاير	١٣٥	المسجد الاقصى
٣٦٩	الملائن	٧٩	المسجد الجامع (سامراء)
١٧٤	١٥٣ ١٥٢ ملطية	٢٧٢	٢٧١ المشرقان (المشرقان)
١٨٢	١٦٨ ملقوبية (ملقوبية)	٤٢١	مصريان
١٦٤	الملون	١٠٨	٧٣ مسكن
٨٠	٧٩ الملوة (سامراء)	١٦٦	المسكين
٤١٥	مطير (مامطير)	١١١	المسيح
٣٥٦	ماب (مناو)	٣٠٦	مسين
٢٧٤	مناذر	١١٩	مشتكهر
٦٢	منارة حسان	٤٣٢	٤٣١ ٤٣٠ ٤٢٩ المشهد
١٣٩	منارجرد (مزكرت) انظر : ملاسكرد	١٠٦	١٠٥ مشهد الحسين
١٧٦	مليج	٦٤	٦٣ مشهد عبدالله بن علي
١٢٧	منتشا	١٠٥	١٠٣ مشهد علي
٨٨	المنخري (بحيرة)		مصدقان (انظر : مزدقان)
١٠٥	مندل	٥١٣	المصل (مدينة)
٤٩١	منصور اباد	٤٣٠	١٦٣ ١٦٢ المهيصة
٤٩٩	٣٧٠ ٣٦٩ المنصورة	١٩٠	مطري (مدرتي)
٤٨١	منك	١٧١	المطورة
٤١٨	منك	٧٤	المطيرة
٣٥٧	من كركان	٤٢٥	المسكر (نيسابور)
١٦٦	موفان (منوجان)	١٦٦	معسكر الملك
٣٨٩	منى	٧٨	المعشوق (سامراء)
١٩٧	مهران (نهر)	١٥٧	١٢٣ حطائيا
٤٣٤	١٩٦ مهران رود	٥٠٥	٢٠٩ مكفان (موفان ، موفان)
٢٣٧	مهرجان قنق	١٦٧	مفل
٣١٩	مهرجاناباذ (مهرجاناراد)	١٨٧	مفلة
٣٥١	مهر گرد	١٨٨	مفتيسية
٤١٥	مهرران	٢٦٠	المفولية
٣٣١	٣٠٩ ٣٠٦ مهوريان	٣٥٥	محول
٤٠٨	مهان دوست	٦٩	المفتح
٤٣٦	مهنة (ميهنة)	٤٨٧	٤٣٩ حفازة التركمان النر
٤٦١	موبلق	٣٦٠	٣٣٧ ٣١١ ٢٠
٣٠٣	مورك	٣٩٦	٣٦٧ ٣٦١
		٤٨٧	حفازة مرر

الفهرست البلدانی

٢٩٥	١٨٨	تجرم	١٤٨	موش
٢٠١		نخجوان (نخجوان)	١٥٧	الموصل
٥١٤	٥١٣	لخشب	٣٥٧	مورغ استان
٣٥١	٣٣٧	نرماسير	٤٠٢	مومناباد
٤٦٧		نريان	١٤٤ - ١٤٣	ميفارقين
٤٧١	٤٣٦	نسا	٢٠٤	مينانج (ميناء)
٣١٦		نساتك (نساك , نساك)	٥٢٣	ميان رودان
٥١٣	٥٠٣	لسف	١٧٤	ميناندر
٥٢٢		نسيا (نسائية)	٣٢٢	ميبه
٤٢٦		نشاوور	٣٥٢	الميجان
٣٤٦		نشك	١٨٩	مبخاليج
٢٠١		نشوى	٢٧٧	ميرانيان (ميرانيان)
٣٧٤	٣٦٤	نصرت اباد	٥٣٠	ميركى
١٤٣		النصرية	٣٥٢	الميزان
١٥٧	١٢٤	نصيبين	١٠٨	ميسان
٢٤٤		نطنز (نطنز)	١٧٧	ميسية
١٣٨		نعم (نعمة عانة)	٣٢٧	ميشكانات
٩٩	٥٦	النعمانية	٢٠٢	ميشكين
١٠٠		نفر	١٨٧	ميلاس
٨٧		المطخانة	٣٧٣	ميل زاهدان
١٦٠	١٦٨	نمودة	٤١٥	ميله
١٨٣	١٧٥	نكيدة (نكدة)	٤٦٧	ميه
١٧٩	١٧٤	نكسار (نيكسار)	٤٦٧	ميسنة
٥٢١		ننكن	٢٥٦	ميون دز
٥٠٤		نوجكت	٥١٩	ميسك
٥٠٤		نمى (بخارا)	٢٧١	ميسو
٣٧٩	٣٧٨	له (ليه)	٣٨٠	مينوكركو
٢٣٢		نهاوند		
١٥١		نهر ابريق		
٦٩	٦٧	نهر الالة		
٤٣		نهر ابن عر	٢١٣	٢٩٤
٦٣	٤٣	نهر ابي الاسد	٤١٤	
٦٩		نهر ابي الخصيب		
٩٧		نهر ابي رضى	١٦	
١٤٨	١٤٧	نهر ارسناس	٣٧٤	
١٥٦		النهر الازرق	٣٦٨	
٧٨	٧٥	نهر الاسعاقى	٤١٥	
٦٩		نهر الامير	٨٩	
٥٢٥	٥٢٠	نهر ايلاق	٣٣٢	٣٣٢
٦١		نهر بان	١٠٥ - ١٠٣	
١٠٠		نهر اليدا	٥٢٣	

الفهرست البلدانی

٢٨١	٢٧٨	٦٩	النهر العاصي	٦٩			نهر بردودي
١٠١			نهر العلفي	٦٩	٦٤		نهر بسان
٩٢	٤٨		نهر عيسى	١٠٧	٨٣		نهر بين
٦١			نهر الغراف	٢٨١	٢٧٦		نهر تيرى
١٥٢			نهر الغناب	٦١			نهر جعفر
١٥٢			نهر فراخيز	١٥١			نهر جلته ايرمق
٦١			نهر نريش	١٠٨			نهر جوبر
٥١٢	٥٠٨		نهر القصارين	٦٩			نهر الحفار
٦٩			نهر العدل	٨٥			نهر حلوان
١٤٢			نهر الكلاب	٨٥	٨٣	٧١	نهر الخالص
٩٤	١٦		نهر كوثي	٥١			نهر الخن
٩٦			نهر الكوفة	٨٦			نهر خريسان
٦٣			نهر المذار	١٠٨			نهر درقيط
٦٦			نهر المرأة	٦١			نهر دقلة
٤٣			نهر المراء (البطائح)	١٢٠			نهر دقون
١٤٣			نهر المسولبات	٢٧٦			نهر الدورق
١١	٦٧	٦٥	نهر معقل	٦٩			نهر اللدير
١٠٨	٩٤	٩٣	نهر الملك	١٤٨	١٤٢		نهر اللذب
٦١			نهر ميسان	١٤٦			نهر الرزوم
١٠٠			نهر النرس	١٥٠			نهر الررس
١٦			نهر النيل (العراق)	٩٥			نهر الرضوانية
٤٤٩	٤٣٧		نهر هراء	١٤٣			نهر الررس
١٠١			نهر الهندبة	٨٦			نهر الروز
٦٩			نهر اليهودي	٦٩			نهر الريان
٨٥	٨١	٧٤	النهر وان	١١٦			نهر ربيدة (الموصل)
		١٢١		٩٩	٥٧		نهر سابس
٣٠٠			الذوبنجان	١٤٣			نهر ساتيدما
٣٠٠	٢٩٩		الذوبنجان	٦١			نهر ساسي
٤٦٤	٤٦٣	٤٦٢	الذوبنجان	٢٧٨	٢٧٦	٢٧٢	نهر السندرة
٣٦٤			نوحاني (نوحاي)	٥١٠	٥٠٤	٥٠٣	نهر السفد
٣٠٣			نورد	١٥٦			نهر سنجة
٤٩٧			نوردكاث	٩٨	٩٧	٩٦	نهر سورا
٤٩٧			نوزوار	٦١			نهر السيب
٤٣٠			نوفان	٨٥			نهر شروان
٥١٤			نوفد فرنش	١٤٩			نهر شمشاط
١٢٠			نوكرد	٩٢			نهر الصراة
٤٩٥			نوكفان	٩٩			نهر صراة جاماسب
٤٨٤			نويده	٩٩	٩٨		نهر الصراة الكبيرة
٣٢٧	٣١٤		نيريز	٩٣	٥٠		نهر صرصر
٤٢٥	٤٢٤	٢١	نيسابور (نيسابور)	٩٥			نهر الصفلاوة
٤٧١	٤٢٧	٤٢٦		١٤٣			نهر الصلب

الفهرست البلدانى

٢٩٧	هندراى	٣٨١	تيشك
٢٧٧	هند مند	١٩٠ ١٧٢ ١٦٧	تيفية
٢٠٧ ٢٦٩	هندوان	٩٩ ٩٨	النبيل (مدينة)
٣٨٩ ٣٨٤ ٤٢٣	هندوكش (هندكوش)	٩٩	النيليات (النيلية)
٣٠٨	هنديان	٢٢٥	بيمرام
٣٠٧	هنديجان	٢٧٢	نيم رور
٤٥٩	هنكران	٤١٧ ٤١٦	نيم مردان
٦٢	هور بحصى	١١٨ ١١٦ ١١٥	نينوى
٦٢	هور بصريانا		
٦٢	هور بكصى	٣٧٩ ٣٧٣	هارود
٦٢	هور المحدية	٤٥٤	هارود سيسنان
٣٠٣	هوشنك (دوب)	٧٨	الهارونى (سامراء)
٩٩	الهول	١٦١ ٨٧	الهارونية
٢٠٣	هولان مولان	٤٨٤	هاشم جرد
٤٦٩	هيبك	٩٧ ٩١	الهاشمية
٩٠	هيت	٣٥٢	الهامون
٢٨٩	هيرك	٤٢١	ميرانان
٤٨١ ١٧٦	الهبطل	٤٤٩ ٤٢٤ ٣٢٣ ٢١	هرام
٣٧٧ ٣٧٢ ٢١ ٣٨٣	هبلند (نهر)	٤٧١ ٤٥١ ٤٥٠	هرسين (قلعة)
		٢٢٧ ١٧٥ ١٦٨ ١٦٦ ٣٤	هرقله
		١٨٢	
٣٥٠	واجب	١٢٧ ١٢٤ ١١٥ ١١٤	الهرماس
١٦٧	وادي الجوز	٣٥٨ ٢٩٧	هرمز (جزيرة)
١٤٥	وادي الررم	٢٦٨	هرمز شهر
١٤٣	وادي الزور	٣٥٧ ٣٥٦ ٣٥٤	هرمز الملك
٤٢٥	وادي سفاور	٢٢٧	هرون اباد
٢٥٤	وادي سيرم	٣١٦	هزار
٦٧	وادي الصفد	٤٩٤	هراراسب
١٦٦	وادي الطرفاء	٢٩٣	هزو
٢٥٤	الوادي الكبير (مزوين)	٢٠٤	هشترود
٤٢ ٣٧ ٣٤ ٢٥ ٤٣	واسط	٢٤٨	هفتاد نولان
		٤٨١	هلاورد
٤٨٣	واشجرد	٤٨١ ٤٧٨	هلبك
٣٨٦ ٣٧٠	والشسان	١٤٢	هلويس
٢١٦ ١٨٠ ١٤٥	وان (بحيرة)	٥٦ ٥٥	همانية (همنيا)
		٢٦٢ ٢٢٩ ٢٢١ ٣٦	هندان
٢١٨ ٢١٧ ٣٨	وان (مدينة)	٢١٠	هشتره
٥٢٣	وانكث	٤٨٤ ٤٥٩ ٣٨٧ ٣٦٩	الهند
٤٩٥	وابخان	٥٠٨	

- ٥٧١ -

الفهرست البلدانى

٤٧٩	٤٧٠	وٲرات (نهر)	ى
٤٧٨		وٲاب	
٤٨٠	٤٧٨	وٲان	٥٠٦
٤٨١	٤٧٦	الوٲنى	٥٢٠
٤٨٢	٤٨١	وٲشاب	٢٦٦
٥١٠		وٲار	٨٤
٢٥٢	٢٥١	ورائى	١٢٤
٢٠٢		ورائى	٣٣١
٢١٠		ورائى	٢٨٤
٥١٠		ورائى	٢٥٥
٥٠٦		ورائى	٣١٩
٤٧٢	٤٧٠	ورائى (وروالىج)	٣٢٨
٥٠٦		ورائى	٣١٦
٤٩٨	٤٩٧	ورائى	١٨٨
٢٢٢	٢١٨	ورائى (وروالىج)	١٩٠
٥٢٨		ورائى	٥٢٩
٢٤٤		ورائى (قلعة)	١٦٥
٢٥٥		ورائى	١٨٤
١٩٦		ورائى (جبل)	٤٨٠
٤٨١		ورائى (قلعة)	٤٠٢
٣١٩		ورائى	٣٩٨
١٥٢		ورائى	٥٢٩
٤١٢	٤١١	ورائى	٥٢٩
٥٢٥		ورائى	١٨٢
		ورائى	٤٦٦
		ورائى	٤٦٦
		ورائى	٢٣٩
		ورائى	٢٣٨

٢- فهرست الأشخاص والأقوام

٢٢٣	٣٠	ابن مهلهل (سمر)	٤١٣	آل قارن
٢٧٠	٢٦١		٢٨٧	آل مظفر
٩٦		ابن هبيرة (يزيد بن عمر)	٢٥٩	ألقا خان المغول
٦٣		ابو الاسد	٣٢	ابراهيم متفرقة
٤٨٤		ابو الحسن بن حسن ماه	٢٢٤	٤٤
٢٣٣		ابو دلف	٣٣	ابن ابراهيم
٢٣١		ابو سميد الابلخاني	٤٩٢	٣٣ ٣٢
٣٠٩		ابو طالب القرطبي	٣٤٣	ابن الياس (أبو علي)
٣٠١		ابو طالب النونجاني	٣٥١	٣٤٦
٤٠٧		ابو الطبيب الشما (خال المقدس)		
٥٠١	٤٩٣	٣٢	١٣٧	ابن بطلان الطبيب
٢٦		ابو اللداه	٣١	ابن بطوطة
٥٣٢		أبو الكلام آزاد	١٧٣	٣٣
٤٤٤	٤٤١	أبو مسلم الخراساني	٣٨٨	ابن البيهقي
١٠٤		ابو الهيجاء الحمداني	٣٠	٢٩
٦٦		أحمد أمين	٣٣	ابن الجوزي
٤٦٤	٤٤٧	الاحنف بن قيس	٢٨	ابن حوقل
٣٥٥		الاقواس (قبائل)	٢٦	ابن حرداذبه
١٧٥	٣٠	٢٩	١٧٢	٣٣ ٣٢
٣٤١	٢٨٤	٢٧١	٣٣	ابن خلدون
		٣٧٨	٢٧	٢٦
٤٣٥	٢٥٨	٢٥٧	٢٧	٢٦
٤٩٣		٢١٨	٢٩١	٢٧٨
٤١٣		ارغون	٤٣٦	٦٦
		الازبك	٣٣	ابن سينا
		اسمرايون	٣٠	ابن الططعي
		اسحق بن ابراهيم (صاحب شرطة المعتصم)	٣٣	ابن عبد الحق (صفى الدين)
		٧٨	٢٣	ابن العبري
٤٥٢		الاسعراي (معين الدين)	٢٣	ابن العماد الحنبل
٤٨٥	٢٩٩	٢٩٢	٢٧	ابن الفقيه
		٤٩٨	٣٣	ابن افوطي
٢٤٠		اسماعيل الصفوي	٣٣	ابن كثير
٣٢٥	٣٠٥	٢٥٦		
٤١٥	٤٠٠	٣٩٥		

فهرست الاشخاص والاقوام

١٠٢	البراتي	١٨٧	١٧٥	١٥٢	اصحاب الكهف
٤٦٣	البرامكة	٣٥٢	١٨٩		
٣١	٨	٢٨			الاصطخرى
٢١٣	برلاس (قبيلة)	١٠٥			أغا اوغلو (محمد)
٤٣٣	برلاس (عم تيمور)	٣٩٥			أغا خان
٤٦٤	٤٦٣	٤٨١	٤٧٦		الانفلاطيون
٤١٢	٥٣	٥١٩			الافشين
٤١٢	البرمكى (يحيى)	٣٦٨			أفضل كرماني
١٣٨	البساسيرى	٤٠٣	٣٨٩		الافغان
٤٠٦	البسطامى (أبو يزيد)	٣٠٢	٢٥٧	٢٢٦	٢٢٥
٣٨٤	البشلتك (مبانل)				٤٦٨
٩	بشير فرنسيس	٢١٧	١٧٢		ألب ارسلان السلجوقى
١٨٥	١٧٨ ١٦٩	٢٥٧	٢٢٨		ألباجتو
١٢٣	بل (جرتود)	٤٦			الدرد (جون)
٤٤	٣٢	٢٥٢			أمام زاده (عبد العظيم)
١١١	بلال ابن ابي برده	٣٣			امدروز (المستشرق)
١٩١	بلال الحشى	٤٤٢	٢٢٥	٥٥	الامين (الخليفة)
٤٠٨	١٨٦	٢٧٦	١٠٩		استاس الكرمل
٣٦٢	٣٦١ ٣٥٥	٤٣٦			انورى (الصاعر)
٤٦٩	بنو تميم	٢٤٣	٢١٥	٤٤	انوشروان بن قباد
٤١٩	بنو زيار			٤١٦	
٣٨٢	٣٧٣ ٣٥٤ ٢٨٥				اهل الكهف (انظر : اصحاب الكهف)
	٤٤٥ ٤٢٧ ٣٨٩	٣٣			احلورد (المستشرق)
٤٤٢	ببر ماهان (ميرماهان)	٢٥٨			اولجاي حاتون
١٠٠	بنيامين التليل	١٨٩			اورحان العشاني
١٠٤	بهاء الدولة البويهى	٣٤٢			ايرانشاه السلجوقى
٢٣٠	٢٢٦				ب
٣٨٧	١٨٢				
٢٧٦	٢٤٣				
٢٨٦		٥٢٠			بابر
٨٤	بوران	٢٥٨			ناتوخان المنولى
١٧٠	بورى (الروفيسور)	٤١٤	٤١٣		البادهوسبان
١٥١	بولس الششاطى	٤٥٢	٢٩		ناربه دى مينار (المستشرق)
٥٢	بولسوس		٤٦٤		
٢٠٧	البويهيون	٢٩			بافه دى كورتى (المستشرق)
١٥١	البيالة	١٨٥	١٨٢		بايزيد المدمر العشاني
٣٨٠	٣٧٩	٤١٢			البحرية ابنة الامبيد
٤٦٥	البيرونى	٢٧٤	٢٧٣		بخشيسوع
١٥١	بيقرا (ميرزا)	٢٣٦			بدر بن حسنويه
٢١٠	البيلقانى	١١٧			بدر الدين لؤلؤ
	بيته سوار (الامير)	٢٩٢			برازة الحكيم

فهرست الاشخاص والاقوام

[illegible]

فهرست الاشخاص والاقوام

١٧٥	١٦٧	١٦٠	رمسى (البروفسور)	٣٨٥	٣٨٤	الخلع (مبيلة)
٢٩			روجر الثانى (ملك صقلية)	٢٩٤		خمارتكن (الامير)
٢٨١	٢٥٩	٢٥٨	رولسن (هنرى)	٥٢١	٤٥٩	خوارزمشاه (محمد)
٤٦٤	٣٧٩	٣٧٣			٥٢٤	
		٥ ١		٤١		الخوارزمى
٣١			رينو (المستشرق)	٣٣		خواندامير
				٢٩٠		خورشيد (عامل بنى آمية)
				٢٦٧		الخور
			ز			
٤١١	٣٧٣		زال (ابو الملك رستم)			د
٤٨٠	٥٥		زبيدة			
٣٩٥	٣٨٠	٢٥٩	روداشت	٢٢٢		دارا
		٤٦٣	٣٩٦	٢٥٦	٢٠٨	الداعى العلوى
٣٦٩	٢٧٩		الزط	٣٨٩		الداوديون
٤٩٧			الزمخشري	٢٧٦		دراور (الليدى)
٢٦٨			الزنج	٣٢		دميسون (البارون)
٢٩٢			زهيد (مبيلة)	٣٨٨		دوزى (المستشرق)
			س	٢٠٧		الديالمة
				٣٠٦		دى بودى
٤٢٤			سابور الاول	٣٢	٣١	دى سلال (المستشرق)
٢٧٢	٩١	٩٠	سابور الثانى	٢٧	١٠	دى غريه (المستشرق)
٤٢٤	٤٠٦	٢٧٣		٣٣	٣٠	٢٨
١٢٩			السايطرون		٥٣٢	٥٠٩
٥٠٣	٣٨٩		السامانيون	٢٥٦	٣١	ديفريسرى (المستشرق)
٦٦			السامر (فيصل)	٢٠٥		الدبلى (طبيب الحاج)
٣٤٤	٣٣٨	٣٢٤	سايكس (الميجر)	٢٤١		ديو بند
٣٥٠	٣٤٧	٣٤٦	٣٤٥			
٣٥٥	٣٥٤	٣٥٢	٣٥١			
٢٧٣	٣٦٨	٣٦٤	٣٦١			
١٠٢	٣٩٥	٣٧٩	٣٧٦			
١٠			سبرنكر (البروفسور)	٣٣		الدهبي
٣٥٨	٢٩٥		ستيف (الكاتب)			و
٣٨٠			سنخو (المستشرق)			
٤٤			سركيس (يعقوب)	٤١٦		الرازى (احمد)
٢٨٧	٢٨٦		سمعدى الشيرازى	٢٧٦		الراسبى (على بن احمد)
١٣٧			سميد بن عبد الملك الاموى	٣٢٩		الراشد بالله
٩٧	٩١		السفاح	٣٠		رايت (وليم)
٣٧٩	٣٧٣		سفيح لندر	٣٨٠	٣٧٣	رستم بن دستان
٦١			سفر (فزاد)	١٧٩		الرفاعى (ابو العباس احمد)
٢٨٥			سلطان الدولة البويهى	٢٨٦	٢٦١	ركن الدولة البويهى

فهرست الاشخاص والاقوام

٢٨٦	السلفرى (سعد بن زكى)
٥٣	سلمان الفارسى
٥٢	سلوقس نيقاطور
٧١	سليمان بن جابر
٢٢٧	سليمان شاه الملقب أبوه
٢٥٦	سليمان الصفوى
١٧٠ ١٦٦	سليمان بن عبد الملك
١٧٢	سليمان قتلش
٢٤٤	السعائى (ابو سعد)
٤٠٠ ٢٢٧ ١٢٨	سنجر السلجوقى
٤٤٣ ٤٣٦ ٤٢٦	
	٤٤٤
٣١	سنتوفينى (المستشرق)
١٦	سهراب
٨٥ ٨١	سوسه (الدكتور احمد)
٤٦	سيرار فردريك
١٦١ ١٥٤	سيف الدولة الحمدانى
	١٦٢
٩٧	سيف الدولة (رئيس بى مزيد)
	ش
٥٥	الشابشى
٢٤١ ٢٤٠	شاردان (الرحالة)
٥٢٥ ٥٠٠ ٤٤٥	شاهورخ
٣٤٤	شاه شجاع الكرمانى
٢٢٩	شاه شجاع المظفرى
٤٦٥	شاه مردان
٢٢٥	شباكتار (قبيلة)
٢٩٥	شتاين (السر اوريل)
٤٨	شترك (البرومسود)
١٩٥ ١٩٤	الفرات
٤٣٦	شرف (الدكتور محمد)
١٠٤	شرف الدولة البويهى
٦٢	الشرفى (عل)
٣٠	شفر (المستشرق)
٤٢	شلمتصر الثالث
٣١٨ ٣١٧ ٢٤١	شدلر (هنر)
	٣٦٨
٥٢٩ ٥٢١	شويلر
شيخ الجبل (انظر : حسن الصباح)	
ص	
٢٧٦	الصائبة
٦٦	صاحب الزنج
٦٧	صالح احمد العلى (الدكتور)
٢٥٧	صدر الدين وزير ارسلان الثانى
٤٥٢	الصدبقى (محمد زبير)
٣٣٩	الصفار (طاهر بن الليث)
٣٣٦ ٢٨٦	الصفار (عمرو بن الليث)
٢٨٢ ٤٧٤ ٣٦٧	
٤٢٨ ٤٢٦ ٤٢٥	
٣٠٩ ٥٥	الصفار (يعقوب بن الليث)
٢٨٢ ٣٧٥ ٣٧٤ ٣١٧	
١١٧	صلاح الدين الايوبى
٣١٢ ٢٨٥	صمصام الدولة البويهى
٤٥٤ ٣٠٦	صنيع الدولة
١٨٧	صهيب (الصحابى)
٤٩٢	الصهرورى (الطبيب)
ض	
٤١١	الضحاك (زهاك)
٢٠١	ضياء الملك بن طام الملك
ط	
٤٢٤ ٤١٠	الطاهريون
٣٢١	طاووس الحرمين (ولي)
٣٣ ٣٢	الطبرى (محمد بن جرير)
٢٤٢ ٢٢٤	طفرلك
٢٥٢	طغرل الثالث
٤٢ ١٦	طه باقر
٢٩٩	طهمورث
١٩٩	الطوسى (نصير الدين)
ع	
٢٧٦	عبادة (عبد الحميد)

فهرست الاشخاص والاقوام

٢٤٠	٢٠١	١٩٤	عباس الصفوى
	٣٥٧	٢٤١	
٥٢٤			عبدالله بن حديد
٤٣٦	٤٢٦	٤٢١	عبدالله الطاهرى
١٦٢			عبدالله بن عبد الملك الاموى
٦٣			عبدالله بن على بن ابي طالب
٢٧٦			عبد الجبار عبدالله (الدكور)
١٠٦			عبدالرزاق آل وهاب
٥٣٢			عبدالرزاق سليم شاه رخ
٦٦			عبد السلام الجبلى
٤٣٠			عبد القادر احمد اليوسف
٤٣٧	٣٨٣		المتنبى
١٦٩			عثمان بن عفان
٢٥٦			الغزوى (عباس)
٥٧			المسكرى (تحسين)
١٠٦	١٠٤	٦٩	عبد الدولة البويهى
٢٧٨	٢٦٨	٢٢٢	
٢٩٥	٢٩١	٢٨٥	
٣١٣	٣١٢	٣٠٢	
٣٦٢	٣٥٥	٣٣٩	
٣٨٧			علاء الدين العورى
١٧٥	١٥٠		علاء الدين كيقباز السلجورى
١٨٣	١٨١	١٧٨	
٤٣٠			العلوى (السيد محمد مهدى)
١٠٣	١٠١		على بن ابي طالب (الامام)
	٤٦٤		
١٤٢			على الارمنى
٢٠٣	٢٠٠	١٩٧	على شاه الوزير
	٢٦٦	٢١٨	
٨٠			على الهادى (الامام)
٣٢	٣١		على اليزدى
١٢٢			عماد الدولة الديلى
١٢٢			عماد الدين زنكى
٢٩٢			عمارة (قبيلة)
٣٤٠	٣٣٩		عمر شيخ
٥٣٠	٤٣٠		عبيد الدولة فائق (الامير)
٥٥			عواد (كوركيس)
٦٢			عواد (ميخائيل)

فهرست الاشخاص والاقوام

[illegible]

فهرست الاشخاص والاقوام

٣٦٢	٣٠	٢٩	ناصر خسرو	٤٠٢			المصعبى (تقى الدين)
١١٨			ناصر الدولة الحمدانى	٧٤			مطر الشيبانى
٣٦٥			ناصر الدولة بن سيمجور	٢٩٢			المظفر (قبيلة)
٤٩٣			نجم الدين الكبرى	٣٣٩			المظفر يونس
٣٢			نورج (المستشرق)	١٦٩	١٦١	١٦٠	مبارزة (الخليفة)
١٠٠			نرسى (الملك الساسانى)	٢٥٥			المعين
٥٣٠	٥٢٥	٥٠٩	الساطرة	١٧٠	٧٦		المعصم
٣٤٥			سسترا داحس	٨٦			المعتضد
٤٨٦			نصر بن أحمد	٧٨			المعتمد
١٦٧			نصر الاقريطشى	٦٧			معقل بن بسار
٤٣٥			نظام الملك (الوزير)				المعول (أنظر النثر)
٢٢٣			نظامى (الشاعر)	٢٧٧			المقتدر
١٠٢			النعمان بن المنذر	٢٣٩			المفتى
٣٤٥			نعمة الله الولى الصوفى	٤٠٦	٢٨		المعدسى (البشارى)
١٦٥			نقصور	٥١٤	٥١٣	٤٥٧	المقنع (الحارثى)
٤٢٤	٤١٣		نلدكه (المستشرق)	٥٣			المكفى
٣٦٩	٢٧٩		النور (بفتح النون والواو)	٢٧١			مكرم (الفائد العربى)
١٣٩	١١٧		نور الدين رنكى	٣٠			مطر (كفراد)
٢٨٨	٦٨		نيارخس	٢٤٠	١٠٦	٨٧	ملكشاه السلجوقى
٣١	٣٠		نكلس (المستشرق)	٤٤٧	٤٤٥		
٤٦			نيوبرى (جون)	٤١٤			ملكونوف
			هـ	٦			ملوان (البرفسور)
				٨٢	٧٨		المصبر
٢٥٤			الهادى (موسى)	١٣٢	٥٣	٤٨	المصور (ابو جعفر)
٨١	٤١	٣٤	هرسفلد (الاستاذ)		٤١٢	١٥٢	
١٣٣	١٠٣	٨٣	هرون الرشيد ٥٠	١٥٥			منصور العيسى
	٢٥٤	٢٤٩	١٦١	٢٣٦			منكوبرسى
١٥١			الهوى (السائح)	٢٥٢			موجهر الزيارى
١٩١	١٦٢	١٣٧	هشام بن عبد الملك	٢٧٨	٢٤٩	٤٨	المهدى (الخليفة)
١٧			هليرخث (الاستاذ)	٥١٤	٤٥٧	٤١٢	
١٧٣	٣٣	٢٧	هوتسا (المستشرق)	٤٦١			موتوكن بن حناى
٢٦٧			الهوز	٢٥٥			موسى بن بفا
٤٣٥	٣٦٤	١٩٥	هولاكو	٤٩			موسى بن جعفر الكاظم
٣٦٩	٣٦٧		هولدى	١٣٨	٩٥		موسيل (المستشرق)
٤٨١	٤٧٦		الهورن البيض	٢٢٤			مؤسى المظفر
٤٨٤			هون تسانك (الرحالة الصينى)	٦			موهل (المستشرق)
٤٧٦			الهياطة	٣٣			ميرخواند
			و				ن
٧٨			الرائق	٤٣٦			نادر شاه

فهرست الاشخاص والاقوام

٤٤٤	٣٤	٣٠	ياقوت الحوى	١٧	وارد (الاستاذ)
		٤٨٨		٣٣	٣١ وستنفلد (المستشرق)
١٦٦			يحيى بن معاوية	١٦٣	الوليد الاموى
٣٥٣			يحيى (حفيد على زين العابدين)	٣٦١	وهسودان (اسرة)
٤٤٢	٨٧	١٤	يردجرد	٤٧٧	وود (الكتابتن)
٥٢٩			اليسى (الشيخ احمد)		
٣٢	٢٧	٢٦	اليقوبى (ابن واضح)		ى
٢٣٥			يساك (ابراهيم)	٤٢٩	٤١٩ ٣٤٦ يات (سى . اى)
١٩٠			الينيچرية	٤٥٦	٤٣٥ ٤٣٠
٥٣٢	٤٦٠	٣٨٨	نول (السر هـ)	٥٣٢	٥٠٠ ياجوج وماجوج

الفهرست العمراني

ج				٢٤١	٢٢٨	٢٢٦ (لدى المجوس)
٥٠٢			الجبن	٢٥٩	٢٥٤	٢٤٣
٣٥٤	٣٣٧	٢٨٤	٢٣٧	٢٦٠	٢٨٠	٢٧٧
٩٧	٩٤	٩٣	٨٢	٣٢٤	٣٠٧	٢٩٢
٢٨٩	٢٧٢	٢٣٩	١٠٠	٤٥٠	٣٩٨	٣٨٠
٤٤٩	٣٨٣	٣٠٦	٣٠٢		٤٦٣	٤٥١
			٤٩٧	البيمارستانات (انظر : المارستانات)		
٤٣٤			الجنار (شجر)	ت		
٥١٤	٥٠٢	٤٦٥	الجلود المدبوغة	٤٧١		التاخيخ
		٥٣١		٥١٣		الترنجبين
٣٦٢	١١١		الحماريات	٤٩٥		التزوين
٢٦٢			جوارب الادم	٤٩٢		الطرز
٤٨٠	٣٣٠	١٩٧	الجواهر	٣٩٠	٣٨٩	التعدين
٣٠٣			جيلان (صنف من العمر)	٢١٨		تفاح يدليس
ح				٢١٩		النكك الارمنية
٢٢٦			حب الزلم	١٠٩		التور
٥٣١	٢٨٨		حجر الارحاء	٤٧٢	٣٣٠	الوابل
٤٨٠			حجر العتلة	٣٤٧		النوتيا (التوتيا المازبي)
٣٣٢	٣٢٤	٣١٤	١٤٢	٥٠٢		التوز (خشب)
٥١٠	٤٧١	٤٣٠	٣٥٤	ث		
			٥٣١	١٦٠		الففور
٣٩٨	٣٩٦	٣٩٣	٣٢١	٢٨٦	٢٨٠	٢٤٦ ٢٤٥
	٤٢٠	٤١٦	٤١١			٣٥٢
٢١٨			الحريز	٤٧١		ثياب الازيسم
٤٧١	٣٣٢	١٠٤	الحريز العرمزي	٥٣١		الثياب البيض
٤٧١			الحصر	٤٧١	٣٣٢	ثياب الشعر
٤٧٢	٣٧٣	٣٧٢	الحقائب	٥١٤		ثياب الفرش
٢١٦	١٢٨	١٢٦	١٢٤	٤٧١	٣٥٠	٣٣١ ٣٠٢
٤٤٢	٤٠٠	٣٥٠	٢٧٧			٥٠٦
	٥٠٧	٥٠٥	٤٩٧	١٨٧		ثياب القطن المعلقة بالذهب
٣٦٥	٣٦٤	٣٦٣	٣٦١	٣٠٧	٣٠٢	٢٩٥
٤٠٠	٣٩٤	٣٧٥	٣٦٦	٢٧٦		الثياب المدلسة
		٤٤١	٤٠٧	٤٤٣		الثياب المروية
خ				٣٣١		الثياب الموشاة
٢١٤			الخافان (ج : الخوامين)	٥١٠		الثياب الوذارية
١١٧			الخز			

الفهرست العمراني

٣٣٢	الرازقي (دهن)	٣٣٢	المركبات
١٠٩	الراسخت	٣٣١	الغز
٤٤٥	الرشته		خزائن الكتب (انظر : دور الكتب)
٢٧٢	الرصاص	٧٠	الخشب (الخشب)
١٩٩	الرصم (مراغة)	٤١٦ ٤١٠ ٢٦٢	الخلنج (خشب)
٥٣١	الرصم (مراغة)	٥٠٢	
١٥٦	الروم (مدلول اللفظة عند العرب)	٤٣٠	الغصان
٣٧٥	الرمال المتحركة (المنقلة)	٤٦٨ ٢٨٩	الغور
٥١٦	٤٤٥ ٣٧٩ ٣٧٦	٤٦١	خنكيد (صنم يوثى)
٣٨١	الرمال المصوتة (الموسيقية)	٤١٦	الخيض
٤٢٨	الربياس (الربواس)	٤٨١ ٤٧١ ٢٥٩ ١٥٧	الخيول
		٥٣١	
ز		د	
٤٧٢	الراج	٣٣٢ ٣٣١	الديس
٤٤٢	الزبيب الكشماهي	٣٣١	الديقي
٧٣	الزجاج	٥٠٢	الدرج
٥٣١	٥١٠	٢٨١ ٢٣٧	الدستورية (الدستوي)
٢٩٤	الزلازل	٤٥	الدهقان (ج : الدهاقين)
٣٣٢	الزلال	٤٣٠	الدهن
١٠٩	الزنجار	٢٥٥ ٢٤٩ ١٢٠ ٦٩	دور الضرب
١٠٩	الزنجفر	٤٦٦ ٢٨٩ ٣٢٩ ٢٨٥	
٥٠٦	الزندنجي (ثياب)	٥٢٦ ٤٩١	
٥٣١	٥١٠ ٤٦١ ٣٣٢	٢٧٨ ٢٥٠ ٢٤٧ ٦٦	دور الكسب
		٤٤٤ ٢٨٥	
س		٣٥٢ ٣٣٢ ٣٣١ ٢٧٩	الدوشاب
		٤٧٢ ٤٧١	
٢٨١ ٢٧٧ ٢٧٥ ٢١٩	السور	٢٨٥ ٢٨١ ٢٦٩ ٢٠١	الديباج
		٤٧١ ٤٦٣ ٤٢١ ٣٣١	
٤١٠ ٣٩٣ ١٠٥	السجاحيد	٥١٥ ٥٠٢	
٣١٣ ٣١٢ ٢٨٩ ٢٤٨	السود		
٤٤٤ ٤٤٠ ٣٩٣ ٣٧٧			
٤٦٠ ٤٩٦ ٤٩١			
٤٦٠	سرخ بد (صنم يوثى)	٤٣٠ ٤٠٥ ٣٣٢ ٢٥٩	الذهب
٢٨٤	سردس	٥١٠ ٤٨٠ ٤٧١ ٤٥٩	
		٥٣١	
٢١١	السماعي (سمك)		
٣٩٦ ٣٩٥	سروة زراعت		
٤٧١	السميدى (نسج)		
٥٠٢	السفن	٤٧١	الراختج

الفهرست العمرانی

[illegible]

الفهرست العمرانی

[illegible]

الفهرست العبراني

ن				م			
٤٧١	٢١٢		التألف	٣٠٧	٢١٤	٦٢	٥٤ المآصر
٥٣١	٥١٠	٤٣٠	النحاس	٢٨٦	٢٨٥	٢٤٧	١٢٤ المارستانات
٤٢٧	٣٣١		النخاخ		٤٩٢	٤١٠	٣٧٥
٢٩٤	٢٩٣	٢٣٧	٢٣٦ التخييل	٣٣٠			ماء الطلع
٣٠٨	٣٠٤	٣٠٠	٢٩٦	٣٣٠			ماء القيصوم
٣٥٢	٣٥١	٣٥٠	٢٤٦	٣٣٠			ماء الورد
٣٦٣	٣٦١	٣٥٧	٣٥٥	٣٦٦			المتحجرات
٣٨٣	٣٧٩	٣٧٥	٣٦٨	٢١٩			المحفوريات
٤١٧	٤٠٠	٣٩٩	٣٩٢	٤٧٢	٤٧١		المدارس
١٢١	٨٨	٨٧	٧٠ النفط	١٠٩			المرداسنح
٥١٠	٣٣٢	٢٧٩	٢١٥	٢١٤			مرسى السمن (دربند)
			٥٣١	٢١٧	١٢٦		المرعز
٤١٠	٢٤٩	٢٣١	٧٦ النقود	٤٨٠			المسك
		٤٩١	٤٢٤	٢٢٢			المسمارية (كتابة)
٢٦٢	١٥٧		النمكسود	٥٠٧			المسنيات
٥٠٧			نهر رصاص	٥١٥	٥٠٤	٤٠٣	٣٣١ المصليات
٥٠٨	٢٧٣	٢٦٩	النواعير				٥٣١
٥٣١	٥١٠		النوشاذر	٤٧١			المصمت (نسيج)
٤٠٣			النيسابورية (ثياب)	٤١٢			المصفان
٣٥٨	٣٥٦	٣٥٥	٣٥٢ النيل	١٣٦	٦٣		المصنعة
			٣٨٨	٥٣١			المقاريص
				٥٠٢	٤٣٨	٤٢١	المقانع
				٤٤٤	٤٤٣	٤٤٠	٤٠٥ مقسم المياه
				٢٧٧			المكوس
				٤٧١			الملاحم بالقز
٦٢			الهور	٥١٣	٣٨٣	٣٢٦	٢٣٤ الملح
٦٢			الهرل	٥١٣	٤٧٢		المن
				٣٥١	٣٢٢	٣٣١	١٠٩ المتاديل
					٤١٥	٤١٠	٤٠٧
٢٩٢			الورد الجردى	٢٥٦	٢١٢		المنجنيق
٤٣٤			رعاء عظيم من النحاس (اسفرايين)	٣٣١	٢٦٢		المنيرات
				٩٩			المربذ (ج : المربادة)
				٣٨١	٣٧٩		موسيقى الرمال
				٣٣٢	٣٢٦	٣٠٥	المرمياء
٤٨٠			الباقوت	٤١٠			الميازور

